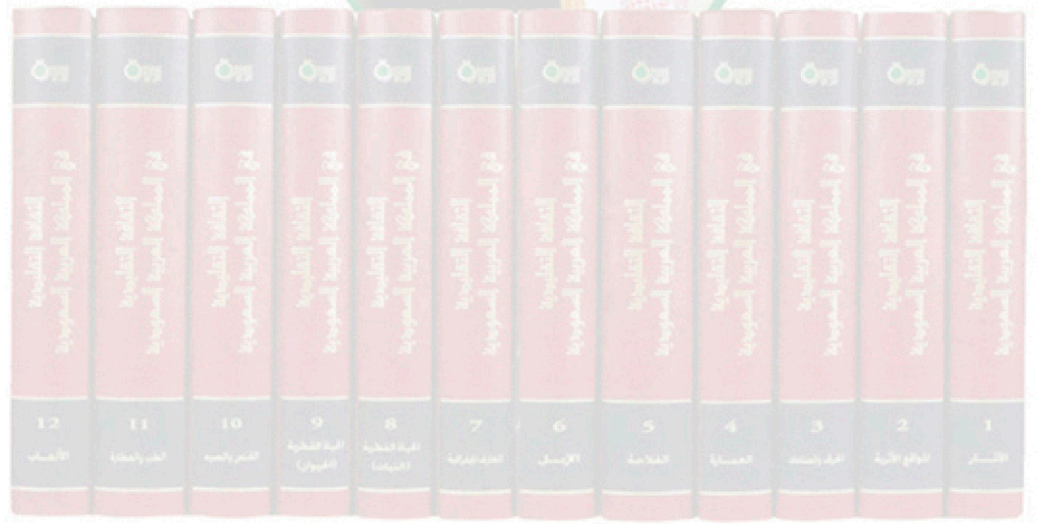


بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

10

القنص والصيد







الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية
ط١.- الرياض.
٥٥٨ ص ١٨ × ٢٥سم
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
١-٣٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ١٠)
١- السعودية - الثقافة
ديوي ٣٠١,٢٩٥٣١ ٢٠/٣٧٢٥

رقم الإيداع: ٢٠/٣٧٢٥
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
١-٣٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ١٠)

الناشر: دار الدائرة للنشر والتوثيق
ص. ب ٨٦٧١٣، الرياض ١١٦٣٢
المملكة العربية السعودية
فاكس ٤٥٠٤٩٧٥

Traditional Culture of Saudi Arabia

Published by The Circle for Publishing & Documentation
P. O. Box 86713, Riyadh 11632
Kingdom of Saudi Arabia
Fax. 4504975



تم إنجاز هذا العمل وطباعته ونشره

بتوجيه ورعاية من صاحب السمو الملكي

الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود







الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير

د. سعد العبدالله الصويان

المستشار العام

سلطان بن خالد بن أحمد السديري



المشاركون في التأليف

د. أحمد بن حمد الفرحان (الحيوان، النبات)

د. أحمد بن عمر الزيلعي (الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)

د. أسامة بن محمد نور الجوهري (العمارة)

د. جابر بن سالم موسى (الطب والعطارة)

د. حميد بن إبراهيم المزروع (الآثار، المواقع الأثرية)

د. خليل بن إبراهيم المعيقل (المواقع الأثرية)

د. سالم بن أحمد طيران (الآثار)

د. سعد بن عبدالعزيز الراشد (الآثار، المواقع الأثرية)

د. سعد بن عبدالعزيز السعران (الألعاب)

د. سعد العبدالله الصويان (الإبل، القنص والصيد)

د. سعود بن سليمان ذياب (الآثار، المواقع الأثرية)

سلطان بن خالد بن أحمد السديري (الإبل، الحيوان، القنص والصيد، المعارف الجغرافية، النبات)

د. سليمان بن محمد الذييب (الآثار، المواقع الأثرية)

د. صالح العلي الهذلول (العمارة)

عبدالرحمن بن زيد السويداء (الإبل، القنص والصيد)

د. عبدالرحمن بن سعود الهواوي (الإبل، القنص والصيد)

د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري (الآثار، المواقع الأثرية)

عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع (الإبل، الطب والعطارة، العمارة)

د. عبدالرحمن بن محمد العسيري (الألعاب)

د. عبدالرحمن بن محمد عقيل (الطب والعطارة)

د. عبدالعزيز بن سعود الغزي (الآثار، المواقع الأثرية)

د. عبدالكريم بن عبدالله الغامدي (الآثار، المواقع الأثرية)

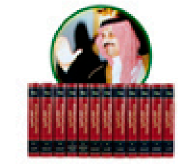
د. عبدالله بن إبراهيم العمير (الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)

عبدالله بن أحمد السيف (الإبل، المعارف الجغرافية)

د. عبدالله بن آدم نصيف (الآثار، المواقع الأثرية)



د. عبدالله بن حسين الخليفة	(الألعاب)
د. عبدالله بن حمد الخلف	(الفلاحة)
د. عبدالله بن عبدالرحمن الدوسري	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالله بن سالم الزهراني	(الفلاحة)
د. عبدالله بن محمد الشيخ الأنصاري	(الحيوان، النبات)
د. عبدالله بن ناصر الوليعي	(المعارف الجغرافية)
د. عبدالله بن يوسف الغنيم	(المعارف الجغرافية)
د. عساف بن علي الحواس	(المعارف الجغرافية)
د. علي بن إبراهيم حامد غبان	(الآثار، الثقافة البحرية، الحرف والصناعات)
م. علي بن محمد الشعيبي	(العمارة)
د. عوض بن متيريك الجهني	(الحيوان، النبات)
د. فوزان بن عبدالرحمن الفوزان	(الفلاحة)
د. محمد بن حسن صالح البراهيم	(العمارة)
د. محمد بن خالد السعدون	(الحيوان، النبات)
محمد بن سعود الحمود	(المواقع الأثرية)
د. محمد بن عبدالعزيز اليحيى	(الطب والعطارة)
محمد بن عبدالله الشواطي	(المواقع الأثرية)
د. محمد بن عبدالله الصالح	(العمارة)
د. معراج بن نواب مرزا	(المعارف الجغرافية)
د. منصور بن سليمان السعيد	(الطب والعطارة)



المراجعون

إبراهيم بن عبدالله الخميس
أحمد بن حامد الغامدي
د. حسن بن عايل أحمد يحيى
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
راشد بن محمد الحمدان
سعد بن عبدالله البراك
د. سعيد بن فالح الغامدي
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
سلمان الأفنس ملفي الشراري
سلمان بن سلامة محمد الهلالي
صالح بن عبدالله العبودي
صالح بن محمد الخليفة
عبدالحميد بن مهدي أبو السعود
عبدالرحمن بن زيد السويداء
د. عبدالرحمن بن فريح العفنان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع
عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
د. عبدالله بن أحمد سعد الطاهر
د. عبدالله بن محمد البداح
عبدالله بن محمد المنيف
علي بن صالح السلوك الزهراني
علي بن محمد الحبردي
د. لويزا بولبرس
محمد بن إبراهيم الميمان
محمد حسين بنونة
د. محمد الصالح الربدي
د. محمد الصالح الشنيفي
محمد بن صالح البليهشي
د. محمد بن عبدالله النويصر
محمد بن عبدالله الحمدان
محمد بن علي حسن آل ناصر
د. مشلح بن كميخ المريخي المطيري
هزاع بن عيد الشمري
د. يوسف بن محمد فادن

استشارات علمية وفنية

د. إياد عبدالوهاب نادر
د. سعيد زغلول البسيوني
د. شوكت علي شودري
صالح بن عبدالله العزاز
عثمان لولن
د. مصطفى عبدالله شيحة

الرسامون والمصورون

بسام مصطفى أحمد
حمزة عبدالله النميري
روبرتو ميدينا
رولاند ميدينا
صلاح الدين الأمين
عبدالرؤوف محمد جمعة
غالب خاطر
محمد بن حسين بنونة



مصادرالصور

- **دار الـدائرة لـلنـشـر والتـوثيـق**
- **المشاركـون فـي الـتـألـيـــف**
- **الـهـيـئـات:**

شركة أرامكو السعودية
مكتبة الملك فهد الوطنية
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

- **المطبوعـات:**

أطلس المياه، وزارة الزراعة والمياه
الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه.
الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية.

- **الأفـــــراد:**

بســـام مـصـــطـفـــى أحـمـد
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
صـالـح بـن عـبـدالـله الـعـزاز
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
عـبدالـلـه بـن مـحـمـد المـنيـف
عـــثــمــــان لـــولــــن
د. محـمد بن عـبدالـله الصـالح
مـحـمـد بـن حـسـين بـنـونـة
د. يـوسـف بـن مـحـمـد فادن







تنبيه

هذه هي الطبعة الأولى من مشروع الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. لقد بذلت دار الدائرة للنشر والتوثيق كل ما في وسعها لتخرج مجلدات المشروع على الشكل الذي يرضى عنه القارئ. إلا أن الثقافة ميدان فسيح من ميادين المعرفة وموضوع متداخل متشعب يصعب الإلمام به وحصره بين دَفّتَي مجلد أو عدد من المجلدات. إن مشروعاً بهذه الشمولية وهذا الطموح وهذا التعقيد يحتاج إنجازه بالشكل الصحيح إلى عقود عديدة وأجيال متعاقبة وطبعات متوالية لسد النقص وردم الثغرات وتصحيح الخطأ وتطوير المنهج وتلافي مختلف أوجه القصور. وأياً كان الأمر، يبقى عمل الإنسان ناقصاً مهما بذل من جهد لإتمامه، فالبدايات دائماً صعبة وشاقة. لذا فنحن بقدر ما نستدر عطف القراء ونأمل منهم الصفح عن الهفوات والأخطاء، فإننا، في عمل ضخم كهذا، بأمس الحاجة إلى آرائهم ونرحب بكافة ملاحظاتهم وتصويباتهم حتى يمكن الاستفادة منها في طبعات لاحقة.

كما نلفت الانتباه إلى أننا أوردنا في نهاية كل مجلد قائمة بالمصادر ذات الصلة بموضوع المجلد والتي تم الاعتماد عليها والتي يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة. لكننا، جرياً على العادة المتبعة في تأليف الموسوعات، حاولنا التخفيف قدر الإمكان من الإحالات إلى المراجع داخل النص واقتصرنا في ذلك على الحد الأدنى والضروري. أما تلك المصادر التي ترتب مادتها هجائياً مثل كتب الأمثال ومعاجم البلدان والقواميس فإننا أغفلنا الإحالة إليها داخل النص لعدة أسباب أهمها تعدد طبعاتها واختلاف الناشرين وسنوات النشر لكل طبعة ولأن مادة هذه المصادر مرتبة ترتيباً هجائياً يجعل من السهل على القارئ تتبع موادها والعثور على بغيته فيها دون أن نشير له إلى رقم الصفحة.



المحتويات



















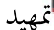
تمهيد

الصيد من نشاطات الإنسان الفطرية؛ إذ الإنسان كسائر الأحياء معتمد في غذائه على غيره، فالكائنات الحية كلها في حلقة متصل بـعضها ببعـض. وتظهر أهمية الصيد جلية في حياة الحيوان اللاحم الذي يعتمد في غذائـه على الحيوان العاشب وغير العاشب مما يمكنه صيده وافتراسه.

وقد اعتمد الإنسان في بداية حياته على ما يقطفه من الثمار، وما يمكن أن يصطاده من حيوان، حـتى تمكن بعقله الخلاق أن يستأنس من الحيوان ما يرتفق به في حله وترحـاله، وما يسد حاجته من الطعام، إذ استطاع أن يربي الحيوانات المستأنسة ويكثرها؛ ولكنه لم يستطع أن يستغني كل الاستغناء عن صيد ما يسد رمقه من حيوان وطـير. وتشتد الحاجة إلى الصيد في مجتمعات كثيرة الترحل كأبناء البادية في صحراء الجزيرة العربية. واستطاع الإنسان أن يتخذ من الأسلحة ما يذود به عـن نفسه وما يصـيد به ما يقـيم أوده من لحوم الـطير والحـيوان. واستطاع بصبر وذكاء أن يسخر الجوارح والضواري، وقد عرفها صيادة، لتكون في خدمتـه فيأكل مما يمسكن عـليه من الطرائد.

ويهمـنا في هذا الجـزء من الثقافـة التقليدية في المملكة العربية السعودية أن نعرض لموضوع الصيد والقنص من حيث هو جزء من ثقافتنا التقليدية التي تستمد أصولها من الثـقافة العربية الإسلامية، وهي مـع هذا لها مـن الخصوصيـة ما يستدعـي التدوين والتوثيق. والحـديث مقصور في هذا الجزء على صيد البر أما صيد البحـر فهو في موضعه من ثقافـة البحر التي يعنى بها جزء آخر.

ولما كان الصيد جزءاً مهماً من حياة العرب القدماء حتى حفلت به أشعارهم وأخبارهم بدأنا به مبينين ارتـباطهم به،

وطرائق صيدهم ووسائله. فمنذ أن وجد العرب على تراب هذه الجزيرة العربية التي انتشروا منها في أقطار أخرى كان الصيد مقوماً من مقومات حياتهم، فكانوا يصطادون مستعينين على ذلك بأدوات وأسلحة.

أما أدوات الصيد وأسلحته فهي متعددة متنوعة بتعدد الطرائد وتنوعها، وبحسب إمكانيات الصيادين أنفسهم. ومن الأسلحة ما هو بسيط يصنعه الإنسان مما تجود به البيئة من حوله، ومنها ما هو معقد يحتاج إلى فضل مهارة يعمل الصناع فيها جهدهم. على أن أمر الأسلحة المتطورة، وإن أشير إليه، ترك لغير هذا المجلد أمر تفصيله؛ إذ يرد في مجلد الصناعات والحرف التقليدية. ولئن صاد الإنسان بيده وبأسلحته لقد صاد أيضاً بما استطاع تسخيره من الجوارح والضواري. لذا فصلنا القول في الجوارح من الطير وأقسامها واستخدامها للصيد، وعرضنا لما استخدمه العرب من الطير لصيدهم وبينا مصادر الصقور التي يصاد بها في الجزيرة وطرائق صيدها والعناية بها وتدريبها، ثم أفردنا الصقر الحر بالحديث لبيان خواصه وشكله، وسلالاته، ونطاق انتشاره الطبيعي، وهجرته، وكيفية تغذيته، ونوع فرائسه، وما يتصف به من سلوك اجتماعي من تعشيش وتزاوج مع ما يصاحبه من استعراض غزلي جدير بالرصد والعرض، ثم حضانة للبيض ورعاية للفراخ، وما يكون بعد ذلك من أمر إسقاط الريش، ولما لهذا الجارح الصياد من أهمية تردد ذكره في الأدب العربي والشعبي فذكرنا شيئاً من ذلك.

وأفردنا الشاهين بحديث احتذينا فيه طريقة الحديث عن الصقر الحر، وكذلك فعلنا بالحديث عن غيرهما من الجوارح مثل الوكري والصقر السنجاري والباز والبواشق من باشق وبيدق وزرّق.

وقد فصلنا القول عن الضواري فكان الحديث عن الفهد الصياد، عن صيده وتدريبه على الصيد، ومنزلته بين حيوانات الصيد، وما حفل به التراث العربي عنه، وكذلك تحدثنا عن كلاب الصيد فبينا خواص الكلاب السلوقية والعناية بها وتدريبها وبيان طرائدها وما أطلق عليها من أسماء تدل على قرب منزلتها من أصحابها، وذكرنا طرفاً مما ذكر في التراث العربي عن هذه الكلاب، وأشرنا إلى طائفة من الكلاب غير السلوقية دربت على الصيد فصادت، بل إن الحديث شمل حيواناً آخر هو التفه وإن كان الصيد به قليلاً، ولكنه جزء من تجربة الإنسان في الصيد.



ثم يأتي القول على الهدف من الصيد وهو الطرائد والحيوانات المصيدة. ويبدأ بالحديث عن صيد النعام والطيور الكبيرة كالغرنوق والبط والحبارى، ثم ينتقل إلى ما هو أدنى منها مثل الطيور المتوسطة الجرم والصغيرة والجراد. ونلم ببعض ما ورد عن هذه الطيور في التراث العربي والشعبي نثره وشعره، ممثلين لذلك غير مستقصين، وكل ذلك كاشف لجوانب من حياة الناس وحياة ما يتصل بها من أحياء. وينتقل الحديث إلى الطرائد من الجوازي وهي المها والظباء والوعول، ويذكر بعض ما ورد عنها في التراث العربي والتراث الشعبي من أمثال وأشعار، وبيان بطرائق صيدها. وليست الجوازي وحدها هدف صيدهم فثمة حيوانات أخرى تصاد كالأرانب وبعض القوارض كالجربوع والوبر والقنفذ والنيص، ومما يصاد أيضاً ويأكله بعضهم الضبع والضب. ويفصل الحديث عن هذه الحيوانات وعما ورد عنها في التراث العربي والشعبي.

وكان لا بد لنا من الحديث عن رحلات الصيد، إذ لم يعد الصيد ممارسة فردية بل صارت جماعية، فصار لرحلات الصيد مع الزمن أنواع ومواسم وحملات؛ فالصيد قد تعدّى حاجة الإنسان إلى الغذاء حتى صار هواية يُتسلى بها، وصارت جزءاً من رفاهية حياة القادرين. ولا شك أن هذا ساهم مع غيره من عوامل طبيعية وغير طبيعية في الجور على الحياة الفطرية جوراً ذهب بكثير من أنواع الحياة فيها نباتاً وحيواناً. وهو ما جعل المملكة العربية السعودية تسعى جاهدة إلى حماية تلك البيئة، فسنت لذلك الأنظمة، وأنشأت هيئة خاصة لذلك، وعينت محميات تحمي ما بقي من أنواع الحيوان والطير وتنمي ما يمكن إنماؤه منه. ولأهمية ذلك وعلاقته بالصيد حرصنا على الإشارة إليه وبيانه على نحو موجز يفي بالغرض.

ولمّا كان موضوع الصيد والقنص من الموضوعات الضاربة في جذورها تراثياً، ولمّا كانت الحياة في هذه البلاد امتداداً طبيعياً للماضي كان اعتمادنا كثيراً على ما كتب عن ذلك في كتب التراث أو الكتب المستمدة منها، مضيفين إلى ذلك ما يستفاد من كتب علمية عن طبائع الحيوان، وما اتصل إلينا من معرفة شعبية بهذا الخصوص.

وقد تعددت جوانب الاستفادة من الطرائد المصيدة، إذ تصاد لأكل لحمها في المقام الأول ولكنها قد تصاد لأغراض



أخرى كشفت عنه تجارب الناس الطويلة ومعاشرتهم لما يحيط بهم من كائنات بيئتهم، فكثير من أجزاء الحيوانات ذات منافع طبية وغير طبية، وهي وإن كانت مفصلة في موقعها من مجلد الطب والعطارة فإنا هنا تعمدنا الإشارة إليها ما أمكن بصفتها من الخواص التي تتصف بها.

ومجال القول في الصيد والقنص وما يتصل به واسع يعسر زويه في حيز واحد، لذلك ألحقنا بهذا العمل قائمة بالمصادر والمراجع يجد القارئ فيها كثيراً مما ورد مجملاً، ويجد فيها بعض ما اقتبسناه دون تحديد لموضعه من ذلك المصدر أو المرجع، عامدين إلى التخفيف من كثرة الإحالات التي لا تلائم قارئ هذا العمل.



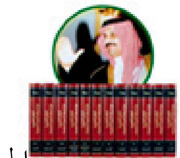


الحياة الفطرية وحمايتها في المملكة

أدرك الإنسان بغريزته ضرورة حمايته للحياة الفطرية، النباتية والحيوانية؛ إذ هي مصدر رزقه وقوام حياته في كثير من وجوهها، لذا حرص على الغطاء النباتي لأنه قوام حياة الحيوانات الفطرية، كما حرص على ما يصيده من هذه الحيوانات، لأنها سبيل بقائه على قيد الحياة.

وقد كانت الحياة الفطرية قديماً جزءاً من منظومة الحياة بشكل عام. لأن الإنسان لم يكن يقطع من النبات والأشجار إلاّ قدر حاجته للوقود، أو قدر حاجة حيواناته للغذاء، ولم يكن يصطاد من الحيوان إلا قدر كفايته هو وأسرته وضيوفه.

وقد أسهمت المعتقدات والعادات والتقاليد، التي سادت في العصور السابقة مساهمة فعّالة في حماية الحياة الفطرية. فمن ذلك مثلاً أن بعض القبائل لم تكن تصطاد ليلاً، لأن هذا في معتقدهم يُصيب الصائد بالضرر والشؤم، لأن الحيوانات بالليل حسب اعتقادهم تخرج عن طبيعتها الحيوانية إلى طبيعة الجن والشياطين. كذلك الرجل إذا حملت زوجته، امتنع عن الصيد، لأن قتل الحيوان يسبب الضرر لمولوده. وهكذا ساهمت طائفة من هذه المعتقدات والأسباب في حماية الحياة الفطرية. ومن الناحية العملية، كان الصائد يخرج راجلاً أو على دابته في بعض الأحيان، لذلك كانت قدرته على حمل ما يصيد قليلة، فليس له أن يُسرف في الصيد إذ لن يستطيع حمله إلى دياره، فضلاً عن أنه ليس لديه وسائل لحفظ اللحم لمدة طويلة، حتى إن جعله قديداً. وهذا الصائد وسائله للصيد قليلة، هي رماحه وقسيه، وكلبه أو صقره، وهي أدوات ليست للإبادة، بل



يستخدمها، على أكثر الأحوال، لصيد طريدة أو اثنتين. فضلاً عن أن الحيوان لديه فرصة عادلة للهرب والنجاة، فالصائد لا يطارده بسيارة رباعية الدفع بل على قدميه أو فرسه، فتصبح فرصة الحيوان في النجاة معادلة لفرصة صيده، إذا كان الحيوان قوياً سوياً. ومعنى هذا أن الحيوان المصيد هو ذلك الذي يعجز عن النجاة، لعلة فيه. فقتله إذن تخليص للبيئة من عنصر عاجز أو ضعيف، كما أن الصائد لم يكن يعمد إلى الإناث من الحيوان، بل يقصد الذكور وفي ذلك محافظة على التكاثر ونماء النوع.

وكانت بعض القبائل تتخذ من بعض الأشجار أو الحيوانات، قوى روحية تحميها وتدفع عنها الشر، فتكن لها شيئاً من التقديس المؤدي للحماية في كثير من الأحيان. كما أن بعض المعتقدات تجعل بعض الحيوانات تخرج عن طبيعتها الحيوانية، إلى طبيعة البشر أو الجن. فالأرنب مثلاً لا تصاد لأنها تحيض، وهي بذلك تشبه الأنثى، فلا يحل صيدها. وفي مقابل هذا الجانب الإيجابي، كان ثمة جانب سلبي حيث أصبح المعتقد الذي يجعل الحيوان أو النبات مادة لعلاج الإنسان وشفائه، ذريعة للإفراط في الصيد أو قطع النباتات، خاصة الحيوان أو النبات الذي تدور المعجزات حول قدرته على الخصوبة وزيادة الفحولة، أو قدرته على دفع العين ورد الحسد، أو نماء المال والولد. إلى أخر هذه المعتقدات. وهي سلاح ذو حدين، فهي كما تساهم في المحافظة على البيئة، قد تؤدي من ناحية أخرى إلى سوء الاستخدام لموارد البيئة الطبيعية بسبب طمع الإنسان وجشعه، أو جهله وظلم نفسه.

أما حماية الحياة الفطرية حديثاً، فقد بدأت المملكة توليها عناية خاصة. فمنذ عام ١٤٠٤هـ تبلور الوعي بالحفاظ على الحياة الفطرية الحيوانية والنباتية، في إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، فصدر المرسوم الملكي برقم م/ ٢٢ بتاريخ ١٢ رمضان ١٤٠٦هـ بإنشاء هذه الهيئة، التي حددت مناطق محمية يحظر فيها الصيد حظراً تاماً، فتقلصت المناطق المفتوحة التي كان يمارس فيها الصيد.

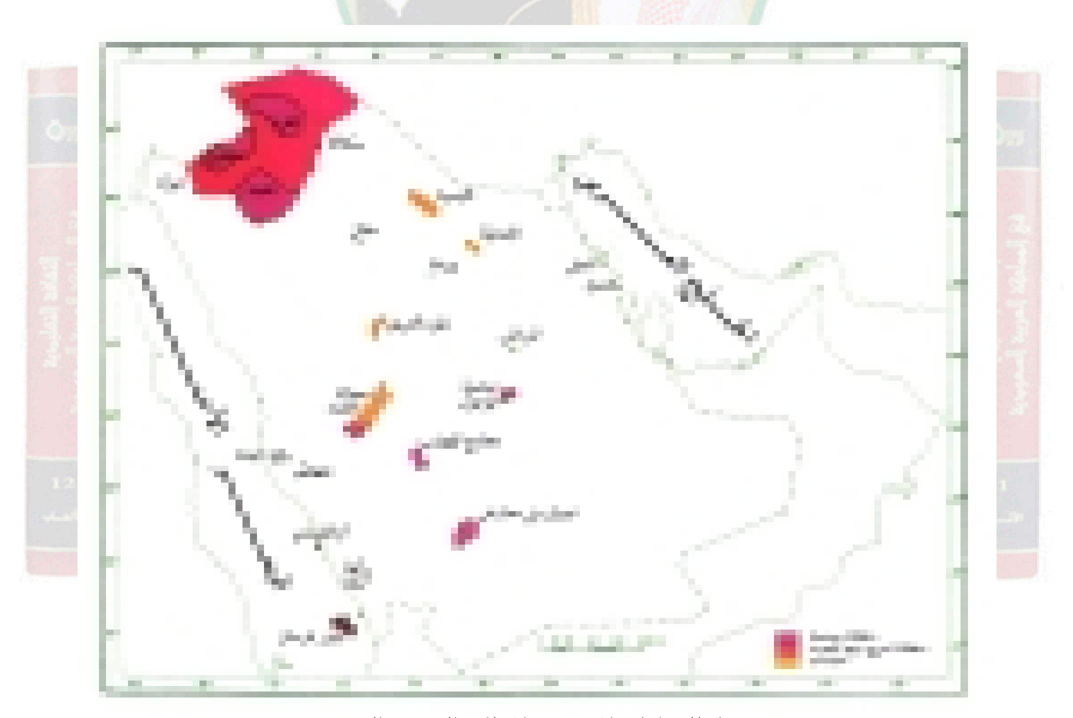
وقد وضعت المناطق المحمية تحت الحراسة والرقابة الشديدة، وعُين عدد من الجوالة، مهمتهم منع الصيد في المناطق المحمية والقريبة من المدن والقرى، والإبلاغ عن كل مخالف لنظام الصيد. كما وضعت بعض القيود على استعمال



الأسلحة الحديثة المستخدمة في الصيد، حيث جاء في المادة التاسعة من اللائحة التنفيذية لنظام صيد الحيوانات والطيور البرية ما يلي «يحظر استعمال بنادق الرش (الشوزن) وأي أسلحة أو وسائل تؤدي إلى اصطياد أكثر من حيوان أو طير دفعة واحدة، ويجوز الصيد بما عدا ذلك مثل الصقور وكلاب الصيد» (الطريف ١٩٩٦: ٦٨). وبناءً على ذلك جرى تحديد مواسم معينة يسمح فيها بالصيد ويعلن عن بدايتها ونهايتها، وذلك لإيجاد الفرصة لتكاثر الحيوانات والطيور، ومنع الصيد المستمر والجائر.

وقد جاء في كتاب المحميات الطبيعية في المملكة العربية السعودية ما يلي: صدر المرسوم الملكي رقم م/ ٢٢ بتاريخ ١٢ رمضان عام ١٤٠٦هـ، بإنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها. والهدف من ذلك المحافظة على الأنواع المختلفة من الحيوانات والنباتات، لا سيما النادرة منها، والمهددة بالانقراض، بسبب الصيد والرعي الجائرين.

وقد أنشأت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، عدداً من المحميات الطبيعية بالمملكة، للمحافظة على الحيوانات والنباتات. ونستعرض بإيجاز



خريطة للمناطق المحمية بالمملكة العربية السعودية



هذه المحميات، وما بها من حيوانات وطيور وزواحف تحت الحماية.

المحميات الشمالية

محمية الحرة. تقع محمية حرة الحرة في شمالي غرب المملكة، قرب الحدود السعودية- الأردنية. وهي تمتد بين خطي طول ٤٢َ ٣٧ْ و٣٧َ ٣٩ْ شرقاً وخطي عرض ١٠َ ٣٠ْ و٢١َ ٣١ْ شمالا.

ويبلغ أقصى امتداد لها من الشرق إلى الغرب حوالي ١٨٠كم، أما محيطها بالكامل فيبلغ ٤٧٧ كم تقريباً. وتصل مساحتها إلى ١٣٧٧٥كم٢، قسمت إلى أربعة قطاعات رئيسية، هي:

١) قطاع طوقة: نسبة إلى جبل طَوْقَة. وتبلغ مساحة هذا القطاع ٤١٢٥كم٢. وطول محيطه ٣٠٤كم. وهو يشغل الجزء الشمالي الشرقي من المحمية.

٢) قطاع مَعَارك: نسبة إلى وادي مَعَارك. وتبلغ مساحته ٤٣٧٥كم٢، وطول محيطه ٢٩٨كم. وهو يشغل الجزء الجنوبي الشرقي من المحمية.

٣) قطاع لِسّ: نسبة إلى جبل لِسّ. وتبلغ مساحته ٣٦٥٠كم٢ وطول محيطه ٢٨٨ كم ويشغل تقريباً الجزء الأوسط من المحمية.

٤) قطاع القُعَيْدَات: نسبة إلى قيعان القُعَيْدَات. وتبلغ مساحته ١٦٢٥كم٢ وطول محيطه ٢٤٣كم ويشغل الجزء الغربي من المحمية.



أرنب بري

وأكثر الثدييات انتشاراً في حرة الحرة، الأرانب البرية واليرابيع (الجرابيع) الصغيرة والثعالب والقنافذ والنيص والسحالي مثل الضب والورل وأنواع أخرى من الزواحف، كالثعابين السامة وغير السامة.



القنفذ من أكثر الثدييات انتشاراً في حرة الحرة



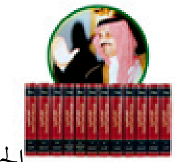


قطيع من غزال الريم

ويُعد غزال الرمال (الريم)، من أهم الأنواع النادرة بها. وقد ساعدت وعورة الحرة وانعزالها، على بقاء أعداد من غزال الريم وغزال الجبال (الإدمي) بها. كما لا تزال أعداد من الضبع المخطط تعيش بالحرة.

أما الثدييات التي كانت تعيش في الحرة أو حولها، وقد انقرضت أو أوشكت على الانقراض فهي الفهد الآسيوي والذئب والغزال العفري والمها العربي. وما زالت الذئاب في حرة الحرة تُسمع أصواتها ليلاً.

وتحفل الحرة بأنواع عديدة من الطيور، من أهمها العقاب الذهبي، ويوجد في الأماكن المرتفعة، ويتغذى على الأرانب والزواحف والسحالي والقنافذ، والباشق الذي يتغذى على القوارض والزواحف والسحالي والحشرات الكبيرة ويتكاثر في الجبال والأماكن المرتفعة. كما يوجد طائر حجل الرمال والسمان والقطا والحمام الجبلي والبومة النسارية والبومة الصغيرة. وتوجد كذلك أنواع من القنابر مثل الصحراوية ذات الذيل العريض والقنبرة الصحراوية، وتتكاثر بين صخور البازلت في الحرة، والقنبرة المتوجة وذات القرون. إضافة إلى بعض الطيور الأخرى مثل الأبالق، خاصة الأبلق العربي وطائر المغرِّد والصرد





العقاب الذهبي يعيش في الأماكن المرتفعة من حرة الحرة

الرمادي الكبير والغراب الغدافي وعصفور المنازل والزمير الوردي.

ومن المأمول أن تزداد أعداد الطيور وأنواعها، التي تستوطن الحرة بعد الحماية، حيث تجد الغذاء والأمان. كما أن عدداً كبيراً من الطيور المهاجرة تمر بحرة الحرة، أو تقيم فيها خلال الشتاء والربيع، ومنها صقر الأرانب الشاحب وبعض طيور السنونو والذعرة البيضاء، وبعض أنواع القماري.

ويعد طائر الحبارى أهم الطيور في حرة الحرة. وكان قد تعرض لحملة صيد كبيرة، خلال السنوات الماضية، أدت إلى تناقص أعداده بشكل كبير جداً، في جميع أنحاء المملكة، حتى خشي من انقراضه. وقد ساعد على تناقص أعداده تدمير المواطن الطبيعية، التي يتكاثر فيها هذا الطائر. وقد ساعدت وعورة حرة الحرة على بقاء بعض الأعداد منه، التي ما زالت تتكاثر بحالتها الطبيعية هناك. ويتوقع زيادة أعداد الحبارى بعد منع الصيد، ومنع الرعي، في أجزاء كبيرة من حرة الحرة.

محمية الخُنْفَة. تقع محمية الخنفة في شمال غرب المملكة، شمال مدينة تيماء وجنوب الجوف. وهي تمتد بين خطي طول ٤٠َ ٣٧ْ و٤٤َ ٣٩ْ شرقاً وخطي عرض ٤٥َ ٢٧ْ و٢٠َ ٣٩ْ شمالاً. ويبلغ أقصى امتداد لها من الشمال للجنوب ١٧٧كم، بينما يبلغ اقصى امتداد لها من الشرق إلى الغرب ١٩٥كم. ويبلغ محيطها بالكامل ٥٨٨كم تقريباً. وتبلغ مساحة المحمية ٢٠,٤٥٠كم٢ قسمت إلى ستة قطاعات رئيسية، هي:

١) قطاع الهَوْج: نسبة إلى الهوج. وتبلغ مساحة هذا القطاع ٢٤٧٥كم٢، وطول محيطه ٢٢٢كم. وهو يشغل الجزء الشمالي من المحمية.

٢) قطاع المَظَاهِير: نسبة لطعوس المظاهير. وتبلغ مساحته ٣٢٢٥كم٢، وطول محيطه ٢٩٤كم وهو يشغل الجزء الشمالي الشرقي من المحمية.



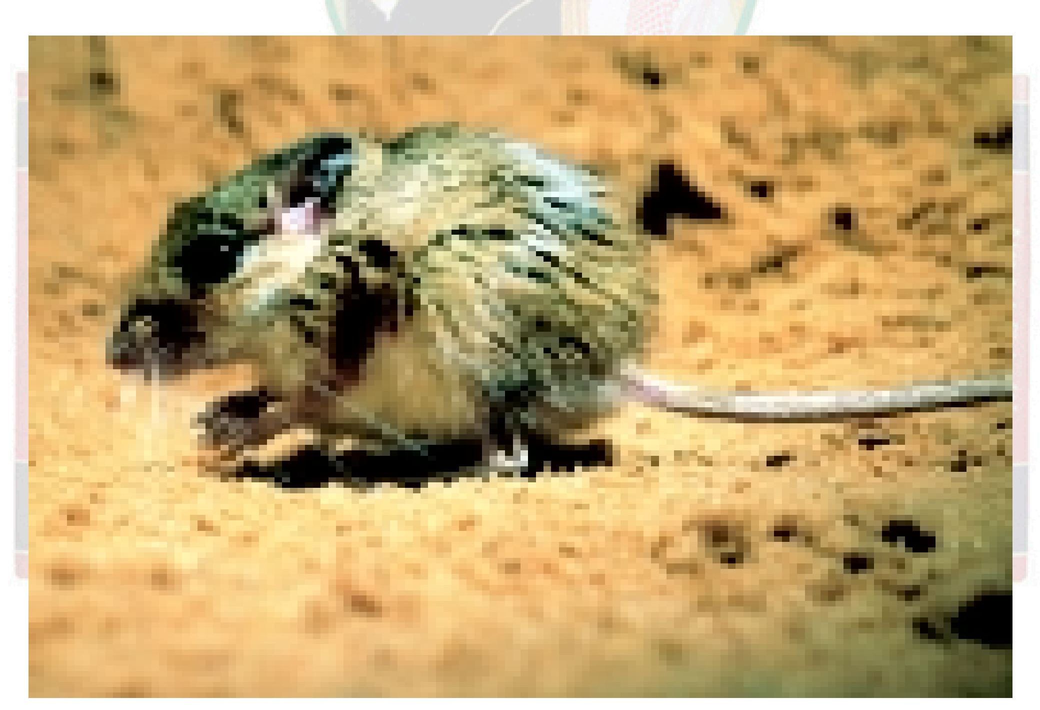
٣) قطاع العَسَّافِيَّة: نسبة لبلدة العسافية. وتبلغ مساحته ٤٤٧٥كم٢، وطول محيطه ٣٧٥كم وهو يشغل الجزء الجنوبي الشرقي من المحمية.

٤) قطاع الطُفَيْحَة: نسبة إلى حفرة الطفيحة. وتبلغ مساحته ٤٢٧٥كم٢، وطول محيطه ٣٣٥كم ويشغل الجزء الأوسط من المحمية.

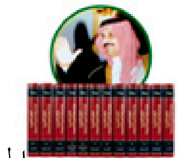
٥) قطاع غُرُّب: نسبة إلى جبال غُرُّب. وتبلغ مساحته ٢٨٧٥كم٢، وطول محيطه ٢٥٩كم. ويشغل الجزء الأوسط الجنوبي من المحمية.

٦) قطاع البُريصيَّات: نسبة إلى جبال البريصيات. وتبلغ مساحته ٣١٢٥كم٢، وطول محيطه ٣٤٣كم. ويشغل الجزء الغربي من المحمية.

ولا تختلف أنواع الحياة الفطرية في محمية الخنفة كثيراً عن حرة الحرة، بل إنهما، مع إقليم الهضاب الشمالية، يشكلان إقليماً حيوياً واحداً كانت الحيوانات تتنقل فيه، وأكثر حيوانات الخنفة هي الأرانب البرية واليرابيع (الجرابيع) الصغيرة والثعالب والقنافذ والنيص والسحالي مثل الضب والورل وأنواع أخرى من الزواحف كالثعابين السامة وغير السامة.



الجرابيع من أكثر الثدييات انتشاراً في محيّة الخنفة



ومن الحيوانات النادرة، التي ما زالت في محمية الخنفة، غزال الرمال (الريم)، وهو يتوزع جغرافياً في قطاعات الطفيحة وغُرُّب والهوج. وهي ذات طبيعة وعرة، يصعب على السيارات إجتيازها. وقد ساعد ذلك الوضع في المحافظة على عدد من هذا النوع، بعيداً عن خطر الصيد. كما توجد أيضاً أعداد من غزال الإدمي.



غزال الريم

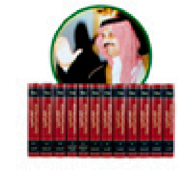
وقد تسببت حملة الصيد الجائر، خلال السنوات الأخيرة في انقراض أنواع كثيرة من الحيوانات أو جعلها على حافة الانقراض، من ذلك الفهد الآسيوي والذئب والغزال العفري، والمها العربي.

ويوجد في محمية الخنفة عدد كبير من الطيور، من أهمها عدد من الجوارح، كبعض أنواع الصقور والقنابر والأبالق. ويكثر وجود القنبرة الصحراوية والقنبرة المتوجة والقنبرة ذات القرن والحمام الجبلي والأبلق الصحراوي. ويمر عدد كبير من الطيور المهاجرة بمحمية الخنفة، وقد تقيم فيها في فصل الربيع، ومنها على سبيل المثال صقر الأرانب الشاحب، وبعض طيور السنونو، والذعرة البيضاء، وطائر القطا، وبعض أنواع القماري.

ويعد طائر الحبارى أهم الطيور، التي تهتم بها الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، وهو يوجد بأعداد قليلة خاصة في فصل الشتاء والربيع في مواسم هجرته، لأنه تعرض للصيد الجائر خلال السنوات الماضية، مما أدى إلى تدهور أعداده بشكل كبير جداً في جميع أنحاء المملكة.

محمية الطُّبَيْق. تقع محمية الطُّبَيْق في شمال غرب المملكة، جنوب حدودها مع المملكة الأردنية الهاشمية، تمتد بين خطي طول ٣٣َ ٣٦ْ و١٢َ ٣٨ْ شرقاً وخطي عرض ٠٧َ ٢٩ْ و ٣٠َ ٣٠ْ شمالاً. وتبلغ مساحتها ١٢٢٠٠كم². ويبلغ أقصى امتداد لها من الغرب للشرق حوالي ١٩٠ كم، ومن الشمال للجنوب حوالي ٩٠كم.

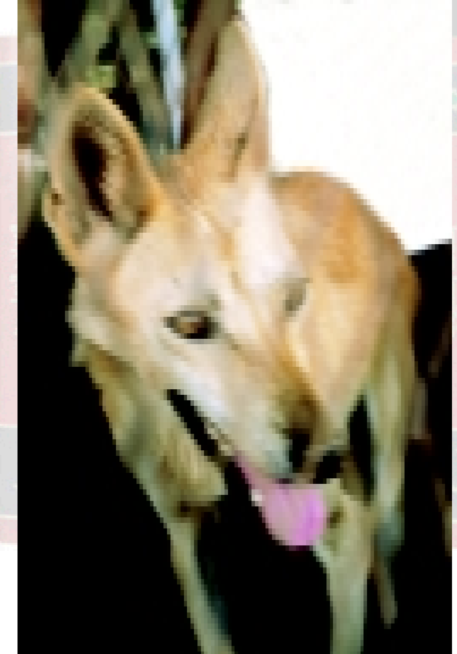
وتتاخم محمية الطبيق محميتي حرة الحرة والخنفة، مما يساعد على هجرة الأنواع بين هذه المحميات. وقد كانت الطبيق، مثل المحميات الشمالية الأخرى، يعيش فيها المها العربي والنعام.





الطبيق من المناطق القليلة في المملكة، التي ما زالت الوعول تعيش فيها على طبيعتها





لا تزال الذئاب تعيش في الطبيق على طبيعتها

والطبيق من المناطق القليلة في المملكة، التي ما زال يعيش فيها الوعل (البدن) على حالته. كما يوجد بها غزلان من نوع الغزال الجبلي (الإدمي)، إضافة إلى عدد من الذئاب، التي تقطن الجبال الوعرة، والثعالب والأرانب. كما توجد بالطبيق أعداد من أنواع الطيور، منها الحجل الرملي والغراب والقنبرة الصحراوية وخطاف الصخور وصقر السهوب. كما يمر بالطبيق عدد كبير من الطيور المهاجرة، شأنها في ذلك شأن كل شمال المملكة العربية السعودية.



المحميات الوسطى

محمية الوعول. تقع محمية الوعول في وسط المملكة تقريباً، جنوب الحريق وغرب حوطة بني تميم. وتبعد عن الرياض ١٨٠كم. وهي تمتد بين خطي طول ١٥َ ٤٦ْ و٥٠َ ٤٦ْ شرقاً وخطي عرض ١٢َ ٢٣ْ و٣٥َ ٢٣ْ شمالاً. وتبلغ مساحة المحمية ٢٣٦٩كم٢.

وقد اهتمت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بهذه المنطقة، لوجود أعداد بها من الوعول، في حالتها الفطرية. ويعتبر الوعل أهم الحيوانات في المحمية. وقد أتاحت الحماية له التكاثر السريع. وتعيش الوعول في المحمية في المناطق الوعرة، التي يصعب الوصول إليها، خاصة في خوانق الأودية والسفوح الشديدة الانحدار.



الورل

كما يوجد في المحمية عدد آخر من أنواع الحيوانات، من أكثرها انتشاراً الوبر والقطط البرية والثعالب والذئاب والأرانب واليرابيع (الجرابيع) والورل وأنواع من الثعابين السامة وغير السامة.



القط البري من أكثر الحيوانات انتشاراً في محمية الوعول



وقد انقرضت حيوانات كانت تعيش في هذه المنطقة، بسبب الصيد الجائر، منها الضبع المخطط، وغزال الجبال (الإدمي) والنيص.

كما يعيش في المحمية عدد كبير من أنواع الطيور المستوطنة، من أكثرها انتشاراً حجل الرمال والحمام الجبلي والغراب الغدافي والقنابر مثل القنبرة المتوجة، وعدد من الجوارح كالصقور والباز، بالإضافة إلى عدد من العصافير، كما يزور المنطقة عدد من الطيور المهاجرة. كما شوهد في المنطقة طائر الحبارى.

الغزال الجبلي (الإدمي)

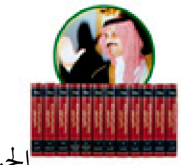
محمية محازة الصيد. تقع محمية محازة الصيد على بعد ١٨٠كم شمالي شرق الطائف، وهي تمتد بين خطي طول ٣٢َ ٤١ْ و١٥َ ٤٢ْ وخطي عرض ٤٦َ ٥٧ْ و٢١َ ٢٢ْ شمالاً، وتبلغ مساحتها ٢١٤١كم^{٢} تقريباً، ومحيطها يقدر بنحو ٢١٧كم. وهي المحمية الوحيدة في المملكة، التي طوقت بسياج كامل. وتنقسم إلى قطاعات ثلاثة هي:

١) قطاع الرحى: نسبة لوادي الرحى وضليعات الرحى في غرب المحمية، ومساحته ٧١١كم^{٢} ومحيطه ١١٢كم.

٢) قطاع السمار: نسبة للأرض السمراء في وسط المحمية، التي يطلق عليها السمار، ومساحته ٦٨٠كم^{٢}، ومحيطه ١٢٦كم.

٣) قطاع المصقال: نسبة للأرض المستوية تماماً في شرق المحمية، التي تعرف بالمصقال، ومساحته ٧٥٠كم^{٢} ومحيطه ١٣٥كم.

وقد اختيرت محازة الصيد، لتكون أول محمية يجري فيها إعادة توطين المها العربي، الذي انقرض تماماً من البيئة السعودية منذ أواخر التسعينات الهجرية،



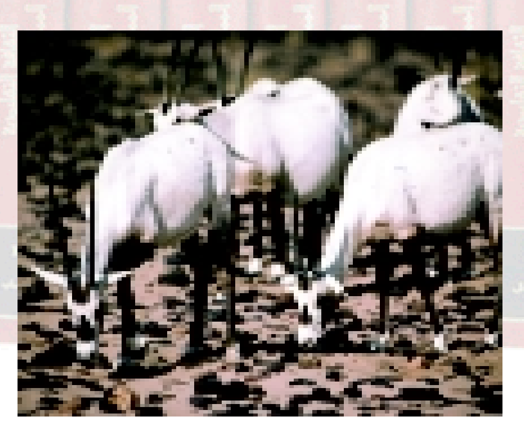


أعشاش النسور وقطعان الوضيحي في محازة الصيد

إلى جانب عدد من أنواع الحيوانات والطيور الأخرى مثل غزال الريم والإدمي وطائر الحبارى وطائر النعام.

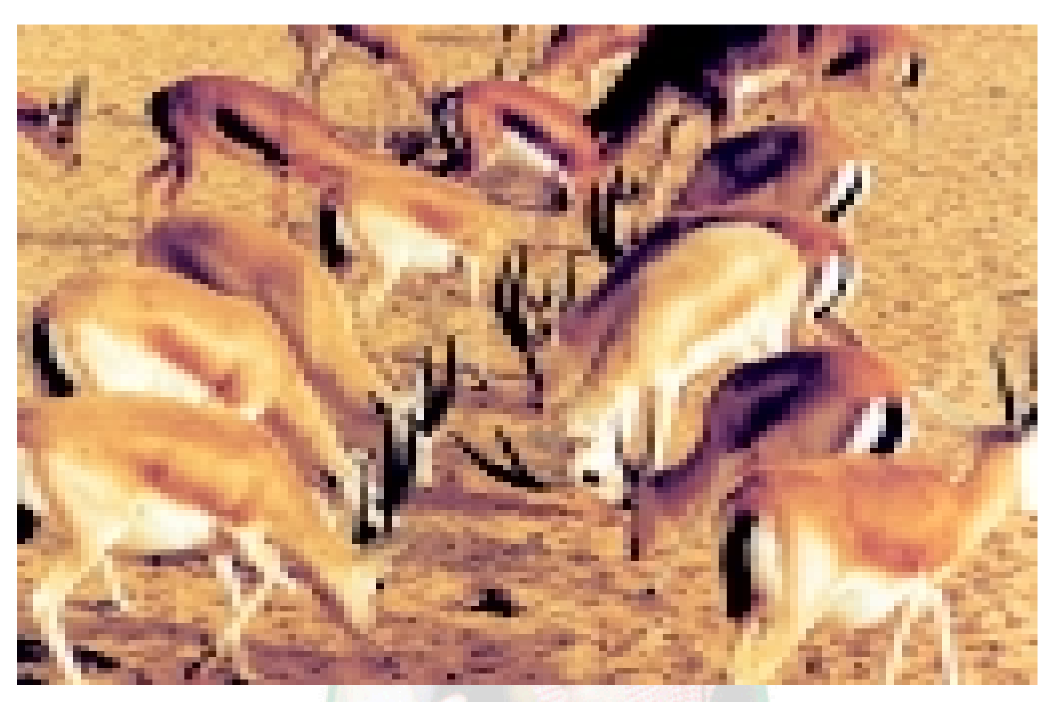
ويُعد المها العربي من الأبقار الوحشية الكبيرة الحجم، التي يصل وزنها إلى نحو ١٠٠كم، وهو حيوان صحراوي شديد التحمل لظروف البيئة القاسية، ويتغذى على الأعشاب البرية ولا يحتاج إلى شرب الماء، لأنه يأخذ حاجته من الندى الساقط على النباتات التي يرعاها ليلاً، ومن الجذور العصارية التي يحفر التربة ليحصل عليها.

وأما غزال الريم أو الغزال الرملي، فهو أحد الأنواع الثلاثة التي تستوطن المملكة. ويتميز بقصره وقوته وامتلاء جسمه ولونه الشاحب، وامتداد عنقه إلى الأمام أثناء ركضه السريع. وهو



محازة الصيد أول محمية أعيد توطين المها العربي بها





قطيع من غزال الريم

يميل إلى التجمع في قطعان كبيرة وجميلة، يتراوح عدد أفرادها عادة بين خمسين ومائة غزال، ويلتصق بعض أفراد القطيع ببعض في أوقات الخطر طلباً للحماية. ويتكاثر غزال الريم في فصل الربيع، وكثيراً ما تلد إناثه توائم. وهو يستوطن السهول الرملية والحصوية، ومن المحتمل أن تكون رمال الصحراء هي التي ساهمت في إنقاذه من الانقراض.

أما غزال الإدمي أو غزال الجبال، فهو متوسط الحجم ذو قوائم طويلة، ويتميز بوجود خط قاتم على الخاصرة، وبقعة على الأنف ويجري في قفزات رشيقة متلاحقة. وهو يعيش في المناطق المرتفعة كالتلال والجبال، حيث يرعى أوراق أشجار الطلح والشجيرات القصيرة. وكان فيما مضى متوافراً في جنبات سلسلة جبال السروات، وجبلي أجأ وسلمى، ومنطقة حرة الحرة، وغيرها من مناطق المملكة، ثم أصبح مهدداً بالانقراض.

وأما طائر الحبارى فهو أحد الطرائد المشهورة لرياضة القنص بالصقور، وكان يعمر براري المملكة بأعداد كبيرة جداً، لكنها تضاءلت بشكل حاد نتيجة التنمية العمرانية السريعة، التي أزالت



كثيراً من مواطنها الطبيعية المفضلة، إلى جانب الرعي الجائر، والصيد الكثيف، الذي أتى على ما تبقى من هذا الطائر الجميل.

ويعيش طائر الحبارى في المواطن الطبيعية المنبسطة، حيث يتغذى على الأعشاب البرية والحشرات، ويمكّنه لونه الباهت، وسرعة حركته، من التخفي والهرب من الأعداء. والحبارى طائر مقيم في شبه الجزيرة العربية إلى جانب الحبارى التي تفد مهاجرة لتقضي فصل الشتاء في المملكة.

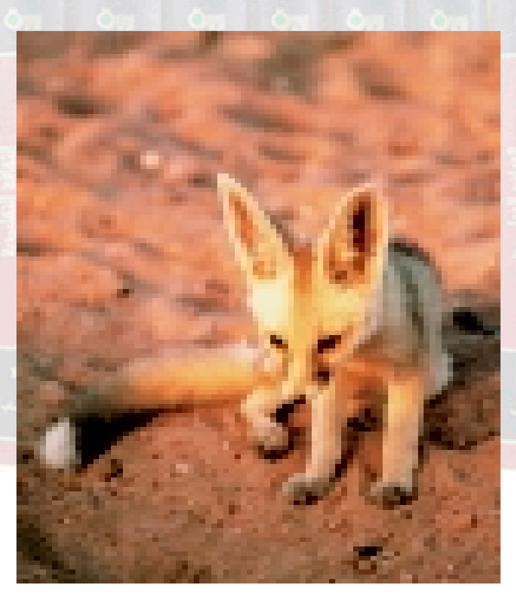
وبالإضافة لهذه الحيوانات والطيور، التي أعيد توطينها في المحازة، فقد رصدت أعداد من نسر الأذون الذي يعشش في المحمية، وأعداد كبيرة من الثعالب والقطط الرملية، وستة أنواع من القوارض، تعيش في المحمية، وكذلك الثعابين.

محمية مجامع الهضب. تقع محمية مجامع الهضب ضمن جبال مجامع الهضب، الواقعة جنوب غرب جبال الحمرة، بين خطي طول ٣٥َ ٤٣ْ و٨٠َ ٤٤ْ شرقاً وخطي عرض ١٨َ ٢١ْ و٥٤َ ٢١ْ شمالاً تقريباً.

كانت هذه المنطقة في الماضي، غنية بأنواع الحيوانات، التي كانت تجد فيها الغذاء والأمن. فقد كان فيها الغزال العفري، والغزال الجبلي (الإدمي) في مجموعات قد تصل لخمسين أو مئة



في محازة أعداد كبيرة من قط الرمال



ثعلب الرمال

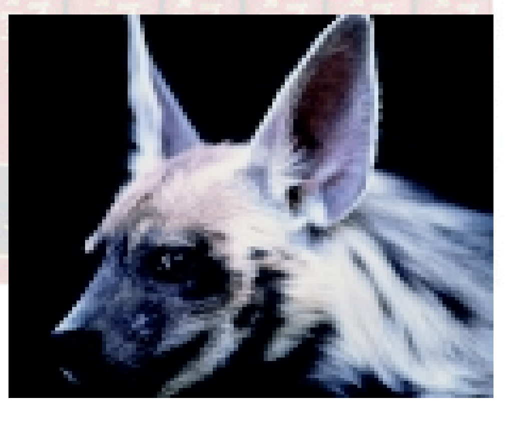




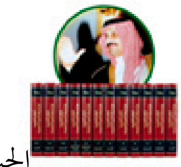
الذئب

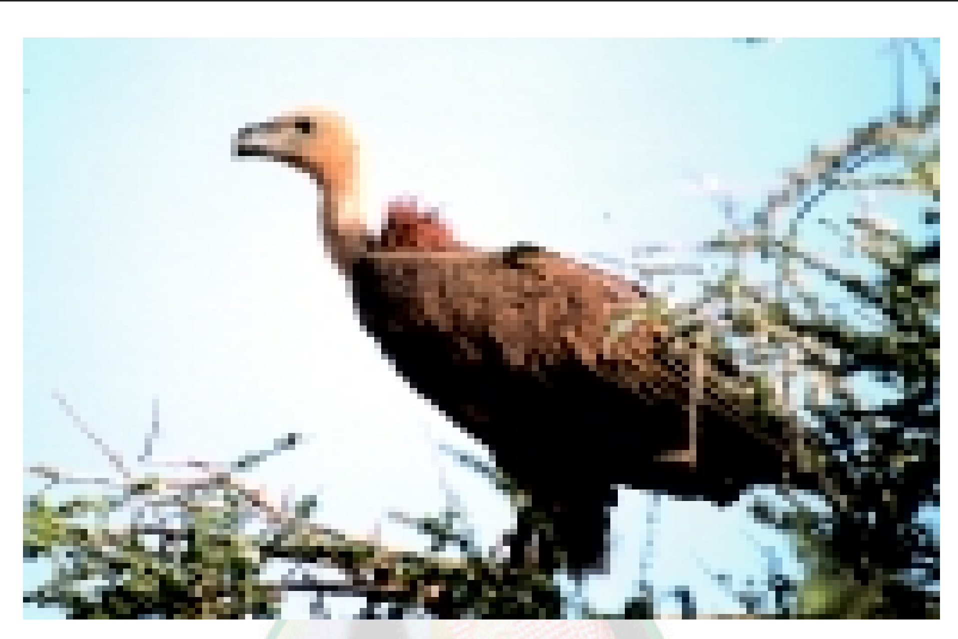
غزال. وكانت ترعى في هذه المنطقة والسهول المجاورة، إلى ما قبل ثلاثين سنة، عندما قضى عليها تماماً الصيد بالسيارات. كما استمر وجود الوعل (البدن) إلى ما قبل عشرين سنة، حتى صيد جميع أفراده وانتهى أمره في هذه الجبال. وكذلك كان المها العربي (الوضيحي) يعيش في هذه المناطق، ولكنه لم يعد يرى منذ خمسين أو ستين سنة على الأقل. كما أنه ليس هناك ذكر لوجود النعام. أما الضبع المخطط فما يزال يُرى في هذه الجبال على فترات متباعدة جداً، مما يشير إلى قلة أعداده. ويكثر وجود الذئب العربي والثعلب الرملي والوبر والأرانب واليرابيع (الجرابيع).

ومن أنواع الطيور يوجد حجل الرمال والقطا المتوَّج، ويذكر البدو رؤيتهم من حين لآخر لطائر البلشون الأبيض، والحبارى. ومن طيور الصحراء المنتشرة في مجامع الهضب يوجد العدّاء العسلي اللون، والغراب الغدافي، والقنبرة الصحراوية، والقنبرة ذات المنقار الطويل، والقنبرة المتوجة. كما توجد بعض الصقور من نوع الحر والباشق، والبومة الصغيرة، والصرد الرمادي الكبير، والطائر الصفير. كما تعشش الرخمة المصرية في قمم الجبال، كما شوهد النسر الجريفاني قرب المحمية، ومن الجوارح التي تقضي فصل الشتاء في مجامع



الضبع المخطط ما زال يعيش في مجامع الهضب





النسر

الهضب عقاب السهوب، والصقر الحوام طويل الساقين.

كما يشيع وجود سحالي من نوع الضب، والورل، والعضاءة الصحراوية، وأنواع أخرى من السحالي، وبعض الثعابين.



الضب

المحميات الجنوبية

محمية عروق بني معارض. تقع محمية عروق بين معارض في جنوب المملكة، في منطقة وعرة، يصعب الوصول إليها. وتحدها جبال العارض من الغرب، والعروق الرملية من الشرق. وتقع المحمية بين خطي طول ١٠َ ٤٥ْ و١٥َ ٤٦ْ شرقاً وخطي عرض ٤٥َ ١٨ْ و٥٧َ ١٩ْ شمالاً. وتبلغ مساحتها ١١٩٨٠كم٢ ومحيطها ٤٦٠كم.

تتنوع البيئات في هذه المنطقة مما جعلها مرتعاً لعدد كبير من الحيوانات الكبيرة، مثل الوعول، خاصة في حافة



جبال طويق المرتفعة، وغزال الرمال (الريم) والنعام في الأودية والسهول الحصوية والكثبان الرملية. وكلها قد انقرضت بسبب الصيد الجائر. وما يزال في هذه المنطقة حيوانات وحشية أخرى مثل الذئاب العربية، والثعلب الرملي، والقط البري، والقط الرملي، والراتل (آكل العسل).

وقد أُطلق المها العربي، وغزال الريم، في المحمية في شهر شوال ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

محمية رَيْدَة. تقع محمية ريدة في منطقة عسير، قرب أبها، وتبعد عن أبها حوالي ٢٠كم. وتمتد بين خطي طول ٢٢َ ٤٥ْ و٢٥َ ٤٥ْ شرقاً، وخطي عرض ١٣َ ١٨ْ و٥٥َ ١٨ْ شمالاً. وتبلغ مساحتها ٩كم٢ تقريباً ومحيطها ١٧كم تقريباً.

وتمتاز محمية ريدة بغطائها النباتي الكثيف، الذي تسوده أشجار العرعر المختلطة مع أشجار أخرى. وتعد بيئة العرعر بيئة مناسبة لحياة كثير من أنواع الطيور، التي تتخذ من هذه المواقع ملاجئ لتكاثرها. وتمتاز بيئة جرف ريدة بعدم تأثرها بالنشاط الإنساني، إلا قليلاً جداً، نظراً لوعورة المكان وصعوبة الوصول إليه.



قط الرمال



ثعلب الرمال



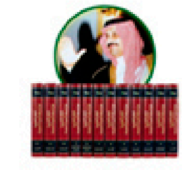
كان النعام يعيش في عروق بني معارض

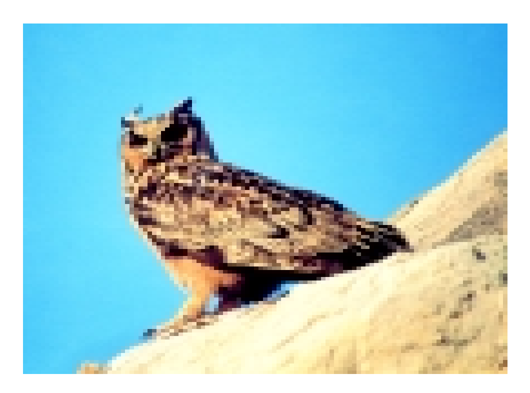


محمية جرف ريدة

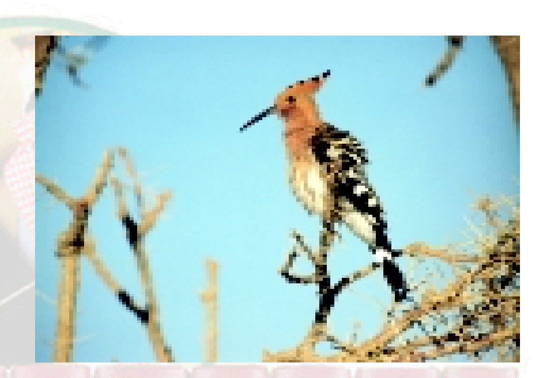
يعيش في جرف ريدة عدد كبير من أنواع الطيور، التي تتكاثر في غابات العرعر وغيرها من الأشجار، على ارتفاعات مختلفة. ويمكن في المحمية مشاهدة الطيور الآتية: النسر الجريفاني أو النسر الأسمر، الشكرة، الصقر الحوام، عقاب السهوب، العوسق، الشاهين المغربي، الحجل العربي أحمر الساقين، الحمام الصخري (وترى في أماكن عديدة حول الجرف)، حمامة الزيتون، قمرية النخيل، الوقواق، البومة الأفريقية، سمامة الجبال، السمامة الصغيرة، الوروار (آكل النحل الصغير)، الهدهد، أبو معول الرمادي، نقار الخشب العربي.

ويمكن مشاهدة أعداد أخرى من الطيور، على ارتفاعات مختلفة منها: الخطاف والسنونو والجشنة والدج الصغير والسمنة اليمانية والهازجة اليمانية والمغرِّد العربي، والمغرِّد الصغير، والمغرِّد الخشبي البني، والتمير البرتقالي، والعصفور ذي





البومة الأفريقية



الهدهد

العين البيضاء والصدر الأبيض، والعقعق، والغراب الغدافي (على قمة جرف ريدة) والغراب مروحي الذيل، والزرزور الأسود، والزرزور، والعصفور الدوري والنساج وشمعي المنقار العربي والنغر العربي والنعار اليمني والتفاحي اليمني.

محميات الجزر

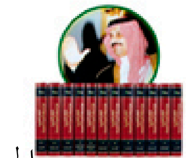
جزائر فرسان. تقع محمية جزائر فرسان في جنوب شرق الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، وتبعد عن سواحل جازان بحوالي ٤٠ كم تقريباً. وتمتد مجموعة الجزر بين خطي طول ٢٤َ ٤١ْ و٢٨َ ٤٢ْ شرقاً وخطي عرض ٢٠َ ١٦ْ و٢٠َ ١٧ْ شمالاً. وهي تقع حيث يصل البحر الأحمر إلى أقصى اتساعه ٣٦٠كم، وتقابل جزائر فرسان جزائر دهلك في الجانب الأفريقي من ساحل البحر الأحمر. وتشتمل جزائر فرسان على المواقع التالية:

المحرق (فرسان الكبرى): قرية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة، والقرية منطقة سكنية صغيرة لصيادي الأسماك، وتبعد عن فرسان المدينة بما يقرب من ١٠كم.

القصار (فرسان الكبرى): تقع القصار في جنوبي شرق فرسان الكبرى، وهي مزارع نخيل كبيرة يعتني بها أهالي فرسان، وهي متنزة لهم يذهبون إليها عندما يحين وقت الرطب.

صير (فرسان الكبرى): تقع في أقصى غرب الجزيرة، وتبعد عن فرسان المدينة بنحو ٤٥ كم، ويربطها بها طريق معبّد. وتتوافر فيها خدمات تعليمية، وخدمات صحية تشمل مركز رعاية أولية، ومركز بريد.

الحسين (فرسان الكبرى): وتقع في الجزء الأوسط من فرسان الكبرى.



ختب (السقيد): وتقع في غرب جزيرة السقيد، ويربطها بما حولها من القرى خط معبّد، وتتوافر بها خدمات تعليمية.

السقيد (السجيد): تقع في شرق جزيرة السقيد ويربطها طريق معبّد بفرسان. وتتوافر فيها خدمات تعليمية وخدمات صحية عبارة عن مركز رعاية أولية ومركز بريد.

الدومات (السقيد): تقع في شمال غرب جزيرة السقيد ويربطها بفرسان المدينة طريق معبّد.

أبو الطوق (السقيد): تقع في شمال غرب السقيد وتتصل بما حولها بطريق معبّد.

المحصور (السقيد): تقع في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة السقيد.

حلة الحرابة (السقيد): تقع جنوب غرب أبو الطوق.

قماح (قماح): تقع في جزيرة قماح وتتوافر بها خدمات تعليمية.

وتوجد في جزائر فرسان أنواع عديدة من الحيوانات أهمها الغزلان. وعلى الرغم من الصيد غير المنظم، الذي تعرضت له قطعان الغزلان، فما زالت هناك بعض الأعداد الكبيرة منها. وقد يظن أنها من صنف الغزال العربي الإدمي، التي كانت تنتشر في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، ولكن أشارت بعض البحوث الأخيرة بأن غزلان فرسان، ربما تكون صنفاً مختلفاً له أوصافه الخاصة به. وقد أيدت هذا الرأي البحوث التي قامت بها بعثة الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها خلال شهر أبريل عام ١٩٨٨م، فلم تكن مواصفات وخصائص غزلان فرسان التي أحصيت، مطابقة مواصفات صنف الغزال الإدمي، مما يعزز الرأي السابق بأنها قد تكون صنفاً مستقلاً، أو تحت نوع من الغزال الإدمي، تسميته بالغزال الإدمي الفرساني.

وفي جزيرة زفاف تنتشر الغزلان في كل الجزيرة، حيث من الممكن أن تشاهد في أي جزء من أجزائها، على الرغم من أنها تفضل الاختباء في نباتات الشورة، أو تحت الجروف. وهناك أعداد قليلة من الغزلان في جزيرتي السقيد وقماح. وتتغذى الغزلان بصفة رئيسية على نبات الشورة الذي يعد أيضاً مصدراً لشربها حيث تلعق قطرات الندى المتكونة فوق أوراقه أثناء الليل، بالإضافة إلى نباتات السواد والأراك والبلسم والثندة والرغل.

ومن الثدييات الأخرى، التي تقطن جزائر فرسان، النمس الأبيض الذنب





جزيرة زفاف من جزر فرسان، موطن طبيعي لغزال فرسان

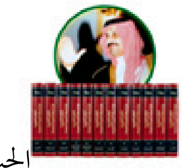
والخفاش، إضافة إلى عدد من الزواحف والبرمائيات وسلاحف البحر والدلافين، التي يمكن مشاهدتها في خليج جنابة وهي ترتع وتلعب. ويعد خليج جنابة من أغنى مناطق البحر الأحمر بالأحياء البحرية.

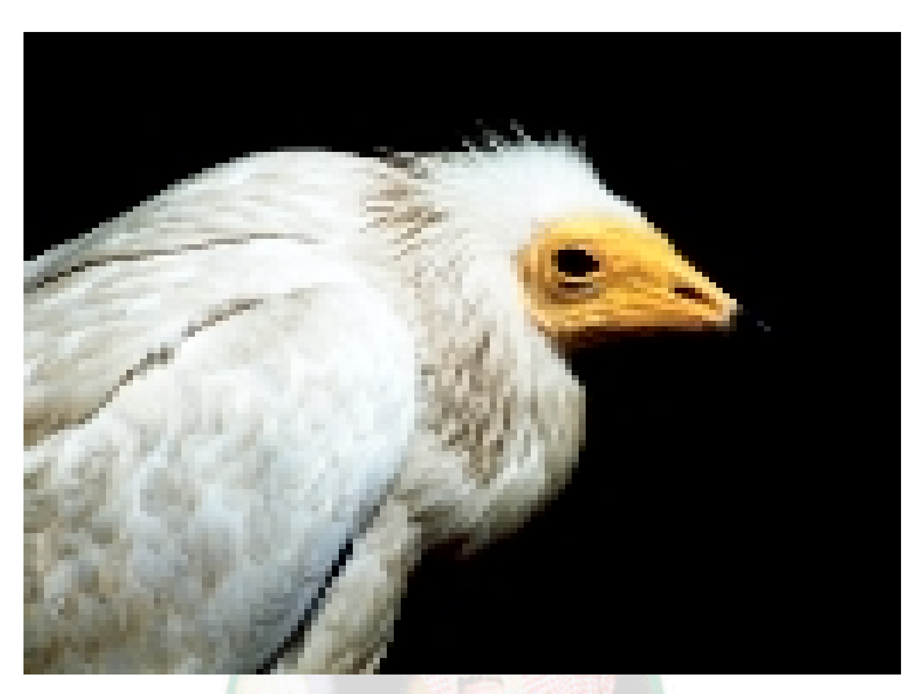
وتعيش طيور كثيرة في جزائر فرسان، ولكن معظمها طيور بحرية، تصل لعدة آلاف. وتقل أعداد الطيور البرية كثيراً عن أعداد الطيور البحرية. فمن طيور البحر، التي تتكاثر في جزائر فرسان، توجد الأنواع التالية: الطائر الاستوائي ذو المنقار الأحمر، الأطيش البني، طائر البجع، طائر النورس القاتم، طائر النورس ذو العين البيضاء، طائر الخرشنة القزويني، طائر الخرشنة الملجم أو سمراء الجناح، الطائر الأبله الشائع.

ومن طيور الشاطئ التي تتكاثر في جزائر فرسان الأنواع التالية: مالك الحزين الأخضر، مالك الحزين الأرجواني، طائر



طيور الخرشنة





النسر المصري (الرخمة)

أبو ملعقة المنجروف وتزيد أعداده خلال الشتاء، زقزاق السرطان.

ومن طيور البر التي تتكاثر في جزائر فرسان توجد الأنواع التالية: الحدأة السوداء، الرخمة المصرية، العقاب النساري، الصقر الرمادي، أنواع من القماري منها القمرية الأفريقية المطوقة وقمرية النخل.

وهناك طيور أخرى توجد في معظم جزائر فرسان بأعداد معقولة، منها البومة الصغيرة وبعض القنابر مثل القنبرة ذات الرأس الأسود والهدهدية والمتوجة والبلبل والمغرد والعصفور الدوري.

وهناك عدد كبير من الطيور البحرية والشاطئية والبرية، التي لا تتكاثر في جزائر فرسان ولكنها توجد فيها، بعضها يمر بها في طريق هجرته والبعض الآخر يقيم فيها فترة من الزمن تتراوح بين فصل من فصول السنة إلى طوال العام.

وتقضي التنظيمات بمنع الصيد منعاً باتاً في جزائر فرسان، ما عدا صيد الأسماك، وذلك طوال العام. وقد وضعت الهيئة لوحات إرشادية للتحذير من الصيد، وبها مراكز للجوالين

أم القماري. تقع محمية أم القماري جنوب مدينة القنفذة، وتبعد عنها حوالي



١٩كم. وتتكون من جزيرتين، الأولى تدعى أم القماري البرانية، وسميت بهذا الاسم لقربها من البر، والثانية تدعى أم القماري الفوقانية، وذلك لبعدها داخل البحر. وتقع الأولى على خط طول ٦َ ٤١ْ شرقاً وخط عرض ٥٩َ ١٨ْ شمالاً، والثانيـة على خط طول ٤٠َ ٤١ْ شرقـاً وخط عرض ٥٨َ ١٨ْ شمالاً.

وتبلـغ مساحة أم القمـاري البرانية حوالي ١٢٠,٠٠٠م٢، وامتدادها من الشرق للغـرب، أكبر من امتدادها من الشمال للجنوب، حـيث يبلغ امتدادها الشرقي الغربي حوالي ٤٠٠م والشمالي الجنوبي حوالي ٣٠٠م.

وتبلغ مساحة أم القماري الفوقانية، التي تبعد عن أم القماري البرانية بثلاثة كيلومترات، حوالي ٦٢,٥٠٠م٢ حيث تمتد من الشرق للغرب، ومن الجنوب للـشمال، بنـفس البـعد تقريـباً وهو ٢٥٠م.

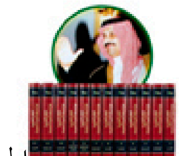
ولقد سـميت هاتان الجـزيرتان بأم القماري لوجود طـائر القماري فيهما، وتكاثره بأعداد كبيرة جداً خلال شهـور معينة. ورغم تناثر الجزر حولهما شمالاً وجنوباً وغرباً، فإن هذه الطيور لا تتجمع تجمعاً كثيفاً إلا في هاتين الجزيرتين فقط، رغم التشابه بين بيئات الجزر وبيئة جزيرتي أم القماري مما يعد ظاهرة فريدة جديرة بالملاحظة.

وينتهي تجمع طيور القماري في هاتين الجزيرتين في آخر شهر يونيو، حيث لا يرى منها إلا القليل النادر.

ويوجد في جزيرتي أم القماري عدة أنواع مـن الطيور الـبحرية والـشاطئيـة والبرية، تختلف في عـددها وأنواعها، ومنها طائر النورس القاتم، وطائر البجع الرمادي، وعدة أنواع من طائر الخرشنة، منهـا القزويني وذات الـعرف وصغيرة العـرف وبيضاء الـوجه. ومن الـطيور الشاطئية يوجد: بلشون البقـر (الوليعي ١٤١٦: ١٢٧-١٤٢).

مـراكـز أبحـاث الحـياة الفـطـريـة ونشاطاتها

تلقى الكـائنات المهددة بالانقراض عنـاية خاصـة في مراكـز متخـصصة لأبحاث الحياة الفـطرية. مهمتها تربيـة الأنواع المهددة بالانقراض تحت الأسر، وإعادة توطـينها في المـناطق المحميـة، وإجراء الـدراسات والأبحاث الحـقلية لمتابعتها ودراسة سلوكها. وهذه المراكز مجهزة بأحدث التـقنيات، من معدات ومختبرات ووسائل لإدارة الحياة الفطرية، تحت ظـروف الأسر وتـنفذ الأبـحاث



والبرامج الهادفة إلى تنمية الحيوانات الفطرية وإعادة توطينها في المناطق المحمية المناسبة ومناطق وجودها السابقة. كما تُتابع هذه الحيوانات بعد الإطلاق، وتراقب نمو الغطاء النباتي في مسيجات تجريبية.

وشملت برامج إنماء الحياة الفطرية من الثدييات المها العربي وغزال الريم وغزال الإدمي وغزال العفري السعودي والحبارى والنعام من الطيور، إلى جانب برامج ثانوية لرعاية حيوانات فطرية أخرى مهددة بالانقراض تعرضت لظروف طارئة. أما أنواع النبات فتجمع بذورها وتزرع في مشاتل الهيئة بمقر الأمانة العامة، وبمركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة، وبمحمية حرة الحرة. كما تجري دراستها في مسيجات خاصة في المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية، وفي محمية الوعول، وفي مواقع أخرى، بإشراف الجهات المتعاونة مع الهيئة. وأهم هذه المراكز هي:

١) المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف. يبعد المركز نحو ٣٠كم عن مدينة الطائف بمنطقة مكة المكرمة. تركز الدراسات فيه على إكثار الحبارى والمها العربي، وهناك برامج جانبية تتعلق بالوعل، والحمار البري، والوشق، والنمر العربي، والغزال العفري، والنعام أحمر الرقبة، والدجاج الحبشي، والحجل العربي، وحجل فيلبي، وغيرها.

٢) مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة. يقع في الثمامة على بعد ٨٠كم شمال الرياض وقد أقيم في مزرعة الملك خالد بن عبدالعزيز، التي كانت تضم مجموعة فريدة من الحيوانات النادرة من المملكة ومن خارجها. وتركز برامج المركز على إكثار غزال الريم، وغزال الإدمي، وغزال العفري، إضافة إلى برامج جانبية، خاصة بأنواع أخرى من الغزال والنعام والمفترسات وغيرها.

٣) مركز الأمير محمد السديري لأبحاث الغزال بالقصيم. يقع هذا المركز في منطقة الخفيات بالقصيم. وقد أهدى الأرض وما عليها من غزال الريم للهيئة أبناء الأمير محمد السديري. ويجري المركز دراسات مختلفة على قطيع غزال الريم الموجود فيه. إضافة إلى إكثارها، بهدف إعادة توطين بعضها في المناطق المحمية المناسبة.

وهناك برامج متعددة لإكثار الحيوانات الفطرية المهددة بالانقراض، تحت ظروف

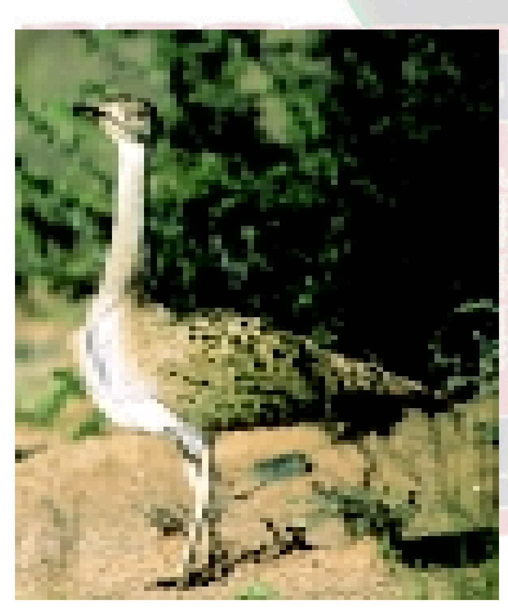


الأسر. وقد شملت هذه البرامج العديد من الحيوانات الفطرية، مثل المها العربي، وغزال الريم والإدمي، والوعول الجبلية، وطيور الحبارى، والنعام. وتجري مراكز الأبحاث، في كل من الطائف والثمامة والقصيم، برامج الإكثار تحت الأسر واختيار الأفراد الصالحة لتكون نوى تكاثر مناسبة تحقق الهدف من برامج إعادة التوطين في البيئات الطبيعية. كما توجد مشروعات أخرى، لإنماء الحياة الفطرية منها:

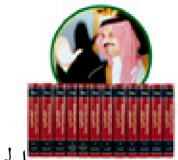
مشروع إنماء الحبارى: برنامج متكامل لتربية الحبارى تحت الأسر، بتقنيات غير مسبوقة في العالم، وإجراء الدراسات والأبحاث المتعلقة بجوانب حياتها وسلوكها، وإعادة تأهيلها في المواطن الطبيعية. بدأ البرنامج عام ١٩٨٦م في المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، وبه ٤٠٠ حظيرة، إلى جانب المختبرات اللازمة للرعاية البيطرية، والبحوث العلمية المساندة لأنشطة الإكثار تحت الأسر. وكانت بدايته جمع بيض الحبارى الآسيوية والإفريقية من أعشاشها في البيئة الطبيعية، نظراً لما عرف عن هذا الطائر من تعويضه للبيض المفقود من العش. وجُمع البيض من الباكستان والجزائر خلال عامي ٨٦ و١٩٨٨م، وتكونت النواة الأولى لتجارب الإكثار من ١٠٣ فراخ من الحبارى الآسيوية و١٢٩ فرخاً من الحبارى الإفريقية. وقد تكوّن الآن قطيع من الطائر ينمو بالاعتماد ذاتياً على المجموعات المتوافرة بالمركز.

وقد أنتج المركز خلال العقد الأول أكثر من ١٠٠٠ فرخ من طيور الحبارى من النوعين الآسيوي والأفريقي. كما أعاد توطين ١٨٠ طائراً في محمية محازة الصيد، وأهدى المركز ٢٩٦ حبارى أفريقية إلى مركز الحبارى بمسوّر في المملكة المغربية.

كما شهدت محمية محازة الصيد أول تجربة لإعادة توطين طيور الحبارى



تعيش الحبارى في المواطن الطبيعية في محازة الصيد



في عام ١٤١٠هـ. وتجري المتابعة الدقيقة للطيور، بتثبيت أجهزة إرسال لاسلكية دقيقة على ظهورها، تلتقط إشاراتها بأجهزة استقبال مع الباحثين. حيث يمكن تحديد مسارات الطيور وتحركاتها.

وقد كونت الطيور المعاد توطينها جماعات صغيرة مقيمة بالمحمية، وسُجل أول تكاثر طبيعي لها في عام ١٩٩٥م حيث رُصد وجود أعشاش وإناث مع صغارها. وفضلاً عن ذلك فقد جذبت هذه الطيور حباري أخرى مهاجرة لتقيم في المحمية.

مشروع إنماء النعام الأحمر الرقبة: أعد المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، نواة لإكثار أقرب أنواع النعام صلة بالنعام العربي المنقرض، وهو النعام الأحمر الرقبة. وإعادة توطينه في المحميات المناسبة؛ وما زال البرنامج يسير بخطى بطيئة نظراً لتدني معدل تكاثر هذا النوع من النعام. بدأ المركز بأعداد ضئيلة تكاثرت وأمكن بدء تجارب إعادة التوطين في محمية محازة الصيد، التي يوجد بها ٢٥ نعامة خاضعة للمراقبة والبحث. كما يوجد بالمركز ٢٥ نعامة خاضعة لبرنامج الإكثار والبحث العلمي.

مشروع إنماء المها العربي: برنامج متكامل لتربية المها العربي تحت الأسر، للحصول على أجيال خالية من



ذكر نعام وأنثاه



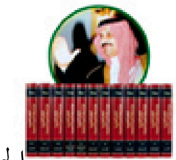
الأمراض، أو الأوبئة، ومتغايرة وراثياً، ومن ثم يعاد توطينها في المحميات الطبيعية لتتكاثر فيها تحت الظروف الطبيعية.

مشروع إنقاذ المها العربي من الانقراض: يهدف إلى توطين المها العربي في بيئة المملكة، والمساهمة في البرنامج العالمي لإنقاذ المها. فبدأ في تنفيذ برامج الإكثار تحت الأسر، وخلال السنوات العشر الماضية حُصل على الجيلين الثاني والثالث من المها العربي، خالية من الأمراض الوبائية، وصالحة لإعادة توطينها في المناطق المحمية.

كما شهدت محمية محازة الصيد، أولى تجارب إعادة توطين المها العربي في المملكة في عام ١٤١٠هـ، حيث أعيد توطين ١٧ فرداً منها بعد فترة تأهيل مناسبة داخل المسيجات التمهيدية. وتلى ذلك عمليات إعادة توطين أخرى حتى وصل العدد الكلي للمها العربي بالمحمية إلى ٢٨٦ فرداً في نهاية عام ١٩٩٦م. وتجري متابعة تحركاتها أيضاً ودراسة سلوكياتها باستمرار. وشهدت أيضاً محمية عروق بني معارض أولى تجارب إعادة توطين المها العربي، في مناطق غير مسيجة، حيث أعيد توطين ٢٢ فرداً في عام ١٩٩٥م، و٣٥ في عام ١٩٩٦م. ووصلت في نهاية عام ١٩٩٦م إلى ٨٧ فرداً. ومن المؤمل الاستمرار في تعزيز القطعان المعاد توطينها، إضافة إلى إعادة التوطين في محميات أخرى في المملكة.

مشروع إنماء غزال العفري السعودي: بدأ برنامج لإنشاء نواة لإكثار غزال العفري السعودي، إلا أن الأعداد والأفراد المتبقية منها نادرة جداً، مع شكوك محتملة في أنسابها. وقد حُصل على عدد ضئيل منها من خارج المملكة يخضع للبحث العلمي، ولا زالت الدراسة جارية لمعرفة الأفراد المحتمل وجودها من هذا النوع داخل وخارج المملكة.

مشروع إنماء غزال الريم: شمل برنامج المحافظة على غزال الريم تنفيذ برامج إكثار تحت الأسر في مركزي الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية، والأمير محمد السديري لأبحاث الغزال، ومن ثم أعيد توطينها في المناطق المحمية في عام ١٩٩٠م. وشهدت محمية محازة الصيد أولى تجارب إعادة توطين غزال الريم حيث أطلق ٢٤ فرداً فيها، ثم عززت في السنوات التالية حتى قدر عدد غزال الريم الموجود بالمحمية في نهاية عام ١٩٩٦م بنحو ٧٠٠ غزال.

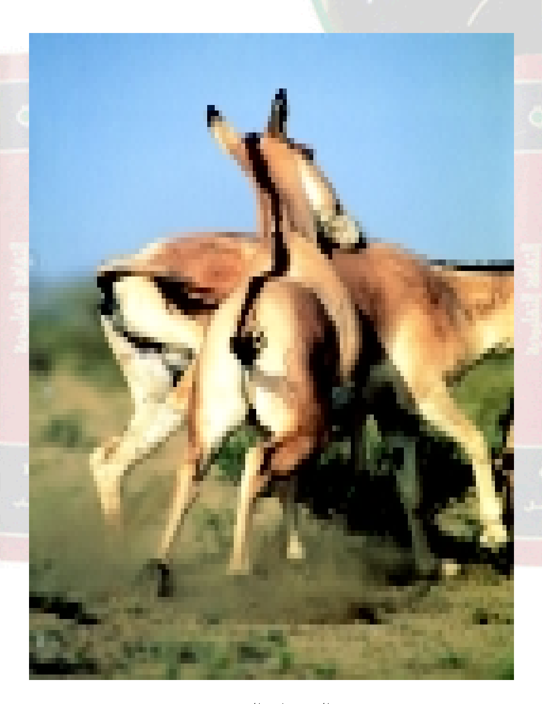


وفي إحدى انجازات برامج إعادة التوطين، التي شهدتها محميات المملكة العربية السعودية، أعيد توطين ١٠٠ فرد من غزال الريم في محمية عروق بني معارض في عام ١٩٩٥م. وتلا ذلك تعزيز البرنامج بإطلاق ١٠٤ غزلان فيها لزيادة عدد أفراد القطيع بالشكل الذي يسمح بتوريث أفضل الجينات للأجيال التالية. وقد بلغ عددها بعد التكاثر في نهاية عام ١٩٩٦م ٤٠٠ غزال. وبالإضافة إلى ذلك فقد أعيد توطين غزال الريم في بعض المواقع الأخرى الصالحة لإعطائه الفرصة في التكاثر تحت ظروف مختلفة مثل بعض المسيجات العسكرية وجميعها تحت المراقبة العلمية.

مشروع إنماء غزال الإدمي: في مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية، برنامج لإعادة توطين الغزال الإدمي في محميتي الوعول بحوطة بني تميم، وعروق بني معارض بالربع الخالي، وأطلقت أول مجموعة من غزال الإدمي وعددها ٢٩ فرداً في محمية الوعول عام ١٩٩١. وتلا ذلك سلسلة من عمليات إعادة التوطين حيث وصل عدد أفراد القطيع إلى ٢٥٠ فرداً بمحمية الوعول في عام ١٩٩٦م، كما أُطلق في عام ١٩٩٦م ٢٤ فرداً في محمية عروق بني معارض، لتصير بعد عدة أشهر ٢٨ فرداً.

مشروع إنماء الحمار البري: بدأ المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، في جلب عدد من الحمر البرية الآسيوية (الأخدر) إيرانية المنشأ، في محاولة لإكثارها ودراسة إمكانيات إعادة توطينها بديلاً عن الحمر البرية المنقرضة من طبيعة المملكة وكذلك الحمر الأهلية.

مشروع إنماء الوعل النوبي: بسبب قلة أعداد الوعل النوبي في البلاد، وقلة المعلومات المتوفرة عنها، وأهميته كرمز



الحمار البري

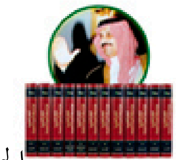




عائلة من قرون الرباح (البابون)

من رموز الحياة الفطرية، نجحت محاولات إنمائه في المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية. كما ثبت بعد ذلك أن إعادة تأهيل المجموعات البرية منه في محميات المملكة، كانت نتائجها مذهلة. لذلك فقد تقلص برنامج إكثار الوعول في المركز، واستخدمت الأعداد المنتجة في برامج التبادل بحيوانات أخرى من جهات مختصة في خارج المملكة.

مشروعات إنماء حيوانات فطرية أخرى مهددة بالانقراض: بسبب قلة أعداد بعض الأنواع الفطرية، المهددة بالانقراض، خاصة غزال إيرلنجيري، والمفترسات مثل النمر العربي والفهد الصياد والوشق، وغيرها في البيئات الطبيعية، وتعذر الحصول على أعداد منها تصلح بدايات لبرامج إكثار متخصصة، بدأت الهيئة الوطنية للحياة الفطرية وإنمائها برامج تعاون مع عدد من الجهات المتخصصة في الخارج، لاستخدام أحدث تقنيات الإكثار في مثل هذه الظروف. ويجري التنسيق للاستفادة من الأعداد المتوافرة من تلك الأنوع في أي من مراكز الإكثار المتخصصة.



تقويم الآثار السلبية لانتشار قرود الرباح (البابون): برنامج لتقدير أعداد القرود، التي تهاجم المدن والقرى والمحاصيل، نتيجة لزيادة معدلات تكاثرها بسبب غياب أعدائها الطبيعين من المفترسات الكبيرة، وتطفلها المتزايد على النفايات.



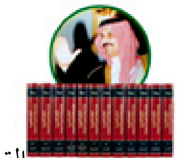
القنص والصيد قديماً وحديثاً

الصيد عند العرب القدماء

تأتي كلمة الصيد غالباً ملازمة ومرادفة لكلمة القنص، بل كثيراً ما تعطف إحداهما على الأخرى، فيقال: الصيد والقنص، أو القنص والصيد، علماً بأن من العرب، قديماً وحديثاً، من يفرّق بين معنى ومدلول كل منهما، خصوصاً أهل البادية الذين يستعملون كلمة القنص أو المِقناص في أحاديثهم ومجالسهم، ولا يستعملون كلمة الصيد إلا نادراً، إذ يغلب أن يستعملها الحضر. وهناك كثير من الناس يرى أن لا فرق في الإيحاء أو المدلول، بين كلمتي الصيد والقنص، وأنهما بمعنى واحد.

جاء في لسان العرب «تقول: صاده واصطاده، أي كسبه وأحرزه». ولعل الكسب أو الإحراز هنا يأتي عفواً أو بجهد. كما جاء في اللسان: تقول: اقتنصه أو اقتنص الفرصة، أي إنه أحرز ما يريد من الطرائد في الوقت المناسب. وهذا يدل على أن القنص هو عملية الصيد التي لها وقت تجب مراعاته، أما الصيد فهو الطرائد أي حصيلة عملية القنص.

ويبدو أن كلمة الصيد أوسع استعمالاً، وأشمل معنى من كلمة القنص، التي تنطوي على الاهتمام والمتابعة والحركة وتحديد الوقت المناسب. ومن هنا فالصيد يكون في أي وقت، ويكون في البر والبحر، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿أُحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ (المائدة: ٦)، ولم ترد في القرآن الكريم كلمة القنص، كما جاء في اللسان «ولا يقال للشيء صيد حتى يكون ممتنعاً حلالاً لا مالك له».



وقد ورد لفظ الصيد كثيراً في الشعر العربي، بما يوحي أن الإنسان يصيد، وكذلك الحيوان، يقول المتنبّي:

ومن يجعل الضرغام صيداً لبازه
تصيَّدَه الضرغام فيما تصيَّدا

وقال آخر:

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدري خراش ما يصيد

ومن جهة أخرى وردت كلمة القنص والقنيص في الشعر العربي. قال المتنبي:

وشر ما قنصته راحتي قنصٌ
شهبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرخَمُ

وقال الأخطل:

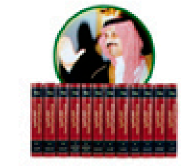
ولقد غدوت إلى القنيص بنهدةٍ
عند البديهة سهوة القذفان

كما وردت كلمة المقناص، أي القنص، في الشعر النبطي، قال الشاعر:

واليا لفونا من المقناص زعّالِ
أحدٍ مدح بندقه واحدٍ يعذربها

وكلمة الصيد، عند العرب حاضرة وبادية، تعني المبتغى والمطلب، وفيها معنى الكسب والحصول على الغذاء والزاد. وقد يكون الصيد عفواً أو سهلاً كأن تنصب فخاً وتنصرف عنه ثم تعود إليه فتجد فيه صيداً. وقد يخرج الصائد إلى الحقول القريبة من مساكن الحضر فيصيد ويرجع في وقت قصير، خلافاً للقانص الذي يذهب إلى البر (الصحراء)، غالباً في موسم محدد، ومع مجموعة من الناس، ويبقى في البر أياماً بهدف القنص، بعد استعداد مسبق لمثل هذه الرحلة. كما أن الخروج إلى القنص يحتاج إلى أُناس أقوياء للمطاردة والقنص، فإضافة إلى أنه يمارس من أجل سد الحاجة إلى اللحم والطعام، فهو يمارس رياضة وترفاً، خاصة في الوقت الحاضر. فهناك هواة القنص من الأمراء والأثرياء من يذهبون للقنص في داخل الصحراء، ومنهم من يذهب للقنص في أمكنة بعيدة أخرى يتوافر فيها الصيد، مثل أفريقيا وخصوصاً السودان. وليس للصائد صفات محددة من ناحية المهارة، ولكن القنّاص الماهر هو الدقيق في الرمي والتصويب.

ولعل البادية حين يطلقون كلمة القنص، يريدون بها التفريق بين الصيد، الذي يمكن أن يمارسه كل أحد، وبين القنص الذي يمارسه القادرون والمهرة، لما تنطوي عليه كلمة القنص من شدة ودقة في التصويب والرمي، (القانص الماهر أو الرامي يسمى البواردي) والاستعداد للمطاردة والمغامرة في الصحاري والأماكن البعيدة المفتوحة. فرحلات القنص تتطلب استعمال الجوارح والضواري، إضافة إلى الأسلحة الحديثة ووسائل النقل السريعة كالسيارات المجهزة للقنص، حيث تعني

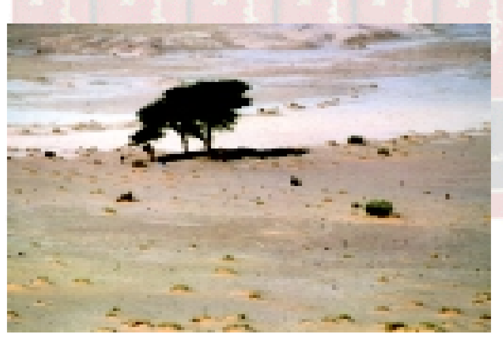


كلمة القنص عندهم الأخذ كما تختطف الجارحة الصيد. وهم يرون لكلمة القنص وقعاً شديداً في النفس يدل على القوة والأنفة والرجولة، فالصياد في مفهومهم أحياناً قد يكون صياد السمك مثلاً. وهو غير القنّاص الذي هدفه صيد الجوازي كالمها والوعول، وربما النمور والأسود.

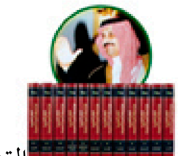
ارتباط العرب بالصيد. ولقد ارتبط العرب بالصيد ارتباطاً وثيقاً منذ زمن بعيد. وكان لهم فيه شغف وباع طويل في الجاهلية، واستمر ذلك بعد إسلامهم حتى يومنا هذا. فجلُّهم كانوا ممارسين للصيد والقنص، مغرمين به، إما لسد رمقهم، وإشباع حاجتهم إلى اللحم، أو لغرض التمتع والهواية. لذلك ورد ذكر الصيد والقنص كثيراً في التراث العربي، شعره ونثره وأمثاله، منذ الجاهلية، وعبر عصور الإسلام المختلفة، إلى زمننا الحاضر.

ولعل ارتباط العرب القدامى بالصيد جاء من أنهم كانوا أمة متبدية، تعيش في جزيرتها عيشة الإملاق. ومن طبيعة أهل الوبر، إذا أملقوا، أن يعتمدوا في عيشهم على الصيد، وأن يتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى، فيقتاتوا بلحمه إذا عضهم الجوع، ويصطلوا بعظمه إذا مسهم البرد، ويستنيروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل، ويتخذوا من أوباره وأشعاره غطاءً وكساءً، ويجعلوا من جلوده بساطاً وسقاءً. وكانت العرب تعلي من شأن القنص، وتمدح الرجل بأكله من صيد يده، وتعد ذلك آية على أنفته، ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب، وإنما كان متعة من متع النفس، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم، وهم أشد ما يكونون حاجة للرزق والمتعة والتدرب الدائم على القتال. لذلك أقبلوا على





جفاف الجزيرة العربية، دفع سكانها إلى اتخاذ الصيد مصدراً للطعام حتى عهود قريبة



الصيد إقبالاً كبيراً، فطعموا من جوع حين أكلوا لحوم الطرائد، واكتسوا من عري حين ارتدوا جلودها وأوبارها، وأمنوا من خوف حين قتلوا الحيوانات التي تهدد حياتهم وتروع ماشيتهم. ولم يقتصر الصيد عند العرب على ذوي الفاقة، وإنما مارسه الأغنياء والفقراء، وأولع به السادة والسوقة (الباشا ١٩٨٣: ٢٣-٢٥).

وأسباب هذا الولع والشغف هي ما يجده الصائد في القنص من متعة، وما يحسه فيه من لذة، قلما يلقى لها نظيراً في غيره من الهوايات. فقد أجمع أهل النظر على أن الصيد ألذ ما عرفه الإنسان من الصناعات، وأجله وأطيبه وأقربه إلى طبيعة الإنسان، ولا فرق في الاستمتاع بالصيد بين العظماء والدهماء، وليس هو، كما يزعم بعض الزاعمين، أنه ضرب من ضروب الترف، وباب كبير من أبواب اللهو، يسلكه الملوك وذوو السلطان مع أرباب البطالة، فيفنى أعمارهم فيما لا ينفع. فهو للملوك والقادة يذهب بهمومهم، ويكفهم عن المحرمات، ويتيح لهم اللذة المباحة. ولذا قيل «قلما يعمش ناظر زهرة، أو يزمن مبتغي طريدة». ثم إن أشرف الغذاء وأسرعه هضماً اللحم، وأفضل اللحوم ما استهوته الشهوة. وليس هناك أدعى للشهوة، وأسرع في الهضم، من لحم الصيد المطرود المكدود، لأن ذلك ينضجه ويهرئه. «وكان الحكماء إذا أعوزهم لحم الصيد، أمروا بإتعاب الحيوان المأكول وكدِّه، وذبحه عقب ذلك، فيكون أسرع لنضجه، وأطيب للحمه» (الزبيدي ١٩٨٥: ٩).

ويُميِّز السويداء (١٩٩٣) بين صائد المتعة، وصائد الحرفة، وصائد الضرورة، فالأول لا يتعب نفسه لدرجة ترهقه، بل يقضي فيه متعة يومه أو عدة أيام يعود بعدها للراحة لفترة، قد تطول أو تقصر، ثم يعاود من جديد، بعد أن يكون قد استراح راحة تامة، وهذا شأن ذوى الهواية والمتعة، أما الصائد الحقيقي المحترف، فهو الذي إما أن لقمة يومه من الصيد، أو أنه يبيع الصيد، أو يهديه ليحصل بالمقابل على ما يقضي به متطلبات حياته الأخرى. وهذا الصنف يكون مولعاً بالصيد ويجد لذة في طرده وصيده، وقد تسوء صحته وينحل جسمه، وتشقق أطرافه من البرد وخشونة الأرض التي يطأها دون أن يعلم بنفسه، وهو يحتال أو يطارد صيدته، وقد تتشقق قدماه وتحفى ويدوس الأشواك وتدمى قدماه وتتجرح، وهو ذاهل نفسه خلف صيدته أو طريدته، وقد يصل إلى درجة



تقرب من الهلاك من الظمأ، وربما تمزقت ثيابه، إما من الأشجار التي يمر بها، أو من الصخور التي يزحف عليها، ويجتازها وهو يخاتل صيدته أو بفعل مداعبة ومناوشة كلابه، أو صقوره وجوارحه. هذا هو الصياد الحقيقي الذي يذوق مرارة ما يعاني في سبيل الصيد، لكنه يعدها متعة وأي متعة. وقد صور الراعي النميري عينة من هذه الفئة من الصيادين بقوله:

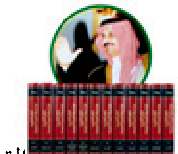
وصاد أطلس مشاء بأكلبه
إثر الأوابد ما ينمي له سبد
أشلى سلوقية باتت وبات بها
بوحش إصمت في أصلابه أود
يدب مستخفياً يفشي الضراء بها
حتى استقامت وأعراها له الجرد
فجال إذ رعنه ينأى بجانبه
وفي سوالفها من مثله قدد
ثم ارفأن حفاظاً بعد نفرته
فكر مستكبراً ذو حربة حرد
فذادها وهي محمر نواخذها
كما يذود أخو العمية النجد
حتى إذا عردت عنه سوابقها
وعانق الموت منها سبعة عدد
منها صريع وضاغ فوق حربته
كما ضغا تحت حد العاطل الصرد

ولى بشق حماد الفرد مطلعاً
بذي النعاج وأعلى رقة جسد

أما الأخطل فقد وصف الصائد بصورة أخرى حين قال:

حتى إذا الشمس وافته بمطلعها
صبحه ضامر غرثان قد نحلا
طاو أزل كسرحان الفلاة إذا
لم تؤنس الوحش منه نبأة ختلا
بشلي سلوقية غضفا إذا اندفعت
خافت جديلة في الآثار أو ثعلا
مكلبين إذا اصطادوا كأنهم
يسقونها بدماء الآبد العسلا
فانصاع كالكوكب الدري جرده
غيث تقشع عنه طال ما هطلا
حتى إذا قلت نالته سوابقها
كرعيها وقد أمهلنه مهلا
فظل يطعنها شزراً بمفولة
إذا أصاب بروقاً ضارياً قتلا

وهذا أوس بن حجر رسم للصياد صورة بائسة تتجلى فيها كل معاني الشقاء، تستدر العطف والرأفة، فهو ظمآن، قد استبد به التعب إلى حد الإعياء، فغارت عيناه، يقضي نهاره في الشمس المحرقة، فيشقق لحمه ويسود بشرته هبوب الرياح اللافحة والسمائم القاسية، قد شغله الصيد وأبعده عن أية زينة، وهو ليس بالضخم



القصير، قد خشنت أنامله، يقهره على ملازمة قترته (والقترة ما يجعله الصائد ليستتر به عن الصيد) يفعل ذلك كله خوفاً من الجوع والهزال، إن لم يصب لحم صيد:

صد غائر العينين شقق لحمه سمائم قيظ فهو أسود شاسف
أزب ظهور الساعدين عظامه على قدر شثن البنان جنادف
أخو قترات قد تيقن أنه إذا لم يصب لحما من الوحش خاسف

وقال الطرماح:

ومستأنس بالقفر راح تلفه طبائخ شمس وقعهن سفوع
تنشف أوشال النطاف ودونها كلى عجل مكتوبهن وكيع
يبل بمعصور جناحي ضئيلة أفاويق منها هلة ونقوع
كما بل مثنى طفية نضح عائط يزينها كن لها وسفوع

ومستأنس بالقفر: يريد به الصائد الذي يعيش في القفر، طبائخ الشمس: سماؤها وحرها في الهواجر، واحدها طبيخة، السفوع: من سفعته الشمس والسموم، إذا لفحته فغيرت لون بشرته وسودته، الأوشال: بقية الماء تتحلب من جبل أو صخرة قطرة قطرة، النطاف: جمع نطفة وهي الماء القليل، الكُلى (جمع كلية): جلدة مستديرة مشدودة إلى العروة، وقد خرزت مع الأديم تحت عروة المزادة، عِجَل: قرب الماء، مكتوبهن: خرزهن، الوكيع: الغليظ المتين، معصور: لسان يابس عطشاً، جناحا ضئيلة: شفتا لهاته، أفاويق (مفردها فيقه): دفعة المطر، أو ما يجتمع في ضرع الناقة بين الحلبتين، يعني أنه يشرب ويبل فمه مرة بعد مرة، طفية: خوصة شجر المقل، عائط: الجارية التي لم تحمل، الكن: الستر، سفوع (مفردها سَفْع): الثياب، ومثنى طفية: البيت مبني بالأغصان.

ويضع امرؤ القيس الصيد والقنص في مستهل وجوه لهوه ومتعته فيقول:

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الرويِّ ولم أقل لخيلي كري كرةً بعد أجفال

ومن كلف العرب بالصيد أنه أذهل ملوكهم عن شئون رعيتهم. فهذا عمرو بن هند، أخو قابوس بن هند، كان له يوم نحس ويوم نعمى، فيومٌ يركب في صيده يقتل أول من لقي، ويومٌ يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له. وهجاه طرفة مرة مشيراً إلى ذلك فقال:





رسوم صخرية للحيوانات التي كانت تصاد في الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام

قسمت الدهر في زمن رخيّ
كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم
تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم نحس
تطاردهن بالحدب الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً
وقوفاً ما نحل ولا نسير

ومن هذا القبيل ما رواه الأصفهاني عن النعمان بن المنذر، أنه كان يتصيد مع أبيه. وعندما تكون الحياة ذكرى، والذكرى صيد وجني ثمر، يحن عروة بن الورد بشوق ولهفة إلى أماكن محببة إليه منها مدافع ذي رضوى وعظم وصندد:

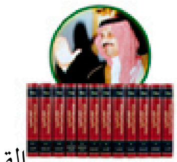
وما كان منا مسكناً قد علمتم
مدافع ذي رضوى فعظم فصندد
ولكنها والدهر يوم وليلة
بلاد بها الأجناء والمتصيد

وبلغ شغف العرب بالصيد حداً جعل محمد بن بشير الخارجي يستغله ويتخذه وسيلة يشاغل بها بعضهم، لينصرف سليمان بن الحصين إلى الحديث مع نسائهم، وفي ذلك قال الخارجي:

يرمون أحور مخضوبا بغير دم
دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العلق
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم
صيد يرجى قليلاً ثم يعتنق

وقال الأخطل:

ظل الرماة قعوداً في مراصدهم
للصيد كل صباح عندهم عيد
مثل الذئاب إذا ما أوجسوا قنصاً
كانت لهم سكتة مصغ وملبود



وهناك قصيدة للحطيئة يذكر فيها أهمية الصيد في إكرام الضيف عندما يحل الضيف، على إنسان معوز فقير حيث يقول:

فبينا هم عنت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
عطاشى تريد الماء فانساب نحوها
على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذات جحش سمينة
قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيابشره إذ جرها نحو قومه
ويابشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غرماً وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أباً
لضيفهم والأم من بشرها أما

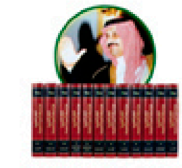
ومن قصيدة للشمردل بن شريك اليربوعي التميمي يصف فيها الصياد نفسه:

بها ساهر الليل عاري العظام
عرى لحمه أنه يدأب
قليل السوام سوى نبله
وقوس لها وتر محذب
فلما شرعن رمى واتقى
بسهم ثنى حده الأثأب
فحصن فثار على رأسه
من القاع معتبط أصهب
فكاد بحسرة ما فاته
يجن من الوجد أو يكلب

وقال محمود سامي البارودي عن الصيد:

فملنا إلى واد كأن تلاعه
من العصب موشي الحبائك مذهب
تراح بها الآمال بعد كلالها
ويصبو إليه ذو الحجا وهو أشيب
فبتنا نرود الأرض بالعين إذ رأى
ربيتنا سرباً فقال ألا اركبوا
فقمنا إلى خيل كأن متونها
من الضمر خوط الضيمران المشذب
فلما انتهينا حيث أخبر أطلقت
بزاة وجالت في المقاود أكلب
فما كان إلا لفتة الجيد أن غلت
قدور وفار اللحم وانفض مأرب

الصيد والقنص في الإسلام. أحل الله سبحانه وتعالى الصيد، فقال في كتابه الحكيم ﴿يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم االله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ (المائدة آية: ٤) وقال عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب



فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (المائدة: ٤). وقال تعالى ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارةِ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ (المائدة: ٦).

وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح حلال الصيد من حرامه. فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله إنَّا بأرض قوم أهل الكتاب أنأكل في آنيتهم، وبأرض صيد أأصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم، فما الذي يصلح لي؟ قال: أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه، فكل. وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل. وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل» رواه البخاري في الذبائح.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله إنا نرسل الكلاب المعلمة، قال كل مما أمسكن عليك، قلت وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن. فقلت: يارسول الله إنا نرمي بالمعراض، قال: كل ما خزق، وما أصاب بعرضه فقتل فلا تأكل، فإنه وقيذ. رواه البخاري ومسلم.

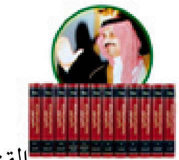
وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال: قال ﷺ إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدركته فكله ما لم ينتن رواه مسلم.

وعن عدي رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله، أرأيت أحدنا إذا أصاب صيداً وليس معه سكين، أيذبح بالمروة وشقة العصا؟. فقال: أمرر الدم بما شئت واذكر اسم الله. رواه أبو داود.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ ما عَلَّمْت من كلب أو باز ثم أرسلته، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك. قلت وإن قتل قال إذا قتل ولم يأكل منه شيئاً فإنما أمسكه عليك. رواه أبو داود.

وعنه رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أرمي -يعني الصيد- فأجد فيه من الغد سهمين. قال: إذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل. رواه أبو داود في الذبائح.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأله الله عز وجل يوم القيامة عن قتله. قيل: يارسول الله وما حقها؟ قال: أن تذبحها وتأكلها ولا تقطع رأسها فترمي بها.



وعن أنس رضي الله عنه قال: أنفجنا أرنباً بمر الظهران، فسعى القوم عليها فغلبوا فأدركتها فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركيها وفخذيها فقبله. رواه البخاري.

وعن محمد بن صفوان رضي الله عنه أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين وأتى بهما النبي ﷺ فأمره بأكلهما.

بعض من مارس الصيد من العرب.

أورد الزبيدي، في كتابه انتهاز الفرص في الصيد والقنص، ذكر من قنص من الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء وغيرهم على النحو التالي:

الأنبياء والصحابة: ممن كان لَهِجاً بالقنص والصيد أبو العرب نبي الله إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. وممن بلغنا أنه كان يصيد من الأنبياء سليمان بن داود عليهما السلام، وأن الحدأة كانت من جوارحه. قال: وإنما امتنعت من أن تألف أو تملك كأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. قال: ولو كانت الحدأة مما يصطاد بها لما كان في الكواسب أحسن صيداً منها، ولا أجل ثمناً. وممن روي عنه من الصحابة أنه كان يصيد حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ورضي الله عنه، وأنه كان مولعاً بالصيد، وكان إسلامه رضي الله عنه وهو منصرف من صيده، وعلى يده صقر فقالت له امرأة لما رجع من قنصه: ياعم لو رأيت أبا الحكم -تعني أبا جهل بن هشام- ما صنع بابن أخيك، فمضى على حالته، وهو معلق قوسه بكتفه حتى دخل المسجد الحرام، فلقي أبا جهل فعلى رأسه بالقوس، أي ضرب رأسه به فشجه، ثم قال: ديني دين محمد. ومن الصحابة أيضاً أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه. كان مولعاً بالصيد لَهِجاً به، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عما يحل ويحرم من الصيد. ومنهم عدي بن حاتم رضي الله عنه، فإنه احتفل بالصيد، وكان كثير الحديث للنبي ﷺ عن أحكام الصيد، وما يحل وما يحرم منه. ومنهم أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

الملوك القدامى: ومن ملوك العرب القدامى ذو يزن الحميري، وولده سيف بن ذي يزن. قال اليافعي في تاريخه: إنه لما ملك اليمن اتخذ من ملوكها الأحبوش خدماً، فخلوا به في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه. ومنهم المنذر ملك الحيرة (هم ثلاثة مناذرة ملكوا الحيرة منهم المنذر بن الحارث). ذكره الفقيه عبدالله بن محمد النجراني في آفاق المحاضر وهو كتاب جليل جمع فيه من



كل فن وذكر له حكاية، وهو أنه وقف على رابية وهو في الصيد فقال له رجل: أبيت اللعن لو أن رجلاً ذبح على هذه الرابية إلى أي موضع كان يسيل دمه. فقال: أنت والله المذبوح لننظر ذلك فذبح. ومنهم الحارث بن معاوية بن ثور كندة، من كندة القبيلة المشهورة، وهو أول من صاد بالصقر. ومنهم ابن عبد الكلال ملك العرب. ذكره محمد بن ظفر في خير البشر بخيرة البشر ﷺ. وذكر أنه غزا غزوة فقفل بغنايم عظيمة، فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها ففرق فيهم أكثرها، ثم أنه ذهب يصيد فأوغل في طلب الصيد، وانفرد عن أصحابه فرفعت له أبيات وقد لفحه الهجير فقصد بيتاً منها، فبرزت له عجوز، فقالت: انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة، فنزل، ثم نام فلما جلس مسح عينيه، وإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك الهمام، هل لك في الطعام. ثم قدمت إليه ثريداً وقديداً وحَيْساً فأكل وسقته فشرب، وجعل يتأملها مقبلة مدبرة، فملأت قلبه هوى، وكانت كاهنة فأخبرته عن رؤيا كان هو رآها تدل على خروج النبي ﷺ، وحققت له ذلك. فقال لها إلى ما يدعونا فقالت إلى صلاة وصيام وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام، ثم نهض الملك وركب فرسه ومضى.

الخلفاء: وأما الخلفاء فمنهم معاوية بن أبي سفيان #. ومنهم يزيد ابنه كان لهجاً بالصيد مولعاً به في زمن أبيه. ومنهم سليمان بن عبد الملك بن مروان، ومنهم هشام بن عبد الملك بن مروان، ومنهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

ومنهم بنو العباس وأولهم أبو العباس السفاح. ومنهم أخوه المنصور وركب في صدره مشهَّرة مشمراً كمه على يده بازي، حتى عبر جسر بغداد، وانكفأ راجعاً فعبر الآخر فلما رجع إلى مجلس ملكه، قال للربيع ما قال الناس في ركوبنا على هذه الحالة؟ قال: عجبوا يا أمير المؤمنين قال: إنه كان في ذلك مذهب، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد والتبذل فيه، فأحببت أن يكون مني مثل ما رأيت فمتى فعله منهم فاعل، قال الناس قد فعله المنصور. ثم ابنه المهدي، مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ من الهزل والتبذل، فكان مشغوفاً بالصيد لا يكاد يتركه. قال بعض شعرائه:

يغدو الإمام إذا غدا
للصيد ميمون النقيبه



فـــيـــؤوب ظـــافـــرة جـــوا رحـــــــــــــــــــــــــه
وأكـــــلـــــبـــــه الأريـــــبـــــه
بمـــخـــالـــب وبـــراثـــن
بـدمـاء مـا اقـتـنـصـت خـضـيبه
وســـهـــامـــه لـــوحـــوشـــه
والـطـيـر قـاصـدة مـصـيـبـه
وكـــأنمـــا عـــرفـــتـــه فـــانـــ
قـــادت لـــدعـــوتـــه مجـــيـــبـــه

ثم ابـنه هارون الـرشيد. ثـم ابنه الأمين. ثم المأمون. ثم أخوهما المعتصم. ومنهم الواثق بالله هارون بن المعتصم. ومنـهم المـتوكل عـلى الله جعـفر بـن المعتصم. ومنهم المعتز بالله، الزبيـر بن المتوكل على الله. ومـنهم المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتـوكل على الله. ومنهم المـعتضد بالله أحمـد بن الأمين الموفق طلحة بن جعفر المتوكل على الله. ومنهـم المكتفـي بالله عـلي بن أحمـد المعتضد، ذكره كشاجم قال: ولم يتأخر المكتفي عن مثـل أبيه في الصيد إلا أنه كان مشتهراً بالفهود والعقبان فقط وهما سبعـا الضواري ويباشـر ذلك بنفسه. ومنهم المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بالله.

الملـوك المسـلمـون: وأما مـلوك الإسلام فمنهم إبراهيم بن أدهم الصالح (من الصوفية الصـلحاء من أهل بلخ ورحـل إلى عـدة مدن تـوفـي سنـة ١٦١هـ)، المشهور، كـان يتصيد أيام مملكة أبـيه. ومنهم ملـك شاه جلال الدولة السلجوقي (هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان من ملوك ما وراء النهر والروم وديار بـكر والشام توفي سـنة ٤٨٥هـ)، صاحب الصيد الكثير الذي بنى من صيـده منارة القرون. ومنهم أحمد بـن إسماعيل السـاماني (يقال اصطاد وحـشاً وأكل من لحمه فـكان سبب موته)، أحد الملوك السامانية فيما وراء النهر في ناحية سمرقند، كان كثير الصيد مولعاً به. ذكـره ابن الأثير في تاريخه، وذكـر أنه اتخذ أسداً يربطـه كل ليلة على باب داره وهو مفتوح، فلا يخشى أحداً يقربه، فأغفل الخدم ليلة إحضار الأسد فدخل جماعة من غلمانـه، فذبحوه وهو نائـم في سنة إحدى وثلاثمائة. ومنهم عماد الدولة بن بويه أبـو الحسن علي، أول ملك تملك من بني بـويه. ومنهم أبو علي ركن الدولـة بن بويه. ومنهـم عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه. ومنهم عضد الدولة بن بويه.

قال القاضي أبو علي التنوخي حكى القـاضي أبو بـكر بن سـيار الحنـفي



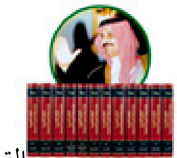
البغـدادي من فضل أبـي العباس عز الدولة وشجاعته عجائب منها أنه يتصيد بالسباع، فقلنا له كيف تم له هذا والأسد يفترس ولا يمسك لغيره فقال أخذ أشبالاً وفصلها عن أمهاتها وغذاها بلبن الغنم وتركها مع قوم يلاعبونها، حتى نشأت، وأنست بالناس تأكل من أيديهم، وتمشي بينهم بسلاسل خفاف، حتى أن بعضهم كان يشده بقوائم سـريره، الذي يقعد عليه ولا يؤذيه، ولم يزل يعلِّمُها حتى صارت تـصطاد وتمـسك، ويلحـقها الساعون ويذكي الصيد، وكان يرهب بها من يدخل عليه، وطرقه الأسد على غفلة وهو في بعض متصيداته فضربه بخشبة، وثبت يقاتله حتى لحقه غلمانه فقتلوه. ومنهــم أبو عبدالله بن سعيد بن حمدان. ومنـهم الملك أبو محمد الحســن بن عبدالـله بن طغـج. أحد ممدوحـي المتنبـي. وأطلق ابن طـغج الباشق عـلى سمانيات فأخـذها فقال المتنبي فيه:

أمـن كـل شــيء بـلـغـت المـرادا
وفـي كـل شـأو شـأوت الـعـبـادا

فـمـــاذا تـركـت لمـن لـــم يـسـد
ومــاذا تـــركـت لمـــن كـان ســادا

كـأن الــسـمـانــي إذا مـا رأتـك
تـصـيـدهـا تـشـتهـي أن تـصـادا

ومنهــم صاحب مصر والمغــرب، الملك العزيز بالله أبو المنصور نزار بن المنصور بن القائم ابن المهدي العبيدي. ذكره ابن خلكان في تاريخه قال: وكان بصيراً بالخيل والجوارح من الطير، محباً للصيد مغرى بـه. ومنهم ملك مصر الصالح نجـم الدين بن الملك الكامـل ناصر وكان مغرى بالشراب والصيد، فبينما هو في صيده إذ أرسل صقراً من جوارحه فحصـل الصقر صيده ونزل عليه وغفل عنه أمير شكارة (الشكارة هي وظيفة تتعلق بالطيور ورئيسها أمير شكار) فاغتاظ الملك الصالح منه، وأمر به فرمـي عن فرسه وبطح وضـرب، وكان غرضه أن يرمى ويبطح لا غير، وأن تقع الشفاعة له، وكان مهذباً عظيماً متكبراً، لا يقدر أحد من أمرائه على الإقدام عليه بشفاعة ولا غيرها، ولم يشفع في أمير شكاره أحد، وتسلسل الأمر إلى أن ضرب ضرباً كثيراً. فقال الملك الصالح: خلوا عنه، وثنى رأس فرسه وشتم أمراءه، وقال: ويل لكم، أما كان فيـكم من يشفع له فَـعَل الله بكم وصنع، وإنكم لا تصلحون لخدمة الملك، ولا يليق به خدمتكم، وقـطع صيده في نهاره، ولم يشرب ولم ينتفعوا به في يومهم.





رسم من فترة المالك الإسلامية يصور رجلاً يصطاد

ومنهم الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكيري. ومنهم الملك المنصور عفيف الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر. وكان كثير التصيد.

الأمراء والرؤساء والشعراء والفرسان:

وأما الأمراء فمنهم الحجاج بن يوسف الثقفي. ومنهم أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. وذكر أنه أكثر من اشتهر باللعب بالفهود. ومنهم أبو دلف العجلي كان مولعاً بالصيد. ومنهم الأمير بجكم. ومنهم أبو دلامة صاحب البغلة التي يضرب بها المثل في العيب فقيل «أعيب من بغلة أبي دلامة». ومنهم الأمير الفضل بن يحيى البرمكي.

وأما رؤساء العرب فمنهم لقيط بن زرارة. ومنهم عمرو بن الجون الكندي ومنهم نزار بن معد بن عدنان، ذكر أنه أول من طرد الوحش على الخيل. ومنهم همام بن وبرة. ومنهم مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ومنهم أخوه طابخة ذكرهما ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ. وأن اسمهما عامر وعمرو، وقال وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً فقعدا عليه يطبخانه، وعادت عادية على إبلهما. فقال عامر لعمرو أتدرك الإبل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ فلحق عامر بالإبل، فجابها فلما راحا على أبيهما حَدَّثاه بشأنهما فقال لعامر، أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة، فهذا سبب تسميتهما بذلك. ومنهم عدي بن زيد. ومنهم كليب بن ربيعة بن الحارث الذي يضرب به المثل في العز فيقال: أعز من كليب، واسمه وائل، وإنما لقب بكليب لأنه كان يكتع قوائم الكلب، ويلقيه في روضة تروقه، فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى وكان يحمي الصيد، فيقول صيد كذا وكذا في جواري فلا يهاج ذلك الصيد. ومنهم الكسعي الذي يضرب به المثل



في الـندامة. ومنـهم طرفـة بن العبـد الشاعر.

ومنهم السليك بن السلكة كان يصيد الظباء عدوا علـى رجليه، واسمه عمر بن يثربي السعدي، وكان يسبق الخيل. ومنهم وفي بن مطر. ومنهم أكيدر دومة (هو أكيدر بن عبد الملك الكـندي ملك دومة الجندل أدرك زمن النبوة). ومنهم تأبط شراً، كان وهو حدث السن، يأتي بالصيد في مزود له مثل الضب واليربوع وما شاكلهما، فتأتي أخته فتسرق ما في المزود، فلما طال ذلك عليه جعـل حية في المزود، وكان يحمل المزود أبداً تحت إبطه فلما وصل علق المزود، فأتت أخته لتسرق صيده فلدغتـها الحية، فصاحت وقالت: يا أبـتاه إن أخي تأبط شراً أي جعل تحت إبطه شراً فسمي تأبط شراً. ومنهم عامر بن عنترة، وكان له كـلاب صيد وماشية، وكان يحـسن صحبتها، فلما مـات لزمت الكلاب قبـره، حتى ماتت عنده وتفرق عنه أهله. ذكـره أبو بكر مـحمد بن خلـف بن المرزبان في كتابه الذي ألفه في فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب. ومنهم مالك بن نفيع. ومنهم أبو الأسود الدؤلـي، كان يصطاد، ومنهم أبو حيـة النميري الذي يضرب به المـثل في الكذب، ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، ثم حكـى من كذبه أنـه قال مر بـي ظبي فرميته، فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ، فـعارضه فـما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه. وقال رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي فغـدوت خلف السهم حتى قبضت على قَذَذِهْ قبل أن يدركها. وقال إنه خرج إلى الصحراء وجعل يدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له يا أبا حيّة أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحـراء فدعوتها فلـم تأتك فما تصنع قال: أبعدها الله إذن.

ومنهم بنو حمار بن مالك بن نضر الأزدي، وكانوا عشرة، خرجوا يتصيدون فأصابهم مطـر (قيل صاعقة) فهلكوا، فَكَفَر أبوهم، وقال: أأعبد من فعل هذا ببني؟ ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله. فأهلكه الله وأخرب بلاده. ومنهم محمد بن حمير العبد الصالح المشهور. ومنـهم محـمد بن سـليمـان بن فهـد الأزدي. ومنـهم أبو عـبادة الـبحتـري الشاعر. ومـنهم يونس بن بغا الـتركي نديم المعتز بالله وثانيه في الحسن. ومنهم أبو جعـفر بن حمدون نـديم المتوكل. ومنـهم أبو علـي بن محـمد الأنباري (١٩٨٥: ٨٥- ١١٠).



وسائل الصيد قديما وأدواته

ابتكر الإنسان طرقاً شتى للصيد تتناسب مع حجم الحيوان المصيد ونوعه وطباعه وخصائصه، فمنها ما هو لصيد الطيور صغيرها أو كبيرها، ومنها ما هو لصيد غير الطيور من أنواع الحيوانات الأخرى، صغيرها أيضاً أو كبيرها. وقد توصل الإنسان إلى طرق صيده هذه وطوَّرها وأحكمها نتيجة لتجاربه وخبراته، التي اكتسبها خلال رحلته الطويلة في عالم الصيد، وممارسته له قديماً باعتباره وسيلة للتعيش، والحصول على قوته من اللحم، ثم مارسه حديثاً رياضة فرسان، فيها من التحدي والمغالبة، والتعرض للمخاطر، ما يرضي غروره، ويشبع غريزته وحبه للتسلط والقهر، والغلبة والظفر. وهي نفسها أسباب الحروب التي تقع بين البشر.

وقد ابتدر الإنسان القديم ممارسة الصيد بالتصدي للمصيد، ومصارعته بقوة عضلاته حتى يقهره فيصرعه، أو يعجز عنه فيفلته، ثم لم يجد بداً من أن يستخدم عقله في الإيقاع بالمصيد، والتحايل له، بعد أن هداه تفكيره إلى حقيقة أن استخدام العقل، خير من استخدام قوة العضلات، وأن التخطيط للإيقاع بالمصيد، يوفر الجهد العضلي، ويقلل من التعرض للأخطار المحتملة، ويزيد من عدد الحيوانات التي يصطادها، فينعم بلحومها وجلودها وعظامها وفرائها.

ومن وسائل الصيد ما هو باستخدام المُكلَّب من جوارح الطير، أو ضواري السباع، وما هو بغيرها من أنواع الشراك والأحابيل والشباك، أو الرمي بالنبال والسهام والرماح والجلاهق والبنادق، أو التحايل باستخدام الصفير والغناء والبنج والمخدرات والمسكرات وإشعال النار، إلى غير ذلك مما توصل إليه الإنسان بدهائه، للإيقاع بصيده والظفر به، مهما ضخم جسمه وكبرت جثته، وعلا وزنه وزادت قوته، واحتد نابه أو فاقت سرعته. ويقول المثل الشعبي «ضرب الحصا والعصا



إناء خزفي من العهد الفاطمي يصور منظر صيد

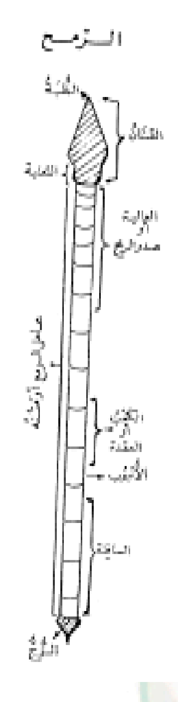


والمرسلات حلال»، أي أن ما تقتله أدوات الصيد حلال أكله.

الرماح. وجمعه رماح وأرماح. ويطلق عليه أيضاً القناة، وجمعها قنا وقنى وقنوات، والرامح هو مستخدم الرمح. وهو من أوائل أسلحة الصيد التي صنعها الإنسان واستخدمها في منازلة أعدائه وحماية نفسه والحصول على صيده.

وقد انتشر استخدامه بشكل واسع بين بدو الصحاري في مختلف جوانب حياتهم، ويختلف طول الرمح من أربعة أذرع إلى ما يزيد عن العشرة، والطويل منها يسمى المطرح، أما قصيرها فهو المطرد، وهو الذي يستخدم في الصيد عادة. وقد يصنع الرمح من فروع الأشجار الصلبة اللدنة، مثل شجر الشوحط الذي يستخدم عادة لاستقامته وقوته. ويتخذ سنانه من أي مادة قوية حادة كقرن ثور وحشي، أو قد يصنع من ثمين الخشب ونادر أنواعه، ويكون سنانه من الصلب القوي أو الفولاذ.

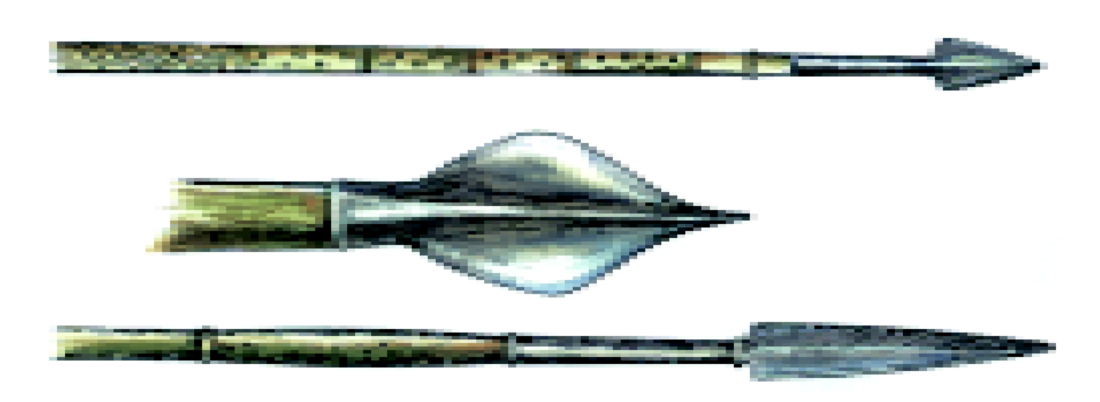
ويطلق على الجسم الخشبي للرمح مسمى المتن أو العامل ويعلوه الجزء الصلب الحاد وهو السنان وقمة الرمح الخشبية هي الجبة التي تدخل في تجويف أسفل السنان يسمى الثعلبة ويمسكها مسمار يمر خلال ثعلبة السنان وجبة



أسماء أجزاء الرمح

الرمح، ويسمى الظنبوب. وفي أسفل الرمح يوجد الزج وهو قطعة حديدية مدببة الطرف تتصل بها حلقة تسمى الزاجل. ويفيد الزج في تثبيت الرمح بالأرض، كما قد يطعن به أيضاً. والنصف العلوي من الرمح الذي ينتهي بالسنان هو عالية الرمح أما السافلة فهي نصفه الأسفل مما يلي الزج. والظبة هي القمة الحادة للسنان.

ومن أجود أنواع الرماح التي استخدمها العرب الرماح الرُّدَيْنِيَّة، نسبة إلى رُدَيْنَة وهو اسم امرأة كانت تتاجر

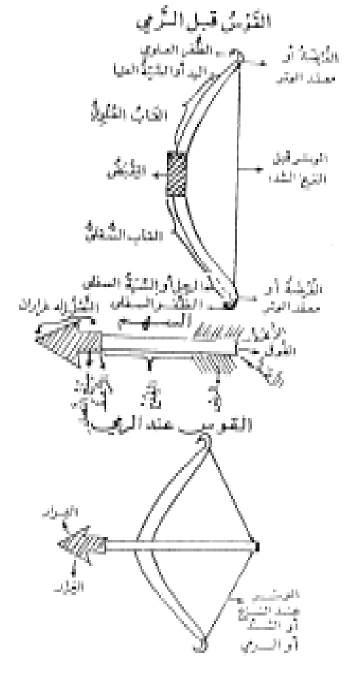


أنواع قديمة من رؤوس الرماح

بالرماح، والسمهرية نسبة إلى رجل كان يدعى سمـهر، وهي لدنة طويلة حـتى ليوصف القوام الطويل الرشيق القد الذي يشبه الغصن الأملود بالسمهري.

وهناك أسلحة شبيهة بالرمـح لكنها أصغر منه هي الحربة ثم الألّة التي هـي أصغر من الحربة وسـنانها عريضة، ثم العنزة التي هي قدر نصف الرمح أو تزيد قليلاً، ثـم المزراق وهو أقل من العـنزة وأخيراً المِثْـل الذي هو القرن المستـخدم للطعان.

السهام. وترمى من القوس، واحد القِسِيّ أو الأقواس أو القياس. وهي من أقدم وسائل الـصيد حتى ليقـال إن آدم عليه السلام رمى بها، ومن بعده أولاده، بعد أن جاءه الروح الأمين جبريل عليه السلام بها، وعلمه الرماية. وقيل أيضاً إن أول من استـخدمها هو أبو الأنـبياء إبراهيم عليه السلام، الـذي علم ولديه إسماعيـل وإسحاق، عليهـما السلام، كيف يرميان بها. وقيل إنـها نشأت في زمن نوح عليه السلام، واستخدمها هو



القوس والسهم



وأولاده من بعده. وقيل إن الفرس هم أول من رمى بها فمن قائل إن أول من استخدمها هو الملك جمشيد، ومن قائل إنه النمرود أو بهرام جور.

والسهام، وهي أيضاً النبال والنشاب، أعواد كل منها في طول الذراع وغلظ السبابة من الأصابع ويسمى القِدْح، يؤخذ من أعواد مستقيمة لشجر صلب قوي، هو عادة شجر النبع، فيُسوى، ويركب في قمته نصل حديدي حاد القمة له شوكات في نهايته، حتى لا يسهل نزعه إذا نشب في الضحية، ويركب في أسفله ريش في تجاويف أو فروض متوازية، تُجعل في مؤخرة السهم ويُلصق فيها بالغراء، أو يشد عليها بسير متين من الجلد، ثم يجعل تجويف عرضي في قمة مؤخرة السهم يسمى الفوق ويطلق على جانبي التجويف أو حرفيه رجلا الفوق أو زنمتاه (والمفرد زنمة). ويثبت وتر القوس في فوق السهم عند الرمي. وقد يكون للسهم ريشتان متقابلتان، أو ثلاث ريشات تتوزع حوله بانتظام، مما يهيئ للسهم الانطلاق متوازنا، ويكسبه السرعة المطلوبة وقوة الاندفاع إلى هدفه. ويؤخذ الريش المتساوي الحجم من ذنب النسر، أو العقاب، أو غيره من الطيور. وقد تؤخذ من الجناح، والذنب أفضل. ويلبس الرامي في إصبعه

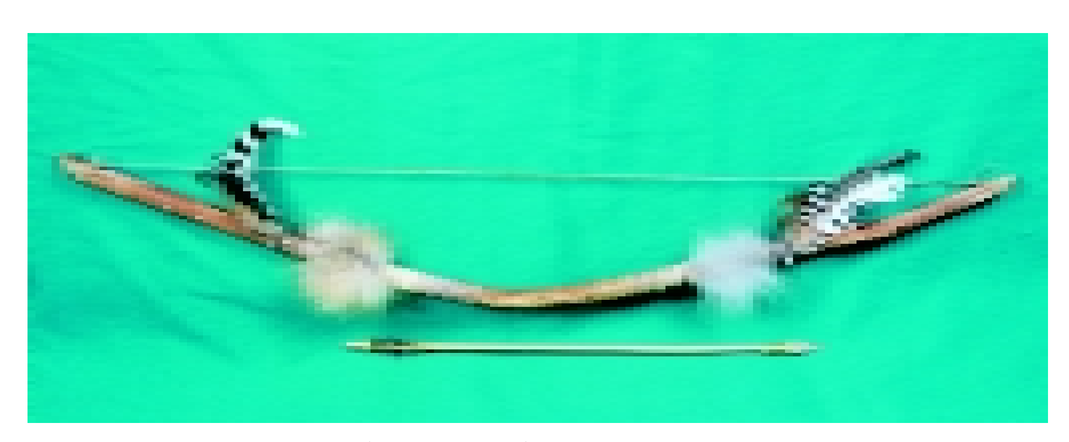


رؤوس سهام حجرية من فترة ما قبل التاريخ وجدت في المملكة العربية السعودية

لفافة من الجلد تسمى الختيعة تقي إبهامه أثر القوس عند الرمي. وتحمل السهام في كنانة أو جعبة يحملها الرامي.

وتتخذ القوس من خشب شجر النبع حيث تكرر ذكر ذلك في أشعار العرب، وهو شجر صلب لدن، وذلك بطول نحو ثلاثة أذرع، ويطلق عليه مسمى البدن، ثم يقوّس، أي يجعل على شكل قوس أي جزء من دائرة. ويعطف كل من طرفيه ويشد عليهما وتر قوي مأخوذ من الجلد، أو من عصب عنق بعير كهل، أو وظيف ساقه. ويطلق على كل جزء من الجزءين الطرفيين المنعطفين اللذين شد عليهما الوتر مسمى سيَّة (والمثنى سيّان)، وقد اشتهر استخدام لفظ سيّان للدلالة على تماثل شيئين وعدم التفضيل بينهما.





من أدوات الصيد (القوس والسهم)

ويسمى الجزء الأوسط من القوس الذي يُقْبَض عليه عند الرمي، المقبض أو المعجس أو العجس. والجزء الذي يعلو المقبض هو اليد وطولها قاب، أي أن القاب هو طول المسافة بين المقبض والسيّة. والجزء الذي يلي المقبض من أسفل هو الرِّجْل، وطولها أيضاً قاب، أي أن لكل قوس قابين، وطول القاب نحو ذراع، وكانت العرب تستخدمه كأداة قياس. وقد جاء منه قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم: ٩). وتسمى الحزَّة التي يشد عليها الوتر في السيّة الفُرضَة، والجزء الذي يعلو الفُرضة من السية هو الظفر أو الكظر. ولذلك فمن الواضح أنه لما كان لكل قوس سيان، فإن له فرضتين وظفرين أو كظرين.

وتحمل القوس حمالة تشبه حمالة السيف، حيث يتنكبها حامل القوس، إذا جعل الحمالة على منكبه والقوس على ظهره، أو يتأبها، إذا جعلها على صدره وقد أخرج منكبيه منها وجعل القوس على كتفيه.

الجلاهقة (قوس البندق). الجمع جلاهق وهو طين مضغوط مكوَّر يسمى البندق يرمى به. واللفظ معرب عن الفارسية. وتطلق الجلاهق أيضاً على قوس البندق، التي تتخذ من القنا، ويلف عليها الحرير ويلصق بالغراء، ويشد عليها وتر يُجْعَل في وسطه قطعة دائرية تسمى الجوزة، توضع فيها البندقة عند الرمى. ويشد الوتر ويترك فجأة فيقذف بالبندقة بقوة كبيرة لتصيب الهدف. ويلحق بالجلاهق كيس جلدي يسمى الجراوة يحمل فيه البندق، وهو بمنزلة الجعبة أو الكنانة من السهام. وقد استخدمت الجلاهق في الرمي على عهد الخليفة

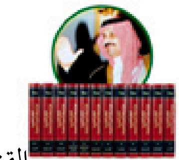


الراشد الثالث عثمان بن عفان #، ولما اشتكى له الناس أن البندق يصيب حمامهم، منع استخدامه داخل العمران في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولم يمنعه خارجه، وإذا كان الرامي به على مهارة وخبرة فإنه يصيب هدفه بدقة كبيرة، وقلما يخيب. وأثر البندق في الصيد شديد قاتل أحياناً كثيرة.

ومما أورده الباشا أنّ كشاجم قال إنه «رأى غير واحد يقول لصاحبه إذا مرَّ الرف من الطير: أيُّها تحب أن أرميَه فأصيَبه؟، فيذكر واحداً من الطيور، فيقول له: فأيَّ موضع تحب أن أنال؟ فيعين له رأسه أو جناحه أو غير ذلك فيصيبه. وإنه رأى آخر يوقف غلاما له، ويجعل بين طرفي سبابته وإبهامه حلقة خاتمه، ثم لا يزال يرمي البندق في حلقة الخاتم، فتخرج منها دون أن تمس كف الغلام. كما روى عن بعض الثقات أنه أخبره أن رجلين من أهل البصرة كانا مولعين بالرمي بالجلاهق، فخرجا يوماً إلى بعض الأنهار، فإذا هما بأسد يساورهما، فلما أيقنا بالموت قال أحدهما لصاحبه: اكفني عينه اليمنى وأنا أكفيك اليسرى. فرمياه عن يد واحدة فأعمياه وسلما» (الباشا ١٩٨٣ً: ٨٦). ويشبه الرمي بالبندق أو الجلاهق، في دقته وشدة إصابته، الرمي بالبنادق الحديثة في العصر الحاضر.

وكان لرماة البندق في العصر العباسي زي خاص يمتاز بسراويل يلبسونها، ويسمونها سراويل الفتوة. ولما أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العباسي، المتوفي عام ٦٢١هـ، جعل لرمي البندق شأناً، وكان يلبس سراويل الفتوة. وقد بلغ من رغبته فيه، أن جعل رمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها، على أن يكون بينهم روابط وثيقة، وجعل نفسه رئيس هذه الطائفة، يدخل فيها من شاء ويحرم من شاء. وكتب عام ٦٠٧هـ إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته، أن يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها، وأن على من يرغب الانتظام في سلك هذه الطائفة، أن يأتي إلى بغداد فيُلبِسَه الخليفة السراويل بنفسه.

الزبطانة. وهناك آلة أخرى لرمي البندق أقل قوة من قوس البندق، يقال لها الزبطانة أو السبطانة وهي قطعة خشب مستقيمة اسطوانية مجوفة الداخل، كآلة النفخ أو الناي، يجعل فيها البندقة وتصوب إلى الصيد، وينفخ فيها بقوة فتنطلق وتصيبه، وأكثر ما يصاد بها الطيور الصغيرة.



الوهق. والوهق، بفتح الهاء وتسكينها، والجمع أوهاق، حبل يجدل من أشعار أذيال الخيل ويجعل في طرفه أنشوطة، ويرمى به، فتعلق الأنشوطة بعنق الطريدة وتؤخذ بها.

وأهل نهاوند وما يليها كانوا يصيدون الأسد بالأوهاق، وذلك بأن يقف على كلٍّ من جانبي الطريق أو الوادي رجل، بحيث يكونان متقابلين وفي يد كل منها وهق، فإذا مر الأسد رميا الوهقين رمية رجل واحد فيتعلقان بعنقه ويجذبانه معاً، كلٌّ منهما إلى جهته فيسقط على الأرض، يكاد يختنق، ويثبت مكانه فيؤخذ (الباشا ١٩٨٣: ٨٧).

الزبية. الجمع زباء بالمد والقصر، وهي حفرة تعمل في طريق الصيد تغطى بخصفة أو كرباس أي ثوب خشن غليظ، ويجعل على أطرافه أحجار صغار تثقله لكيلا يُطَيِّره الريح، أو يربط بحبال لطيفة ولا تعقد وتغطى بالتراب. وتجعل الزبية عادة على مكان مرتفع من الأرض حتى لا تمتلئ بمياه السيل. ومن هنا جاء وصف السيل الشديد الغامر بقولهم «بلغ السيل الزبى» أي عمّها وطمّها كناية عن كثافته. فإذا مر على الخصفة أو الكرباس ظبي، أو حمار وحشي، أو بقرة وحشية، أو ضبع فإنها تنزل به فيتردى في الحفرة. فإن كان مما لا يخاف منه الصياد نزل وأخذه، وإن كان مما يخافه فإنه يطعنه برمح، أو يرميه بسهم ليوهن قواه وينزل إليه ويذكيِّه. وقد يوضع بالقرب من الزبية حيوان صغير مما ترغبه الأسود، فإذا رآه الأسد أسرع إليه ليأخذه، فيسقط في الزبية ويؤخذ.

وهناك أنواع أخرى من الحفائر التي تستخدم لصيد أنواع معينة من الحيوان مثل الكمجة لصيد الثعالب والحبالة لصيد الظباء. ومنها القترة، والناموس، والقرقوص والزرنبة، وكلها حفر أو بيوت صغيرة يتخفى فيها الصياد ويدخّن على نفسه بأوبار الإبل لئلا تنفر الحيوانات عندما تجد ريحه، ومنها يصيد الطيور، ويرمي السباع والوحش، ويرقب الشباك والشراك (الباشا ١٩٨٣: ٩١-٩٢).

الشَرَك. والجمع شراك وأشراك، وقد يسمي الفخ، والجمع فخاخ وأفخاخ. وتصنع من الخشب أو الحديد، ويسميها البعض قاضوعة، ولها فكّان ينطبقان أحدهما على الآخر بقوة، يفتحان ويسندان بقطعة من السلك أو شظية خشب، وقد يعلق بها طعام مما يحبه الحيوان المرغوب صيده، وتوضع في طريقه، فإذا حاول الحصول على الطعام، أو مشى فوق الشرك انطبق عليه الفكان



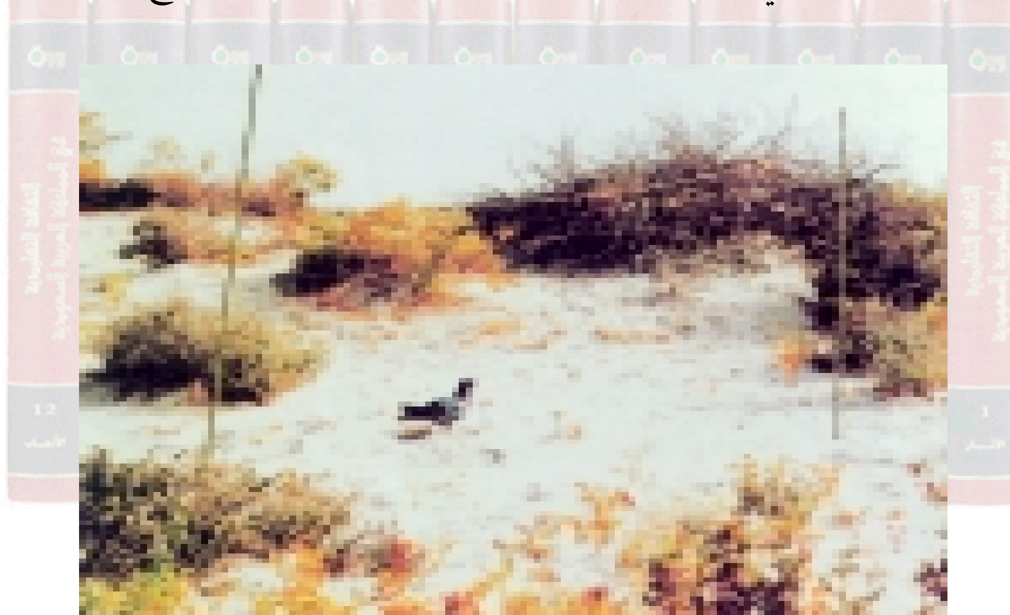
وأمسكا به. وقد ينطبقان على رأسه فيكسران عنقه، أو على رجله فيكسرانها، أو على ظهره إذا كان صغيراً فيكسران فقراته. ومن الأشراك ما هو صغير وكبير، بما يناسب حجم الحيوان المرغوب صيده وقوته، وقد عنى الشاعر الشرك في قوله:

فإن كنت لا أرمي الوحوش فإنني
أدُسُّ لها تحت التراب الدواهيا

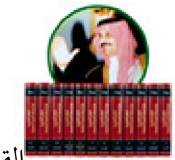
وتعتبر الشداخة التي كان يستخدمها الأجداد في الصيد من الأشراك، وهي تصنع من خشب الأثل، وتربط بحبل ويقوم بصنعها النجار الشعبي.

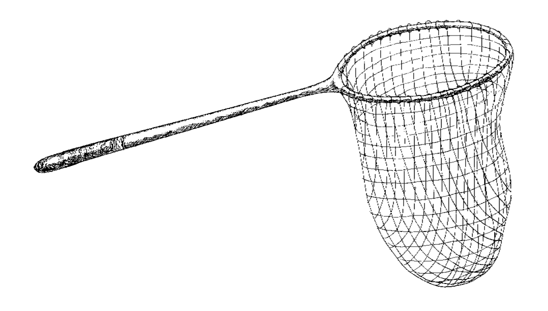
الشبكة. والجمع شباك وشبك. وتستخدم لصيد البر والبحر، وأكثر ما يصاد بها الأسماك في البحر، وكذلك الطيور. وهي حبال رفيعة، أو خيوط متينة من القطن أو الكتان أو الحرير، وتصنع حديثاً من النايلون والآلياف الصناعية، تتشابك وتتقاطع بعضها مع بعض، وتعقد لتكون عيوناً ضيقة أو متسعة، حسب نوع الصيد المرغوب، وتربط حوافها بأثقال حديدية إذا كانت لصيد البحر، أو أوتاد خشبية إذا كانت لصيد البر، حيث تشد إليها على الأرض. وتختلف الشباك عن الشراك في كونها ظاهرة غير مستورة.

وتنصب الشباك في المراعي المربعة، وفي الدروب التي تمر فيها الحيوانات الوحشية، وعند موارد المياه، ويغرى الصيد بالاقتراب منها بوضع ما يحبه من



صيد الصقور بالشباك





المخدجة

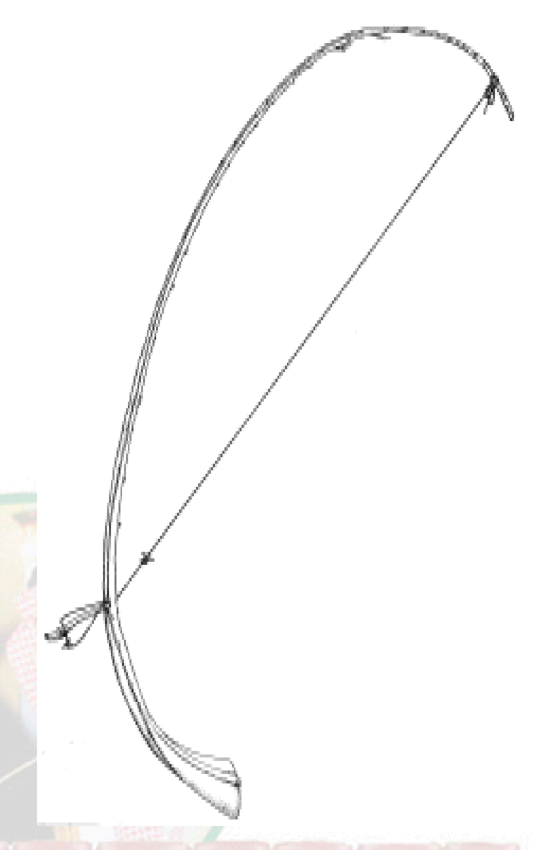
طعام عندها، لتقترب منها فيسقط في حبائلها، ولا يستطيع الفكاك منها. وقيل إن أول من صاد بالشبكة هو المتوكل، وقيل المعتصم. وكان للمستنجد بالله شبكة يصيد بها. وهي من أكثر أدوات الصيد استخداماً في صيد البحر من الأسماك، ولها أشكال متعددة وأحجام متفاوتة.

التدبيق. التدبيق هو عمل أعواد الدبق أو قصب الدبق. وهي قضبان من أغصان الشجر تطلى بالدبق، وهو حمل شجر في جوفه مادة شديدة اللصق كالغراء تستخرج منه وتطلى بها رؤوس الأعواد، وتنصب عند موارد المياه وغيرها من مساقط الطير، فتسقط عليها فتعلق بها، وكلما حاولت الفكاك منها ازدادت التصاقاً بها، وما يصاد بها هو صغار الطير. ويقال إن إبراهيم البازيار، وهو رجل من أهل البصرة في زمن الرشيد، هو أول من دبَّق، وكان يصيد جميع الطير بعيدان الدبق، فانتشر خبره حتى بلغ الرشيد فضمه إليه ورفع منزلته لمعرفته بالصيد وخبرته به. يقال دَبَق فلان الطير ودبّقه تدبيقاً أي صاده بالدبق.

الزِّيقة. ويصاد بها الحمار البري (الفرا). وهي أن تؤخذ سلة تسع رأس الحمار ويجعل في عرضها طعام يحبه مثل الذرة وغيرها. وتعمل زيقة -تشبه الأنشوطة· على قدر فم السلة تنخرط وتربط بحبل قوي من السَّلَب أو القنب لا يقوى الحمار على قطعه، ويربط في أصل شجرة أو صخرة كبيرة أو وتد عظيم. فإذا أدخل الحمار رأسه في السلة مرت في الزيقة، وبعد أن ينتهي من أكله، ويرفع رأسه ينخرط الحبل على حلقه ويكاد يخنقه، ولا يستطيع منه الفكاك فيسرع إليه القناص، ليقيده ويفك الحبل عن عنقه قبل أن يخنقه، أو يذكّيه ليحل أكله. وهناك نوع من الزيقة يعمل للهر للإمساك به.

المفقاس. هو فخ يتخذ من الطرف الدقيق الطري من جريدة النخلة. يربط في أعلاه خيط يمتد حتى ينفذ بتان منه في ثقب أسفل الجريدة، ويعقد الخيط عقدتين إحداهما قبل الثقب والأخرى في طرفه بعد الثقب وينفذ في كل عقدة

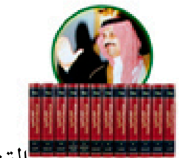




المفقاس

عويد يمنع الخيط أن يتجاوز مداه. وينصب الفخ بأن يغرس الجزء المتين منه على جدول الماء إلى قريب من الثقب. يشد الخيط بقوة حتى تتقوس الجريدة ثم يسد الثقب، لمنع انفلات الخيط، بعود كالغصن الصغير. يفرد بَتًّا الخيط على جانبي العود، فإذا وَقَع العصفور على العود ليشرب من الماء سقط العود فتحرر الخيط فتجذبه الجريدة بقوة ثم يطبَق بَتًّا الخيط على رجلي العصفور.

الحيل. تحايل الإنسان ما وسعه التحايل، وتفنن في إيجاد الطرق التي تسهل عليه صيد الطرائد التي يشتهيها بأقل جهد ممكن، فقد ورد في كتب البيرزة القديمة أن من ذلك الصيد بالصفير أو الغناء، وكل ما من شأنه تطريب الحيوان وإشغاله عما يدور حوله، فهناك من أنواع الصيد ما يستهويه الغناء الجميل، ويشده الصفير الحسن، وهو لا ينام ما دام مشغولاً بسماع ذلك، فإذا أراد الصيادون صيده شغله أحدهم بالصفير أو الغناء، وأتاه الآخرون من خلفه وانتظروا حتى تسترخي أذناه من انتصاب مما يدل على أنه مشغول بسماع الغناء مأخوذ به، فيلقون عليه ثوباً أو نحوه ويقيدونه ويأخذونه، أما إذا كان لا يزال منتصب الأذنين فمعنى ذلك أنه ما زال يقظاً فيكفون عنه وينتظرون غفلته (الباشا ١٩٨٣: ٩٠). ويفعل صيادو السمك مثل ذلك بأن يتخذوا حظائر لهم، ويضربون عندها بعصى معهم ويعطعطون، فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار، مصغية إلى تلك الأصوات حتى تدخل هذه الحظائر، وتحبس فيها وتمسك. وتضرب الطساس للطير وتصاد وكذلك يضرب بها للأُسْدِ وقد أقبلت، فتروِّعها تلك الأصواتَ



ويسهل مسكها. وكذلك تصاد الأيائل بالصفير والغناء حيث يشغلونها بها حتى تنشغل فيمسكون بها من خلفها. ويصاد الفهد بالغناء، كما يصاد به القبج بجميع أنواعه.

ومنها الصيد بإيقاد النار، ولا يكون ذلك إلا للنعام والظباء، فإنها إذا رأت النار دهشت، ولا تزال تتأملها، وتمعن النظر فيها حتى تغشى أبصارها، وتذهل عقولها وتفتر وتضعف عن الحركة، وتتسمر في مكانها، فيتمكن منها الصائد ويأخذها سهلة. ويزاد فعل النار بتحريك الأجراس، مما يذهب بلب الحيوان ويعجزه عن الحركة والشعور بما يجري حوله. ويبدو أن وسائل الصيد هذه هي وسائل تاريخية قديمة لم تعد تستخدم في الوقت المعاصر.

ومنها الصيد بالبنج والمخدرات والمسكرات حيث يجعل البنج في العجين، ويطرح في طريق الصيد، أو ينقع في الماء الذي ترده الطيور والحيوانات الأخرى، فتأكله أو تشرب من الماء، وتفقد توازنها وتؤخذ، وكذلك يستخدم الخربق، وهو نبات بري يسبب الإسهال الشديد للحيوان، فيضعف قوته ويسكن حركته، واليبروح أو اللُّفاح، وهو نوع صغير من البطيخ يشبه الأكر، يبلد وينوم، ورائحته طيبة حتى لقد سماه بعضهم تفاح الجن.

ومما تصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فتقطع قطعاً، ثم تشرح وتكتل كتلاً، ثم تؤجج نار في غائط من الأرض تقرب منه السباع، وتقذف فيها هذه الكتل واحدة بعد الأخرى، حتى ينتشر دخان تلك النار ورائحة تلك الكتل في تلك الأرض، ثم تطرح حول النار قطع من لحم جعل فيها الخربق الأسود والأفيون، وتكون النار في موضع بحيث لا تراها فيه السباع، فتقبل مشدودة بريح تلك الكتل وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويغشى عليها، فيأخذها الصيادون الكامنون لها.

وتصاد الطيور والدجاج البري بإذابة الحلتيت في الماء، ثم يجعل فيه شيء من عسل، وينقع فيه بُر يوما وليلة ثم يلقى إلى هذه الطيور، فإذا لقطته تحيرت وغشي عليها، فلا تقدر على الطيران إلا أن تسقى لبنا خالطه سمن. وكذلك يعجن طحين بُرٍّ غير منخول بخمر، ثم يطرح للطير والحجل، فإذا أكلن منه تحيرن وأخذن. وقد يوضع في مواقع الكراكي وأشباهها من الطير إناء فيه خمر، ويجعل فيه خربق أسود، وينقع



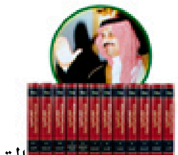
فيه شعير ثم يلقى إليهن، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء. ومنها نشر الخرق السوداء في مراتع النعام ومرابعها، حتى إذا ألفتها ولم تنفر من وجودها، لبسها الصياد وكمن لها حتى يمسكها.

ويصاد البَبْر، وهو وحش ضار شديد المراس من فصيلة السنانير، بأن تسرق جراؤه، وهو بها شديد الولع وعليها عظيم الحرص، ثم تحمل في أمثال القوارير من الزجاج، ويركض بها على الخيول السوابق، فإذا أدركهم أبوهم رموا إليه بقارورة منها فانشغل بالنظر إليها وإعمال الفكر في إخراج جروه منها، فيفلت الصيادون بباقيها ويربونها فتألف وتأنس.

ويصاد العقعق بأن تنصب له شبكة ويشد فيها سنور أبلق شديد الشبه به، فإذا وقع في الشبكة تهافتت عليه سائر العقاعق وترامت في الشبكة وصيدت جميعاً.

ومن ذلك تقليد صوت الحيوانات، فالدراج يصاد بصفير يصدره الصائد ليشبه صفيره، كما يقوم الصيادون بإطلاق أصوات تشبه الأصوات التي تطلقها إناث الحيوانات، التي يريدون صيدها، في فصل التزاوج، فتسمعها الذكور، فتخرج من مراقدها متجهة نحوها فيأخذها الصيادون الكامنون لها على غرة. وقد تقلد أصوات الذكور التي تدعو بها الإناث للتزاوج، فتسمعها الذكور الموجودة في المنطقة، وتظنها ذكوراً قد اعتدت على حرمة مناطق سيادتها تروم إناثها، فتهب لقتالها، وتخرج من مكامنها، فيتلقاها الصيادون الكامنون لها. وقد طورت هذه الطريقة القديمة في العصر الحالي بتسجيل أصوات الحيوانات نفسها وإطلاقها، فيغني ذلك عن التقليد وتصبح الأصوات حقيقية (الباشا ١٩٨٣: ٢٤٥).

ومنها التخفي بأقبية اللباد، وهو شعر أو صوف كثيف ملبد، يتخذه الصيادون أكسية مضاعفة لهم تسترهم من السباع، وتقيهم أذاها، فيرتدون هذه اللبابيد ويخرجون لصيدها، ويكمنون في طريقها فإذا مرت بهم رموها بالأوهاق فتعلق بأعناقها، أو ألقوا عليها أثواباً غليظة تغطي وجوهها، وتشل حركتها، ومن ثم يمسكونها ويقيدونها ويأخذونها. وقد روي أن بعض الأعراب ألَمَّ ببيت فإذا فيه عجوز فسألها: هل من قِرًى؟ فقالت: أنْظِرنا ولك الخير، فلم يلبث أن جاء ابن لها وعليه لبابيد مضاعفة، وهو يحمل نمراً عظيماً فطرحه على الأرض، وقامت العجوز فأخرجت من النار سفوداً فأولجته في إست النمر، فعج عجَّة عظيمة ثم هدأ، فكشطوه فأكلنا منه حتى امتلأنا



وبتنا في خصب. وإنما فعلت العجوز ذلك ليسلم لها الجلد (الباشا ١٩٨٣ : ٨٩) ويبدو أن ذلك قد حدث في زمن الجاهلية لأن النمر من اللواحم لا يحل أكله.

وتصاد العصافير بأبسط حيلة، حيث تؤخذ شبكة في صورة المحبرة، ويجعل في جوفها عصفور، فتنقض عليه العصافير وتدخل إليه، فما دخل منها لم يقدر على الخروج ثانية، فيصيد الرجل منها ما يشاء وهو وادع. ويصاد طير الماء بالقَرَعَة، وذلك بأن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة، فيلقى بها في الماء فتتحرك بتحرك الماء، فإذا أبصرها طير تتحرك فزع، فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها. ثم تؤخذ قرعة مثلها فيقطع رأسها، ويفتق فيها موضع عينين، ويدخل الصائد رأسه فيها، ويغطس تحت الماء ورأسه داخل القرعة فوق سطح الماء، ويمشي رويداً، وكلما دنا من طائر مد يده خلسة تحت الماء فقبض عليه، وغمر يده به تحت الماء وكسر جناحيه وخلاَّه، فيبقى طافياً فوق الماء يسبح برجليه، ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا تنكر انغماسه في الماء وسباحته فيه، فإذا فرغ الصياد من صيد ما يريد، رمى بالقرعة وجمع صيده والتقطه وذهب به.

رحلات القنص قديماً وحديثاً

شُغف عرب الجزيرة العربية بالصيد والقنص منذ القدم، ومارسوا هذا النشاط تسلية ومعاشاً، نظراً لحاجتهم الماسة إلى الغذاء.

كانت الظروف المعيشية القاسية، تضطر بعض الناس من الحضر والبدو، ممن لا يمتهنون التجارة أو الفلاحة أو الرعي إلى اللجوء إلى الصيد والقنص لتوفير الطعام والكساء لأسرهم، ولإكرام الضيف.

وكان الصيادون أو القنوص، كما يطلق عليهم عادة في اللهجة الدارجة، يخرجون بأدواتهم وأسلحتهم، فرادى وجماعات، سواء على أرجلهم أو راكبين مطاياهم أو خيولهم إلى مواقع الصيد القريبة في البر أو الصحراء، لقنص الطيور والحيوانات الصغيرة والكبيرة.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يعرفون معنى الحماية وجدواها حيث يتجنبون الصيد الجائر، ويستثنون صيد الإناث وخاصة في مواسم التكاثر، فإنهم بسبب حاجتهم أحياناً إلى لحوم الطيور والطرائد لسد رمق من يعولونهم، كانوا في سنوات الجدب والجوع، يصيدون كل ما يصادفونه في طريقهم من صيد، فلم يكن لديهم فرصة اختيار أو انتقاء أو



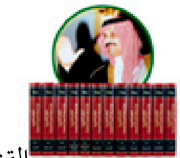


رحلة صيد قديمة

توقيت الصيد، ولم يكن لديهم فرق بين الصيد الصغير والكبير، ولا بين السمين والهزيل، فالمهم هو أن يعود القانص بشيء من الصيد بدلاً من عودته إلى أهله صفر اليدين. ومع كل هذا الحرص فقد كان الصيد دائماً قليلاً، لندرة وجود الطير أو الحيوان في المناطق الصحراوية الفقيرة بالماء والنبات، ولمشقة صيده بالأدوات والأسلحة البدائية في ذلك الوقت.

وجدير بالذكر أن أولئك القنوص القدامى -من الفقراء ومتوسطي الحال- في الجاهلية، وإن كانوا يخرجون طلباً للصيد في رحلات جماعية أو حملات، إلا أنهم لم يكونوا يصطادون بطريقة منضبطة منظمة، أو بروح الجماعة، بل كان كل واحد يصيد بمفرده، مما يجعله يخفق في الظفر بطريدته، نتيجة الفوضى والعشوائية وعدم التعاون، وكان ذلك مما يجعل بعضهم يتخلف عن العودة إلى أهله خجلاً منهم، بينما يعود القانص المحظوظ بصيده إلى أهله مسروراً متباهياً بمهارته في الصيد والرمي والطرد، وكل ذلك من صفات وضروب الفروسية عندهم.

ومن ناحية أخرى، كانت هناك في الجاهلية مقابل رحلات الصيد التي تقوم بها فئة من القنوص الفقراء، رحلات صيد خاصة يقوم بها علية القوم



والأثرياء وبعض الفرسان المشهورين، حيث يمارسون الصيد والقنص هواية ورياضة واستجلاباً لبهجة النفس، ويرون في ذلك نوعاً من التباهي والمفاخرة، ودليلاً على احتمال الصعاب والمغامرة والجرأة والشجاعة. وعن هذا المعنى عبّر امرؤ القيس في معلقته في قوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ

إلى أن يقول:

كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مرجّلِ

فعنَّ لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيّلِ

فادبرن كالجزع المفصّل بينه
بجيد مُعِم في العشيرة مخولِ

فالحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها في صَرَّة لم تزيَّلِ

فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكاً ولم ينضح بماء فيُغسلِ

فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ
صفيف شواء أو قدير معجَلِ

ولا شك أن رحلات الصيد وحملات القنص التي كان يخرج فيها السادة والأمراء والموسرون تختلف عن تلك التي يخرج فيها الفقراء، من ناحية الإعداد للرحلة والتجهيز ووسائل النقل وتوافر الزاد والأسلحة واصطحاب الخيام، ومدة الرحلة، وما إلى ذلك من لوازم ومتطلبات المتعة والسرور.

كانت رحلات القنوص الموسرين منظمة، ولها مواسمها المعروفة، أي حين يكون الصيد وفيراً وسميناً. وكانوا يستخدمون الإبل للنقل، والخيل للمناورة والطراد، وكانت أسلحتهم الحراب والقسيّ والسهام والرماح، كما كانت مدد رحلاتهم طويلة تستمر أياماً وأسابيع، وكانوا يصيدون بالصقور والشواهين وغيرها من الجوارح، إضافة إلى الصيد بالضواري (كلاب الصيد والفهود المدربة). ولم يكن جل هدفهم من تلك الرحلات أكل لحم الصيد، بل التباهي والتفاخر ببراعتهم في فنون الفروسية مثل السباق ودقة الرمي والتصويب، وكثيراً ما كان بعضهم يتحول عن صيد الجوازي (المها والظباء والوعول) إلى صيد الكواسر لإظهار جرأته وشجاعته، إذ إن صيد النمور والأسود ومطاردتها ومهاجمتها كان هدفاً رئيسياً يجلب لهم الشهرة والهيبة والاحترام بين قبائلهم والقبائل الأخرى. ومما يذكر أن حمزة بن عبدالمطلب، عم النبي عليه الصلاة





القنص على ظهور الخيل

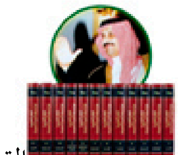
والسلام، كانت هوايته صيد الكواسر المفترسة حتى عرف بصائد السباع أو صائد الأسود.

وقد اتصل خروج العرب في رحلات الصيد والقنص في الجاهلية ثم في الإسلام، ومن العرب تعلم الفرس هواية الصيد بالصقور المدربة، وأساليب مطاردة الصيد ثم زادوا فاستخدموا العربات التي تجرها الخيول في صيد الأسود، وكأنهم في ساحة حرب حقيقية. ومن شدة ولعهم بالصيد، صنعوا الدروع والكؤوس الذهبية وحفروا عليها صور الفرسان والمها والأسلحة المستخدمة في الصيد، فهذا أبو نواس أحد شعراء العصر العباسي يصف في إحدى قصائده كأساً فارسية، حيث يقول:

تدار علينا الراح في عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارسُ

قرارتها كسرى وفي جنباتها
مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارسُ

ونجد كثيراً من الأخبار والأشعار عن رحلات الصيد والقنص عند المسلمين في العصرين الأموي والعباسي. وكان كثير من الخلفاء والولاة وذوي اليسار يقومون بتلك الرحلات من أجل المتعة ولذة النصر التي يجدونها في الصيد والطراد. كان من عادتهم اصطحاب بعض الشعراء المشهورين بالوصف والمنادمة، مما كان يضفي على تلك الرحلات جواً أدبياً شاعرياً في أوقات الراحة واللهو بعد الصيد والمطاردة، ونتيجة لذلك شاع غرض جديد من



أغراض الشعر عرف بـالطرديات، ومن أشعار المنادمة والمـفاكهة ما قاله الشاعر أبو دلامة في رحلة صيد بصحبة الخليفة المهدي:

قـد رمـى المـهـديُّ ظـبـيـاً
شـك بـالـسـهـم فـؤاده
وعـلـيُّ بـن سـلـيـمـا
ن رمـى كـلـبـاً فـصـاده
فـهـنـيـئـاً لـهـمـا
كـل امـرئٍ يـأكـل زاده

ولا تزال تمارس فـي المملكة أربعـة أنواع مـن رحلات الصـيد والـقنص، أشهرها وأهمها تجهيزاً واستعداداً ثلاث رحلات أو حملات هي: رحلات صيد الحـباري، ورحـلات صيـد الـظباء، ورحلات صـيد الوعـول. أما الرحـلة الرابعة فيقوم بها البدو عادة في جماعات صغيرة وفي مناطق ضيقة لوقت قصير، ويستخدمون الصقور والكلاب السلوقية في الصيد، إضافة إلى بعض الأسلحة، ولا يكـون الصيد فـي تلك الرحـلات مقتصـراً على نوع معين من الطـيور أو الحيوانات وإنما يكون عاماً يشمل الطيور والحيوانات الصغيرة والكبيرة، وغالباً ما يكون الـنوع الرابع من الرحـلات فقير التجهيز والإعداد، وهدف القنوص من الرحلـة هو الحصول على لحـم الطيور والحيوانات واستهلاكه في موقع الصيد، أو العودة ببعضه طازجاً أو قديداً.

وتجدر الإشارة إلى أن رحلات الصيد والقنص في المملكة قد قلت نسبياً، قياساً على ما كانت عليه في الماضي لأسباب عديدة منها:

١) أن المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٤هـ بدأت تولي عناية خاصة بالحفـاظ على الحياة الفـطرية الحيوانـية والنباتية إذ أنشئت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، ومن جراء ذلك حددت مناطق محمية عديدة يحظر فيها الصيد حـظراً تاماً، ومن هنـا تقلصت المناطق المـفتوحة التي كان يمـارس فيها الصيد.

٢) وضعت المـناطق المحميـة تحت الحراسة والرقابـة الشديدة، وعين عدد من الجوالة الذيـن مهمتهم منع الصـيد في المناطـق المحمية والقريـبة من المدن والقرى، والإبلاغ عن كل مخالف لنظام الصيد.

٣) وضعـت بعـض القـيود علـى استعمال الأسلحة الحديثة المستخدمة في الصيد، حيث جاء في المادة التاسعة من اللائحة التنفيذيـة لنظام صيد الحيوانات والطيور البرية ما يلي «يـحظر استعمال بنادق الرش (الـشوزن) وأي أسلحة أو



وسائل تؤدي إلى اصطياد أكثر من حيوان أو طير دفعة واحدة، ويجوز الصيد بما عدا ذلك مثل الصقور وكلاب الصيد» (الطريف ١٩٩٦: ٦٨).

٤) تحديد مواسم معينة يسمح فيها بالصيد ويعلن عن بدايتها ونهايتها، وذلك لايجاد الفرصة لتكاثر الحيوانات والطيور ومنع الصيد المستمر والجائر.

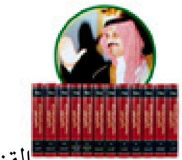
ولا شك أن هناك أسباباً أخرى قللت من رحلات أو حملات الصيد، هي أن الرخاء الذي عم المملكة لم يجعل القنوص بحاجة ماسة إلى لحم الصيد، ومن ناحية أخرى أن رحلات الصيد في الآونة الأخيرة أصبحت مكلفة نظراً لارتفاع أثمان صقور الصيد إلى مبالغ خيالية أحياناً، ولأن هواية الصيد اقتصرت على القادرين على تجهيز هذه الرحلات بالسيارات الحديثة والخيام والخدم، وكل ما تتطلبه هذه الرحلات من صهاريج ماء وثلاجات وأجهزة تبريد لحفظ لحوم الطرائد.

أما الصياد نفسه فأكثر ما تحدث عنه الشعراء الشعبيون في العصور المتأخرة، فذكروا شغفه بالصيد ومعاناته وإهدائه الصيد ومبادلته. قال سالم الحميد:

ياعبيد أنا صيد الخلا مشتقي به
ربيع قلبي طردهن باللواهيب
يابندقي لا تفرسين الضريبه
بس الزعل لا توسّعين المضاريب



حملة قنص



مشتقي بـه: مولع به، اللواهيب: شدة الحر، الضريبة: الصيدة، الزعل: الـغضـب. وقـال فرج بـن خربـوش الشمري:

يـاناقـل البـارود يـامهـدي الصيد
ثـلاثـةٍ مـن دونـهـم لا تـردّه
اللـي قنص بالحـر ياكل مـن الصيد
والتـبع مـا هو مـعجـبٍ من يـهده

التبع: أردأ الـصقور، يهده: يرسـله للصيد. وقال عبدالله بن حمود بن سبيل:

بي ولـعة الصـقار عدي وتـصاويت
والا رضـيـع الديـد يـذكـر لـباتـه

ولعة الصقار: شدة ولعـه بالصيد، تصاويت: نداءه لصقره، الديد: الثدي.

وقال ابن سبيل أيضا:

والـى ومـره الله يـردّه ويـثـنـيـه
أرخـى لـثامـه لـين تـبدي ثـمـانـه
ريـعت لـه تـريـيع طـيـرٍ لـراعيـه
لـى شاف نـسره وجـهـره بنـدبانـه
ومن الحـرص جودّ سبـوقه برجـليه
ومـبرقـعـه عن نـوزتـه وكفـخـانه

ريعت: عدت، نسره: العـلف من اللحـم يرفعه له، ندبـانه: مناداته له، السبـوق: رباط الطير، الـبرقع: غطاء الرأس والعينين، نوزته: قفزه، كفخانه: نزعه للطيران. وقال سلطان بن محمـد بن نمر القحطاني:

واقنص بفرخ الحـر لى صرت قانص
حـتى تـعـوّد حـايزٍ مـن حـبـارها

وقال سرور الأطرش:

لى ضاق صـدري رحت يم الخميـله
قعـدت بالمـرقاب لاجل الـضواحـي
والاه فـي عيـنـي تلـوح الجـميـلـه
وإلى الـسما مع كـل الآفاق صاحي
يوم اقـبلت ترعـى الحيا مـع مسيـله
بـدّلت عـقب الـدلبـحه بـانبـطـاح
بالـكف حسـنا عوق تيـس الجميـله
وقلـطت لـلمشـقاص جـمر ذحـاحِ

الخميله: الأرض المستـوية المنخفضة فيـها مرعـى، المرقاب: ما يـراقب منـه ويشرف، الجميله: المجموعة من الظباء، الدلبحه: سير الرجل حانياً ظهره متخفياً، الانبطاح: سحب نفسه على الأرض لزيادة التخفي، حسنا: اسم بـندقيته، قلطت: قدمت، المشقاص: حديدة معقوفة بمثابة الزناد في نوع الـبندقية أم فتيل، يـوضع بطرف هذه الحديدة التي تلامس الحوض الصغـير الذي توجد به كـمية من الملـح متصلاً عبر قناة ضيقة بالذخيرة في بطـن البنـدقية ومتى لامـست النار الموضـوعة بطرف هذه الحديدة الملح الـذي بالحوض اشتعل وانتقل لاشتعال إلى الذخيرة داخل البندقية وثارت البندقية وانطلقت القذيفة، وهذه البندقية كانت مستعملة بفعالية قبل





أم فتيل

مائة سنة وبقيت مستعملة بدرجة ثانوية إلى عهد قريب لصيد الطيور، والجمر الذحاح: شديد الاتقاد والتوهج، والذحاح من الملح: شديد التركيز، والموت الذحاح شديد الفتك.

أما البندق وهي أداة الصيد التي حلت محل النبال وصارت المفضلة على كل سلاح منذ أن انتشرت بأيدي الناس منذ أكثر من قرن مضى فقد ذكرها الشعراء وامتدحوها. قال فراج بن ريفه القرقاح القحطاني:

لي بندقٍ ما صنعها الصانع الثاني
من دقة المارت نحّالٍ مقاضبها
أضرب بها الوعل لى جا له تهنفال
أبو حنيّه كبير الراس شايبها
ذبحت عشرٍ بها والظل ما زال
والحاديه روّحت تلثع مضاربها

دقة المارت: المارتين نوع من البنادق، مقاضبها: مقابضها، تهنفال: المشي متبختراً، أبو حنيه: يقصد قرنه المنحني، تلثغ أو تلثع: أي يخرج منها الدم.

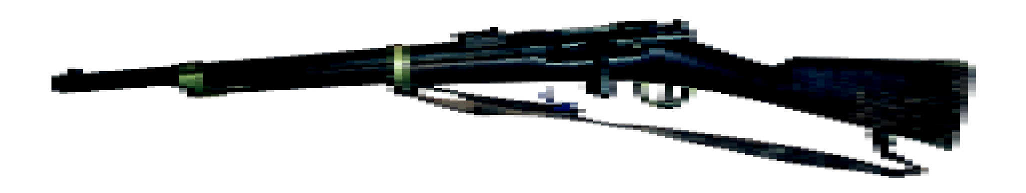
وحينما انتشرت هذه القصيدة قال على منوالها عدد من الشعراء فتداخلت تلك القصائد وصار كل يعزو بيتاً أو أبياتاً لشاعر من الشعراء. قال العطيفي العنزي:

لي بندقٍ رميها ماضٍ له افعال
ومخضّبٍ عقبها من لفظ شاربها
عدلٍ نظرها جديده كنه ريال
كن الحيايا تلوّى في مقاضبها
يشّرتهم بالعشا من عقب مقيال
القايده مع مرد الكوع ضاربها

مخضب عقبها: من عادة بعض الصيادين أن يضع من دم الصيدة وريشها إن كانت من الطيور على جانب عقب البندقية، شاربها: فوهة قصبتها، كنه ريال: أي صاف نقي، كن الحيايا: يعني فيها نقوش كأنها الحيات، مقيال: مضي وقت القيلولة، مرد الكوع: يعني المرفق والضربة فيه تصيب القلب. وقال بشير بن عبدالله النصار التميمي:

امهات اصبعٍ للروح نزاعه
مع خطاة الولد تبعد مراميها





أم اصبع

أم أصبع: نوع من البنادق لها مثل الأصبع يحرك عند تعبئتها بالذخيرة، خطاة وخطو: بعض، الولد: الرجل. وقال خضير بن عيادة الصعيليك:

كالنبل كالبابور عجل التواثيب
كالبرق كالقبسون عجلٍ مثاره

النبل: النبال، البابور: القطار، القبسون: نوع من البنادق وهي نوع مطور من ذات الفتيل حيث استبدل بجهاز الفتيل الزناد، وقد استخدمت قبل مئة سنة ثم تحول استعمالها لصيد الطيور حتى عهد قريب حينما ظهرت البندقية ذات الخرطوش لصيد الطيور. وقال إبراهيم بن هويدي الدوسري:

يابندقي ياللي بها طمغة الريش
مسلوبة العرقوب صمعا طويله

طمغة الريش: وضع جزء من دم الصيدة وريشها على جانب عقب البندقية، صمعا: نوع من البنادق جاءت في سلسلة أنواع البنادق وهي ذات ذخيرة مفردة جاءت قبيل أو بعد ذات الأصبع.

ويختلف حجم حملات الصيد في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي اختلافاً كبيراً. إذ نجد حملات الصيد الكبيرة ذوات الاستعدادات الخاصة التي تضم المشتركين في الرحلة من مدربين وخدم وأعوان، يقومون على الصقور والكلاب السلوقية ويعتنون بشؤونها، أما أهل البادية الذين يسكنون الصحراء فيخرجون إلى الصيد بفرق متواضعة في العدد والعدة، بل لا يتعدى ما يخرج به الصياد صقراً وكلباً أو صقرين وكلبين ورفيقاً أو اثنين. وفي العادة فإن الصقور والكلاب في هذه الحالة تعيش مع الصياد في خبائه كجزء



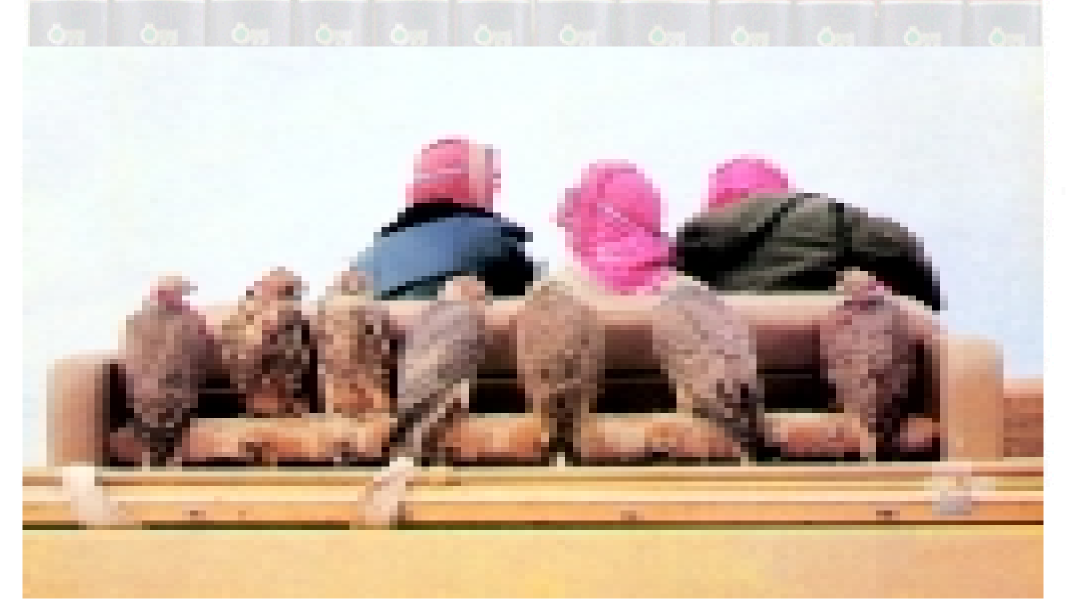
تحرك حملة الصيد



من أهله. وجاء في المثل الشعبي قولهم «لا بد للقناص من رفقة الكلب»، أي أنه أحد أدواته ويعني اصطحاب الرفيع للوضيع.

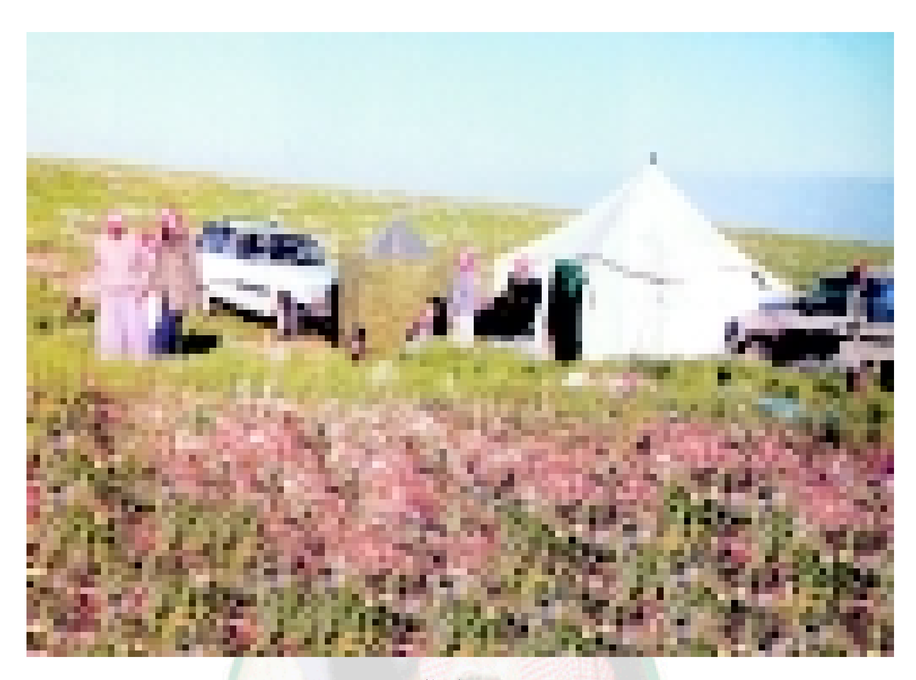
ومن الملاحظ في الوقت الحالي أن كثيراً من حملات الصيد الكبيرة لا تستخدم الكلاب السلوقية، لأن القنوص يعمدون إلى صيد الحباري فقط دون الأرانب. وأصبح اصطحاب الكلاب السلوقية مقصوراً على الصيادين الصغار من أهل البادية، الذين ما زالوا يقنصون الأرانب والحباري في الوقت نفسه كالسابق.

وتتشابه حملات القنص بعضها مع بعض من حيث تنظيمها والإعداد لها، والعدة واللوازم التي تحملها، والسيارات التي ترافقها. ولا يكون الاختلاف بينها غالباً إلا في الحجم وعدد الرجال والصقور والكلاب والعتاد. ففي حملات الصيد الكبيرة قد يصل عدد الرجال إلى خمسين فرداً أو يزيد. وهؤلاء تصحبهم الناقلات الثقيلة التي تحمل المؤن والخيام والمياه واللوازم من أسلحة وبرادات ومولدات الكهرباء والوقود وغيرها. وتنطلق الحملة عادة حتى تصل إلى وجهتها والمنطقة التي سيتركز فيها نشاطها للصيد والقنص، فتخيم في مركز متوسط منها بحيث تنصب فيه الخيام الكبيرة وتشغل مولدات الكهرباء للإنارة وكذلك المبردات المستخدمة لتجميد الطرائد بعد تذكيتها



القناصة أثناء رحلة الصيد ومعهم بعض الصقور واقفة على الشبة





مخيم رحلة الصيد

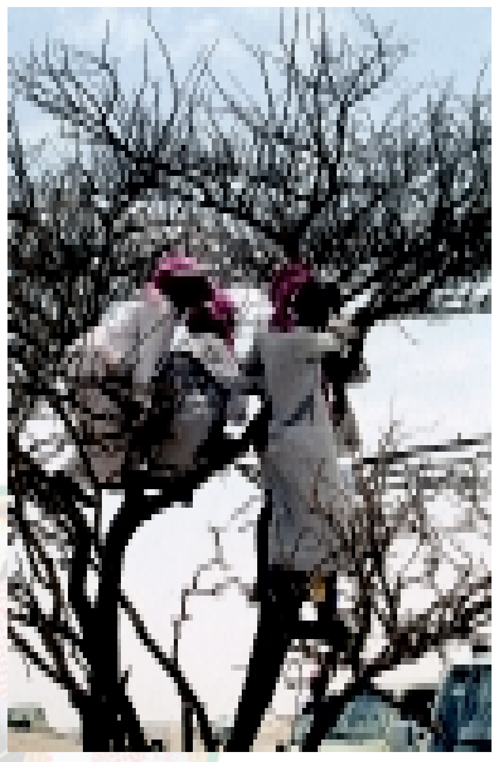
وحفظها مجمدة، وتقف حولها الناقلات الثقيلة، ويعين لها الحراس والخدم. ويتحرك القناصون في مجموعة واحدة أو أكثر في السيارات ذات الدفع الرباعي القوية المكشوفة المجهزة بوسائل التعرف على المواقع في الصحراء، ومعهم أسلحتهم، وصقورهم يحمل بعضها الرجال على أرساغهم، وبقية الصقور تكون على الشبه في مؤخرة السيارة. والشبَّه عمود من الخشب ملفوف بالخيش توضع عليها الطيور لتجثم فوقها وهي مبرقعة، أي مغطاة عيونها بالبراقع، ومربوطة في الشبَّة التي تكون خلف الكرسي الأخير المجهز لثلاثة أشخاص، لتكون واقياً لها من الهواء عند المطاردة.

وتجوب الحملة المنطقة جرياً وراء الطرائد في دائرة يصل قطرها إلى مائة كيلومتر أو يزيد، حول مركز التخييم الذي كان يطلق عليه قديماً مصطلح



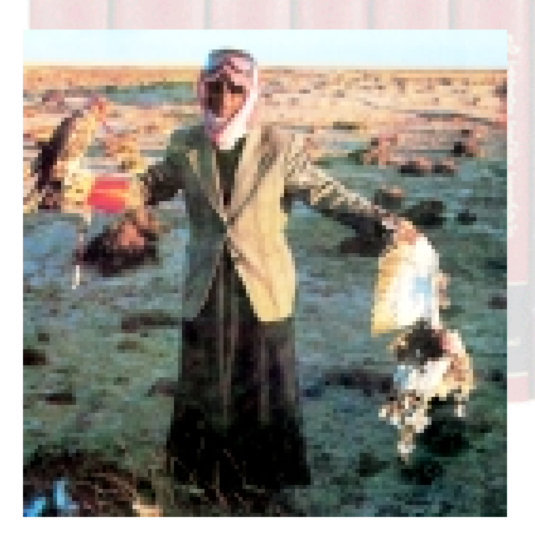
جانب من المخيم

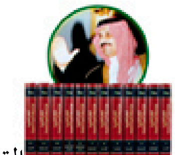



استكشاف المنطقة

العنَّه، ويسمى المخيم. ويمارس الرجال في هذه المجموعات رياضتهم ويجمعون صيدهم. وقد يمضون بعيداً عن المخيم ليلة أو عدة ليال، حيث لا يعودون إليه إلا للتزود بالوقود والمياه والمؤونة وتسليم ما تجمع معهم من صيد، ثم يعودون لممارسة الصيد من جديد. وتسمى الحملة التي يقضون معها أيامهم بعيداً عن المخيم بالعزبة حيث يعزبون إليها. وقد تستمر حملة الصيد شهراً أو أكثر. وبعض أفراد الحملة يستمرون طيلة موسم الصيد، لا يعودون خلاله إلى مدنهم وقراهم، أو قد يعودون مرة أو مرتين لفترة قصيرة، ثم يرجعون إلى الصيد مرة أخرى. وأفضل أوقات الصيد هو ما بعد الفجر وما قبل غروب الشمس، لأنها الفترة التي تمارس فيها هذه الصقور صيدها لفرائسها أصلاً وهي حرة المعيشة.

ويختلف الأمر كثيراً في حملات الصيد الخفيفة الصغيرة التي تضم بضعة رجال -وعدداً قليلاً من الصقور، أو من الصقور والكلاب- لا ترافقهم سيارات نقل كبيرة، وإنما يحملون معداتهم القليلة في سياراتهم ويرحلون من مكان إلى آخر وراء طرائدهم من الصيد، ولا يتخذون لأنفسهم مخيماً ينتشرون حوله ثم يعودون إليه.


استكشاف المنطقة



وكان الصيادون العرب قديماً يخرجون في رحلات صيدهم على ظهور الإبل والخيل، ومنهم من كانوا يخرجون راجلين ومعهم صقورهم وضواريهم. وكانوا يسلخون صيدهم ويشرِّحونه ويحفظونه قديداً. وكانت رحلات أو حملات الصيد والقنص في القديم لا تقطع مسافات طويلة، ولا يتعدى نشاطها ١٠كم في كل اتجاه، أي تغطي مساحة مائة كيلومتر مربع أو يزيد قليلاً. أما الآن ومع وجود السيارات القوية والناقلات الثقيلة، وإمكانية التزود بقدر كبير من المؤونة والوقود والمياه، ومع توافر مولدات الكهرباء والبرادات الكبيرة اللازمة لتجميد الطرائد بعد تذكيتها، فقد أصبحت حملات الصيد في المملكة تقطع القفار والوديان وتعبر الحدود إلى الدول المجاورة مثل العراق وإيران والأردن وسوريا، بل ومع توافر الإمكانات المادية انتقلت حملات الصيد الكبيرة لتمارس الصيد في بلاد أفريقية وآسيوية أخرى منها مصر والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان وإريتريا والحبشة والنيجر ومالي والصومال وباكستان وغيرها.



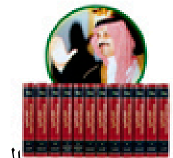


الصيد بالجوارح

أنواع الجوارح

الجوارح ومفردها جارح من جرح، وتعني عند العرب أمرين: الأول أحدث في جسمه شرخاً أي جرحاً بسلاح أو نحوه، والثاني كسب أو اكتسب، وقد جاء في محكم التنزيل قوله تعالى ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ (الأنعام: ٦٠) أي كسبتم، ومنه سميت الحيوانات المستخدمة في الصيد بالجوارح أي الكواسب، وهي المعلمة الصوائد لأهلها، أو قد تكون بمعنى التي تجرح فرائسها عند الإمساك بها. وتشمل بهذا المعنى أنواع الطيور الكاسرة والسباع الضارية التي تستخدم في الصيد. وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الجوارح، وعنى بها الحيوانات المستخدمة في الصيد جميعها من طيور وسباع، كما جاء في الآية الكريمة ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ (المائدة: ٤). وقد يستفاد من الآية الكريمة أن لفظ الجوارح يطلق على أنواع الطير والسباع غير المعلمة، التي تستخدم في الصيد بعد تعليمها وتضريتها عليه.

ويبدو أن هناك اتفاقاً بين علماء البيزرة والمؤلفين فيها على التفريق بين جوارح الطير وجوارح السباع حيث اختصوا الطيور الكواسر بلفظ الجوارح وأطلقوا على جوارح السباع لفظ الضواري، أي أنهم اختصوا بلفظ الجوارح ما يطير، واختصوا بلفظ الضواري ما يسير (الباشا ١٩٨٣: ٩٤-٩٥). وخرج عن إجماعهم صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب وأصل عنوان الكتاب هو نزهة الملوك والسادات بالطيور والجوارح والجياد الصافنات، ومؤلفه مجهول، إذ إنه أطلق مصطلح الجوارح على جميع ما يصاد به



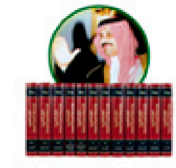
من أنواع الحيوان طار أو سار (الباشا ١٩٨٣: ٩٥).

وسوف نسير في هذا المجلد على ما اتفق عليه العلماء في التمييز بين الجوارح التي تعني كواسر الطيور والضواري التي تعني السباع المدربة على الصيد من الثدييات. وجوارح الطير على ضربين، فمنها العتاق أي الأحرار، ومنها البغاث وهي شرار الطير. والجوارح من الطير هو ما أكل اللحم خالصاً (الجاحظ ١٩٨٨، ج١: ٢٨-٢٩).

وأصناف الجوارح كثيرة وكذلك ألوانها وأصواتها وكبارها وصغارها وأحوالها مختلفات فمنها الصوائد لأنفسها غير المعلمة، ومنها المعلمة الصوائد لأهلها، وهي الجوارح أي الكواسب. والجوارح مفردها جارح وجارحة وهي من قولهم جرح واجترح أي كسب. أما بغاث الطير فهي لئامها وهي الغربان والرخم. قالت العرب بأمثالها «إن البغاث بأرضنا تستنسر» أي تصير كبيرة. ولعل المعنى أن البغاث تصبح كالنسور في أرضنا لدعمنا إياها. ويستحب في الجوارح كبر هاماتها، ونتوء صدرها، واتساع حماليقها، وقوة إبصارها، وحدة مناسرها، وصفاء ألوانها، ونعومة رياشها، وقوة قوادمها، وتكاثف خوافيها، وثقل محملها، وخفتها وثباتها، واشتدادها عند الطلب، ونهمها في الأكل.

تقسيم الجوارح عند البيازرة. اختلف علماء البيزرة في تقسيم الجوارح من الطير وتحديد أنواعها فقسّمها كشاجم، صاحب المصايد والمطارد، إلى أربع فصائل هي: البزاة، والشواهين، والصقور، والعقاب. وجعل تحت كل فصيلة من هذه الفصائل أنواعاً أوصلها جميعاً إلى ثلاثة عشر جارحاً، فجعل البزاة خمسة أصناف هي: البازي والباشق والبيدق والقيمي والزُّرَّق، وجعل الشواهين ثلاثة أصناف هي: الشاهين والأنيقي والقطامي، وجعل الصقور ثلاثة أصناف هي: الصقر والكونج واليؤيؤ، أما العقاب لديه فهو صنف واحد. ثم ألحق بهذه الفصائل الأربعة الزمَّج فصارت جملة الجوارح عنده ثلاثة عشر جارحا.

وقد سلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى مسلك كشاجم، غير أنه خالفه في التقسيم وأوصلها إلى خمسة عشر جارحا. وكذلك فعل صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب غير أنه خالفهما في التقسيم وأوصلها إلى نيِّف وعشرين جارحاً. أما صاحب كتاب البيزرة فعرضها على أنها أنواع مستقلة، وأوصلها



إلى تسعة جوارح (الباشا ١٩٨٣ : ٩٧-٩٨).

وأشهر هذه الأنواع الصقور. ويسمى الصقر صقراً لارتفاعه، فمادة سقر وصقر وزقر تدل على البعد، إما في الارتفاع أو في العمق، منها سقرته الشمس أي حرقته، والصاقورة هي السماء الثالثة. وقد عمم العرب القدامى لفظ الصقر فأطلقوه مجازاً على كل طائر يصيد ما خلا العقاب. وهذه الطيور هي البازي والشاهين والحر والباشق والبيدق والسقاوة والعوسق واليؤيؤ والزرّق وغيرها.

أما عند البيازرة من المشارقة كالعرب والفرس، وكذلك عند الإفرنج، فالصقور طائفتان: صقور وبزاة. فالصقور هي سود العيون، محددة الرؤوس، طوال الأجنحة، قصار الأرجل. والبزاة صفر العيون، مدورة الرؤوس، قصار الأجنحة، طوال الأرجل. كذلك قسم القلقشندي الجوارح إلى صقور وبزاة. وفرّق بينهما بأن الصقر ما كان أسود العين، والبازي ما كان أصفر العين على اختلاف المسميات. ثم قال: أمّا العقاب فإنه لا يعد لا في الصقور ولا في البزاة، وهو معدود في الجوارح، وفي الطير الجليل، واعلم أن الصائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع أجناس الجوارح هي الإناث، أما الذكور فهي ألطف في المقدار وأضعف في الصيد.

تقسيم الجوارح عند العلماء. طبقاً للتقسيم العلمي، تقع جوارح الطير التي استخدمها العرب في الصيد في عائلتين هما: عائلة البازيات أو العقابيات، وعائلة الصقور والشواهين.

وعائلة العقابيات والعقبان هي عائلة كبيرة الحجم تضم مجموعة كبيرة من جوارح الطير، تتراوح أحجامها بين الصغير والكبير، وتختلف في مظاهرها اختلافات واسعة. ويتبع هذه العائلة ٢٣٧ نوعاً من الطيور تقع في حوالي ٦٤ جنساً. ورغم الاختلافات الواضحة في مظاهر الطيور التي تتبع هذه العائلة، فإنها تتجانس من حيث شكلها العام وتركيبها الخارجي وعاداتها.

وتقع مجموعة البزاة والبواشق وأشباهها في ٥ أجناس، أكبرها هو جنس البزاة وتضم مجموعة البزاة والبواشق ٧٨ نوعاً، منها ٥٠ نوعاً من البزاة و٢٨ نوعاً من البواشق، تتوزع على جميع مناطق العالم القديم والجديد. كان يستخدم في الصيد منها قديماً ٤ أنواع فقط إضافة إلى نوع واحد من جنس الحدآت. كما كان يستخدم في الصيد من العقبان وأشباهها ثلاثة أنواع تتبع ثلاثة أجناس مختلفة.



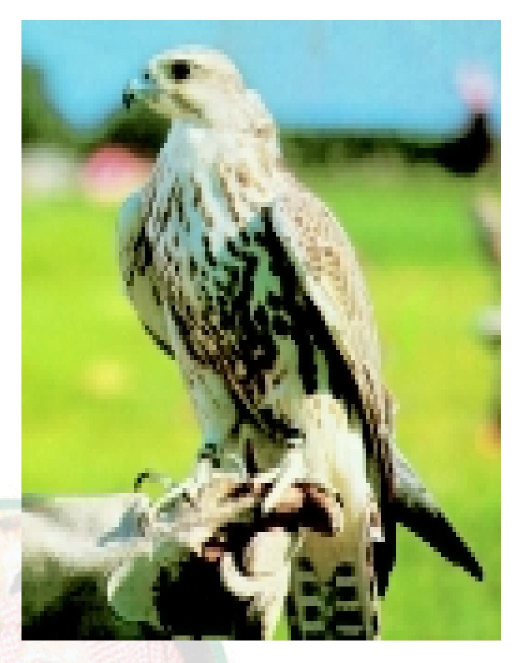
ويتميز جسم الطائر بصغر الحجم في البزاة والبواشق والحدآت، وكبره في العقبان وأشباهها من النسور. وعلى عكس الحال المعروفة في جميع أنواع الطيور بما فيها العقبان وأشباهها، وهي أن حجم الذكر فيها يكون عادة إما مساوياً لحجم الأنثى أو أكبر منه، نجد أنه في البزاة والبواشق ينعكس الوضع فتكبر الأنثى في حجمها عن الذكر بحوالي ١٠ إلى ٢٠٪.

والعنق في طيور هذه المجموعة يتميز بكونه اسطوانياً قصيراً عدا النسور آكلة الجيف التي يكون فيها العنق اسطوانياً طويلاً، يتكون من ١٧ فقرة عنقية مقابل ١٤ فقرة عنقية فقط في الأنواع الأخرى التابعة للعائلة. الأجنحة عريضة يتوافق شكلها مع وسيلتها للاقتيات من اقتناص الفرائس. وهي قصيرة مدورة في البزاة والبواشق، طويلة مدورة في الأنواع الأخرى، وأطول جداً، ومدورة في الحدآت وأشباهها. وتختلف في ذلك اختلافاً بيّناً مع مجموعة الصقور الحقيقية التي تكون أجنحتها مستدقة غير مدورة.

وقد حصر كشاجم في كتابه المصايد والمطارد أنواع البزاة التي تستخدم في الصيد في خمسة أنواع هي: البازي، والقيمي، والزُرَّق، والباشق، والبيدق (الباشا ١٩٨٣: ٩٨). أما عند علماء الطيور المعاصرين فإن البازي والباشق والبيدق والقيمي هي أربعة أنواع تابعة لجنس البزاة أما الزرّق فهو من الحدآت التابعة للجنس إيلانوس المعروفة باسم الحدأة السوداء الجناح وهذا النوع يتغذى على الحشرات والزواحف.

وتضم عائلة الصقور والشواهين طيوراً من الجوارح أصغر حجماً من العقبان والنسور، منها ما هو صغير الحجم، ومنها ما هو متوسط الحجم. تنشط نهاراً وتشمل نحو ستين نوعاً من الجوارح. وتتبع الصقور المستخدمة في الصيد والقنص جنس الصقور الذي يضم ٣٧ نوعاً من أنواع الصقور، يمكن تمييزها في أربع مجموعات للتبسيط هي: مجموعة العواسيق، التي تضم ١٣ نوعاً من العواسيق التقليدية، بالإضافة إلى ٤ أنواع من أشباهها من الصقور؛ مجموعة اليآيئ، التي تضم نوعين منها؛ مجموعة صقور الكونج، التي تضم ١٠ أنواع من صقور الكونج التقليدية، بالإضافة إلى نوعين من الصقور المشابهة، منها الصقر البهيم أو صقر الغروب المعروف في الجزيرة العربية؛ وأخيراً مجموعة الصقور الكبيرة، التي تضم ١٠ أنواع من الصقور تنفصل في فئتين: فئة الصقور الحقيقية، وفئة





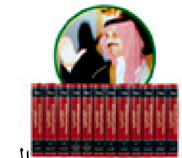
عرف العرب الصقور منذ أقدم العصور

الشواهين. وتشمل فئة الصقور الحقيقية صقور المنطقة الباردة الشمالية وصقور الصحراء وهي السنقر أو السنجاري والصقر الحر والوكري، وأنواعاً أخرى. وتشمل فئة الشواهين الشاهين، وشاهين المغرب أو شاهين البربر ونوعين آخرين.

وتشبه الصقور البزاة والعقبان بوجه عام في أن لها مخالب حادة مقوسة، ومناسر معقوفة، وبصر شديد الحدة، وطيران قوي مندفع، كما تشبهها في أن عظم الترقوة فيها منفصل عن عظم القفص وفي إسقاط ريش خوافي الجناحين. كما يتطفل عليها نفس الأنواع من قمل الريش وتختلف عنها في إسقاط ريش القوادم وفي أن معظمها له سِنّان في الفك الأعلى، توجد منها واحدة في كل شدق من الشدقين ويقابلها فجوة في الفك الأسفل وتُستخدم هاتان السِنّان في قتل الفرائس بالعض.

وتتميز الصقور بقوة الجسم ومتانته، بسبب التصاق فقرات الصدر بعضها ببعض، وقصر العنق. والأنثى فيها أكبر حجماً من الذكر، ويظهر ذلك بشكل خاص في أنواع الصقور التي تفترس الطيور، ويقل ظهوره في الأنواع التي تفترس الحشرات. والأجنحة فيها طويلة مستدقة الطرفين، وفي جناحها ١٠ ريشات من القوادم، ١١ ريشة من الخوافي. والذيل ضيق، متوسط الطول، به ١٢ ريشة ذيلية. والمناسر قصيرة شديدة الانعقاف، والعيون كبيرة حادة البصر جداً.

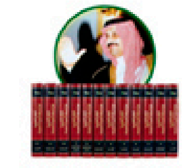
وللصقور -كما للبزاة والعقبان- طرق طيران مميزة لها منها الانزلاق وهو الطيران منطلقاً إلى الأمام مع انخفاض طفيف والجناحان منبسطان لا يتحركان، والتحليق أو التحويم، وهو الطيران في دوائر عادة في مستوى مرتفع يتذبذب صعوداً وهبوطاً في نطاق ضيق أو مع ارتفاع، ويكون الجناحان مفرودين إلى أقصى حد لهما مع كونهما ثابتين لا يتحركان، والترفيف أو التأرجح، وهو



طيران نشط ضد اتجاه الريح مع ضربات سريعة متلاحقة بالجناحين (خفقان) وفرد ريش الذيل ليتخذ شكلاً مروحياً للمحافظة على وضع ثابت في الهواء كما هو الحال عند القنص، والتعلق مع الريح وهو طيران غير نشط في مواجهة الريح مع قيام الطائر بتغيير مستوى جسمه وجناحيه وذيله من آن إلى آخر ليصل إلى وضع ثابت مع التيار الصاعد. وللصقور قوة انقضاض هائلة تختلف درجتها باختلاف الأنواع. ويمكنها المشي على الأرض، كما يمكن لبعض أنواعها الجري على الأرض بسرعة عالية.

ويرى القلقشندي أن الصقور هي سود العيون من الجوارح وهي ضربان: الضرب الأول، الشواهين وهي صنفان: الأول المشتهر باسم الشاهين وهي أسرع الجوارح كلها، وأشجعها وأخفها وأحسنها تقلباً وإقبالاً، وأشدها ضراوة على الصيد، إلا أنها تعاب بالإباق، وما يعتريها من شدة الحرص، حتى إنها ربما ضربت بنفسها على الغلظ من الأرض فماتت، وهي أصلب عظاماً من غيرها من سائر الجوارح ويقال «إن صدرها عصب مجدول ملحم، ولذلك تجدها تضرب بصدرها ثم تعلق بكفّها». والثاني من الشواهين هو الأنيوه. قال في المصايد والمطارد «وهو دون الشاهين في القوة، وله سرعة لا تزيد على صيد العصافير». وقد يكون المقصود به شاهين الجبل.

أما الضرب الثاني من الصقور فهو ما عدا الشواهين وهي أصناف: الأول السنقر، وهو الذي يعرف لدى أهل البادية حالياً باسم الحر الأسود. قال في التعريف «وهو أشرف الجوارح، وإن كان لا ذكر له في القديم». وتجلب السناقر من الحر الشامي مغالى في أثمانها، وكان الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرتبة. وانحط من تلك الهضبة، والثاني: المخصوص في زماننا باسم الصقر (ويجمع على أصقر وصقور وصقورة). قال في التعريف «والعرب تسمى هذا النوع الحر». ويقال له «الأجدل والأكدر». قال في المصايد والمطارد «ويقال لها بغال الطير» لأنها أصبر على الأذى، وأحمل لغليظ الغذاء، وأحسن إلفاً، وأشد إقداماً على جلة الطير، والثالث: الكونج، قال في حياة الحيوان: نسبته من الصقور كنسبة الزُّرَّق إلى البازي، إلا أنه أحر منه، لذلك كان أخف منه جناحاً وأقل بخراً، والرابع: الكوهيَّة وهي موشاة بالبياض والسواد، يخالط لونها صفرة، وقال في التعريف «وتجلب من البحر أي أنها تأتي مهاجرة»، والخامس السّقاوة



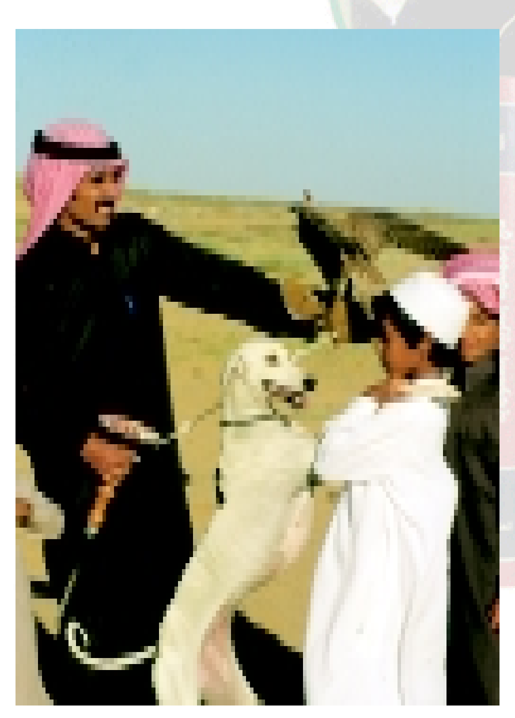
وهي قريبة الشكل من الصقر، وقد تكون هي الوكري المعروف حالياً، والسادس اليُؤْيُؤ، قال في المصايد والمطارد: ويسميه أهل الجزيرة العربية ومصر والشام الجلم واحدته جلمة، وبهذا سماه في التعريف. وهو طائر صغير جداً أسود اللون، يضرب للزرقة. وهو مع صغره يجتمع الاثنان منه على الكركي فيصيدانه، وأسمَوْه الجلم أخذاً من الجلم، وهو المقص تشبيهاً، لأن له سرعة كسرعة المقص في قطعه (١٩٨٧، ج٢: ٦٤-٦٥) قالوا في المثل الشعبي «عصافير شافت جلمه».

ممارسة الصيد بالجوارح

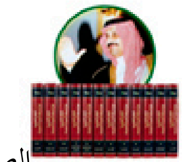
كانت جوارح الطير، خاصة الصقور، أهم الوسائل التي مارس العرب الصيد بها للطرائد التي يعز صيدها بالطرد على ظهور الخيل واستعمال الحبال أو النبال كالظباء والمها العربي، أو التي يصغر حجمها عن المطاردة بالخيل كطيور الحبارى والكروان والأرانب، وما في حجمها من الحيوانات.

وقد مارس الناس في العالم القديم الصيد بالصقور وغيرها من الجوارح منذ أزمان بعيدة. فقد عرفه الصينيون قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ألفي عام، وبعدها بألف وأربعمائة عام عرفه اليابانيون والهنود والفرس والعرب والفينيقيون والبابليون ومارسوه لقرون عديدة. وفي زمننا الحاضر يكاد الصيد بالصقور ينحصر في دول الجزيرة العربية، لا سيما المملكة العربية السعودية والكويت ودول الخليج العربي وإماراته (البطشان ١٩٩٢: العدد ٧١٦١).

ويعتبر الصيد بالصقور لدى أهالي الجزيرة العربية رياضة وهواية. يمارسه بعض الناس للتريض والمتعة والاعتزاز بالنفس، كما يمارسه بعضهم للضرورة وتأمين لقمة العيش في أوقات الشدة. وقد استمر هذا الوضع لعشرات القرون،



هواية الصيد تنتقل عبر الأجيال



وما زال قائماً حتى وقتنا الحاضر. ورغم انحسار أعداد الصيد فإن حب هواية الصيد يظل راسخاً في أعماق الإنسان العربي على أرض هذه الجزيرة. وقد أصبح من المعروف في العالم اليوم أن هواية القنص بالصقور هي من الهوايات العربية الأصيلة التي يعتز بها أهل الجزيرة العربية، لا سيما عرب الخليج، حيث يتوارث عدد كبير من الأسر العريقة هذه الهواية أباً عن جد. وهناك الكثيرون ممن يحترفون مهنة صيد الصقور وتربيتها وبيعها. وقد يكون من المستغرب لدى الكثيرين ممن يعيشون بعيداً عن تراث أهل الجزيرة العربية وعاداتهم أن يصدقوا أن هناك من الصقور الحرار ما يزيد ثمنه على ستمائة ألف ريال. ويدل ذلك بوضوح على مدى اهتمام أهل الجزيرة العربية باقتناء الصقور وتربيتها وتدريبها وممارسة الصيد بها. وهم حريصون على هذه الرياضة المحببة إلى نفوسهم معتزون باقتناء الصقور الأصيلة اعتزازهم باقتناء الإبل والخيول.

وكانت لذة ممارسة الصيد هي في طراد المصيد والتحايل للإيقاع به، وزهو النصر في النهاية، قال شاعرهم:

لولا طراد الصيد لم تك لذة
فتطاردي لي بالوصال قليلا

ويصف هذا البيت من الشعر سلوك العرب القدامى، بل والمعاصرين أيضاً، الذين يجدون لذة الصيد في طراد المصيد. ويؤكد ذلك أن الصيد بالجوارح والضواري كان في الأساس رياضة الملوك والأمراء وعلية القوم والسادة حيث لم يهتم الشعر العربي القديم، ولا الأدب العربي القديم عموماً، بأولئك الذين كانوا يمارسون الصيد من أجل الحصول على اللحم للاقتيات وليس للتريض. ويتضح ذلك جلياً من شعر الطرد الذي تمتلئ به دواوين الشعراء القدامى. وما زال الكثيرون من أهالي الجزيرة العربية في زمننا الحاضر يمارسون الصيد للمتعة والتريض وليس من أجل الحاجة إلى اللحم.

وهناك عدد قليل من الرسوم والنقوش المحفورة على الصخور تصف عملية الصيد كما مارسها العرب القدامى. كما أن الرحالة الأجانب الذين جابوا الصحراء العربية من أقصاها إلى أقصاها قد وصفوا الصيد في كتاباتهم عن أهالي الجزيرة العربية، وأفاضوا في وصف الصقور وكلاب الصيد المزهوة الفخورة، وكتبوا عن رومانسية الطراد في عملية الصيد والقنص بواسطة هذه الطيور الجارحة والحيوانات الضارية، والمصير المحتوم للفرائس التي كانت تقع في براثنها،



والطرق التي كانت متبعة في الحصول عليها وتدريبها وتعليمها على الصيد وتضريتها.

ولا شك في أن أدب الصيد العربي بدوره قد حوى الكثير من أخبار الصيد الموثقة وأوصافه في عصور الجاهلية ثم في عصور ما بعد الإسلام باستخدام الكلاب والصقور.

وقد أخذ الفُرْس عن العرب الصيد بالصقور. فقد جاء في كتاب القانون في علم البيزرة أن كسرى بهرام بن سابور لما بلغه تضرية العرب للصقور على صيد الظبي، أرسل إلى نصر بن خزيمة صاحب الجزيرة، يلتمس منه صقراً، فأرسل له منها ما كان ضراه وعلمه الصيد، فلما رآه كسرى يقتنص الظبي والأرنب اشتد إعجابه، واتخذ الصقور، وأظهر للروم فضلها على الشواهين. ومن هنا قال الجاحظ عن الصقر إنه عربي (الباشا ١٩٧٤: ١٢٤-١٢٥). ولا ندري مدى صحة هذه الرواية إذ إن من المعروف أن ما يضرى على صيد الظبي هو العقاب وليس الصقر. وتجدر الإشارة إلى أن الصقارة أو الصائدون بالصقور، لا يستخدمون الصقر لصيد الظبي، أي الإمساك به وطرحه على الأرض بل لإعاقته عن الركض والهروب، إذ يقوم الصقر بضرب وجه الظبي بجناحيه ونقر عينيه، فيرتبك الظبي ويتوقف فيلحق به الصائدون ويقبضون عليه، وبذلك يكون الصقر قد أدى مهمة وخدمة كبيرة لهم في مجال صيد الظباء.

أما الجوارح التي يصيد بها المعاصرون فأهمها الصقر والشاهين ويأتي بعدها الوكري والسنقر (السنجاري). ويطلق الصقارون العرب لفظ طير على جميع أنواع الجوارح التي يستخدمونها في الصيد. وفي منطقة نجد يستخدم مصطلح صقور، ومفردها صقر، للدلالة على الحرار منها. والصقر هو أكبر هذه الأنواع حجماً، ولأنه طائر صحراوي أصيل فإنه ينال من احترام الصقارة البدو ما لا يناله طائر آخر. وهناك صفات تميزه في رأي الصقارة العرب عن غيره من طيور الصيد منها أنه لا يحتاج إلى رقة المعاملة التي يحتاج إليها البازي، وأنه يمكنه أن يعمل تحت ظروف أكثر شدة أي أنه أصبر على العمل، ويمكنه أن يتحمل المعاملة الخشنة المتعجلة التي يعامله بها بعض الصقارين، وأنه يتمتع بذكاء وبصر حادين، وأنه أسرع في التعلم، وأهدأ من الشاهين مما يجعله يحافظ على ريش أجنحته فتبقى سليمة، وأنه أشجع من الوكري وخاصة في قدرته على صيد ذكور الحبارى الكبيرة (الخرب) وأنه أشد مهارة في الصيد حيث يقوم بالمناورة، ويتبع تكتيكاً خاصاً حيث يستغل تضاريس الأرض في ذكاء ليخفى



هجمته على الطريدة، كما أنه يطير بعيداً عن الفريسة ويأتيها على مستوى منخفض حتى لا يتعرض إلى مقاومة الريح مما يخفف عليه الجهد المبذول في الطيران ويزيد من سرعته. ويطلقون عليه وصف الحر لنبله وأصالته.

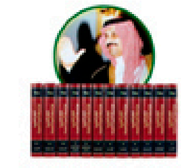
ولكي يطلق البدو على الصقر الحر مصطلح الكامل لا بد أن يكون طوله من رأسه إلى ذيله مساوياً لطول ذراع الإنسان ذي الطول العادي من طرف أصابعه حتى المرفق. وحيث إن الصقر الذكر يكون أقصر من الأنثى في طوله بحوالي الثلث فإن معنى هذا أن مصطلح الكامل لا يطلق في الحقيقة إلا على إناث الصقور الكبيرة الحجم. أما الذكر فيطلقون عليه مصطلح مثلوث.

ومن حيث الطول والعرض، فإن مقاييس أكبر الطيور كما يلي: يبلغ طول الصقر من رأس الجناح إلى آخر أطراف الذيل ١٨ بوصة كما يبلغ العرض الدائري في أعلى الصدر والظهر ١٨ بوصة أيضاً وتتراوح أحجام الطيور بين هذا و١٦ بوصة.

والصقر الحر هو الجارح المفضل لدى الصقارين العرب في الصيد والقنص. ويقال إن أول من لعب بالصقور من العرب هو الحارث بن ثور الكندي، وهو أبو كندة، حيث إنه وقف يوماً لقانص، وقد نصب حباله للعصافير، فانقض أكدر على عصفور منها قد علق، فعلقه الأكدر، فجعل يأكل العصفور وقد علق. فعجب الملك، فأتى به وهو يأكل العصفور، فرمى به في كسر البيت فرآه قد دجن، ولم يبرح مكانه ولم ينفر وإذا رُمِيَ إليه طعام أكله وإذا رأى لحماً نهض إلى يد صاحبه ثم دُعِي فأجاب فطعم على اليد. وكانوا يتباهون بحمله، فإذ رأى يوماً حمامة طار إليها من يد حامله فعلقها، فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها.



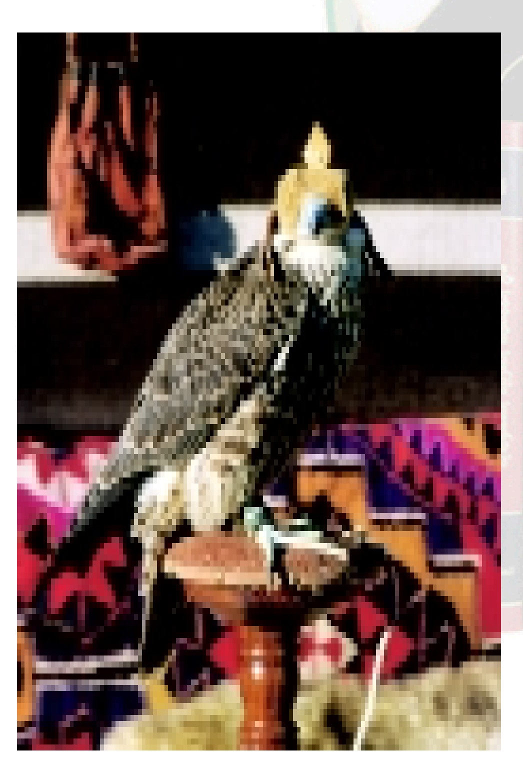
صقر



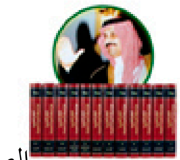
فبينما الملك يسير يوماً، إذ نفجت أرنب فطار الصقر إليها، فأخذها، فطلب بها الطير والأرنب (أي استخدمها لصيدها) فقتلها، (أي صادها له) واتخذها العرب بعد ذلك، ثم استفاضت في أيدي الناس (المسعودي ١٩٨٦، ج١: ١٩٥).

والشاهين أندر وجوداً من الصقر. ويُحْمَد لسرعته الفائقة وتمكنه من الطيران كما أن قيمته أقل من قيمة الصقر الحر، إلا أنه يحتاج إلى معاملة رقيقة للغاية، لأن المعاملة الخشنة أو القاسية تجعله يتمرد بلا رجعة. كما أن نوعية الطعام غير المناسب له تسبب له الهزال والضعف الذي ربما لا يشفى منه أبداً. هذا فضلاً عن عصبيته الشديدة التي تجعله قليل الاستقرار كثير الضرب بجناحيه وتقول عنه البادية نزر، وقليلاً ما يتجدد ريش جناحيه وذيله تحت الأسر (يقرنس)، لهذا فأكثر الناس يشترون الفرخ من الشياهين لأن ريشها يكون كاملاً، وهي أغلى سعراً من القرناس بينما العكس مع الحر.

ويكون الشاهين في أفضل أوضاع الصيد عندما يحلق عالياً فوق الطريدة مما يتيح له الفرصة لأن يهوي عليها (يدلي) في انقضاضة قوية تنتهي بضربة شديدة يوجهها إليها أثناء مروره بها وتكون قاتلة لها غالباً. وهذه الانقضاضة القوية السريعة هي التي تنبني عليها شهرة الشاهين وسرعته. وقد أصبحت مشاهدة مثل هذه الانقضاضة للشاهين حالياً من الأمور النادرة لسببين هما ندرة طيور الصيد التي تحلق عالياً في الصحراء في وقتنا الحالي، بعد أن أتى الصيد المفرط على معظمها، وصعوبة المحافظة على الشاهين في قمة لياقته التي تؤهله لأن ينقض مثل هذه الانقضاضة. ولذلك فعلى الرغم من أن الصقارة العرب يعترفون للشاهين بكونه من أفضل طيور الصيد على الإطلاق، إلا أنهم لا



شيهانة مبرقعة على الوكر



يستخدمونه ويفضلون عليه الصقر الحر الذي يتميز بكونه أكثر مرونة في استخدامه للصيد والقنص فضلاً عن طول باعه فيه، إلى جانب قدرته على تحمل الجوع، وتقلبات الطقس خاصة شدة الحر أو البرد، وارتفاع درجة مقاومته للإصابة بالأمراض. ولذلك فقد حقق الصيادون العرب نجاحاً في الصيد بالصقر لم يتمكن الصيادون الأوربيون من تحقيقه.

ويأتي الوكري في المرتبة الثالثة بعد الصقر والشاهين لدى الصقارة البدو، من حيث حجمه وصفاته النوعية في الصيد، إذ ينقصه سرعة الشاهين وانقضاضه وقوة الصقر. إلا أنه يماثل الصقر في قوة تحمله للحياة الخشنة في الخيام عندما يدرب وهو فتيٌّ. ويمكنه أن يصيد الكروان والدراج القشدي اللون بكفاءة عالية، كما يمكنه أن يصيد الأرانب، وهناك بعض طيور الوكري التي يمكنها صيد الحبارى.

أما السنقر أو السنجاري فهو لا يأتي طبيعياً ضمن الطيور المهاجرة التي تمر بالجزيرة العربية وإنما يؤتى به إليها مستورداً. وقد أدخل عدد قليل من هذه الصقور إلى الجزيرة العربية، حيث اكتسبت شهرة طيبة بسبب لونها المفضل وحجمها الكبير. وذلك لأن اللون يعتبر من أهم المعايير والصفات التي يبنى عليها الصقارون العرب تقييمهم لطيور الصيد واختيارهم لها. فكلما كان الطير أفتح لوناً كان أعلى قيمة وأكثر قبولاً لديهم. ومن المعروف أن السنجاري من الطيور المستقرة التي تتكاثر في جبال معروفة، لذلك فإنه يمكن أن يطلق حراً بعد انتهاء موسم الصيد للتكاثر، ثم يعاد صيده مرة أخرى والقنص به. وهو ألطف من الحر والشاهين وأسرع منهما في التآلف، كما أنه أرخص ثمناً.

ويزعم البعض أن ريش الصقور يبهت لونه كلما تقدمت في العمر فتصبح أفتح لوناً وهو زعم غير صحيح. والمعروف أن البياض الذي يكون في صدر الطائر تقل مساحته كلما تقدم به العمر نتيجة زيادة عدد الريش الداكن وسط الريش الأبيض فتقل مساحة البياض.

وقد أدت سرعة اعتلال صحة السنقر أو السنجاري تحت الظروف القاسية للصحراء التي لا يتحملها إلى أن يصبح غير مناسب للاستخدام في الجزيرة العربية للقيام بالصيد. ومع ذلك يحتفظ به بعض كبار الصقارين لعرضه -من باب الوجاهة- ضمن مجموعة طيورهم التي يعتزون بها وذلك طيلة مدة عمره القصير في العادة. علماً بأن عمر الصقر قد يصل أحياناً إلى أكثر من ٢٠ سنه.



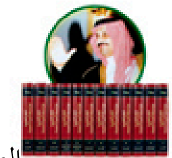
ويعتمد الصقارون العرب على الصقور الحرار بشكل أساسي في ممارساتهم لصيد أنواع من الطرائد تضم طيور الحبارى والكروان والأرنب البري. وكثيراً ما يكون صيد الأرنب بمساعدة الكلاب السلوقية.

ولعل نمط الحياة الشاقة التي يحياها بدو الصحراء الحقيقيون لم يسمح لهم بممارسة الصيد بالصقور كرياضة بكل ما في الرياضة من معنى، لذلك فإنهم لم يهتموا بقدرة الطائر على المناورة وطريقة طيرانه وسرعة انقضاضه على الفريسة، إلى آخر ذلك بقدر اهتمامهم بنوعية الطرائد وقيمتها لديهم، لذلك فإن طريقة طيران اليؤيؤ (الجلم) المثيرة في انقضاضه على طريدته من القنابر، رغم إثارتها البالغة لم تجد منهم اهتماماً لأن الصيد تافه قليل القيمة لصغر حجمه.

كان الصيادون يمارسون الصيد في الجزيرة العربية عادة لمدة خمسة أشهر كل عام، تبدأ خلال النصف الأخير من الميزان أو النصف الأول من العقرب (الشهر العاشر من العام الميلادي) وتنتهي مع نهاية الحوت أو قبلها بقليل (الشهر الثالث من العام الميلادي التالي)، أما الآن فالصيد لمدة ٣ أشهر هي ديسمبر ويناير وفبراير. وذلك لأن الصقور تستخدم في صيد الحباري فقط، ولذلك فمدة الصيد بالصقور هي المدة التي توجد فيها الحباري، كما أن ارتفاع درجة الحرارة يؤدي بالصقور إلى طلب الهجرة غريزياً لتعود إلى مواطنها الأصلية الباردة فتمنع من الصيد لئلا تهرب عائدة إلى مواطنها الأصلية مع اشتداد حرارة الجو، ولذلك فمن النادر أن يمارس الصيد خارج ذلك الموسم، إذا توافرت الطرائد من الكروان والأرانب البرية، وكان الشاهين أو الوكري، قد أتم قرنسته (تبديل ريشه) وأصبح مستعداً للقيام بعملية الصيد.

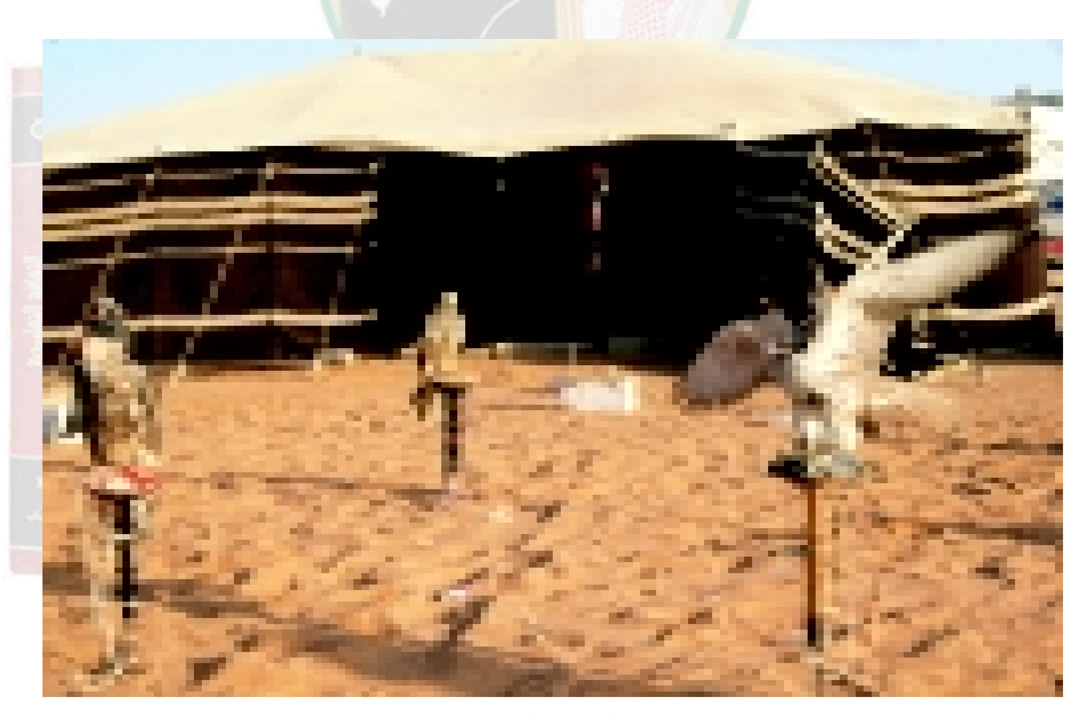
ويعمل الصقارون والمهتمون بشؤون الصيد على إعداد عدتهم وأنفسهم لموسم الصيد الجديد من أول الميزان من كل عام فيبدأون بتدريب صقورهم التي أنهت فترة المقيظ خلال الصيف، كما يقومون باستطلاع أخبار الطرائد، وما إذا كانت بواكير أسراب الحباري قد أخذت في الوصول إلى أرض الجزيرة العربية، التي تأتي إليها مهاجرة من دول الشرق والشمال الشرقي.

ويعد الصقار لوازم صقوره من دسوس (كفوف) وبراقع وسبوق وأوكار، ويخرج صقوره من غرف مقيظها، ويعيد تدريبها قليلاً حتى لا تكون قد عادت لطبيعتها الوحشية. وقليلاً ما تحتاج



الصقور التي مارست الصيد في الموسم السابق إلى تـدريب كثير، خاصة تلك التي صيدت أفراخاً وتمت قرنستها. أما التي صيدت بعد قرنستـها، أي صيدت بالغة قبل رحلة هجرتـها الأولى، فإنها سريعاً ما تعود إلى طـبيعتها الوحشية، وتحتـاج إلى تدريب كـثير بـين الموسم والموسم لتستعيـد لياقتها ويلين قيادها. وتسمى مثل هذه الصقور قرانيس الهوا. أما ما قرنس في الأسر فـيسمى قرناس البيت. وبوجه عام فإن جمـيع الصقور تدرب استعداداً لموسم الصيد سواء أكانت قرانيس بيتية أم قرانـيس هواء أم أفراخاً في عامها الأول، وذلك بما يسمى بالدعو أو اللوح، وهـو ربط حبل طـويل في سبوق الصقر (السـيور الجلدية الممسكة برجـليه) وتجويـعه ثم دعوتـه من بُعد بالتلـويح له بجناح حبارى أو كـروان، وإظهار اللحم له، وإطعامه منه في المرة الأولى بعد أن يستجيب.

وقد أصبحت رياضة الصيد بالصقور هواية باهظة التكاليف خصوصاً بعد أن قلت طرائد الـصيد في الجزيرة العربـية وانقـرض بعضـها وأصبـح الصـيادون مضطرين إلى السفر وعبور حدود بـلاد بعيدة وراء الطرائد.



الصقور على أوكارها أمام مخيم قناصة



ويزيد من ارتفاع كلفة ممارسة الصيد بالصقور ارتفاع أثمان الأنواع المفضلة من هذه الصقور ارتفاعاً كبيراً. فبينما لا يزيد ثمن الطير من نوع شاهين الجبل عن ألف وخمسمائة إلى ألفي ريال، وثمن الصقر الوكري من ألفين إلى أربعة آلاف ريال، نجد أن الشاهين البحري يقفز ثمنه ليتراوح ما بين ثلاثين ألفا إلى ثمانين ألفا من الريالات، وقد يزيد على ذلك، وأن الطائر من نوع الصقر الحر (الكامل) يتراوح سعره من مائة ألف إلى ستمائة ألف ريال أو يزيد، إذا كان حرًّا وافياً، أي كبير الحجم، عريض الصدر، طويل الجناحين، كبير الرأس، أبيض اللون أو أشقر أو أشعل. أما إذا كان مثلوثاً فإن ذلك يبخس ثمنه كثيراً إذ قد لا يزيد عن ستة آلاف إلى عشرة آلاف ريال وجميع هذه الأسعار تخضع دائماً للعرض والطلب.

وهناك تجار متخصصون في توريد الصقور والشواهين إلى دول الجزيرة العربية حيث يأتون بها من إيران والشام وتركيا وباكستان والبلاد التي تستوطنها وتتكاثر فيها في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، ودول أوروبا الشمالية، ويدربونها ويبيعونها بأسعار خيالية، حتى أن الكثيرين من هؤلاء التجار الآن هم من الجنسيات الأوروبية خاصة الألمانية والفرنسية وغيرها. وهي تجارة ذات ربح وفير لأن هاوي الصيد بالصقور لا يستكثر أي ثمن على طائره المفضل. فالصقر الحر، هذا الطائر الرائع الجميل ذو البصر الحاد الذي يفوق في حدته بصر الإنسان بثمان مرات، ويمكنه الطيران بسرعة تزيد على ثلاثمائة كيلومتر في الساعة، يظل محل تقدير الصقارين من أبناء جزيرة العرب فهو مشبع رغبتهم المتأصلة في ممارسة رياضة الصيد والقنص، التي صادفت هوىً استقر في قلوبهم ونفوسهم، وتوارثوه جيلاً بعد جيل (السالم ١٩٩٢ : العدد ٤٨٠٩).

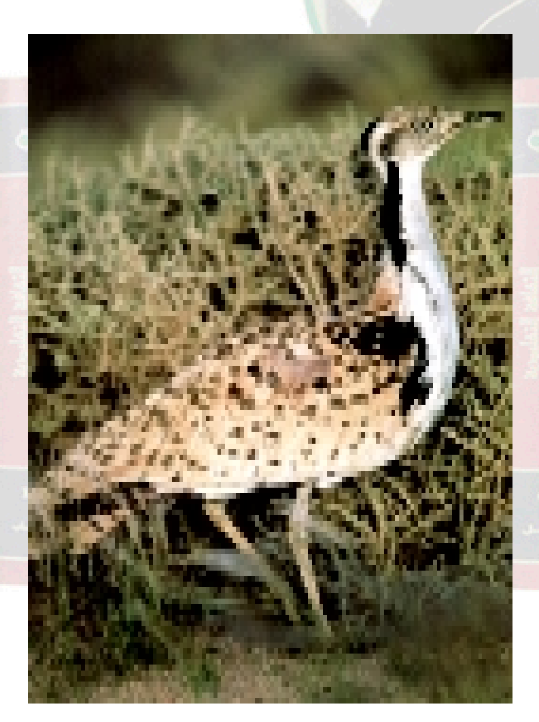
ويبدأ يوم المقناص عادة في الصباح مع طلوع الشمس، والخبير بقنص الحباري لا يسير كيفما اتفق، بل يتتبع مسايل الماء الصغيرة (الدعبان)، حيث تكثر شجيرات العوسج أو الشبرم أو العلقا التي كثيراً ما تتغذى عليها الحباري. كما أن شجيرات هذه الدعبان التي تكون أكثر اخضراراً من شجيرات المناطق المرتفعة تخفي الحباري عن أنظار الطيور الجوارح. وفي هذه المسايل أيضاً توجد الحشرات التي تتغذى عليها الحباري كالجراد والجنادب والخنافس والسحالي، وربما تركتها الحباري إذا كانت الأرض معشبة إلى مناطق أوسع



لالتقاط أوراق العشب، وتفضل الحباري الرعي في المناطق ذات الحجارة المشابهة لألوانها للتموية، فإذا أحسَّت بالخطر فإنها تلْبِدْ بجانب أحد الحجارة، فلا يراها إلا شخص دقيق النظر، أي أن الحباري بصفة عامة لا توجد اعتباطاً في أي منطقة في الصحراء، وإنما تختار مناطق دون غيرها تكون أوفر غذاء وأكثر إخفاء لها عن الجوارح من الطير.

والقانص الخبير، بعد ان يتتبع هذه المناطق يحاول قَصَّ الأثر (الجرَّة)، فالبادية تقول «الصيد جرّه»، فإذا لم يكن للحباري أثر في الأرض، فمن العبث البحث عنها لأن الحباري تبحث عن طعامها سيراً على أرجلها، لا كما تفعل الطيور الأخرى كالحمام والقطا والعصافير التي تنتقل طيراناً بين منطقة وأخرى حتى لو كانت المسافة قصيرة. وإذا وجد القانص الأثر، حاول معرفة هل هو قديم أم حديث، فإذا كان قديماً وسار في اتجاه واحد فمعنى ذلك أن الحباري قد انتقلت إلى مكان آخر قد يكون قريباً أو بعيداً. أما إذا كان الأثر متكرراً جيئة وذهاباً، فمعنى ذلك أن الحباري مقيمة في المنطقة (ربيب).

ويستطيع الخبير بحدسه أن يلاحظ نهاية الأثر ويعرف الاتجاه الذي سلكته الحباري عند طيرانها، ومتى وجد الأثر الجديد الذي قد تكون تركته في الليلة السابقة، خاصة أن الحباري كثيراً ما ترعى في الليل، يبدأ بملاحظة المرش (السلح الذي تقذفه) ويحاول في هذه الحالة - وخاصة إذا كان السلح جديداً يحوم عليه الذباب- أن يجد منطقة مرتفعة تكشف ما حولها ويكشف البرقع عن صقره (يطلع)، ويعرف الصقار بخبرته إن كان الطير (الصقر) رأى إحدى الحباري أم لم يرها، وذلك عندما يبدأ يرمز برأسه (يهزّه) إلى أعلى أو إلى أسفل في اتجاه واحد، يضع الصقار يده أمام عيني الصقر ليحول بينه وبين ما رآه، فإذا نظر الصقر من



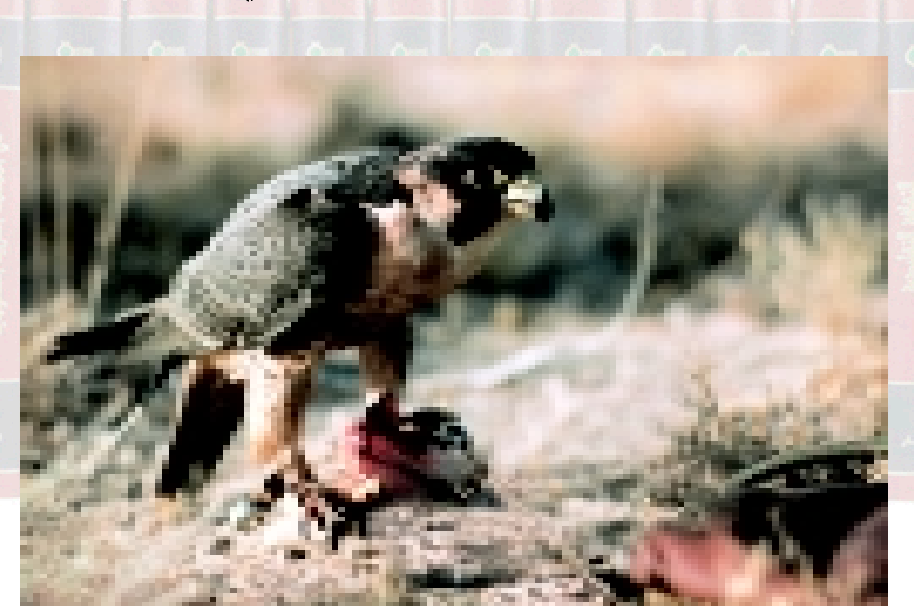
الحبارى



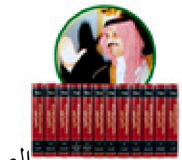
فوق يده دل ذلك على أن تلك الحباري بعيدة، أما إذا نظر من تحت يده فمعنى ذلك أنها قـريبة. وبذلك يتـأكد من أن طلع الصـقر صحيح ولكـن إذا لم يهز الطير رأسه لا إلى أعلى ولا إلى أسفل فإن الصقار يتـأكد بأن طيره لم ير شيئاً من الحباري، وهنا يغـطي رأسه بالبرقع مؤقتاً. ثم ينتقل القانص بصقره إلى منطقة أخرى لـيستـكشفـها، وهنـا يأتي دور المهوهي، أي الشخص الذي يرفع صوته على هيئة صـرخات مثل ها-هو-هي، لتنفير وتحريك الحباري ليراها الصقر الذي هو بطبيعته لا يرى إلا المتحرك من الصيد، فلربما كانـت الحبارى لابده، أي ساكنة (ويسـمى سكـونها لبـيد). ومن عـادة القنـوص أنهم إذا صادوا طائر الحـبارى بحثوا عن غيره في مكان آخر إن لم يكن مع الطائر المصيد طيور أخرى.

ويلاحظ أن كـثيراً من الصـقور إذا رأت الحبـاري طلعت ثـم بدأت تمرش (تقذف سلحها) قبل أن تطير هادةً على الحبارى، أما إذا لم تر شيئاً فإنها تتلفت في اتجاهات مـختلفة، كما أن بـعضها ينفض ريشه فيعـرف الصقار أنها لم تر شيئاً فيعيد البرقع ليغطي رأس الصقر. ومن المفتـرض عدم هدّ صقرين في آن واحد على فريسة واحدة.

وفي بدايـة المقناص، يُـشبَع الصـقر (الطير) في العادة من أول حبارى (فريسة) يصيدها، أما في الأيام التالية فإنه لا يسمح



يفضل ألا يشبع الصقر من أول حبارى يصطادها

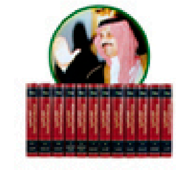


له بأخذ أكثر من ملء منقاره مرة أو مرتين من كل حبارى يصيدهـا، حتى يستمر جوعه ورغبته في الاصطياد. ويصيد الصقر عادة ما بين ٨-١٢ طائر حبارى في اليوم الواحد، وربما صاد أكثر من ذلك حسب قوّته وكثرة الحباري في منطقة الصيد.

وإذا ما صاد الصقر الحبارى نزل إليه الصقار، وقام بمناداته باسمه والاقتراب منه بهدوء حتى لا يجفله ثم يذكي الحبارى بسرعة، فإذا لم يرد أن يشبع الصقر منها فإن الصقار يسحب قطعة الخيش التي تكون معه رويداً رويداً مغطياً به الحبارى عن عيني الصقر، ويكون في الوقت نفسه ممسكاً بسبوق الصقر حتى لا يطير مبتعداً عنه، ويضعه فوق يده ويغطي عينيه بالبرقع.

وهناك أمر مهم يجب ملاحظته وهو أن أفضل الأيام للصيد هي الأيام الباردة التي لا هواء فيها، أما إذا كان الهواء شديداً فلا يُهدّ (يُطلَق) الصقر إلا مجازفة، كما أنه إذا ازدادت حرارة الشمس في بعض أيام الشتاء الصاحية فلا يُهدُّ الطير إلا في الصباح الباكر أو بعد العصر، حيث يكون الجو بارداً ومناسباً للصيد، كما أنها الأوقات المفضلة التي تصطاد فيها الصقور في حياتها الطليقة، لأن وسط النهار ويُسمى الحومه، هو وقت حومة الطيور، فلا يؤمن أن يتجه الصقر إلى الأعلى ليحوم، وفي ذلك خطورة عليه.

كما يجب ملاحظة أن كثيراً من القنوص (جمع قانص) يكون في حوزتهم إضافة للصقور الحرار، صقور من نوع الشاهين وذلك لسرعتها الشديدة، فإذا ما لوحظ عدم مقدرة الصقر الحر على اللحاق بالحبارى الطائرة، أُطلق عليها الشاهين للإمساك بها، كما تجب المسارعة في إعادة الصقر الحر إلى موقعه عن طريق الملواح حتى لا يشتبك مع الشاهين في حالة إمساكه بالحبارى، كما أن الشياهين لا يكون هدها (إطلاقها) في العادة إلا على الحبارى الطائرة. كذلك يلاحظ أن كثيراً من القنوص يكون معهم طراد، وهو الوكري المدرب على الإمساك بالطيور التي اصطادت حمامة أو سمانة، وكذلك الأمساك ببعض الصقور قريبة العهد بالتدريب حيث إنها إذا أطلقت كثيراً ما تنكر، أي تستعيد طبيعتها الوحشية بسرعة إما لنقص تدريبها، أو لحداثة الإمساك بها. ويفضل الصقارون هد السريع جداً من طيورهم في المناطق الوعرة، حتى تتمكن من صيد الحبارى بعد مسافة قصيرة، ذلك أنه إذا كان من الطيور



البطيئة ربما ابتعدت به الحبارى (الطيار) وفُقد لصعوبة اللحاق به في الوعر.

صيد الصقور والعناية بها

مصائد الصقور في الجزيرة العربية. أكثر ما يحصل على الصقور بأنواعها في الجزيرة العربية أن تصاد أثناء عبورها في رحلة هجرتها الشتوية من مواطنها الأصلية. ومن بين كل عدة مئات من الصقور في الجزيرة العربية يأتي واحد قد أخذ صغيراً من وكره، ويطلقون عليه إياس. كما يطلق عليه مصطلح جَني عش خاصة في الوكري وشاهين الجبل، لأن الحرار تفرخ بعيداً عن الجزيرة العربية في مواطنها الأصلية.

وموسم اصطياد الصقور أثناء هجرتها هو من أول الميزان حتى منتصف العقرب أي من أواخر شهر سبتمبر إلى أوائل شهر نوفمبر من العام الميلادي. وخلال تلك الفترة تمر مئات الآلاف من الطيور المهاجرة على حواف الجزيرة العربية ووسطها، ويأتي في إثرها الصقور والعقبان لتتغذى عليها في موسم هجرتها حيث تفترس البطيء منها الذي يكون في المؤخرة. ويلاحظ أن هجرة الحرار والشياهين تتزامن مع هجرة طيور السمانى التي هي غذاؤها المفضل.

ويعد هذا الوقت من بين أنشط الأوقات وأكثرها إقلاقا للسكان الذين يعيشون في مسار هجرة هذه الطيور ويمارسون الصقارة. حيث إن كلا منهم يمني نفسه ليس فقط بأن يصطاد أكبر عدد من الصقور لبيعها للصقارين، وإنما لأنه يحلم بالفوز بأحد فراخ الحرار حتى يحصل من بيعه في المملكة أو في إحدى دول الخليج العربي على ثمن يشكل بالنسبة إليه ثروة تفوق كل ما يمكنه الحصول عليه من أي مصادر أخرى.

والسبب وراء ذلك أن الصقارين يفضلون الطيور حديثة العمر، التي تطير مهاجرة لأول مرة على الطيور التي قرنست وحشية، حيث إنها تكون عادة أسرع وأفره وأفضل في الصيد. وبوجه عام فإن الطير الذي يتعلم من أمه كيف يصيد يكون أفضل في الصيد من الطير الذي قرنس بيتياً (جنى العش). وقد ظهر ذلك بوضوح في مراكز تربية الصقور تحت الأسر فالتي تغذت مع أمها وتعلمت منها الصيد تكون أكثر قدرة من التي غذاها، وهي أفراخ، القائمون عليها.

ومعظم الصقور التي تمر مهاجرة في أجواء الجزيرة العربية خلال فصل الشتاء تأتي من دول شمال شرقي آسيا (الاتحاد السوفيتي سابقاً) ومن جبال إيران والعراق. وتصاد أثناء مرورها على أراضي الجزيرة العربية. وأكثر ما تصاد



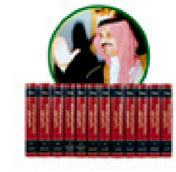
في سهول المنطقة الشمالية، وفي منطقة مجيرمة التي تقع على بعد ١٥٠كم إلى الجنوب من مدينة جدة، وكذلك في منطقة ينبع، وساحل تهامة ووادي الدواسر، وكلها مناطق معروفة جيداً للصقارين. وأغلب ما يصاد فيها هو من الشاهين والحر. وأفضل هذه الطيور هي الفارسية القادمة من إيران، ويتميز أغلبها باللون الأبيض أو الأحمر وهي الأغلى ثمناً.

وكل أنواع الصقور تأتي مهاجرة إلى الجزيرة العربية حيث تصاد فيها أو يؤتى بها مستوردة من مواطنها الأصلية، وذلك فيما عدا الوكري وشاهين الجبل المتوطنة في الجزيرة العربية.

وتعيش الصقور الوكاري في منطقة تبوك في جميع المناطق الجبلية وخاصة شرورة، التي تبعد عن مدينة تبوك بأربعين كيلومتراً، وفي منطقة مليح الهوج، التي تبعد عن تبوك بمسافة مائتين وأربعين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي، وتكثر بها الصقور، وتكثر الصقور الوكاري في عدد من سهول إمارة الحدود الشمالية مثل بسيطا الواقعة جنوب مدينة القريات، والهوة الواقعة بين مدينتي طريف وعرعر. كما توجد أوكار الوكاري في كل من جبال حبران، وأم الأرسان، وجبل أجا، وجبل رمان، وجبل سلمى، وجبل العلم. وكلها في منطقة حائل.



جبل أجا. من بين مجموعة جبال في حائل توجد فيها أوكار الصقور الوكاري

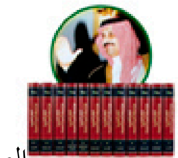


وأفضل ما يصاد منها هو النادر حيث إنه خيرها وأصلحها. وهو أفره وأكبر وأقوى ما في الوكر من فراخ الوكري. ويتلوه بدرجة اللزيز أي الذي يلزُّه من بعده، ويأتي بعده التَّبْع، وأقلها درجة هو المحقوره. والأكَّارون، وهم الذين يصلون إلى أوكار الوكاري في أماكنها المنيعة بشماريخ الجبال والمناطق الوعرة الخطيرة فيأخذون صغارها ليقوموا بتربيتها وتدريبها على الصيد ثم بيعها، وهم يعرفون مواقع أوكار الصقور الجيدة والصقور الرديئة. وميزت الناس بين أماكن الجيد وغيره من الصقور وضرب بها المثل «طير صيرين»، وصيرين مأكر رديء ويضرب المثل للإنسان الرديء. و«طير شلوى»، وشلوى مأكر جيد الصقور ويضرب المثل للإنسان الجيد.

وهناك أسواق معينة تباع فيها الصقور، أشهرها في قرية رحيبة بسوريا، وتعرف طيوره بالرحيباوي، وهي غير مرغوبة لأنها من الأوكار. وهناك أسواق في المدن الكبرى في المملكة وفي دولة الكويت والإمارات العربية المتحدة والزبير وبغداد وبوشهر في إيران.

طرق صيد الصقور. من أكفأ الطرق التي يمارسها العرب لاصطياد الصقور وأكثرها سهولة هي ربط شبكة خفيفة على ظهر حمامة، يبرز منها من ست إلى ثماني حلقات مصنوعة من خيوط النايلون أو الحرير القوية (وكانت تصنع عادة في القديم من أمعاء القطط كما تُصنع من سبيب ذيل الخيل) بحيث تبرز مفتوحة إلى أعلى من الشبكة. ثم تلقى الحمامة المعدة بهذا الشكل، بعد أن يربط فيها ثقالة تتدلى منها لتثقل من حركتها، في طريق أحد الصقور البرية، ويقف الصياد بعيداً أو يختفي في مكان قريب بحيث لا يراه الصقر. ويظن الصقر أن الحمامة فريسة سهلة فينقض عليها محاولاً قنصها فتشتبك أصابع قدميه في حلقات الخيط، ولا يستطيع منها الفكاك. وعلى الرغم من أن الصقر يظل، وهو في حالته هذه، قادراً على الطيران إلا أنه لا يمضي إلا لمسافة قصيرة لا تتعدى بضعة أمتار في كل مرة، ولا يلبث أن يهوى إلى الأرض تحت تأثير ثقل جسم الحمامة مع اشتباك قدميه. وأثناء ذلك يلاحقه الصياد حتى يلحقه فيلقي عليه عباءة ينهي بها السباق ويأخذه.

وأحياناً يستخدم الصيادون شبكة الأرض لشبك الصقور. وهذه شبكة من خيوط الحرير القوية تصل مساحتها إلى متر مربع، وتنصب في عكس اتجاه الريح، وتكون مرفوعة من أحد طرفيها فوق أسياخ





شبكة الأرض لصيد الصقور

حديدية رفيعة غير ثابتة تجعلها سهلة السقوط، وارتفاع السيخ حوالي ثلاثة أرباع المتر، ويكون طرف الشبكة الآخر ملامساً لسطح الأرض ومثبتاً بأوتاد فيها تثبيتاً جيداً. ويربط في طرف الشبكة المرتفع عن سطح الأرض، المرتكز على أسياخ الحديد الرفيعة، خيطان بطول متر تقريباً يثبتان في الأرض بوتدين صغيرين. ويوضع الطعم (الفريسة التي قد تكون حمامة أو فأراً أو يربوعاً)، تحت الشبكة وهي مربوطة بخيط دقيق في وتد مثبت في الأرض حتى تظل تحت الشبكة ولا تبتعد عنها. وعندما ينقض عليها الصقر ليأخذها تسقط عليه الشبكة وتمنع طيرانه فيسارع الصقار إلى الإمساك به وأخذه.

وحيث إن الصقور هي من الطيور التي لا تبكر في غدوها، وإنما تتأخر عادة بالمقارنة مع غيرها من الأنواع، كما أنها تفضل أن تعدل ريشها تحت شمس الصباح الساطعة لبعض الوقت لتتهيأ قبل أن تبدأ الطيران، لذلك فإن صائدي الصقور يبحثون عادة عنها في المناطق المستوية المفتوحة والقيعان، حيث تحب هذه الطيور أن تقضي ليلتها، وذلك حوالي الساعة السادسة صباحاً ليُعِدُّوا شركهم ويتهيأوا لصيدها.

وهناك طريقة أخرى يستغل فيها الصيادون الغريزة الفطرية للصقر في استلاب غيره من الطيور فرائسها التي حصلت عليها. فيعدون صقراً من الأنواع صغيرة الحجم مثل الوكري الصغير أو عوسق ويخيطون جفون عينيه، لكي تتعذر عليه الرؤية ثم يأتون بحزمة من ريش الحمام ويربطونها بشبكة من خيوط النايلون المتصلة بها حلقات مفتوحة من الخيط نفسه تسمى عيوناً انخراطية، وتربط جميعها في رجلي الصقر الصغير، فيبدو وكأنه يحمل حمامة قد قنصها لنفسه، ثم يلقون به في طريق أحد الصقور البرية فيحاول الطائر المسكين أن يطير إلى أعلى مرتفعاً عن الأرض، خوفاً من أن يصطدم بعائق يقضي عليه إذا طار إلى الأمام وهو عاجز عن الرؤية، وتظهر حزمة الريش بين قدميه، وكأنه يمسك بطريدته متوجهاً إلى حيث ينال وجبته منها. وعندئذ يهاجمه الصقر البري محاولاً أن



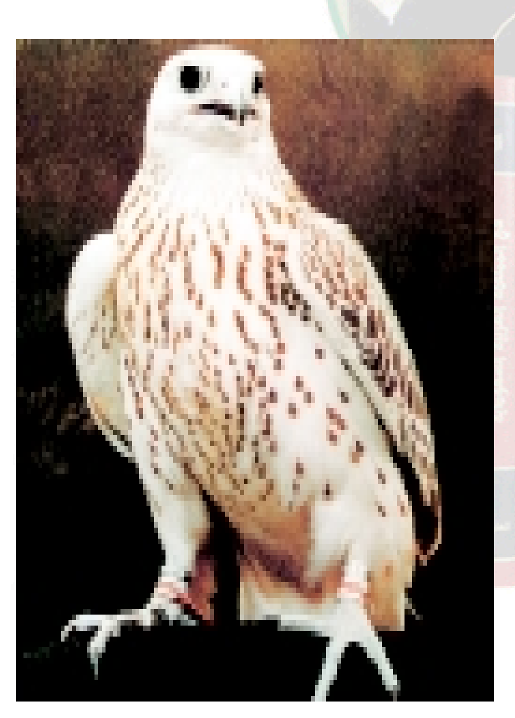
يسلبه صيدته التي معه، فتشتبك أقدامه في حلقات الخيط المفتوحة، ولا يستطيع الفكاك، ويهويان معاً على الأرض فيلحقهما الصياد ويأخذهما، وقد يربط الصياد قدمي الوكري الصغير بخيط رفيع قوي طويل ويتركه ليطير، ثم يسحبه به مع الصقر البري، ويسمى النقل.

ومن طرق صيد الصقور أيضاً وضع الشبكة على ظهر سمانى أو قمرية وإطلاقها للطير الذي يرفض أن يهد على أي من وسائل الصيد الأخرى فإذا صادها الطير أطلق الصياد خلفه وكرياً خاصاً مدرباً على طرد الطيور التي معها صيد، ويطلق عليه مسمى الطرّاد، فيحاول أن يخطف السمانى أو القمرية منه فيعلق الطائران في الشبكة ويهويان معاً ليمسكهما الصياد بسهولة.

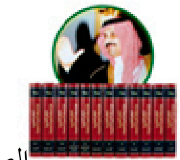
ومن طرق صيد الصقور ما تُستخدم فيه المخدجة، وهي شبكة تُركب على دائرة خشبية، ذات يد طويلة. وطريقتها أن يعمد صائدو الصقور ليلاً إلى مكان تبيت فيه الصقور، فيسلطون عليها كشافاً باهر الضوء أو أضواء السيارة، فيبهر الضوء الساطع عيني الصقر فلا يرى شيئاً، وعندئذ يستطيع الصائد الإمساك به بإلقاء المخدجة عليه.

وعقب صيد الصقر، فإنه يوضع في المهد، وهو عبارة عن قطعة من القماش تُخاط بحيث يكون لها مخبئان لجناحيه ثم يربط طرفاها العلويان بخيط من القماش نفسه على رجليّ الصقر حتى تمنعه من الضرب بجناحيه (الكفخ) للفكاك من الأسر. وعندما يصل الصياد إلى مقره يضع البرقع على عيني الصقر، وقد يوضع البرقع على الصقر كذلك وهو في مهاده (ممهود) زيادة في الحرص عليه.

الحكم على جودة الصقر. على الرغم من حقيقة أنَّ الصفة الوحيدة المحسوسة التي يمكن الاستدلال بها على درجة جودة الصقر في القيام بعملية القنص هي سلوكه الفعلي أثناء مواجهة الصيد، إلاّ أن هناك



سعة العينين دليل على حدة الإبصار



بعض الصفات التي يستدل منها على جودة الصقر المصاد حديثاً. وهي صفات لا تزال محل جدل بين الصقارين حيث لا يوجد اتفاق بينهم بشأنها، وقد يستدل بها أو لا يستدل بها على السلوك الجيد المحتمل للصقر الحديث.

من هذه الصفات المظهر القوي المتمرد غير المستسلم فإنه يدل غالباً على صقر سليم البنية قبل إمساكه للحمامة الشرك، وأنه ليس بصقر ضعيف أو مريض يبحث عن صيد سهل يطعم عليه. والطيور التي تبدو متمردة غير مستسلمة في البداية غالباً تصبح طيوراً جريئة تستبسل في الصيد بعد ذلك. كما يدل الريش العريض اللامع على طائر غذّى نفسه جيداً قبل أن يستبدل ريشه إذا كان قد قرنس وحشياً، أما إذا كان فرخاً يافعاً يهاجر في أول رحلة له، فإن ذلك يدل على أنه قد غُذِّي تغذية جيدة في الوكر، قبل أن يتركه في رحلة هجرته الأولى، مما يعني أيضاً أنه أقل عرضةً للإصابة بالأمراض من غيره من الطيور التي لا تتمتع بهذه الصفة الجيدة.

ويفضل أن يكون الطائر طويل الرقبة، كبير الشندوة عريضها، واسع المعلف، واسع المنخر، واسع العينين، حاد البصر، بارز العظمة التي تعلو العين، كبير الرأس، ضخم الفخذين قصير الساقين المسرولتين، بأن يكون ريش فخذيه ضافياً عليهما، كبير الأرضية أي الكف، طويل أصابع القدمين مع بروزها إلى الخارج، طويل الذنب، دقيق رأس الجناح، قصير ريش الجناح، عريض الصدر، عريض الظهر بحيث يكون عرضه من أي اتجاه نظرت إليه واحداً، سليم ريش الجناحين والذنب، شديد النهم في الأكل، سريع التصريف، يرتكز على ريشه أثناء تغذيته لأنه يكون أكثر شجاعة. وفتحة المنخار الواسعة تمكن

الريش العريض اللامع من سمات الصقر الجيد



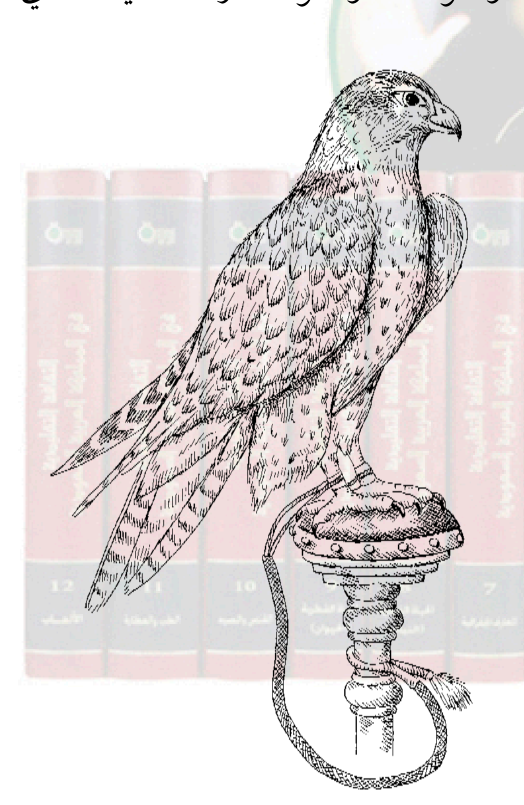


الريش العريض اللامع من سمات الصقر الجيد

الصقر من الطيران السريع في مواجهة الريح الباردة، لأنها إذا لم تكن واسعة يضطر الصقر إلى أن يخفف من سرعته في مواجهة الريح الباردة لأنها تؤلمه.

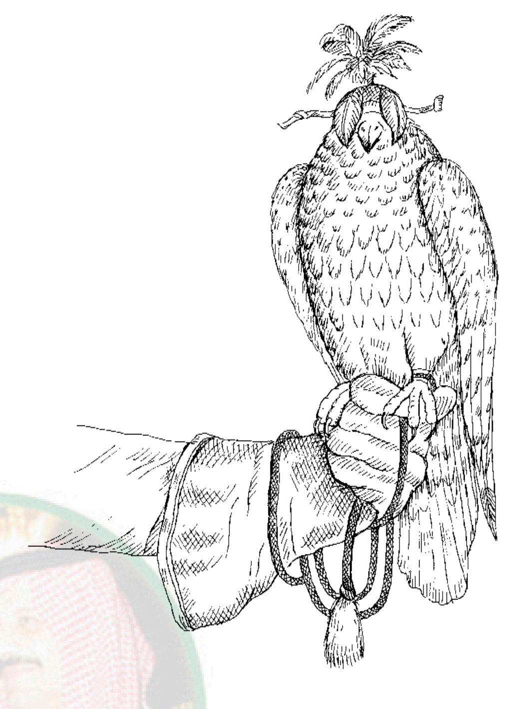
ودقة رأس الجناحين مع قصر ريشهما تكون علامة على سرعة طيران الطائر، كما أن طول أصابع القدمين مع بروزها إلى الخارج يدل على صقر ذي قبضة قوية سريعة لا تفلت الطريدة. وبوجه عام يفضل الصقارون الطيور ذوات اللون الفاتح، وكلما كان اللون مبيضاً كان الصقر ذا قيمة أكبر مفضلاً لديهم.

العناية بالصقور. هناك عدد من الأدوات التي تستخدم في العناية بالصقور وفي إعدادها للقيام بعملية الصيد. من هذه الأدوات الوكر أو المجثم، الذي يُهَيَّأ ليجثم فوقه الطائر، ويشبه المسمار في شكله العام، حيث يتكون من جزء أفقي علوي يسمى الراحة يكون مكسوّا بالجلد عادة، وجزء رأسي سفلي يسمى السيخ يكون طرفه السفلي صلباً مدبباً حتى يخترق التربة ليثبت فيها. ويُحتفَظ بالطير عادة مربوطاً على مجثمه، إذا لم يكن جاثماً على رسغ اليد أو موجوداً في حجرة تغيير الريش (المقيظ). والبرقع، أي الغطاء الجلدي الذي يستخدم لتغطية عيني الصقر لتهدئته وعدم استثارته، والدس أي الكف (والجمع دسوس وكفوف)، وهو القفاز السميك الذي

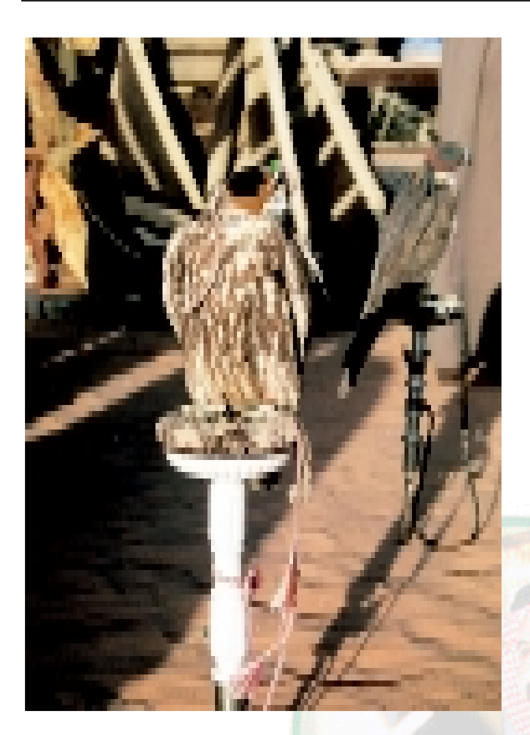


الوكر والسبوق





البرقع والدس



البرقع والدس



يلبس في اليد عند الإمساك بالصقر لحمايتها من تأثير مخالبه الحادة. والسبق، الجمع سبوق، وهو الرباط المصنوع من الجلد أو خيوط القطن أو الحرير ويربط أحد طرفيه في رجلي الطائر ويربط الطرف الآخر في الجزء المتحرك من مجثم الصقر أو وكره. وهناك المربط أي الحزام الذي يمر في الجزء المتحرك من مجثم الصقر، ويربط الصقر إلى مجثمه أو إلى الدس على يد الصقار. والملواح أو التلواح وهو قطعة من الريش يلوح بها الصقار للصقر للفت انتباهه ويدربه عليها أثناء ترويضه. والسبب هو الخيط الرفيع الذي يربط به الطير أثناء تدريبه بطريقة الدعو بالسبب.



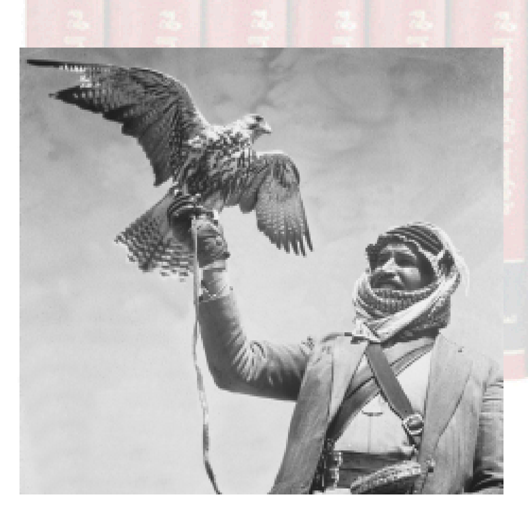
الدس والسبوق



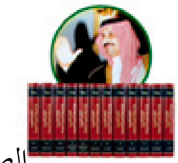
ويستخدم الصقارون المعاصرون بعض وسائل التقنية الحديثة في متابعة صقورهم والحرص عليها من أن تضيع أثناء قيامها بعملية الطراد والصيد، تلك هي تقنية البث اللاسلكي حيث يقوم الصقار بتثبيت جهاز إرسال لاسلكي صغير الحجم خفيف الوزن في ذيل صقره بإحكام حتى لا يسقط، ولا يعوق حركة الطير، يرسل الجهاز ذبذبات بشكل مستمر على موجة معينة يستقبلها الصقار على جهاز استقبال يحمله معه ويحدد له موضع جهاز الإرسال الذي يحمله الطير أي موقع الطير في كل لحظة. ويستمد جهاز الإرسال الطاقة اللازمة لتشغيله من مخزن طاقة كهربية مباشرة (بطارية صغيرة) تستبدل كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ومدى عمل الجهاز يتراوح بين ٢٥ - ٧٠ كيلومتراً، وهو مدى مناسب.

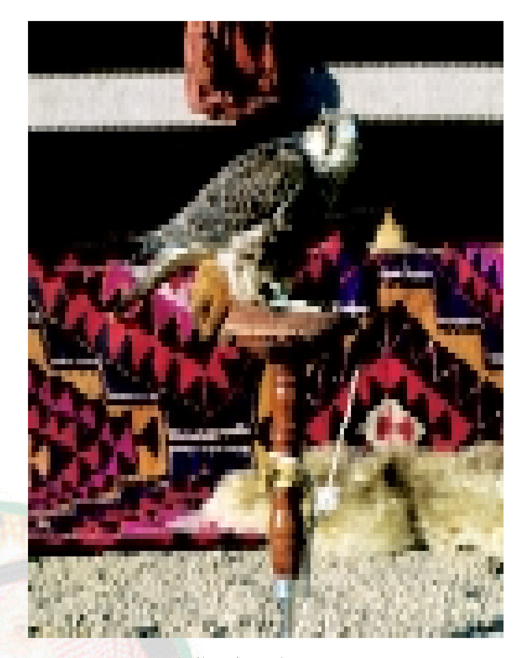
تدريب الصقور. عند صيد الصقر يوضع في المهاد، وهو لباس مخيط يدخل فيه جسم الصقر وجناحاه مضمومان حوله حتى لا يضرب بجناحيه فيكسر ريشهما، ثم يمنع من الرؤية لما حوله حتى يحافظ على هدوئه ويتجنب إثارته وذلك بتغطية عينيه ببرقع جلدي، يمكن وضعه ورفعه متى شاء الصقار ذلك. ثم يضعه على الوكر ويربطه بسبق. ونزع ريش جناح الصقر من العيوب الوقتية التي تزول بعد قرنسته وإنبات ريش جديد له.

ويستخدم صيادو الصقور في بلدان مثل العراق وإيران طريقة قديمة لتغطية عيني الصقر، وهي تقطيب عينيه، أي ربط جفنيهما معا، وذلك بأن يقوم الصقار بإدخال إبرة رفيعة بها خيط دقيق



مراحل تدريب الصقر



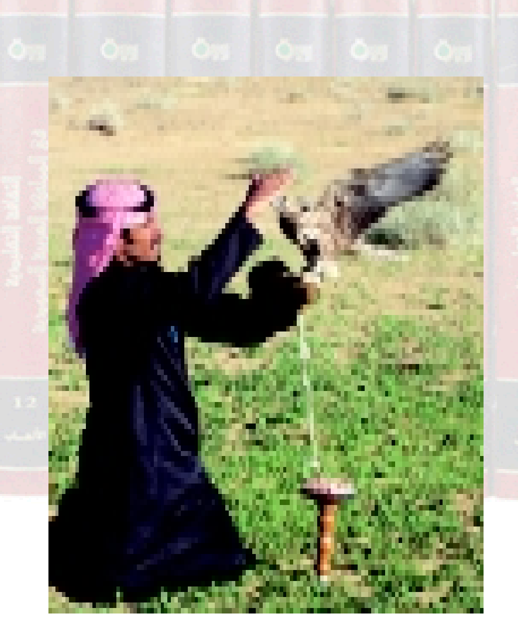


فرخ شيهانة على الوكر

في الجفن الأسفل لإحدى العينين، ثم يمرر الخيط فوق رأس الصقر إلى الجانب الآخر متجهاً إلى الجفن الأسفل للعين الثانية، حيث يمرر فيه الخيط، ثم يقوم بشد طرفي الخيط حتى يرتفع الجفنان السفليّان إلى أعلى ويغلقا العينين، ويمنعا الصقر من الرؤية، وبعدها يقوم بربط طرفي الخيط معاً حول الرأس، وبذلك يحجب الرؤية عن الصقر الزمن الذي يريده. والتقطيب عملية مؤلمة للصقر وقد قل استعمالها. والطريقة البديلة المفضلة حالياً، هي تغطية عيني الصقر ببرقع جلدي يستطيع الصقار وضعه ورفعه حين يشاء.

وقد حض البيازرة على استعمال البرقع للصقر، وتغطية رأسه وعينيه به، لكيلا يثب عن يد صقاره لغير حاجة، ولئلا ينطلق على الطريدة قبل الأوان، فتخور قواه وتضعف عزيمته، والبراقع للصقور بمنزلة الأغماد للسيوف، فإن الغمد يصون السيف من الصدأ، وهو لا يجرد منه إلا وقت استعماله. ويتحدث التميمي عن ذلك فيقول:

«ويقوم الصياد بالإضافة إلى تقطيب عينيْ الصقر أو استخدام البرقع الجلدي، بوضع السبوق الجلدية في ساقي الصقر لربطه بواسطتها ومنعه من الإفلات. وهذه السبوق الجلدية عبارة عن شرائط رفيعة من الجلد، تلبس في ساقي الصقر



فرخ شيهانة على الوكر

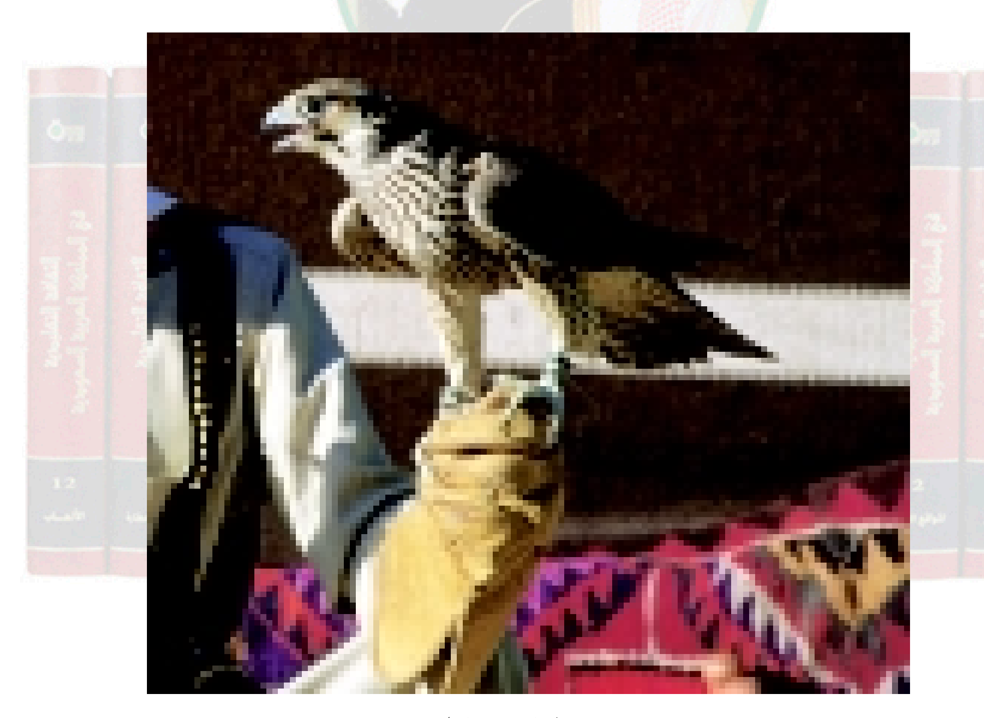


فقط في مراحل ما قبل بيعه وبداية تدريبه» (التميمي ١٩٩٢: ١٦٨).

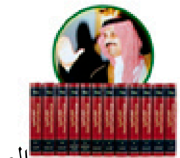
وتعتمد كفاءة الصقر في الصيد، بعد استعداده الفطري لذلك، على كفاءة المدرب الذي يتولى عملية تدريبه. فمتى كان المدرب صبوراً صاحب خبرة ومتابعة، استطاع أن ينجح في تدريب الصقر تدريباً جيداً على فنون الصيد والقنص، حيث إن طبائع هذه الطيور تشبه طبائع الخيول تحتاج إلى الصبر والمتابعة.

وتمر عملية تدريب الصقر بعدة مراحل، تبدأ بتغطية عيني الصقر -بتقطيب الجفنين- أو بوضع البرقع الجلدي عليهما، ثم يحمله المدرب على ساعده مدة من الزمن يومياً قد تمتد لعدة ساعات ويفضل أن يكون ذلك ليلاً -حيث يتوافر الهدوء- أو في غرفة مظلمة لا يدخلها الضوء، بعيدة عن الحركة والضوضاء. وبعد أن يركن الصقر إلى ساعد صاحبه يبدأ في استثارته ودفعه للبحث عن الطعام وهو في وضعه هذا وذلك بأن يداعب سيقانه أو مخالبه بريشه ثم يقرب منه الطعام شيئاً فشيئاً حتى يعثر عليه فيبدأ في تناوله.

وتبدأ عملية التدريب بإعطاء الصقر قليلاً من اللحم وبرقعه عليه ثلاث أو



فرخ شيهانة بحرية يلهث

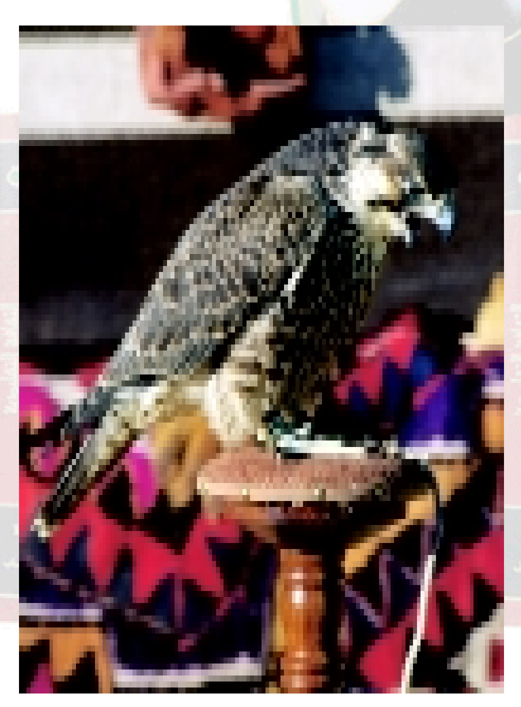


أربع مرات، ويفضل أن يزال برقعه عنه عدة مرات ويعاد بسرعة حتى يألف وجود البرقع ويألف كذلك ما حوله. ثم بعد ذلك يعطى طعامه وبرقعه عليه وهو على يد الصقار حتى يشعر بالحركة ويألفها. ثم تحل سيور البرقع ويترك ليسقط أثناء إطعام الصقر ليتعود بعد ذلك على تناول الطعام وهو على يد صاحبه.

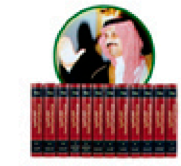
وتمتد فترة تدريب الصقر من عشرة أيام إلى شهر. ويختار الصقار للصقر اسماً معيناً يناديه به ويدربه عليه ليستجيب له عندما يناديه. وعادة يكون الاسم مذكراً حتى لو كان الصقر أنثى. ومن الأسماء المستخدمة بكثرة: عزام، فلاح، سرهيد، سطام، جلعود. ويجب أن يكون طعام الصقر جيداً طازجاً يتكون من الحمام، أو من العصافير أو السماني، أو اللحم وخاصة لحم الضأن.

وأهم ما يقوم به الصقار في تلك الفترة هو ترويض الصقر وتربيبه وتأنيسه لدرجة معينة، وذلك بأن يصل به إلى حالة يشعر من خلالها بحاجته إلى الصقار، وارتباطه به واعتماده عليه، وأن عليه أن يستجيب لرغباته وأوامره لكي يحوز على رضاه وبالتالي ينال مكافأته في صورة قطعة طيبة من اللحم الطازج.

ولكي يصل الصقار بالصقر إلى هذه الحالة لا بد له من تجويعه أولاً لفترة زمنية تطول أو تقصر حسب نوع الطير وقدرته على احتمال الجوع. فالشاهين مثلاً يكفيه ليلة أو ليلتان، لأنه لا يصبر على الجوع، حتى يأنس لصاحبه ويركن إليه ويتناول طعامه من يده. ولذلك يسميه الصقارون في دول الخليج العربي أبو ليلة أي أنه لا يصبر إلا ليلة واحدة على الجوع،



فرخ شيهانة بحرية تنطل (تُخرج) الروباجة (الريش والعظام)



حتى يقفز إلى يد الصقار من مجثمه، ويلتقط قطع اللحم الشهية من بين أصابعه بمنقاره الحاد المعقوف. أما الصقر الحر فهو عنيد متحمل للجوع، وقد تمتد فترة تجويعه إلى أكثر من أسبوع، حتى تلين قناته بعد أن ينهكه الجوع، ويلجأ إلى يد الصقار لكي يتناول اللحم منها.

وخلال فترة التجويع يحمل الصقار صقره على ساعده -كما أسلفنا- لأطول مدة ممكنة مع توفير جو من الهدوء حوله، ليلاً كان ذلك أم نهاراً، ويقوم الصقار أثناء فترة حمله للصقر بتعويده على صوته وأوامره ليأنس إليه، وذلك بأن يلفت انتباه الصقر، ويشعره بوجوده معه فيناديه باسمه الذي اختاره له، ويمسح على صدره بلطف ليدخل الطمأنينة إلى قلبه، كما يقوم برفع البرقع عن عينيه للحظات قصيرة، تطول تدريجياً، لكي يتيح له رؤية ما حوله والتعرف عليه. وعندما يرفع الصقار البرقع عن عيني الصقر فإنه عادة يرفرف بجناحيه ويخفق بهما ويهم للحظات إلا أنه يعود ليسكن على يد الصقار. ويعيد الصقار البرقع على عينيه مغطياً إياهما مرة أخرى. وهكذا يكرر هذه العملية على فترات متباعدة إلى أن يطمئن الصقر إلى صاحبه اطمئناناً تاماً ويركن إليه ويقف هادئاً مطمئناً على يده حتى وعيناه مفتوحتان يرى ما حوله من دون برقع.



يطعم الصقار صقره بيده



بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية الأهم من التدريب، وتسمى عملية التنقيز من الوكر للطعام وهي دعوة الصقر إلى الوثوب من وكره أو مجثمه إلى يد الصقار، لالتقاط قطعة من اللحم يخفيها الصقار في كفه وبين أصابعه، ويكون الصقار قريباً من مجثم الصقر في البداية، ثم يزيد المسافة بينه وبين الصقر تدريجيا كلما كانت استجابة الصقر لدعوته إلى الوثوب أسرع. وقد تطول هذه العملية إلى عشرة أيام، وقد تتم في يومين فقط، والفرخ أسرع استجابة من القرناس الوحشي.

وبعد هذه العملية تبدأ عملية الدعو بالسبب. وفيها يأخذ أحد الرجال الصقر، بعد ربطه بالسبب، وهو حبل رفيع طويل قوي، ويقف به مواجهاً للصقار الذي يدعو صقره باستخدام الملواح وهو جناحي حبارى مجففين، يخفي الصقار بينهما قطعة اللحم الشهية، فيلوح بهما للصقر ويدعوه للوثوب عليهما، والحصول على مكافأته من اللحم فيثب عليها ويأكلها، وتتكرر هذه العملية عدة مرات لعدة أيام. ويبدأ الصقار دعوة صقره بالملواح أولاً من على مسافة قصيرة يزيدها تدريجياً حتى يصل إلى خمسين متراً أو يزيد.

ويحافظ الصقار على صقره مربوطاً بالسبب طيلة قيامه بهذه التدريبات، بحيث يسمح له بالتحرك والطيران مسافة معينة دون أن يفقده. ويزيد من طول الحبل كلما ازدادت المسافة التي يدعو الصقر منها إلى تناول وجبته، ومن الملواح ينطبع في ذهن الصقر الصورة الأولى لطائر الحبارى وحصوله على غذائه من الوثوب عليه والإمساك به، فيصبح الصقر متلهفاً لرؤية الحبارى لكي يحصل على طعامه ويدرأ عنه شر الجوع والمسغبة ويسارع بتلبية دعوة الصقار إلى الملواح كلما رآه.

يستمر ذلك التدريب حتى يطمئن الصقار تماماً إلى أنس صقره له، واستجابته لدعوته وطاعته طاعة عمياء، فيبدأ في إطلاقه من أرسان الحبل ويدعوه وهو حر طليق. وتتكرر هذه العملية يومياً في المساء بحيث ينتهي التدريب بأن يقدم الصقار لصقره وجبة عشاء كاملة طيبة. وتزداد المسافة التي يدعو الصقار صقره منها وهو حر طليق حتى تزيد على مئة المتر، يلوح له منها بالملواح الذي قد ربطه بخيط لكي يرتفع بالقدر الكافي، الذي يجعل الصقر يراه من على هذه المسافة. وكلما بعدت المسافة وارتفع الملواح زاد إصرار الصقر



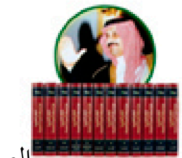
على مهاجمته والحصول علـى طعامه منه.

وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تعليـم الصقر وتدريبـه على الصيد. وينبغي على الصقار أن يعتني بصـقره خلالها عناية فائقة، حيث يقوم بتغذيته بأطيب اللحوم، ويصبر عليه، ويدربه تدريجيـاً. ويقوم باستخدام عـلامات وإشارات وصـيحات خـاصة تسمـى الندب يتـعلمها الصقر، مـنها ما هو لإطلاقه (هَدِّه) ومنـها ما هو لإعادته (ترييعه، إرجاعه) حينما يناديه صاحبه باسمه، ويـرفع له العلامة التـي دربه بالنزول علـيها وهي الملواح. وتحتاج هذه المرحلة إلى خمسة عشـر يوماً أو أكثر. ويفضل أن تصاد حبارى وتطعم للصقر فوراً حتى يشبع منها.

ويكون التدريب الأخير للصقر قبل إخراجه لممـارسة الصيد الفعـلي، إذا كان فـرخاً، عـلى حـبارى حـية لا تستطـيع الطيران، أما القـرناس فربما يكون قد صادها مـن قبل فلا يحتاج إلى هذا التدريب، ويكفي إشباعه من الحبارى فقط. وهذا التدريب هو فـي الحقيقة تقويم للصقر واختبـار لقدراته وخبـرته التـي اكتسـبها خـلال فتـرة التدريـب الأولى، وفيه تـختبر قدرة الصقر على الصيد باستخدام طير من طيور الحبارى الحية الأسيرة. ويعتمـد تنفيـذ هذا الاختبار على مـدى توافر طيور الحبارى الـتي يمكن استخدامها لهـذا الغـرض. فإذا تـوافرت يـقوم الصقّار بقص ريش جنـاحها ويطلقها في أرض ممتدة فسيحة، ثم يرفع البرقع عن عيني الصقر لكي يراها، وينطلق إليها ليطاردهـا محاولاً الإمساك بها، وصيدها.

وفي هذا الاختـبار تظهر مدى قوة الصقر الحـقيقية، ورغبـته في الصيد، وقابليته لذلك وجرأته على مهاجمة طائر الحبارى الحـي، الذي يدافع عن نـفسه باستبسال عند مهاجمة الصقر له ويواجهه بسُـلاحه وذرقه اللاصـق ولا تستسـلم الحبارى له بسهولة. وقيام الصقار بقص ريش الحبـارى قبل إطلاقهـا هو إجراء احترازي بحت حـتى لا تطير ويفقدها الصقار إذا لم ينجح الصقر في اختباره وفشل في صيدها.

ويطلق على الحبارى التي تستخدم لتقويم قدرة الصقر، الذي أنهى تدريبه على الصيد قبل أن يمارس الصيد فعلاً، مسمى العلوفه، ربما لأن الصقار يعلفه، أي يطعمـه منها، ومدى قدرته علـى القيام بعمـلية الصيد بنجاح. أما فـي



حالة عدم توافر طير من طيور الحبارى الحية لتقويم قدرة الصقر على الصيد بوساطته، فإن الصقار يضطر إلى أن يجازف بتجربة صقره على القنص الفعلي مباشرة مؤملاً أن يكون عند حسن ظنه.

وبعض الصقارين قد يستخدمون بدلاً من الحبارى العلوفه طيراً من نوع آخر، يكون أسهل في الحصول عليه، مثل الدجاج الحبشي أو الدجاج الرومي أو أنثى الطاووس لشبهها بالحبارى. وقد يتيسر له استخدام أحد طيور الحبارى الإفريقية لأنها تؤدي الغرض المطلوب (التميمي ١٩٩٢: ١٧٤).

وبعد تضرية الصقور على هذا النحو، يمكن للصقار أن يرسلها للصيد باطمئنان. ولكن لا بد للصقار أن يرسل صقره على طريدة وهو جائع، لأنه يصيد لنفسه إذا كان جائعاً، أما إن لم يكن جائعاً فلا يصيد، لأنه ليس بحاجة للطعام. ولا يرسل طيرين منها على حبارى واحدة في نفس الوقت، لأنه إذا أمسكها أحدهما قاتله الثاني عليها فيشتبكان معاً ويتركان الطريدة. ولكن إذا أرسل الصقار صقره على حبارى، وكانت الحبارى طيارة والصقر بطيء الطيران قد عجز عن اللحاق بها فإنه يرسل شاهيناً أو صقراً آخر سريعاً عليها ليلحق بها، ويدعو الصقر الأول البطيء بالملواح ويربطه إذا أمكن، أو ينطل الملواح له على الأرض ويسارع في متابعة الصقر الثاني أو الشاهين إذا صاد الحبارى قبل أن يشتبك معه الصقر الأول. ويفضل أن يشبع الصقر من أول حبارى يصيدها حتى يعتاد على ذلك. ويجب أن يجوّع الصقر قبل إرساله للقنص لأنه أولاً وأخيراً يصطاد لنفسه لا لصاحبه كما أشرنا قبل قليل.

قرنسة الصقور. يقصد بها إلقاء الطير ريش جناحيه وذيله الذي يعتمد عليه في الطيران. ويحدث مع دخول فصل الربيع واعتدال الجو أن تبدأ الصقور رحلة عودتها من هجرتها متجهة إلى مواطنها الأصلية في الشمال بحثاً عن الجو البارد وهرباً من حرارة الجنوب. لذلك يأخذ الصقارون حذرهم ويربطون طيورهم ولا يطلقونها للصيد اعتباراً من أوائل شهر مارس (آذار) وهو الوقت الذي تتم فيه عملية القرنسة، أي تجديد ريش الجناحين والذنب.

ويبدأ التساقط في الريش الداخلي سواء أكان ذلك في الجناحين أم في



الذنب. حيث تبدأ ريشات الجناحين الداخلية في التساقط، ويكون ذلك بتساقط ريشة واحدة من كل جانب وتستمر العملية حتى يتجدد الريش كله. وقد تسقط ريشة واحدة من كل جناح في اليوم، وقد تسقط أربع ريشات في يوم واحد، وقد لا تسقط أي ريشة لعدة أيام.

وتستغرق عملية القرنسة منذ بدايتها حوالي خمسة أشهر. وقد يقرنس الطير وهو جاثم على وكره الذي يعده له الصقار للوقوف عليه، ولكن الأفضل إطلاقه في غرفة مهواة تدخلها الشمس ويتخللها الهواء، وأرضيتها مغطاة بالرمل مع وضع عوارض خشبية عليها «موكيت» من النوع الخشن، وكذلك وضع إناء واسع مملوء بالماء ليخفف الطائر الحرارة عن جسمه بالماء إذا أراد ذلك.

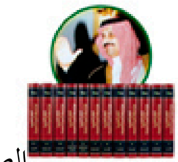
وأفضل ما يطعم الطائر خلال شهور القرنسة السمانى أو الجرذان حيث يعطى من ثلاثة إلى أربعة منها كل يوم في بداية القرنسة، وتعطى له حية إذا لم يكن جفولاً. وإذا كان يقرنس جاثماً على وكره فيراعى عدم وضع البرقع على عينيه خلال فترة اثنتي عشرة ساعة لينطل الروباجة وهي بقايا الريش والعظام التي لم يهضمها حيث إنه



يبقى الصقر بدون برقع خلال فترة قرنسته

يقذفها من فمه إلى الخارج مرة أخرى وقد يكون ذلك بعد اثنتي عشرة ساعة، وتركها داخله يضر به وقد يقتله. أما إذا غذي الطير على لحم فيجب أن يكون طازجاً تماماً خالياً من الشحم لم يسبق تبريده.

وعدد الريشات الأساسيات في القرنسة من ريش جناح الطائر عشر،



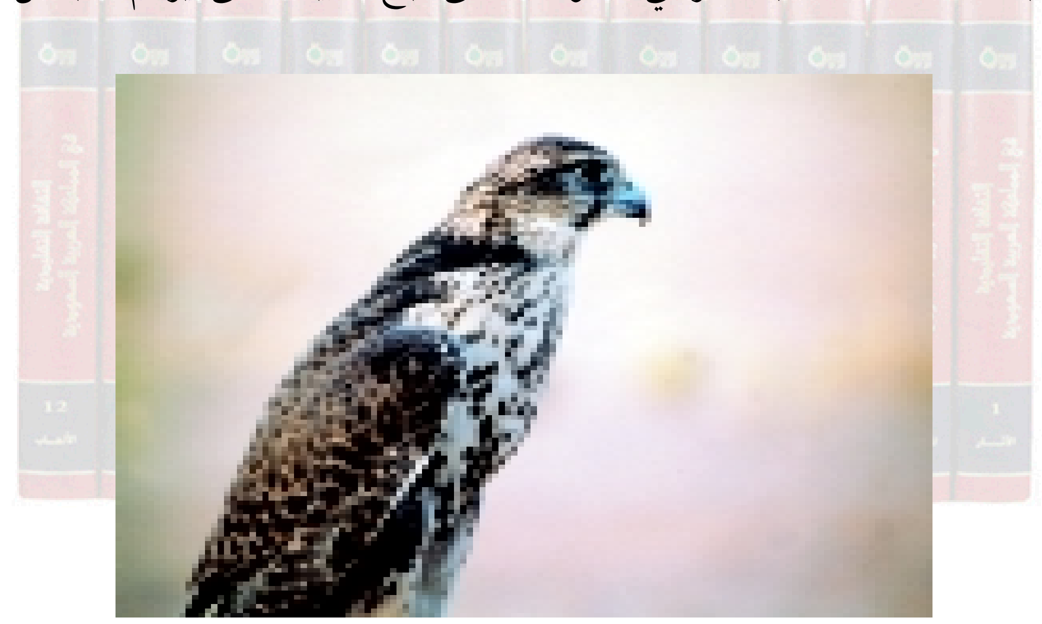
منها سبع هي الأكثر أهمية وهي السبع الطارفات، وتسمى الريشة الأخيرة في الجناح الموسى والثانية النايفه وتليها الثالثة فالرابعة حتى السابعة. ولا يلقي الطائر ريشةً عادة إلا إذا خرجت الريشة الجديدة مكان التي سقطت قبلها وذهب الدم منها. أما ريش الذنب فعدده اثنتا عشرة ريشة تسمى الاثنتان الوسطيتان منها المغاطي لإنها تغطي بقية ريش الذنب إذا جمعها عند وقوعه. أما الاثنتان الطرفيتان فتسميان الكلاوي. والمغاطي هي أول ما يسقط من ريش الذيل.



الصقر الحر

صفاته وسلالاته

هو أكثر أنواع الصقور استخداماً بين الصقارين العرب. يقال له الأجدل والأكدر والهيثم والمضرحي والقطامي والأسفح والزهوم، وقيل الزهوم فرخ البازي والهيثم فرخ العقاب. ودُعي بالأجدل لشدته، وبالمضرحي لطول جناحه وكرمه، وبالقطامي لقطمه اللحم بمنسره. وكنيته أبو شجاع وأبو الإصبع وأبو الحمراء وأبو عمران وأبو عوان. وهو صقر قصير الذنب، عظيم المنكبين، كبير الرأس، أغبر اللون. وهو من أثبت الجوارح جناحاً في الطيران، وأحرصها على اتباع الصيد، حتى ليزعم أن بعض



الصقر الحر





حر كامل

ملوك مصر أرسل صقراً على كركي صبيحة يوم الجمعة بمصر، فبينما الناس يصلون الجمعة بدمشق، إذ وقع هو والكركي بالجامع الأموي بدمشق، فأُخذ فوُجد فيه لوح السلطان فعُرف به، فكتب نائب الشام إلى السلطان يخبره، وأرسله إليه هو وصيده (القلقشندي ١٩٨٧، ج١ :٦٨). ولا شك أن في ذلك من أمور المبالغة الشيء الكثير.

وقال في المصايد والمطارد «ومن ألوان الصقر كونه أحمر وأبغث وأحوى وأخرج ويستحب فيه أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، واسع العينين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب القعدة في القفار، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ الأصابع فيروزجها، أسود اللسان، وتجمع هذه الصفات الفراهة والوثاقة والسرعة». ومزاجه أبرد من البازي والشاهين، وبسبب ذلك يضرى على الغزال والأرنب، ولا يضرى على الطير لأنه يفوته، وهو أهدأ من البازي نفساً، وأسرع استئناساً بالناس، وأكثر قنعاً، وأبر مزاجاً، لا يشرب الماء، ونوعه يوصف بالبخر، وهو نتن الفم، ومسكنه المغائر



حر أرقط يخفق بجناحيه

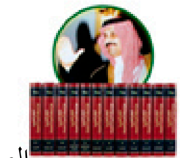


والكهوف وصدوع الجبال دون رؤوس الأشجار وأعالـي الجبال (القلقشـندي ١٩٨٧، ج١ :٦٧-٦٨).

ويبدو أن القلقشـندي قد خلط بين صفات الصقر الحر والشاهين والوكري، إذ إن بعض ما ذكره لا ينطبق على الصقر وإنما عـلى الشاهـين أو الوكري. وفي الحقيقة أن الصقر الحر يشرب الماء ويحتاج إليه. وهو لا يستخدم في الوقت المعاصر في صيد الظباء، ويكاد لا يستخـدم إلا في صيد الحبارى والكروان ومثيلها من الطيـور، وكذلك الأرانب. ولا يـرسل الصياد صقرين معاً عـلى طريدة واحدة أبداً.

وهو، عند البيازرة القدامى، جارح صيود، يمتاز بشدة صـبره حتى قيل إنه ينزل من بين الجوارح مـنزلة البغال من الدواب، لأنه أقوى على الشدة، وأحمل لغليظ الغذاء، وأكثر إلفة، وأجرأ على صيد الكبير من الـطرائد مثل الكركي، وما في منزلته من البط وطير الماء، وإذا ضُرِّي على صيد الظباء أمكنه ذلك، فإذا أرسل الصقران على ظبي، ينزل أحدهما على رأسه، ويضـرب عينيه بجناحيه، ثم يعلو. وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك، وهكذا يشغلانه عن المشي والهرب، حتى يدركه الصياد فـيظفر به. والأفضل ألا يطلق الصقر على الظبي إلا ومعه كلب صيد فإنه ينزل على رأس الظبي ويعقره، ويضرب بجناحيه بين عينيه، فيمنعه من شدة العدو حتى يلحقه الكلب. وقالوا في المـثل الشـعبـي «فروخ الحجـل ما ينجعون الدار»، وينجعون يعاودون ويعني عدم الاستقرار بمكان واحد.

ويصطـاد الصقر الحر فرائـسه فوق مناطق الحشائش والمناطق الرطبة، وحتى في المزارع التي تتوافر فيـها أعداد كبيرة من القوارض الصغيرة والمتوسطة الحجم التي تنشط نهاراً، مما يهيئ له غذاء وافراً، لا سيما أنه يختلف عن غيره من أنواع الصقور في كونه يفضل الثدييات الصغيرة التي يقنصها غالباً من على سطح الأرض ويقترب منها بسرعة كبيرة بزاوية حادة. وعلى الرغم من تفضيله لهذه القوارض في تغذيته، فإن الطيور تشكل أيضاً جانباً مهماً من غذائه، ومن أفضلها لديه طائر السماني. وفي غير موسم التزاوج يصطاد فوق مناطق مـتنوعة البيئات تمـتد حتى السواحل والـصحاري، ولكن نادراً ما يخرج عن المناطق المشمسة ذات الأمطار المنخفض معدلها. وهو يستغل التيارات الدافـئة الصاعـدة في تحلـيقه لـيراقب فرائسه، ولكنه أيضاً يـتخذ لنفسه نقاط مراقبة على مناطق مرتفعة مواتية مستخدماً

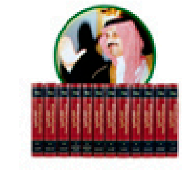


تقنيات صيد مختلفة، وهو يبتعد بوجه عام عن المناطق التي يوجد فيها الإنسان. وهو يقل غالباً في مناطق السهوب المفتوحة.

يطير الصقر الحر عادة على ارتفاع منخفض عندما يبحث عن فرائس أرضية، ولكنه ربما يبحث عن فرائسه محلقاً في دوائر، أو جاثماً يراقب من مكان مرتفع، وأحياناً يمسك بالخنافس والجعلان وهو يمشي على الأرض. ينحدر على فرائسه من الطيور محاولاً أخذها على غِرَّه، وربما يأكل الصغير منها أثناء تحليقه، أما الكبير فإنه يأوي به إلى مكان مرتفع مناسب، ليمزقه ويأكله. وطيرانه قوي سريع وتسرع حركته عند القنص، ولكنه يظل أكثر من الشاهين حركة وأقل اندفاعاً. ويختلف في تحليقه، عن غيره من أنواع الصقور، في أنه يرفع جناحيه قليلاً إلى أعلى في بعض الأحيان وكثيراً ما يتأرجح في طيرانه. ويشبه الصقر السنقر أو السنجاري في كونه يطير منخفضاً للصيد، أو ينحدر من أعلى على فريسته. إلا أن حركته تظل متكاسلة مع كونه يقوم بتحريك القوادم فقط أثناء الطيران المستوي.

وأهم فرائسه من الثدييات القوارض، خاصة الجربوع والعضل والمرموط والهامستر وبعض أنواع الأرانب والقاقم والقنفذ أحياناً. أما فرائسه من الطيور فتتدرج من الجواثم الصغيرة إلى الطيور الكبرى حجماً، مثل الحمام والحجل والقطا والغربان. ويأكل من الزواحف العظايا والسحالي والضب، ومن البرمائيات الضفادع. وتشكل الزواحف جانباً هاماً من غذائه في مناطق التشتية الهندية. وقليلاً ما يتغذى على اللافقاريات، وأكثرها الخنافس والجعلان والجراد. وقد شوهدت الطيور البالغة تحت ظروف الجفاف، وشدة ارتفاع درجة الحرارة، تطعم صغارها الفطرات ذات المحتوى المائي العالي.

والصقر الحر أصغر حجماً ووزناً من السنقر (السنجاري) إذ يبلغ طوله من ٤٤ إلى ٥٥سم، وطول الذنب من ١٦ إلى ١٧سم. وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ١٠٢ سنتيمتر إلى ١٢٦سم. وحجمه في المتوسط –وإن كان أصغر من الصقر السنقر أو السنجاري– أكبر من الشاهين. وفي الطيور البالغة يتراوح وزن الذكر من ٧٣٠ إلى ٩٩٠جم بينما يتراوح وزن الأنثى من ٩٧٠ إلى ١٣٠٠جرام. ولون ريش السطح الظهري عادة بني داكن، لا تشوبه الزرقة أو اللون الرمادي. ويظهر على

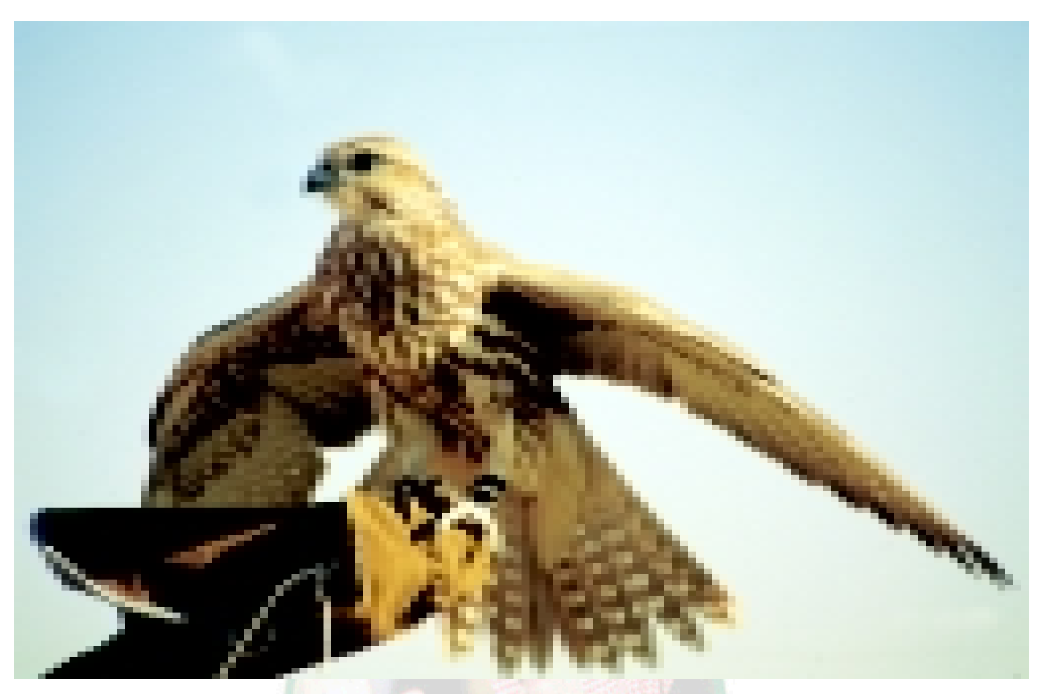


الذيل بقع باهتة، لا تنتظم في خطوط. ويكون الرأس في الطيور البالغة أفتح لوناً، ويخلو الوجه من وجود علامات مميزة. يوجد في كثير من الطيور البالغة واليافعة خط داكن اللون، يمر بالعرض أسفل الجناحين فيظهر واضحاً على السطح السفلي الذي يكون عادة باهت اللون. لا يختلف الذكر عن الأنثى في الشكل، ولكنه أصغر منها حجماً ووزناً. ولا تحدث تغيرات فصلية في لون ريش الطائر، ولو أن الطير ذا الصدر الأبيض، تقل مساحة اللون الأبيض فيه مع تقدمه في العمر، حيث يظهر في صدره ريش داكن اللون مع تقدم الزمن فتتقلص مساحة البياض فيه.

حر أبيض أرقطوافي

ويتفق معظم علماء الطيور على أن هناك سلالتين من الصقر الحر: أولاهما سلالة غرب المنطقة القطبية وفي معظم نطاق انتشار هذه السلالة يكون لون السطح الظهري بنياً داكناً، بلون صبغ الحبّار، وأطراف الريش العريضة محمرة صدئة اللون، تكسبه لوناً بنياً ضارباً إلى الحمرة، يكون واضحاً في الضوء. أما في تركيا والمناطق المتاخمة، فيكون لون الطائر أفتح، وقد يكون أشقر أو أشعل، وقد يضرب إلى اللون الرمادي المزرق في القليل من الطيور، ويمكن ملاحظته عن بعد. ويكاد يكون لون أعلى ريش الطيران أسود، يتميز بوضوح عن بقية لون السطح الظهري للطائر. لون الذيل بني فاتح، ويخلو وسطه من العلامات، وتظهر على ريشاته الجانبية نقط كبيرة، أو بقع بيضية الشكل بيضاء اللون، لا تنتظم في خطوط، على عكس الصقر السنقر (السنجاري) والشاهين. لون قمة الرأس (التاج)، والمنطقة الداخلية للمنسر عند اتصاله بالرأس، قشدي أو أصفر برتقالي باهت، وبه خطوط داكنة تظهر





فرخ حر أشقر مثلوث

بشكل أوضح في الطيور اليافعة، التي لما تبلغ سن النضج الجنسي.

الوجه باهت اللون مع علامات قليلة، والخدود بيض اللون، والحلق مقسم بشارب رفيع غير مميز. الأسطح السفلية للجسم بيض اللون أساساً، مع وجود بقع بنية داكنة خفيفة على الصدر، وكثيفة على الكفين قد تنتظم في خطوط على الكفين. منطقة المذرق بيضاء اللون واضحة، على عكس ما هي عليه في الصقر السنقر (السنجاري). لون السطح السفلي للجناحين شاحب مبيض، يكاد يكون في لون اللبن المخفف، ولكن أطراف القوادم داكنة. كما يوجد خط داكن ممتد على طول كواسي الجناح الخارجية، ويظهر بأشكال مختلفة في الطيور المختلفة، وخوافي الجناح داكنة اللون دائماً.

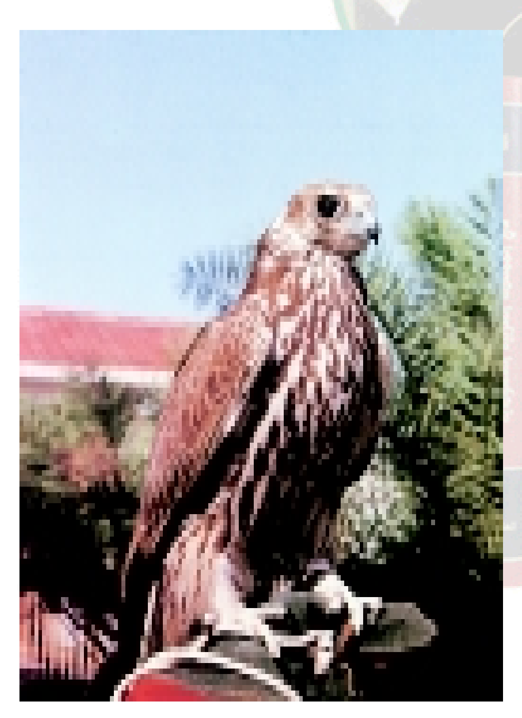
أما السلالة الثانية من سلالات الصقر الحر فهي سلالة أواسط آسيا، وتتميز هذه السلالة بأن السطح العلوي لصقورها يكون مخططاً بخطوط صدئة محمرة اللون، وأن السطح السفلي مخطط بخطوط داكنة ضيقة، لا سيما على الفخذين والكفين، وأما عدا ذلك فهي تشبه السلالة الأولى، سلالة غرب المنطقة القطبية فاتحة اللون.



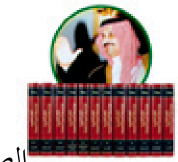
وهناك قلة مـن علماء الطيور يميزون بين ٦ سلالات لـلصقر الحر، بـناء على درجة دكنة اللون في المقام الأول. ويتفق معهم الـصقارون العرب المحدثون. وقد ذكر التميمي في كتابه الصقور والصيد عند العرب إلى أنه يوجد من الصقر الحر عدد من الـسلالات، لا يسهـل حصرهـا ولا التمييز بينها، حيث تتداخل كثـيراً بوجود أشكال متوسـطة بين هذه السلالات، مما يجعل أمر تمييزها صعباً، ليس فقط على الصقارين المهتمين بهذا النوع الأصيل من الطيور، وإنما أيضاً على علماء الطيور.

والمقياس المعتمد عليه في التمييز بين هذه السلالات، هو اللون العام للصقر، الذي يـحدده اللون الـغالب علـى ريش سطحه الـظهري وصدره، ومدى انتشار البقع اللونية الداكنة عليه، ولونها وتوزيعها وشكـلها: هـل هي علـى شكـل نقاط متناثـرة، أو على شكل خطوط عـرضية تمتد على الظهـر كلياً أو جزئياً، وكذلك اللون الغالب عـلى رأس الصقر ومقدمة رقبته وصدره، وطول جناح الصقر، الذي يقاس عادة من مـقدمة قوس الجناح إلى نهاية أطول ريشة فيه، وهي الريشة التاسعة من ريش القوادم التي يسمـيها الصقارون النايفة أما الأولى فهي المرس، وأخيراً وزن الصقر. والـقياسان الأخيران، أي طـول الجناح والوزن، نسبيان إلى حد كبير، ولا يعتبران من القياسات الفارقة بين السلالات (التميمي ١٩٩٢: ٤٦).

ويضيف التميمي أن السلالات الست التـي يميـزها بـعض عـلمـاء الطـيور والصقارون العرب هي: السلالة البيضاء الشقراء التي يعتبرها الصقارون المتمرسون السلالة النموذجية للصقر الحر، ويكون اللون السائد على ظهر الصقـر فيها بنياً فاتحاً أو أشقر تختلـف درجته من صقر إلى آخر. وكلـما كان اللون أفتح كـان الصقر أفضل، وكثر طلب الصقارين له، وغلا ثمنـه. وكذلك كلما كان الـرأس

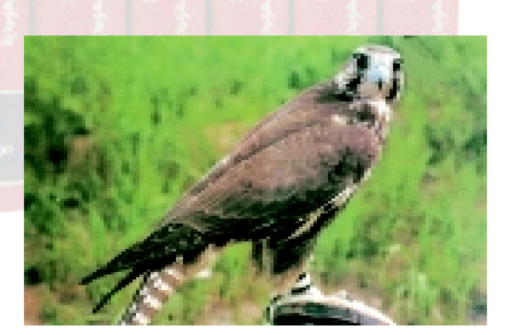


فرخ حر أشقر من أجود الأنواع



ومقدمة العنق أفتح لوناً، والصدر أبيض اللون، ارتفعت درجة الصقر وقيمته. ويصل متوسط طول الجناح الواحد في الأنثى من صقور هذه السلالة إلى ٤٠سم، ووزنها نحو كيلو جرام واحد. أما الذكر فيقل متوسط طول جناحه عن الأنثى بحوالي ٤سم.

والسلالة الثانية من الصقر الحر هي السلالة الحمراء، التي تشبه السلالة السابقة في شكلها العام، إلا أنها أدكن لوناً، ويغلب عليها اللون الأحمر. وتظل حافات ريش الظهر أفتح لوناً، فتصبح لذلك أكثر وضوحاً مما هي عليه في السلالة البيضاء أو الشقراء. ويزداد انتشار النقاط بنية اللون على كل من الصدر والبطن. وقد تقل دكنة اللون الأحمر في بعض أفراد هذه السلالة فتقترب من السلالة الشقراء، أو تزداد دكنة اللون الأحمر فتبتعد عنها، وذلك وفقاً للمنطقة التي نشأ فيها الصقر، وأُحْضِر منها إلى



حر قرناس أحمر



حر أحمر

الجزيرة العربية. وتعيش صقور هذه السلالة في مناطق شرق أوروبا وآسيا إلى حدود نهر الفولجا.

والسلالة الثالثة هي السلالة الخضراء، ويكون لون الرأس فيها أدكن مما هو عليه في السلالتين السابقتين البيضاء والحمراء. ويغلب فيها الترقيط والتنقيط باللون البني المحمر على الجزء العلوي من الظهر، كما يغلب التخطيط على الذيل. وتظل منطقة الصدر والبطن ومقدمة الرقبة فاتحة اللون نوعاً ما، تتناثر عليها نقاط بنية قليلة العدد. وقد يزيد حجم صقور هذه السلالة قليلاً، عن حجم صقور السلالة الحمراء السابقة. وتختلف دكنة اللون في هذه السلالة شدة وضعفاً. وتستوطن صقورها شرقي أفغانستان وتركستان، وتمتد أيضاً إلى نطاق انتشار السلالة البيضاء أو الشقراء.

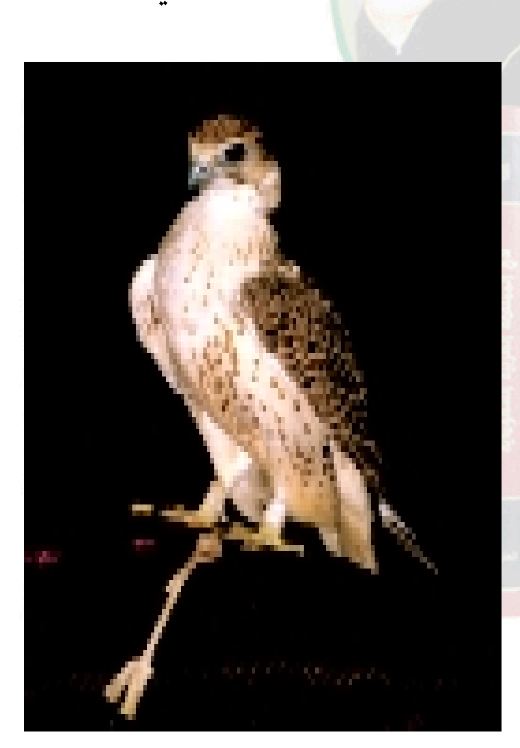




حر أسود على الوكر

والسلالة الرابعة هي السلالة الدهماء وتشبه طيور هذه السلالة طيور السلالة السابقة تماماً، وتتشابه معها في جميع صفاتها، إلا أن اللون فيها أكثر دكنة، مما هو عليه في السلالة الخضراء، حيث يتراوح بين البني الداكن والبني المسود. وتستوطن صقور هذه السلالة جبال التاي في منغوليا، بوسط آسيا. وقد اكتسبت اسمها العلمي من اسم هذه الجبال، كما توجد في جبال سايان وتيان شان في الصين.

والسلالة الخامسة هي السلالة الساحلية، التي يتفق الصقارون العرب على تسميتها بالصقر الحر الجرودي. وقد ميز التميمي صقور هذه السلالة إلى سلالتين أطلق على أولاهما الجرودي الجزئي، وعلى الثانية الجرودي الكامل. وأهم الصفات اللونية التي تميز صقور الجرودي الجزئي، النقاط الكبيرة الحجم الواضحة، التي تشغل الجزء السفلي من ظهر الطائر، مع النصف الخلفي من جناحيه. ويكون اللون الغالب على الطائر، هو اللون البني المحمر الداكن، وقد يشوبه أحياناً شيء من الشحوب. وتستوطن صقور هذه السلالة جبال تيان شان في الصين، وتمتد غرباً حتى شمالي شرق إيران. أما صقور الجرودي الكامل فتشبه صقور الجرودي الجزئي كثيراً، إلا



حر كامل أرقط



أن الترقيط على ظهرها وجناحيها ينتظم في خطوط، تظهر واضحة جداً على ظهر الصقر وتشغل مساحة كبيرة منه، وقد يمتد التخطيط ليشمل الذيل أيضاً، في تناسق تام مع خطوط الظهر. ويشبه اللون العام للطائر الجرودي الكامل مثيله في الطائر الجرودي الجزئي. والرأس شاحب اللون عليه نقاط حمر، أو قد يكون لونه مشوباً بحمرة منتشرة. ويكون الصدر مبيضاً فاتح اللون.

والسلالة السادسة هي نفسها سلالة أواسط آسيا، ولون الظهر الشائع في طيور هذه السلالة هو الظهر البني الفاتح، مع وجود خطوط أفتح لوناً مما يجعلها أقل وضوحاً. وقد يميل لون الظهر إلى اللون الرمادي الذي تشوبه زرقة خفيفة. وتستوطن صقور هذه السلالة سهول كرجز ممتدة إلى ساجان في روسيا، حيث تهاجر منها إلى إيران وأفغانستان وغربي الصين (التميمي ١٩٩٢: ٤٧-٤٨, ٦٥، ٨١-٨٩).

ويصعب التمييز، على البعد، بين الصقر الحر والصقر السنقر (السنجاري، نسبة إلى جبل سنجار في شمال العراق) وهو أصغر حجماً من الحر والصقر الوكري، حيث لا يمكن تمييز الفروق الدقيقة في بناء الجسم وطريقة الطيران بين هذه الأنواع الثلاثة إلا بواسطة العين الخبيرة بها. وبشكل عام يكون جسم الصقر السنجاري أكبر وأعرض من الحر، كما أن الجسم كله عريض، بخلاف الصقر الحر، الذي هو أصغر حجماً، عريض الصدر فقط. كما أن جناحي الصقر السنجاري وذيله أعرض مما هي عليه في الصقر الحر. وهو يفتقر إلى وجود الشكل المميز للسطح السفلي، الذي يميز معظم طيور الصقر الحر. أما الصقر الوكري، فإنه وإن كان يشارك الصقر الحر في لون تاجه الباهت، وطريقة طيرانه إلا أن حجمه أصغر منه وأجنحته أضيق، ولا يوجد على السطح السفلي لكواسي الجناح ذلك الخط الضيق الذي يمر عبرها في الصقر الحر. ووجه الوكري أدكن لوناً مما هو عليه في الصقر الحر. وغالباً ما يكون للوكري دعوج في الوجه. أما عن قرب فيساعد في التمييز بين النوعين غياب التخطيط من على الكفلين والفخذين في الصقر الحر، ولو أن بعض طيور الوكري تخلو أيضاً من هذه العلامات. ومن أهم الصفات الفارقة بين النوعين أن السطح السفلي لقواعد ريش الطيران تكون دائماً أفتح لوناً في الصقر الحر، بحيث تظهر بيضاء اللون غير شفافة.



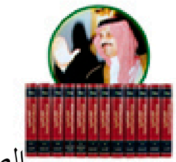
مواطنه وهجرته

والصقر الحر هو صقر يعيش أساساً في مناطق السهوب والسهول المفتوحة، كما يصعد إلى الهضاب الجبلية المرتفعة، لكنه يتجنب السواحل عادة. ويمتد نطاق انتشاره الطبيعي غـرب المنطقة القطبية، عبر دوائر العرض الـقارية الوسطى في السهوب الـغابية بشكل أساسـي وعلى سفوح التلال، وأسافل الجبال، وربما في أطـراف الغـابات. وفـي شرق نـطاق انتـشاره، يسكـن الهضـاب المرتفـعة، والجروف الصخرية المنحدرة على ارتفاع يتراوح من ٢٦٠٠م إلى ٤٧٠٠م فوق مستـوى سطح البحـر. ويشمل نطـاق انتشاره دول الاتحاد الـسوفيتي السابق، حيث ينتشر شمالاً، كما يوجد في تركيا وسورية. ويوجد بشكل عارض في ألمانيا والسويد، وبولندا، والبانيا، واليـونان، وفلسطين (وكان زائراً قديما منتظماً لها)، ومصر، وليبيا، وجزيرة مالطا والمغرب.

وقد نقصت أعداده كثيراً عما كانت عليه قبلاً في النمسا ولم يعد يتكاثر فيها، وكذلك نقصت أعداده في دولتي التشيك وسلوفانيا، إلا أنه ما زال يتكاثـر فيهما بأعداد قليلة. وأيضاً نقصت أعداده في المجر ودول يوغوسلافيا السابقة وبلغاريا ورومانيا. وكان ينتشر سابقاً على طول نهر الدانوب، لكنه أصبح حالياً نادراً في هذه المنـطقة. وتوجد أكـثر أعداده في الوقت الحاضر في عدد قليل من الدول الأوروبية ودول الاتحاد السوفيتي السابق.

والصقر الحر طائر مهاجر في روسيا، إلا أنه معظمه مقيم في الدول الأخرى، حيث تبقى بعض الطيور مقـيمة تقضي فصـل الشتـاء في دول نطـاق انتشـاره الطبيعي الأوروبـية، منها أعداد متناثرة في دولتي التشيك وسلوفانيا، وفي النمسا والمجر، ولا تبـقى طيور منه شـتاء في روسيا، شـمال كريميا والـقوقاز. وفي أواسط دول الـبحر الأبيـض الأوروبية تهاجر الطيور، حـيث تتجه جنوباً عبر إيطاليا لقضاء فصل الشتاء. وقد لوحظت بعض الطيور تعبر قنال سيشل، آتية من تونس الخضراء في فـصل الربيع. وهو زائر غير منتظم لجزيرة مـالطا في فصل الخريف (أي من أواخر شهر أكتوبر إلى أوائل شهر ديسمبر). كما شوهدت طيور منه شتاء في كل من ليبيا وتونس.

والطيور التـي تعيش منه في تركـيا مقيمة غير مهاجرة غالباً، حيث لم يشاهد سوى أعداد قلـيلة جداً منهـا، تمر عبر مضيـق البوسفـور في فصلي الخـريف والربيع، أي في رحلتي الذهاب والعودة. وتمر هـذه الأعداد القلـيلة، في فـصل



الخريف، بجزيرة قبرص، حيث تشتو بعض الطيور فيها، وتعود منها خلال شهري مارس وإبريل. وكما سبق القول فإن هذا الطائر كان زائراً منتظماً، خلال الشتاء للمناطق شبه الصحراوية في فلسطين، كما أنه يمر مهاجراً في العراق، حيث يوجد محلياً في المناطق الشمالية التي هي أكثر جفافاً في اتجاه حدود العراق مع الأردن. ومن المعروف أن الصقر الحر زائر منتظم في الشتاء لبعض مناطق الجزيرة العربية التي ربما يأتيها قادماً من موطنه في دول الاتحاد السوفيتي السابق. وقد حجّلت بعض الطيور اليافعة في كازاخستان، أثناء فصل الربيع، فوجدت في مقاطعة جورجيا الروسية (القوقاز) في الشتاء، على مسافة ٢٠٥٠ كيلومتراً من المكان الذي حجّلت فيه. ومن المعروف أيضاً أن طيور هذه السلالة (سلالة غرب المنطقة القطبية) تصل أيضاً إلى دول شرق أفريقيا. أما طيور السلالة الأخرى (سلالة أواسط آسيا)، التي تتكاثر شرقي بحر قزوين فقد حصل عليها في إيران وتركيا وأرمينيا.

وتصل الطيور المهاجرة إلى دول شرق أفريقيا بأعداد غير قليلة، حيث تمر على امتداد نهر النيل من مصر إلى السودان التي يعتبر الطائر من الزوار المنتظمين لها خلال فصل الشتاء (من أواخر شهر أكتوبر إلى شهر مارس). وقد جمعت بعض الطيور غرب مدينة دارفور بغرب السودان. كما يوجد الطائر بانتظام في أثيوبيا، ولكن تقل أعداده كلما اتجهنا جنوباً حيث شوهدت أعداد قليلة جداً منه في كينيا. وفي غرب أفريقيا شوهدت أعداد قليلة جداً منه في السنغال، وحول بحيرة تشاد، وفي فزان والصحراء الليبية. وجميع الطيور التي تصل إلى منطقة البحر الأحمر وأفريقيا هي فقط من السلالة القطبية كما يتضح من جميع العينات التي جمعت في كل من المملكة العربية السعودية ومصر والسودان وكينيا.

ويهاجر الطائر من مواطنه الشمالية في روسيا وغربي سيبيريا في أواخر شهر سبتمبر وخلال شهر أكتوبر، ويعود إليها في الربيع، خلال شهر مارس وأوائل شهر أبريل. أما في الدول الأوروبية، حيث يكون الشتاء أخف وطأة، فإن مدة تركه للمنطقة تكون أقصر من ذلك حيث يهاجر من رومانيا في شهر نوفمبر، ويعود إليها في شهر فبراير وأوائل شهر مارس. وفي بعض هذه المناطق لا يغيب عنها أكثر من شهر واحد أو شهرين فقط، حيث يهاجر في أواخر شهر نوفمبر، ويعود في أول فبراير. وفي شرق سلوفانيا



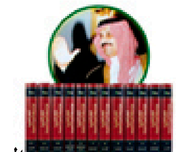
قد يظل موجوداً هناك حتى نهاية شهر ديسمبر ويعود في أول فبراير. وتبكر بعض الطيور اليافعة في هجرتها وتتأخر بشكل ملحوظ في عودتها، فقد لوحظت أعداد منها تعبر مضيق البوسفور مبكراً في شهر أغسطس وتعود في شهر أبريل وأوائل شهر مايو من تونس. ويهاجر الصقر الحر عادة متتبعاً طيور السمانى لأنها الغذاء المفضل لديها.

سلوكه الاجتماعي

ويعيش الطائر منفرداً معظم العام ويصطاد أيضاً منفرداً في غير موسم التزاوج. وفي بعض المناطق، مثل أواسط وشرق أوروبا، التي تبقى فيها الطيور مقيمة طول العام ولا تهاجر منها، يعيش غالباً في أزواج، مثله مثل الشاهين. ويمتد موسم التزاوج من منتصف شهر أبريل حتى الأسبوع الأول من شهر يونيو، ويكون أبكر من ذلك في دول البلقان وجنوب الاتحاد السوفيتي السابق، أي من منتصف شهر مارس حتى الأسبوع الأخير من شهر أبريل، وبعد ذلك بأسبوعين في المناطق الشرقية والجنوبية.

التعشيش والتزاوج. ويتخذ الطائر عشه في موقع على جرف شديد الانحدار تحت الصخور الناتئة، أو في شقوق الصخور. وكثيراً ما يتخذ عشه على شجرة عالية جيدة النمو، وأحياناً على حيد الجرف العاري. ولكن غالباً ما يستولي على عش طائر من نوع آخر قد يكون عقاباً أو نسراً أو غراباً أو صقراً من نوع آخر، أو بلشونا رمادياً، على أشجار يتراوح أرتفاعها من ١٥ إلى ٢٠ متراً. وهو يتنافس بعدوانية شديدة وقوة مع أنواع أكبر منه حجما، على الاستيلاء على العشوش القديمة وعلى احتلال منطقة التعشيش، مثل العقاب ذي الذنب الأبيض والعقاب الملكي واللقلق الأبيض، وربما تغلب عليها وانتزع منها العش أو منطقة التعشيش وطردها إلى خارجها. وهو يهاجم الأنواع التي هي أكبر منه حجماً إذا اقتربت من المنطقة التي اختارها لتعشيشه، ولكن بعد أن يستقر فيها، ويبسط سيادته عليها.

ويجري احتلال الزوجين منطقة التعشيش بعد العودة من الهجرة مباشرة، حيث تبدأ الطيور في استطلاع المنطقة بحثاً عن الأماكن التي تتوافر فيها الفرائس. ويبلغ نطاق انتشار الزوجين في العادة حوالي ٣١٢كم٢، ولكن قد تزداد كثافة أعداد الأزواج في المنطقة بحيث لا يفصل بين الزوجين والزوجين التاليين لهما أكثر من ١كم إلى



كيلومترين. ويحدث ذلك عادة في الأماكن ذات الفرائس الوفيرة من القوارض التي يفضلها لغذائه. كما أن نقص توافر الأماكن المناسبة لاتخاذ العش، قد يساهم في ذلك أيضاً. وفي حالات التزاحم القصوى سجل من ٣ إلى ٤ عشوش في مساحة ١,٢ هكتار (١٢٠٠٠م٢). وفي محمية نورسوم، الواقعة شمالي غرب كازاخستان بالاتحاد السوفيتي السابق، تعشش الأزواج في منطقة الغابات المزالة على مسافات لا تتعدى نصف كيلومتر فقط. وكذلك تزداد كثافة تعشيش الأزواج على الجزر. وفي المناطق ذات الفرائس القليلة، تكون المسافة بين العشوش من ٤ إلى ٦كم. وتزيد على ذلك في المناطق الفقيرة في الفرائس. وهذا ما يجعل الطائر يقطع مسافات كبيرة قد تصل إلى ١٠كم في طيرانه بحثاً عن الغذاء، إلا أنه يقطع في العادة مسافات أقل من تلك التي يقطعها الشاهين.

يتزاوج الذكر مع أنثى واحدة فقط لمدة موسم تزاوج واحد أو أكثر، كما هي حال الصقر السنقر أو السنجاري الذي يشبهه كثيراً في عادات تكاثره. وربما تظل علاقة الذكر بالأنثى مستمرة طيلة حياته. وإذا فقد أحد الزوجين اتخذ الآخر زوجاً بديلاً عنه خلال فترة قصيرة قد لا تتعدى ٣ أو ٤ أيام. وغالباً ما يكون الزوج البديل حديث العمر. ويمكن للصقر الحر أن يتزاوج عند عمر سنة وأن يتكاثر أيضاً. ويحدث ذلك عادة في الإناث التي تفضل التزاوج مع ذكور بالغة.

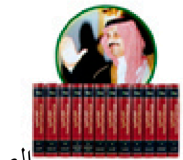
الاستعراض الغزلي. ويقوم الزوجان باستعراض غزلي مشابه لما تقوم به أنواع الصقور الحقيقية الأخرى، لا سيما الوكري والسنقر أو السنجاري، حيث يتبادل الزوجان التحليق عالياً في دوائر، مع القيام بحركات بهلوانية يطلقان خلالها صيحات مرتفعة، محدثين بذلك جلبة عالية، خصوصاً أثناء انحدار الطائر من علٍ إلى أسفل بسرعة كبيرة. ويحدث ذلك النشاط بالقرب من الموقع الذي اختاراه لعشهما. وقد يستقر الزوجان بعد أدائهما الاستعراض الغزلي على صخرة قرب موقع العش وهما يصدران نداءات عالية. وقد يغري الذكر الأنثى على الجماع في نفس الموقع. ويحدث الجماع على الأرض، أو على صخرة، أو فوق فرع شجرة حيث تجثم الأنثى وقد أدلت جناحيها إلى أسفل وهي تصيح صيحات نداء عالية. ويهبط الذكر طائراً من مجثمه أو من تحليقه عالياً في الجو على ظهر



الأنثى مباشرة، ويصدر الزوجان معاً صيحات عالية أثناء الجماع. وبعد انتهاء الجماع يتركها الذكر ويجثم بجانبها. وقد يجامع الذكر الأنثى مرة كل يوم منذ وقت اختيارها لموقع العش المستقبلي، حيث يقضيان معظم الوقت من اليوم معاً في الموقع. ويطلق الصقر الحر صيحات شبيهة بصيحات الشاهين، لكنها أكثر خشونة وأعلى صوتاً وتشبه صهيل الخيل.

حضانة البيض ورعاية الفراخ. وقبل وضع البيض تحلق الأنثى عالياً في دوائر برفقة الذكر، ويستمر ذلك أيضاً خلال فترة وضع البيض. كما تجثم الأنثى بين فترات التحليق لتنال قسطاً من أشعة الشمس وهي تسوي ريشها، وقد تتسكع حول الموقع بالقرب من العش المختار. وربما تبدأ في الرقود في العش الفارغ لفترة قبل قيامها بوضع أول بيضة. وفي خلال ذلك يلتزم الذكر بإحضار الفرائس اللازمة لإطعامها. وليس من المعروف، على وجه الدقة، متى يبدأ الذكر في إحضار الطعام للأنثى بعد الاستعراض الغزلي الذي يقومان به، لكنه على الأقل يلتزم بإحضار الطعام لها منذ أن تبدأ في الرقود في العش. ويستمر ذلك أثناء قيامها بوضع البيض حيث يقوم بإحضار ٣ فرائس في المتوسط يومياً لها في العش خلال فترة وضع البيض. ويقوم بإحضار الفريسة الأولى حوالي الساعة السابعة صباحاً، والثانية حوالي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، والثالثة حوالي الساعة الثانية من بعد الظهر.

وعندما تلحظ الأنثى الذكر قادماً يحمل الفريسة إليها فإنها تطلق صيحات نافذة تعلن بها عن رؤيتها له وتطير تاركة العش متجهة إليه، فيقوم الذكر بنقل الفريسة من مخالبه إلى مخالبها وهما طائران، أو يعلو قليلاً ويسقط الفريسة من مخالبه فتلتقطها الأنثى في الهواء. وتحمل الأنثى الفريسة إلى صخرة قريبة من العش، أو على الأرض، على مسافة تتراوح من ٥٠ إلى ١٠٠م من العش، وتمزقها وتأكلها، بينما يتوجه الذكر إلى العش ليرقد على البيض ويحضنه حتى تفرغ الأنثى من طعامها وتعود. وبعد أن تنتهي الأنثى من وجبتها تعود طائرة إلى العش لتصرف الذكر منه وتتولى هي حضانة البيض. ويجثم الذكر بالقرب من العش يراقب الفرائس استعداداً لإحضار الفريسة التالية. وقد سُجل في إحدى الحالات قيام الذكر بتسليم الأنثى الفريسة في منسرها في العش وهي راقدة على البيض. وبعد ذلك قامت وحملت



فريستها إلى مكان قريب وجثمت لتأكلها، بينما تولى الذكر حضانة البيض في مكانها حتى عادت. كما شوهدت حالة أخرى قام الذكر فيها بتسليم الأنثى الفريسة التي أحضرها بالقرب من العش، وتلكأ بعدها في الذهاب إلى العش ليحل محلها في حضانة البيض وبقي إلى جانبها، فغضبت الأنثى وطاردته بعنف حتى دخل العش ورقد على البيض، ثم عادت لتأكل فريستها.

ويظل الذكر قائماً بعملية تسليم الأنثى الفرائس خارج العش وهما يطيران حتى بعد فقس البيض وخروج الصغار أثناء قيام الأم برعايتها وحراستها. ونادراً ما تتلكأ الأنثى في الطيران ومغادرة العش لملاقاة الذكر بالفريسة. وفي هذه الحالة يحمل الذكر الفريسة إليها في العش. وتبقى الأنثى خارج العش بالقرب منه خلال فترة عشرة الأيام أو الخمسة عشر يوماً التي تلي فقس البيض وخروج الصغار منه. ولا تعود إلى العش إلا لإطعام الصغار من الفريسة التي أحضرها الذكر أو لتقيها من المطر أو البرد، أو من حرارة أشعة الشمس، أو تهب لحمايتها من شر عدو يقترب من العش ويهددها. وعندما يكبر الصغار وتستطيع الأكل بنفسها فإن الأبوين يزوران العش فقط لتسليم ما يحملانه من فرائس لها. ويستمر الأبوان في العناية بالصغار منذ خروجها من البيض إلى ما بعد إنبات ريشها وقدرتها على أن تستقل بحياتها. وتظل أواصر الأسرة بين الأبوين والصغار قائمة غالباً حتى موعد الهجرة بالنسبة للطيور المهاجرة. لكن المسئولية الأساسية في رعاية الصغار وإطعامها والعناية بها وحراستها تقع على الأنثى، كما سبق القول. ويلتزم الذكر بإحضار كل الطعام اللازم للأسرة. ويستمر ذلك الوضع لمدة حوالي ٣ أسابيع، بعد فقس البيض.

وكما هي الحال في غيره من أنواع الصقور الحقيقية، تكون العلاقة بين الفراخ حميمة، ولا تتولد بينها عداوة، ولا يعتدي كبيرها على صغيرها. إلا أنه قد يحدث بينها بعض التنافس على الغذاء، خاصة في الأوقات التي يقل فيها ويصبح شحيحاً. وتظل العلاقة الحميمية قائمة بين الصغار بعد إنبات ريشها. وكما هو الحال مع الصقر السنقر أو السنجاري، تظل منطقة التعشيش مشغولة بالأبوين والنسل الناتج عنهما عاماً بعد عام، خصوصاً في جروف الجبال. ولكن هذه العلاقة أقل ثباتاً عما هي عليه في الشاهين. ويعود سبب ذلك أولاً إلى عدم الانتظام الواضح في توافر



الفرائس، ثم إلى ميل هـذا النوع من الصقور إلى استخدام عشوش أنواع أخرى من الطـيور، مما يقـلل من درجة ولاء النسل الناتج لمنطقة التعشيش الأصلية التي خرج منها إلى الحياة. كما يميل هذا النوع من الصقـور أيضاً إلى أن يتخذ لنـفسه موقعين أو ثلاثة مواقع بديلة يراوح بينها للتعشيش فيها.

وتضع الأنثى من ٣ إلى ٥ بيضات في المجموعة الواحدة. وإذا فقدت هذه المجموعة فإنها تضع مجموعة أخرى من ٢ إلى ٣ بيـضات، ونادراً ٤ بيضات، بعد شهر تقريباً. والفترة بين وضع البيضة والأخرى يومان. ومدة حضانـة البيض من ٢٨ إلى ٣٠ يوماً. ويفقس الـبيض تباعاً مبتدئاً بالبيضة الثالثة. وبعد أن يكبر الصغار يشترك الأبوان في إحضار الطعام لها في العش. وقد سجل قيام الأبوين بإحضار ٢٠ فريسة إلى العش لإطعام ٣ فراخ عمرها ٢٠ يوماً أحـضرت الأنثى منها ١١ فريسة، بينـما أحضر الذكر ٩ فرائس، حيث قام بإطعام الصغار بنفسه مباشرة ٧ من هذه الفرائس، وأطعمتها الأنثى الفرائـس الباقية. وينبت الريش على الصغار حين يبلغ ٤٠ أو ٤٥ يوماً، ويمكن لها أن تستقل بحـياتها بعد ذلك بمدة تتراوح من ٣٠ إلى ٤٥ يوماً.

ويجثم الأبوان خارج العش في موقع قريب للمبيت فيه. كما يستخدمان نفس المكان للجثوم وتناول الفـرائس، وأيضاً للمبيت بعد انتهاء فصل التزاوج. وكذلك تخرج الصغـار للمبيت خارج العـش، بعد إنبات ريشها وقدرتها على الطيران القليل. وتقضي فترات طويلة أثناء النهار على الصخور، حيث يكون الزوجان معاً غالباً. وتصل ذروة النشاط في الصباح المبكـر وقرب المساء، عـدا فترة إطعـام الصغار التـي يستمر النشاط فيـها طول اليوم.

وبعـد انتهاء مـوسم التزاوج تـقوم الطيور البالغة بإسقاط ريشها حيث يسقط الريش كاملاً خلال الفترة مـن منتصف شهر مايو إلى شهر سبتمبر.

ذكره في مأثور القول والأدب

ورد ذكر الصـقر كثيـراً في التراث العربي، شعره ونثره وأمثاله. ومن ذلك الأرجوزة التي يـصف فيها الشاعـر أبو نواس صيد الصقر للأرانب السمان حيث يقول:

لا صـيـد إلا بـالصـقـور اللـمـح
كـل قـطـامـي بـعـيـد المطـرح
يـجلـو حجـاجي مـقلـة لم تجـرح
لـم تـغـذه بـالـلـبن المضـيّـح



أم ولم يولد بسهل الأبطح
إلا بإشراف الجبال الطمح
أحص أطراف القدامى وَحْوَح
أبرش ما بين القرا والمذبح
يلوي بخُزَّان الصحارى الجمح
ينحى لها بعد الطماح الأطمح
يسلكها بنيزك مذَّرح
ومنسر أقنى كأنف مُتْيح
وهي رواق بالبساط الأفيح
ومتيحات للحاق متيح
فاصطاد قبل التعب المبرح
وقبل أوب العازب المروح
خمسين مثل العنز المشدّح
ما بين مذبوح وما لم يذبح

اللمح: الذكية، والحجاجان: عظما الحاجب، ومضيح: ممزوج بالماء، وأحص: قليل الريش، ووحوح: منكمش، والطماح: النشوز والجماح، والنيزك المذرح: الرمح القصير المسموم، والمجدح: ما يحرك به السويق كالملعقة، ومتيح: نشيط، والعازب: الذاهب، والمروح: السائر في العشي، والمشدح: السمين. ويقول أبو نواس أيضاً في طردية له عن الصقر:

قد أغتدي والليل في غياطل
هابي الدجى مضرج الخصائل
بتوجِيّ مرهف المعاول
حامي الحميا مخلط مزايل
يوفي انتصاب الملك الحلاحل
فوق شمال القانص المخاتل
كأنه حين سما كالخائل
منقلب الحملاق غير غافل
منكفتا لسربهن الجافل
جندلة تهوي إلى جنادل
كأنه في جلده الرعابل
لابس فرو نائس الذلاذل

غيطلة الليل: اشتداد سواده، هابي: مغبر، الخصائل: جمع خصيلة وهي الفرق بين الظلمة والضوء، توجِيّ: نسبة إلى توج قرية بفارس، مرهف المعاول: حاد السلاح، حامي الحميا: شديد الغضب. المخائل: المختال، الحملاق: باطن الجفن، منكفت: مسرع، الجافل: الخائف، الجندلة: الصخرة، الرعابل: اللحم المقطوع، نائس: متحرك، الذلاذل: الحواشي. وقال الشمردل من طردية في الصقر:

قد أغتدي والصبح في حجابه
والليل لم يأو إلى مآبه
وقد بدا أبلق من منجابه
بتوجِيّ صاد في شبابه
معاود قد دل في إصعابه
قد خرق الضفار من جذابه
وعرف الصوت الذي يدعى به



ولمعة الململمع في أثوابه
كأنما بالحلق من خضابه
عصفرة الصباغ أو قضابه
أو عترة المسك الذي يطلى به
فانقض كالجلمود إذ علا به
غضبان يوم قينه رمى به
إذ لا يزال حربه يشقى به
جاد وقد أنشب في إهابه
مخالبا ينشبن في إنشابه
مثل مدى الجزار أو حرابه
تنتزع الفؤاد من حجابه

المآب: اسم المكان من آب، الأبلق: الذي خالط سواده بياض، المنجاب: المنكشف، التوجي: الصقر المنسوب إلى تُوَج قرية بفارس، المعاود: المواظب، الضفار: ما شد به البعير من الشعر المضفور، الإلماع: الإشارة بالثوب، الخضاب ما يختضب به، العصفر: نبات يصبع به، والقضاب: نبات أيضاً، العترة: القطعة من المسك، الجلمود: الصخر، الحرب: العدو، الإهاب: الجلد، ينشبن: يعلقن، المدية: الشفرة، والحراب: جمع حربة، الحجاب: الجوف.

وقال الناشئ الأكبر، عبدالله بن محمد الأنباري طردية في الصقر منها:

يارب صقر يفرس الصقورا
ويكسر العقبان والنسورا
يجتاب برداً فاخراً مطرورا
مسيراً بكتفه تسييرا
وقد تقبى تحته حريرا
مشمراً عن ساقه تشميرا

يجتاب: يرتدي، المسير: المخطط، تقبى: لبس القباء. أما عبدالله بن المعتز فقال من طردية له يصف الصقر:

وأجدل أحكم بالتأديب
صب يكف كل مستجيب
سوط عذاب واقع مجلوب
يهوي هوي الماء في القليب
متبعاً لطمع قريب
وإن نأت مسارح المطلوب
ما طار إلا لدم مصعوب

الأجدل: الصقر، القليب: البئر. وقال في طردية ثانية:

بأجدل يلقن نطق الناطق
طب بخطف السانحات حاذق
ململم الهامة فخم العانق
ذي مخلب أقنى كنون الماشق
وجؤجؤ لابس وَشْيٍ رائق
كمبتدا اللامات في المهارق
أو كامتداد الكحل في الحمالق
ونجمت للحظ عين الرامق
عشر من الأوز في علافق
فمر كالريح بعزم صادق



حتى دنا منهن مثل السارق
ثم علاها بجناح خافق
كما رأيت رجة الصواعق
فطفقت من هالك وفائق

وقال أبو صفوان الأسدي في وصف الصقر:

حديد المخالب عاري الوظيـ
ـف ضار من الورق فيه قنا
ترى الطير والوحش من خوفه
جواحر منه إذا ما اغتدى
فبات عذوباً على مرقب
بشاهقة صعبة المرتقى
فلما أضاء له صبحه
ونكب عن منكبيه الندى
وحت بمخلبه قارتاً
على خطمه من دماء القطا
فصعد في الجو ثم استدا
ر وطار حثيثا إذا ما انصمى
فآنس سرب قطا قارب
جبا منهل لم تمحه الدلا
غدون بأسقية يرتويـ
ـن لزغب مطرحة بالفلا
يبادرن ورداً ولم يرعويـ
ـن على ما تخلف أو ما ونى
فأقعص منهن كدرية
ومزق حيزومها والحشى
فطار وغادر أشلاءها
تطير الجنوب بها والصبا
يخلن حفيف جناحيه إذ
تدلى من الجو برقاً بدا

الوظيف: مستدق الساق والذراع.
الورق من الورق (بالضم): لون الرماد.
القنا: ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه. وقال كشاجم في وصف الصقر:

غدونا وطرف النجم وسنان غائر
وقد نزل الإصباح والليل سائر
بأجدل من حمر الصقور مؤدب
وأكرم ما جربت منها الأحامر
جريء على قتل الظباء وإنني
ليعجبني أن يكسر الوحش طائر
قصير الذنابى والقدامى كأنها
قوادم نسر أو سيوف بواتر
ورقش منه جؤجؤ فكأنما
أعارته إعجام الحروف الدفاتر
فما زلت بالإضمار حتى صنعته
وليس يحوز السبق إلا الضوامر
وتحمله منا أكف كريمة
كما زهيت بالخاطبين المنابر
وعن لنا من جانب السفح ربرب
على سنن تستن منه الجآذر

ومما قاله كشاجم في الصقر أيضاً:

أنعت صقرا جل باريه وعز
ندبا إذا قدم ميعادا نجز
مجتمع الخلق شديدا مكز



أحمر رحب الزور مخطوف العجز
كأنما الريش عليه حمل خز
كأنما حملاقه زنار قز
كأنما ينظر من بعض الخرز
أنمر من عز به في الصيد بز
في مثله تسعد أطرار الرجز
يعدو على الظبي ويغتال الخرز
ويقتل الفز فما يخطيه فز
يحوي على الحمام والإوز
يعبرها حتى إذا جاز همز
أمضى من العضب إذا ما العضب هز
وإن رأى الفرصة منهن انتهز
حاز على أشكاه ما لم تحز
وحازها فقصرت ولم تجز
نرى به شخص حمام إن برز
ما أخطأ المفصل منها حين حز
كلاَّ ولا أحرزها منه حرز
صل بالقطامي إذا شئت تفز
وأفخر به فالصقر أعلى وأعز
وسائر الطير سداد من عوز

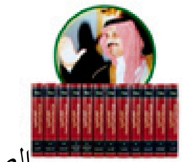
الحملاق: العين، والزنار: ما يشد على الوسط، وبزه: غلبه، والخزز: ذكر الأرنب، والفز: ولد البقرة الوحشية. وقال إسحاق بن خلف في الصقر:

جئنا به من صيده نزفه
وكلنا من شفق نحفه
أشفى قليل ريشه وزفه
مختضب منسره وكفه
من الدماء مزجه وصرفه
سيان ما قدامه وخلفه

والزف: صغار الريش. وقال أبو مليط العنبري في الصقر:

يالك من صقر لقيت حتفكا
أما ترى إلى الحبارى خلفكا
لائذة لم تر صقراً قبلكا
وأرنبا أخرى أثرناها لكا
وكروانات كثيراً حولكا
تقبل نحوي وتوليها استكا
لقد عرفت إذا رأيت نومكا
تجعل في ثني الجناح رأسكا
إنك لن تغني عني نفسكا

ومما ورد عن الصقر في التراث ما ذكره الدميري من حكاية القاضي أبو علي التنوخي قال «حدثني فارس بن مشغف، أحد الجند القدماء المولدين، وقد صار بواباً لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد، قال: كنت أصحب قائداً من قواد السلطان يعرف بأبي إسحاق بن أبي مسعود الأزدي، وكانت إليه إمارة المدائن إسبانين والمدينة العتيقة، وكانت إذا ذاك عامرة آهلة والسلاطين ينزلون بها، وكنت مقيماً فيها معه، وكان لَهِجا بالصيد. فخرج ذات يوم وأنا معه إلى المدينة المعروفة بالروبية،



المقابلة للمدينة العتيقة، وهي إذ ذاك خراب، ومعه صقارته وآلة صيده وجنده، حتى مل وسلك الطريق راجعاً. وكان معه صقر له فاره وقد شبع مما أطعمه من صيده، فمسح الصقار صدره، وحمله على يده، وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطراباً شديداً. فقال له ابن أبي مسعود: قد شاهد الصقر طريدة وهذا الاضطراب لأجلها فأرْسلْه، فقال: ياسيدي هو صقر شره واضطرابه ليس لهذا، وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شبعان فيتيه. فزاد اضطراب الصقر، فقال: أرسله وليس عليك منه شيء. فأرسله فطار. وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره ونحن نراه فرفرف عليها. وإذا بشيء قد صعد منها مثل النشاب في مقدار زج النشابة فقط، فحاص عنه الصقر ثم انحط في الأجمة، فدخلنا خلفه، فإذا هو قد ترجل على حبارى واصطادها، وإذا هو طلع على يد الصقار. ومن عادة الحبارى أن تذرق على الجارح الذي يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته وينسلخ جلده والصقر عارف بذلك. فاحتال عليها الصقر، فرفرف عليها كأنه يريد صيدها. فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صَعَّدت ذرقها، فلما أخطأت الصقر انحط عليها في الحال فاصطادها. وكان الصقارون ومن حضر من الجند المتصيدين يعجبون من ذلك، ويعدونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح.

وذكر القاضي التنوخي أيضاً عن فارس هذا قال: كنت مع هارون بن غريب الحبال في جملة عسكره ورجاله ونحن قيام بين يدي حلوان والجند سائرون وهو يتصيد في طريقه، إذ عَنَّ له غزال فأرسل عليه صقراً كان بحضرته. ولم يكن الكلابون بالقرب منه فيرسلون معه كلباً، لأن العادة أن الصقر لا يصيد غزالاً إلا إذا كان معه كلب، وذلك أن الصقر يطير، فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه، فيمنعه من شدة العدو، فيلحقه الكلب فيصيده. هكذا جرت العادة في صيد الغزلان بالصقور. إلا أن ابن الحبال لما لاح له الغزال أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال. وغرر به لحوق الكلاب في الحال، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو، فتلحقه خيلنا ورماحنا. فطار الصقر وتراكضنا خلفه وأنا ممن ركض. وجرى الغزال فوافى إلى منحدر في الصحراء فانحدر فيه. فلما حَصَّل منحدراً سقط الصقر على خده وعنقه فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال. فرأينا الصقر قد سدل



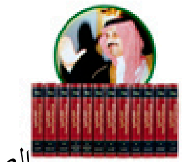
أحد مخلبيه حتى أنه يخط في الأرض. حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك، فعلق بأصل شوك عظيم، ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذي كان أمسكه به في خده وأصل عنقه، وإذا به قد دق عنقه وصرعه. فلحقناه وذكيناه ووقعت البشارة. فقال ابن الحبال ومن معه: ما رأينا قط صقراً أفره من هذا. وخلع على الصقار خلعة حسنة.

والنص التالي هو مما يكتب عند إرسال صقر، ذكره القلقشندي في كتابه صبح الأعشى:

وقد وجهنا إليه بصقر لا تؤسى له من الصيد جراح، ولا يدع من وحش يسرح ولا طائر يطير بجناح. أينما توجه لا يأتي إلا بالخير، وحيثما أطلق كان حتف الوحش والطير. يدع أقطار الفلاة مجزرة، أو روضة بالدماء مزهرة. يجد إلى الطير في عنقه، ويحلق إلى السماء فيرجع وطائره في عنقه. تخافه العُفْرُ على نفوسها، وتخضع له ولأمثاله فما تخرج إلا والطير على رؤوسها. يزيد خُبْرُه في مَظَانّ الصيد على الخبر، وتخرج الظباء وقد تَسَجّت خوفاً منه في مُلاءة من العجاج مخيطة من قرونها بالإبر. شديد الأيد، قد بنى على الكسر حروف الصيد. يحمد مقتنيه أيامه الغر، ويقول له إذا تلفت إلى الصيد إن جلبت ضبعاً فأنت حر. لا يصحب مستصحبه معه إلا مزاده، وأينما سار حامله -وهو معه- كان معه زاده (١٩٨٧، ج٨: ٣٥٦).

ومن الأمثال التي قالتها العرب في الصقر «أم الصقر مقلاة نزور» يضرب في ندرة الشيء النفيس، و«بيض قطا يحضنه أجدل» يضرب للشريف يؤوي إليه الوضيع، و«أبخر من صقر» يضرب لمن كان كريه الرائحة، و«خِرْبان أرض صقرها ملت»، والخربان هي ذكور الحبارى، وملت الصقر إذا أدخل رأسه تحت ريشه أي غفل، يضرب لقوم يعيشون في أرض غفل عنها صاحبها، و«أخلف من صقر» يضرب لمن كان شديد رائحه خلوف فمه، و«صقر يلوذ حمامه بالعوسج» يضرب للرجل شديد المهابة، وخص العوسج لأنه نبات شائك متداخل الأغصان يلوذ به الطير هرباً من الجوارح التي تطارده، و«ما رأينا صقراً يرصده خرب»، يضرب لمن استأسد وهو في قرارة نفسه ضعيف، و«وعيد الحبارى الصقر»، يضرب للضعيف يتوعد من هو أشد منه بأساً.

ونظراً لما يتمتع به الصقر من صفات الجرأة والشجاعة والإقدام وسرعة الانقضاض على فرائسه وإصراره على



متابعتها حتى ينالها ورد ذكره كثيراً في الشعر العربي للمديح والفخر. من ذلك ما قاله عبيد بن أيوب العنبري مشبها نفسه في القوة والشجاعة بصقر انقض على شاة مذبوحة معدة للطبخ فاختطفها من أصحابها وأمعن بها هرباً:

لكالصقر جلى بعد ما صاد قنية
قديراً ومشوياً عبيطاً خرادله

أهابوا به فازداد بُعداً وصدَّه
عن القرب منهم ضوء برق ودابله

وشبه جرير فرسان بني رفاعة بالصقور فقال:

وإن بني رفاعة من تميم
هم اللَّجَأُ المُؤَمَّلُ والنَّصيرُ

هم الأخيار مَنْسِكَة وهَدْياً
وفي الهيجا كأنهم الصُّقُورُ

وقال أيضاً يشبه فرسان قيس حين ينقضون على خصومهم بالصقور تنقض على طيور الحبارى فتقنصها:

وكأن تغلب يوم لاقوا خيلنا
خربان ذي حسم لقين صقورا

ويذكر الصقر بذكر الحبارى والحجل، لأنه شديد الفتك بها مطالب لها أشد المطالبة، وهي تفرق أشد الفرق عندما يبرز أمام أعينها، فتلوذ بأكناف الشجيرات القصيرة، أو الصخور الصغيرة، طالبة النجاة من مخالبه المسننة.

من ذلك ما قاله بشار بن برد في أعداء موسى الهادي:

مصيخين من وقع السيوف كأنهم
خراب تلوذ من صقور فلاة

ويصف الشاعر هيبة الخليفة المهدي إذ يطرق الملوك العظام أمام سريره إطراق الكروان أمام صقر يروعها:

كأن الملوك الزُّهر حول سريره
ومنبره الكروان أطرقن من صقر

وقد لاحظ الشعراء شدة تيقظ الصقر، وسرعته عند الانقضاض، فشبهوا إبلهم السريعة به، وليؤكدوا معنى



الصقر يخفض بجناحيه على يد الصقّار



السرعة، وصفوا هذا الصقر وهو يهوي نحو خزز سريع، يطلبه أشد الطلب، ولاحظوا انتصاب الصقر على رؤوس الجبال المرتفعة، ووقفته الشامخة، فشبهوا الممدوحين والرفاق، وهم على ظهور خيولهم وإبلهم، بالصقور المنتصبة المتهيئة للانطلاق. من ذلك قول أبي تمام:

كالأجدل الغطريف لاح لعينه
خزز وأنت عليه مثل الأجدل

ومثله تشبيه علي بن الجهم أصحابه في تيقظهم أثناء السرى بالصقور الجارحة قال:

وحميت أصحابي الكرى وكأنهم
فوق القلاص اليعملات أجادل

ووجد الشعراء في الأجدل صورة موفقة في تشبيه سرعة الحمر الوحشية، فسرعة الحمر الوحشية، عند ذي الرمة، تشبه سرعة صقر شديد الشهوة إلى اللحم، وهذا أدعى إلى إسراعه لجوعه، يقول:

يقعن بالسفح مما قد رأين به
وقعاً يكاد حصى المَعْزاء يلتهب
كأنهن خوافي أجدل قرم
ولى ليسبقه بالأمعز الخَرَبُ

يقعن بالسفح: أي أن الحمر الوحشية تضرب بحوافرها سفح الجبل من شدة العدو، والمعزاء أرض كثيرة الحصى، والخوافي من الجناح دون القوادم بعشر ريشات مما يلي أصل الجناح، قرم: أي شديد الشهوة إلى اللحم، والخرب: ذكر الحبارى.

ويشبه نابغة بني شيبان الشباب بالصقور في انقضاضهم على خصومهم قال:

ورجال لم يشيبوا
وشباب كالصقور
ركبوا كل علندى
ذي أفانين صبور

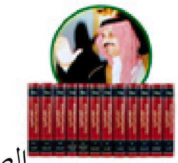
وقال الفرزدق يشبه الفرسان بالصقور وبني جعفر بالخربان:

كأنهم للخيل يوم لقيتهم
بطخفة خربان علتها صقورها

وينعت الأخطل نفسه بالصقر القوي الانقضاض، وينعت أعداءه بالطائر الصغير، الذي يفرق جزعاً حيث يقول:

وهرني الناس إلا ذا محافظة
كما يحاذر وقع الأجدل الضّوَعُ

الأجدل هو الصقر، والضوع هو الطائر الصغير. وشبه الأخطل فرسه بالقطامي، الذي تعود الفتك بفرائسه، أسود ذو بصر حديد، قد جاع ليلة كاملة ولم يجد شيئاً مدخراً يأكله، وبقي على حاله تلك يتضور جوعاً، حتى منتصف اليوم التالي، قد أبقاه في وكره بذي



الحرث مطر غزير وبرد قارس، وفي الصباح اتخذ مكاناً مشرفاً في جبل ربيئة، يراقب منها ما يريد قنصه، يجيل النظر ويقلب عينيه الزرقاوين في الأرض الواسعة، التي تتفتح أمامه، ولم يظفر بشيء، وعند العصر لاحت له قطاة تريد الجبأتين، حيث الماء فانطلق نحوها. قال:

رجعت به يرمي الشخوص كأنه
قطامي طير أثخن الصيد خاضب
أحم حديد الطرف أوحش ليله
وأعوزه أذخاره والمكاسب
فظل إلى نصف النهار يلفه
بذي الحرث يوم ذو قطار وحاصب
فأصبح مرتبياً إلى رأس رجمة
كما أشرف العلياء للجيش راقب
يقلب زرقاوين في مُجْرَهِدّةٍ
فلا هو مسبوق ولا الطرف كاذب
فحمت له أصلا وقد ساء ظنه
مصيف لها بالجبأتين مشارب
فعارضها يهوي وصدت بوجهها
كما صد من حس العدو المكالب
فلم أر ما ينحوه ينحو لطائر
ولا مثل تاليها رأى الشمس طالب
فأهوى بها ما لا ترى وتحردت
وقد فرقت ريش الذنابى المخالب

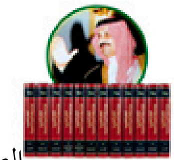
وهذه الأبيات قريبة الشبه بأبيات قالها شاعر عامي يدعى عامر السمين ضمن قصيدة يمدح بها قضيب بن زامل، أحد أمراء الجبريين، ويقارنه بخرش الاشبال، ويقصد بذلك الصقر الذي يقول عنه إنه في ماكر عالي. ويستطرد قليلا في رسم لوحة رائعة لهذا الصقر وما يعانيه من جوع وبرد وهلع، فهو يرقب الصبح ليبحث له عن فريسة. وما أن ينبلج نور الصباح حتى ينطلق كأنه «سهم رمي من كف نبال» من شدة الجوع الذي يسعر في أحشائه.

هو خرش الاشبال يوم الحرب مشتعل
في ناظره شَبّ مثل القدح بالحال
امسى مجيعٍ ووجه الأفق منطمس
مزنٍ من الغيث فيه الرعد زلزال
وبالليل كد بات فيه الطل يلفحه
جنحٍ من الليل وهو بْماكرٍ عالي
يفرّ شروى لديغ السم مرتعش
يتنى سنا الصبح عنه الليل ينجال
والى انقشع جمع جيش الليل منجرد
واقْفت نجومه لصوب الغرب حوال
والليل قفّى ونور الشمس شارقة
من فوق الاطلال وافى في ربى عالي
أبصر بروق بعضها يتّلي بعض
كما ضيا البيض لمعه فيه الآجال
فسار حتى اختفى عنهن ثم ثنى
تقول سهمٍ رْمِي من كفّ نبّال
على دعاثيرها بالخد دارجة
ودمّى المخالب ولا يبقى لها تالي



هو مثل ابا الطيب حاظي كل هيزعة
والخيل تلتمّ بالهيجا وتنجال
وقال عبد الرحمن بن سعود العطاوي العتيبي:
حرّ كفوفه فى الحبارى معاطيب
لى هد نسّاك المتاعب والأحباب
صيده سلم ما درجوا له مصاويب
يلحم إلى ادلى فى الحباري بمخلاب
النادر اللي ما لقي به عذاريب
مدمى الصوايد لابرق الريش معطاب
وشقر الحرار مرديات المخاليب
تمهل لها المسباق من عقب الاوجاب
بين الجبال وبين رمل السباسيب
تخافق أجوال الحباري مع الغاب
مصاويب: جمع مصاب، يلحم: يقطع اللحم، عذاريب: جمع عذروب وهو العيب، الصوايد: الصيد، أبرق الريش: الحباري وما شاكلها من الطيور، الأوجاب: وقت إطلاقها وإرسالها، السباسيب: جمع سبسب وهي الأرض الفسيحة مترامية الأطراف، أجوال: جمع جول وهو المجموعة من الحباري. وقال العطاوي أيضا:
دار الفلك يالفرخ سموه قرناس
جراح قرنس بدل الريش بالريش
إن استوت فيه النوايف والامواس
أرهى على صيد الطيار المحاميش

القرنسة أو القرنصة حت الطير ريشه واستبداله وذلك كل سنة، النوايف: قوادم ريش الجناح والأمواس ما بعدها ولعله يقصد مخالب الصقر، أرهى: أكثر وزاد واسبغ، المحاميش: حادة الطبع. وقال العطاوي:
النادر اللي شوفته تشرح البال
عن الحرار الكامله فيه تفضيل
الابيض اللي تجتمع فيه الاشكال
وروس المواسي كنها شربة النيل
قحفه كما غار على نايف الجال
وشنار عينه في قحوفه قناديل
ومناخره وصفي لهن كان ما عال
يشدن فوهات المدافع حقابيل
والباز فاروع على شدق ريبال
والعنق مرتفع عن المتن بالحيل
كنه ليا تاوق على طلع حفال
هام يهاوم صيدةٍ دونها السيل
روس المناكب من تناديه عزال
بارز نحر فجحٍ زنوده مسابيل
ضاف على كفه من الريش سروال
واصابعه حرشٍ طوالٍ مخاطيل
مدم الصوايد مودعٍ الدم شلال
كنه معزي بالوصايف ليا حيل
المواسي: ريش بعد القوادم، يقصد أن أطرافها فيه سواد مشوب بزرقه، قحفه: حجاجه، الغار: الكهف، الجال:



جانب الجبل أو الوادي أو غيره، شنار: شعاع بريق عينيه تشع كأنها القناديل، يشدن: يشبهن، الباز: يقصد منسره، فاروع: أداة لها سلة منحنية يحفر بها، الريبال: الأسد، يصف شدقه بشدق الأسد، بالحيل: يقصد أنه طويل العنق، ليا: إذا، تاوق: مد عنقه ونظر، طلع: الطلع هو الصيد الوافد ويطلق على الصيد عموماً، هام: ثعبان، يهاوم: يحاول، يشبه نظرات الصقر ومده لرقبته مثل نظرات الثعبان الذي ينظر إلى فريسة بينه وبينها السيل. يقول بأن رؤوس ثناديه منعزلة عن منكبيه ونحره بارز وزنداه متباعدان ممتلئان، سروال: ريش مسبل على ساقيه إلى برثنيه، مخاطيل: متباعدات بعضهن عن بعض، الصوايد: الصيد، مودع: جاعل أو مصير، معزي: اسم صقر مشهور ويشبه به الرجال. وقال العطاوي:

أشقر يشادي عاتقه عاتق الداب
نادر بحر نظرات عينه غضيبه
ذلقة جناحه سلة بيد حراب
أو قلب شقرا ما تفرق عسيبه
يغري به الصقار من زود الاعجاب
أشقر وصوفه من معزي قريبه
لى هدّ في زرق الغلب عقب الاوجاب
يروي مخاليب اللفوف العطيبه
والى طلب جول ورا الشوف غياب
فالجول دربيل النظر ما يجيبه
يلحقهن اللي للمخاريش غصّاب
ملحاق خيال تدارك ذهيبه
ما ينثني للوح من عقب مطلاب
وفعلٍ بعض مرات ما ينحكي به

يشادي: يشابه، الداب: الثعبان، ذلقة: انسياب، قلب شقرا: يقصد عسيب النخلة قبل أن تفل خوصها، زرق الغلب: الحبارى، الاوجاب: وقت إطلاق الطيور للصيد، العطيبه: التي تعطب وتهلك من تضربه، الجول: مجموعة الحباري، دربيل: منظار الأشياء البعيدة من مستلزمات الصياد، المخاريش: المذعورات، ملحاق خيال: أي مثل لحاق الخيال لبعير أو غيره ذهب منه وهرب، اللوح: الصقار عندما يلوح لطيره بالإيماء له بما عوده عليه ليعود إليه، مطلاب: انطلاق، فعلٍ بعض مرات. . . إلخ يعني أن هذا الصقر يفعل أفاعيل قد لا تصدق وقد يستحي الإنسان أن يتحدث فيها لأنها فوق المعتاد وفوق ما يصدقه الكثير من الناس إلا من عرفوه. وقال العطاوي:

بشر القناص باحوال الحباري
والفروخ اللي تبى تفعل فعيله
بين سفح أوراس ورمال الصحاري
عن فياح الدبدبه فيها نفيله



الحـبـاري والـعــفـاري والمـهـاري
خنّـس فى الوادي الاخـضر جميـله
الحـبـاري فـي سبـاريـت الـبـراري
منـوة اللي فـى العلامـه ما رمي لـه
أجـردٍ راعـيـــه بـفـعـولـه يماري
نـادرٍ ما شـان وجـه اللـي يشـيـله
صافـي الجوهـر غريـبٍ فى المـواري
أجـردٍ من فـوق ضـافـية شـلـيـله
أفـدعٍ راسـه وعـيـنه عـين ضـاري
عـين عدمٍ وذْبـحـوا قدمـه دخيـلـه
يـلـطم الحـفـال عـسـرٍ مـا يداري
ملـحم المخـلاب باليـمنـى الثقيـلـه
لو تـعلـت فوق يـلحـقهـا حبـاري
لـى ضربـها ريـشهـا حوّل هـليـله
فـرخ شامٍ بـالـهـدد ما لـه مـباري
من يـعمد عـناده انكـف بالـفشيـله
الحـرار اللـي معه مـثـل الوكـاري
لو تـعشـى ما بـغيـت أنقل بـديلـه

تبـى: تبغـي، أي تريد، أوراس: جبـال أوراس الشـهيـرة في الجـزائر، الديـدية: موضع شـمالي شرق نجـد، يماري: يفـاخر، يشيلـه: يحمله، فـي المواري: في المظهر، شليـله: مؤخرة ريشه، أقرع: ململوم متأخر إلى الخلف، ضـاري: سبـع، عدم: عـديم، وهـو الشجـاع المقدام صاحب الـطبع الحاد، قدمه: أمـامه، دخيله: من الـتجأ إليه وأعطاه الأمان. يشبه عين الصقر بتوقد واحتدام عين الشجاع الفاتك حاد الطبع إذا اعتدى أناس على شخص التجأ إليه وأعطاه الأمان فهو يغلي غيظاً وتكاد عيناه تلمع بالشرر، الحفال: المعترض، حوّل: سقط، هلـيلة: انتثر بدداً، فرخ شـام: أي أنه مجلوب من الشام، أنكف: عاد، الفـشيلة: مـن الفشل والمـعيبة. وقـال العطاوي:

أشقـر ولع ريـشه كـما لـهبـة النـار
مـتفـهق الجـنـحان والـصدر بـادي
مثـل العديم الـلي يـبى ياخـذ الثار
واسرع مـن الشـيهـان عجـل المعـاد
لـيت الـطيـور تتبـعن درب جـزار
ولا غـدى شـقـران طـيـر الـهـداد
ما شفـت أنا مثلـه على كف صقـار
من غـير فـعلـه ما لوصـفه مـلادي
النادر الـلي له علـى اهل الولع كـار
من شـاف فعـله كـب درب العـناد
ما هـوب من لاهـور ديرة عـلم دار
شـبك الجـزيره مـن طـيور الحـماد

متفهق: متأخر الجناحين عن صدره البارز، العديم: من له ثأر عند إنسان آخر، يصف تحفز الصقر للانقضاض مثل تحفر من له ثأر ورأى غريمه أمامه وتحفز وهجم عليه لأخذ ثأره، تتبعن: تتابعن وذبحن، غدى: ضاع، ملادي:



مماثل أو مساوي، أهل الولع: من لهم ولع بالصيد وطرده، كار: قيمة، كب: ترك، ما هوب من لاهور: أي أنه غير مستورد من لاهور في باكستان. شبك الجزيرة: أي أنه من صقور الجزيرة من منطقة الحماد، والحماد الأرض الجرداء المستوية مغطاة بطبقة من الرمل والحصى تتخللها بعض الرياض والفياض والعيثان وليس بها جبال. وقال العطاوي:

البارحه فكري مع الطير مشدود
ما اسمع نديمي لو بصوته ينادي
أشوف لي طيرٍ على الجول مهدود
من كف سلطان الحضر والبوادي
كنه شهابٍ هاويٍ فوق نمرود
لى قيل سبر قيل يامير صاد
يصفق بمخلابه تقل صفق عبرود
والريش لى نجّم تخاله جراد

سلطان: يقصد الأمير سلطان بن عبد العزيز، سبر: أي تابع النظر للطاردة، نجّم: تطاير في الهواء إلى أعلى. وقد شبه الشعراء الرجال بالعقبان في سرعة الانقضاض وقوة الضربة ثم الظفر بالصيدة أو الفريسة.

وقال عبدالله بن عون العتيبي:

خطو اشقر وافي الاطراف
اللي على الطلع غلاسٍ
إلى تعليت بالمشراف
هرمس على الطلع هرماس
حتى تكب العناد عياف
ليا شفت هدات نوماس
يكشف بدربيله الكشاف
ما هو على الكف نعاس

خطو: بعض، وافي الأطراف: طويل الجناحين، الطلع: هو الصيد الوافد أثناء هجرتي الصيد الخريفية والشتوية، غلاس: حريص على صيده، المشراف: المكان العالي تشرف منه على الصيد، هرمس: انقض، تكب: تترك، هدات: انطلاقات، دربيله: الدربيل المنظار للأشياء البعيدة وهو من معدات الصياد، والمقصود نظر الصقر بعينيه. وقال عبدالله بن عون العتيبي:

لا شك صار لضيعة الصقر محراف
والطير لولا هدته ما قنيته
باكر ليا صارت مقانيصك ارياف
ما فيك من غلٍ عليهن شفيته
يعوضك الله باشقر يبرى الاحساف
ليا زاف مقناص العمود ونصيته
خطو اشقرٍ مثله تهاواه الأشفاف
ليا شفت فعله فعل الاول سليته

محراف: منحرف، هدته: إرساله على الصيدة، قنيته: ربيته وغذوته ودربته، ليا: إذا، أرياف: ربيع، عليهن:



يعني الصيد، الاحساف: جمع حسوفه وهي التأسف على الشيء والشوق إليه، العمود: موضع، نصيته: اتجهت إليه، خطو: بعض، الأشفاف: جمع شف وهي الرغبة في الشيء، ليا: إذا، شفت: رأيت، يقول إذا رأيت فعل الأخير نسيت الأول. وقال نومان الحسيني الظفيري:

الطير مني يا قنيبر غدى فوت
يطرد حباري خم تالي المظاهير
دليت انط النايفه وازعج الصوت
ليا ما ابعدوا عنا العرب وانتحى الطير

قنيبر: اسم شخص، غدى: ضاع، خم: أحاط، المظاهير: جمع مظهور، وهو ظعن الأعراب عند الرحيل، دليت: بدأت، أنط: أرتقي، النايفه: المرتفع، أزعج: أرسل، ليا ما: حتى، إلى أن. وقال عيادة الخمعلي العنزي:

ياقلب ما تترك هوى الطير وتريح
الطير راح لماكره واستراحِ
ضاري لقطع رقاب بيضٍ مدابيح
ما عاش في منّة يدين الشحاح

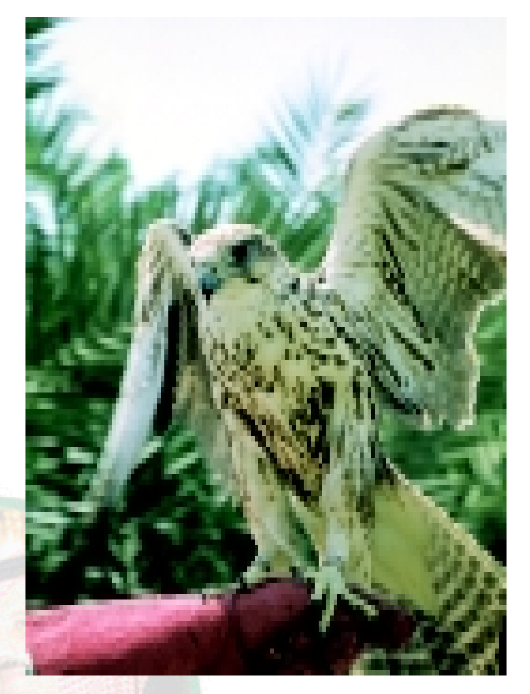
بيض مدابيح: يقصد الحبارى، وربما غيرها كالغرانيق. وقال ناحي بن معتق العنزي:

طيري غدا وانا مع الطير مرعوب
من عقب ما ني لاجرد الريش غاذي
يالله ياعمال يوسف ليعقوب
يااللي لغيرك ما لحيٍ ملاذي
اعقل علَي شلاح يامبري ايوب
مودع غلب ريش الحباري بذاذي
يمناه تشعط خربهن شعطة الثوب
ليا شافهن ما شذ فيهن شذاذي
أشقر هجر ما شفت بشلاح عذروب
عذروب طيري ضاع مني ولاذي
يامن يبشرني عن الطير مقضوب
وانقل بعيد الطلع بالكف هذي
ولاني على صيده بخيلٍ ومسبوب
ولاني من اللى يفهقون الحواذي

شلاح: اسم الصقر، بذاذ: بدداً ونثراً، تشعط: تشق بقوة، ليا: إذا، هجر: مجتمع الخلق، عذروب: عيب، الطلع: الانطلاق، يفهقون: يؤخرون، الحواذي: قد يعني الحذية وما يحذي الصياد، أي يعطي من صيده، وقد يعني اللحمة التي تشوى على النار قليلاً. وأجابه مساعد بن أحمد السديري بقوله:

عندي عوض طيرك من الشبك مجذوب
فرخٍ تعلّفه الحواضي فذاذي
جاك العوض وأصبر لنا وقت محسوب
يجيك حرٍ ما براسه مواذي
ما هو بمثلوثٍ على النسر مقضوب
اللى يصيد أبا العلا والجراذي





حر مثلوث

الحواضي: من يعتني بالصقر، فذاذ: من اللحم الجيد، موادي: إصابات، مقضوب: ممسوك، أبا العلا الباشق وقيل طائر مثله، الجراذي: جمع جرذ. وقال مفضي بن ولمان الأحمدي الحربي:

غنام وين ربوعك الغانمين
تلقى العلف برباعهم دب دوم
اقطع سبوقك وانهزم ياحزين
لرباع بين الفارعي والقدوم
ياحلو منزالٍ على الشعبتين
لى قيل جضع موسّمته الوسوم

غنام: اسم الطائر، الرباع: جمع ربعة، وهي الجزء المخصص للرجال من بيت الشعر، دب دوم: على الدوام، سبوقك: السبوق ما يربط به الصقر، الفارعي: جبل في أعلى وادي الشعبة، القدم: جبيلات شمال بلدة الغزالة في منطقة حائل، الشعبتين: أعلى وادي الشعبة، الثلبوت قديماً، وهو أحد روافد وادي الرمة، جضع: وهما جضعان، جضع الأحمر وجضع الأسمر، جبلان إلى الجنوب عن بلدة الغزالة شمال وادي الشعبة، موسّمته: نزل عليه غيث الوسمى. وقال راكان بن فلاح بن حثلين العجمي:

الطير يازبن المشافيق يفداك
أبى العوض ياشيخ خطو النداوي
أبي اشقرٍ ياشيخ مثلك وحلياك
قطاع لى جا الجول ما هوب ياوي
والا اسمرٍ جعل المنايا تعداك
شاهين يودع داعر الخرب هاوي

زبن: ملجأ، أبي: أبغي، وتعني أريد، خطو: بعض، النداوي: نوع من حرار الصقور، ياوى: يرحم، يودع: يجعل، داعر الخرب: الخرب ذكر الحباري والداعر القوي الجسيم السريع الطيران، هاوي: ساقط على الأرض.

وقال خضير بن عبادة الصعيليك:

يالنادر الهيلع عقاب المراقيب
ياناقل جيله بعيدين واقراب



الحر يـضرب بـالكفـوف المعـاطيب
والتـبع قنّاصـه من الصـيد ما جاب

الهيلع: قـوي الضربة الذي يحطم الجناح من الصيدة فتخر على الأرض، المعاطيب: التي تعطب الصيدة، التبع: الرديء من الصقور وهو آخرها حيث أن ترتـيبهـا كالآتي: نـادر، لزيز، تـبع، والأخير يوصف به الرجل الرديء.

وشبه الشعراء الرجال بـالصقر الحر في سرعة انقضاضه وقوته وتصميمه على الظفر بـصيدته. قال رشيد بن طـوعان الشمري:

حـرٍ شهـر بس الـزمامـيل والخـيل
يـدور صيـداتـه بـغرات الأجـنـاب

أول شـبابـه عذب الـكـنس الحـيل
وصفق بيـمناه البحر عقـب ما شاب

الزماميل: من يحملـون ماء الحملة وطعامهـا وما يلزمها، الكـنس الحيل: الإبل السمان اللواتي لم يلقحن، يمدحه بالشجاعة وبعد الغاية وجـزالة الهدف، عـقب: بـعد. وقـال ساجـر الرفـدي العنزي:

غـنّـام هـام ويمّ طـلـعـه جـذبـنـا
طيـر الحبـاري لابرق الـريش عـقّار

هام: انطـلق، يم: جهة، طلـعه: انطلاقته، أبرق الريش: الحبارى. وقال سليمان اليمني:

حـرٍّ شَلَـع مـن مرقـبٍ مـرقـبيـنـه
طلـعه بعـيد وصيدتـه حص الادبار

غـنّـام صيّـاد الـشـواة الـسـمـيـنـه
بمـصـافق الـغـارات لـلـضد دمّـار

شلع: انطلق، مرقب: مكان عالي يشرف مـنه، طلعه: انـطلاقه وهدده، حص الأوبار: الإبل، الشواة: كناية عن الصيدة. وقال مخلد القثامي العتيبي:

حـرٍّ تزلـزل مـن طويـلات الأقذال
نـلـطـم به الـعـدوان شـرقٍ وشـام

إن شاف نـشر عـداه نوّه بـالاجمال
ورفـرف بـجنـحـان وكـسّـر وحام

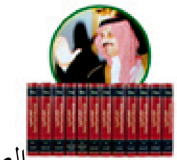
تزلـزل: انقض، الأقذال: رؤوس الجبال العالية، نشر عداه: إبل أعدائه، نوه: أومى وأشار، الاجمال: الاتجاه. وقال خلف بن زيد الأذن العنزي:

حرٍ شـلع من راس عـال الطويـلات
للـصيـده اللـي حط خمـسه وراهـا

غز المخـالب بـالثـنادى السـمينـات
وتـل القـلوب وبـالضـمايـر فراهـا

شلع: نهـض وانطلق، الطويـلات: الجبال ومـا في حكمهـا، حط: جعل، خمسه: أصابعه ويعني القبض، الثنادي: جمع ثنذؤة، مقدمة الصدر وفيه ثنذؤتان، تل: جذب. وقال مقحم الصقري العنزي:

خطـو الولد مـثل النـداوي لْيـا طار
حسّـه علـى صيد الخـلا له وحـيفه



تلقى العشا من مخلبه وقع واطيار
صيده سمين ولا يصيد الضعيفه

خطو: بعض، النداوي: نوع من الصقور، ليا: إذا، وحيفه: صوت فيه حفيف وأزيز. وقال غانم بن نغيمش العنزي:

يامن ذكر غنّام طيرٍ صقر به
بالراس برقع والحباري جثاله
بالراس برقع والجناح اشتهر به
راعيه هدّه للحباري وشاله

غنام: اسم أخيه على اسم صقر مشهور، جثاله: أي جثلات كبيرات، راعيه: صاحبه، هده: أطلقه وارسله، شاله: رفعه. وقالت الشاعرة رجا بنت ضافي الدوسري:

وهو يوم هو طيري فلا زاع بالجنحان
ولا زاع طيرٍ ماسكٍ سبّقه راعيه

زاع: نزع وطار، سبق: ما يربط به الصقر وغيره من الجوارح. وقالت الجوهرة بنت تركي آل سعود:

حرٍ شهر من قصر فيصل ودوّاس
يمّ الجبل فرّق فروخ الحباري

شهر: نزع وارتفع وطار، يم: جهة، الجبل: جبل شمر. وقال عبدالله بن فرحان القضاعي:

حرٍّ لْيا ادلى بالمخالب ضريري
تشبع بها سحم الظهور الضواري

سحم الظهور: الذئاب، والسحمة شعر أسود يكون في خطم الذئب وغيره من السباع ويمتد السواد إلى الظهر. وقال محدا بن فيصل الهبداني:

حلياك حر يفني الصيد ملحوم
متفهق الجنحان حرٍ قطوعي
حرٍ علم بالصيد من غير تعلوم
يودع بداد الريش شت مزوعي

حلياك: مثلك، متفهق: متأخر الجناحين بارز الصدر، تعلوم: تعليم، يودع: يجعل. وقال شالح بن هدلان القحطاني:

إن كان تنشد يالهويدي عن الطير
الطير والله يالهويدي غدى لي
طيري عذاب معسكرات المسامير
لى حل عند قطيّهن الجفال

تنشد: تسال، غدا لي: ضاع لي، معسكرات المسامير: الخيل، أي أن من شبهه بالصقر شجاع يفتك بالخيل.

وشبهوا الركاب بسرعة انطلاق الصقر. قال مسلط بن ثويني الزغيبي الحربي:

يشبه لفرخ بيّن اللوح راعيه
لى صف جنحانه بعد حومتين

اللوح: الملواح، ما يرفعه الصقار للصقر ثم يناديه فيعود إليه. وقال محمد بن دهمان الظفيري:



لى روّحت مع خايعٍ تقل قرناس
شافت مع الصقّار شلوٍ دعاها

الخايع: الأرض المعشبه، تقل: كأنها، شافت: رأت، الشلو: قطعة اللحمة. يصف السيارة بسرعة الصقر. وقال إبراهيم بن عبد المحسن الطويان:

يشبه لحرٍ على مشراف
حرٍ شَهَر عِقِب ما راج

مشراف: مرتفع يشرف منه، شهر: قفز فانقض وارتفع، عقب: بعد، راج: حام. وقال عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

يشبه لحرٍ هدّ من راسْ قاره
صبح المطر لى شاف جول السماقي

هد: انطلق، قارة: جبيل صغير، لى شاف: إذا رأى، جول: مجموعة، السماقي: جمع سمق وهو طائر مائي.

وقد شبه الشعراء عين المرأة بعين الصقر في قصائد لا نحصي لها عدداً منها ما قاله بجاد بن لهاب الجش المطيري:

والعين عين اللي على الوكر محشوم
ومقوره راعيه له يوم هدات

محشوم: مكرم. وقال سالم بن هاشم الغريس:

ياعين قرناسٍ من الصبح نهد
شاف الحباري عقب جوع المبات

وقال خالد بن عقاب الكسر العتيبي:

فزّيت لمقابلك فزّه
فزة قضيبٍ لمِلواح

فزيت: فرحت وقفزت بالتفات نحوك، القضيب: الصقر، الملواح، ما يلوح به الصقار. وقال محمد بن راشد السويداء:

واهني الطير له ريشٍ يقله
لى اهْتوى دربٍ تهزّع بالجناح

يقله: يرفعه، لى اهتوى: إذا أراد، تهزع: خفق بجناحيه وتأرجح. وقال محمد بن مناور العنزي:

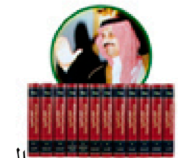
العين عين موحّشاتٍ بالأوكار
وفيهن سهومٍ للمنايا خطيره

فيهن: يعني عينيها. وقال عبدالله بن حمود بن سبيل:

العين عين اللي على راس ملموم
ما جيب له من كل نسر علوفه
حرش المناكب لابرق الريش صيروم
حر ملك موت الحبارى كفوفه

ملموم: متماسك وشامخ، صيروم: صارم، النسر: علف الصقر من اللحم. وقال عبدالله بن هويشل الدوسري:

صبره قليلٍ ولا بالصبر يحتال
والقلب يكفخ كما طيرٍ بمسباقه



يكـفخ: يـنزع ويرفـرف فيـطير، المسباق: ما يربط به الصقر. وقال نمر بن صنت العتيبي:

عين أشـقرٍ لوّحوا لـه عقب تجويـعه
بين لـه النـسر والـداعي رفـع كمـه

النسر: عـلف الصقر من الـلحم.

وقال عوض بن شنفا الرشيدي:

العـين عين الـلي تـسمـى اللـزيزي
والعـنق عـنق الـلي تـقود الجـوازي

اللزيز: الصقر بالـدرجة الثانية بعد النادر، الجوازي: الظباء. وقال عبدالله بن فرحان العنزي:

والـعين عـين مقـرنس مـن شروقـه
بـالخص لـى منّه تـهـايق لـداعـي

تهايق: أطل أو أشرف. وقال محسن بن قاسم الدوسري:

كنه عـلى ما شفت مـجروح بالناب
دامـي وطـرّه بــالمخـالـب نـداوي

طره: حركه أو مخشه، نداوي: نوع من الـصقور. وقال سـويلم بـن علي السهلي:

عـديـت لـولاحٍ تعـلا مـيـاهـيـف
شوحـات عسـرات المراقـي طفـافي
مدهـال طفقـات الشروق المحـاذيف
لـهـن بـلطـفـات المـذاري مَـرافـي

عديت: صعدت، لولاح: الجال أو صفـحة الجبـل الشامخـة، مياهـيف: الصـفحة المـرتفعـة فيـها تجويـف إلى الداخل، شوحات: مرتفعات، طفاف: شـاهقـه، مـدهال: مـراد أو مرتـاد، المحاذيف: سريعة الانقضاض، مرافي: وكور. وقـال زيد بن سـلامة الخشـيم الخالدي:

مـني سـلام عـد ما رفـرف الطـيـر
بـالريـش فوق مـرفـعات المـشافـي

المشافي: رؤوس المرتفعات.

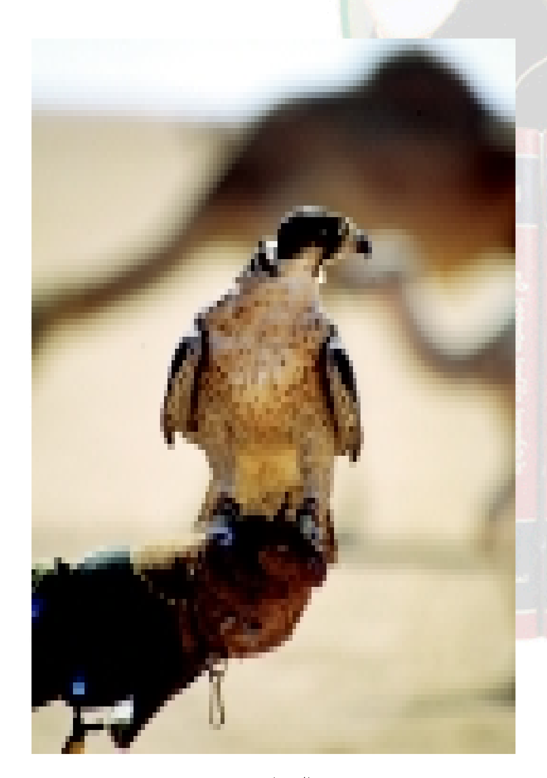


الشاهين

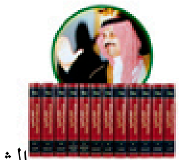
صفاته وسلالاته

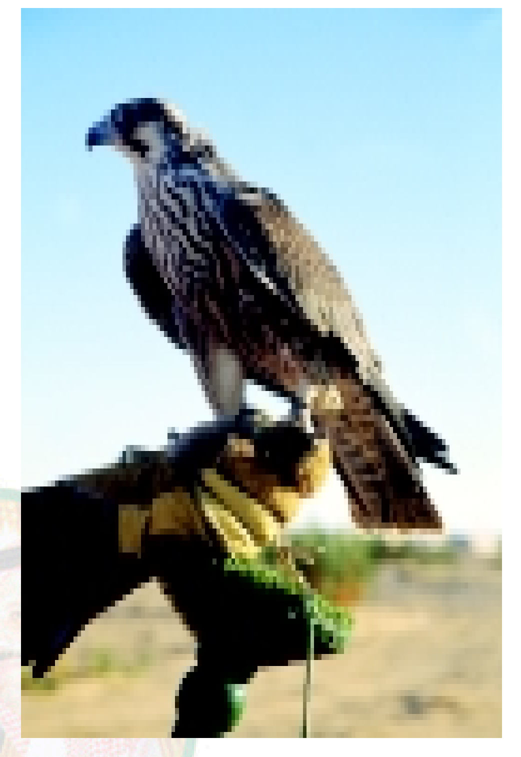
الشاهين من صقور الفئة الثانية من فئات الصقور الكبيرة، وهو عند البيازرة القدامى بعد النسر والعقاب، من أكبر ذوات الريش حجماً، وهو من جنس الصقر، إلا أنه أيبس مزاجاً. وهو ينقض على صيده من غير تحويم. والشاهين أرق من الباشق مزاجاً، وأقل من الصقر صبراً على الكدِّ، وأدنى منه فراهةً. واسمه بالفارسية شوذانة وقد عرِّب على ألفاظ شتى منها شوذانق، وشوذق، وشوذنيق، وشيذنوق. وقد وردت هذه الأسماء كلها في المخصص لابن سيده بالسين بدلاً من الشين.

وللشواهين عند البيازرة القدامى أسماء تختلف باختلاف الحالة التي صيدت فيها. فما صيد منها في أوكارها قيل لها الغطاريف الوكرية، وما صيد منها حين تطير قيل لها المتنقلة، وما صيد منها بعد أن اكتملت وصادت قيل لها البدرية، وما صيد منها وقد أُمطرت قيل لها المطورة، وما صيد منها وقت الهياج قيل لها الرواجع. والشواهين منها البحرية وهي



الشاهين





فرخ شيهانة بحرية كامل يمتاز بالسرعة والشدة

التي تفرخ في ناحية البحر، وتمتاز بعِظَمِها وبياض ما اعتمّت به رؤوسها من الريش، كما تمتاز بكثرة ريشها ورقة ألوانها. ومنها ما يقال له الكوستانيات، وهي على خلاف البحرية من حيث لطف حجمها وحمرة ريش رؤوسها وقلَّته، وغلظ ألوانها. والشاهين يكون إسبهرج اللون، وهو الذي يغلب عليه البياض، ويكون أحمر وأسود، والأسود هو البحري الخالص، والحمر تكثر في الأرياف والمواضع السهلة. أما الشهب فتكثر في الجبال والبرية (الباشا ١٩٨٣: ١٨٨).

والمختار من صفاتها، فيما ذكره صاحب المصايد والمطارد الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حادهما، سائل السفعتين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب العقدة في القفار، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تام الخوافي، ممتلئ العكوة، رقيق الذنب، إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شيء من ذنبه. وأهل الإسكندرية يزعمون أن السود منها المحمودة، وأن السواد هو أصل لونها، وإنما انقلبت إلى لون البراري فحالت. والحمر منها تكون في الأرياف والمواضع السهلة، والشهب في الجبال والبراري، ولا يصيد منها الكركي والحبرج إلا البحرية (القلقشندي١٩٨٧، ج٣: ٦٤). وقال بعضهم: الشاهين كاسمه، يعني كالميزان المسمى الشاهين، فإنها لا تحمل أيسر حال من الشبع، ولا أيسر حال من الجوع، بل حالها معتدل كاعتدال الميزان.

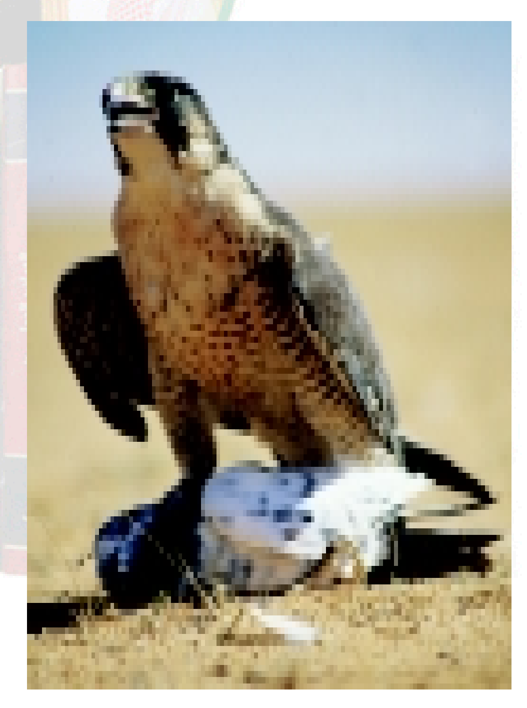
وقد ذكر العلماء بالجوارح من البيازرة، أن الشواهين أسرع الجوارح كلها، وأشجعها وأحسنها تقلباً في الجو، وأجودها إقبالاً وإدباراً وراء الطريدة،



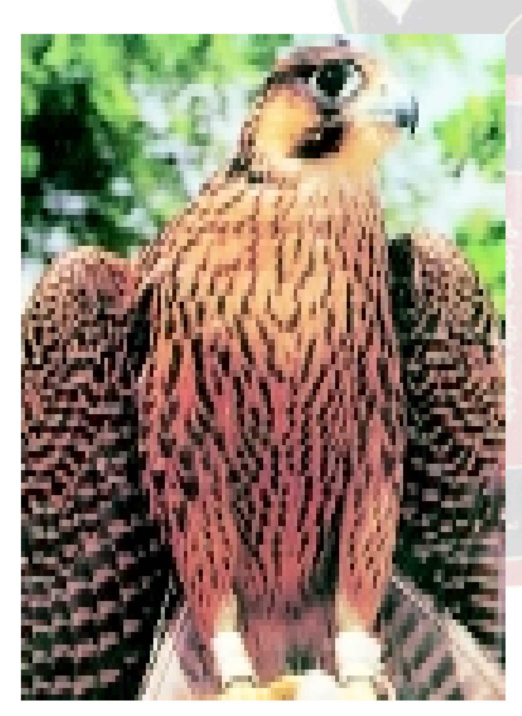
وأشدها ضراوة علـى الصيد، إلا أنهم عابوها بالإبـاق، وبما يعتريها من شـدة الحرص على الطريدة، مما يجعلها تضرب بأنفها على ما غلظ من الأرض فتموت. والشاهين إذا أبق مرة، وبات ليلة بعيداً عن صاحبه لم ينتفع به بعد ذلك، لأنه متى اعـتاد الهرب لم يـقلع عنه أبـداً، ولذلـك دعي بـالآبق. وإذا احتـاجت الشواهين إلى الطعـام ولم تجده، فلربما قتلت نفسها، لأنها كثيرة الغضب سريعة الحدة والنفور (الباشا ١٩٨٣: ١١٨).

وقال الدميري عن الشواهين إنها من جوارح الطير عدو الحمام، إذا رآه الحمام يعتريـه منه ما يعتري الشـاة من الذئب والفأر من الهرة، والحمام أسـرع طيراناً منه، إلا أنه إذا رآه ضعف عن الطيران خوفاً، وإذا رأته السلحفاة تتقنع وتعطيه ظهرها، ولا يعمل منقار الشاهين فيها، فيحـملها الشاهـين، ويصعد بها نـحو السماء، ويرميها على حجر صلد لتتكسر فيأكلهـا (وهو زعم غير معقول). وإذا مرض الـشاهين أكـل الدراريج فيـزول مرضه.

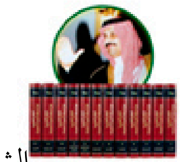
والشياهين عند البيازرة القدامى كما جاء في حياة الحيوان الكبرى ثلاثة أنواع: شاهين وقطامي وأنيقي. والشاهين شديد



شيهانة بحرية تفترس حمامة



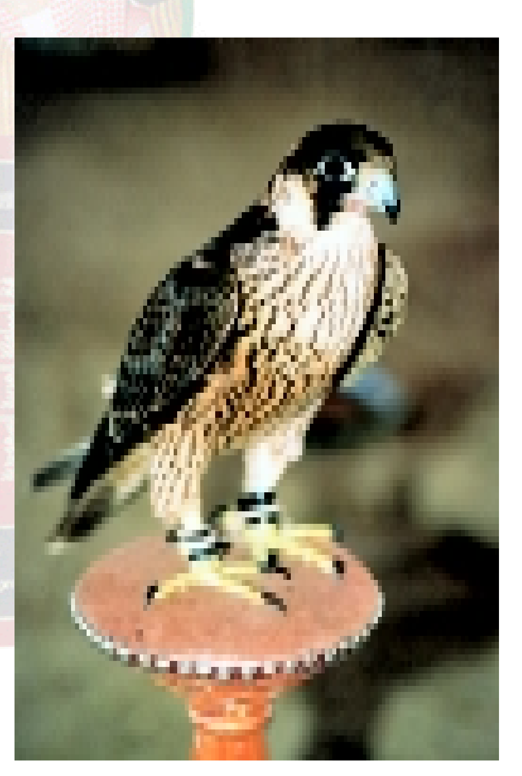
فرخ شيهانة جبلية




الضراوة على الـصيد ولأجل ذلك ربما ضرب بنفـسه الأرض فمات، وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح. والأنيقي يسمـيه أهل العراق الكـرك، وهو دون الشاهين، إلا أن فيه سرعة، وهو يصيد العصافير. وفيه يقول الشاعر:

غَـنِـيتُ عـن الجـوارح بـالأنـيـقي
بمـثـل الـريـح أو طـلـع الـبـروق
أصـب به عـلى الـعصـفور حـتـفاً
فـأرمـيـه بـصـخـرة مـنـجـنـيـق

وأما القطـامي فيسميه أهل الـعراق البهرجة، ويقال إنه في طبع الـشاهين.



شيهانة بحرية على الوكر

وليس من المعروف حالياً على وجه الدقة نوعا الطيور اللذان دعاهما البيازرة القدامى القطامي والأنيقي. إذ إن القطامي لدى الصيادين العرب المـعاصرين هو الصقر الحر، والشياهين لديهم شاهين بحر وهو الذي يأتي إلى الجزيرة العربية مهاجراً، وشاهين جبـل وهو مقيم وبعضه يـأتي مهاجراً أيضاً.

وأول من صاد الشواهين فيما يقال، قسطنطـين ملك الروم، وذلك أنه رأى شاهيناً محلـقاً على طير الماء يصطاده، فأعجبه ما عاين من فراهته وسرعة طيرانه وحسن صيده، فإنه رآه يحلق في طيرانه حتى يـلحق بعنان الجـو، ثم يعود في طرفـة عين فيضـرب طير الماء فـيأخذه قَناصاً، فقال: ينبغي أن يصاد هذا الطائر ويُعلَّم، فإن كان قابلاً للتعليم ظهر منه أعجوبـة في أمر الصيـد. فأمر بصيده وتعليمه. فصيد وعلم وحمله على يده.

وجاء في كـتاب مروج الذهـب أن أول من لعب بالـشواهين، حسب ذكر ارسنجانس الحكيم، هو ملك من ملوك الروم يقال له فسبان نظر يوماً إلى شاهين يهوى منحدراً عـلى طير الماء فيضربه، ثم يسمو مرتفعاً في الهواء، حتى فعـل ذلك مراراً فقال: هذا طير ضار، تدلنا قوة انحـداره على الماء على أنـه ضارٍ،



وتدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء على أنه طير أبيٌّ ألوف. فلما رأى حسن تكراره أعجبه، فكان أول من اتخذ الشواهين. وقد يكون فسبان هذا هو نفسه قسطنطين الذي أورد اسمه القلقشندي.

ويراوغ الشاهين كثيرا في طيرانه وراء فريسته، إذ إنه يسنح كذا مرة وكذا مرة حتى ينصب على طائر فيقنصه، لذلك سماه العرب ملاعب ظله، أما لفظ الشاهين فهو فارسي معرب. وذكر ابن غفير أن ملوك العرب كانت إذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة. (القلقشندي ١٩٨٧، ج٣: ٦٤-٦٦). ونقل ابن غفير عن أبي زيد الفهري قوله إنه كان من رتبة ملوك الأندلس اللذارقة، إذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره متجنحة على موكبه، تنحدر عليه مرة، وترتفع أخرى، (يقصد بذلك المغالاة في الوصف لكثرة عددها فكأنها مظلة لعسكره). واستمر الحال كذلك إلى أن ركب يوماً ملك منهم يقال له أزرق، وصارت الشواهين معه على ما وصفنا، فاستثارت طائراً فانقض عليه شاهين فأخذه، فأعجب بذلك الملك، وضرّاها على الصيد، فكان أول من تصيَّد بها في بلاد المغرب وبلاد الأندلس (المسعودي ١٩٨٦، ج١: ١٩٥-١٩٦).

ويتغذى الشاهين بشكل رئيسي على فرائس من الطيور ويستخدم لذلك عدة طرق، فقد يأخذ فريسته وهي محلقة في الهواء، ويكون ذلك عادة في المناطق المفتوحة وفوق المساحات المائية، ونادراً على أطراف الغابات. ويحدث ذلك في معظم الفرائس. لكنه قد يقنص كلية فوق البحر خلال فصل التزاوج. وأحياناً يقنص فريسته وهي على الأرض، أو فوق سطح الماء. ويرقب فرائسه عادة، وهو محلق في دوائر، أو من فوق مكان مرتفع مثل جرف أو شجرة عالية أو صخرة على سفح جبل، وعندما يبصر فريسةً فإنه يشرع في مطاردتها، ويعلو فوقها، ويُهيئ نفسه للانقضاض السريع عليها، وذلك بأن يطوي جناحيه ويمسكهما بعيداً عن جسمه قليلاً، وينقض على فريسته بسرعة فائقة، قدرها العلماء بأنها تتراوح من ١١٠ إلى ٤١٠كم في الساعة، والأغلب أنها في حدود ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة. وتختلف زاوية الانقضاض باختلاف الظروف المحيطة. وكثيراً ما يفشل في انقضاضه ولا يصيب الفريسة. وتقدر النسبة المئوية لفشل الإناث في انقضاضاتها على الفرائس بحوالي ٧٨٪، والذكور بحوالي ٨٣٪. وفي دراسة تتبع لمدى نجاح انقضاض

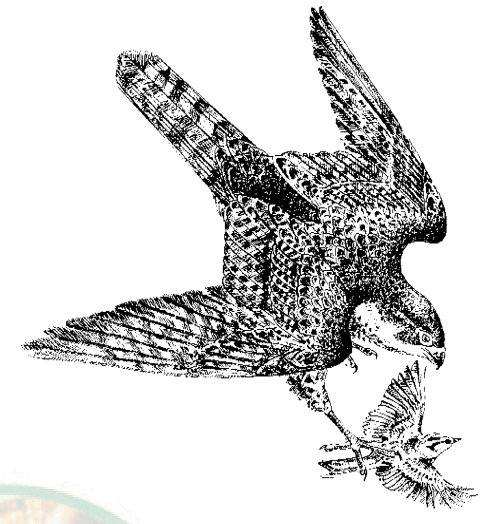


التحليق قبل الانقضاض

الطائر في الإمساك بفرائسه، وجد أنه نجح في ١٩ مرة من ٢٦٠ محاولة، أي بنسبة مئوية لا تتعدى ٣,٧٪. ويعتقد بعض العلماء بأن هذه النسبة ظاهرية وليست حقيقية، وأنه كثيراً ما يتظاهر أثناء لعبه ولهوه بالانقضاض على فريسته، ولكنه في الحقيقة لا يقصد أخذها.

وعندما ينقض على فريسته، وينجح في إصابتها فإما أن يقتلها ويمسكها من رقبتها من أعلى وهي محلقة في الهواء، وإما يلقيها على الأرض ويهبط ليأخذها. وأحياناً عند انقضاضه على الفريسة تعلو عنه في الهواء وفي هذه الحالة فإنه ينقلب ويضربها أو يمسكها من أسفل منها. وفي بعض الأحيان يصطاد فريسته في الهواء دون أن ينقض عليها. وأحياناً يطير مندفعا ويخطف فريسته أثناء وقوفها على فرع شجرة، أو على صخرة جرف ناتئة، أو من أعلى أبراج المباني العالية. وقد يعمد إلى اختطاف أفراخ الطيور من أعشاشها، أو يسلب الجوارح الأخرى فرائسها. وقد يقنص الحشرات الكبيرة، وهي طائرة في الهواء. وأحياناً يهاجم أسراب بعض أنواع الطيور محاولاً أن يصيب بعض أفرادها بالإعاقة، لتتوقف عن الطيران وتسقط. وكثيراً ما يختار لذلك الطيور الواضحة، مثل ذوات اللون الفاتح، أو ذوات السلوك المختلف، أو الهزيلة والضعيفة والمريضة. وقد لوحظ قيامه بالصيد في أزواج

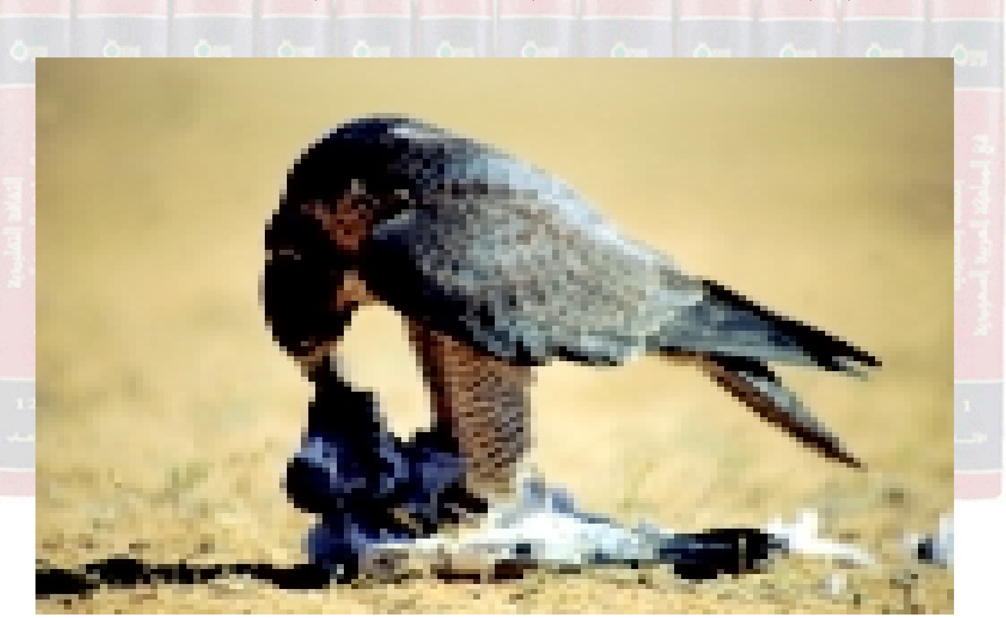




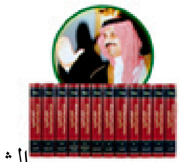
الإمساك بالطريدة في الجو

في بعض الأحايين، وفي معظم الأحيان، يمزق رأس فريسته بضربة قوية من مخلبه الخلفي، تمر برأس الفريسة من مؤخرتها إلى مقدمتها، وهي في العادة ضربة قاضية تكفي لقتل الفريسة وطرحها أرضاً. أما إذا لم تقتلها الضربة فإنه يجهز عليها بتمزيق رقبتها بمنسره، عند نقطة اتصال رأسها بعنقها. وغالباً ينقل الفريسة إلى مكان قريب لتمزيقها ونزع ريشها وأكلها. ويستغرق ذلك عادة بضع دقائق. ويبدأ أولاً في أكل المخ، ثم عضلات الصدر، وأحياناً أمعاءها. وتستغرق الوجبة من ١٠ إلى ٣٠ دقيقة، ونادراً ما تطول لتستغرق ساعة كاملة.

ويختار فرائسة كلية تقريباً من الطيور الحية، التي تختلف أنواعها باختلاف نوع البيئة، ومدى توافرها فيها. وتشمل فرائسه أنواعاً متعددة جداً من الطيور، وصل عددها إلى ١١٠ أنواع من الطيور في بريطانيا، وإلى ٢١٠ أنواع في أواسط أوروبا. وتتراوح في



افتراس الطريدة




أحجامها من العصفور ذي التاج الذهبي إلى الأوز والبلشون الرمادي، وتتراوح في أوزانها من ١٠ إلى ١٨٠٠جم. وفي العادة تقتنص الإناث فرائس أكبر حجماً ووزناً مما تصطاده الذكور.

ومن الأنواع التي يقنصها الحمام الضال والبط والطيور الخواضة والزرزور والسمّان والدراج، والغربان والحجل الأحمر واليمام، ومن الطيور البحرية الأوك والنورس والبفن والفلمار والغلموت. وكما سبق القول فإن العامل الذي يحدد اختيار نوع الفريسة هو مدى توافرها في البيئة. وبشكل عام إذا توافر الحمام، كان هو الفريسة الرئيسية للشياهين، بحيث يشكل من ٢٥ إلى ٤٥٪ من الفرائس التي تقنصها. أما في المناطق البحرية الشمالية، فإن الشياهين البحرية تقنص النوارس وغيرها من الطيور البحرية. وعلى المناطق الأوروبية الساحلية يكثر في فرائسها البط والطيور الخواضة وهكذا.

وفي المناطق الوسطى والشمالية، من قارة أوروبا، قد يقنص الشاهين أنواعاً من الثدييات الصغيرة مثل الأرانب البرية الصغيرة، والأرانب الأليفة، والسناجيب، والزَّبابات، وجرذان الحقل، والخفافيش، ونادراً ما يقنص الزواحف كالسحالي، والبرمائيات كالضفادع والعلاجيم، والحشرات الكبيرة. وفي أوقات الشدة وعدم توافر الغذاء قد يأكل


التطلع قبل الانطلاق



الجيف اضطراراً. ويبلغ متوسط وزن ما تحتاجه الأنثى من الطعام يومياً ١٤١جم، والذكر ١١٣جراماً (للطيور الموجودة تحت الأسر). ويبلغ طول جسم الشاهين من ٣٦ إلى ٤٨سم، طول الذيل منها من ١٠ إلى ١٣سم، وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٩٥سم إلى ١١٠سم. وحجمه في المتوسط أصغر كثيراً من حجم الصقر السنقر أو السنجاري. ومعظم طيوره أيضاً أصغر حجماً من الصقر الحر، لكنه أمتن من كل أنواع الصقور المتوسطة الحجم والكبيرته. وهو صقر متوسط إلى كبير الحجم، منضغط التركيب، قوي جداً، له رأس شديد الصلابة، وجناحان عريضا القاعدة مستدقا الطرفين نوعاً، وصدر عريض، وكفان متسعان، وذنب قصير. وفي الطائر البالغ يكون لون الظهر والرأس قاتماً متجانساً. وله على وجهه علامات مميزة واضحة، يبرز بينها شارب أشد وضوحاً من شوارب الصقور الكبيرة الأخرى. الذكر والأنثى متشابهان. ولا توجد تغيرات فصلية في الشكل.

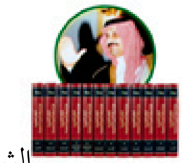
تزيد الأنثى في الحجم عن الذكر بحوالي ١٥٪، إذ يتراوح متوسط وزن الذكر البالغ من سلالة الشاهين الحقيقي من ٥٨٢ إلى ٧٥٠جم، بينما يتراوح



شاهين ذكر كامل

وزن الأنثى البالغة من ٩٢٥جم إلى ١١٠٠جم. ووزن الذكر البالغ من السلالة كاليدس من ٥٨٨ إلى ٧٤٠جم، والأنثى البالغة من ٩٢٥ إلى ١٣٣٣جم. ومتوسط وزن الذكر البالغ من سلالة بروكاى من ٧٢٠ إلى ٧٥٠جم والأنثى البالغة من ٩٥٠جم إلى ١١٠٠جم.

ويسقط الشاهين ريشه كاملاً في الطبيعة بعد فصل التزاوج حيث يبدأ ذلك في طيور المنطقة القطبية خلال شهري يونيو ويوليو، ويسقط الريش خلال الشتاء من




شهر فبـراير إلى شهر إبريـل، أما طيور المنطقة الأوروبية الغربية، فـتسقط ريشها مبكراً عن ذلك خلال شهري إبريل ومايو، ويسقط الـريش خلال الفترة حتـى شهر سبتمبـر إلى شهر نوفمبر. وتبدأ الأنـثى في إسـقاط ريشهـا بالريشـة رقم ٤ من القوادم، وذلك عـادة بعد قيامها بوضـع البيضة الثالثة، ويبدأ الذكر في إسقاط ريشه بعد فقس البيض. وتتساقط القوادم على الترتيب التالي: (٤-٥-٣-٦-٧-٢-٨-١-٩-١٠) ويبدأ تساقط ريش الذيل بعد سقوط الريـشة رقم ٤ من القوادم بفـترة من ١٠ إلى ٤٧ يـوماً، ويتساقـط ريش الذيل على الترتيب التالي (١-٢-٣-٦-٤-٥). ويكتمل تساقط ريش الذيل قبل اكتمال تـساقط ريش القوادم. ويستـبدل ريش الجـسم أثـناء فتـرة تسـاقط ريش القوادم، وأحـياناً تبقى بـعض الريشات القديمة دون أن تسقط خاصة على الرأس والظهر. ويكـتمل إسقاط جميع الريش خلال فترة من ١٢٨ إلى ١٨٥ يوماً.

وهناك عدة سلالات من الشاهين، منها الثلاث سلالات المعروفة في المنطقة العربية وهي: سلالة الشاهين الحقيقي؛



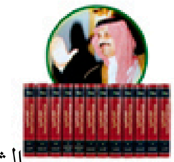
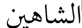
شاهين ذكر بالغ من سلالة «كاليدس»





ذكر شاهين بروكاي بالغ

وسلالة شمال سكانـدينافيا وروسيا (كالـيدس)؛ وسلالـة منطـقة البـحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا (بروكاى). ويكون لون الظهر أزرق رمادياً داكناً في الذكر البالغ من سلالة الشاهين الحقيقي، وهو المعروف في منطقة الخليج العربي بالشاهين الأحمر، وفيه تخطيط خفيف مسـود على الـظهر، وعـلى كواسي الجناحين، ويكون أكـثر وضوحاً على الذيل ذي اللون الرمادي الفاتح. قـمة الرأس زرقـاء رمادية اللـون، وكذلك أعلى الخدود. ويوجد شارب عريض، يظهر بوضوح من خلال اللون الأبيض لأسفل الخدود والحلق. والسطح البطني مخضب بلـون أصفر برتقالي، يكون أكثر دكنة على البطن. وتوجد نقط سود دقيقة متناثرة عـلى الصدر، تنتظم في خطوط عـلى السطح الـسفلي لـباقي الجسم، وخاصة تحت الجناحين اللذين يظهر فيهما التخطيط بوضوح، وتظهر الكواسي أدكن لوناً من ريش الطيران. وتحت الذيل أيضاً مخطط، ويكون الخط قبل الأخيـر عند طرف الذيل أعـرض من باقي الخطوط. وفي الأنثى البالغة

يكون التنقيط أكبر حجماً على السطوح البطنية لها، ونقاط الصدر أدكن لوناً، والتخطيط أعرض على الكفين والفخذين، مما هو عليه في الذكر، ولون الكفين أدكن. وتزن الأنثى ما بين ٧٥٠جم و١١٠٠جم.

وتستوطن سلالة شمال سكاندينافيا وروسيا قارة أوروبا شرقاً إلى شمال روسيا، وجنوباً إلى البحر الأبيض المتوسط والقوقاز. وفي طيور سلالة شمال اسكاندينافيا وروسيا (كاليدس) يكون كل من الذكر والأنثى أطول قليلاً، وأثقل بحوالي ١٥٪، مما هما عليه في سلالة الشاهين الحقيقي. ويكون لونهما أكثر رمادية، خصوصاً على السطح الخارجي، وأقل تخطيطاً على السطح البطني. أي أن طيور هذه السلالة تكون أفتح لوناً في العادة من طيور السلالة السابقة. وتستوطن طيور هذه السلالة المنطقة من شمال روسيا إلى شمال سيبيريا وشمال اسكانديـنافيا، وتهاجر شتاءً إلى مناطق شرق أفريقيا.

ويقل حجم الطائر في سلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غرب آسيا (بروكاي) بحوالي ٥٪ عن حجم الطائر من سلالة الشاهين الحقيقي، و٢٠٪ عن حجم الطائر من سلالة شمال اسكاندينافيا وروسيا كاليدس وهي أدكن لونا منهما بشكل عام، مع وجود لون صدئ محمر على صدورها ورقابها، وتخطيط ثقيل جداً على بقية أجزاء السطح البطني، وتوجد نقاط أو خطوط صدئة محمرة (حنائية) على القفا (مؤخرة العنق). وتستوطن طيور هذه السلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط حيث تنتشر جغرافياً من جنوب أسبانيا وشمال المغرب إلى القوقاز شرقاً، ويكثر وجودها في المناطق الساحلية، ومنطقة أسيا الصغرى. وطيور هذه السلالة مقيمة غير مهاجرة نظراً لاعتدال جو نطاق انتشارها الأصلي في فصل الشتاء.

ويذكر التميمي أن طيور هذه السلالات الثلاث من الشاهين، هي التي تقيم في بعض الدول العربية والمناطق القريبة منها، أو تهاجر إليها شتاء، حيث تصاد فيها. ويكون اصطياد الشواهين بشكل خاص في العراق وإيران وباكستان ومصر (١٩٩٢: ١٠٤).

ويمكن أن يلتبس الشاهين على البعد بطيور الصقر السنقر أو السنجاري في روسيا وشمالي أوروبا، وبطيور الصقر الحر في أواسط شرق أوروبا وجنوبي آسيا، ومع الوكري وشاهين المغرب (الشاهين البربري) في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وكل هذه الأنواع من الصقور تتشابه مع الشاهين في كونها



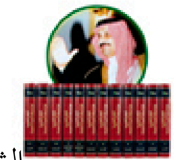
صقوراً صغيرة إلى متوسطة الحجم، وفي طرق طيرانها خصوصاً على البعد.

وطيران الشاهين دائماً انسيابي قوي. وهو يتحرك برشاقة في الأماكن الضيقة أو أثناء هبوطه خلف الفرائس، ولكنه يطير بثبات واندفاع في المسافات الطويلة، وأثناء رحلة الهجرة. وعندما يقوم بالصيد يخفق بجناحيه في سرعة وعمق، أما أثناء الطيران العادي فيطير بشكل أبطأ مع خفقات ضحلة بجناحيه لفترات، يتخللها بعض الانزلاق في الجو لمدد قصيرة. يبحث عن فرائسه وهو يحلق على ارتفاعات أعلى مما يحلق عليها أي نوع آخر من الصقور أثناء بحثها عن فرائسها، وعند عثوره على فرائسه، فإنه إما أن يندفع وراءها ليرغمها على الهبوط، أو ينحدر نحوها منقضاً بسرعة كبيرة، مع الاحتفاظ بجناحيه قريبين من جسمه وذنبه. ويمكن للشاهين أن يحلق عالياً وجناحاه مستويان مفرودان تماماً في خط مستقيم، كما يمكنه أن يتأرجح في طيرانه. وهو خبير في استخدامه لتيارات الهواء الصاعدة حيث يطفو فوقها بمهارة كبيرة. وهو صقر واسع الانتشار في المناطق المفتوحة، لكنه يحتاج إلى الجروف الجبلية للتكاثر. وهو مغرم بمناطق مصبات الأنهار، خلال فصل الشتاء.

يعيش الطائر (الشاهين) منفرداً إلا أنه قد يهاجر في أسراب صغيرة العدد. ويشكل وصوله داخل أي مجموعة من أنواع الطيور الأخرى إزعاجاً شديداً واضطراباً عظيما لها غير أن الغربان تطرده من بينها.

مواطنه وهجرته

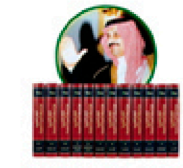
ويعتبر نطاق انتشاره الطبيعي من أوسع نُطُق الانتشار، حيث يغطي من المناطق المدارية إلى المنطقة القطبية، بما فيها من مناطق اليابسة الجافة والمناطق البحرية الرطبة. ويحتاج إلى مناطق مفتوحة متسعة تشمل مناطق رطبة وبيئات ساحلية ليصطاد فيها. أما للتكاثر فيحتاج إلى جروف جبلية بشكل أساسي، أو إلى حيود الجروف وغيرها من الأماكن غير المطروقة، بما في ذلك المباني المرتفعة جداً مثل الأبراج، أو المهجورة مثل الأطلال. وفي بعض أجزاء من مناطق انتشاره، قد يتكاثر على الأشجار العالية، أو حتى على الأرض. ونظراً لقدرته الكبيرة على التكيف والتحرك فإنه يمكنه أن يتكاثر في أي مكان، إلا أنه يبتعد عن المناطق المنخفضة، التي تخلو من المواقع المناسبة للتعشيش، مثل الصحارى، والسهوب والسهول




المزروعة. كما يبتعد عادة عن أماكن نشاط الإنسان، وعن الغابات الكثيفة المتصلة، والمناطق ذات الغطاء النباتي الكثيف، والمساحات المائية المفتوحة.

وللشاهين طرق صيده واختياره لفرائسه التي ينفرد بها وتميزه عن الصقر السنقر أو السنجاري في المناطق القطبية، حيث يوجد الشاهين على المناطق الساحلية متناثراً، ولو أنه قد يمتد إلى بعض المناطق الجبلية المرتفعة، حيث يوجد على ارتفاع ٣٣٣٥متراً فوق سطح البحر في جورجيا بالاتحاد السوفيتي السابق، ولكنه يتركز بشكل رئيسي في أواسط وأسافل المناطق الجبلية، حتى ارتفاع حوالي ١٥٠٠متر فوق مستوى سطح البحر، في أواسط أوروبا. وفي بريطانيا يوجد على ارتفاعات تتراوح من ٢٥٠ إلى ٦٥٠ متراً فوق مستوى سطح البحر. ويعتمد في تحديد موقع عشه على مدى توافر الفرائس في المنطقة أكثر مما يعتمد على نوع البيئة المناسبة له.

والشاهين طائر مهاجر في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، ويزداد عدد الطيور المقيمة كلما اتجهنا غرباً وجنوباً، وطيور سلالة الشاهين الحقيقي أو الشاهين الأحمر، كما يسميه أهالي الخليج العربي، مقيمة تتكاثر في المنطقة المدارية والمنطقة تحت القطبية، إلا أن كثيراً منها خصوصاً الطيور اليافعة، التي لما تبلغ سن النضج الجنسي بعد، تنتشر في مدى واسع خلال فصلي الخريف والشتاء. وتلاحظ هذه التحركات الانتشارية خصوصاً في طيور منطقة فنلندا واسكانديـنافيا وشمالي روسيا، حيث تخلو المناطق الشمالية من الطيور تقريباً خلال فصل الشتاء. وفي غرب أوروبا تكون تحركاته في فصل الخريف في الاتجاه الجنوبي الغربي، أما في شرقي أوروبا فيكون الاتجاه إلى الجنوب والجنوب الشرقي. والطيور التي تهاجر من فنلندا واسكانديـنافيا في الشتاء تتوجه إلى الدانمرك، وسط غرب أوروبا، بريطانيا، فرنسا، وشبه جزيرة ايبيريا (أسبانيا والبرتغال). وتتجه بعض طيور فنلندا إلى دول البلطيق السوفيتية، ووسط شرق أوروبا، ودول البلقان. ويعني هذا أن طيور هذه السلالات تتحرك لمسافات مختلفة الطول في الخريف والشتاء، حيث يكون أطولها حوالي ١٠٠٠كم، بحيث يتداخل مع نطاق انتشار سلالة بروكاي، أي سلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غربي آسيا. وقد وُجِدت الطيور التي جرى تحجيلها في دول شرق البلطيق، في المناطق المنخفضة غرباً في فرنسا وسويسرا. أما الطيور التي في



أواسط أوروبا فتتحرك إلى مسافات أقصر من ذلك، فمثلاً الطيور التي حجلت في بولندا وشرق ألمانيا، وجدت في فرنسا وبلاد التشيك وسلوفانيا. ومعظم الذكور البالغة لهذه السلالة غير مهاجرة بل مقيمة لا تتحرك إلى مسافات بعيدة شتاءً. وفي المناطق الواقعة جنوب وغرب أوروبا في أيرلندا وبريطانيا وفرنسا وسويسرا لا تهاجر الطيور البالغة، وتتحرك الطيور اليافعة لمسافة لا تزيد عن ٢٠٠كم من موقع العش الذي نشأت فيه. وهناك بعض الاستثناءات لذلك، فقد لوحظ أن أحد الطيور اليافعة قد هاجر لمسافة ٨٥٠ كيلومتراً من سويسرا إلى المجر، وأن طائراً آخر قد تحرك لمسافة ٧١٠كم من اسكتلندا إلى إيرلندا.

ويبدأ التحرك في فصل الخريف من شهر أغسطس إلى أوائل شهر نوفمبر، وتكون العودة إلى مناطق التزاوج، خلال فصل الربيع، من أوائل شهر مارس إلى أوائل شهر مايو.

وطيور السلالة بروكاي، التي تتكاثر في منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غربي آسيا، مقيمة غير مهاجرة. وقد تنتشر طيورها أثناء الخريف والشتاء إلى مسافات قصيرة جداً. وهناك عدد صغير من طيور هذه السلالة، يمر عبر مضيق جبل طارق وقناة جزيرة سيشل إلى تونس. وطيور جنوب غربي آسيا، التي تعيش في القوقاز، ربما تهبط شتاء من الجبال المرتفعة إلى السهول، إلا أن الكثير منها يبقى في الجبال طوال العام.

وطيور السلالة الثالثة كاليدس، التي تتكاثر شمال اسكاندينافيا وروسيا، مهاجرة، تقضي الشتاء في منطقة تمتد من شرق ألمانيا وبولندا وأواسط روسيا إلى جنوب أفريقيا. وتبدأ هجرتها في شهري سبتمبر وأكتوبر، وتعود في أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل. وقد وجدت طيور هذه السلالة في الشتاء في منطقة جنوب بحر قزوين. والبعض منها يعبر البحر الأبيض المتوسط، حيث وجدت بعض الطيور في جزيرة مالطا، وشبه جزيرة سيناء، وفي الجزء الشرقي من قارة أفريقيا، من السودان حتى جنوب أفريقيا. وتدل بعض الدراسات على أن معظم الإناث تفضل قضاء شهور الشتاء في أوروبا، وتفضل معظم الذكور قضاءها في أفريقيا.

سلوكه الاجتماعي

والشاهين طائر يفضل المعيشة منفرداً. يتخذ له أنثى واحدة في فصل التزاوج،

ويظل معها طـول فصل التزاوج. وفي حالات نادرة وجد الذكر وقد اتخذ لنفسه اثنيـين في العش نـفسه، وفي حالات أخرى أيضاً نادرة، اتخذ الذكر أكثر من أنثى، كلا منها في عش مستقل. يتزاوج الطائر عند عمر سنتين، وهو سن النضج الجنسي. وقد تنضج بعض الإناث عند سن عام واحد، وتتزاوج وتتكاثر. وكثير من الإناث اليافعة، التي لم تبلغ النضج الجنسي بعـد، تتزاوج مع ذكور بالغة، لكنهـا لا تتكاثر. أما الذكـور فعادة لا تتزاوج إلا بعد البلوغ في عمر سنتين. وقد يظل الزوجان مـعاً عاماً بعد عام، وقد يظل الزوجان معاً طول الحياة، إلا أنه إذا مات أحد الـزوجين اتخذ الآخر زوجاً بـديلاً. ويخـتلف الـزمن الذي يحدث فيه ذلك، حيث يتراوح من أسبوع إلى عدة أسابيع. وأحياناً لا يحدث ذلك إلا في موسم التزاوج التالي. وفي أحيان قلـيلة يـحدث ذلك فـي غضون عـدة ساعات فـقط. ويحدث الارتـباط بين الزوجين في منطقة التعشيش أو السيادة مبكراً أثناء العام، وأحيـاناً متأخراً حتى أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل، أي قبل وضع البيض بفترة قصيرة.

التـعشيش والـتزاوج. يخـتـار موقع التعشيش ومنطقة السيادة واحتلالها، أو إعادة احتلالهـا مبكراً في أوائل العام، أحد الزوجـين أو هما معـاً. أما طيور السلالة غير المهاجرة، فيظل أحد الزوجين عادة على صلة أقوى بموقع العش أكثر من الزوج الأخر. وغالباً يكون ذلك هو الذكر، الذي يـسرع فيحتل الموقع، أو يعيد احتـلاله في بداية العام. وكذلك السلالات المهاجرة، يـكون الذكر أيضاً هو الـذي يأتي أولاً إلـى موقع العـش فيحتله، وأحياناً تكون الأنـثى هي التي تأتي أولاً. ويقوم الذكـر، بعد احتلاله لموقع العش، بطرد الذكور الأخرى التي تفد إلى المنطقة، لكنه يستجيب لأي أنثى تأتي، ويبدي استعداده للـتزاوج معها، وذلك باستـعراض تحليقي، مصـحوب بنـداءات إغراء ورغبـة في أن تشـاركه احتلال الموقع. حيث يقوم بطلعات طيران قصيرة من حيـد جرف إلى حيد جرف آخر، وهكذا جيئة وذهاباً، من دون أن يبقى إلا فترة قصيرة جداً في أي منهما، وهو يطلق صيحات الرغبة في أن تشاركه التعشيش. أما الأنثى المنفردة التي تحتل الموقع أولاً فلا تقوم بمثل هذا الاستعراض لجذب الذكر. وقد يقبل كل من الـذكر أو الأنثى المنفردين، أي أنثى أو ذكر آخر، يفد إلى موقع العش، ويبدي رغبته في المشاركة في التعشيش والتزاوج، وذلك



لفترة من الوقت فقط حتى إذا وفد الزوج الأصلي إلى موقع العش فإنه يطردها أو تطرده خارجه.

ويقوم الزوجان بالاستعراضات الغزلية الهوائية كل عام في بداية موسم التزاوج، حتى ولو ظل كل منهما يرى الآخر، وحافظ على صلته به طول العام. والاستعراضات الغزلية التي يقوم بها الشاهين كثيرة متنوعة معقدة معبرة عن رغبة الزوجين في التكامل والتزاوج. ويقوم الذكر، نظراً لصغر حجمه وقلة وزنه، بنصيب أكبر من هذه الاستعراضات، التي تتطلب قدراً كبيراً من خفة الحركة والرشاقة. وتشمل الاستعراضات الغزلية الهوائية ما سبق وصفه مثل الطيران المتعرج، الطيران على شكل حرف Z والتحليق عالياً في دوائر، والملاعبة الهوائية التي هي أصلاً مدفوعة بالرغبة الجنسية. ويقوم الذكر بممارسة الطيران المتعرج بينما الأنثى تراقبه من مجثمها، أو تقوم بالطيران التحليقي في دوائر في نفس الوقت، حيث تلحق الذكر أحياناً وتشاركه الطيران في دوائر، وفي الملاعبة الهوائية مع إصدارها صيحات نداء متكررة. ويعود الزوجان إلى الجرف الذي يوجد عليه موقع العش ويقومان باستعراضات طيران منخفض وملاقاة بالمناقير (قبلات هوائية) وإطعام غزلي، وطقوس الجماع. وكل هذه الأنشطة من شأنها تعزيز أواصر العلاقة بين الزوجين قبل وضع البيض. وقد تبدأ المغازلة بشكل مخفف من وقت مبكر، بعد أن تغادر الصغار العش وتستقل بنفسها مباشرة، وتستمر بذلك الشكل المخفف طيلة فصل الشتاء. وفي هذه الحالة قد يبدأ الزوجان ممارسة عملية الجماع مبكراً جداً في شهر يناير. ويقوم الزوجان عادة بتكرار الجثوم والمبيت في موقع العش، أو في موقع جثومهما المفضل لديهما، مما يدل على قوة أواصر الصلة الزوجية بينهما. وقد يترك الذكر والأنثى بينهما مسافة في أول الأمر، لكنهما لا يلبثان أن يجثما متلاصقين. كما أنهما في أول الأمر قد ينطلقان للصيد منفردين، لكنهما بعد ذلك يشتركان في صيد الفريسة نفسها معاً.

وهناك طقوس للتحية، يقوم بها الزوجان عند تلاقيهما، مبكراً في أول موسم التزاوج. حيث يقوم الطائر المنفرد، المنتظر في موقع التعشيش، بإصدار صيحات ترحيب وتحية، عندما يرى الزوج الآخر، مقبلاً عليه. ويقف الزوجان قريبين أحدهما من الآخر وهما يتبادلان الصيحات، ورأساهما منخفضان



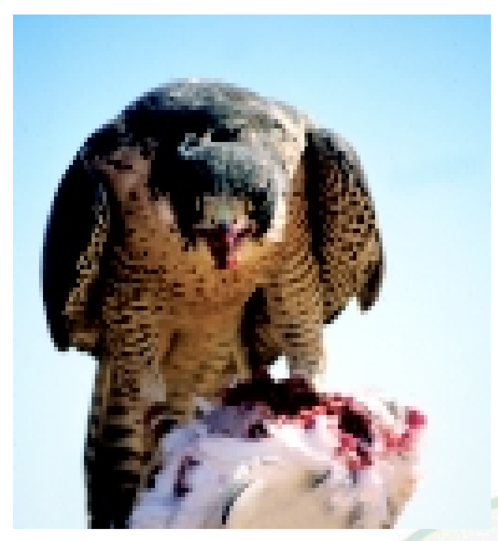

عن مستوى الجسم. ويتكرر ذلك المشهد عدة مرات طوال موسم التزاوج، ثم يقوم الزوجان معاً، ولا سيما الذكر، باستعراضات العش أثناء وقوفهما فوق الحفرة الضحلة التي أعدتها الأنثى لوضع البيض. ويكون استعراض العش عند الذكر أكثر تعقيداً منه عند الأنثى، حيث يطلق الذكر صيحات خشنة متكررة، وهو يقترب من العش، وقد اتخذ جسمه وضعاً أفقياً، ورأسه منخفض إلى أسفل، حيث يمشي على أطراف أصابعه إلى أن يستقر داخل حفرة العش، ويقف رافعاً جسمه عالياً على رجليه، وقد اتخذ جسمه وضعاً أفقياً أو مائلاً إلى الأمام، وقد انتصب ريش كواسي الذيل، وكذلك ريش البطن. ثم يبدأ في أداء استعراضه بنشاط مكثف، حيث ينحني إلى الأمام، ويدور حول نفسه، ويكرر ذلك لمدة من ٥ إلى ١٠ ثوان، وهو يطلق صيحته الندائية العالية الخشنة، ثم يتوقف وينظر مليا إلى الأنثى، ويعاود استعراضه مرة أخرى، ويهدأ وينظر إلى الأنثى، حتى تستجيب الأنثى، وتبدأ تستعرض بالطريقة نفسها، ولكن بدرجة أقل من النشاط، ثم تتوقف وتنظر إلى الذكر، فيزيد ذلك من شعلة نشاطه، ويستعرض باندفاع أكبر، وهما يتبادلان إطلاق الصيحات العالية. وتتوقف الأنثى عن استعراضها، وتأخذ في تعميق حفرة العش، بأن تجلس فيها على بطنها وصدرها، وتتحرك حركات دائرية متعاكسة الاتجاهين، ضاغطة بقدميها على الأرض، وتحركهما مع جسمها لتعميق الحفرة. وتغير وضعها من وقت إلى آخر. كما تأخذ وضع حضانة البيض وتهز جسمها إلى الأمام والخلف، وذلك قبل وضع البيض بحوالي خمسة أيام فقط.

ويطير الزوجان فوق العش متقاربين ويتلامسان بمنقاريهما حيث يلوي كل منهما عنقه، وخاصة الأنثى، إلى جهة الآخر ويتلامسان بالمنقارين، ويكون رأس الأنثى عادة في وضع منخفض ومنقارها متجه إلى أعلى، بينما يكون رأس الذكر متجهاً إلى أسفل ويتلاقى منقاراهما، كما يتلامسان بأقدامهما، ويسوي كل منهما ريش الآخر بمنقاره، خصوصاً كواسي الجناح، أو يمسح بمنقاره على جسم الآخر في حنو وشوق.

وفي هذه الأثناء التي يتم فيها استعراضات موقع العش، تبدأ عملية قيام الذكر بإطعام الأنثى، ويتدرج الذكر في ذلك، حتى يقوم بإحضار كامل طعامها لها. وفي البداية يحضر الذكر الفريسة ويتردد في تسليمها إلى الأنثى،



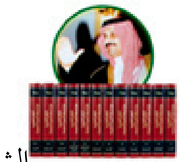
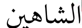
ويحاول ادخارها لها، فتحضه على تسليمها الفريسة، أو تسلبها منه بالقوة، ولا يلبث بعد ذلك أن يأتي لها بالفرائس طائعاً مختاراً، وذلك بأن يسقطها من ارتفاع منخفض فوق العش، أو يهبط بها ويضعها في العش، أو يسلمها لها بشكل مباشر. وأحياناً تخرج الأنثى للقاء الذكر، عندما ترقبه قادماً يحمل إليها الفريسة، فتطير في اتجاهه، وتتسلم منه الفريسة، إما في الهواء بأن يعلو عنها ويسقطها لها فتلتقطها، أو ينقلها من مخالبه إلى منقاره، ويسلمها لها في منقارها، وهما يطيران، أو تنقلب الأنثى على ظهرها، وهي تطير أسفل من الذكر، وتأخذ الفريسة بمخالبها من مخالبه. وتسلم الفريسة من منقار الذكر إلى منقار الأنثى، يحدث أكثر ما يحدث في العش، حيث يصل الذكر حاملاً الفريسة في مخالبه إلى العش، وأثناء هبوطه فيه ينقل الفريسة من مخالبه إلى منقاره ويقف وينحني أمام الأنثى عدة انحناءات متكررة تحية لها، ثم يمشي في اتجاهها على أطراف أصابعه ويقدم لها الفريسة، فتتناولها منه بمنقارها. وقد تقترب منه الأنثى بسرعة أثناء تقدمه إليها، وتأخذ منه الفريسة، أو قد تطلق صيحة عدوانية قوية، وهي تنزع الفريسة من



إذا توافر الحمام في البيئة كان الفريسة الرئيسية للشياهين

منقاره آمرة له بالانصراف فينصرف بسرعة، تاركاً العش لها. وأحياناً يقوم الذكر بنزع ريش الفريسة عنها قبل تسليمها إلى الأنثى، ويقوم بعملية نزع الريش بنشاط واهتمام.

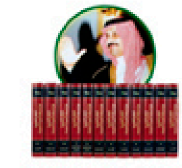
وتقوم الأنثى بحث الذكر على جلب الفرائس، بأن تقف أمامه في وضع أفقي، ورأسها منخفض إلى أسفل، ثم تطلق صيحات معينة لطلب الطعام. وقد تفعل ذلك وهي في العش، أو وهي في مجثمها خارج العش. وعندما يعود الذكر حاملاً الفريسة فإنه، حين يقترب من العش، يطلق صيحات إحضار الطعام لتستعد لملاقاته، كما يطلق صيحات أخرى يعلن بها عن وصوله، وتطلق

الأنثى بدورها صيحات الاستجابة والترحيب به، وهي تخرج لملاقاته وتستلم الفريسة منه. ويطلقان سوياً صيحات تسليم الفريسة وتسلمها، أثناء قيامهما بهذه العملية. وكثيراً ما تطلب الأنثى من الذكر تسليمها الفريسة، وهما محلقان، وذلك أثناء فترة المغازلة قبل وضع البيض، وأيضاً بعد نمو الصغار وأثناء قيامها بإطعامها في العش. وتطلب الأنثى ذلك من الذكر، فتطير بطريقة طيران معينة تدل على رغبتها، وذلك بأن تطير إليه ببطء وقد شدت جناحيها على شكل قوسين متجهين إلى أسفل، وذيلها مفتوح بشكل مروحي وموجه إلى أسفل، وضربات جناحيها منخفضة بحيث لا ترتفع عن المستوى الأفقي، وهي تطلق صيحات خاصة.

وتبدأ استعراضات طلب الجماع من أيٍّ من الزوجين، بعد مرور حوالي شهرين على بداية فترة المغازلة والاستعراضات الغزلية الهوائية، أي قبل وضع البيض بحوالي ثلاثة أسابيع. ولا تكتمل محاولاتهما للجماع في الأيام الأولى، وتنجح المحاولات قبل وضع البيض بنحو أسبوعين. ويحدث الجماع من مرتين إلى ثلاث مرات في الساعة خلال فترة ذروة نشاطهما، وقد تزداد إلى ثلاث أو أربع مرات في الساعة خلال الأسبوع الأخير قبل وضع البيض. ويصل النشاط إلى أقصاه في يوم وضع البيضة الثانية، ويتوقف فجأة بعد أن تضع الأنثى البيضة الثالثة. ويتم الجماع بناء على رغبة يبديها أي من الزوجين، ويمكن أن يحدث في أي وقت من اليوم، ولكن أكثر ما يحدث خلال أول ساعة من ساعات النهار، أو حول منتصف النهار. وقد يسبق طلب الجماع قيام الزوجين باستعراض طيران هوائي، أو باستعراض فوق العش أو يقوم الذكر بإطعام الأنثى، ثم تبدأ طقوس الجماع.

فإذا كانت الأنثى هي التي طلبت الجماع، فإنها تطلق صيحة عالية خشنة كالصهيل بينما يأخذ جسمها الوضع الأفقي، والرأس منخفض إلى أسفل، ويكون الذكر عادة على مسافة منها، أما إذا كان قريباً منها، فإن هذه الخطوة الأولى قد تلغى، وبعد اتخاذها الوضع الأفقي للجسم، والرأس منخفض إلى أسفل، والذيل في وضع أفقي مع الجسم، وريش البطن منتصب، تصدر صيحة عالية كالصهيل، وتكون إما واقفة بجانب الذكر أو أمامه مستدبرة إياه. وتستغرق هذه الخطوة حوالي نصف دقيقة، وربما تقوم بعمل عدة انحناءات



بجسمها إلى الأمام بشكل متتابع نشط تنتهي بارتجاف الجسم وانحنائها إلى الأمام، ثم تعود إلى وضعها الأصلي السابق. وربما تتحرك الأنثى إلى الأمام، وقد فردت ذيلها وأخذت تحركه إلى أعلى وإلى أسفل، ثم تطير إلى الذكر الجاثم وتدفعه إلى الطيران لينزل فوقها ويمتطيها، حيث تتم عملية الجماع.

أما إذا كان طلب الجماع من الذكر، فإنه يقف في مواجهة الأنثى وقد اتخذ جسمه الوضع الأفقي ذا الرأس المنخفض، أو قد يدلي جناحيه إلى الأسفل إعلانا عن رغبته، وقد يقف بحيث يكون جسمه في وضع رأسي، ويخفض رأسه مهدداً لها لتبدأ بالرضوخ، ثم يقوم بعمل عدة انحناءات متكررة من أعلى إلى أسفل، مع التأرجح يمينا ويساراً، ويطلق صيحة شقشقة حادة يكررها عدة مرات، ثم يقترب من الأنثى في طيران بطيء. وعندما تشعر الأنثى بأنه سيطير إليها، فإنها تتهيأ لاستقباله فترخي ريش بطنها وتربض، وتميل بجسمها إلى الأمام قليلاً، وترفع ذيلها إلى أعلى جانبياً استعداد للجماع. وحين يمتطيها الذكر ويعلو ظهرها، فإنها ترفع جناحيها المضمومين قليلاً وتضغط بصدرها على الأرض، لتتحمل ثقل الذكر أثناء الجماع، وتصدر صيحات خافتة خاصة تشبه العويل. وأثناء قيامها بعملية الجماع، يغير الذكر صيحته من الشقشقة إلى صيحة ذات صرير وهو يرفرف بجناحيه، وقد اتخذ وضعاً قائماً وعنقه مقوس ومخالبه ضاغطة عليها في قبضة متسيّبة ورجلاه مشدودتان. وبعد إتمام عملية الجماع مباشرة يطير الذكر من فوقها طيراناً بطيئاً، وتقوم الأنثى لتسوي ريشها وجسمها يرتجف.

وتضع الأنثى البيض خلال الفترة من منتصف شهر مارس إلى آخره، في غرب وأواسط أوروبا، وتتأخر عن ذلك بحوالي أسبوعين في المناطق الشمالية. وتتخذ عشها في حفرة ضحلة تحفرها بجسمها وأقدامها، على جرف جبل أو على حيد جرف، أو صخرة ناتئة مرتفعة، أو على إفريز مبنى مرتفع، أو برج عال أو مدخنة، أو في بعض الأطلال الخربة، وقليلاً ما تجعله في قمة شجرة عالية. ومن بين ١٥٥ عشا موجودة على جروف جبلية في بريطانيا، كان ٩٤ عشاً جديداً منها على الجرف حفرته الأنثى بنفسها، ٥٩ عشا قديماً لنوعين من الغربان، وعشان قديمان لنوع آخر من الصقور. وحيد الجرف الذي يتخذ الشاهين عشه عليه حفرة عمقها حوالي ٤٥سم على




الأقل، وقد تكون أعمق من ذلك. ويستخدم الشاهين عشه القديم عاماً بعد عام، وأحياناً يتخذ الزوجان لنفسيهما من ٢ إلى ٤ أعشاش يراوحان بينها، ربما يبعد أحدها عن الآخر بمسافة ٤,٦كم. أما العش نفسه فهو حفرة ضحلة، أو منخفض طبيعي في الأرض، أو بقايا عش قديم.

الاستعراض الغزلي. ويحدث الاستعراض الغزلي للطائر في منطقة التعشيش فقط، بالقرب من موقع العش المختار في أوائل الربيع، أو أبكر من ذلك. وقد يجري الاستعراض الغزلي أحد الزوجين فقط، الذكر أو الأنثى، أو هما معاً. ويحدث الاستعراض الفردي أساساً الذكر، ويشمل التحليق عالياً في دوائر، الطيران في خطوط متعرجة، والطيران في مسار على شكل رقم ٨. أما التحليق الزوجي، فيشمل التحليق عالياً في دوائر، والملاعبة في الهواء.

وفي حالة الطيران الفردي، يحلق الذكر عالياً في مسارات حلزونية محوّماً، وجناحاه ثابتان، وذنبه مفرود على شكل مروحي. وقد يطير صامتاً، أو يطلق صيحات التحليق والاستعراض، مكرراً إياها خصوصاً وهو يطير جيئة وذهاباً أمام سفح الجبل الذي يقع عليه العش.

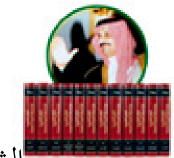
ويمكن أن يستمر هذا النوع من الاستعراض لمدة من ١٠ إلى ٢٠ دقيقة متصلة في المساء، قبل أن ينطلق الطائر بعيداً عن منطقة التعشيش. ومثل هذا النوع من الطيران الاستعراضي، قد يقوم به الذكر أيضاً قبل استهلال رحلة القنص. ويكون الطيران المتعرج، وغيره من أنواع الألعاب البهلوانية الهوائية، بسرعة هائلة. ويشبه كلٌّ من الطيران المتعرج والطيران الأنشوطي (على شكل أنشوطة) طريقة الطيران التي يطير بها الصقر السنقر أو السنجاري بشكل عام. وتشمل مناورات هذا النوع من الطيران التحليق عالياً في الهواء ثم الهبوط المفاجئ غوصاً إلى أسفل ثم الصعود اندفاعاً إلى أعلى بزاوية حادة في طريق متعرج، متقلباً على جانبيه من جانب إلى آخر أو ظهراً لبطن وهكذا، ويكمل عقد الأنشوطة وجناحاه يكادان يكونان مضمومين إلى جانبيه، أو نصف مضمومين مع الرفرفة بهما بسرعة عالية، وربما يتبع ذلك بالغوص إلى أسفل وأنفه متجه إلى الأرض، من مستوى تحليق عالٍ. وتساعده الرياح النشطة على تكثيف تحركاته الاستعراضية، وزيادة سرعته.

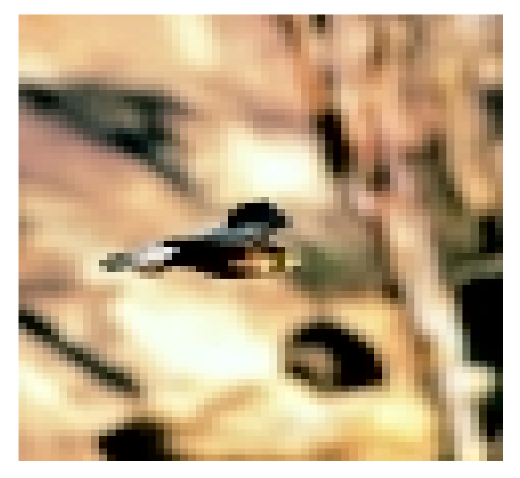
وهناك نوع من الطيران المتعرج، يطلق عليه الطيران على شكل حرف



Z، ويبدأ عادة بالتحليق عالياً في الهواء، ثم يطير الطائر مستقيماً مسافة ٥٠ إلى ٣٠٠م، ثم يحوّل اتجاهه منقلباً على جانبيه، ويهبط بزاوية حادة هبوطاً سريعاً، ثم يطير مستقيماً مرة أخرى، ويقف على حيد جرف أو صخرة ناتئة، أو يعاود التحليق عالياً مرة أخرى وهكذا. وأثناء الطيران المتعرج، يبدو من الطائر سطحه الأعلى الداكن، بالتناوب مع سطحه السفلي الفاتح اللون، مما يجعله واضحاً للرؤية من مسافات بعيدة، وكثيراً ما يسبق الطيران المتعرج أو يتلوه نوع آخر من الطيران يسمى طيران الحميمق أو الصقر الحوَّام، وفيه يستمر الطائر في الطيران مستقيماً لمسافة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠م، وجناحاه يخفقان بسرعة بطيئة، خفقات منتظمة قوية مبالغ فيها. أما في الطيران على شكل رقم٨ فإنه يبدأ طيرانه من موقع العش عادة بخفقان سريع من جناحيه، ثم يطير على شكل حرف ٨ في مستوى أفقي، بحيث يكاد يلامس صخور الجرف ببطنه أثناء طيرانه، ثم يعود إلى موقع العش، ويطلق صيحات نداء للأنثى.

أما في حالة الطيران الاستعراضي الزوجي فإن الزوجين يحلقان عالياً في الهواء، منطلقين بزاوية حادة إلى أعلى، ويطيران في دوائر، أحدهما حول الآخر. ولا يلبث أن يتحول هذا النوع من الطيران إلى ملاعبة طائرة معقدة الاتجاهات. مثل أن يغوص أحدهما باندفاع منحدراً فوق الزوج الآخر، ثم يغيران اتجاههما فجأة، ويصعدان إلى أعلى بسرعة، منقضاً كل منهما على الآخر بالتبادل، ثم يمران بالقرب من بعضهما غائصين مندفعين منقضين معاً، ثم يطارد أحدهما الآخر، وعندما يقترب منه يتقلب في الهواء ظهراً لبطن عدة مرات، ثم يتجه كل منهما ناحية الآخر، في طيران مستقيم بطيء مع رفرفة بطيئة قوية بالجناحين حتى يتقاربا، وبعد ذلك يغيران اتجاههما ويعودان، وعند التقائهما يتشابكان بالأرجل لفترة قصيرة، أو يتلامسان صدراً لصدر، أو منقاراً لمنقار، وهو ما يطلق عليه بعض علماء الطيور القبلة الهوائية. وفي إحدى هذه القبلات الهوائية، لوحظ أن الذكر يلاطف الأنثى بملامسة منقاره لمنقارها في الهواء أثناء تلاقيهما، وهما طائران، وقد تكرر ذلك عدة مرات، وفي إحداها طار الذكر تحت الأنثى، ولف عنقه وعكس وضع رأسه، بحيث أصبحت قمتها إلى أسفل ومنقاره إلى أعلى، وشبك منقاره بمنقارها للحظات، وهما يطيران سوياً. وقد يمثل




التحويم، الجناحان ثابتان والذنب مفرود

الذكر والأنثى، أثناء لعبهما الهوائي، عملية تسليم الفريسة من الذكر إلى الأنثى، حيث تنطلق الأنثى في اتجاه الذكر، وهي تطلق صيحات نقل الفريسة، ثم تقلل من سرعتها جداً، وتميل على جانبها، ثم تنقلب ظهراً لبطن، وترفع مخالبها إلى أعلى تحت مخالب الذكر، ثم ينفصلان، ويكرران هذا المشهد عدة مرات، قبل أن يطير الذكر بعيداً، وتعود الأنثى إلى موقع العش على الجرف أو الصخور. وهناك أنواع أخرى عديدة من الطيران الاستعراضي المعروفة للشاهين.

ويدافع الزوجان بشراسة كل من تسول له نفسه الاقتراب من موقع تعشيشهما وسيادتهما، سواء أكان من نفس النوع أم من نوع آخر من الطيور.

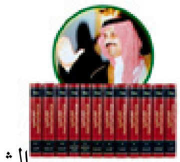
ويشترك الزوجان عادة في الدفاع عن سيادتهما على المنطقة، فإذا لوحظ اقتراب طائر غريب من موقع العش، حتى في فترة ما قبل وضع البيض، فإن الزوج الموجود في المنطقة يهبّ لملاقاته، مُطلقاً صيحات إنذار وطرد. هذه الصيحات سرعان ما تجعل الزوج الآخر يأتي مسرعاً عندما يسمعها. وفي العادة يكتفي الطائر المتهجم بهذا الإنذار، ويولي هارباً. أما إذا أمعن في الاقتراب، فإن الزوجين يهاجمانه بشراسة، حيث يحلقان عالياً ثم يهبطان فجأة عليه، ويضربانه ضربة شديدة، وهما يطلقان صيحات غضب عالية. وكثيراً ما يتجنب الطائر المتهجم هذا الهجوم القوي، وينقلب ويغير اتجاهه، ويولى هارباً، أما إذا لم يفعل ذلك، فإن أحد الزوجين، وهي الأنثى عادة، تأتيه من أسفل منه، وتنقلب على ظهرها، وتمسك أقدامه بمخالبها بقوة، مما يجعلهما يقعان إلى الأرض سويا. وفي أثناء هبوطهما تعدل الأنثى من وضعها، بحيث يصبح ظهرها إلى أعلى والطائر الممسوك إلى أسفل، وقبل الوصول إلى الأرض، تتركه فجأة ليرتطم بالأرض، وتتهشم عظامه.

حضانة البيض ورعاية الفراخ. بيضة الشاهين ذات شكل بيضوي عريض،



وقشرتها غير لامعة، ذات لون أصفر ضارب إلى البرتقالي، أو قشدي داكن، وهي مغطاة تقريباً ببقع حمر بنية داكنة وحمر اللون، ومتوسط أبعادها ٤٢×٥٣ مليمتراً ومتوسط وزنها من ٣٩ إلى ٤٦جم ويبلغ متوسط عدد البيض التي تضعه الأنثى في المجموعة الأولى من ٣ إلى ٤ بيضات، ويمكنها أن تضع مجموعة أخرى من البيض، إن فُقِدت المجموعة الأولى. وتصل الفترة بين وضع البيضة، والتي تليها من ٢ إلى ٣ أيام، ومدة حضانة البيض من ٢٩ إلى ٣٢ يوماً. ويتولى كل من الأنثى والذكر حضانة البيض، لكن الأنثى تقوم بالدور الأقل في ذلك أثناء النهار، وربما تقضي الليل كله أيضاً في حضانة البيض. ويحضن الذكر البيض بنسبة من ١٦ إلى ٢٥٪ من وقت النهار، وأقصى نسبة قضاها في حضانة البيض هي ثلث النهار. ويفقس البيض تقريباً بعكس ترتيب وضعه، مبتدئاً من البيضة الأخيرة أو التي قبلها مباشرة. ويعتني كل من الأنثى والذكر بالصغار، إلا أن الأنثى هي التي تقوم أساساً برعايتها وحمايتها وهي صغيرة، خاصة خلال الأيام الثلاثة الأولى، حيث ترعاها لمدة ١١ يوماً في المتوسط، بمعدل ٨٠٪ من الوقت، و٦٠٪ من الوقت حتى عمر ١٥ يوماً، ثم ٥٠٪ من الوقت حتى عمر ١٧ يوماً، وأقل من ١٠٪ من الوقت بعد ذلك. وقد يقوم الذكر بحماية الصغار عندما تكبر نوعاً ما، خلال الجو السيئ، وتقوم الأنثى بمفردها برعاية الصغار إذا فقد الذكر.

ويكون الدور الأساسي للذكر هو إحضار الطعام للأنثى وللصغار، حيث تقوم الأنثى بتمزيق الفريسة وإطعامها للصغار، ونادراً ما يبقى الذكر في العش أثناء رعاية الأنثى للصغار في أعمارها الأولى، إلا أنه قد يقوم برعاية الصغار كلية في حالة فقد الأنثى. وفي العادة يأخذ الذكر دوراً أكبر في رعاية الصغار إذا كانت الأنثى حديثة السن، قليلة الخبرة. ويتجنب الذكر منطقة العش في الأيام الأولى بعد الفقس، ويأخذ دوره الأكبر في رعاية الصغار بعد وصولها سن ٣٠ يوماً، حيث يقوم بحمايتها أثناء فترة مغادرة الأنثى للعش للصيد، إذ إنها تتولى عملية الصيد عادة في المنطقة القريبة المحيطة بالعش. وتطعم الأم الصغار بتلقيمها قطع لحم ممزقة من الفريسة في أفواهها، حيث تعطي كل فرخ منها من ٨ إلى ١٠ قطع متتالية حتى يمتلىء ثم تنتقل إلى الفرخ التالي وهكذا. وقد يقوم




الذكر في أحيان قليلة، بإطعام الصغار بنفسه. ويستمر إطعام الأم للصغار رغم أنها تستطيع أن تطعم نفسها من الفريسة عند سن ٣ أسابيع، وقد يستمر إطعام الأبوين للصغار حتى بعد إنبات ريشها. ويبدو أن الأم تبدأ بإطعام الفرخ الأكبر حجماً وسناً منها أولاً.

ولا توجد أي دلائل على وقوع أي عدوان بين الصغار بعضها على بعض، أو بينها وبين الأبوين، حتى بعد إنبات ريشها، بل قد يأخذ أحدها الطعام من منقار الآخر بتسامح كامل. ويحمي كل من الأبوين الصغار من أشعة الشمس المباشرة، ومن البرد والمطر والجو السيئ. وقد تنقلها الأم حاملة إياها بمنقارها من عش إلى آخر، حماية لها من عدو يقترب أو خطر يتهددها. وبعد إنبات ريش الصغار قد يحدد الأبوان لكل منها موقعاً خاصاً يبقى فيه، ويحمل إليه الأبوان الفرائس في موقعه. وعندما يكبر الفرخ ويستطيع الطيران يلقي إليه الأبوان بالفريسة وهما طائران، ليلتقطها في الهواء. وعند خروج الصغار للصيد مستقلة بنفسها يراقبها الذكر عادة من بُعْد ليقدم لها المساعدة عند الحاجة، حتى يطمئن على سلامة أدائها وقدرتها على الصيد المستقل. وكثيراً ما يحمل أي من الأبوين الفريسة، ويقترب بها من موقع الصغير، ويصيح ليدعوه إلى ملاقاته فيطير إليه، وينقلب الأب على ظهره تحت الصغير، ليتسلم منه الفريسة مخلباً إلى مخلب، أو يطير فيسبقه ويلقي بالفريسة في الهواء ليلتقطها الصغير، فإن لم ينجح في التقاطها هبط الأب بسرعة ولحقها، وأعاد عليه التدريب مرة أخرى حتى ينجح في أخذها.

والفراخ الصغيرة بعد إنبات ريشها، وخصوصاً الذكور منها، كثيراً ما تطير حول العش لملاعبة بعضها بعضا. وعندما تكبر قليلاً، تخرج حول العش وتطير مقلدة الأبوين في القيام بعملية الصيد، حيث ينحدر الواحد منها على الآخر حتى يلمسه بمخالبه ويبتعد عنه. كما تقوم أحياناً بسلب فراخ الأنواع الأخرى من أعشاشها والاستيلاء عليها، أو تقتنص الطيور الصغيرة الجاثمة على فروع الأشجار، أو على مكان عال، أو حتى وهي طائرة في الهواء.

وينبت ريش الصغار في عمر من ٣٥ إلى ٤٢ يوماً، وتصبح مستقلة بنفسها قادرة على الطيران الحر والصيد لنفسها بعد مرور شهرين أو أكثر على إنبات ريشها. وتتزاوج عادة عند بلوغها عمر سنتين.



ذكره في مأثور القول والأدب

أورد القلقشندي ما يكتب مع إرسال شاهين فقال «وقد وجه إليه بشاهين إذا حلق وراء الطير شاهت به الوجوه، وشاهدت الآمال به ما ترجوه. قد أصبح كل محلق الجناح رهين يده، وكل سارب من الوحش طعام يومه أو غده. لا يتعبه خلف الطريدة بُعْد المدى، ولا يرده خوف مسافةٍ ولا تقحم ردى. ربيَّه عام لم يمتع بطولٍ ما دهر، وممتده منه في الطلق مثل ريح سليمان غدوها شهر، ورواحها شهر».

وقال الناشئ الأكبر من طردية بالشاهين:

هل لك ياقناص في شاهين
شوذانق مؤدب أمين
جاء به السائس من رزين
ضراه بالتحسين والتليين
حتى لأغناه عن التلقين
يكاد للتثقيف والتمرين
يعرف معنى الوحي بالجفون
فظل من جناحه المزين
في قرطق من خزه الثمين
مفوف في نعمة ولين
وشكة كزرد موضون
مضاعف بالنسج ذي غضون
ذي منسر مؤلل مسنون
واف كشطر الحاجب المقرون
منعطف مثل انعطاف النون

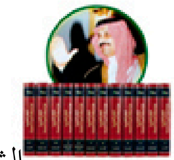
شوذانق: لفظ فارسي معرب معناه الشاهين، ورزين: اسم موضع، قرطق: لفظ فارسي معرب معناه الثوب، الشكة: السلاح، الموضون: المحكم، الغضون: كل تثنى بالثوب، المؤلل: المحدد.

وقال كشاجم في الشاهين:

مؤدب الإطلاق والإمساك
ململم الهامة كالمداك
مثل الكمي في السلاح الشاكي
ذي منسر ضخم له شكاك
ومخلب بحده بتاك
للحجب عن قلوبنا هتاك
حتى إذا قلت له دراك
وحلقت تسمو إلى الأفلاك
ممتدة الأعناق والأوراك
موقنة بعاجل الهلاك
غادرها تهوي إلى الدكاك
أسرى بكفيه بلا فكاك
ياغدوات الصيد ما أحلاك
ومنة الشاهين ما أقواك
لم تكذبي فراسة الأملاك
إياك أعني مادحا إياك

المداك: حجر يسحق عليه الطيب.

أما عبدالله بن المعتز فقد وصف الشاهين في إحدى طردياته. قال:



تـلمـع في مـنـقاره حـيـث سلـك
كـخـنجـر فـي كـف عـيار فـتـك
من ذي اختـطاف كفه مـلأى حسك
غـدا إلى الـدماء عـطـشان الحـنك
حـتـى إذا بـصــره لـم يمـتـسـك
يـتـركــه عـمـداً ولـلأخـذ تـرك
ثـم عـلا ثـم تـكـفـى وانـسـفـك
كـحـجـر الطـود إذا صـك هـتـك

العـيار: الرجـل الكـثير التطـواف والحركـة، الحسك: ثـمر الـنفل وهـو شوكي، يمتسك: لم يأخذ طريدته. وشبّه زهير بن أبي سـلمى فرسه في اندفاعه بانقضاض الشاهين على قطاة آمنة حيث قال:

جـونيـة كحـصاة الـقسـم مرتـعـهـا
بالـسَّي ما يـنبت الـقفعـاء والحسك
أهـوى لهـا أسفـع الخديـن مـطرق
ريش القـوادم لم ينصـب له الشبك

الجونية: قطاة لونها أسود، وهي نوع من القطا أسرعـه، وحصاة القسم: إذا قل ماء المسافرين وضعوا حصاة في القدح وصبوا عليهـا الماء حتى يغمرها ليقسم بينهم الماء بالسوية، وهي مجتمعة ملساء فشبهـوا بها القطاة، والسي: مـوضع، والقـفعاء: بـقلة مـن أحرار الـبقول، والحسك: ثمر النفل يستخرج منه حب فيؤكل.

وفي الأدب الشعـبي شبهوا الركاب مـن الخيـل والإبل بـالشـاهـين سرعـة وانطلاقا. قال عبدالله بن حمود بن سبيل:

فالـى تعـلّوا فـوق مثـل الشـياهـين
صاروا عـلى بعـض النحايـا عقوبـه

النحايا: سكان بعض النواحي. وقال محسن بن علي التميمي:

مـا تنـلحـق ممشـاه تقـل انـحيـاش
تشـدى هدد شـيهـانةٍ صـف ريشـه

تقـل: كأنه، انـحيـاش: هروب، تشدى: تـشبه، هدد: انـطلاق. وقال خليفة أبو جري:

اسـتـجنـبوا ياجـري مثل الـشيـاهين
يـتلـون قـطعـانٍ صخـافٍ مـهاوي

استجنبوا: قادوا خيولهم إلى جانب مطاياهم، يتلون: يتبعون. وقال عدوان الهربيد:

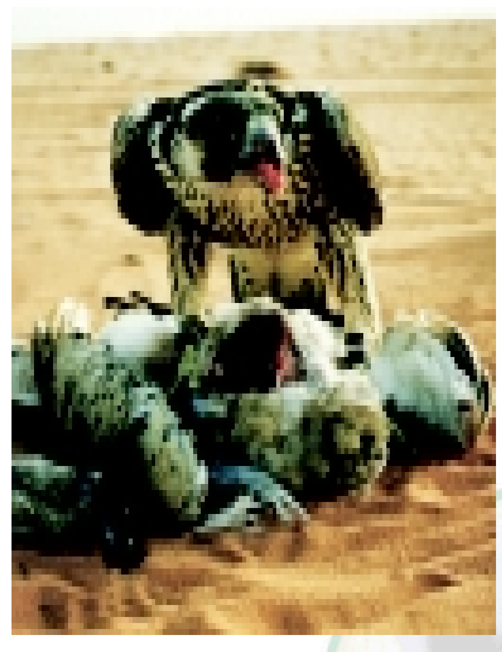
يـاعين يـشـبوبٍ ريـا بـامّ زقـلوب
أو عـين شـرقٍ بامّ الارسـان مـربـاه
عشـه بلـهبوب ورا سـبعة شـطوب
صفـق حدا الـضبّـان دونه ولا جـاه

اليـشبوب: ولـد الظبـي أكبر مـن الخشف، أم زقلوب: موضع، الشرق: نوع من الصقور، أم الأرسان: جبل إلى الشمال الغربي عن مدينة حائل به مأكر صقور أو مراب، لهبوب: اللهبوب هو السفح القائم الطويل الذي بأسفله تجويف



وانحناء من الجبل، الضبان: فخذ من شمر مشهورون باقتناص الصقور.

أورد السويداء في كتاب شعراء الجبل العاميين الجزء الثالث ما تواتر عن الرواة عن تلك الشاهين أنه على زمن سعدون بن عريعر حاكم الأحساء حوالي ١١٧٠هـ كان سعدون قد حمى روضة في منطقة الشمال لغرض القنص، وتوافرت فيها الحباري بأعداد كبيرة، وعندما ظهر للصيد فيها كان هناك خرب فاتك عجزت عنه صقور ابن عريعر، حيث يحول بين الصقر وما يريد من الحباري. فقيل له إنه لن يقضي على هذا الخرب غير شيهانة الضب، فأرسل إليه يطلب منه إحضارها، فأحضرها صاحبها، وكانت معيشة أهل الحي على ما تصيده تلك الشاهين يومياً من الصيد. وعندما حضر صاحب الشاهين وأحضرها معه ورآها سعدون بن عريعر، وهي صغيرة بقدر الكف المقبوضة لم يصدق أنها ستفعل شيئاً بالنسبة لذلك الخرب الكبير. وفي صباح اليوم الثاني أرسلوها في تلك الفيضة فتصدى لها الخرب كعادته، لكنها تركته، وحلقت في الجو حتى اختفت عن الأنظار، ثم أتت منقضة عليه مثل دوي رعد الصاعقة، وضربته على الأرض، فتمزق جسمه مزقاً، ثم ارتفعت ثانية وصادت صيدة أخرى،



فرخ شاهين يفترس حبارى

وبذلك قضت على هذا الخرب، فطلبها سعدون من صاحبها فاعتذر إليه بقوله إن معيشة حيه على الله ثم على صيدها. وأهدى إليه أختها.

وقال أحمد بن محمد السديري:

يكفخ كفيخ موحّشٍ بالمسابيق

حرٍ يصرّم محكمات المرير

يكفخ: ينزع ويرفرف فيطير، موحش: الوحشي من الصقور، المسابيق: ما يربط به الصقر، المرير: المريرة نوع من الحبال يربط به الصقر.

وقال سليمان الطويل:

العين عين اللي براس الشذيبه

في ماكرٍ عسرٍ لها طيرت به




الشذيبه: الشذيبة أو الشذبة اللوح الواقف الشامخ من الجبل. وقال سليمان بن ناصر بن شريم:

ومن الولع يكفخ كما الطير مقضوب
والى طرى له طاريٍ ما حلا به

يكفخ: ينزع ويرفرف فيطير، مقضوب: ممسك.

وشبهوا عين المرأة بعين الشاهين. قال عبد الرحمن بن زيد السويداء:

عين شيهانٍ بوكرٍ له
ويترقّب غفلة الناس

وقال حمدان أبو شامه البلوي:

حرٍ شبك شيهانةٍ بالعناقير
واللي موبدها يدور بدلها
عاداتنا خز البكار المعاشير
والحر لى شاف الحباري فتلها

العناقير: رؤوس شماريخ الجبال، موبدها: متأكد من مكانها، خز: اختيار، لى شاف: إذا رأى، فتلها: أمسك بها ولواها. وقال خلف أبو زويد الشمري:

والعين عين اللي بروس العناقير
نجلٍ سواد عيونها مع رموشه

وقال عبدالعزيز عبدالله الجريفاني:

العين ياعين مدعيه
لى شافت الزول ملتمه

المدعيه: الشاهين، ملتمه: مجتمعة.

وقال عبدالله بن دهيثم الشمري:

على الذي عينه تقل عين جما
أو عين شيهان البحر عقب حومه

الجما: الظبي لا قرون له، عقب: بعد.

وقال عبدالله بن جابر:

شيهانةٍ بايسر الهفهوف
بالوصف ياناس وش كنه

وقال محمد بن دخيل الله الأزيمع المطيري:

يادقاق الزين يالمشخص الغالي
ياعيون اللي على الكف مدعيه

دقاق الزين: دقيق تقاسيم الجمال، المشخص: نوع من الجنيهات الذهبية الصافية. وقال حماد بن هندي التميمي:

العين عين موحشٍ شبكوا به
طيرة بحر ما تنزل الا النوازي

النوازي: المرتفعات.



السنجاري والوكري

السنجاري

صفاته وسلالاته. طائر من الجوارح، أعظم من الصقر الحر عند البيازرة وأجمل منه صورة. يؤتى به من أقاصي البلاد الشمالية. يقال له أيضاً: شنقار، وشنغار، وشنقور، وكلها تترية (المعلوف ١٩٣٢: ١١٤).

وقال القزويني عنه إنه «طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين، إلا أن رجليه غليظتان جداً، ولا يعيش إلا في البلاد الباردة، ويوجد في بلاد الترك. وإذا أرسل السنجاري إلى الصيد أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة، فإذا رجع إلى المكان الذي ابتدأ منه يبقى الطير جميعاً في وسط الدائرة، لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفاً، والجارح يقف عليها وينزل يسيراً يسيراً. وينزل الطير بنزوله حتى يلتصق بالتراب فيأخذها البازدارية، فلا يفلت منها شيءٌ أصلاً». وهذا الزعم غير صحيح فلم يشاهد أحد من دارسي هذا الطائر مثل هذا السلوك فيه.

يبلغ طول الصنقر من ٥٠ إلى ٩٠سم (الذيل من ١٧ إلى ١٩سم)، وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ١٣٠ إلى ١٦٠سم. ومتوسط وزن الذكر البالغ ١١١٥جم (من ٨٠٥ إلى ١٣٠٠جم)، ومتوسط وزن الأنثى البالغة ١٧٣٥جم (من ١٤٠٠ إلى ٢١٠٠جم). وأكبر طيور هذا النوع حجماً هي في المجتمعات التي تعيش في جرينلاند وآيسلندا، حيث تزيد جميعها عن الشاهين حجماً ووزناً.

وتسقط الطيور البالغة ريشها بعد انتهاء موسم التزاوج، حيث يبدأ ذلك في شهر أبريل أو مايو. وتستمر العملية حتى ينتهي إسقاط الريش كاملاً في شهر أكتوبر أو نوفمبر. وتبدأ الأنثى مبكرة عن الذكر، حيث يبدأ سقوط ريشها بالقرب من نهاية



فصل التزاوج. ويسقط ريش القوادم على الترتيب التـالي: ٤-٥-٦-٣-٧-٢-٨-٩-١-١٠، ويتم سـقوطها خـلال فترة تتراوح من ٩٨ إلى ١٢٧ يوماً. ويسقط ريش الذيل على الترتيب التالي: ١-٢-٣- ٤-٦-٥, أو ١-٢-٦-٣-٤-٥، ويتم سقوط ريش الذيل خلال فترة تتراوح من ٧٥ إلى ٨٤ يوماً.

والسنقر صقر قوي متين البنية ثقيل الوزن، لـيس له عـلامات مميـزة على الوجه، ويتغير لون الريش مع تقدم السن ومع ظروف البيئـة المحيطة من الأبيض الناصع تـقريباً إلى الأشهـب والرمادي فالبني، إلى الداكن المتجانس الدكنة وهو نادر الوجـود. الجنسان مـتشابهان ولا توجد تغيرات فصلية في اللون.

يتغـذى الصقر السنـجاري أكثر ما يتغذى علـى الطيور المتوسطة الحـجم، وأحياناً يفترس الثدييات الصغيرة. وهناك ٣ طرق للطيران يستخدمها للبحث عن فرائسه: أن يطير على ارتـفاع منخفض من ٦ أمتـار إلى ٢٠ متراً فـوق سطح الأرض، أو أن يجثـم على مكان عال يراقب الفرائس ثم يطير من مجثمه على ارتفاع منخفض جداً، أو أن يراقب فرائسه محلقاً عالياً فـي الهواء على ارتفاع من ٥٠ إلى ٣٠٠م فـوق مسـتوى سـطح الأرض. ويتميز الطيران المنخفض بكونه سريعاً في اتجاه مستـقيم. ويزيد الصقر من سرعته كلما أسرعت الفريسة أمامه لكي يلحق بها، ثـم لا يلبث أن يرتفع فوقها لينقض عليها بسـرعة فائقة. وإذا فشل في أن يمسك بها في انقضاضه الأول واصل المطاردة. وتبلغ سرعة انقضاضه حوالي ١٦٠ كيلومتراً في الساعة. وربما يؤثر اتجاه الرياح في سلوكه أثناء مطاردة الفرائس، فقد يندفع داخل الرياح ليمسك بفريسته. وأكثر ما يمسك فرائسه من فوق سطح الأرض أو الماء، والقليل منها يأخذه أثناء الطيران في الهواء. ويقـتل فريسته بضربها ضربة قاضية أثناء إمسـاكه بها، ويمزق فريسـته حيث أمسك بـها أو قد ينقلـها إلى مسافة قـصيرة حاملاً إياهـا بمخالبه. وأحياناً تمزق الأنثى الفريسة التي يلقيهـا لها الذكر خارج العش. وعـادة يكون الذكر قد نزع رأسها وريش قوادمها عند إحضارها إلى العش. كما أنه عادة يكسر عظام القفص الصدري والضلوع. وربما لا يـنزع الرأس فـي غيـر موسم التزاوج. ولوحظ أنه لا يصطاد كل يوم، وربما احتفظ بفرائسه لمدة أسبوع. ويحتاج هذا الـصقر إلـى ٣٠٠جم من الـغذاء يومياً، ويمكنه أن يحمل فريسة يصل وزنها إلى ١٨٠٠جم.



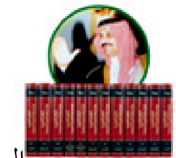
ويتحكم نوع البيئة المحيطة في تحديد نوع الفريسة، حيث تكون الفرائس عادة من طيور البحر في المناطق الساحلية للتعشيش، ومن الدجاج البري القطبي وحجل الصفصاف وأنواع من البط في المناطق الداخلية. وأكثر ما يفترس أنواعاً أخرى من الصقور الصغيرة. وكثيراً ما يفترس الثدييات خصوصاً في مواسم توافرها، وأكثرها شيوعاً الجرذان وفئران الحقول والأرانب البرية. وأكثر ما يُطْعِم صغاره الدجاج البري القطبي إذا توافر في المنطقة حتى إنه ليشكل أكثر من ٩٠٪ من الفرائس التي يحملها إلى العش لإطعام الصغار. وقد يفترس الزواحف والضفادع والحشرات الكبيرة.

يطلق أهل البادية على كل صقر أسود اللون مسمى السنجاري. والحقيقة أنه يمكن تمييز ثلاث سلالات تقليدية من ألوان هذا الصقر: السلالة الداكنة، والسلالة المتوسطة، والسلالة الشاحبة أو البيضاء. ويسهل تمييز السلالتين الأولى والثالثة لأنهما تمثلان الحدين الطرفيين لتدرج اللون، أما السلالة الوسطية فمنها تداخلات لونية كثيرة تجعلها تقرب أحياناً من هذه السلالة أو تلك.

وتوجد طيور السلالة الداكنة في الجزء الجنوبي من نطاق انتشاره الطبيعي في أقصى الشمال -جرينلاند وإيسلندا. ويكون لون الصقر البالغ فيها رماديا بنياً مخططاً تخطيطاً منتشراً غير محدد وعليه ترقيط بعلامات داكنة وفاتحة اللون، ويوجد بياض على منطقة الجبهة. البقعة حول العين داكنة مسودة، وكذلك خط الشارب. السطح السفلي أبيض لكنه مغطى بنقاط كثيفة على الصدر وخطوط عريضة على الكفين والبطن. ويظهر على السطح السفلي للجناحين علامات واضحة على الكواسي، معظمها شاحب اللون. وهناك بقعة بيضاء لبنية تمتد بعرض قواعد ريش القوادم. والتخطيط على السطح السفلي للذيل غير واضح.



السنقر أو السنجاري (السلالة الداكنة)



أما طيور السلالة البيضاء فإنها توجد في الجزء الشمالي من نطاق الانتشار الطبيعي لهذا النوع من الصقور، ولونها أبيض بشكل عام تتناثر عليه خطوط رفيعة أو عريضة أو بقع سود على السطح الظهري والجناحين والذيل، وأطراف ريش القوادم مسودة. وهذا النوع من الصقور هو أكثر الأنواع توغلاً في المناطق القطبية الشمالية، حيث يوجد على السواحل القطبية وفي إقليم التندرا وعلى أطراف مناطق المستنقعات الساحلية. وأكثر ما يشاهد على السواحل والجزر.

مواطنه وهجرته. ويوجد الصقر السنقر (السنجاري) عند دوائر العرض الشمالية الباردة في المناطق القطبية وتحت القطبية، فوق حدود انتهاء منطقة نمو



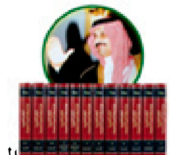
السنقر أو السنجاري (السلالة البيضاء)

الأشجار، حيث يعيش على الجروف الساحلية وعلى الجزر، بما فيها المحيط المتجمد الشمالي، حيث تتوافر أماكن التعشيش الآمنة تحت الجروف الناتئة. ويكثر وجوده بالقرب من مستعمرات الطيور البحرية. ومعظم الطيور تقطن حيود الجروف على امتداد ضفاف الأنهار، وفي الجبال والأراضي المرتفعة خصوصاً حيث يكثر الدجاج البري القطبي. وإذا لم يكن متمركزاً في مناطق مستعمرات الطيور البحرية فإنه يصطاد فوق مساحات شاسعة من المناطق المفتوحة ذات الغطاء النباتي القصير أو المتناثر غير الكثيف. وأكثر ما يطير على ارتفاع منخفض ولا يحلق كثيراً كما تفعل صقور المناطق الجنوبية، إلا في المناطق التي تساعده التيارات الهوائية الصاعدة فيها على التحليق. وقد تناقصت أعداده تناقصاً واضحاً خلال الجزء الجنوبي من نطاق انتشاره الطبيعي، حيث لوحظ انخفاض الأعداد الموجودة منه في السويد والنرويج وإيسلندا وفنلندا. ويعود السبب في تناقص أعداد الطيور إلى صيدها لاستخدام جلودها، وكذلك إلى جمع البيض من العشوش. وجمع الفراخ ليروضها الصقارون على رياضة القنص.



والصقر السنجاري طائر مهاجر في الجزء الشمالي القطبي من نطاق انتشاره الطبيعي ومقيم في الجزء الجنوبي منه، الذي يقع جنوب دائرة عرض ٧٠ْ شمالاً، حيث تكثر الطيور الرمادية اللون. وتنتشر هذه الطيور من المناطق الداخلية إلى السواحل، في الشتاء. أما الطيور الشمالية القطبية المهاجرة فمعظمها من ذوات اللون الأبيض، وهي تهاجر في الشتاء إلى المناطق الجنوبية حيث تقطع عدة مئات من الكيلومترات لتصل إلى سواحل جنوب جرينلاند. وتبدأ هجرة هذه الطيور في أواخر شهر أغسطس وتستمر في الوصول إلى المناطق الجنوبية حتى شهر ديسمبر. وتبلغ ذروة هجرتها في منتصف شهر أكتوبر، وتعود في شهر إبريل، حيث تصل إلى مناطق تعشيشها الشمالية للتكاثر في أواخر شهر إبريل وأوائل شهر مايو.

سلوكه وتزاوجه. يشبه الصقر السنجاري الشاهين في كونه يطير عادة منفرداً أو في أزواج، ويصطاد منفرداً. وهو صقر وحيد الزوجة يتخذ لنفسه أنثى واحدة. وقد تستمر الصلة بين الزوجين لمدة طويلة. وليس من المعروف بالضبط العمر الذي يبدأ عنده في التزاوج. وهناك حالة سجلت لطير تزاوج وعمره سنة في البيئة الطبيعية، أما تحت الأسر فلم يسجل أي حالة تزاوج قبل بلوغه عمر أربع سنوات. ويتخذ لنفسه زوجاً آخر عند فقده الزوج (الأنثى أو الذكر) في نفس الموسم. ويقوم الذكر بمفرده بإحضار الطعام اللازم للأنثى والصغار خلال الفترة الأولى التي تلي الفقس. ويتولى الذكر حضانة البيض، خلال فترتي الصباح والمساء عندما تترك الأنثى العش لتتناول الطعام الذي أحضره لها الذكر. كما يتولى الذكر إطعام الصغار مباشرة بنفسه عند غياب الأنثى عن العش. وتتولى الأنثى غالباً حضانة البيض ورعاية الصغار وإطعامها بنفسها خلال الأسبوعين الأولين بعد الفقس. وتترك الصغار بمفردها في العش لمدة من ٢ إلى ٣ ساعات يومياً بعد ذلك. وتتركها لفترات أطول في الأسبوع الثالث، حيث تذهب للصيد بعيداً عن موقع التعشيش. والعلاقة بين الصغار حميمة غير عدوانية، إلا أنها قد تتنافس أحياناً على الطعام. ورغم أن فقس البيض يحدث متزامناً تقريباً، فإنه تحدث فروق في الحجم بين الصغار. ولا علاقة لفروق الحجم هذه بزمن الفقس أو بالجنس. ويحدث أن تموت الصغار جوعاً بسبب انعدام الفرائس، وموتها أكثر من موت صغار



الشاهين. وتظل العلاقة بين الصغار بعد إنبات ريشها مستمرة حتى حلول فصل الخريف في بعض الأحيان.

يتخذ الصقر السنجاري لنفسه أعشاشاً في مناطق تعشيش وسيادة مستقلة، كما هي حال الشاهين. وقد يشغل موقع تعشيشه ومنطقة سيادته لمدة طويلة عاماً بعد عام، خصوصاً عند توافر الفرائس فيها. ويترك منطقة التعشيش عند ندرة الفرائس بها، وقد يهجرها لفترة طويلة تصل إلى ٣ أعوام قبل أن يعود إليها مرة أخرى. ويتحكم في اختيار موقع التعشيش أيضاً وجود الثلوج في المنطقة أو خلوها منها في بداية موسم التزاوج، حيث تختار الطيور الأماكن الخالية التي تسمح لها بأداء استعراضات المغازلة استعداداً للتزاوج. قد يتنافس أحياناً مع الشاهين على اختيار موقع العش، ولا يتمكن الشاهين من طرده من المنطقة مهما حاول ذلك. ولكنه قد يعشش مع الشاهين على نفس الجرف دون حدوث حساسية بينهما. ويهاجم أنواع الجوارح الأخرى التي تقترب من موقع عشه حتى أنه قد يقتلها. وبينه وبين العقاب الذهبي عداء شديد. وقد تمتد منطقة السيادة والتعشيش التي يحميها الزوجان إلى ١٣٥٠ متراً. ولكن المسافة بين العشوش تبعد عن ذلك كثيراً في العادة، إذ وجد أنها في المتوسط ١٧,٤كم (تتراوح من ٢,٣ إلى ٣٨ كيلومتراً). وتزداد كثافة التعشيش على المناطق الساحلية، نظراً لتوافر الفرائس من طيور البحر فيها.

وتتراوح مساحة نطاق الانتشار من ٦٥ كيلومتراً مربعاً في ايسلندا، إلى ٣٢٠ كيلومتراً مربعاً في إقليم التندرا الروسي. وفي ولاية ألاسكا تتراوح منطقة الانتشار من ٢٠٨ إلى ١٠٤٠ كيلومتراً مربعاً. وقد يضطر الزوجان إلى قطع مسافات كبيرة يومياً للحصول على الصيد تتراوح من ١٢ إلى ١٥ كيلومتراً بعيداً عن موقع العش. ويقطع الذكر مسافات أكبر مما تفعل الأنثى عادة. وفي منطقة اليوكون، شمالي كندا، لا تترك الأنثى العش مطلقاً إلا إذا كان الذكر موجوداً فيه خلال مرحلة حضانة البيض وفترة الرعاية الأولى للصغار بعد الفقس. وكثيراً ما يستخدم الطائر موقع عشه مجثماً أثناء الشتاء حيث ينتقي الأماكن التي تضمن له الحماية من الرياح والثلوج المتساقطة. وفي أثناء التعشيش، تحضن الأنثى البيض عادة أثناء الليل، بينما يجثم الذكر في مجثمه المعتاد فوق حيد الجرف بالقرب من العش. ولا يحتاج هذا



الصقر في الصيف إلى اختيار مكان يحتمي فيه من الرياح والأمطار، ويقضي معظم اليوم جاثماً على حيد الجرف. وقد يجثم فوق شجرة. وفي ولاية ألاسكا، تظل الطيور البالغة نشطة حتى الغسق حيث يمكنها أن ترى جيداً في ضوء الشفق.

والمعلومات المتوافرة عن الصقر السنجاري من ناحية السلوك الاجتماعي أقل كثيراً مما هو متوافر عن الشاهين. وذلك بسبب أنه صقر خجول جداً لا يمكن مراقبته إلا من وراء حجاب. وهو يشبه في أنشطته الشاهين بشكل عام.

ويتضمن طيران الاستعراض الغزلي لهذا الطائر ما يلي: الطيران الاستعراضي حول الوكر، الاستعراض المتعرج المتقلب، الاستعراض المتقلب للذكور، الطيران التحليقي في دوائر لكل من الذكر والأنثى منفردين، الاستعراض الانسيابي المتبادل، وأخيراً استعراض التسابق. ففي الطيران الاستعراضي حول الوكر، يطير الذكر في دوائر متقاطعة على شكل رقم ٨ بحيث تكون نقطة التقاطع أمام الوكر. ويكرر ذلك النوع من الطيران التقاطعي، ثم يطير في مستوى العش موازياً للجرف الذي يقع عليه العش، على مسافة حوالي ١٠ أمتار منه، ثم ينعطف بعيداً عن الجرف بعد مروره بموقع الوكر، ويستدير ليعود في اتجاهه ويمر به ثم يعود مرة أخرى متجهاً إلى موقع الوكر. ويكرر ذلك عدة مرات وهو يطلق أثناء ذلك صيحات طويلة كالعويل. وكثيراً ما يحمل في استعراضه هذا فريسة من الفرائس. وقد يهبط على موقع الوكر بعد إتمامه دورة أو أكثر من هذه الدورات المتقاطعة. وإذا ترك الفريسة في العش، فإنه لا ينزع ريشها ولا يأكلها فيها، وإنما يطير ليواصل استعراضه الطيراني حول الوكر.

وفي الاستعراض المتعرج المتقلب، يقوم الذكر بالطيران في مستوى واحد على ارتفاع ثابت بسرعة معتدلة، ثم ينزلق وجناحاه مبسوطان تماماً، ويتقلب ظهراً لبطن عدة مرات، ويحرك جسمه في اتجاه جانبي بزاوية ٢٠° تقريباً للحظة قصيرة، ثم يعكس اتجاهه بزاوية ١٨٠°. وعندما يصل إلى النصف الأخير من دورته ينحدر بسرعة إلى أسفل لمسافة من ٣٠ إلى ٥٠ متراً ويطير رأسياً تماماً، بحيث يكون سطحه البطني مواجهاً للاتجاه الأصلي لطيرانه. ثم يعكس اتجاهه بزاوية ١٨٠° ليعود إلى اتجاه طيرانه الأصلي وينهي انحداره تواً ويرتفع إلى أعلى بزاوية حادة بسرعة كبيرة. وعادة



يكرر الذكر هذا النـوع من الاستعراض المتعرج المتقلب مرتين أو ثلاث مرات، وهناك أنمـاط أخرى من هذا النـوع من الطيران.

وفي الطيران المتقلب البسيط الذي تقوم به الذكور، ينحدر الذكر إلى أسفل بزاوية من ٣٠ْ إلى ٦٠ْ ثم ينقلب جانبياً، بحيث يصبح سطحه الظهري مواجهاً لسطح الأرض، ثم ينقلب جزئياً على أحد جانبيه بزاوية ٢٠ْ للـحظة قصيرة ويغيـر اتجاه انقلابـه بزاوية ١٨٠ْ إلى الاتجاه المعاكس. وهو يطير على ظهره منزلقاً وجناحاه مضمومان بالقرب من جسمه، ثم يعتدل متخذاً وضع طيرانه الطبيـعي، وينحدر انحداراً مـنخفضاً لمسافة طويلة، يهبـط في نهايتها قرب وكره. ولا يكرر الذكر هذا النوع من الطيران في العادة.

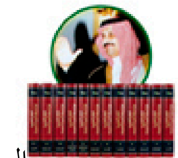
أما في الطيران الانسيابي التبادلي، فإن الذكر يطير مرتفعاً فوق الأنثى بمسافة من ٢-٣ أمتار بحيث يكون محاذياً لها ويهبطان سوياً، مـحافظين على المسافة بينهما، بزاوية ٢٠ْ وأجنحتهما مضمومة بعـض الضـم، ومرتفـعة قلـيلاً فـوق ظهريـهما، وقد أدلياً أرجـلهما ونفـشا ذيليهمـا. وفي أثناء ذلك يصدر الذكـر صيحات متوالية طول مدة الاستعراض، ثم يبتعد الطائران أحدهمـا عن الآخر، ويقوم الذكر بالاندفاع نـحو الأنثى ماراً بها، على مسافة قصيرة منها لا تتعدى متراً واحداً، وتنقلب الأنثى على ظهرها مبرزة مخالبها إلى أعلى. وفي الطيران التسـابقي تبدأ الأنـثى في الطيـران من مجثمها المشترك مع الذكر، ويراقبها الذكر لفترة، ثم يطير ليلحق بها ويمر بالقرب منها ويـسبقها، ويستعـرض في طيرانه أمامها يقود طريقها وهي تلاحقه.

ويقوم الذكر عادة بزيارة موقع العش أكثر من مرة، خلال فصل الشتاء. وقد يستخدم هذا الموقع مجثماً له خلال شهر ديسمبر. وتأتي الأنثى أيضاً إلى المنطقة، ولكنهـا قد لا تذهب إلى موقع العـش وتكتـفي بكونـها موجودة فـي المنطقة المحيطة، وتذهب إلى مـوقع العش في شهر فبراير، حيث يجتمع الزوجان مبكراً قبل موعد وضع البيض بحوالي شهرين. ولم يلاحظ أبداً وجـود الإناث بمفردها عند أوكارها، ولكن عادة تشاهد الذكور منفردة هناك، حيث تقوم بحماية الموقع من الطـيور المتطـفلة الأخرى، وتقـف محـاولة اجتذاب الإنـاث لبدء مـوسم الـتـزاوج، وذلك بـعـمـل عـدد من الاستعراضات الطائرة التي تجذب الإناث إلى العش.



وكما هي حال الصقور الكبيرة الأخرى فإن الإنثى، ذات الحجم الأكبر، تتسيد الذكر الأصغر منها حجماً، ليس فقط بسبب الفرق في حجم الجسم بينهما، ولكن أيضاً لقوة شخصيتها وزيادة عدوانيتها عن الذكر. فهي تعامله بحزم وقسوة ثم تسترضيه وتهدئ من روعه، لكنها تتمنع عليه كثيراً ولا تطلب قربه إلا بمقدار. وكثيراً ما تأتي الأنثى إلى الذكر في مجثمه وتطرده وتجثم مكانه، وتحثه على الانطلاق لجلب الفريسة حيث تصبح مستسلمة خاضعة مطيعة. ويقضي الذكر أوقاتاً طويلة بعيداً عن الأنثى يكون مشغولاً فيها بالقنص، أو يكون جاثماً في مكان بعيد عن مرمى بصرها.

ويبدأ الذكر في إطعام الأنثى والقيام بطقوس الجماع قبل موعد وضع البيض بفترة ١٠ أيام على الأقل. ويستمر الذكر في إطعامها حتى يفقس البيض، ثم يستمر في إطعامها وإطعام الصغار ويستغرق ذلك في العادة نحو ١٠ أسابيع تكون الأنثى خلالها معتمدة عليه كلية في إحضار الفرائس اللازمة. وعندما يأتي الذكر بالفريسة، فإما أن يسلمها إلى الأنثى في العش أو تخرج هي إلى ملاقاته طائرة فتتسلمها منه وهما محلقان في الجو. وبعد أن يسلم الذكر الفريسة إلى الأنثى، لا يبقى في الوكر لأي فترة زمنية، بل يغادره فوراً ويعود للقنص أو ليجثم بعيداً حتى يقنص من جديد. وكثيراً ما تحثه الأنثى على مغادرة العش بعد إحضار الفريسة إذا تلكأ في ذلك. وإذا غاب الذكر عنها مدة تطول عن الساعة، ولم تكن حاضنة للبيض، فإنها تخرج من العش وتقف شاخصة ببصرها إلى الأفق باحثة عنه. ومن المناظر المميزة لهذا النوع من الصقور منظر طيران الذكر عندما يكون حاملاً فريسة كبيرة الحجم من الطيور وهو يضرب الهواء بجناحيه بقوة وجهد. وعندما يقترب الذكر من الوكر، على مسافة نحو كيلومتر ونصف تقريباً، يبدأ في إطلاق صيحات عويلية خاصة داعياً الأنثى إلى الخروج للقائه ومعلناً عودته بالطعام. وعندئذ قد تنطلق الأنثى محلقة في اتجاهه، بحيث تعلو فوقه بنحو عشرة أمتار، مظهرة رغبتها في الحصول على الفريسة منه، حيث تلتقي به على مسافة نحو ٤٠٠م بعيداً عن الوكر. وتبدأ عندئذ طقوس تسليم الذكر الفريسة إلى الأنثى، التي تحلق على ارتفاع أعلى من مستوى تحليق الذكر، فتهبط أمامه مباشرة حتى تصبح منخفضة عنه، ثم تندفع تحته وقد انقلبت على ظهرها وتتسلم الفريسة منه مخلباً



إلى مخلب، حيث يكون الذكر قد قلل من سرعة طيرانه إلى حد التوقف والرفرفة تقريباً لتتمكن الأنثى من نقل الفريسة. بعد ذلك إما أن تهبط الأنثى بالفريسة إلى الأرض مباشرة لتقف وتأكلها، أو تحملها إلى الجرف الذي يقع عليه الوكر، لتقف هناك وتأكلها. وبعد تسليمه الفريسة إلى أنثاه يقوم الذكر ببعض الاستعراضات الغزلية الطائرة، خاصة الطيران المتعرج المتقلب أو يطير إلى الوكر.

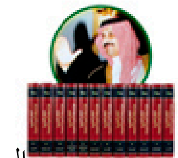
ويحدث تسليم الفريسة أثناء الطيران خلال الفترة الأولى من التزاوج، وبعد انتهاء فترة رعاية الصغار. أما أثناء قيام الأنثى بحضانة البيض أو رعاية الصغار في بداية حياتها، أو إذا لم تسمع الأنثى صيحات الذكر التي يعلن بها عن قدومه حاملاً الطعام، فإن الذكر يحمل الفريسة مباشرة إلى العش، أو يقف بها في مجثم قريب لينزع عنها ريشها، وبعد ذلك تصبح جاهزة للأكل، وهو يصيح منادياً الأنثى التي تطير إليه بشكل معين تظهر به رغبتها في الحصول على الفريسة وترجوه تسليمها إياها. وتهبط بجانب الذكر في مجثمه وتتسلم الفريسة منه بالمخلب والمنقار في الوقت نفسه، فيطير الذكر مباشرة إلى مجثم آخر في مكان أبعد ليسوي ريشه ويهندم نفسه. أما إذا كانت الأنثى حاضنة للبيض وتركته لتأكل الفريسة، فإنه يطير مباشرة إلى العش ليتولى حضانة البيض حتى تعود الأنثى إلى العش، فيغادره للقنص أو الجثوم في مجثمه المعتاد، خارج العش بعيداً عنه.

ويبدأ الجماع عادة بين الزوجين قبل شهر على الأقل من وضع البيض ويتوقف بعد أن تضع الأنثى البيضة الثالثة. وقد سجلت ٤٧ عملية جماع لزوجين خلال تلك الفترة، في ٦٧٪ منها تم الجماع، قبل أو بعد قيام أحد الزوجين بزيارة العش. ويمكن أن يتم الجماع في أي مكان يلتقي فيه الذكر بالأنثى ويكونان مستعدين لذلك، ولكنه لا يحدث على حيد الجرف الذي يقع عليه العش أبداً. ويمكن أن يبدأ أي من الزوجين، الذكر أو الأنثى، طلب الجماع. ولذلك طقوس خاصة. يقف الذكر منتصب الجسم مقوسا عنقه، ومنقاره موجه إلى أسفل، مكوناً مع الرأس شكل حرف U مقلوباً. أما إذا كانت الأنثى هي المبتدئة بطلب الجماع، فإنها تقف منحنية الجسم إلى الأمام ومنقارها موجه إلى أسفل وترفع ذيلها قليلاً وتصدر صيحات خافتة تعلن بها



رغبتـها في الجمـاع. وقد تقوم بـذلك استجابة لدعوة الذكر لتعلن موافقتها على إتمام الجماع، ويطير الذكر ويقـترب من الأنثى مما يزيد من حدة صيحاتها، وتميل بصدرها إلـى الأمام أكثر لتعـتمد على الأرض وتحتمل ثقل الذكر فوقها، ويقف الذكر فوقها للحظة وهو يرفرف ليضبط مكـان نزوله، ثم يـهبط فـوقها وهمـا يصيحان صيحات متبادلة مكثفة. ويشبه وضع الزوجين أثناء الجماع وضع زوجي الشاهين، إلا أن الذكر السنجاري يكون عنقه أكثر تقوساً. وتستمر عملية الجماع فترة قصيرة تتراوح من ٤ إلى ١٢ ثانية، يقذف خلالها الذكر من ٤ إلى ٥ مرات، ثم يترك أنثاه مباشرة ويطير بعيدا عنها. وقبل وضع البيض بخمسة أيام، تتثاقل حركة الأنـثى وتتجنب الـطيران وترقد للراحة في العش لمدة طويلة، ولا تخرج للقاء الذكر طائرة لتتـلقى منه الفريسة. وأثناء حضانـة البيض، قد يريح الذكر الأنثى من الحضانة لبعض الوقت فتقوم ويحل محلها في حضانة البيض، وتجثم هي بجـواره أو تخرج للتريـض لوقت قصير.

وخلال الأسبـوع الأول بعد وضع البيض، يكثر طيران الذكر حول العش أو بالقرب منه، ويزداد اهتمامه به. وقد يدخل العش ويبقى فيه ويحاول أن يحل محل الأنثى في حـضانة البيض ويبقى إلى أن تطرده الأنثى من العش، متلكئاً في الخروج مـنه. أما بعد ذلك فـيطير كثيراً بعيداً عن العش ويأكل فرائسه أيضاً بعيداً عن العش. وتأكل الأنثى الفرائس التي يحضرها لها الذكر على حيد الجرف بجوار العش. وقد تحتفظ ببقايا الفرائس الكبيرة لتأكـلها بعد وقت. وفي أحيان قليلة يأكـل الذكر ما تبقى من الفريـسة بعد أن تشبع الأنثى منها وتتركها. وتقوم الأنثى بإطعام الصغار بنفسها. وقد يفعل الذكر ذلك في غيـاب الأنثى. وتحضن الأم الصغـار لتحمـيها وترعـاها، لمدة تتراوح من أسـبوع إلى عشرة أيام بعـد الفقس. ثم تقف خارج العش لحراستها، والمحافظـة عليها من الأعـداء. وتتخذ لنفسها من ٢ إلى ٣ أماكن للجثوم بالقرب من العش في حدود مسافة لا تزيد عن ١٠٠م. بعيداً عنه. وتخرج الأنثى بعد ذلك للقنص، ولكنها لا تفعل ذلك إلا عندما يكون الذكر موجوداً قرب العش ليتـولى حمايـة الصغار أثـناء غيابهـا. وتستجدي الـصغار الطعام من الأبوين بإطلاق صيحات استجداء خافتة خاصة، وكثيراً ما يصـطف الصغار في مواجهة الأنثى عـلى بعد ١٠سـم منها لطـلب



الطعام، حيث يقف ثلاثة فراخ في الصف الأمامي، وفرخ رابع أو فرخان في الصف الثاني خلفها، وهي تصيح طالبة الطعام. وحين يطعم الذكر الصغار، يولي الفرخ الأصغر حجماً رعاية خاصة ويطعمه قبل الفراخ الكبار. ويتنافس الصغار على الطعام، ولكن دون حدوث أي عدوانية بينهم. أما الأنثى فتطعم الصغار المصطفين أمامها أولاً حتى يشبعوا، ثم تطعم فراخ الصف التالي. ولا تهتم الأنثى عادة بإطعام الفرخ الصغير الحجم أولاً، بل تتركه عادة حتى تفرغ من إطعام الفراخ الأخرى. وقد يحاول أحد الفراخ الكبيرة الحجم أن يسلب الفريسة، وينتحي بها جانباً ليأكل منها، بينما تقف الفراخ الأخرى مطالبة الأم بالتدخل لإعطائها نصيبها، وسرعان ما تتدخل الأنثى لتستعيد الفريسة وتتيح لهم جميعاً فرصة تقاسمها والأكل منها.

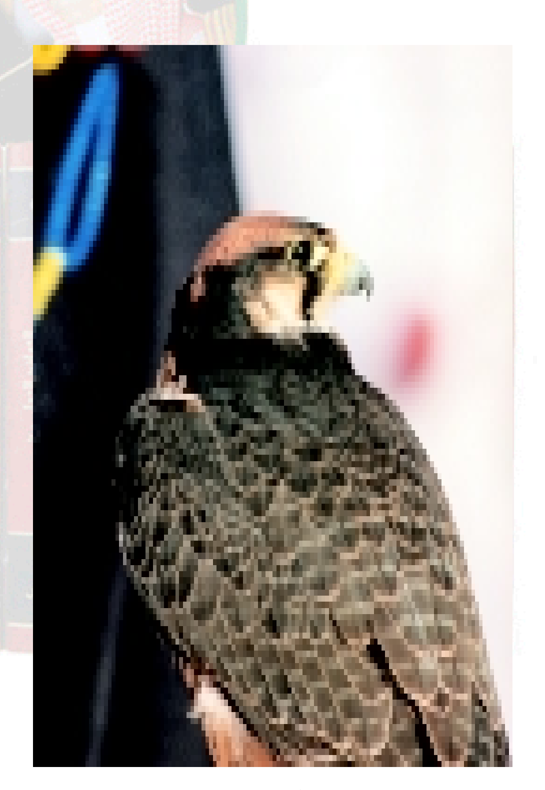
وتتخذ الأنثى عشاً لها عبارة عن حفرة ضحلة تحفرها على جرف عالٍ أو تستخدم عشاً لطائر من نوع آخر من الصقور أو الغربان. وتستخدم العش عادة لمدة طويلة، عاماً بعد عام.

بيضة هذا الطائر بيضية الشكل عريضة متوسط وزنها ٧٠جم وأبعادها ٥٩×٤٦ مليمتراً في المتوسط، قشرتها غير لامعة ولونها أبيض مصفر شاحب أو ضارب إلى البرتقالي الخفيف مع بقع غير منتظمة الشكل، حمر برتقالية أو حمر اللون. ومتوسط عدد البيض في المجموعة الأولى من ٣ إلى ٤ بيضات، أو من ٢ إلى ٦. ويقل عدد البيض في المجموعة إلى بيضتين أو ثلاثة فقط، خلال السنوات التي لا تتوافر فيها الفرائس. وتضع الأنثى مجموعة أخرى من البيض في نفس الموسم، إذا فقدت المجموعة الأولى. والفترة التي تمر بين وضع البيضة والتي تليها يومان ونصف يوم في المتوسط. ومتوسط فترة حضانة البيض ٣٥ يوماً، (من ٣٤ إلى ٣٦ يوماً). وتعتني الأم بالصغار وتطعمها بنفسها في أفواهها خلال الفترة الأولى من حياتها. وبعد ذلك يقوم كل من الذكر والأنثى منفردين بالصيد، وإطعام الصغار. وتعتمد الصغار على نفسها في الأكل، بعد ٣٠ يوماً من فقس البيض. ويقدم الأبوان الطعام للصغار ثلاث مرات في اليوم. وينبت ريش الصغار بعد فترة تتراوح من ٤٦ إلى ٤٩ يوماً، ويمكنها أن تستقل بحياتها بعد مرور شهر واحد على إنبات ريشها. وتبدأ الصغار التزاوج عند عمر سنتين، وهو سن البلوغ أو النضج الجنسي لها.



الوكري

صفاته وسلالاته. يأتي هذا الصقر في الاستخدام بوساطة الصيادين العرب المعاصرين في المرتبة الثالثة بعد الحر والشاهين وهو صقر متوسط الحجم، أنيق المظهر، أهوج مندفع، ذو جسم طويل، وذيل طويل، وجناحين طويلين يتثلمان نحو الطرفين. يبلغ طول الجسم من ٣٤ إلى ٥٠سم، والذيل من ١٢ إلى ١٥سم، وتصل المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٩٠ إلى ١١٥سم. تنقصه قوة الشاهين، ولكنه



الوكري

يماثله في رشاقته. وحجم الطيور منه في شمال غرب افريقية أصغر من حجم الشاهين، وهي أنحف منه أيضاً، أمّا طيور سلالات المناطق الأخرى فهي أكبر حجماً من الشاهين، إذ تقترب من الصقر الحر في حجم أجسامها، لكنها تظل أنحف جسماً من الشاهين. تزيد الأنثى في حجمها عن الذكر بحوالي ١٥٪.

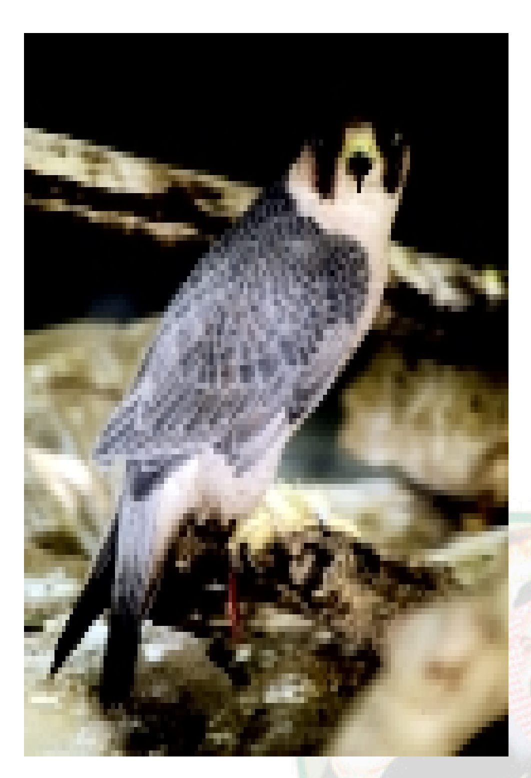
يتنوع لون الريش في الوكري البالغ، لكن قمة الرأس والقفا (مؤخرة العنق)، تكون صفراء برتقالية ضاربة إلى الحمرة، والجسم داكن اللون. ويعتبر ذلك صفة تشخيصية مميزة لهذا النوع من الصقور. وعلى الوجه علامات واضحة. يتشابه اللون في الذكر والأنثى، ولا توجد تغيرات فصلية في اللون.

يتراوح وزن ذكر الوكري من ٥٠٠ إلى ٦٠٠جم، ووزن الأنثى من ٧٠٠ إلى ٩٠٠جم. ويسقط الوكري ريشه كاملاً بعد موسم التزاوج، خلال الفترة من شهر مايو إلى شهر سبتمبر. وتتساقط القوادم على الترتيب التالي: ٤-٥-٦-٣-٧-٢-٨-٩-١-١٠، ويتم إسقاط الريش خلال مدة متوسطها ١٢٠ يوماً (تتراوح من ١٠٤ إلى ١٤٦ يوماً). ويبدأ تساقط ريش الذيل عند تساقط ريشة القوادم رقم ٥ أو رقم ٦، ويتساقط ريش



الذيل على الترتيب التالي: ١-٢-٦-٣-٤-٥، ويسقط ريش الذيل خلال فترة ٧٥ يوماً.

ويتغذى الوكري أكثر ما يتغذى على الطيور ذات الحجم الصغير والمتوسط، لكنه أيضاً قد يأكل أنواعاً أخرى من الفقاريات الصغيرة والحشرات الكبيرة. وهو يقنص فريسته محلقة في الجو أو على سطح الأرض. وهو شديد المرونة في اتخاذ أسلوب القنص الذي يناسب نوع الفريسة التي يستهدفها وشكل التضاريس الأرضية في المنطقة. وأكثر طرق صيده شيوعاً هو الانقضاض المفاجئ على الفريسة من حالق، لكنه أحياناً يفاجئها على سطح الأرض مقترباً منها وهو يطير على ارتفاع منخفض، بحيث لا تلحظ اقترابه. وقد يقنصها راجلاً على قدميه، وهو وضع استثنائي. ويعتمد في اقتناص الفرائس على عنصر المباغتة، فإن لم ينجح في مباغتة الفريسة فقد يضطر إلى مطاردتها لمسافة كبيرة وقد تفلت منه الأنواع السريعة الطيران. وقد يلجأ إلى القرصنة فيسلب بعض أنواع الجوارح الأخرى فرائسها التي أمسكت بها. وهو يصيد عادة منفرداً، وقد يصيد الزوجان معاً متعاونين. وقد سجلت حالات قام فيها نحو ٢٠ طائراً



وكري جزائري

من هذا النوع بالصيد معاً حول موارد المياه في الصحراء.

وتتراوح أنواع فرائسه التي يقنصها من الطيور من الجواثم الصغيرة كالعصافير إلى الحمام والقنابر. وقد يقنص أنواعاً من صقور أصغر منه حجما، وقليلاً ما يقتل صيداً في حجم الحبارى. ويفترس من القوارض الفئران والجرذان والأرانب، والخفافيش الصغيرة منها والكبيرة. ويشكل الضب الذي ينتشر في المناطق الصحراوية جزءاً رئيسياً من فرائسه، وكذلك السحالي والعظايا



والثعابين والضفادع والعلاجيم. وفي أوقات انتشار الجراد يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في غذائه. ويفترس أنواعاً من النمل الأبيض الطائر، وقد يأكل أنواعاً من الخنافس الكبيرة غير المستساغة لغيره من أنواع الجوارح الأخرى. ويشكل الحجل الفريسة الأساسية له في المناطق الشمالية الغربية من الصحراء الكبرى، حيث يرافق أحد طيور الشاهين الوكري كل ١٠٠ من الحجل تعيش في هذه المناطق.

وفي الصحراء الإسبانية، تشكل القوارض الصغيرة والسحالي والخنافس والجراد أكثر من ٥٠٪ من غذائه خلال شهر مايو. وفي المناطق الصحراوية الأخرى قد يعتمد كلياً على الضب وغيره من الزواحف. ومن أنواع الفرائس التي يقتنصها أيضاً الهدهد والذعر والسمانى والغراب وحمام الصخور والعويسق. ولوحظ في روديسيا أنه يعتمد كلية في غذائه على فراخ الدجاج الأهلي.

وتوجد من الوكري ثلاث سلالات، لكن المميز منها اثنتان. أحدها سلالة تركيا وجنوبي شرق أوروبا التي يكون فيها لون السطح العلوي للطائر بنياً ضارباً إلى الزرقة داكناً على الظهر، وأقل دكنة على الكتفين والذيل، وأعلى الذيل مخطط بخطوط داكنة، أما طرفه فأبيض اللون. ولون السطح العلوي لريش الطيران داكن دكنة واضحة، ولون قمة الرأس والقفا حنائية باهتة اللون، ومقدمة الرأس سوداء، وهناك خط داكن على طول أعلى الخدود. وللطائر شارب أقل سمكاً مما هو عليه في الشاهين، لكنه أسود واضح فوق الخدود والحلق أبيض اللون. السطح السفلي للجسم قشدي اللون، أو أبيض وردي، وتوجد نقاط سود متناثرة بكثافة على الكفلين والفخذين، ولونها بوجه عام أفتح مما هي عليه في الشاهين، أو في الشاهين البربري. ومعظم السطح السفلي للجناحين باهت اللون، وريش الكواسي أكثر بياضاً من ريش الطيران المخطط بخطوط عرضية.

وفي سلالة شمالي غرب أفريقيا التي تنتشر طيورها في المغرب وتونس، وكذلك السلالة الشرق أوسطية التي تنتشر من ليبيا إلى الأردن، يكون اللون أفتح مما هو عليه في السلالة الأولى التركية-جنوب شرق أوروبية، مع كون لون قمة الرأس أقل حمرة، ولون الأجزاء السطحية العليا أكثر رمادية. وتحت الجناحين دائماً شاحب اللون. وهي السلالة المعروفة باسم الرحيباوي.



ويمكـن تمييـز الطيـور البالـغة من الوكري، بسهولة من الشاهين، والشاهين البربـري باختلاف التركـيب الجسمي، خاصة الجناح الضيق ذا الطرف المتثلم، والذيل الأطول، وقمة الرأس والسطـح السفـلي للجـسم، الأكثر شـحوباً في الوكري، عـنه في النـوعين الأخرين، ويختلف كذلك عن الشاهين البربري في كبر الحجم. وقد لا يسهل تمييز الصقور اليافعة، التي لمـا تبلغ النضج الجنسي، من بعـض الطيور البالـغة للصقر الحـر بسبب تشابه الطرز اللونية للسطح السفلي للجناحين بين النوعـين، مما يحتاج إلى مهارة كبيرة ودقة للتمييز بينها.

والوكري أقل مهارة في الطيران من الشاهين، لكنه يستطيع أن يقوم بعمليات انقضاض مثيرة للإعجاب، كما أنه قادر علـى التـحويم والتـحليـق والانزلاق كالشاهـين الحقيقي، كذلـك فهو يقوم بالدوران بشكـل دقيق. وهو من طيور المنـاطق المفتـوحة الممـتدة، وأقدر مـن الشاهين على تحمل الحياة في أكثر المناطق جفافاً، لذلك فهو ينتشر في الصحاري الحقـيقية. ونـداؤه أكثر حـدة من نداء الشاهين الحقيقي.

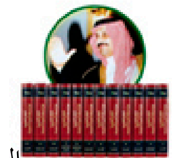
مواطنه وهجرته. يعيش هذا الصـقر على المرتفعات القليلة الارتفاع في غرب المنطقة القطبية، وفي معظم الأجزاء الجافة والسـهوب الدافئـة في مناطـق الشرق الأوسـط، والمنـاطق الـصـحـراويـة والصحارى الحقـيقية، والمناطق الجرداء القليلة الارتفاع، التي لا تنخفض درجة الحرارة فيها إلى الحد الذي يسمح بتكون ثلوج على قممها، والمناطق ذات الغطاء النباتـي الضحل. ونظراً لقلـة الفرائس وعدم توافرها عادة في مثل هذه المناطق الفقيرة، فإنه يخرج للصيد في أزواج، ويغطي مسافات شاسعة في البحث عن فرائسه، ولا يكاد ينافسه جارح آخر في مثل هذه المناطق، حيث تـكون المنافسة محدودة جداً. وأحياناً، خاصة في قارة أفريقيا، وفـي غير موسم التزاوج، قد يتردد عـلى الوديان، حول موارد المـياه وعلى حواف المجـاري المائية، وكذلك يتردد على المنـاطق المفتوحة الخالية من المياه التي تقع في مدى بصره وهو جاثم فوق صخـرة أو شجرة عالية، أو أحـد أعمدة الهاتف، وعلـى الأماكن الوعرة التـي لا يمكن الوصـول إليها بـسهولة وتصلح موقعاً لتعشـيشه، مثل الجروف والصخـور الوعرة المنحـدرة والأشجار العالية والمباني بالغة الارتفاع مثل الهرم الأكبر في مصر، وقليلاً ما يكون ذلك على سطح الأرض.



ويعيش الوكري في دول الاتحاد السوفيتي السابق، خاصة أذربيجان، وفي رومانيا وفي ألبانيا التي تفوق أعداده فيها أعداد الشاهين، ويتكاثر فيها وفي بلغاريا، وفي دولتي التشيك وسلوفانيا وإيطاليا وفرنسا وشبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال)، وفي مالطا وقبرص، وفي سوريا والعراق وفلسطين والأردن ومصر والسودان والمناطق الجبلية في الجزيرة العربية. وقد قلت أعداده مؤخراً في بعض هذه المناطق واختفى من بعضها بسبب استخدامها لبعض الكيماويات التي تقضي عليه. كما أشرف على الانقراض وقلت أعداده جداً خلال العشرين عاماً الأخيرة في دول يوغسلافيا السابقة وفي جزيرة سيشل واليونان وتركيا، لكنه ما زال يوجد في المناطق المفتوحة في ليبيا، كما يوجد في تونس.

الوكري طائر مقيم غير مهاجر، إلا أنه واسع التحرك داخل مناطق تكاثره. وتنتشر سلالة تركيا وجنوبي أوروبا شتاء لتصل إلى المناطق المنخفضة في إيطاليا ودول البلقان، حيث لوحظ وجود طيور هذه السلالة خلال شهري أكتوبر ونوفمبر. كما قد تصل إلى جزيرتي قبرص ومالطا، وشرق فرنسا. أما سلالة شمال غرب أفريقيا، التي تستوطن الجروف الساحلية في منطقة الرأس الأبيض وجبال أطلس ومناطق أخرى من المغرب، فتنتشر شتاء على السهول الساحلية في الشمال والغرب، وقد تمتد إلى الجنوب الغربي، حيث شوهدت طيور منها في السنغال وكذلك في الشمال الغربي في الأندلس، ونادراً ما شوهدت في كاتالونيا. وفي طيور السلالة الشرق أوسطية يمتد نطاق تكاثرها جنوباً حتى دائرة عرض ١٠ْ شمالاً في السودان. وتعبر طيورها خليج العقبة في شهري سبتمبر ومايو وقد شوهدت في منطقة الهدا بالطائف وفي جدة بالمملكة العربية السعودية في شهور نوفمبر وفبراير ومارس. ووجد أحد الطيور اليافعة، التي لما تبلغ النضج الجنسي بعد، في العراق في منطقة الفاو على الخليج العربي في شهر أغسطس.

سلوكه وتزاوجه. ويتخذ ذكر الوكري أنثى واحدة خلال فصل التزاوج. والعلاقة بين الزوجين قوية تستمر لمدة طويلة عادة من عام إلى عام. وليس معروفاً بالدقة العمر الذي يمكن للطائر أن يتزاوج عنده، وعما إذا كان أي من الزوجين يتخذ زوجاً آخر في حالة فقد زوجه أثناء موسم التزاوج. ويقوم الزوجان معاً برعاية الفراخ حتى ينبت



ريشها ولمدة من ٤ إلى ٦ أسابيع بعد ذلك. وتتولى الأنثى مهام حضانة الصغار ورعايتها رعاية تامة بينما يتولى الذكر إحضار الفرائس لها وللصغار، كما هو الحال في الصقر الحر، إلا أن الذكر هنا يأخذ دوراً أكبر في حضانة البيض، أكثر مما يفعل ذكر الصقر الحر، حيث يتبادل الزوجان من الوكري حضانة البيض بانتظام تقريباً. وبعض الذكور لا تقترب بالفرائس من العش أبداً وإنما تسلمها إلى الأنثى بعيداً عن العش، وبعض الذكور الأخرى تقوم بتسليمها للأنثى في مكان جثومها المعتاد بالقرب من العش. كذلك تكون أنثى الوكري مسؤولة مسؤولية شديدة عن حماية الصغار في العش طوال الثلاثة أسابيع الأولى بعد فقس البيض، ثم تخرج مع الذكر بعد ذلك للصيد. والعلاقة بين الصغار حميمة خالية من العدوان.

ويحدد الزوجان لهما منطقة سيادة وتعشيش لا يشاركهما فيها زوجان آخران، ويفضلان حيود الجروف مكاناً للتعشيش ويشغلان عشهما لمدة طويلة عاماً بعد عام، كما يفعل الشاهين. وفي بعض الأحيان قد يعتدي الوكري على عش طائر آخر من الغربان أو الصقور الأخرى ويحتله، وذلك بالقرب من الموقع الذي اختاره لتعشيشه. ويكرر ذلك كثيراً متعمداً. إلا أنه يتسامح مع أنواع الطيور الأخرى التي تأتي للتعشيش في منطقة تعشيشه. ففي المغرب والجزائر وتونس، تتداخل منطقة تعشيشه مع منطقة تعشيش شاهين المغرب، أو الشاهين البربري، ولكنه في كينيا يتخذ هو والشاهين مناطق تعشيش مستقلة داخل المناطق التي تصلح لتعشيش كل منهما.

وفي جزيرة سيشل، تكون منطقة سيادة الوكري حوالي ٥٠٠٠ هكتار يصطاد فيها. أما في المغرب، في المناطق الجافة الداخلية، فتكون منطقة السيادة والتعشيش في حدود من ٣٠ ألف هكتار إلى ٤٠ ألف هكتار. وفي إيطاليا، لوحظ أن المسافة بين عشين تكون في حدود ٦كم، حيث يستخدم كل زوجين منطقة سيادة قطرها ٥كم، وربما يذهبان للصيد أبعد من ذلك، وبالتالي تتداخل مناطق الانتشار. ويبقى الزوجان عند جرف التعشيش خلال فصل الصيف بطوله بعد مغادرة الصغار العش واستقلالها بنفسها. ويبتعدان عنه وينتشران في مساحة أكبر أثناء فصلي الخريف والشتاء، ولكنهما يعودان لزيارة مكان العش من وقت لآخر لفحصه والاطمئنان عليه، وأكثر ما



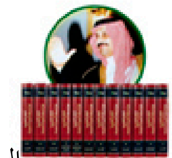
يزورانه في الصباح المبكر عند شروق الشمس، وأحياناً يزورانه أثناء النهار، وتكون زيارتهما للمنطقة خلال فترة المساء بشكل غير منتظم. وتصبح زيارتهما لمنطقة السيادة والتعشيش متقاربة منتظمة كلما اقترب موسم التزاوج. وقد يقضيان اليوم كله هناك خلال فترة ما قبل وضع البيض (خلال شهري فبراير ومارس)، حيث يقوم الذكر بفحص منطقة التعشيش ويحدد بنفسه العش الذي سيتخذه الزوجان لهما.

ويفضل الوكري حيد الجرف مكاناً لجثومه ومبيته، فإن لم يجد ففي أعالي الأشجار. ويكون مجثمهما بعيداً عن موقع العش في غير موسم التزاوج، وحتى قبل موعد وضع البيض، ثم يجثمان بالقرب من موقع عشهما.

ويشبه الوكري الصقر السنقر أو السنجاري في تباعده عن الإنسان وتواريه منه في الطبيعة، مما يجعل ملاحظته صعبة. ولكنه يتعود على إزعاج الإنسان في مناطق التعشيش القريبة من المناطق المأهولة، في حدود مسافة ٢٠٠م. وفي المناطق البعيدة، تكون الأنثى شديدة العدوان لكل من يقترب من عشها، حتى من مسافة بعيدة. وقد تمر فوق رءوسهم مهاجمة على ارتفاع لا يزيد عن خمسة أمتار، لترويعهم.

وسلوك المغازلة عند الزوجين غير معروف بالضبط في البرية. أما تحت الأسر فقد لوحظ أنهما يتبادلان التحليق عالياً في دوائر مع القيام بألعاب بهلوانية هوائية متنوعة منقضين بسرعة إلى أسفل، ثم يغيران اتجاههما فجأة ويعلوان بزاوية حادة مندفعين في الهواء، ويتطاردان بسرعة كبيرة ويحلقان معاً لبعض الوقت وهما يطلقان صيحات عالية متبادلة. وأحياناً تنقلب الأنثى على ظهرها عندما يكون الذكر منقضاً عليها من عل مبرزة مخالبها له، كأنها تطلب منه تسليمها الفريسة التي أحضرها لها. ويستمر هذا النوع من طيران المغازلة حتى فترة ما قبل وضع البيض.

وبعد هبوط الزوجين من طيران المغازلة، فإنهما كثيراً ما يجثمان متقابلين وهما يتبادلان صيحات ناعمة خافتة. ويتبادل الزوجان أيضاً الصيحات أثناء قيامهما بزيارة موقع العش قبل موعد وضع البيض. وقد يحدث الجماع بينهما أثناء تلك الزيارات التي يقومان بها لموقع العش ابتداء من شهر ديسمبر. وتتم طقوس الجماع بينهما كما يلي: يطير الذكر في هدوء متجهاً مباشرة إلى الأنثى، ثم يجامعها في مكان جثومها وهو يطلق صيحات عالية خاصة. بعدها ينطلق



الذكر محلقاً في طيران دائري قصير منخفض لا يبعد أكثر من ٣٠ متراً عن موقع العش، ثم يعود ويجامع الأنثى مرة أخرى وينطلق بعدها أيضاً بعيداً. ويحدث ذلك عادة خلال الصباح الباكر قبل انطلاق الطيور للصيد الذي يحدث مباشرة بعد قيام الذكر بالطيران الدائري القصير. وقد يتم الجماع أيضاً في المساء على الجرف الذي يوجد عليه العش قبل أن يبدأ الزوجان في التوجه إلى مكان جثومها الليلي. وعادة يبدأ الجماع بناء على دعوة من الذكر الذي يأخذ زمام المبادرة في ذلك. وقد يتم الجماع أيضاً على قمة إحدى الأشجار. ويقوم الذكر عادة بإطعام الأنثى أثناء فترة المغازلة والاستعداد للتزاوج، ولكن لا توجد معلومات عن الوقت الذي يتم فيه ذلك، وطول المدة التي يحدث فيها. وبوجه عام فإن سلوك الوكري تجاه الأنثى أثناء المغازلة يشبه كثيراً ما تقوم به أنواع الصقور الكبيرة الأخرى، لا سيما الصقر السنقر أو السنجاري. وحتى صيحاته التي يطلقها أثناء سلوك المغازلة والجماع وغيرها تشبه إلى حد كبير صيحات الصقر السنجاري، لكنها أقل حدة وأكثر خفوتاً منها، وله ٧ صيحات مختلفة تم تسجيلها.

ويكون موسم وضع البيض في منطقة البحر الأبيض المتوسط ومصر من أوائل شهر مارس حتى شهر إبريل، وفي الصحراء الكبرى خلال النصف الأخير من شهر مارس. والبيضة بيضية عريضة ذات قشرة بيضاء غير لامعة ينتشر عليها بقع بنية ضاربة إلى الصفرة أو الحمرة أو اللون البنفسجي بشكل مكثف قد يغطي لونها الأصلي. وأبعاد البيضة ٤٠×٥١ ميليمتراً، ووزنها في المتوسط ٤٦جم. وعدد البيض في المجموعة الأولى ٣ أو ٤ بيضات. وليس من المعروف أتضع الأنثى مجموعة ثانية من البيض إن فقدت المجموعة الأولى. وتقوم بإطعام الصغار أولاً في مناقيرها حتى تستطيع إطعام نفسها عند عمر من ٣٠ إلى ٣٦ يوماً. وينبت ريش الصغار عند عمر من ٤٤ إلى ٤٦ يوما، وتستقل بنفسها بعد ذلك بحوالي ٤ إلى ٦ أسابيع.

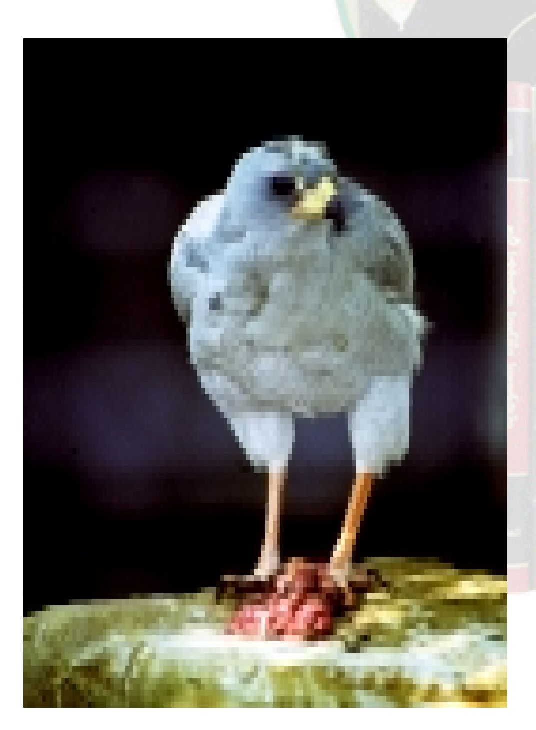


الباز

صفاته وسلالاته

الباز طائر يصاد به، أحمر العينين، أصفر الـرجلين، أسفع الرأس، أدبـس الظهر والكتفين والجناحين. ذيله أبيض مع ترشيم. والأغلب أنه أصفر العينين. وأفصح لغاته بازي بتخفيف الياء والثانية باز والثالثة بازيّ بتشديد الياء. وهو مذكر لا خلاف فيه. ويقال في التـثنية بازيان وفي الجمع بزاة. ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور. ولفظه مشتق من الـبزوان وهو الوثـب. وكنيـته أبو الأشعث، وأبو البهلـول، وأبو لاحق. وهو من أشـد الحيوان تكبـراً وأضيقها خلقاً.

ومـن خواص الـبـاز، كـما ذكـر الدميري، أن مـن اكتحل بمرارته يـأمن من نزول الماء في عينيه إذا رأى آثار نزول الماء الذي كشبه الذباب يطير في عينيه أو مثل دخان، ويسعط صاحب اللقوة بقدر حبة تنفعه نفـعاً جيداً. وذكر ابن سيناء أن مرارة الجوارح كلهـا تنفع من ظلمة البصر اكتـحالاً، وعظمها يحرق ويـذر على الموضع المحروق يـنفعه نفعاً بيناً، ومخلبهـا يعلق على شجرة لا يصـيبها



الباز




شيء من الطيور، ولا يصيبها ضرر من الطير البتة.

ويضيف الدميري قائلاً «البازي في المنام يدل على سلطان لمن هو من أهل الإمارة، فإن ذهب من يديه وبقي منه ساقه ذهب ملكه وبقي ذكره، وإن بقي في يده شيء من الريش بقي في يده شيء من المال. وذبح البازي في المنام ظفر بلصٍ، وذبح البزاة يدل على موت الملوك الذين يأخذون الأموال جهاراً، ولحوم البزاة أموال السلاطين، والبزاة للرجل السوقي رياسة وشرف.

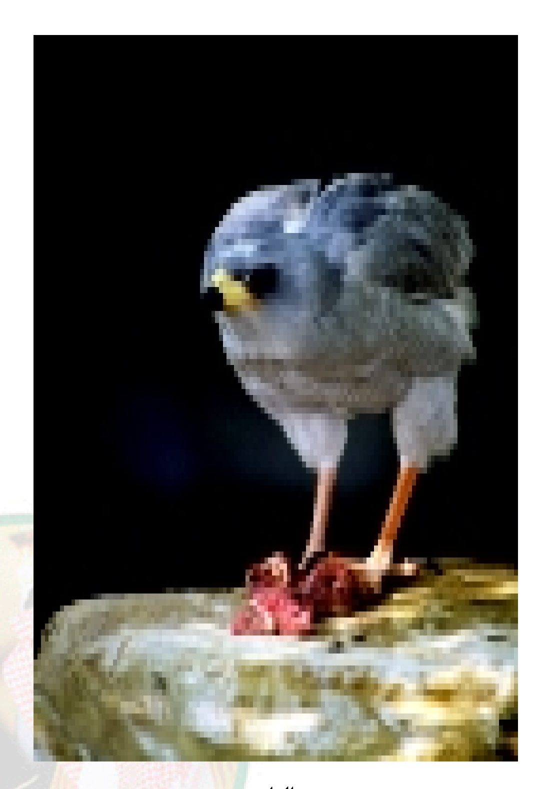
وذكر الدميري أن أحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما، ودونه الأزرق الأحمر العينين والأصفر دونهما. ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، شديد الانخراط إلى ذنبه، وأن تكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش، وذراعاه غليظتين قصيرتين. ويضرب به المثل في نهاية الشرف. قال الشاعر:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم
فعلم الفقه أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك
وكم طير يطير ولا كبازٍ

وقد ذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار العالم أن بطليموس هو أول من اقتنى البزاة، ولعب بها وضرّاها. وقد ركب في بعض الأيام في طربه إلى بعض متنزهاته، فنظر إلى باز يطير فرآه إذا علا صفق، وإذا سَفَل خفق، وإذا أراد أن يستوي ذَرَق، فاتبعه ببصره حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك، فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه، فقال: هذا طائر حسن، وله سلاح، وينبغي أن تتزين به الملوك في مجالسها. وأمر أن يجمع منها عدة لتكون في مجلسه زينته، فعرض لباز منها أيّم (ذكر الحية) فوثب عليه الباز فقتله. فقال الملك: هذا ملك يغضب مما تغضب منه الملوك. ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجناً فوثب عليه البازي، فما أفلته إلا جريحاً. فقال الملك: هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله. فلعب بها، ثم لعب بها بعده ملوك الأمم من الإغريق والروم والعرب والعجم وغيرهم. وهو طائر خفيف الجناح، سريع الطيران، وهو من أشرف الطيور الجوارح وأحرصها على طلب صيده.

وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة، وأعزبت في الوصف وأطنبت في المدح، فقال خاقان ملك الترك: البازي شجاع مريد. وقال كسرى أنوشروان: البازي رفيق يحسن الإشارة، ولا يؤخر الفرص





الباز

إذا أمكنت. وقال قيصر: البازي ملك كريم، إن احتاج أخذ، وإن استغنى ترك. وقال الفلاسفة: حسبك من البازي سرعة في الطلب، وقوة على الرزق، وفي السمو إذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه، فذلك أبعد لغايته وأخف لسرعته.

وقد وصفه ابن خفاجة الأندلسي في رسالة له فقال «طائر يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته. طوراً ينظر نظر الخيلاء في عطفه، كأنما يزهى جبار، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه، كأنما له هناك اعتبار. وأخلق به أن ينقض على قنيصه شهاباً، ويلوي به ذهاباً، ويحرقه توقداً والتهاباً. وقد أقيم له سابغ الذنابى والجناح، كفيلين في مطالبه بالنجاح. جيد العين والأثر، حديد السمع والبصر، يكاد يحس بما يجري ببال، ويسري من خيال. قد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك. فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة، ويرجع إليه بمقتضى الخدمة، مؤهل لإحراز ما تقتضيه شمائله، وإنجاز ما تعد به مخائله. وخليق بمحكم تأديبه، وجودة تركيبه، أن لو مثل له النجم، أو جرى بذكره البرق قصصاً، لاختطفه أسرع من لحظة، وأطوع من لقطة، وانتسفه أمضى من سهم، وأجرى من وهم. وقد أقسم بشرف جوهره، وكريم عنصره، لا يوجَّه مسفراً إلا غادر قنيصه معفراً، وآب إلى يد من أرسله مظفراً، مورد المخلب والمنقار، كأنما اختضب بحناء، أو كرع في عقار» (شاكر ١٩٨٥: ١٦٩).

يتراوح طول جسم البازي من ٤٨ إلى ٦٢سم، يتراوح طول الذيل منها بين ١٨ وبين ٢٢سم، وتتراوح المسافة بين طرفي الجناحين المفتوحين بين ١٣٥ وبين ١٦٥سم. وهو أكبر الأنواع التي تأتي إلى منطقة الجزيرة العربية من جنس البزاة، إلا أن بعض ذكور البازي قد تظهر

أصغر حجماً من إناث الباشق. ويزيد حجم أنثى البازي عن حجم الذكر بحوالي ٢٠٪. والبازي من بين الصقور أميل إلى توسط الحجم أو كبره.

الرأس صغير بارز إلى الأمام، والأجنحة قصيرة، والذيل طويل، وكلها صفات مميزة لجنس البزاة. الظهر بني داكن اللون، والبطن بيضاء مخططة بخطوط متقاربة جداً. تتباعد الخطوط على الذيل. وتوجد منطقة بيضاء اللون فوق العين في الطيور البالغة (منطقة الحاجب). ويتشابه الجنسان في البازي شكلاً لكنهما يختلفان حجماً كما سبق القول. وقد وصفه أبو نواس في إحدى طردياته فأحسن الوصف إذ يقول:

آلف ما صدت من القنيص
بكل باز واسع القميص
ذي برنس مذهب رصيص
وهامة ومنسر حصيص
وجؤجؤ عُولّ بالدليص
مُدَبَّج معين الفصوص
على الكراكي نهم حريص
آنس عشرين بذات العيص
فانسل من سكاره المحموص
وانقض يهوى وهو كالوبيص
دانى جناحيه إلى نصيص
فاعتام منها كل ذي خميص
فقدَّه بمخلب قبوص
فكم ذبحنا ثَمَّ من مقوص
وكم لنا في البيت من مقوص
معدة للشيِّ والمصوص

الحصيص: الخالي من الشعر، الدليص: المدبَّج المنقوش، السكار: المحبس، المحموص: المجلو، الوبيص: البرق، النصيص: السرعة القصوى، اعتام منها: أخذ خيارها، القبص: الأخذ بأطراف الإصبع، الموقوص: مكسور العنق، المصوص: لحم ينقع في خل.

يقول أبو نواس إن البازي رائع الشكل قد حسنه الله وجمله، له برنس مذهب وافر الريش وقد ألبسه الله ثوباً منقوشاً منمنماً مثنياً بعضه على بعض، وصدره منقوش مدبَّج، وبطن جناحيه أبرش أقمر، وجانباه ملونان أنمران، وربما غلب على لونه السفعة. أما عيناه فشديدتا التوهج كأنهما فصان من عقيق، وكأنما أشربتا ذهباً لامعاً، ولشدة بريقهما تكادان تضيئان خدَّيْه. أما منسره فعارٍ عن الشعر مشوب بحمرة غير صافيةٍ، وشدقاه واسعان ضخمان كأنهما شقا صخرة، ومخالبه حادة ماضية كأنها الحراب المسننة. وهو بعد ذلك سريع الانقضاض يخطف الطير خطفاً، وكأنه برق خاطف يتبعها حيث ولت، فيصكها صكاً



كالشهاب الثاقب في سرعته. وكل هذه من الصفات المحمودة في البازي.

وقال غيلان:

أسفع الخدين طاوٍ أصفرا
متخذ يُسرى يديه منبرا

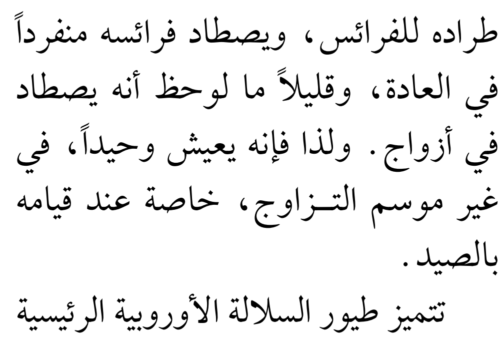
ويصطاد البازي فرائسه عادة بمراقبتها من مكان خفي، ويستفيد من وجود أي ساتر يخفيه عن بصر فريسته، حتى يقترب منها فينقض عليها ويأخذها بغتة.

ويتميز طيرانه أثناء طراده للفرائس بانسيابيته وحذقه وعدوانيته في متابعة الفريسة إلى مسافة لا تزيد عادة عن ٥٠٠م قبل أن ينقض عليها، وقليلاً ما يحاول مرة ثانية إذا لم ينجح في قنصها في المرة لأولى، إذ إنه لا يعيد الكرة عليها في العادة. قال صاحب المصايد والمطارد: ومن عادته إذا أخطأ صيده وفاته، وكان في فلاة لا شجر فيها أن يولي ممعنا حتى يجد كهفاً أو جداراً يأوى إليه، ولهذا يعلق عليه جرس ليدل على مكانه إذا خفى عن العيون.

وهو يأخذ فرائسه أثناء طيرانها، أو من عشوشها، أو أثناء جثومها فوق الأشجار أو على الأرض. وغالباً ما ينقض عليها من ارتفاعات شاهقة، كما يفعل الشاهين، محاولاً صيدها في الجو أثناء طيرانها. وكثيراً ما يستخدم هذه الطريقة في هجومه على الحمام الضال. وحين يمسك بالفريسة فإنه يمزقها بمخالبه، ثم ينتحي بها مكاناً مستوراً ليأكلها على الأرض، أو على مرتفع غير عال عن الأرض، أو على فرع شجرة قد يكون قريباً من وكره، أو في عش قديم مهجور.

ويمكن للذكر أن يصطاد فرائس يصل وزنها إلى ما يقرب من ٣٠٠جم (٢٧٧جم)، ويمكن للأنثى وهي أكبر حجماً من الذكر، أن تمسك فرائس يصل وزنها إلى ٥٠٠جم؛ ولذلك ورد في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري قوله إن البازي خفيف الجناح سريع الطيران، وإناثه أجرأ على عظام الطير من ذكوره.

يتغذى البازي على الطيور والثدييات الصغيرة. فهو يقتنص الحمام والحجل والدراج والبط وسائر طيور الماء والكركي والفئران والجرذان واليرابيع والسناجيب والأرانب الأليفة والأرانب البرية. ونادراً ما يصطاد الزواحف والحشرات، ولا يأكل الجيف عادة، ولكنه كثيراً ما يعود فيأكل من فريسة سبق له أن أكل منها وأخفى بقاياها. وبوجه عام فإنه يصطاد فرائس أكبر حجماً مما يستطيع أن يصطاده الباشق، ورغم حجمه الأكبر منه، فإنه رشيق الطيران بشكل ملحوظ خلال



طراده للفرائس، ويصطاد فرائسه منفرداً في العادة، وقليلاً ما لوحظ أنه يصطاد في أزواج. ولذا فإنه يعيش وحيداً، في غير موسم التزاوج، خاصة عند قيامه بالصيد.

تتميز طيور السلالة الأوروبية الرئيسية من البزاة بأن لون الظهر في الذكر البالغ منها بني رمادي، وأن المنطقة بيضاء اللون فوق العين ضيقة تفصل بين قمة الرأس السوداء، وكواسي ريش الأذن. الذيل عليه من ٤ إلى ٥ خطوط بنية شديدة التقارب. كواسي تحت الذيل غالباً واضحة بيض اللون. السطح السفلي لريش الطيران مخطط بخطوط متباعدة. وتشبه الأنثى الذكر إلا أن السطح الظهري فيها أقل رمادية، والمنطقة البيضاء فوق العين، وتحت الذيل أكثر وضوحاً مما عليه في الذكر.

أما طيور السلالة الشمالية فهي، ذكوراً وإناثاً، أكبر حجماً من طيور السلالة السابقة وأفتح لوناً منها. لون الظهر أكثر رمادية منه بنياً، والتخطيط فيها أقل وضوحاً. وطيور السلالة الكورسيكية السردينية أصغر حجماً بوجه عام من طيور السلالات السابقة. وطيور السلالة الأخيرة، وهي السلالة القطبية للقارة الأمريكية الشمالية، هي أكبر



الباز

الطيور بين السلالات الأربع حجماً، ولون الظهر فيها مشوبٌ بزرقة واضحة، وهو ما يميزها عن طيور السلالة الشمالية.

وقد ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر أن الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وأنواع الجوارح من الفُرس والترك والروم والهند والعرب قالوا إن البازي إذا كان إلى البياض في اللون، فإنه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساماً، وأجرؤها قلوباً، وأسهلها رياضة، وإنه أقوى جميع البزاة، على السمو في الجو، وأذهبها الصعداء، وأبعدها غاية في الهواء، لأن فيها من صرف الحرارة وجراءة القلب، ما ليس



في غيرها من جميع البزاة. وإن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها، وإنه من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في أرمينية، وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك.

قال صاحب المصايد والمطارد: والمختار من ألوانه الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر، والأشهب الشديد الشبيه بالأبيض، والأصفر المدبج الظهور، وسواد لسانه أدل على نجابته.

ويحمد في البازي أن يكون صغير الرأس، غليظ العنق طويلها، واسع العينين ودائري الأذنين، والحوصلاء، قصير الخوافي والذنب، عريض ما بين المنكبين والزور، أهرت الشدقين، مكتنز الفخذين، ضامر الساقين، سبط الكفين، ضخم السُّلاح، رزين المحمل، كثير الأكل متتابع النهش، سريع الاستمراء شديد الانتفاض، إذا استقبلته على يد حامله رأيته وكأنه مقعٍ (الباشا ١٩٨٣: ١٠٠).

وجاء في نهاية الأرب للنويري أن صفة الجيد منه، المحمود في خَلْقه أن يكون قليل الريش، أحمر العينين حادَّهما، وأن تكون عيناه مقبلتين على منسره، وحجاجهما مطلين عليهما، ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كوضع عيني الحمام، والأزرق منه دون الأحمر العين، والأصفر دونهما، ومن المحمود فيه أيضاً أن تكون أشاجع كفيه عارية، وأصابعه متفرقة لا مجتمعة مثل كف الغراب، وأن يكون مخلبه أسود، وأن يكون طويل المنسر دقيقه.

أما صاحب الصيد والطرد عند العرب فيرى أن أحسن أنواع البازي ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما، ودونه الأزرق العينين الأحمر اللون، والأصفر دونهما. ثم إن ما صلب لحمه وطال ذنبه وقصر جناحه، وصغر رأسه، واستدارت كفه فقد حاز الحسن والشجاعة.

وكما قلنا في غير هذا الموضع، قد يحدث التباس في التمييز بين ذكور البازي، وإناث الباشق، لتماثلها في الحجم. ويمكن التمييز بينها، بكون ذكور البازي أطول جناحاً، مع تقوس خوافي الجناح مكسبة حده الخلفي بروزاً محدباً إلى الخارج يمكن مشاهدته بوضوح خلال الطيران، كما أن الذيل فيها أطول وأعرض، ونهايته مدورة، والرأس أكثر بروزاً إلى الأمام، والصدر أعمق مما هو عليه في إناث الباشق. وأكثر علامات الريش المميزة، هي الرأس الأكثر دكنة، بسبب دكنة لون خوافي الأذن، وكذلك




قصر الجناحين، وطول الذيـل، كما أن الطريقـة الخاصة في الطيران تمـيز بينها بوضوح.

ويمكن تمييـز البازي على البعد من الشاهين والصقر السنجاري، بأن الجناح في الـبازي أقـصر وأعـرض، والذيـل أطول، مخطط بوضوح، وطرفه مدور. وطريقة الطيران ممـيَّزَة لكل أنواع جنس البازي. ومعـدل خفقان الأجنحة أثنـاء الطيران، رغم كونه سريعاً في البازي، إلا أنه أبطأ مما هو عليه في الباشق، كما أنه ينزلق في طـيرانه لمسافات أطول مما يفعله الباشـق (قد تزيد على ٥٠٠م)، وهو يُحِّـوم أحياناً، وذيلـه مفرود غير مضموم.



باز كندي

مواطنه وهجرته

البازي جارح قوي، يقطن الغابات ذوات الأشـجار المتسـاقطـة الأوراق، والغابات ذوات الأشجار المخروطية، في جميع فصول السنة، مأواه مساقط الشجر العالية الملتفة والظل الظليل. ومـوطنه الطبيـعي غرب أوروبا وشرقها، حيـث يستوطن ألمانيا وإنجلترا وإسكتلندا وفرنسا وسويـسرا وبلجـيكا وهولـندا وفنلـندا والدانمرك والنرويـج والسويد والبرتغال وإسبانيا واليونان وإيطاليا وبلغاريا والمجر ودول الإتحاد السوفيتي (السابق) وتركيا، كما قد يوجد في سورية وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر.

بعض الطيور مقيمة، تقضي الشتاء في مواطنها في سـيبيريا ودول أوروبا، حتى دائرة عرض ٩٠ْشمـالاً، وبعضها الآخر يهاجر إلى الجنوب من أواخر شهر سبتمبر إلى شهـر نوفمبر، حيث تسبق الطيورُ اليافعة، التي تهاجر لأول مرة، الطيورَ البالـغة. وتعود الطيور المهاجرة إلى مواطـنها في أواخر شـهري فبراير ومارس.



سلوكه وتزاوجه

ويشغل كل طائر منفرداً منطقة استيطان خاصة به، وقد يشغلها أحياناً زوجان من الطيور، وقد تتداخل مناطق الاستيطان. وفي أوروبا الوسطى تميل الأنثى إلى البقاء في منطقة تعشيشها طول العام ولا تخرج عنها، أما الذكر فيتحرك بعيداً عنها في الخريف وأوائل الشتاء، أي خارج موسم التزاوج. ومتوسط مساحة منطقة انتشار الطائر ٥٠ كيلومتراً مربعاً، وقد تصل إلى ٨٠ كيلومتراً مربعاً في مناطق الغابات المتصلة.

يتزاوج الذكر مع أنثى واحدة فقط خلال فصل التزاوج ويبقى معها حتى يكبر الصغار وتستقل بنفسها وتخرج للطيران، أي يبقى معها لموسم تزاوج واحد كامل على الأقل. ويتزاوج الذكر مع أنثى جديدة كل موسم تزاوج. ولو فُقِد أحد الزوجين خلال الموسم فإن الزوج الباقي يتخذ لنفسه شريكاً جديداً في نفس موسم التزاوج. وفي السلالات المتوطنة التي لا تهاجر قد يبقى الذكر مع أنثاه طيلة حياته. وفي الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق، يقوم الزوجان بإصلاح العش واستخدامه عاماً بعد عام. أما في الغابات الصنوبرية ذات الأوراق الإبرية، فيقوم الزوجان ببناء عش جديد كل عام.

ويمكن للطائر أن يبدأ التزاوج عند عمر سنة، وتفضل الإناث عادة التزاوج مع ذكور أكبر منها سناً. وفي مناطق أوروبا الشمالية (سكاندينافيا) لا تتزاوج معظم الطيور إلا في عمر ٢ إلى ٣ سنوات. وتتخذ الأنثى لنفسها منطقة سيادة تعشش فيها وتبني عشها من أغصان الأشجار الغضة وأوراقها. وتوضع الأعشاش فرادى متباعدة أحدها عن الآخر بمسافة لا تقل عن ٢,٥ أو ٣كم، وربما زادت المسافة بين العشين إلى ١٠كيلومترات. وتدافع الأنثى عن عشها بشراسة ضد البزاة وكل الطيور الجارحة الأخرى، وأيضاً ضد كل من يحاول من البشر الاقتراب من عشها. وقد يظل العش مستخدماً لسنوات طويلة، تستخدمه أجيال متعاقبة من الطيور. وربما تجتذب الأنثى الذكر قبل بداية موسم التزاوج بفترة إلى منطقة تعشيشها، حيث يتعاون الزوجان في بناء العش. ويتراوح قطر العش الجديد من ٧٥ إلى ٩٠سم، ويصل ارتفاعه إلى ٢٥سم. أما العش الذي سبق استخدامه وأعيد ترميمه، فيكبر حجمه عادة، بحيث يتراوح قطره من ١٠٠ إلى ١٢٠سم، وقد يصل




ارتفاعه إلى ٥٥سم، بل وهناك بعض العشوش التي وصل ارتفاعها إلى ١٠٠سم وقطرها إلى ١٠٠سم.

وذكر الدميري إن البازي لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر والبرد، ويأتي بخشبة يقال لها المرار يتركها في وكره لدفع العدو. وإذا أراد أن يبيض يبني بيتاً مسقفاً لئلا يقع على فرخه المطر والثلج. وقد وافق الدميري بذلك المسعودي الذي ذكر إن البازي لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لفَّاء مشتبكة بالشوك، مختلفة بين شجر عَسِي طلباً للكنِّ ودفعاً لألم الحر والبرد. فإذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتاً وسقَّفه تسقيفاً لا يصل إليه منه مطر ولا ثلج، إشفاقاً على نفسه وفراخه من البرد والضر (المسعودي ١٩٨٦، ج١: ١٩٤).

الاستعراض الغزلي. بالرغم من أن هذه الطيور تبقى هادئة لا يكاد يسمع لها صوت طول العام، إلا أنها تبدأ في إحداث الجلبة وإصدار الأصوات العالية قبل بداية موسم التزاوج، أي خلال الفترة من شهر يناير إلى شهر أبريل قبل وضع البيض. حينها تقوم الأنثى بمناورات استعراضية تصدر خلالها أصواتاً عالية فوق منطقة تعشيشها لتعلن عن سيادتها على المنطقة وتحذر الإناث الأخرى من الاقتراب منها، فتتخذ أعشاشها في مناطق بعيدة عنها. وتجتذب الأنثى الذكر إليها في الوقت نفسه بمناوراتها وصيحاتها العالية فوق منطقة تعشيشها. وتحرص الأنثى أثناء استعراضها على إظهار كواسيها ذوات اللون الأبيض الواضح على السطح السفلي للذيل، سواء أكانت جاثمة أم محلقة، حيث تحرص على التلويح بذيلها مرفوعاً في حركة مروحية. وحينما يقترب الذكر من منطقة تعشيشها ويدخلها مستجيباً لصيحاتها وتكتشف الأنثى وجوده داخل منطقة سيادتها، إذ تسمع صيحات الاستجابة التي يطلقها، فإنها تطير إليه مطلقة صيحات التعرف عليه. ويقوم الزوجان بمناورات غزلية واسعة فوق منطقة التعشيش وخارجها قبل موسم وضع البيض حيث تتسيَّد الأنثى التي هي أكبر حجماً من الذكر وأكثر عدوانية منه.

التعشيش وحضانة البيض. يتراوح عدد البيض الذي تضعه الأنثى في المجموعة الواحدة من ٣ إلى ٥ بيضات. فإن فقدت المجموعة الأولى من البيض وضعت مجموعة أخرى بديلة خلال فترة ٢ إلى ٤ أسابيع. وتقوم الأنثى بمفردها بحضانة البيض الذي يفقس بعد مدة حضانة من ٣٥ إلى ٣٨ يوماً. كما تقوم





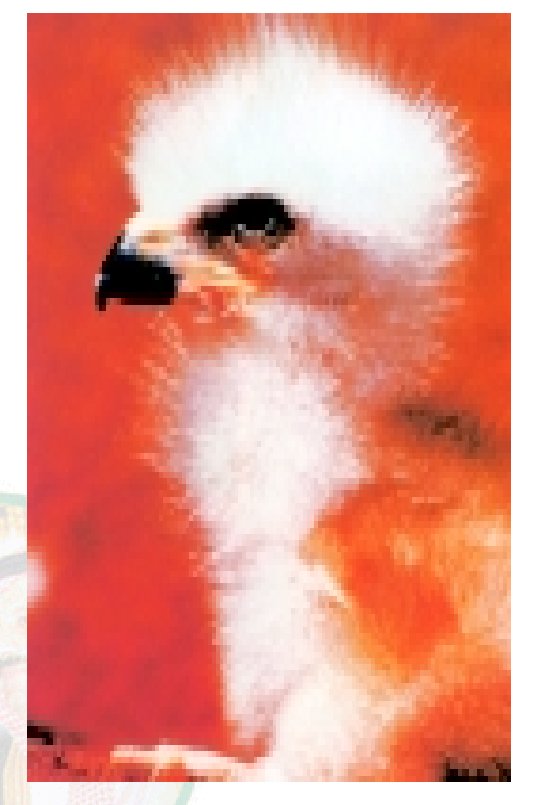
مجموعة من فزوخ الباز

الأنثى أيضاً، كما هو شأن جميع أنواع جنس البزاة، برعاية الصغار وإطعامها بتلقيمها في أفواهها الطعام الذي يحضره لها الذكر في العش بعد أن تقوم بتمزيقه إلى قطع صغيرة.

وعادة تطلق الأنثى صيحات خاصة لطلب الطعام فيستجيب لها الذكر ويقوم بصيد فريسة يحضر بها إلى شجرة أو صخرة قريبة تبعد عن العش بحوالي ١٠٠م، ثم يقطع رأس الفريسة ويلقيها بعيداً ويطلق صيحات خاصة تفيد قدومه، فتنطلق إليه الأنثى مطلقة صيحات التعرف عليه وتأخذ منه الفريسة وهو جاثم، وأحياناً تأخذها منه وهما يحلقان في الجو، حيث يقوم الذكر بتمرير الفريسة من مخالبه إلى مخالبها بعد مطاردة قصيرة تصدر الأنثى خلالها صيحات نقل الفريسة. بعدها تجثم على فرع شجرة قريب وتأكل فريستها على مهل مستمتعة بها، حيث تستغرق في ذلك وقتاً ملحوظاً. ويحدث ذلك قبل وضع البيض. أما بعد ذلك، فهي تأكل الفريسة في العش أو بجواره. وتخبئ الأنثى أي جزء يتبقى من الفريسة في عش قديم مهجور، أو في زاوية التقاء فرعين من فروع الشجرة، لتعود إليه فتأكله مرة أخرى.

وبعد فقس البيض وخروج الصغار لا تترددالأنثى في الخروج لملاقاة الذكر الذي يأتي حاملاً الصيد لتأخذه منه وتعود به إلى العش لتغذية الصغار. وتسمح الأنثى للذكر بالبقاء معها في العش خلال فترة حضانتها للبيض، حيث يمكن بعد أن يحضر لها الطعام أن يحل محلها في حضانة البيض لفترة قصيرة لا تتعدى الساعتين، تخرج خلالها للتريض أو للصيد. أما بعد فقس البيض، عندما يصبح عمر الصغار بضعة أيام، فإن الأنثى لا تسمح للذكر بالبقاء في العش لأي فترة بعد أن يقوم بتسليمها الفريسة التي أحضرها، بل تطلق صيحات خاصة آمرة



فرخ باز

إياه بالانصراف فوراً، وعليه أن يطيعها في ذلـك، إذ إنها ترفـض أن تبدأ في إطعام الصغار حتـى يغادر الذكر العش بل منطقة سيادتها كلها. ومن المعتقد أن صيحـات الانصراف هذه تجـعله يعـود للصيد مرة أخرى.

وإذا أحضر الذكر الطعام إلى العش في غياب الأنـثى فإنه يظل فـيه إلى أن تحضـر وتتسلـم منه الفـريسة وتصـرفه بصيـحاتها. ومـع مرور الوقت وتقـدم الصغار في الـعمر، ينصرف الذكر مـن العش فور رؤيته لأنثاه قادمة إليه، دون أن ينتظر أن تصرفه بصيحاتها. وبعد أن يكـبر الصـغار وتقـترب نهـاية موسـم التزاوج، يحضر الذكر الطعام إلى العش في غياب الأنثى ويتركه فيه، ويرحل فوراً دون انتظار قدومها، وإذا صادف أن قابلها في طريق عودتها إلى العش، فإنه يرحب بها مطلقاً صيحات ترحيب وتحية.

وفي الـعادة يقـوم الذكر بإحـضار الطعام للأنثى في العش أو بالقرب منه لمدة أسبـوعين على الأقـل قبل قيامـها بوضع الـبيض، حيـث يقوم بإحـضار الفـرائس من ٢ إلـى ٤ مرات يومـيا، استجابـة لصيحات طلب الـطعام التي تصدرهـا. ويستمر الـذكر في إحضار الطعام للأنثى أثناء حضانتها للبيض وبعد فقسه وخروج الصغار منه، ولا يشترك بنفسه في رعاية الصغار أو إطعامها، بل تقوم الأنثى بذلك بنفسها. ولا يقوم الذكر بإطعام الـصغار بنفسـه حتى إن فقدت الأم. وعادة يتجنب الذكر البقاء في العش حتى ينبت ريش الصغار؛ ولكنه قد يقوم بتغطـية الصغار في غـياب الأنثى التي تخرج أحياناً في طلعات طيـران قصيرة للتريض أو الصيد دون أن تذهب بعيداً عن مـنطـقة الـعش، إذ تـظل تحـرس أفراخها.



ويختلف الوقت الذي تبدأ فيه الأنثى القيام بمثل هذه الطلعات من منطقة إلى أخرى. فهناك حالات تخرج فيها مبكرة والصغار لما ينبت ريشها وهناك حالات لا تخرج حتى ينبت ريش الفراخ. وفي إحدى الدراسات التي تتبع العش فيها بدقة وجد أن الأنثى تقوم بإحضار حوالي ١٥٪ من الطعام اللازم للفراخ طيلة مدة رعايتها لها، حتى ينبت ريشها وتطير بنفسها. وتظل علاقة الآباء بالفراخ قائمة حتى بعد إنبات ريشها بحوالي ٤ إلى ٥ أسابيع. وتطعم الأنثى الفراخ بالتلقيم في أفواهها حتى بلوغها عمر ٢٨ يوماً. بعدها تقوم الفراخ بإطعام نفسها من الفرائس التي يحضرها الذكر إلى العش.

وينبت ريش الفراخ عند بلوغها عمراً يتراوح من ٣٥ إلى ٤٢ يوماً وينبت ريش الذكور أولاً خلال فترة ٣٥ إلى ٣٦ يوماً، ويتأخر إنبات ريش الإناث حتى عمر من ٤٠ إلى ٤٢ يوماً. وتخرج الفراخ من العش لتقف على أفرع الشجرة القريبة منه. وتستقل الصغار بنفسها عند بلوغها عمر ٧٠ يوماً في المتوسط، ذاهبا كل منها إلى جهة. وتظل العلاقة بين الفراخ في العش أخوية جيدة ما دام الطعام متوافراً لها. أما عند حدوث نقص في الطعام، فإن السلوك العدواني يبدأ بينها، ويتكرر اعتداء الفرخ الأكبر عمراً، على الفرخ الأصغر، حتى قد يصل الأمر به إلى أن يقتله ويأكله.

إسقاط الريش

وتسقط الطيور البالغة ريشها طبيعياً بعد التزاوج، أي خلال الفترة من شهر أبريل إلى شهر سبتمبر. وتسقط الريشة الأولى في الذكر بعد ذلك بفترة ١٥ إلى ٣٠ يوما. ثم يتتابع تساقط ريش القوادم بالترتيب حتى تسقط كلها. وتسقط الريشة الأولى من ريش الذيل بعد سقوط الريشة الأولى من القوادم، ويتتابع تساقط ريش الذيل بعدها. وأحياناً لا يتساقط جميع ريش الذيل وريش الخوافي، بل يظل بعضه. وفي هذه الحالة يسقط هذا الريش المتبقي مبكراً في العام التالي. ويبدأ سقوط ريش الجسم في شهر يونيو. ويجري سقوط ريش الطائر على المنوال نفسه كل عام. ويسقط ريش الطيور اليافعة بعد سنة واحدة من عمرها، ويسقط الريش كاملاً، ويحدث ذلك عادة متأخراً عنه في الطيور البالغة.

يطلق علماء البيزرة على عملية إسقاط ريش البازي في الأسر القرنصة



أو القرنسة ويريدون بها إراحة الجارح مدة معلومة من الزمن يتساقط خلالها ريشه وينبت له ريش جديد. ووقتها من دخول شهر مايو (أيار)، الموافق للحادي والعشرين من الثور، وطول مدتها مائة يوم تقريباً، أي إلى أوائل شهر أغسطس (آب). فإذا أراد البازيار قرنصة البازي فإنه يتعبه قبلها إتعاباً وافياً لأيام كثيرة إلى أن يراه قد ألقى ثلاث ريشات أو أربعاً من كل جناح، ثم يعمد إلى بيت واسع بارد نظيف خال من الغبار والدخان والهوام، لا سيما قملَ الدجاج، ويفرشه بالخلاف والسوسن والآس والريحان وما إلى ذلك من أنواع الخضرة، ويضع فيه وعاء متسعاً فيه ماء، وإذا كان فيه ماء جار فهو أجود، وإلا يبدل الخضرة والماء كل ثلاثة أيام مرة. ثم يعمد إلى قطعة خشب ملساء مستوية طولها خمسة أشبار، أي نحو متر، ويثبت أحد طرفيها في الجدار مما يلي صدر البيت، في زاوية من زواياه، على ارتفاعٍ عن الأرض دون الذراع، ويتأكد من ثباتها وتحملها. وتكون الخشبة من السمك بحيث يمكن للبازي أن يجمع قدميه عليها دون عناء، ولا تكون غليظة بحيث تنبسط قدماه لدى وقوفه عليها، ولا دقيقة بحيث لا يمكنه الثبات عليها. ويضع للطير تحت الخشبة رملاً حتى إذا وقع وقع عليه فلا يتألم أو يؤذي مخالبه وقوعه على أرض صلدة. ويطرح له في المكان شيئاً من حبوب الشعير وينديها، فلا تلبث أن تنبت سريعاً وتكسب المكان الخضرة المطلوبة للطائر، الذي يُسر ببردها ويستريح في النوم عليها وينشط لرؤيتها.

ويُسَكِّن البازيار البازي في هذا البيت بعد إعداده بالشكل الموصوف ويجعل مجثمه فوق الخشبة، ويضع عن يمينه إناءاً واسعاً من خزف لطيف السمك مملوءاً بالماء، إذا لم يكن بالمكان ماء جارٍ، ويغير الماء كل يوم ليظل نظيفاً، حيث يشرب منه الطائر ويغتسل فيه. ويتوخى البازيار أن يكون المكان هادئاً بعيداً عن حركة السكان ومرورهم وجلبتهم اليومية، حتى يأمن أن يسمع الطائر ما يزعجه فيضرب بنفسه الحائط فيهلك. كما أن كثرة الحركة حوله قد تشغله عن الهدوء اللازم له حتى يسقط ريشه وتتم قرنصته.

ومن الخير للبازي أن يُتْرك ليلقي ريشه بنفسه، فذلك أصلح له وأسلم. أما إذا تعجل البازيار وأراد أن يختصر الوقت اللازم لذلك، فإنه يعمد إلى نتف ريشه بنفسه بادئاً بريش الذنب، وذلك بأن يضع يده في أصل الذنب، ويقلع ريشه ريشة ريشة قلعاً رفيقاً لا يؤلمه ويوجع ظهره



ويزعجه، وينتف نيفقه، وهو ما حول زمكاته من الداخل، ليخرج ريشه بخروج ريش الذنب. ولا يقوم البازيار بنتف ريش البازي إلا بعد أن يريحه أياماً يطعمه خلالها ويسمنه بعض السمن، ولا يكثر الطعام عليه حتى لا يسمن بدرجة تجعل الشحم يسد مطالع الريش، فلا تخرج الريشة الجديدة إلا بعلاج. ولذا فإنه يحرص على إسمانه بعد أن يرى ريش ذنبه قد خرج.

وعلاج انسداد مطالع الريش بالشحم، هو أن يعمد البازيار إلى صنع أوتاد على قدر قطر أنابيب الريش، من نوع معين من الخشب يقال له خشب الدازين، الذي يصنع من خشب الأرز للاستصباح، ويغمس أطراف هذه الأوتاد في دهن البيض الطري، ويقبض على البازي من خلفه ليأمن عليه من الاضطراب ويفتش عن الريشة التي غطاها الشحم ويقلعها بمنقاش خاص ويجعل موضعها وتداً من هذه الأوتاد، وبهذه الطريقة ينبت الريش.

ويطعم البازيار البازي أثناء قرنصته من مخاليف الحمام السمان النواهض التي طارت ولا يطعمه فراخ الحمام التي لم تطر، لأنها تثقله وتعسر هضمه. كما يطعمه البط السمان والقنابر والعصافير الطرية البقلية وما أشبه ذلك. ولا يبقى على نوع طعام واحد، بل يغير عليه هذه اللحوم لأنه أصلح له. ولا يطعمه لحماً بارداً ما دام قادراً على إطعامه لحماً حاراً.

وبعد أن يلقى البازي ريشاته الصغار ويخرج شيء من ريش ذنبه فإن البازيار يتعهده بالأدهان، ويجعل في طعامه دهن الخروع، أو دهن القنب بين الحين والحين لأنها تساعده لشدة حرارتها على إلقاء ريشه. ويكون إطعامه منها بقدرٍ لدسامتها. وبعد تمام قرنصة البازي وطلوع ريش ذنبه وجناحيه، فإن البازيار يعمد إلى إذابة شحمه وإنقاص وزنه، قبل أن يبدأ الصيد به بعدة أيام، ليستعيد خفته ورشاقة حركته (الباشا ١٩٨٣ : ١٠٨-١١٠).

الصيد بالباز

يمكن القول بوجه عام إن البازي ليس من بين جوارح الطير التي يستخدمها الصقارون العرب المعاصرون في الصيد والقنص، إذ انتهى استخدامهم لها في الصيد منذ مدة ليست بالقصيرة، لأن البازي ليس من بين الصقور التي يمكنها أن تصيد أكثر من طريدة واحدة في اليوم، على عكس ما يفعل الصقر الحر




والشاهين، فضلاً عن كونه يميل إلى الاحتفاظ بفريسته، ولا يتخلى عنها بسهولة إلى الصقار، ولذلك فإن الصقار عندما يأخذها منه يفقد الرغبة في الانطلاق لاصطياد فريسة أخرى (التميمي ١٩٩٢: ١٨-١٩).

وكان البازي معتبراً لدى العرب القدامى من أفضل طيور الصيد على الإطلاق، فقد ورد في كتاب الصيد عند العرب عن البازي قوله: البازي أفضل الجوارح صيداً، وأعلاها كعباً، وأغلاها ثمناً وبه يضرب المثل في نهاية الشرف ويقال له في أول سنة من عمره فرخ، وفي الثانية كرَّز، وفي الثالثة كرز عامين، وهو لفظ معرب عن الفارسية حيث يقال للحاذق المجرّب كرّه فعُرِّب على كرَّز (الباشا ١٩٨٣: ٩٨). ومن القصص التي تروى عن إفراط حرصه على الصيد ما ورد في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا عنه حيث يقول: من أخبار نصر بن سيار أن بعض كبار الدهاقين غدا عليه بطبرستان، ومعه منديل فيه شيء ملفف، فكشف عنه بين يديه فإذا فيه شِلْو باز (أي أعضاء باز) ودرّاجة. وحكى أنه رأى هذه الدراجة فأطلق بازيه عليها فأحست به، وكان قد أمر بإحراق قصب قد أفسد أرضا له، فتحاملت الدراجة على نفسها حتى اقتحمت النار هاربة من البازي، واشتد طلبه لها وحرصه عليها فلم ترده النار عنها واقتحمها في إثرها، فأسرعت فيها، فأدركها وقد احترقا معاً، فأحضرهما إلى الأمير ليراهما فيرى فيهما ثمرة إفراط الحرص، وإفراط الجبن. ولا عجب فالبازي من أشد الحيوان كبراً، وأضيقها خلقاً. وأضاف القلقشندي إلى ذلك قوله إن من محاسن البازي عدم الإباق، فإنه إن صاد بقي على فريسته، وإن لم يصد وقف مكانه، فلا يحتاج إلى كدٍّ ولا تعب ولا طرد خيل.

ويرى القزويني أن البازي قليل الصبر على العطش، ومأواه مساقط الشجر. ومن فضيلته أن الصيد فيه طبيعة لأنه يؤخذ من وكره فرخاً من غير أن يكون قد صاد مع أبويه، فيصيد ابتداءً وقريحةً من غير تضرية، بخلاف الصقر فإنه إذا أخذ قبل أن يتصيد مع أبويه لم ينجب ولم يصد. وهذه حقيقة معروفة عن الصقر.

ومن الأخطاء التي وقع فيها القزويني اعتقاده أن البازي لا يكون إلا أنثى، وذكرها نوع آخر؛ حدأة أو شاهين أو غيرها، ولذلك تختلف أشكالها. ومن المعروف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق



من كل نوع زوجين ذكراً وأنثى، ومن غير المعروف أن يتزاوج ذكر نوع مع أنثى نوع آخر إلا في بعض الأنواع القليلة مثل الحمار والفرس، ويكون نسلها (البغل) عقيماً في العادة. وقد يكون القزويني قد اعتقد ذلك لأن أنثى الباز تكبر في حجم جسمها عن الذكر بحوالي ٢٠٪، وهي المفضلة لدى الصقارين لقدرتها على قنص فرائس أكبر حجماً مما يستطيعه الذكر.

اختبار قوته وجرأته على الصيد. إذا أريد اختبار جرأة البازي على الصيد فإنه يوضع في غرفة مضيئة ثم يقطع عنه الضياء فجأة، فإذا أظلم المكان يدنو البازيار من البازي ويلمسه لمسة سريعة، فإن وثب على يده وقبض عليها فهو جريء، يصيد عظام الطير، وإن انكمش وسكن فليس بجريء. ولاختبار قوة البازي فإنه يُشَدُّ في زاوية البيت بالقرب من الحائط، حيث كان يشد باز آخر قبله، ويترك ليلته هناك، ثم يأتي البَّازيار من غده فينظر ما رمى على الحائط من ذرقه، فإن كان موضعه أبعد من موقع ذرق البازي السابق، كان أقوى منه وأسرع طيراناً وأقدر على الصيد. وعلى الجملة فإن صيد البازي يكون على قدر ضرئه وبعد سلاحه.

ويقال أن البازي إذا كان مشرف الحاجبين شديد بياضهما، كثير الريش، مسترخي اللحم، عظيم الهامة، ملتف ريش العنق، قصير القوادم والفخذين، طويل الساقين، جامد الكفين أصغرهما، فهو فروقة جبان. وأفخر ألوان البازي الأبيض ثم الأشهب، وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم. وأما الأسود الظهر المنقش الصدر بالبياض والسواد، فهو الشديد الصلب. وإن اتفق له أن يجمع مع ذلك حمرة العينين بلغ الغاية، وهذا اللون في البزاة كالكميت في الخيل، والأحمر من البزاة أخبثها. وقيل إن المختار من ألوانه الأحمر، والأكثر سواداً، والغليظ خطوط الصدر، والأشهب الشديد الشبه بالأبيض، والأصفر المدبج الظهر ولا تغتفر صفرة الساق والأكف (الباشا ١٩٨٣: ١٠١-١٠٢).

آداب معاملته. رسم علماء البيزرة حدوداً للتعامل مع البازي، وسَنّوا لحسن القيام بها آداباً والتزموا بها، وذلك لما يتمتع به هذا الجارح من مزاج لطيف ولما له من منزلة في نفوس هواة الصيد ومكانة عند المولعين به. فاشترطوا في حامل البازي أن يكون نظيف الثوب طيب الرائحة، كريم الشمائل عالماً بشؤون البازي وأحواله. وحذروا من أن يحمله



الأبخر، لأن الرائحة الكريهة تكسر شهوته إلى الصيد وتجعله ينفر من حامله. فإذا حمله الأبخر أياماً ثلاثة عرفه واشمأز منه وجعل يهرب من وجهه كلما أقبل عليه، وإذا حمله طيب الرائحة ارتاح إليه وأنس به واشتد ألفه له، حتى أنه ليلصق جسده بجسده، ويجلس مطمئناً فوق يده، أو يجثم مرتاحاً فوق رأسه.

والبازي جارح مرهف الحس، يؤذيه كل ما يؤذي أصحاب الأمزجة اللطيفة. لذا حذروا حامله من أن يأكل ثوماً أو بصلاً أو أي طعام آخر، تتغير له رائحة الفم، فإن ذلك يجعله بَرِماً بصاحبه ويحمله على تحويل وجهه عنه. وهو طائر كريم النفس حَمِيُّ الأنف يأبى الإهانة. لذا حذروا مؤدبه من أن يصيح في وجهه أو ينهره، فإن ذلك يقضي على ما بينهما من حسن الصلة، ويُفْضِي إلى زوال الألفة. والبازي طائر يحفظ الجميل. لذلك دعوا سائسه إلى مداراته والرفق به عند حمله، وأن يتعهده في غير أوقات طعامه باللقمة الصغيرة، وحَضُّوه على أن يلقمه ليألف ذلك منه ويتعلق به، وليلتفت إليه عند ندائه ويستجيب إلى دعوته إذا دعاه.

وقد سن علماء البيزرة لإمساكه آداباً تختلف عن إمساك غيره من الجوارح. فذهب جمهورهم إلى أنه يجب أن يحمل على اليد اليسرى. وذهب بعضهم إلى أن إمساك البازي باليمنى أمكن في الحمل، وأدنى إلى إصابة الهدف، وأدعى إلى الوقوع على الطريدة. وسواء أحمل البازي على يسرى الرجل أم يمناه فإن على حامله ألا يغفل عنه في أي حال من أحواله وألا يحط يده إلى الأرض ليأخذ منها شيئاً. وقد كانت ملوك الفرس تحمله على اليسرى. وكان المتَّبع في ذلك أن يأتي البازيار والجارح على يساره فيعارض الملك ورأس كل واحد منهما إلى كفل الآخر، فيحوله من يساره إلى يسار الملك. وأخذ العرب بهذا المذهب في حمل الجوارح وجروا عليه (الباشا ١٩٨٣: ١١١-١١٣).


الباز



ومن حسن سياسة البازي أن يُجَوَّع في الليل حتى يصطاد جيداً في النهار، فإذا صاد ما يجب أن يصيده أُطعِم وأُشبع وأريح قبل أن يخرج للصيد مرة أخرى. وهو طائر ذكي الفؤاد إذا أدبته فأحسنت تأديبه عرف مهمته ولم يتجاوز حدوده، فقد روى أسامة بن منقذ أنه كان عند والده باز أثير لديه، وكان في منزلهم حمام وطيور ماء خضر، وكان والده يدخل إلى المنزل والبازي على يده، فيجلس على أريكة في الدار ويجلس البازي على قفاز بجانبه. وكانت الحمائم وطيور الماء تغدو أمامه وتروح فلا يلتفت إليها ولا يثب عليها ولا كأنها مما جرت عادته أن يصيدها، مع أنه كان من أفره البزاة وأشدها ضراوة على الصيد (الباشا ١٩٨٣: ١٠٣).

والبازي طائر يرتاح إلى السباحة وينشط على الاستحمام ويرغب فيهما، ويشير إلى رغبته هذه بخضخضة منسره في الماء، فإذا فعل ذلك قُدمت له جفنة كبيرة فيها ماء فإنه يطير إليها ويسقط فيها ويرف بجناحيه في الماء حتى ينال بغيته من السباحة. وعند ذلك يعد له قفاز من الخشب يقف عليه ويُدْنَى منه منقل نار ليستدفئ به إن كان الجو بارداً، فيتمشق حتى يتساقط الماء عن ريشه وينشف جسده، ثم يبسط له فرو مطوي ينزل إليه وينام عليه.

ذكره في مأثور القول والأدب

لما كان للبازي خصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح، لأنه أفضلها صيداً وأعلاها كعباً وأعزها شرفاً فقد ورد ذكره كثيراً في الأدب العربي من شعر ونثر وأمثال وغيرها. قال بعض الأمويين لمعاوية بن أبي سفيان لما دعاه علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى المبارزة في موقعة صفين ينهاه عن المبارزة.

ما للملوك وللبراز؟ وإنما
حَظُّ المبارز خطفة من باز

وذلك لسرعة انقضاض البازي على فريسته كأنما يخطفها خطفاً. وقد أكثر الشاعر العباسي أبو نواس من وصف البزاة في طردياته وأجاد في ذلك كما في قوله:

لما رأيت الليل قد تشزرا
عني وعن معروف صبح أسفرا
كسوت كفي دستباناً مشعراً
فروة سنجاب لؤاماً أوبرا
تقي بنان الكف ألا تحصرا
وغمزة البازي إذا ما طفرا
قسمت فيه الكف إلا الخنصرا
أعددت للبُغْثان حتفاً محقرا
أبرش بطنان الجناح أقمرا




أرقط ضاحي الدفتين أنمرا

ثم يبدع أبو نواس في وصف حيله في الجوع وإدراكه الثأر، فكأن شدقي هذا الباز وهو جائع شقا جبل، أما عيناه فكأنهما لحظات ينال ثأره وفرحه بعد غضبه، فصا عقيق أحمر ركبا في هامته المرتفعة، وتحت ذينك الفصين منسر معقوف ذو نهاية حادة يشبه حرف جيم رسمته يد عسراء هرمي الشكل، ولو رأى ذكي هذا المنقار مضافاً إليه العين والفاء والراء لتذكر اسم جعفر ولا تجد الطير في بازيه إلا المحطم الصدغان:

كأن شدقيه إذا تضورا
صدغان من عرعرة تفطرا
كأن عينيه إذا ما أثأرا
فصان قضا من عقيق أحمرا
في هامة علياء يهدي منسرا
عطفه الجيم بكف أعسرا
يقول من فيها بعقل فكرا
لو زادها عينا إلى فاء ورا
فاتصلت بالجيم كانت جعفرا
فالطير يلقاه مدقاً مدسرا

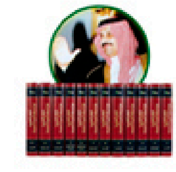
وفي طردية أخرى لأبي نواس أيضاً:

قد اغتدى قبل طلوع الشمس
بأحجن الخطم طوي النفس
غرثان إلا أكله بالأمس
آنس بالطمس وماء الطمس
كنظر المجنون أو ذي المس
حتى إذا أقصد بعد الحبس
عشرين من حباريات قعس
فهن بين أربع وخمس
صرعى ومستدم وأميم الرأس
كأنما صبغتها بورس

أحجن الخطم: معوج المنسر، غرثان: جوعان، الطمس: اسم مكان، أقصد: طعن، قعس: جمع قعساء وهي التي برز صدرها ودخل ظهرها، أميم الرأس: مشجوجة، الورس: صبغ أصفر. وقال في طردية أخرى:

أطريك يابازينا وأطري
مرتجلا وفي حبير الشعر
يصقل حملاقاً شديد الصحر
كأنه مكتحل بتبر
في هامة لمت كلم الفهر
وجؤجؤ كالحجر القهقر
من منخر رحب كعقد العشر
ومنسر أقنى رحاب الشجر
شئن سلامى الكف وافي الشبر

حبير الشعر: ما حبر منه وجود وثقف، الحملاق: باطن الأجفان، الصحر: قذف العين بقذاها، الفهر: الحجر قدر ما يملأ الكف، الجؤجؤ: الصدر، الحجر القهقر: الصلب، العشر: كناية عن الأنامل، الأقنى: المعوج،



رحاب الشجر: واسع ما بين اللحيين، الشئن: الغليظ، السلامى: عظام الأصابع. وقال أبو نواس في طردية أخرى عن البازي:

يوفى على قفازه المجوب
منه بكف سبطة الترحيب
كأنها براثن من ذيب
يضبثهن في ثرى مصوب
إلى وظيف فائق الظنبوب
وجؤجؤ مثل مداك الطيب
تحت جناح موجد التنكيب
ذي قصب مستوفز الكعوب
وحف الظهار عصل الأنبوب

القفاز: كيس من أدم ونحوه يلبسه البازيار بيده يقف عليه البازي، المجوب: المقطوع، سبطة الترحيب: شديدة السعة، يضبثهن: يقبض بهن، المصوب: المحطور، الوظيف: مستدق الذراع والساق، الظنبوب: العظم اليابس من قدام الساق، الجؤجؤ: صدر الطائر، مستوفز الكعوب: عظام واقية المفاصل، الوحف: الجناح كثير الريش، الظهار: الجانب القصير من الريش، عصل الأنبوب: معوج في صلابة.

وقال ابن المعتز في إحدى طردياته عن البازي:

ذو مقلة تهتك أستار الحجب
كأنها في الرأس مسمار ذهب
يعلو الشمال كالأمير المنتصب
أمكنه الجود فأعطى ووهب
ذو منسر مثل الناز المختضب
وذنب كالذيل ريان القصب
أسبل فوق عطبة من العطب

القصب: أنابيب من جوهر القصر، العطبة: القطن فيه النار. وقال في طردية ثانية عن البازي:

ومكمل شكته مدجج
أقمر مثل الملك المتوج
ذي مقلة نقيبة المحجج
مقيمة واللحظ يمضي ويجي
وجفن عين كشفاء المحدج
ومخلب كالحاجب المزجج
أبرش بطنان الجناح الديزج
كطيلسان الملك المتوج

الشكة بالكسر السلاح، الأقمر: الأبيض، المحجج: العُظَيْم الذي يحيط بالعين من أعلى ومن أسفل، يجى: مهلة من يجيء، المزجج: المرقق، الديزج: كلمة فارسية وتعني الأسود الضارب للحمرة أي الأسفع، الأبرش: هو الذي خالط لونه لون آخر، بطنان الجناح: باطنه. وقال في طردية ثالثة:

جلا لكل شبح نأتي الدار
فارس كف ماثل كالأسوار

ذو جـؤجـؤ مثـل الـرخـام المرمـار
أو مـصحـف مـنمـنـم ذي أسطـار
ومـقـلـة صـفـراء مـثل الـديـنـار
ومـخلـب مـثـل عطـف المـسـمار

جلا: كشف، فـارس كف: كناية عن البازي حيث يوضع على الكف، الجؤجؤ: صدر الطائر، المرمار: الناعم، منمنم: مزخرف، مرقش.

ويصف رؤبـة البازي ويتابـعه وهو يسمو ويسـف طارداً فرائسه، وقد أبرز خصائصه وتقصى صراعه مع الطريدة، فهو باز حسن، التف بريشه الوفير كما يلتف شيخ بمشملة، يبكر قبل الطير ببصر حديد سلاحـه مخالب حادة، فإذا لمح من بعيد صيداً انقض عليه، وهو ماهر في احتيالـه للفريسة، يرتقـي معها في الجو، ويهوي أثرها إلى الأسفل، حتى يتعبها وينشب مخالـبه فيها، وتكون له طعماً شهياً.


صياد يحمل على يده الباز

كـأنــهـا ألــواح بـاز نــهـضـل
كـرَّر يـلـقـي ريـشـه ويــفـتـلـي
أكـلـف مـلـتـف بـريــش غـفـل
تلـفف الـشيخ الـتوى فـي المشـمل
إذا غـدا والـطـير لـم تـصلـصل
غـدا بـصـيـر الـعين لـم تـكـلـل
بـحــد أطـراف شــبـاً مــؤسـل
فانـحط يـهوي مـن بعـيد المحـمل
إن طـرن سـاماهـن عـال مـن علٍ
وإن تـطـأطأن انـحـنـى لـلأسـفل
أوديـن بـعد الـنـقـض والتـحـفـل
مـن لـطـم ذي مـعمـعـة مـولـول

وقال ذو الرمة:

تجلت عن الـبازي طـشاش ولـيلـة
فآنـس شيـئاً وهـو طاو عـلى وكـر

وقال أيضاً:

كما زعزع الـبازي القطا أو تكشـفت
عـن المقـرم الغـيـران عيـط لواقـح

وقال أيضاً:

إذا نـظـر الـبـاز فـي عــطـفـه
كـسـتـه شعـاعـاً عـلـى المـنكـب

وقال أيضاً:



وصلت إليك يد سواء عندها
الباز الأشهب والغراب الأبقع

وقال الأخطل:

ندمت وما تغني الندامة بعدما
تطوحت من صك البزاة الصوائد

وقال جرير يشبه نفسه بالبازي في البطش والقوة والاندفاع في الهجوم:

أنا البازي المدلّ على نمير
أتحت من السماء لها انصبابا

وقال أيضاً:

صفقتم للبزاة حباريات
فأخزى الخُنْثَيين منَى الضلال

الخنثيان: بنو مجاشع وبنو نهشل.

وقال الطرماح يمدح:

لو لم تكن رجلاً لكنت بما ترى
لحماً تدين له الأجادل ضاري
صقر يصيد إذا غدا بجناحه
وبخطمه ويصيد بالأظفار

اللحم: البازي لأن أكله اللحم، والأجادل: الصقور جمع أجدل وهو الصقر، والضاري: الذي قد ضرى بالصيد واعتاده. وقال صفي الدين الحلي يصف البازي والصيد به:

قد ارتدى ذيل الظلام الأشيب
والصبح مثل الماء تحت الطحلب
بأجرد ملء الحزام سلهب
مختبر كالبطل المجرب
مثقل الكف بباز أشهب
منتصب القامة سامي المنكب
غليظ خط الجؤجؤ المنكب
قليل ريش الصفحتين أزغب
عيونه مثل الجمان المذهب
قد بدلت من سبج بكهرب
محدد المنسر شين المخلب
ينهش في السبق وإن لم يشغب
حتف الحبارى وعقال الأرنب
لا يرقب النجدة من مدرب
إذا الصقور أنجدت بالأكلب
مهذب الخلق قليل الغضب

وقال الناشئ الأكبر، عبدالله بن محمد في البازي:

لما تعرى الليل عن أنساجه
وارتاح ضوء الصبح لانبلاجه
غدوت أبغي الصيد من منهاجه
بأقمر أبدع في نتاجه
ألبسه الخالق من ديباجه
ثوبا كفى الصانع من نساجه
حال من الساق إلى أوداجه
وشيا يحار الطرف في اندراجه
في نسق منه وفي انعراجه
وزان فوديه إلى حجاجه
بزينة كفته عز تاجه
منسره يثني على خلاجه
وظفره يخبر عن علاجه




لـو اسـتـضـاء المـرء فـي إدلاجـه
بـعـيـنـه كـفـتـه عـن سـراجـه

الحجـاج: العظـم المسـتدير حـول العين، والمنسر للطير الجارح كالمنقار لغير الجارح، الخـلاج: ضرب مـن البـرود المخططة. وقـال أبو الطيب المتنـبي في البـازي وقد أرسله أبـو العشـائر على حجلة:

وطـائـرة تـتـبـعـهـا المـنـايـا
عـلـى آثـارهـا زجـل الجـنـاح
كـأن الـريـش مـنـه فـي سـهـام
عـلـى جـسـد تجـسـم مـن ريـاح
كـأن رؤوس أقـلام غـلاظ
مسـحن بـريش جـؤجؤه الصـحاح
فـأقـعـصـهـا بـحـجـن تحـت صـفـر
لـهـا فـعـل الأسـنـة والـصـفـاح
فـقـلـت لـكـل حـي يـوم سـوء
وإن حرص الـنفـوس على الفـلاح

وقال المتنبي أيضا:

وشـر مـا قـنـصـتـه راحـتـي قـنـص
شـهب الـبـزاة سواء فـيه والـرخـم

وقال ابن المعتز في البازي:

وفـتـيـان غـدوا والـلـيـل داج
وضـوء الـصـبـح مـتـهـم الـورود
كـأن بـزاتـهـم أمـراء جـيـش
عـلـى أكـتـافـهـم صـدأ الحـديـد

وقال ابن سكرة:

وكـل بـاز يمـسـه هـرم
تـخـرى عـلـى رأسـه الـعـصـافـيـر

ومن أمثال العرب الـتي وردت عن البـازي قولهـم «لا يرسل الـبازي فـي الضـباب» يـضرب المـثل لأخـذ الأمر بالاحتياط، وقالوا «لا يفزع البـازي من صياح الكركي»، وقالوا «ليس يقوى ألف كركي بباز»، وقالوا «هل ينهض البازي بغير جناح».

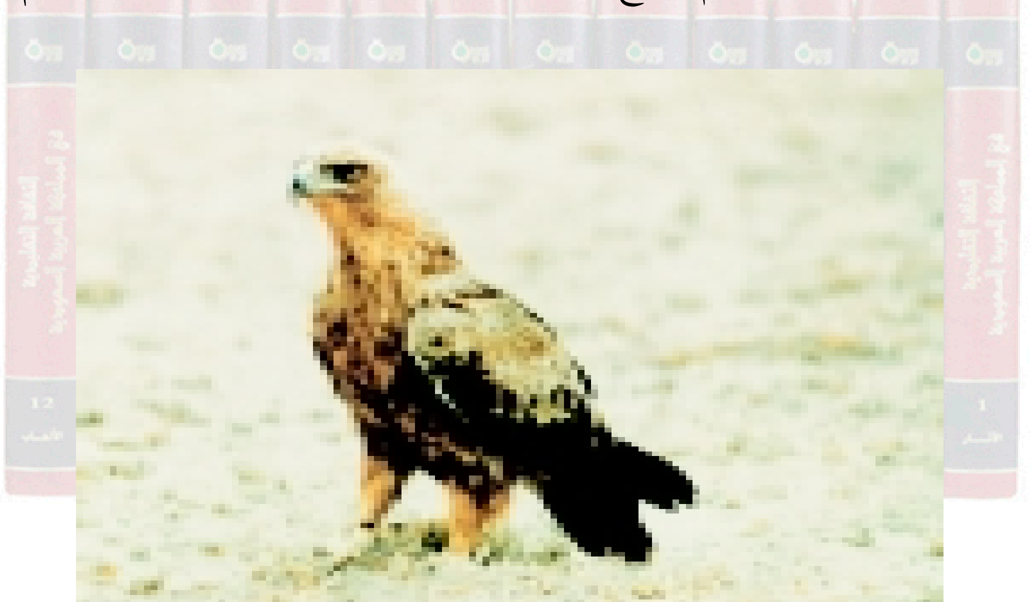


العقاب

صفاته وسلالاته

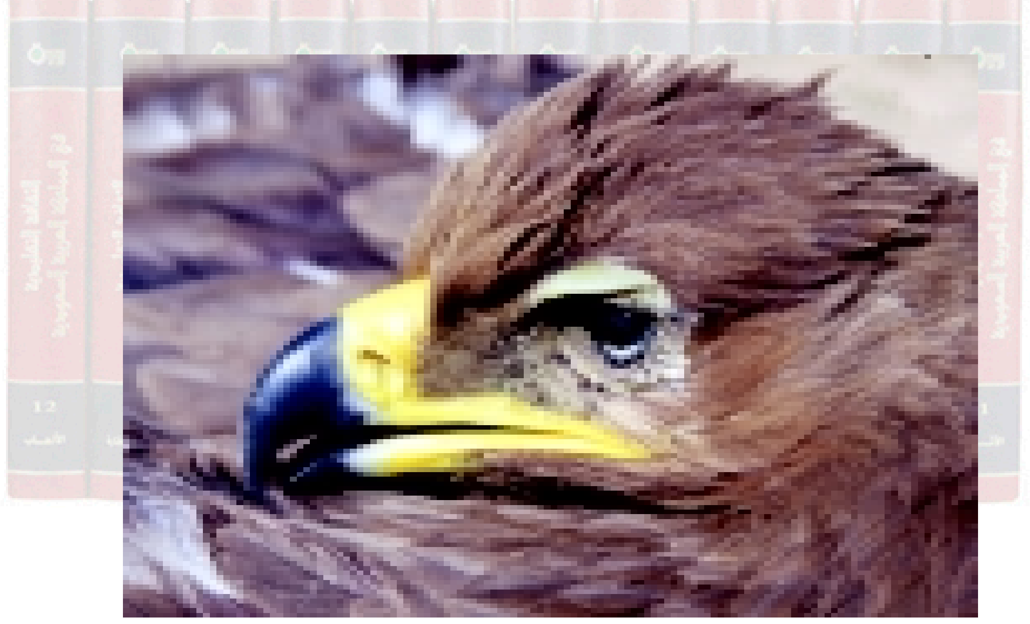
أشد الجوارح حرارة وأقواها حـركة وأيبسها مزاجاً، وهي خفيفة الجناح ثقيلة الطيران. والجـمع أعقُب لأنها مؤنـثة، وأفعُل بـناء يختـص به جمع الإناث، والكثير عقبان، وعقابـين جمع الجمع؛ قال الشـاعر «عقابين يـوم الجمع تعلـو وتسفل». وهناك عدة أنواع من العقبان منها اللموع أو العقاب الذهبي، والعقاب الملكـي، وعقاب السهـوب، أو عقاب البادية وغيرها.

وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى: وكنية العقاب أبو الأشيم، وأبو الحجاج، وأبو حسان، وأبو الدهر، وأبو الهيثم.



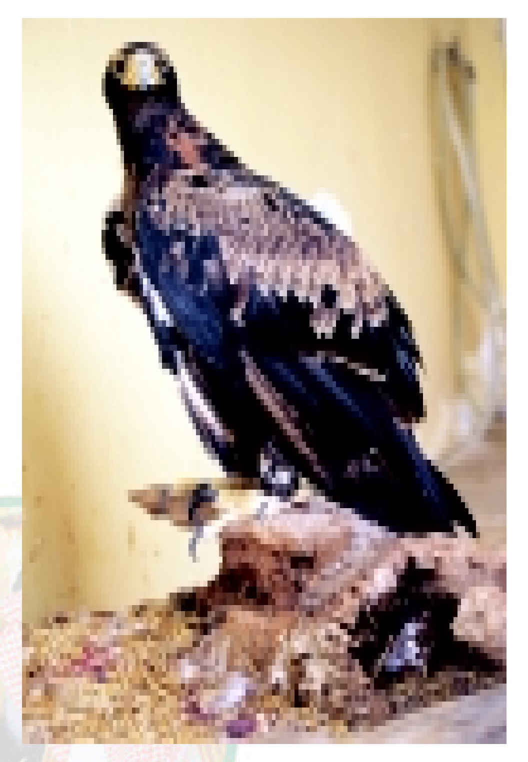
العقاب سيّد الطير

والأنثى: أم الحوار، وأم الشعو، وأم طلبة، وأم لوح، وأم الهيثم. والعرب تسمى العقاب الكاسر، ويقال لها الخدارية للونها الأسود. وهي مؤنثة اللفظ، وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى، وتميزه باسم الإشارة. وقال في الكامل: العقاب سيد الطير والنسر عريفها. قال ابن ظفر إن العقاب حاد البصر ولذلك قالت العرب: أبصر من عقاب. والأنثى منه تسمى لقوة. ونقل البطليوسي في الشرح قول الخليل إن اللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران. وهي نوعان: عقاب وزُمَّج. فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر، ومنها ما يأوي إلى الجبال وما يأوي إلى الصحارى وما يأوي إلى الفياض، وما يعيش حول المدن، ويقال إن ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوي شيئاً. وقال ابن خلكان في آخر ترجمة العماد الكاتب: ويقال إن العقاب جميعه أنثى (أي لا ذكور له من نوعه)، وإن الذي يسافده طير آخر من غير جنسه، وقيل إن الثعلب يسافده. وهذا القول الأخير الذي نقله الدميري شائع حتى وقتنا الحاضر، وهو قول غير صحيح فمن العقبان الذكر والأنثى، ولا يسافده أي حيوان آخر من غير نوعه. ولكنهم قالوا في المثل الشعبي «العقاب ما يُوَرِّث إلا عقاب» يعني تأصل عامل الوراثة.



عقاب ذهبي

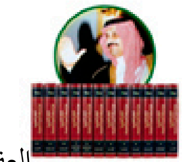




العقاب الأسود

والعقاب الأنثى أعظم الجوارح صيداً، وسيدة الطير عِزّة، وأكبرها بعد النسر جسماً، قوية المخالب مسرولة الساقين (أي في ساقيها ريش). واسعة الأشداق ذات منسر قصير أعقف، يخالف منقارها الأعلى منقارها الأسفل. والعرب تسمي العقاب الكاسر إشارة إلى قوتها وقدرتها على الانقضاض، حيث يقال: كسر الطائر كسراً إذا ضم جناحيه يريد الوقوع. وتسمى العقاب عنقاء مغرب، دعيت بذلك لأنها تأتي من مكان بعيد، ولا يراد بالعنقاء هنا الطائر الأسطوري المعروف. وتسمى لَقِوةَ أيضاً لأنها لا تساور شيئاً إلا أخذته. وقيل إنها دعيت بذلك لسعة أشداقها ولاعوجاج منقارها. وتسمى صوْمَعَة لأنها ترتفع دائماً على أشرف مكان تقدر عليه. ويقال عقاب نُسارية لأن في ريشها شبهاً من ريش النسر، وريش النسور تُراش به السهام، كما يقال لها السّهُوم والهيثم. ومن أسماء العقاب الصّرار، وهو يطلق على العقاب العظيمة الكدراء التي تضرب إلى التوشيم، والتوشيم خطوط في قوائم الحمر. وتوصف العقاب بأنها عجزاء إذا كان في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان، وعشراء إذا كان في جناحها قوادم بيض، وعنقاء لأنها تُعنق بصيدها ثم ترسله، وفتخاء لما في جناحيها من اللين، وقنواء ولَموع لما فيها من سرعة الاختطاف وفرخ العقاب يسمى الناهِض والهيثم والتُّلج والتُّلْدَة والتُّلْد.

ويتصف النجيب من العقبان بوثاقة الخلق، وثبوت الأركان، وحمرة اللون، وغؤور العين بالحماليق، وأن تكون صقعاء، بيضاء أعلى الرأس، عجزاء لا سيما ما كان منها من أرض سُرْت، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض بين برقة وطرابلس في ليبيا، أو جبال المغرب. وهي من أسرع الطير طيراناً، فقد قيل




أن عقاباً حملت كف عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، المسمى بيعسوب قريش، المقتول يوم الجمل بالكوفة، فألقتها بمكة فأخذت فوجد بها حلقة فعرف أنها كفه، وأرخ ذلك الوقت، فتبين أنها ألقتها يوم الجمل الذي قتل فيه (وقد يكون في هذه الحكاية بعض المبالغة إلا أنها غير مستبعدة). وأول من صادها أهل المغرب، فلما نظرت الروم إلى شدة أمرها وإفراط سلاحها قال حكماؤهم: هذا لا يفي خيره بشره (القلقشندي١٩٨٧، ج ١: ٥٨).

قال في المصايد والمطارد «وهي من أعظم الجوارح، وليس في الطير بعد النسر أعظم منها، وأصل لونها السواد. ومنها سوداء دجوجية، وخدارية أي سوداء، والبقعاء، التي يخالط بياضها سواد، والشقراء التي في رأسها بياض. ويقال لذكر العقاب الغرَن.

قال غطريف بن قدامة الغساني صاحب صيد هشام بن عبدالملك: وأول من لعب بالعقاب أهل المغرب، فلما عرفوا أسرارها نفذوها إلى ملك الروم، فاستدعى جميع حكمائه فقال لهم: انظروا في قوة هذا الطير وعظم سلاحه، كيف تجب تربيته، وتعرفوا أسراره في صيده وتعليمه، وكيف ينبغي أن يكون فأجابوا جميعاً بأن هذا الطائر دون سائر أجناسه، كالأسد في سائر الوحوش، وكما أن الأسد ملك، كذلك هذا ملك بين سائر سباع الطير. وعند العداوة والغضب، كل الأجناس عنده من سائر الحيوان، على اختلاف أنواعه واحد، لقوة غضبه وشدة بأسه، فهو لا يستعظم الآدمي ولا غيره من الحيوان.

ومما يحكى في ذلك أن قيصر ملك الروم أهدى كسرى ملك الفرس عقاباً وكتب إليه: إنها تعمل أكثر من عمل الصقور. فأمر بها كسرى فأرسلت على ظبي فاقتنصته. فأعجبه ما رأى منها فانصرف وجَوَّعها ليصيد بها، فوثبت على صبي له فقتلته. فقال كسرى: إن قيصر قد جعل بيننا وبينه دماً ثائراً بغير جيش. ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر نمراً وكتب إليه: إني قد بعثت إليك فهداً يقتل الظباء وأمثالها من الوحش، وكتم ما صنعت العقاب. فأعجب قيصر حسن النمر ووافق صفته ما وصف من الفهد، وغفل عنه فافترس بعض فتيانه فقال: صادنا كسرى.

ومن شأنها أنها لا تطلب شيئاً من الوحش الذي تصيده ولا تقرب إنساناً أبداً خوفاً من أن يطلب صيدها. ولا



تزال مرقبة على مرقب عال، وحالما ترى سباع الطير صادت شيئاً انقضت عليها فتهرب وتترك الصيد لها، لذلك قالوا في المثل الشعبي «أحسد من العقاب»؛ ذلك أن العقاب يخطف صيد غيره متى رآه. فإن جاعت لم يمتنع عليها الذئب في صيدها، وربما اغتالت البزاة فقتلتها، وبعضها من آكلات الحيوانات الميتة والجيف. ومن خصائص العقاب أنها أشد إخفاء لفراخها من سائر الطير (القلقشندي ١٩٨٧، ج ١: ٦٠).

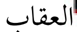
والعقاب تصيد الظباء والثعالب والأرانب. ولا تعجز عن صيد صغار حمر الوحش. وطريق صيدها إياها أنها إذا نظرته رمت بنفسها في الماء حتى يبتل جناحاها، ثم تخرج فتقع على التراب فتحمل منه ومن الرمل ما يعلق بهما، ثم تطير طيراناً ثقيلاً حتى تقع على هامته، فتصفق على عينيه بجناحيها فيمتلئان تراباً من ذلك التراب الذي علق بجناحيها، فلا تستطيع المسير بعد ذلك فيداركها القانص فيأخذها (القلقشندي١٩٨٧، ج١: ٥٩).

ويزعم الدميري أن العقاب إذا صادت شيئاً لا تحمله على الفور إلى مكانها، بل تنقله من موضع إلى موضع. ولا تقعد إلا على الأماكن المرتفعة، وإذا صادت الأرنب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار.

ولا تعاني العقاب الصيد إلا في الفرط، أي عند توافر الصيد، ولكنها تسلب كل صَيودٍ صيده. وإذا اجتمع صاحب الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي وصاحب العقاب لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العقاب. والعقاب طويلة العمر، وهي لا تحمل على نفسها في الكسب. وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت كانت بقرب كل شيء. وتتغدى بالعراق وتتعشى باليمن (كناية عن طول المسافة التي تقطعها في طيرانها خلال اليوم الواحد). وريشها الذي عليها هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف. وهي أبصر خلق الله. قيل لبشر أخي الشاعر بشار بن برد: لو خيَّرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان، أيَّ شيء كنت تتمنى أن تكون؟ قال: عقاب، قيل: ولِمَ تمنيت



عقاب تطارد أرنباً برياً

ذلك؟ قال: لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير (الجاحظ ١٩٨٨، ج٣: ١٨٢).

وعن استخدام العرب أنواع العقبان في صيد الأرنب، قال ابن أبي الطيب الباخرزي في مخطوطة له «فلما فرغنا، وبذلنا الوسع واستفرغنا، ثار عن الكمين أرنب مجدول كالسير، مستعار الأذن من العير، أربد الأهاب، طائش كالنار في الالتهاب. فألقى العقابي عقاباً، يوسع الوحش عقاباً، فلحق في الهواء على رسمه، ثم نزل على الأرنب كاسراً كاسمه، وانحدر إليه ومعه الحرب والويل، كجلمود صخر حطه السيل، وسحب على الأرنب نصول مخلبه، وما استمر سحبه، حتى قضى الأرنب نحبه» (التميمي ١٩٩٢: ١٠ و١٢).



ولله فتخاء الجناحين لقوة
توسد فرخيها لحوم الأرانب

تدريبه على الصيد

العقاب على الرغم من عزتها وشدة بأسها طائر قابل للترويض يؤدبه البيازرة فيتأدب، ويضرّونه على الصيد فيضرى، ويزجرونه فينزجر، ويربونه في البيوت، ويتخذونه لصيد فيألف ويأنس. والمختار من العقبان ما ضُرِّي ربيباً داجناً، أما الوحش فهو عسر الألفة، صعب الرياضة. وعقبان المغرب أصلب من عقبان المشرق وجهاً وأقوى منها صيداً. وسبيل تضرية العقاب الوحشي أن يرفق به غاية الرفق ويطعم إطعاماً جيداً إلى أن يألف ويأنس، ثم يضرى على الصيد. والأصل هو أن تراض العقبان على الظباء لأنها تهوى صيدها، ثم تليها الأرانب فالكراكي.

وتكون تضرية العقاب على صيد الكراكي بأن تقدم لها ميتة حتى تعتاد رؤيتها وتأكل من جيفتها، ولا يزال بها مربيها كذلك حتى تعرف صورتها وتثبت هيئتها من أي جهة رأتها. ثم يخرج بها إلى الفلاة ويطلقها على كركي، فإذا



صادته ذُبح بين رجليها وأشبعت منه. ثم تُراح يوماً ويُصاد بها يوماً آخر. وهكذا إلى أن تضرى على الصيد وتمرن عليه، وتغير لها المواضع في كل يوم حتى لا تألف مكاناً بعينه (الباشا ١٩٨٣: ١٣٧-١٣٨).

ذكره في مأثور القول والأدب

ورد ذكر العقاب كثيراً في كتب العرب وفي شعرهم ونثرهم وأمثالهم. من ذلك ما أورده القزويني في كتابه عجائب المخلوقات في ذكر الأحجار أن حجر العقاب حجر يشبه نوى التمرهندي إذ حُرِّك يسمع منه صوت. كما ذكر أيضاً أنه إذا قصد الإنسان عش العقاب ترمي إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع عنها، فكأنها عرفت أن قصده إياه لخاصيته. فمن خواصه أنه إذا علِّق على من بها عسر الولادة تضع سريعاً. ومن جعلت تحت لسانه فإنه يغلب الخصم في المقاولة ويبقى مقضي الحاجة. وهذا من المزاعم التي لا أصل لها وذكر الدميري أن العقاب يهرب من الصبر وإذا شمه غُشي عليه. وريش العقاب إذا دُخِّن به البيت ماتت حَيَّاته، ومرارته تنفع من الظلمة والماء الذي في العينين اكتحالاً.

وقال الدميري عن العقاب إن رؤيته في المنام لمن هو في حرب تدل على النصر والظفر على الأعداء، لأنها كانت راية النبي ﷺ. والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده. ومن رأى أنه ملك عقاباً أو نسراً وتحكم عليه نال عزاً وسلطاناً ونصرة على عدوه وعاش عمراً طويلاً. فإن كان الرائي من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفرداً لا يأوي إلى أحد، وإن كان ملكاً اصطلح مع الأعداء وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال، لأن أرياشها السهام. وهي أموال أيضاً، وصغارها أولاد زِنًا. وقال المقدسي: من رأى عقاباً ضربه بمخالبه ناله شدة في ماله. وأكل لحم العقاب يدل على الحرص. وربما دلت رؤيته على رجل صاحب حرب لا يأمنه قريب ولا بعيد. وإذا رؤي على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت. ومن ركب عقاباً في منامه وكان فقيراً نال خيراً، وإن كان غنياً أو من أشراف الناس فإنه يموت، لأنهم في الزمان المتقدم كانوا يصورون الميت من الأغنياء والأمراء على صورة عقاب. ومن رأت من النساء كأنها ولدت عقاباً اتصل ولدها بالملك في خدمة أو صراع والله أعلم.




ويضيف الدميري أن العقاب متى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها عيناً صافية بأرض الهند على رأس جبل فتغمسها فيها ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها. ثم تغوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة كما كانت. فسبحان القادر على كل شيء الملهم كل نفس هداها. وهذا أيضاً لا سند له من العلم وإنما هي مزاعم متوارثة.

ويضيف الدميري قائلاً أيضاً قال التوحيدي «ومن عجيب ما أُلْهمته العقاب أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ. وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها والطيور إلا قلوبها»، ويدل لهذا قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

ومنه قول طرفة بن العبد:

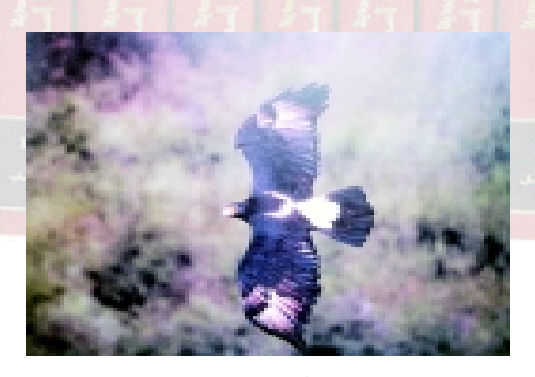
كأن قلوب الطير في قعر عشها
نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

ومن شأن العقاب أن جناحها لا يزال يخفق. قال عروة بن حزام:

لقد تركت عفراء قلبي كأنه
جناح عقاب دائم الخفقان

وفي الحقيقة أن العقاب كثير خفقان الجناح في طيره، إلا أنه يمكنه الانزلاق مع تيارات الهواء وجناحاه مبسوطتان دون خفقان.

ومما ورد عن العقاب في الأمثال قولهم «أبصر من عقابِ ملاع»، وملاع اسم للصحراء، وإنما قالوا ذلك لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال، ويقال أيضاً عقاب ملاع وهي السريعة، لأن الملع السرعة، ومنه يقال «ناقة ملوع ومليع»، وذكر أبو عمرو بن العلاء أن العرب تقول «أنت أخف يداً من عقيب ملاع»، وهي عقاب تصطاد العصافير والجرذان. وقالت العرب أيضاً «أحزم من فرخ عقاب». قال الجاحظ «العقاب تتخذ أوكارها في عرض الجبال، وربما كان الجبل عموداً، فلو تحرك إذا طلب الطُّعْم (أي فرخها)، وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما، أو زاد



جاء في المثل «أبصر من عقابِ ملاع»





كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحَشف البالي

في حركتـه شيئاً من موضع مجـثمه، لهوى من رأس الجبل إلى الحضيض، فهو يعـرف، مع صغره وضعفه وقلـة تجربته، أن الصواب له في ترك الحركة، فحزم أمره على ألا يتحرك». ومما قالته العرب أيـضاً عن العـقاب «أطير مـن عقـاب»، «أسمع من فـرخ عقاب»، «أمنـع من عقاب الجـو» ، «أمنع من عـقاب»، «وأعـز من عـقـاب الجو» (الميداني١٩٧٢: ١٥).

«وقد لاحـظ الشعـراء قوة فتـكها بفـرائسهـا، وطول عمـرها وقسـوتها وصلابتها، وسرعة تهاويها من مرقبها، ومطالـبتها الـشديدة للـفريسة، وشـدة خفقانها عند الطيران، ووقفتها الشامخة على قمـم الجبال، وهي تنفض الـندى المتساقط على ريشـها المتراكم الكثيف، وعلاقتهـا مع فراخها وحنوهـا عليها، فـصوروا ذلـك كلـه فـي أشعـارهم» (أبوسويلم ١٩٨٣: ١٧٧).

من ذلك ما عرفه بشار بن برد الشاعر من اهتزاز خوافي العقاب أثناء الـطيران وشدة اضطرابها عندما ترتفع في الجو، فشبَّه اضطراب قلبه وخفقانه من العشق المبرح باضطراب هذه الخوافي واهتزازها فقال:





العقاب شديدة الفتك بفرائسها

كـأن قـلـبـي بـبـقـايـا الـهـوى
معـلـق بـين خـوافـي عـقـاب

وقال أيضاً:

فجرت دموعي من تذكر ما مضى
وكأن قلبي في جناح عقاب

ويشبه امرؤ القيس فرسه بعقاب قد لاح لها في أرض قفرة ذئب، وكانت تشرف عليه، لأنها اتخذت لها مرقبة في قمة جبل عال، وعندما قربت منه وصارت فوقه، انصبت عليه من علو شاهق، كأنها دلو مملوءة تقطعت أسبابها، فانهارت بكل ثقل وقوة، وكأن العقاب الشقاء قد حل بالذئب. ثم يستطرد في رسم الصورة لهذا الصراع حتى يدرك نهايته. فالعقاب قد انقضت من السماء والذئب في الأرض وهو مطلوب. وعندما أدركته العقاب أنشبت مخالبها فيه، واستطاع الذئب أن يتخلص منها، فزاغ من تحتها بعد ما أصيب جنبه. وشرع يلوذ بالصخور التي تبللت بالماء، ولكنها استنجدت بتراب الأرض، فأخذت تعفره به فكان في لسانه وشدقيه



آثاره. ونجا الذئب في النهاية من الموت بعد أن كان منه قيد أنملة، وكتبت له الحياة وبقي يومه مختبئاً منها والرعب يملأ قلبه يترقب الليل عساه يستره فينجيه منها:

كأنها حين فاض الماءُ واحتفلت
صقعاء لاح لها بالقفرة الذيب
فأبصرت شخصه من فوق مرقبه
ودون موقعها منه شناخيب
فأقبلت نحوه في الجو كاسرة
يحثها من هويّ الريح تصويب
صبَّتْ عليه وما تنصب من أمم
أن الشقاء على الأشقين مصبوب
كالدلو ثبْت عراها وهي مثقلة
إذ خانها وَذْم منها وتكريب
لا كالذي في هواء الجو طالبه
ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
كالبز والريح في مرآهما عجب
ما في اجتهاد على الإصرار تعييب
فأدركته فنالته مخالبها
فانسل من تحتها والسدف معقوب
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت
منها ومنه على الصخر الشآبيب
ثم استغاثت بمتن الأرض تعفره
وباللسان وبالشدقين تتريب
فأخطأته المنايا قيد أنملة
ولا تحرز إلاّ وهو مكتوب
يظل منحجراً منها يراقبها
ويرقب الليل إن الليل محجوب

صقعاء: عقاب، شناخيب: رؤوس الجبال، كاسرة: منقضة، توصيب: ارتفاع، من أمم: من قرب، الوذم: السيور بين آذان الدلو والعراقي، تكريب: انحل كربها..

ويكرر امرؤ القيس هذه الصورة كلما أعاد تشبيه فرسه بالعقاب. فتراه يخيل إليه وهو على فرسه كأنه على عقاب لينة الجناحين، سريعة الاختطاف، حاذقة بالصيد وقد اعتادته، فهي تتخطف ذكور الأرانب الراتعة في البرية ضحى، وتتخفى منها الثعالب، فلقد عرفتها كاسرة شديدة البطش، وتجمعت في وكرها قلوب الطير، منها الرطب الذي اصطيد حديثاً، ومنها اليابس الذي اصطادته من أمد بعيد، فكأن القلوب العناب والحشف الجاف:

كأني بفتخاء الجناحين لقوة
صيود من العقبان طأطأت شملال
تخطف خزان الأنيعم بالضحى
وقد جحرت منها ثعالب أورال
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وعلى هذا النحو يحدثنا عبيد بن الأبرص عن عقاب أخرى كثيرة الصيد،





عقاب ذهبية تفترس ثعلباً

فتجمعت في وكرها قلوب طرائدها وجفت. كانت تلك العقاب على نشز تشبه عجوزاً قد ثكلت أبناءها. وفي يوم شديد برده كان الجليد يتحدر من ريشها أبصرت من بعيد ثعلباً يعدو مسرعاً تفصله عنها فلاة قفراء مجدبة. فنفضت ريشها وحركت جناحيها وطارت لتلحق به. وشعر الثعلب بالخطر المحدق به فتملكه الفزع فرفع ذنبه، وأخذ يبعث صوتاً ملئه الخوف، يقلب عينيه فَرَقاً. لكنها أدركته ورمته وظل الثعلب صيداً أصابه الكرب والشدة، إذ طرحته أرضاً وفتكت به. وكانت الأرض صلبة فكدحت وجهه ونالته بجروح. وظل المسكين يصيح ومخلبها في جنبه بعدما ثقبت صدره:

كأنها لقوة طلوب ... تيبس في وكرها القلوب

باقت على إرم عذوب ... كأنها شيخة رقوب



فـأصـبـحـت فـي غـداة قـر
يـسقط عـن ريـشـهـا الـضريـب
فـأبـصـرت ثـعـلـبـاً سـريـعـاً
ودونـه سـبـسـب حـديـب
فـنـفـضـت ريـشـهـا وولـت
وهـي مـن نـهـضـة قـريـب
فـاشـتـال وارتـاع مـن حـسـيس
وفـعـلـه يـفـعـل المذؤوب
فـنـهـضـت نـحـوه حثـيـثـا
وحـردت حـردة تـسـيـب
فـدب مـن خـلـفـهـا دبـيـبـا
والـعـين حـملاقـهـا مـقـلـوب
فـأدركـتـه فـطـرحـتـه
والـصـيـد مـن تحـتـهـا مـكـروب
فـجـدلـتـه فـطـرحـتـه
فـكـدحـت وجـهـه الجـبـوب
يـضـغـو ومـخـلـبـهـا فـي دفـه
لابـد حـيـزومـه مـنـقـوب

لقوة: عقاب، أرم: جبل، رقوب: لا يعيش لها ولد، قر: برد، الضريب: الجليد، سبسب: أرض بعيدة مستوية، أشتال: رفع ذنبه فزعاً، حسيس: صوت خفي، المذؤوب: الـذي روَّعه الذئب، جدلـه: طرحه، كـدحت: جرحـت، الجبـوب: الأرض، يضغـو: يصيـح، الدف: الجنب، الحيزوم: الصدر.

وقال دريد بن الصمة:

كـأنـي وبزي فـوق فـتـخاء لـقـوة
لـهـا نـاهض فـي وكرهـا لا تجانـبه
فبـاتت علـيه ينـفض الطـل ريشهـا
تـراقـب ليـلاً مـا تـغـور كواكـبه

البز: السلاح، الفتـخاء واللقوة: العقاب، الناهض: فرخ العقاب. وقال أبو بكر محمد بن داوود الأصفهاني:

ومـا يغـنى الـعـقاب عـيـان صيـد
إذا كـان الـعـقـاب بـلا جـنـاح

وقال آخر:

كـلـقـوة مـرقب تـرعـى صـقـورا
لـتأخـذ ما حـوت أيـدي الصـقـور

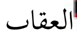
وقال ذو الرمة:

فلـما تجـلى اللـيل عنـها وأسـفرت
تنـفض حسـرى عن أحص مـناكبـه
رأت ثـعـلـبـاً مـن حرة فـهـوت له
إلـى حرة والمـوت عـجـلان كاربـه
فـخـر قتـيـلاً واسـتـمر بـسـحـره
وبـالـقـلـب يـدمي أنـفـه وتـرائبـه

وقال أبو خراش الهذلي:

كـأنـي إذ عـدوا ضـمـنـت بـزّي
مـن الـعـقـبـان خـائـتـة طـلـوبـا
جـريـمـة نـاهـض فـي رأس نـيـق
تـرى لعـظام مـا جمـعت صـلـيـبـا

الجريمة هنا: الكاسب، يقال: فلان جريمة أهله أي كاسبهم، والعقاب جريمة فرخها، والناهض: فرخ العقاب، والنيق



(بالكسر) أرفع موضع في الجبل، والصليب: الورك

وقال السيد الحميري:

فخر من السماء له عقاب
من العقبان أو شبه العقاب

فطار به فحلق ثم أهوى
به للأرض من دون السحاب

وقال صخر الغى الهذلي:

ولله فتخاء الجناحين لقوة
توسد فرخيها لحوم الأرانب

وقال المتنبي

يهز الجيش حولك جانبيه
كما نفضت جناحيها العقاب

وقال السموأل بن عاديا:

طمراً تزلق العقبان عنه
إذا ما نابني ضيم أبيت

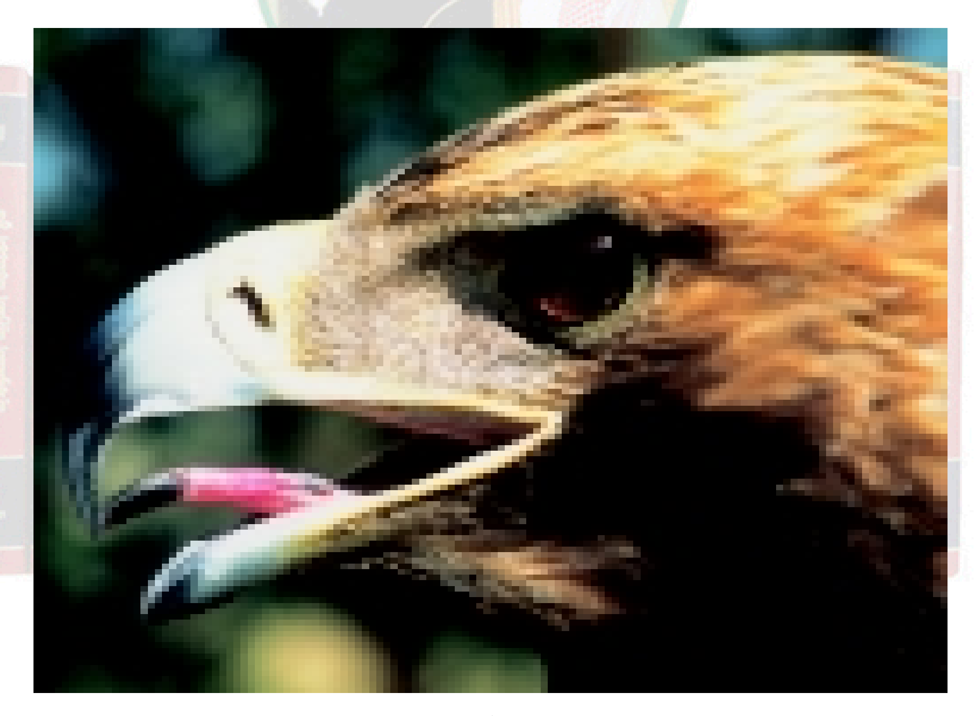
وقال الناشئ الأكبر عن صيد الظباء بالعقاب:

فعن لنا من جانب السفح ربربٌ
على سنن تستن فيه الجآذر

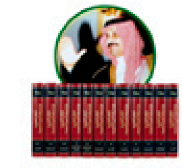
فجلى وحلت عقدة السير فانتحى
لأولها إذ أمكنته الأواخر

يحث جناحيه على حر وجهه
كما فصلت فوق الخدود المعاجر

فما تم رجع الطرف حتى رأيتها
مصرعة تهوي إليها الخناجر



جاء في المثل «أمنع من عقاب»

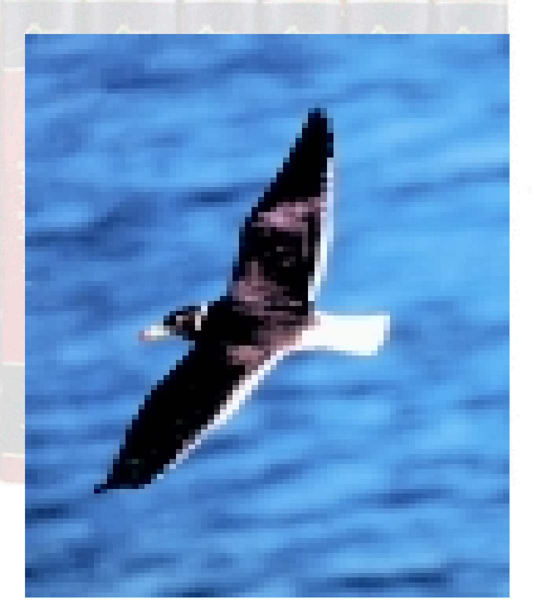


عن: بدا، الربرب: القطيع من الظباء، تستن: تسير في طريقها، المعاجر: جمع معجر وهو ما تلوثه المرأة حول رأسها.

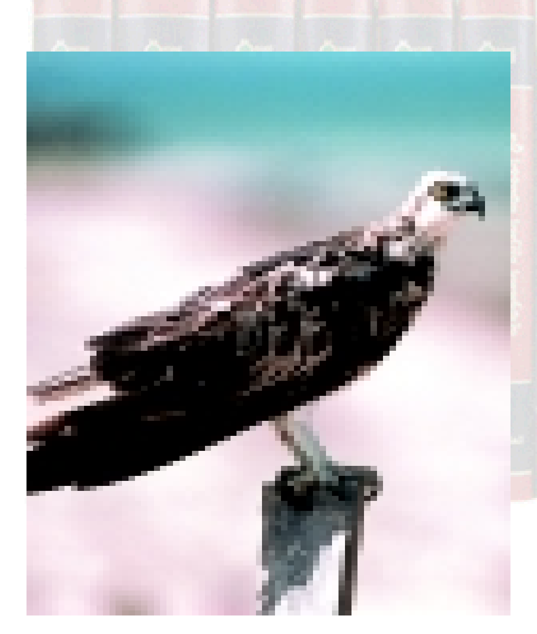
الزمَّج

عده الدميري أحد نوعي العقاب وهو دون العقاب يصيد به الملوك. وهو يقبل التعليم ولكن ببطء. وأهل البيزرة يعدونه من خفاف الجوارح، وذلك معروف في عينه وحركته وشدة وثبه، ويصفونه بالغدر وقلة الوفاء والألفة لكثافة طبعه. ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض، والمحمود من خلقه أن يكون لونه أحمر. قال الجواليقي: الزمج جنس من الطير يصاد به، وقال أبو حاتم: إنه ذكر العقاب والجمع الزمامج. وقال الليث: الزمج طائر دون العقاب، حمرته غالبة تسميه العجم دوبرادران. وترجمته أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه، فهو مركب من دو: اثنان، وبرادر: أخ.

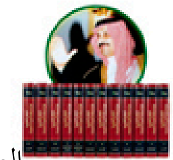
وقيل إن أجود أصناف الزمج ما كان أحمر الريش أسود العينين متوسط الحجم، أما الكبير فما وجد فيه فاره أبداً. وهو يجمع شيئاً من خصائص البازي وخصائص العقاب. فيتلقف الطائر في الجو كما يتلقفه البازي، ويصيد على وجه الأرض كما يصيد العقاب.



زمَّج الماء



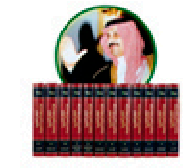
عقاب السمك




والعامة تقلب لفظ الزمَّج فتقول فيه جُمَّز، وقد يقال أيضاً زُمجَّة و زمجي. وهو غير النوع المعروف بزمج الماء، وقد عده صاحب المصايد والمطارد صنفاً من الجوارح قائماً بذاته. أما الجاحظ في الحيوان، والقلقشندي في صبح الأعشى، والدميري في حياة الحيوان، والنويري في نهاية الأرب فصنفوه من العقاب. أما ابن سيده في المخصص، وابن منظور في لسان العرب، فجعلاه ذكر العقبان، وذهب هذا المذهب صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب.

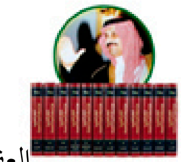
والزمج جارح من جوارح الفرس، فهم أول من ضراه على الصيد واصطاد به. ذلك أن أزدشير أحد ملوكهم هو الذي عرف شأن الزمج، حيث قايس بينه وبين البازي وأدرك ما بينهما من شبَه، فضراه وصاد به. والعجم تنتقص من قدر الصائد الذي لا يصيد بالزمج وتصفه بقلة الخبرة في الصيد. وألوان الزمج هي الأحمر والأصفر والإسبهرج، وفيها ما يضرب إلى السواد. ويحمد البيازرة من الزمج ما ضري داجناً، فهو يكون أكثر دربة وأوفى ذكاء وقدرة. أما ما قرنص وحشياً فهم لا يحمدونه. ويضرى الزمج كما تضرى العقاب، غير أن الزمجة أرق، وسبيلها أن يرفق بها إلى أن تجرد وتطلق للصيد، وهي تصيد الكركي بلا كبير عناء (الباشا ١٩٨٣ : ١٤٠).

وهناك نوع آخر من الزمج يدعى زمَّج الماء وهو الذي يسمى بمصر النورس، أبيض اللون في حجم الحمام أو أكبر منه قليلاً، يعلو في الجو ثم يزج بنفسه في الماء، ويختلس منه السمك. وهو لا يقع على الجيف، وحكمه حل الأكل بخلاف بقية الجوارح. وقد أورد الباشا وهماً في كتابه الصيد عند العرب (الباشا ١٩٧٤ : ١٤٠-١٤١) أن اليابانيين يستخدمون هذا الجارح في صيد السمك، فهم يربطونه بخيط متين يشدون نهايته إلى مكان ثابت في المركب، ثم يطلقونه فيسقط على السمك ويمسكه بمنقاره، ثم يعود إلى المركب فيأخذ صاحبه السمكة من فمه، ثم يدفعه إلى البحر ثانية، وهكذا دواليك حتى يستكفي، ثم يطعمه جزءاً مما اصطاده. والحقيقة أن ما يستخدمه اليابانيون في صيد الأسماك طائر من نوع آخر بعيد عن نوع زمج الماء أو النورس، وهو طائر الغاق أو غراب البحر الأسود. وهناك نوع من غراب



البحر، هو غراب البحر السوقطري، يوجد منتشراً بكثافة عددية كبيرة على الخليج العربي وجزره. وحريٌّ بالصيادين العرب أن يستخدموه لصيد السمك، لأنه صياد بارع، يعتبر وسيلة عالية الكفاءة قليلة المجهود في صيد الأسماك البحرية.

وذكر الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى قصة تدل على فطنة الزمج وشرفه وعلو همته، وقد حكاها عن القاضي أبي علي التنوخي، قال: حدثني أبو الفتح البصروي، قال: حدثني بعض أهل الموصل ممن كان مغرماً بالصيد وطلب الجوارح، قال: إن صياداً من أهل أرمينية وتلك النواحي حدثه، قال: خرجت إلى الصحراء يوماً فنصبت شبكتي وجعلت فيها طائر مستأنساً، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني. وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شيء من البزاة أو الصقور أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته. فلما كان قريباً من الظهر، وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة. فلما رأتها نفرت وترجلت قريباً منها فجلست على الأرض ساعة، فإذا بعقاب جائز، فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعاً، وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمج قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزايله إلى أن صادته وجاءت به فنسرته وصار لحماً وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها. فلما فنى اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها. فزاف ثانية فضربته أشد من الأولى. فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك. ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت. فتعجبت من نفورها من الشبكة وقلت هي كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة. ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم أنها منعت العقاب من سفادها، وأنها أطعمته من صيدها، ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألح عليها. وطمعت في أن أصيدها لأصيد بها ما لا قيمة له. فبت ليلتي في ذلك الكوخ. فلما كان من الغد فإذا هي قد ترجلت قريباً من الشبكة في مثل ذلك الوقت فنزل إليها عقاب فجلس معها. وعَنَّ لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثاني كما جرت مع العقاب الأول سواء بلا اختلاف البتة. وطارت فزاد تعجبي وحرصي عليها، وبت ليلتي الثانية في الكوخ. فلما كان في اليوم الثالث فإذا بها قد ترجلت على الصورة والرسم. وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الحلة وحشى الريش قد ترجل. فما مضت ساعة حتى




عَنَّ لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحيه ضربة كاد يقتلها. ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها. ولم يذق منه شيئاً حتى أكلت الزمجة واستوفت، ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفنى. فزاف عليها فزافت له ولم تمنعه. فزاف الثانية فركبها فمكنته حتى سفدها ثم طارا معاً.

وعن خواص الزمج «إدمان أكل لحمه ينفع من خفقان القلب، ومرارته إذا جُعلت في الأكحال، نفعت من الغشاوة وظلمة البصر نفعاً بليغاً، وزبله يزيل الكلف والنمش طلاءً».

ومما ورد في الشعر العربي عن الزمج قول أبي الفرج الببغاء في وصفه:

يارب سرب آمن لم يزعج
غاديته قبل الصباح الأبلج
بزمج أدلق حوش أهوج
مضبر المنكب صلب المنسج
ذي قصب عبل أصم مدمج
وجؤجؤ كالجوشن المدرج
وعنق سام طويل أعوج
ومنسر أقنى فسيح مسرج
منخرق المدخل رحب المخرج
ومقلة تشف عن فيروزج
ناظرة من لهب مؤجج
وهامة كالحجر المدملج
ومخلب كالمعول المعوج

أدلق: سريع الانقضاض، والحوش: القوي، والمضبر: المكتنز، والعبل: الضخم الغليظ، والجؤجؤ: الصدر، والجوشن: الدرع. وقال الناشئ الأكبر:

أعددت للندمان صيد زمج
عبل السراة ذي قوام عسلج
كأنه في قرطق مدبج
بين ذناباه وبين المنسج
ريش كمثل الحبك المزبرج
يدف فعل العائم المدلج
حجن خطاطيف بكفي أهوج
تظنها مخلوقة من عوسج
ذي منسر كقرن ظبي أدعج
وساق هقل خاضب مضرج
أطلقته في يوم دجن مبهج
فرحت بشر بعيش رهوج

السراة: الظهر، وعسلج: الغصن الناعم، والحبك: من الشعر المتجعد، والمزبرج: المزين بالوشى أو الذهب، والحجن: جمع الأحجن، وهو الأعوج، والهقل: الظليم وهو ذكر النعام، والخاضب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، والرهوج: السهل اللين.



البواشق

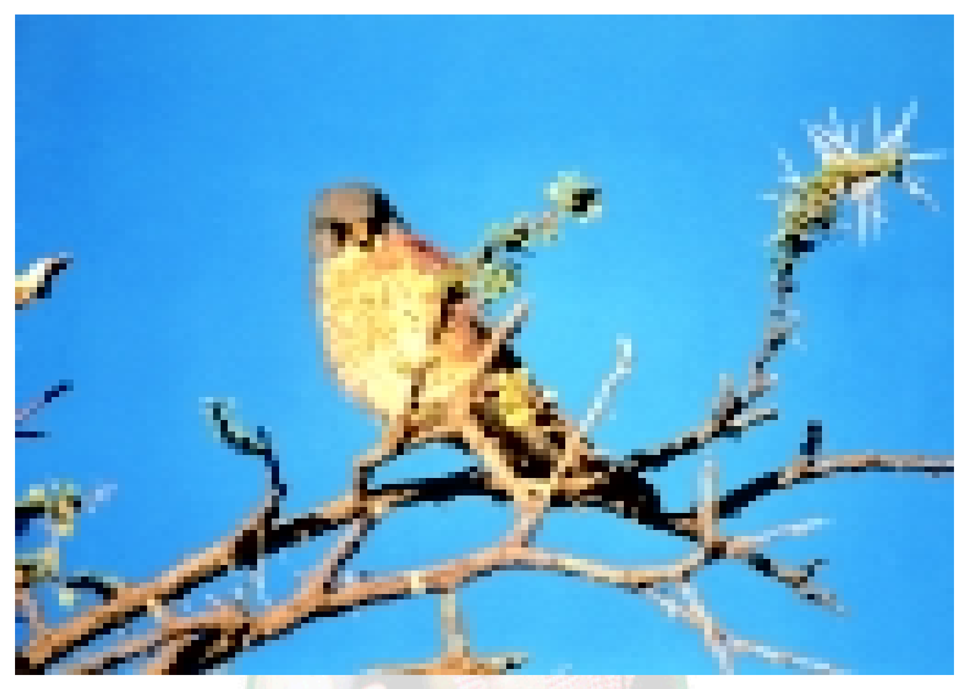
الباشق

صفاته وسلالاته. اتفق كشاجم في كتابه المصايد والمطارد والدميري في كتابه حياة الحيوان والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى والنويري في كتابه نهاية الأرب على أن الباشق صنف من أصناف البزاة. وشاركهم في قولهم هذا صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب، ولكن جعله صاحب البيزرة جارحاً مستقلاً بنفسه، وقدمه على سائر الجوارح بما فيها البازي، مخالفاً بذلك جميع مؤلفي كتب البيزرة الذين لا يقدمون على البازي جارحاً من الجوارح. والباشق لفظ أعجمي معرب (الباشا ١٩٨٣ : ١١٣).

طائر يصاد به، أصفر العينين، أخضر الرجلين، أصغر حجماً من البازي، ومن أسمائه الطوط، الجمع طيطان، والعلاَّم. قال الدميري: وكنيته أبو الآخذ، وهو حار المزاج يغلب عليه القلق والزعارة، يأنس وقتاً ويستوحش وقتاً، وهو قوي النفس، فإذا أنس منه الصغير بلغ صاحبه من صيده المراد، وهو خفيف المحمل ظريف الشمائل يليق بالملوك أن تخدمه، لأنه يصيد أفخر مما يصيده البازي، وهو الدراج والحمام والورشان، وهو كثير الشبق، وإذا قوي عليه صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما. وأحمد صفاته أن يكون صغيراً في المنظر، ثقيلاً في الميزان، طويل الساقين قصير الفخذين.

ويستخدم الباشق المدرب بنجاح كبير في صيد السمانى في المناطق الساحلية من تركيا وسورية. وهو أصغر حجماً من البازي وأقل وزناً حيث يزيد وزن البازي عنه بحوالي ٣ مرات، إذ يبلغ وزن البازي ثلاثة أرطال ونصف الرطل، ولا يزيد وزن الباشق عن ١٣٠ درهماً (الرطل ١٤٤ درهماً). وهو ألطف من البازي وأقرب منه إلى الألفة، وهو أخف





الباشق،صقر العصافير

الجوارح طيراناً، وأسرعها نهوضاً، وأصغرها جثة، بيد أنه قلق يأنس حيناً ويستوحش حيناً آخر، وهو يشارك البازي في حدة المزاج وقوة النفس. وهو حسن الصورة، خفيف المحمل، حلو الشمائل، يليق بالملوك، والعامة في مصر والشام تطلق عليه اسم السَّاف (الباشا ١٩٨٣: ١١٥).

قال فيه الشاعر:

أخفُّ القوانص جسماً وروحاً
وأجمَعُها لأُمورٍ أمُورا
وأكرمها باشق حاذق
يساوي البزاة ويشأى الصقورا
يقلب عينين ياقوتتين
ترى التبر حولهما مستديرا

يبلغ طول الباشق من ٢٨ إلى ٣٨سم (طول الذيل من ١٣ إلى ١٧سم)، والمسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٥٥ إلى ٧٠سم. قريب في حجمه من القيمي والأنثى أكبر حجماً من الذكر بحوالي ٢٥٪. صقر باطش متهجم شديد الاندفاع، له جناحان قصيران مدوران. وذيل طويل مربع الطرف. عندما يطير يخفق بجناحيه في ضربات سريعة متلاحقة. لون السطح الظهري رمادي داكن في الذكر، وبني غامق في الأنثى،



السطح البطني في الطير اليافع أفتح لوناً بشكل واضح، مع تخطيط متقارب بخطوط برتقالية في الذكر وبنية في الأنثى، والذيل مخطط بخطوط متباعدة. تلاحظ غالباً بقعة بيضاء مشكلة ما يشبه الحاجب فوق العين في الأنثى. الجنسان غير متشابهين. لا توجد تغيرات فصلية في الشكل.

يبلغ متوسط طول العمر في الباشق من سنة إلى ٤ سنوات، وقد سجلت حالة طائر حجّل عاش لمدة ١١ سنة و٧ أشهر.

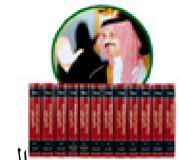
عند طيرانه فوق المناطق المفتوحة، أو عند قيامه بالصيد، يخفق بجناحيه خفقات سريعة متتالية تتخللها انزلاقات قصيرة، كما يُحوِّم في دوائر صغيرة، وجناحاه مفرودان ممتدان إلى الأمام قليلاً، والذيل غالباً مقفل، ولكنه أحياناً يفرد ريش الذيل بشكل مروحي، خصوصاً عند بداية التحويم. يجذب غالباً العصفوريات بمثل طيرانه هذا. وعندما يصطاد فإنه يطير على ارتفاعات منخفضة فوق الأشجار والنباتات، ويهاجم الطيور الصغيرة بأسلوب المباغتة والانقضاض المميز لجنس البزاة. يطير للصيد في مسارات منتظمة منتقياً فرائسه من مجتمعات الطيور الصغيرة. يتجنب عادة المناطق المأهولة بالسكان على الرغم من كثرته في أراضي المزارع، وكثيراً ما يرى محوماً فوق منطقة تعشيشه. يطير منفرداً معظم العام حتى أثناء الهجرة، إذ نادراً ما يطير في أسراب. ويكون أكثر انتشاراً خلال الشتاء.

وهو طائر نشيط الطيران، يغطي عادة دائرة قطرها من ٢ إلى ٣كم يومياً، ويصعد عالياً فوق قمم الأشجار في استعراض، وأحياناً يحوِّم فوق منطقة تعشيشه أو يقطع مسافات أطول. دائم الشك والخوف من الإنسان.

في سلالات أوروبا وشمالي غرب أفريقيا يكون السطح الظهري في بعضها رمادياً داكن اللون، وفي بعضها الآخر يكون أفتح ضارباً إلى الزرقة.

يكون السطح البطني في الذكر البالغ مخططاً بخطوط متقاربة ذات لون محمر صدئ، ويظهر برتقالياً متجانساً من على البعد. كواسي تحت الجناح أكثر بياضاً، ومخططة بخطوط متقاربة. ريش الطيران لونه أصفر برتقالي مبيض جيد التخطيط. الذيل رمادي اللون عليه من ٤ إلى ٥ خطوط ويستدق في اتجاه الطرف الأبيض. كواسي تحت الذيل بيض اللون.

الأنثى البالغة أضخم جسماً من الذكر، ولون السطح الظهري فيها بني




داكن أو رمادي بني. ويوجد في بعض الإناث بقعة بيضاء في مـؤخرة الرأس. السطح الـبطني مخطط بالـبني وأحياناً يكون محمراً صدئ اللون على الكفلين، وتحت الجناحين مخطط بوضوح.

أما فـي السـلالة الـكورسيـكيـة والسرديـنية فالجـنسان أصغر حـجماً وأدكن لونـاً على السـطح الظهـري، وأكثف تخطيطاً على السطـح السفلي أو البطني.

ويمكن أن يحدث التباس في التمييز بين أنثـى الباشق الكبـيرة الحجم وذكر البازي الصغير الحجم، ولكن يمكن تمييز الباشق عن البازي بكـونه أصغر حجماً وأنحف قواما، خصوصاً عند الصـدر، وأجنحته أقل طولاً، وذيله مربع النهاية لا مستديـرها كما في البازي، كـما أن خفقان أجنحته أسرع في مـعدله مما هو عليه في البازي.

ويمكن تمييز الباشق من القيمي بأن أطراف جناحي الباشـق ليست سوداء وخطوط ذيله أقـل عدداً مما هي عليه في الـقيـمي (٤ إلى ٥ خـطوط في الباشق، ٦ أو أكثر في القيمي) مما يجعل السطح السفلي لذيله يظهر أكثر شحوباً في اللون أي أفتح لوناً مما هو عليه في القيمي.

ويتغذى الباشق غالـباً على الطيور الصغيرة. ويعتمد في طريقة صيده على طريقة المباغتة فيكمن في مكان غير ظاهر حتى تمر بقـربه فريسة فيطير منـخفضاً متـخذاً طـريقاً مـتعـرجاً يسـتتر فـيه بالتضـاريس الأرضية لمسافـات قصيرة تتخللها وقفات لعدة دقائق في كل مرة. ثم يطير بسرعة منخفضاً أيضاً إلى الموقف التالي ويكون ذلك عادة لمسافة تتراوح من ٥٠ إلـى ١٠٠م في كـل مرة إما داخل الأشجار الـكثيفة أو منتقـلاً من بقعة شجـرية إلى بقعة شجرية أخـرى بعدها، ثم ينقض على الفريسة فيمسكها وهي جاثمة أو محلقة في الهواء، ويتم ذلك أحيانـاً بعد مطاردة طويـلة. وإن حلقت الفريسة عالياً فإنه كثيراً ما ينقلب طائراً على ظهره ويقنصها من أسفـل، وإن اختفت داخل أكمة شجـرية، فقد يتبـعها ماشـياً على قدمـيه كما يـطير منخفضاً على جانبي صفوف الأشجار والشجيرات أو الجداول المائية أو المباني متنـقلاً من جانب إلى آخـر بالتبادل، مستعداً للانقضاض على أي طائر يوجد داخل دائرة بصره.

ويقـبض على الـفرائس الـصغيرة الحجم بمخالب قدم واحدة أثناء طـيرانه ويقبض على الفرائـس الكبرى بمخالب

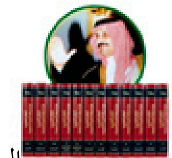


القدمين معاً. وغالباً لا يقتل الفريسة الكبيرة الحجم عندما يقبض عليها بمخالبه ولكنها لا تلبث أن تنفق بعد فترة أثناء قيامه بتمزيقها والتهامها. وأحياناً يحلق إلى ارتفاعات عالية ثم ينقض منحدراً بسرعة على فريسته التي تطير أسفل منه. ويأكل فريسته في مكان مغطى بالأشجار، وهو جاثم على فرع شجرة مكنون أو في عش قديم. ولا يأكل من الطيور الكبيرة الأقدام والمنقار وحزام الكتف وعظم القفص، وأحياناً يرمي بالأمعاء ولا يأكلها.

يصطاد عادة في الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق والمناطق المفتوحة وحول المزارع والقرى وضواحي المدن. وتفضل الذكور عادة الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق، أما الإناث فتفضل الحقول والمناطق المفتوحة. تصطاد الذكور فرائس متوسط وزنها ٤٠جم، وأحياناً يصل وزنها إلى ١٢٠جم، أما الفرائس التي تقنصها الإناث فيكون وزنها في المتوسط ١٥٠جم، وأحياناً تصل إلى ٥٠٠جم أو يزيد.

ويقنص الجنسان تقريباً كل أنواع الطيور التي يجعلها شكلها أو سلوكها واضحة ظاهرة سهلة القنص. وقد سجل ١٢٠ نوعاً من الطيور يفترسها الباشق معظمها طيور بالغة أو يافعة، والقليل منها أفراخ أو جيف. وأحياناً يفترس الثدييات الصغيرة، ونادراً جداً ما يأكل بعض أنواع الحشرات من رتبة غمدية الأجنحة (الخنافس والجعلان) ورتبة مستقيمة الأجنحة (الجراد والنطاط). وربما قتل السحالي والعظايا لكنه لا يأكلها. وقد وجدت بقايا نباتات أحياناً في قوانص بعض هذه الطيور ربما تكون من بقايا فرائسها. وتشكل العصافير، خاصة العصفور الدوري أو المنزلي، نسبة عالية من فرائسها قد تصل في بعض المناطق إلى ٤٠٪. ويعتبر العصفور الدوري أو المنزلي من أهم فرائسها في وسط أوروبا، ويقل عن ذلك في شمال أوروبا وبريطانيا.

ومن الأنواع الكبيرة الحجم التي يفترسها، خصوصاً في الشتاء، أنواع الحمام والقنابر والقطا والحجل والدراج. ومن الثدييات سجل ١٧ نوعاً يفترسها الباشق أكثرها من جرذان الحقول والزبَّابات والأرانب البرية الصغيرة وابن عرس والخلد والفئران والجرذان والسناجيب والخفافيش. ولا تشكل الثدييات إلانسبة ضئيلة من الغذاء (حوالي ٣٪)، إلا حيث تتوافر الفئران بكثرة فتزداد نسبتها بين الفرائس.




ويحتاج الذكر البالغ إلى وجبة قدرها من ٤٠ إلى ٥٠جم في اليوم، وتحتاج الأنثى البالغة إلى وجبة تتراوح بين ٥٠ و٧٠جم يومياً.

مواطنه وهجرته. ينتشر في مناطق الغابات على جميع الارتفاعات خصوصاً في الأجواء الباردة، ممتداً من منطقة البحر المتوسط، مروراً بالمناطق المعتدلة إلى المناطق الشمالية الباردة، فالمناطق تحت القطبية. وينتشر في شرق أوروبا وغرب آسيا في ألبانيا ورومانيا واليونان وسوريا وفلسطين والعراق. ويفضل لتعشيشه مناطق الغابات الصنوبرية الكثيفة الجيدة غير المتدهورة، وكذلك الغابات الصنوبرية المختلطة مع الأشجار المتساقطة الأوراق، وقليلاً ما يوجد في الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق. يصطاد في المناطق ذات النباتات والأشجار الكثيفة، التي تتيح له التخفي ثم الانقضاض على الطيور الصغيرة. وليس في المناطق الجافة أو الأراضي الرطبة أو الجبلية، إلا إذا توافر فيها الغطاء النباتي الذي يرغبه.

وقد نقصت أعداده نقصاً شديداً في إنجلترا وفرنسا والبرتغال، التي يكاد يكون قد انقرض منها تماماً، وكذلك في إسبانيا وبلجيكا ولوكسمبورج وهولندا وألمانيا والدانمارك والنرويج والسويد وفنلندا وبولندا والتشيك وسلوفانيا والمجر وسويسرا وإيطاليا وجزر سردينيا وسيشل ورومانيا ودول الإتحاد السوفيتي السابق وماديرا وجزر الكناري. وقد تصل النسبة المئوية لانخفاض الأعداد في بعض هذه المناطق إلى ما يزيد عن ٨٠٪ أي أنه أصبح مهدداً بخطر الانقراض فيها.

وهو شديد الحساسية لفعل مبيدات الآفات، التي قد توجد بقاياها في الفرائس التي يأكلها من الطيور التي تتغذى على حبوب النباتات المرشوشة بهذه المبيدات. وقد تعرضت أعداده إلى نقصان شديد بسبب مبيدات الآفات، فنقصت لموت الطيور البالغة، وانخفاض معدل وضع البيض، وانخفاض معدل الفقس لأن قشرة البيضة تصبح أرق، ولا يستكمل الجنين نموه فيها.

الطيور الموجودة في المناطق الشمالية مهاجرة، أما التي في المناطق الجنوبية فلا تهاجر، وبعضها يبقى مقيماً في موطنه، وبعضها ينتشر منه دون هجرة وتهاجر الطيور إلى جنوب أوروبا ووسط روسيا وشمال البحر الأبيض المتوسط وجزر البحر الأبيض (كورسيكا، قبرص، سردينيا)، وشمال وشمالي شرق



إفريقيا والشرق الأوسط. والطيور اليافعة أكثر ميلاً للهجرة من الطيور البالغة، والذكور أكثر ميلاً للهجرة من الإناث. تهاجر الطيور عبر مضيق جبل طارق ومضيق البوسفور، حيث تصل ذروة هجرتها في أواخر شهر سبتمبر والنصف الأول من شهر أكتوبر، أي بعد أسبوعين من هجرة البيدق. وتعود إلى المنطقة أثناء رحلة العودة في أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل.

الطيور المتوطنة في انجلترا مقيمة لا تهاجر لكنها تنتشر إلى مسافات قصيرة، ويحدث معظم هذا الانتشار خلال تسعة الشهور الأولى التي تمر بعد استقلال الصغار عن أبويها. أما الطيور البالغة فمقيمة جميعها غالباً لا تنتشر ولا تهاجر. وتمر أعداد صغيرة أو متوسطة من الطيور الشمالية مهاجرة من مواطنها إلى إفريقيا عبر مضيق جبل طارق وقنال سيشل وتركيا. وهي الطيور التي تزور غابات السودان عادة في الشتاء، ويصل القليل منها إلى أثيوبيا. وقد سجل وجود الطيور بأعداد قليلة جداً أحياناً في الصحراء الليبية وفي كينيا وتانزانيا.

سلوكه وتزاوجه. يعيش الباشق أكثر ما يعيش منفرداً ولكنه خلال فصل التزاوج يتخذ له منطقة تعشيش يذود عنها، كما يصيد منفرداً أيضاً. وعند توافر الفرائس يفضل كل طائر عدداً قليلاً من الأماكن مركزاً لنشاطه لكنه لا يحميها من الطيور الأخرى، حيث يمكن أن يصيد عدداً من الطيور في منطقة واحدة، ويكون ذلك عادة في أوقات مختلفة من اليوم. وعند توافر الفرائس يشترك في الصيد طائران معاً في الوقت نفسه. وسجلت حالات لذكر وأنثى يصطادان معاً، لكن لا يوجد دليل على حدوث تعاون بين الزوجين في إتمام عملية الصيد، أي أن كلا منهما يصيد مستقلا عن الآخر.

يصل مدى منطقة انتشار هذه الطيور إلى ما بين ١٦٧ و٥٤٦ هكتاراً للذكر في المناطق الجيدة الغذاء، وللإناث ما بين ٤٦١ و١٦٧٦ هكتاراً. وتبقى الطيور في المكان نفسه لعدة أيام ثم تنتقل إلى مكان آخر داخل منطقة انتشارها. وتتركز الإناث حول النقاط التي يبدأ عندها عبور البحار وتطير الطيور منفردة أثناء الهجرة، وربما تختلط مع أنواع أخرى مهاجرة مثل الغربان أو البيدق.

الذكر أحادي الزوجة يرتبط بأنثى واحدة لفصل تزاوج واحد على الأقل. وإذا مات أحد الزوجين فإن الزوج الآخر يستبدل به زوجاً جديداً في الموسم

نفسه. ومن الأكثر شيوعاً أن يتفرق الزوجان بعد موسم التزاوج ولا يستمر الارتباط بينهما لعدة مواسم، وإذا حدث هذا فيكون في منطقة التعشيش نفسها.

يبدأ تكوين الأزواج قبل وضع البيض بحوالي ٣ شهور. وقد سجل عدد قليل من الحالات اتخذ فيها الذكر أنثيين في الوقت نفسه، استخدمتا عشاً واحداً في بعض الحالات واستخدمتا عشين منفصلين في حالات أخرى. ويتم التزاوج في السنة الأولى من عمر الطائر ويحدث هذا في الذكور بنسبة تتراوح بين ٦٪، ٥٠٪ حسب المناطق التي تعيش فيها، بينما يحدث في الإناث بنسبة أقل تتراوح بين ٤٪-٢٦٪. ويميل الذكر إلى أن يتزاوج مع أنثى من نفس عمره.

وعلاقة الأبوين بالأفراخ هي نفس العلاقة التي تميز جنس البزاة، لكن المهام موزعة بين الأبوين توزيعاً أكمل مما هو عليه في البازي، فالذكر هنا يقوم بإحضار كل الطعام المطلوب لكل عائلته أو معظمه، ويستمر على ذلك الوضع حتى تنمو الفراخ نمواً جيداً (أي يصل عمرها إلى ٣ أسابيع)، وتساعد الأنثى في إحضار الطعام بعد ذلك، ولكنها لا تطير لإحضار الطعام بعيداً عن منطقة تعشيشها قبل أن ينبت للصغار ريش الطيران. ويختلف هذا الوقت فقد يكون بعد ١٢ يوماً فقط من فقس البيض أو يزيد على ذلك كثيراً. ولا يتعامل الذكر بشكل مباشر مع الصغار حتى لو فُقِدت الأم، فإطعام الصغار تقوم به الأم وحدها. ولا يزور الذكر العش إلا نادراً، وعادة يكون ذلك في غياب الأنثى عن العش. وتستمر علاقة الأبوين بالفراخ لمدة ٣ إلى ٤ أسابيع بعد أن ينبت للصغار ريش الطيران، ثم قد ترعى الأم أفراخها اليافعة رعاية تامة أو يرعاها الذكر.

والعلاقة بين الفراخ أكثر تراحماً مما هي عليه في البازي. والفرخ الذي ينفق تأكله الصغار الأخرى أو الأم. كما تقتل الأنثى أيضاً الفرخ القزم الذي لا يكبر. وتغادر الفراخ الذكور العش قبل الإناث، وتنتشر خلال ٢ إلى ٣ أسابيع (مقابل ٣ إلى ٤ أسابيع في الإناث) بحيث يذهب كل طائر منها مستقلاً إلى طريق. وفرخ الباشق الذي يؤخذ من وكره يسمى الغطراف. وأنثى الباشق تسمى الفويسقة، وقيل إن الفويسقة هي صغاره لا أنثاه (الباشا ١٩٨٣: ١١٥).

تتخذ الأزواج أعشاشها مستقلة متباعدة بمسافة كبيرة. وأقل مسافة



سجلت بين العشوش كانت ٣٠م، ولكن سجلت مسافة ٢٢م بين عشين لأنثيين لذكر واحد. ويشغل كل زوجين من الطيور عشاً خاصاً داخل منطقة تعشيش يذودان عنها فلا يغشاها غيرهما. وقد يبقى الزوجان في منطقة تعشيشهما عاماً بعد آخر بل قد يتوارثها الأبناء.

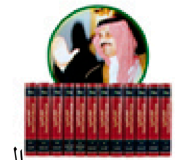
يقوم الذكر أثناء التعشيش بإحضار الطعام المطلوب كله لمدة ٧ إلى ٨ أيام في البداية، ثم يقل معدل إحضاره للطعام، حيث تبدأ الأنثى في ممارسة الصيد، وإحضار بعض الطعام بنفسها. وفي أواخر فترة التعشيش، يتساوى الذكر والأنثى في معدل إحضارهما للطعام إلى العش. ويقوم الذكر بتمزيق الفريسة عادة، وإن لم يمزقها مزقتها الأنثى، حيث تمسكها بقدميها ثم تمزِّقها مبتدئة برأسها، ثم تقطع قطعاً صغيرة من اللحم، تضعها في أفواه أفراخها بالتناوب. ويأكل الصغار في البداية العضلات الحمراء، أو بعض الأحشاء مثل القلب والكبد والرئتين، ثم عندما تكبر تأكل الأجزاء الأخرى أيضاً. وعندما يكبر الصغار وتبدأ في الأكل مستقلة بنفسها يمكن للواحد منها أن يأكل فريسة كاملة بمفرده.

ويستعرض الذكر والأنثى فوق منطقة التعشيش عادة، ويكون الاستعراض لإظهار السيادة على منطقة التعشيش، كما يكون أيضاً للغزل ودعوة الجنس الآخر استعداداً للتزاوج. وتستعرض الإناث أنفسها أكثر مما تستعرض الذكور، وكما هي حال البازي يظهر الطائر المستعرض ريش كواسي ما تحت الذيل الأبيض اللون أثناء الطيران وأثناء الجثوم على فروع الأشجار العالية ويقوم بفرد الذيل ورفعه إلى أعلى من الخلف والترويح به.

ويتساقط ريش الطيور البالغة تساقطاً كاملاً في الفترة من شهر مايو أو شهر يونيو إلى شهر سبتمبر. وأجود أنواع الباشق في الصيد ما أخذ فرخاً قبل أن يلقي شيئاً من ريشه. ويضرى الباشق على الصيد بالطريقة نفسها التي يضرى بها البازي، كما يقرنص مثل قرنصته مع اختلاف يسير (الباشا ١٩٨٣: ١٥٥).

ذكره في مأثور القول والأدب. جاء في رسالة لبعض فضلاء الأندلس يصف الباشق ما يلي:

كأنما اكتحل بلهب، أو انتعل بذهب. ملتف في سبره، وملتحف في حبره. من سيوفه منقاره، ومن رماحه أظفاره. ومن اللواتي تتنافس الملوك فيها، تمسكها




عجباً بـهـا وتيها. فهي علـى أيديها آية بادية، ونعمة مـن الله نامية. تبذل لك الجهد صراحاً، وتعيرك في نـيـل بغيتك جنـاحا. وتـتفق فـي طلـب الأرزاق، وتـأتلـف بك عـلى اخـتلاف الخـلق والأخلاق. ثم تلوذ بك لياذ من يرجوك، وتفي لك وفاء لا يلتزمه لك ابـنك ولا أخوك.

وقال ذو الرمة في الباشق:

يـحـك أنـى شـاء حـك الـباشـق
قــوبـــل مـــن آفــقـــة وآفـــق

وقال البارودي:

ولـكـن دعـتهـم نـبـأة فـتـفـرقوا
كما انقض في سرب من الطير باشق

وقد ورد في الشعـر الشعبي تشبيه الرجل الخامل بفرخ الباشق، قال حميدان الشويعر:

كـم ترفـعَ الامْوالْ مـن فَرْخْ بـاشق
تَـعلّـى علـى حِـرٍ بْكـفّـيه فـارسه

البيدق

صفاته وسلالاته. طائر من البزاة، والكلمة فارسية معربة معناها راجل، ومنه بيدق الشطرنج، وهو بيدق وبيذق وجمعه بيادق وبـياذق. قال الدميري: وهـو لا يصيد إلا العصافير، وهو قليل الغنـاء، أي إنه لا يغني صاحبه لقلة صيده، وقلما وجد في نوعه ما هـو فاره كريم. وهو قريب الطبع من العَفْصى الذي هو أصغر الجوارح نفساً، وأضعفها حيلة، وأشدها ذعراً، وأيبـسها مزاجاً، ويشـبه البيدق الباشق فـي الشكل إلا أنه أصغر منـه. وربما يكون هو الطائر الذي يطلق علـيه أهل البادية السبوط.

يبلغ طول جسم الطائر من ٣٠ إلى ٣٦سم بما فـي ذلك طول الذيـل الذي يبلغ من ٩ إلى ١٣سـم. وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المـفرودين تماماً من ٦٠ إلى ٧٠سم. وهو أصغر حجماً من الباشق، وحجم كل من الذكر والأنثـى يشابـه حجمهـما في القـيمي، ولكـن الجناحين والذيل أقصر. الذكر أصغر من الأنثى بحوالي ٢٠٪، يتراوح وزن الذكر من ١٣٦ إلى ١٩٣جم، ومتوسط وزن الأنثى ٢٦٦جم. وهو بازي صغير جيد البنيان. أطراف الجناحين مدورة نوعاً تشبه في ذلك البومة.

وهو بلون الريش أقرب إلى القيمي منه إلى الباشق لكن الفرق بين اللونين الداكن والأبيض أقل وضوحاً فيه عما هو علـيه في القيمـي (تضاد اللونين أقل في الـبيدق). وهناك خط أسـود واضح متوسـط على الحلق، ويعـتبر علامة تشخيصية للطير البالغ من هذا



النـوع. ويتشـابه الذكر والأنـثى في الشكل. ولا يتغـير لون الريش بتغير المواسـم. ويختلـف لون الريش فـي الطيور اليافعة عنه في الطيور البالغة. ففي الذكر البالغ تكون الأجزاء العليا رمادية مزرقة شاحبة أفتح مما هي عليه في الـقيمـي، وقمم الأجنـحة سود داكنة. كما توجد خطوط سود داكـنة أيضاً على الذيل، ولا توجد علامات مميزة على الوجه، ولكن الخط الأسود على مـنتصف الحلـق واضح ويُمَيَزهُ عن القيمي. والأجـزاء السفلى صفر برتقـالية شاحبة الـلون جداً مع كون الأفخاذ ومنطقة المذرق بيضاء اللون. والصدر مخطط تخطيطاً خفيفاً باللون الأصفر البرتقالي، المشوب بالوردي.

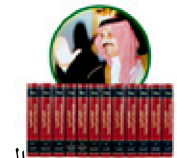
أما السطح تحت الجناح فأبيض اللون مشوب بغبرة، مع آثار من اللون الوردي البرتقالي المصفر الفاتح على الكواسي، وهنـاك تخـطيط خـفيـف على ريـش الطيران. وتكون قمم أطول القوادم الأربع أو الخمس سـود داكنة اللون، ولـذلك فإن اسوداد أطراف الجناح يكون أقل كثيراً عما هو عليه في القـيمي. يظهر الذيل المقفل، أي مضموم الريش، داكـناً كما هي حال القـيمي ولكن يوجد علـيه ٥ إلى ٦ خطوط.

واختلاف شكـل ريش الأنثى عن ريش الذكر البـالغين أقل مما عليه فـي الأنواع الأخـرى من الجـنس نفـسه. الأجزاء العليا لونها أكثر اردوازية، أي رمـادية داكـنـة ضـاربة إلـى الـلـون الأرجواني، وكواسـي ما تحت الجناح والصدر أوضح تخطيطاً باللون الوردي البرتقالي المـصفر. وتظهر قمة الجناح السوداء على ريشتين أو ثلاث فقط هي أطول القوادم (مقارنة بـ ٦ ريشات على الأقل في الذكر).

وتشبه طريقة الطيران تماماً طريقة سائر أنواع جنس البزاة، فهو يـقوم بعدد من الاندفـاعات الســريعة وراء الـفريسـة، يتـخللهـا طيران لمسـافات قصيـرة بين الأشجار أو الأكمات. يتبع أحياناً خطوط طيران أكثر تعرجاً من غيره من الأنواع، أثناء تحويمه في دوائر ضيقة.

يقل اعتماد البيدق على فرائس الطير عن غيره من الأنواع اليافعة لجنس البزاة، فهو يكاد يكون متخصصاً بصيد العظايا. وهو يرصد ضحاياه من العظايا عادة في أماكن مستترة من أعالي الأشجار متخفياً، وهو واقف في وضع منتصب وعنقه ممتد إلى الأمام.

يتغذى البيدق أساسـاً على العظايا والحشرات الكبيرة الحجم، كما يفترس




أيضاً الطيور الصغيرة الحجم. ويفضل أن يصيد برصد الفرائس، من خلال الغطاء النباتي الكثيف، حيث يتتبع فرائسه التي يرصدها في حركات متتابعة سريعة، وأحياناً ينقض ليأخذ فرائسه من العظايا من الشقوق في جدران المنازل. وفي مناطق الأحراج الإفريقية، ينتقل من شجرة إلى أخرى في طلعات طيران قصيرة، وراء الفرائس هابطاً قريباً من سطح الأرض متتبعاً إياها، حيث يصطاد معظمها وهي على سطح الأرض، ويصطاد القليل منها وهي طائرة.

في شمال دول الاتحاد السوفيتي السابق أكثر فرائسه من العظايا والحشرات التابعة لرتبتي غمدية الأجنحة (الخنافس والجعلان)، ومستقيمة الأجنحة (الجراد والنطاطات)، والطيور الصغيرة، والبرمائيات كالضفادع وفي كازاخستان القوارض الصغيرة والعظايا والسحالي والضفادع والحشرات وقليل من الخفافيش. وقد يفترس بعض أنواع الطيور الصغيرة مثل آكل النحل والعصافير التي كثيراً ما يحصل عليها من أعشاشها في أسقف المنازل.

مواطنه وهجرته. يعيش في مناطق الحشائش المفتوحة (السافانا) والغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق. وهو طير جريء لا يفزع، يزور المزارع والقرى وحواف المدن بانتظام، ويحب مجاري المياه.

ورغم أنه لا يبتعد عن الأشجار إلا أنه أقل ارتباطاً من الباشق بالغابات ذوات الأشجار المستديمة الأوراق والمتساقطتها. وهو أكثر تأقلماً في البيئات الحارة الجافة وفي المناطق المنخفضة أساساً في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي مناطق الحشائش المفتوحة حتى أطراف الصحراء على ارتفاع أقل من ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر. وكثيراً ما يوجد في مناطق المزارع والبساتين والغابات النهرية والواحات والمناطق المشجرة، حتى في منطقة الأشجار القصيرة التي لا يتعدى ارتفاعها خمسة أمتار. وهو كثير التحويم عالياً مع الطيران في دوائر ضيقة.

يتكاثر أحياناً في المناطق القطبية الغربية في دول الاتحاد السوفيتي السابق مثل أذربيجان. ومعظم طيور هذا النوع الشمالي مهاجرة، أما الطيور الموجودة في باكستان فتقيم ولا تهاجر. تتجه الطيور المهاجرة من دول الاتحاد السوفيتي السابق إلى الجنوب أو الجنوب الشرقي (وفي ذلك تختلف عن القيمي) عبر

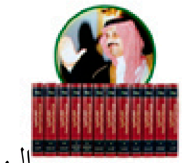


إيران وأفغانستان، حيث تشتو على الحدود الجنوبية لمنطقة انتشارها في بلوخستان الإيرانية وباكستان وشمالي غرب الهند إلى منطقة السند وباهاوالبور والبنجاب. وتبكر الطيور المهاجرة في رحلة الذهاب وتتأخر في رحلة العودة وتحدث نفرة الخريف في شهر سبتمبر، وهناك أعداد قليلة تتأخر إلى أوائل شهر أكتوبر.

ويكون وصول معظم الطيور في الربيع، خلال النصف الثاني من شهر إبريل، والقليل منها يستمر حتى شهر مايو. وقد شوهدت بعض الطيور في أثيوبيا، شمال وجنوب خط الاستواء. وفي المناطق الغزيرة الأمطار يتكاثر في الفصل الجاف، قبل هجرته شمالاً إلى مناطق أكثر جفافاً. وفي المناطق شبه الصحراوية يتكاثر خلال الفصول المطيرة القصيرة، قبل تحركه إلى مناطق أقل جفافاً.

سلوكه وتزاوجه. يعيش منفرداً أو في أزواج. يتخذ الذكر أنثى واحدة، ويرتبط بها لموسم تزاوج واحد على الأقل. يستطيع التزاوج في عمر سنة. وكلا الذكر والأنثى يرعيان الفراخ، وهناك تخصص واضح في العمل لكل منهما. يحمل الزوج الفرائس (الطعام) إلى العش، وتقوم الأنثى بإطعامه للفراخ. تعتمد الصغار على أبويها لمدة شهر تقريباً بعد إنبات ريشها، وتبقى مرتبطة مع أبويها لمدة أطول بعد ذلك. وتظل الطيور اليافعة في منطقة التعشيش حتى في موسم التزاوج التالي. يعيش الزوجان مستقلين في عش داخل منطقة تعشيش يسيطران عليها. تبعد العشوش بعضها عن بعض مسافة متوسطة طولها ١,٦كم في البيئات المرتفعة بأفريقيا. قد يعود الزوجان إلى العش نفسه مرة أخرى، ولكنهما عادة يتخذان عشاً جديداً في كل موسم. مدى منطقة الانتشار يزيد عن ٩٠ هكتاراً.

والبيدق طائر نشيط الطيران، يطير غالباً مرتفعاً مع خفق الأجنحة ثم التحويم. وأثناء فصل التزاوج يصدر كل من الذكر والأنثى كثيراً من الجلبة الصوتية وهما يستعرضان راقصين أثناء الطيران في دوائر إلى أعلى، ثم ينحدران متجهين أحدهما نحو الآخر. ويحدث الغزل بين الذكر والأنثى قبل موسم وضع البيض بفترة ليست قصيرة مع إطلاقهما لصيحات عالية. ويحدث الاستعراض الهوائي الراقص بأن يبدأ أحد الزوجين في الطيران المتعرج عالياً مع خفق الجناحين بسرعة خفقاً خفيفاً




ضحلاً، ثم يطير منطلقاً إلى الأمام مع ضربـات قوية بالجـناحين وفرد ريـش الذيل، ثم ينحدر إلى أسفل بسرعة لفترة قصيرة والجناحـان مضمومان. ويكرر هذا العرض عدة مرات، يفـصل بينها الطيران المتعرج في دوائر. ويكون الزوج الثاني، أثناء ذلك، يراقب الزوج الآخر وهو محلق إلى أعلى في دوائر. ومن المعتقد أن صاحب الاستعراض الراقص هو الذكر غالباً وقد تشارك فـيه الأنثى أحياناً. وقد يتبادل الذكر والأنـثى أداء الاستعراض الهوائي الراقص، بعد أن يطارد أحدهما الآخر بين الأشجار لفترة تطول أو تقصر وهما يطلقان صيحات عالية. وقد يقوم الطائر بأنماط استعراض غزلي أخرى.

تضع أنثى الـبيدق بيضها في شهـر مايو خلال فترة ١٠ أيام في عش تبنـيه علـى فروع شجـرة يرتفـع عن سطـح الأرض بحوالي ٧م إلى ١٣م. وأحيانـاً تستخدم العش القديم، ولكنها غالباً تبني عشاً جديداً كل موسم تـزاوج، ويكون قريبـاً عادة من موضع الـعش القديم. يتكون العش من أفرع الأشجار الرفيعة، ويتـراوح قطره مـن ٢٠ إلى ٣٠سم، وارتفاعه حوالي ١٥سم، وتبطنه ببعض الأوراق الخضر. وتقوم الأنـثى بمفردها ببنـاء العش، حيث تـكسر الأفرع من الأشجار بمنقارها، وتحملها به إلى مكان العش المختار. وتقوم بهذا النشاط خلال فترات الصباح، وتستغرق نحو ١٠ أيام لبناء العش.

متوسـط وزن البيضـة ٢٠جراماً، ومتوسط عدد البيض الذي تضعه الأنثى يتراوح بين ٣ إلى ٤ بيضات (من ٢ إلى ٧ بيضات). وإذا فُقِدَت المجموعة الأولى من الـبيض، يمـكن للأنـثى أن تضع مجـموعة أخـرى، وقد يتـكرر ذلـك مرتين، بحيث لا يزيد عدد البيض في المجموعة الثانيـة عن ٥ بيضات، وفي المجمـوعة الثالـثة عن بيـضتين. مـدة حضانة البيض من ٣٣ إلى ٣٥ يـوماً. وتحضن الأنثى فقـط البيض. ويحضر الذكر الطعام إلى العش حيث تقوم الأنثى بتمزيق الفريسة، وإطعام الفراخ منها. وقد يشترك الذكر مع الأنثى في إطعام الفراخ بأن يقوم بتمزيق الفريسة إلى قطع صغيرة تتولى الأنثى تلقيمها للصغار في أفواهها. ولم تسجل حالة واحدة يقوم فيها الذكر مباشرة بإطعام الفراخ بنفسه. ينبـت ريش الفراخ بعـد أكثر من ٣٠ يوماً من الفقس.

ذكره في مـأثور القول والأدب. قال أبو الفتح كشاجم يصف البيدق:



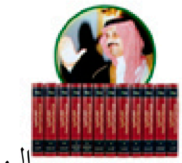
حسبي من البزاة والبيادق
ببيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق
أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق
ليس له في صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق
أن الفرازين من البيادق

القيمي

صفاته وسلالاته. نوع صغير من البزاة يسمى في اللغة الإنجليزية صقر العصافير المشرقي، ويسمى الباشق صقر العصافير فقط. ويذكر الباشا أنه لم يتعرض أحد من أصحاب كتب البيزرة لهذا الجارح سوى كشاجم في كتابه المصايد والمطارد وكل ما قال فيه إنه باز قضيف، أي دقيق نحيل، ذاهل النفس. ولم يورد كشاجم فيه شيئاً من الشعر مثلما فعل مع الجوارح الآخرى (الباشا ١٩٨٣: ١١٧). ويعتقد البعض أنه هو الطائر الذي يطلق عليه أهل البادية مسمى الحموق أو الحميميق، والحقيقة أن هذا الأخير نوع آخر غيره.

يبلغ طول الطائر من ٣٢ إلى ٣٨سم (طول الذيل من ١٣ إلى ١٦سم). وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٦٥ إلى ٧٥سم. يماثل الباشق تقريباً في حجمه. وهو أطول جناحاً وذيلاً من البيدق. الفرق في الحجم بين الذكر والأنثى أقل مما هو عليه في الباشق. وقد تزيد بعض الإناث في الحجم عن الذكر بحوالي ١٠٪ فقط. طائر نحيل متوسط الحجم يقارب في صفاته الشكلية الصقر الحر خاصة الذكر. قد يزيد الذكر في حجمه بحوالي ١٠٪ عن ذكر الباشق. يتراوح وزن الذكر بين ١٥٥ و٢٢٣جم ووزن الأنثى بين ٢٣٢ و٢٧٥جم. تكون الأجزاء الظهرية العليا في الذكر البالغ زرقاء رمادية، وريش الطيران أدكن لوناً. الرأس زرقاء رمادية في معظمها، وتخلو الوجنات من الحمرة التي تميز الباشق. السطح السفلي أبيض مشوب بلون أصفر برتقالي أو وردي على الصدر، وعلى كواسي أسفل الجناحين مع تخطيط أقل مما هو عليه في الباشق. سطح باطن الجناح أبيض واضح مع قوادم نهايات ريشها سود.

أما الأنثى البالغة فتكون الأجزاء الظهرية العليا منها بنية رمادية داكنة. ولون الرأس يشابه لون رأس الذكر، مع وجود منطقة بيضاء خفيفة جداً فوق العين (حاجب) ليست واضحة وضوحها




في أنثى الباشق. لون الأجزاء السفلى يشبه الباشق، ولكن ما تحت الجناح أشحب لوناً مع وضوح أطراف الجناح السود، وكونها أكثر دقة مما هي عليه في الباشق، وبذلك يسهل تمييزها عنها. كما أن باطن الذيل أكثر تخطيطاً مما هو عليه في الباشق، مما يجعله يبدو أدكن لوناً منه.

يشبه في طيرانه الباشق ولكنه أقل سرعة انقضاض، وأكثر منه ميلاً إلى التحويم، خصوصاً أثناء الهجرة. وهو طائر غير فضولي من طيور الغابات والوديان المشجرة. يعيش منفرداً، ويشبه في سلوكه الباشق شبهاً كثيراً. ويمكن رؤية أسراب كبيرة العدد منه أثناء الهجرة فوق طرقها التقليدية المعهودة خصوصاً فوق مضيق البوسفور. صيحته عالية مميزة.

ويتغذى القيمي أساساً على العظايا والسحالي الكبيرة، ويختلف سلوكه في الصيد عن أنواع البزاة الأخرى، حيث يطير باحثاً عن فريسته مُحوِّماً على ارتفاع من ٦ إلى ١٠م، وقليلاً ما يخفق بأجنحته، ويتخلل طيرانه الانحدار إلى الأرض على فترات. يصطاد في أزواج في غير موسم التزاوج. وأكثر الفرائس من الحشرات الكبيرة، مثل الجراد وفرس النبي والزواحف الصغيرة والثدييات الصغيرة والطيور الصغيرة كالعصفوريات، وقد يصطاد الحمام وآكل النحل والخفافيش.

وهو يطير منفرداً أو في أزواج، لكنه يصطاد في أزواج ويهاجر في أسراب كبيرة العدد. يتزاوج في عمر سنة ويرتبط الذكر بأنثى واحدة لفصل تزاوج واحد على الأقل. ويتعهد الزوجان الصغار مع تخصص في العمل، كما هي حال أنواع البزاة الأخرى. وقد يساعد الذكر الأنثى في إطعام الصغار في العش خاصة في الأيام الأخيرة. وتظل الفراخ في رعاية الأبوين لمدة أسبوعين على الأقل بعد إنبات الريش عليها. والعلاقة بين الصغار في العش حميمة غير عدوانية قبل إنبات الريش وبعده.

ويعشش منفرداً. ومتوسط المسافة بين العشين قصيرة لا تتعدى حوالي ١٠٠م. ويقضي القيمي ليله غالباً على فروع الأشجار، ويطير في النهار باحثاً عن الفرائس، وقد يهبط على الأرض أحياناً حتى في المناطق التي توجد فيها الأشجار.

مواطنه وهجرته. يعيش في المناطق المنخفضة ذات المناخ الجاف الدافئ في حياض الأنهار والسهول، وأيضاً أسفل سفوح الجبال على ارتفاع لا يزيد عن

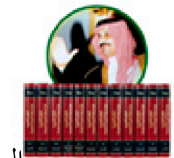


١٠٠٠متر فوق سطح البحر، باستثناء أرمينيا التي يوجد فيها على ارتفاع ١٩٨٠متراً. ومثل غيره من البزاة يفضل المناطق ذات الأشجار الكثيرة الكثيفة، لكنه يفضل الأنواع العريضة الأوراق مثل القسطل والحور والبلوط، وحيث لا توجد مثل هذه الغابات، فإنه يعيش في الغابات النهرية والبساتين والمناطق المشجرة على أطراف القرى والمدن والأكمات. يطير عادة على أرتفاع ٦ إلى ١٠أمتار باحثاً عن فرائسه غالباً على الأرض ولكنه يحوم أحياناً خصوصاً أثناء الهجرة. وأحياناً يصيد فرائسه في الغسق عند حلول الظلمة.

وحدود منطقة انتشار هذا الطائر غير معروفة بالضبط لندرته، وقد سجل في ألبانيا قديماً، كما لوحظت أعداد قليلة جداً منه في المجر والتشيك وسلوفانيا وإيطاليا وقبرص وتونس والعراق، وكان موجوداً بوفرة في الصرب، وبأعداد أقل في بلغاريا ورومانيا، ولا يزال يتكاثر بأعداد قليلة في تركيا وأوكرانيا.

القيمي طائر مهاجر يختفي من مواطن تكاثره من شهر سبتمبر إلى منتصف شهر إبريل، ويمر في الخريف عبر مضيق البوسفور، من منتصف شهر أغسطس حتى أوائل شهر أكتوبر، وتكون ذروة عبوره خلال الفترة من ١٠ إلى ٢٢ سبتمبر، ويكون ذلك عادة في أسراب (بينما يهاجر الباشق منفرداً). وقد حصر عدد ٥٧٠ طائراً خلال الفترة من ١٩ أغسطس إلى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٧١. وكان أقصى عدد شوهد في سرب واحد هو ٢٢٤٣ طائراً في ١٥ سبتمبر.

تمر طيور دول الاتحاد السوفيتي السابق عبر القوقاز وشرق البحر الأسود إلى تركيا بأعداد أقل كثيراً (شوهد ٢٩٠ طائراً فوق مدينة بورصة، خلال الفترة من ٢٣ أغسطس إلى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٦م، بينما شوهد عدد ٢٩٥١ طائراً فوق خليج الاسكندرونة، خلال الفترة من ٢٩ أغسطس إلى ٢٣ سبتمبر ١٩٨٧م). وقد يصل في طريق هجرته إلى شبه جزيرة سيناء، ولكنه لا يستمر إلى باقي أجزاء مصر، ولا يعرف إلى أين يذهب بعد ذلك. وهناك حالات سجل فيها وجود أعداد قليلة جداً منه في أثيوبيا وزائير وتنزانيا والنيجر. ونادراً ما سجل وجوده في الجزيرة العربية جنوب خليج العقبة في الخريف، ولذلك فلا يمكن الجزم بالمنطقة التي يشتو فيها، ولكن يزداد العدد المار من شرق سيناء خلال الربيع، حيث




تم تسجيل عدة مئات من هذا الطائر في أواخر شهر أبريل.

حضانة البيض ورعاية الفراخ. تضع الأنثى البيض من منتصف شهر مايو إلى أوائل شهر يونيو في عش على فرع شجرة عريضة الأوراق متوسطة الارتفاع. وتتخذ عشا من فروع الأشجار قطره حوالي ٣٠سم وارتفاعه حوالي ١٥سم تبنيه بمفردها. تضع الأنثى من ٣ إلى ٥ بيضات في المجموعة الواحدة ومتوسط وزن البيضة ٢٢جم. ويمكنها في حالة فقد البيض أن تضع مجموعتين أو ثلاث مجموعات أخرى بديلة. مدة الحضانة من ٣٠ إلى ٣٥ يوماً، الأنثى فقط هي التي تحضن البيض، بينما يحضر الذكر الطعام إلى العش للأنثى والفراخ، حيث تطعمها الأم من الفريسة بعد أن تقوم بتمزيقها وقد يشترك الذكر مع الأنثى في إطعام الصغار في مرحلة لاحقة. ينبت الريش على الصغار خلال ٤٠ إلى ٤٥ يوماً وتبقى الصغار في العش بعدها قريبا من الأبوين لمدة أسبوعين، ثم تستقل بمعيشتها بعد ذلك. ويمكن للصغار أن تتزاوج بعد سنة من عمرها.

ويتساقط ريش الطيور البالغة كاملاً، فتتساقط القوادم بالترتيب التنازلي من أقدمها إلى أحدثها. ويبدأ تساقط الريش في الأنثى قبل الذكر. وينبت حوالي نصف القوادم في منتصف شهر يوليو تقريباً.

الزُّرَّق

صفاته وسلالاته. وتسمى الكوهية والحدأة السوداء الجناح أو السوداء الكتف. وقد عدها البيازرة وعلماء الحيوان العرب القدامى من البزاة وهي ليست منها، إذ إنها في حقيقة الأمر من الحدآت. وقد اختلط الأمر عليهم ربما لأنها أقرب شبهاً بالبزاة منها بالصقور. وقيل عنها إنها صقر أبيض في مصر، طائر يصاد به في حجم الباشق أو أكبر قليلاً، أسود الظهر، أبيض البطن، أحمر العينين، أصفر الرجلين. وقد عده الدميري صنفاً من البزاة لأنه أحمر العينين أو أصفرهما وهكذا البزاة، ومنه قول أبي نواس من أبيات أوردها الدميري:

كأن عينيه لحسن الحدقه
نرجسة نابتة في ورقه

وذكر شاكر (١٩٨٥: ١٩٤) أن الزرق هو الأبيض من البزاة، وذلك نقلاً عن العرب القدامى. والكوهي لفظة فارسية معناها الجبلي. قال صاحب



كتاب أنس الملا «إن الزرق ذكر البازي في كل جنس من أجناسه، وإن من يطلق عليه لفظ كوهية خطأ والصواب كوهى.» ويقول الباشا عن الزرق إنه صنف من البزاة، يجمع على زراريق وزرارقة، وهو بين البازي والباشق، أسود الظهر، أبيض البطن، أحمر العينين، أصفر الرجلين، إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي، لذلك كان أشد جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى أقداماً. وهناك من يرى أن الزرق ليس صنفاً من البازي فحسب، وإنما هو ذكر البازي، لأن البازي عنده لا يكون إلا أنثى وذكره الزرق، وهو خطأ بالطبع.

والزرق ختال خبيث، ذلك أنه إذا أرسل على طائر ابتعد عنه وحلق في غير مطاردة، ثم عطف عليه من حيث لا يحتسب، وانقض عليه، وأظهر له الشدة بعد اللين. وخير ألوان الزرق ما كان أسود الظهر أبيض البطن أحمر العين. وأفره أنواعه ما كان أعدل خلقاً، وأقل ريشاً، وأثقل محملاً، وأملأ فخذاً، وأرحب شدقاً، وأوسع عيناً، وأصفى حدقة، وأصغر رأساً، وأطول عنقاً، وأقصر خافية، وأشد لحماً، وأن يكون إلى ذلك أخضر الرجلين، وسيع المخالف متعرياً من اللحم (١٩٨٣: ١١٦).

يبلغ طول الطائر من ٣١ إلى ٣٥سم منها ٨ إلى ٩سم للذيل. تصل المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين بين ٧٥ و٨٧سم. وهو أصغر أنواع الحدآت. يبلغ متوسط البالغ من ٢٣٠ إلى ٢٣٥جم. وجهه بومي الشكل، ورأسه كبير. والأجنحة عريضة. واللون العام شاحب. هناك تباين واضح في اللون بين الأكتاف ذات اللون الأسود والسطح الأسفل للجناحين ذي اللون الرمادي أو الأبيض، مما يميزه عن غيره من الأنواع.

الجنسان متشابهان ولا يتغير لون ريشهما بتغير الفصول. لون السطح العلوي أو الظهري رمادي والوجه رمادي باهت أو أبيض، وكذلك السطح السفلي أو البطني والذيل. وهناك بقعة سوداء حول العين تؤكد الشكل البومي للوجه، وريش الكواسي في أعلى الجناح أسود اللون. العيون حمر اللون، المنقار أسود والجزء القاعدي اللينِّ المحيط بأصله أصفر اللون.

تحوِّم عند الطيران وأجنحتها مرفوعة بارزة إلى الأمام وتنقض بسرعة كبيرة على فريستها وأجنحتها مرفوعة في وضع رأسي فوقها. تطير عادة على ارتفاعات منخفضة، حوالي الثلاثين متراً، فوق الأراضي المفتوحة والمزارع عادة قرب




المياه. وتجثم على قمم الأشجار وأعمدة الهاتف. ومتوسط قطر العش من ٢٥ إلى ٣٠سم، وارتفاعه من ٨ إلى ١٠سم. تمتد منطقة انتشارها الطبيعية من جزيرة إيبريا (أسبانيا والبرتغال) في أوروبا إلى بلدان شمال إفريقيا في تونس والمغرب والجزائر وليبيا ومصر.

تتغذى على الثدييات الصغيرة والزواحف والطيور والحشرات. وتصطاد فرائسها بأن تحوِّم فوقها ثم تنقض عليها. تأكل فرائسها الصغيرة وهي تطير، أما الفرائس الكبيرة الحجم فتحملها إلى صخرة حيث تقف عليها وتمزقها وتلتهمها بعد أن تفصل رأسها أولاً، ولكنها لا تأكل الرأس.

سلوكه وتزاوجه. تعيش فرادى أو في أزواج، وقد تتجمع في أسراب كبيرة في المناطق التي يكثر فيها الغذاء مثل أسراب الجراد أو القوارض الصغيرة. يعيش الذكر مع أنثى واحدة لعدة سنوات ويتولى رعايتها هي والصغار حتى تصبح قادرة على الطيران، لكنه لا يطعم الفراخ.

تتراوح مساحة منطقة نشاط الطائر وسيادته من أقل من ٢,٦كم مربع، في المناطق التي يتوافر فيها الغذاء إلى أكثر من ٩٠كم مربعاً، في الصحارى المفتوحة الفقيرة الغذاء، وهي تدافع عن هذه المنطقة ضد الطيور الجارحة الأخرى، خصوصاً إذا كان لديها فراخ صغيرة في العش. تنشط في الصباح الباكر وقبيل الغروب، وتجثم معظم النهار فوق أعالي الأشجار أو الصخور أو أعمدة البرق. وكغيرها من أنواع الصقور، تحوِّم عالياً في دورات حلزونية واسعة على ارتفاعات شاهقة، حيث سُجِّل بعضها على ارتفاع ٩٨٠م فوق سطح الأرض. تدافع عن عشها بشراسة حتى إنها قد تهاجم الإنسان الذي يقترب منه.

ويتعاون الذكر والأنثى في بناء العش من فروع الأشجار الصغيرة التي يقطعانها من قمم الأشجار، ومن الحشائش والجذور التي يجمعانها من على الأرض. ويبني الزوجان عشاً جديداً كل عام، ربما على الشجرة نفسها، أو على شجرة أخرى قريبة. تضع الأنثى البيض في المدة من أواخر شهر فبراير إلى أوائل شهر أبريل. وتضع عادة من ٢ إلى ٦ بيضات، بمتوسط ٣ إلى ٤ بيضات، وبمعدل بيضة كل يومين إلى ٣ أيام. فإن لم يفقس البيض وضعت مجموعة أخرى من البيض مرة ثانية. وتتراوح مدة حضن البيض من ٢٥ إلى ٢٨ يوماً. وتحضن الأنثى البيض، وربما شاركها الذكر في



ذلك أثناء النهار. يقوم الذكر بإحضار الطعام إلى العش وتقوم الأنثى بتلقيمه للصغار في أفواهها. تطير الصغار في أواخر شهر يوليو وتظل معتمدة على أمها لعدة أسابيع بعد استطاعتها الطيران.

والزرق طائر يقبل التأديب ويساس كما يساس البازي، ويُضَرَّى مثل تضريته. فهو صنف منه، طبعه كطبعه وصيده كصيده وتأديبه كتأديبه وداؤه كدائه وعلاجه كعلاجه، ولا فرق بينهما إلا أن البازي أضخم جثة وأقدر على الصيد. ويصيد الزرق ما يصيده البازي إلا الكركي. وعلى الرغم من ختله وخبثه ربما عجز عن صيد الحبارى. وعلى الجملة فالزرق جارح أثير لدى هواة الصيد ومعدود في جملة جوارح الملوك (الباشا ١٩٨٣: ١١٦).

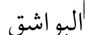
ذكره في مأثور القول والأدب. جاء وصف الزرق كثيراً في الأدب العربي القديم، من ذلك ما قاله القاضي التنوخي:

وبازيار حامل زرقا
على كبار الطير طيارا
يكاد من إحكام تأديبه
يفهم ما يضمر إضمارا
لذاك لو يقدر من حبه
قد له خديه أسيارا

وقال الناشئ الأكبر:

ياقانص أغد علينا
بزرق محبور
مناهض للبوازي
مغالب للصقور
له جناح وثير
مضاعف التنمير
مظاهر ببرود
مبطن بحرير
وكف سبع هصور
محجن الأصفور
ومنسر ذو انعطاف
كقرن ظبي غرير
في هامة كنفته
كالجندل المستدير
وصدر باز طرير
مفوف التحبير
كأنه ثوب وشي
معرج التسيير
له ظنابيب هقل
وعين صقر ذعور
تخالها حين يمتال
جذوة من سعير

الظنبوب: حرف عظم الساق، جمعه ظنابيب والهقل: الصغير من النعام. أما عبدالله بن المعتز فله طردية في الزرق تقول:

وزرق مجرب مقدام
صار من الحسن إلى التمام
كأنه فوق يد الغلام
صبح له درع من الظلام
ذي جؤجؤ كنمش الرخام
أو أسطر دقيقة الأقلام
خفية الأحرف والإعجام

ينهض غيب القف والآكام
بمقلة تسرج كالضرام
ينتهب البعد بطرف سامي

القف: ما بين النشزين من الأرض، والضرام: النار. وقال فيه أبو نواس:

قد أغتدى بزرق جراز
محض رقيق الزف والطراز





الصيد بالضواري

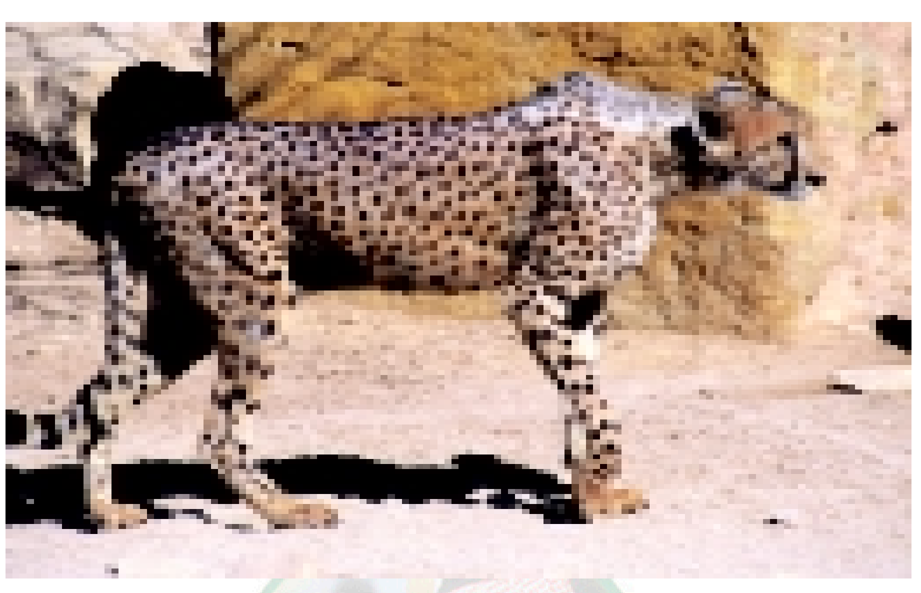
الفهد

صفاته. الفهد سبع قوي شرس من فصيلة القطط أو السنانير التي يتبعها أيضاً الأسد والنمر وعناق الأرض والقطط البرية والقطط الأهلية الأليفة. الجمع أفهد وفهود، والأنثى فهدة. ومن أسمائه الكثعم والكشم، والأنثى كشمة. وجرو الفهد يقال له الهوبر، والجروة هبيرة. ظن علماء البيزرة أنه متولد من نوعين. قال أرسطو: إنه متولد من لبؤة ونمر، وأضاف صاحب نهاية الأرب أو من أسد ونمرة؛ وذلك لشبه فيه كبير من النمر. فظنوه أحد أبويه. وهو مرقط الفراء كالنمر، إلا أن رُقَطه متفرقة لا تجتمع في حَلَق كما في النمر، كما أن مخالبه لا ترتد كلية داخل أكمام كما تفعل مخالب النمر، ويميز بينه وبين النمر أن وجه النمر طويل وعينيه زرقاوان، أما وجه الفهد فمستدير وعيناه سوداوان (المعلوف ١٩٣٢: ١٤٩، الباشا ١٩٨٣: ١٤٠).

والحق أنه نوع قائم بذاته من أنواع القطط، أبوه فهد وأمه فهدة.

والفهد قط رشيق كبير الحجم ذو جسم اسطواني، وأرجله طويلة جداً تساعده على العدو بسرعة، ولذلك فهو القط الوحيد من عائلة السنانير الذي يستطيع أن يطارد الغزال ويلحقه. وقد تصل سرعة عَدْوه إلى ١٢٠كم في الساعة، ولكن ذلك لا يستمر إلا لمسافة قصيرة. ويصل طول جسم الفهد البالغ إلى حوالي ١٢٠سم بما فيها الرأس، وطول الذيل حوالي ٦٠سم، وارتفاع الجسم من الأرض عند الكتف حوالي ٩٠سم، ووزنه حوالي ٤٥ كيلوجراماً. لون فرائه شاحب ضارب إلى الصفرة الداكنة أو اللون البني المصفر، تنتشر عليه بقع متقاربة سود اللون، ما عدا الحلق والسطح البطني، فالبقع عليها بيض





الفهد الصياد (الشيتا) أسرع أنواع الحيوانات المفترسة

اللون. ويوجد شريط دمعي ظاهر يمتد من الركن الأمامي للعين إلى أسفل جانبي الخطم، والأذنان سوداوان لكن حوافهما وقاعدتهما سمراء مصفرة، والذيل مبقع داكن في أعلاه، وباهت في أدناه وله قمة بيضاء.

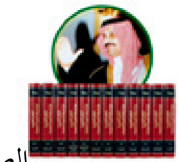
ويتعرف الفهد الصياد على فرائسه عادة بحاستي البصر والسمع. أما حاسة الشم فيه، كما هي الحال في أنواع القطط الأخرى، فلا تستخدم وسيلة للعثور على الفرائس إلا نادراً، لكنها أهم وسيلة للعثور على رفيق الحياة من الجنس الآخر. وتستخدم القطط بوجه عام شواربها وشعيرات الحس الأخرى كأدوات لمس حسية تتحسس بها طريقها أثناء اقتناصها لفرائسها ومطاردتها لها. وتوجد الشوارب في الفهد في ثلاثة مواضع هي الخدود، وأعلى الحواجب، وعلى جانبي الخطم؛ وهي بوجه عام أقل مما هي عليه في أنواع القطط الأخرى لأنه أنشطها نهاراً، ولذلك لا يحتاج إليها ليتحسس طريقه ليلاً كما تفعل القطط الأخرى. كما تمتاز عين الفهد بكونها على درجة عالية من الحساسية لترى في الضوء الخافت أو في الظلام، مع احتفاظها بقدرتها على الرؤية الواضحة في ضوء النهار الباهر. وأحد أنواع التكيف لزيادة حساسية العين للضوء والرؤية هو تغير حجم البؤبؤ صغراً وكبراً، نهاراً وليلاً، ليسمح بإدخال كمية أكبر من الضوء في الظلام. كما تتميز عيون



الفهد، شأنه في ذلك شأن أنواع القطط الأخرى، بوجود شريط مستعرض يسمى الشريط البصري يحتوي على تركيز مكثف من الخلايا العصبية المتصلة بالحبل العصبي البصري. ويزيد هذا الشريط البصري من حدة بصر الفهد خلاله حتى يمكنه من رؤية فرائسه جيداً وهي تتحرك على مستوى خط الأفق كله، أي خلال جميع المناطق المفتوحة المستوية الخالية من العوائق. وتصل حدة البصر القصوى لهذا الشريط البصري في عيون الفهد الصياد الذي يقتنص فرائسه عادة في المواطن البيئية المفتوحة الممتدة، مما يمكنه من رؤية فريسته وهي تتحرك في أي منطقة على خط الأفق مهما بعدت عنه.

ويتمتع الفهد الصياد، شأنه في ذلك شأن أنواع القطط الأخرى، بحاسة سمع حادة، وبكونه يسمع الصوت في مدى تردد يتراوح من ٢٠٠ هيرتز إلى ١٠٠ كيلوهيرتز، مقارنة بسمع الإنسان الذي يسمع الصوت في مدى تردد أضيق كثيراً، لا يزيد حده الأعلى عن ٢٠ كيلوهيرتز. ويعني هذا أن الفهد الصياد يسمع الأصوات التي تتردد في مجال الأمواج الصوتية ذوات المدى القصير. ويفيده هذا في أن يسمع أصوات تحركات فرائسه الصغيرة التي تصدر أصواتها في مدى التردد ٥٠ كيلوهيرتز ولا يسمعها الإنسان ويسمعها الفهد وغيره من أنواع القطط الأخرى. ويساعده على السماع أيضاً صيوان أذن خارجية كبير الحجم يساعد على تجميع الصوت، خاصة في البيئات الصحراوية المفتوحة، حتى يسمع الأصوات الضعيفة التي تصدر عن الفرائس في مثل هذه البيئات التي يسود فيها الهواء الساخن الذي يمتص الصوت.

ويتميز الفهد الصياد عن غيره من أنواع القطط الأخرى بأن له مجاري أنفية كبيرة جداً. ولا يعني ذلك أن حاسة الشم لديه أقوى مما هي لدى أنواع القطط الأخرى، وإنما لذلك علاقة كبيرة بطريقة الصيد التي يتبعها الفهد في الإمساك بفرائسه، إذ إنه ينطلق عادة كالسهم وراءها حتى يلحق بها، ثم يقبض بفمه على حلقها، ويخنقها بأن يسد القصبة الهوائية لها لفترة من الوقت حتى تختنق. ولذلك يحتاج الفهد إلى إدخال كمية كبيرة من الهواء بسرعة إلى رئتيه ليختزنها فيها حتى تساعده على أن يستعيد تنفسه بعد هذه الهجمة الشرسة السريعة. وتيسر المجاري الأنفية الكبيرة عملية دخول الهواء إلى رئتي الفهد بسرعة حتى تسهل له عملية التنفس أثناء انتظاره موت فريسته التي يقبض بقوة على حلقها.



ولما كان الفهد يحتاج إلى أن يعدو بسرعة هائلة حتى يتمكن من اللحاق بفريسته، فقد تكيف جسمه مع ذلك، كما تكيفت أجسام أنواع القطط الأخرى أيضاً، وذلك بزيادة مرونة عموده الفقري زيادة تسمح له بإطالته أثناء العدو. ويصل هذا التكيف إلى أقصاه في الفهد الصياد الذي يمكنه أن يطيل مسافة خطوته أثناء الجري بمقدار ١١٪، عن طريق إطالة عموده الفقري ليصل طول خطوته إلى ٦,٩م عند جريه بسرعة ٥٦كم في الساعة. ويساهم في ذلك تكيف عظمة لوح الكتف في الطرفين الأماميين والعضلة المتصلة بها التي تحركها، إذ تساهم بمقدار ٢٪ في زيادة طول خطوة الفهد الصياد، أي بمقدار ١٢سم عند سرعة ٥٦كم في الساعة.

ويساعد الفهد الصياد على سرعة عدوه حقيقة أن مخالبه، على عكس أنواع القطط الأخرى، لا ترتد إلا قليلا ولا يوجد لها أكمام ترتد داخلها مثل القطط الأخرى، وبذلك يتمكن الفهد من استخدام مخالبه كأشواك تثبته في الأرض أثناء عدوه خلف فرائسه. لذلك فسرعان ما تبلى مخالب الفهد وتفقد حدتها، كما هي الحال في مخالب الكلب.

ويختلف الفهد الصياد أيضاً عن غيره من أنواع القطط الأخرى في أن الوسائد التي تبطن أقدامه صلبة وليست لينة، كما أن لها حوافَّ تساعده على العدو السريع في الأرض الصلبة لملاحقة الفريسة. ولذلك نجد أن الفهد الصياد أسرع أنواع الحيوانات المفترسة على الإطلاق، ولو أن ذلك لمسافات قصيرة عادة. فقد تكيف جسمه عدة تكيفات تمكنه من الوصول إلى سرعة ١١٠كم في الساعة لمسافة عدة مئات من الأمتار تقل عن ٥٠٠م. هذه التكيفات هي الأرجل الطويلة، والعمود الفقري المرن الذي يمدّ الخطوة أثناء الجري، والمخالب التي لا ترتد فتعمل كأشواك تثبت الفهد على الأرض أثناء العدو على أرض صلبة، ومجاري الأنف الكبيرة الواسعة التي تكفل إمداده بكمية الهواء التي تكفي لمقابلة المجهود المبذول في العدو وخنق الفريسة؛ وكبر حجم اليد في الطرف الأمامي يمكنه من جذب الفريسة وطرحها أرضاً، إلى جانب طول ذيله الذي يحفظ عليه توازن جسمه أثناء العدو. كل هذه التكيفات مجتمعة تجعل الفهد الصياد أقرب إلى كلاب الصيد، منه إلى أنواع القطط الأخرى.

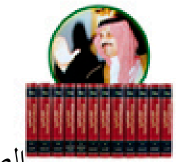
ويعتبر الفهد الصياد أكفأ أنواع القطط في قدرته على صيد الفرائس، ولذلك فنادراً ما يضطر إلى اللجوء إلى أكل



الجيف، على نقيض من الأسد الذي يتكرر أكله لها. ولا يلجأ الفهد إلى أكل الجيف إلا إذا لم يجد صيداً يأكله. وفي هذه الحالة قد يلجأ إلى أكل بقايا فريسة سبق له أن افترسها واختزن باقيها لمثل هذه الظروف الطارئة. ولما كان يعتبر الحيوان الرياضي بين أنواع القطط، فإنه يفضل في اقتناص فرائسه استخدام طريقة المطاردة. فلما ينتقي فريسته يبدأ في مطاردتها عندما تكون على مسافة منه تتراوح من ٥٠ إلى ٥٠٠م، ثم ينطلق خلفها يلاحقها بسرعة كبيرة دون أي محاولة منه للتخفي. وعندما يقترب منها فإنه يدفعها بكلتا كفيه الكبيرتين دفعة قوية تكفي لطرحها أرضاً، كما يستخدم مخالبه في خدش جانبها ليجرحها ويسقطها أرضاً.

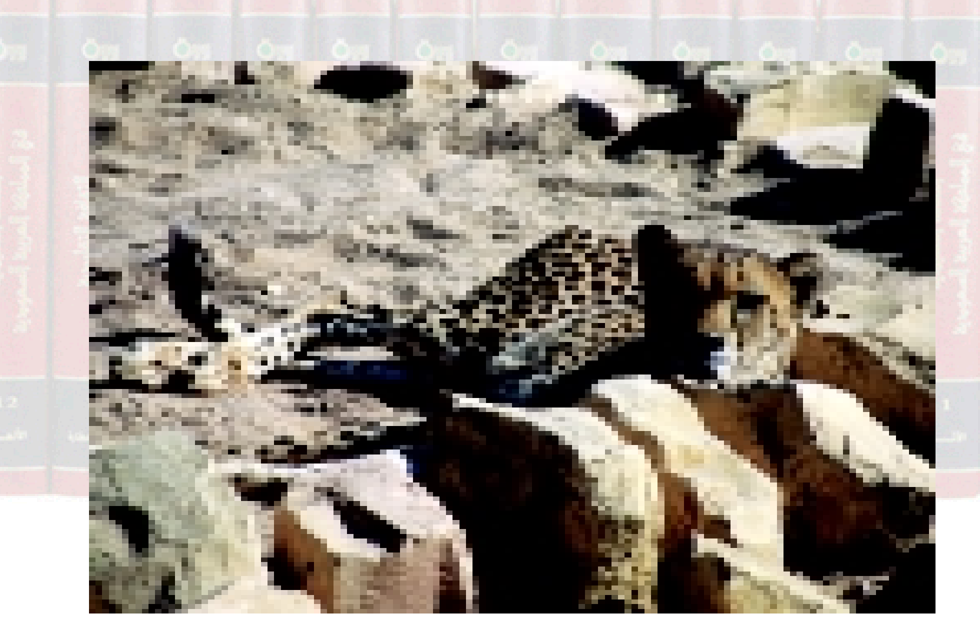
ويحدد طول المسافة التي يبدأ منها الفهد الصياد ملاحقة فريسته قدرته على الاحتفاظ بدرجة حرارة جسمه تحت مستوى الدرجة المميتة له. فقد وجد العلماء أن الفهد يختزن الحرارة التي تنطلق في جسمه أثناء عدوه خلف فريسته ولا يستطيع التخلص منها أولاً بأول، مما يتسبب عنه رفع درجة حرارة جسمه أثناء عدوه لملاحقة الفريسة. وتقدر المسافة التي يمكن للفهد أن يقطعها عدواً وراء فريسته، قبل أن ترتفع درجة حرارة جسمه إلى الدرجة المميتة له، بحوالي ٥٠٠م، فإذا زاد عليها ارتفعت درجة حرارة جسمه إلى الدرجة المميتة ومات لتوه. وقد أظهرت الدراسات أن الفهد عادة يطارد فريسته لمسافة تتراوح من ٣٠٠ إلى ٤٠٠م فقط بحيث يحتفظ لنفسه بحد كافٍ قبل ارتفاع درجة حرارة جسمه إلى درجة الحرارة القاتلة له. وتتحدد المسافة التي يبدأ عندها الفهد في مطاردة فريسته بقدرتها على العدو وسرعتها. فقد أثبتت الدراسات أن الفهد يبدأ في مطاردة الظباء القوية البالغة من مسافة ٨٠ إلى ٩٠م، بينما يطارد الظباء الصغيرة الضعيفة من مسافة يبلغ متوسطها ١٩٠م، وربما يبدأ مطاردتها من مسافات أكبر كثيراً.

ويقتل فريسته عن طريق عضها في حلقها وخَنْقها. وبعد موت الفريسة، فإنه يستطلع المنطقة حوله للتأكد من أن الفريسة لم تجتذب حيوانات مفترسة أو كائنات أخرى. وبعد التأكد من ذلك فإنه إما أن يأكلها في نفس المكان، إذا كانت صغيرة الحجم، أو يقوم بسحبها إلى حيث يمكنه الاختفاء بها عن أعين المفترسات الأخرى ويأكلها. وقد يسحبها لمسافة ٨٧م قبل أن يبدأ في أكلها. ويبدأ أكل فريسته من فخذها ويعتمد على



شواربه وشعيرات حسه في الظلام لتحديد اتجاه شعر فرائها والتعرف على المكان الذي يبدأ منه الأكل، وينزع الفراء أو الريش قبل أن يبدأ في الأكل حتى لا يضايقه. ويحتضن الفهد فريسته بيديه أثناء أكلها، شأنه في ذلك شأن غيره من القطط الكبيرة الحجم. ويأكل الفهد الصياد، مثل القطط الأخرى، على أحد جانبي الفك فقط ويتبادل الأكل بين الجانبين، ولذلك فإنه يميل برأسه إلى ناحية جانب الفك المستخدم في الأكل. وربما تنسر القطط الكبيرة اللحم وتمزقه بقواطعها بأن تمسك الفريسة بيديها الأماميتين وتقضمها وتدفع برأسها إلى الخلف لتساعدها على نسر اللحم منها.

وعندما يكون حجم الفريسة كبيراً، بحيث لا يمكن للفهد أن يأتي عليها في وجبة واحدة، فإنه عادة يخبئ باقيها في مكان قريب يعرفه ويغطيها بأوراق الأشجار المتساقطة أو الأعشاب أو التراب، ليعود إليها ويأكلها في وجبة أخرى إذا اضطر لذلك. ويعتبر الفهد هو الاستثناء الوحيد من بين أنواع القطط الذي لا يلجأ إلى الترمم وأكل الجيف إلا إذا اضطرته الظروف، وذلك لشدة براعته وكفاءته في الصيد وقدرته على تأمين فرائسه ما دامت متوافرة في البيئة المحيطة، وذلك رغم أن أنواع المفترسات الأخرى تسرق فرائسه وتسلبها منه، فقد تستولي الأسود على ما يزيد عن ١٠٪ من



الفهد الصياد



الفرائس التي يقتنصها الفهد. وتتراوح النسبة المئوية لنجاح الفهد في اقتناص الفرائس التي يحاول صيدها من ٤٩ إلى ٧٠٪ للغزلان، وحوالي ٨٦٪ للأرانب البرية. وهي نسب أعلى كثيراً مما هي عليه لأنواع القطط الأخرى. وأكثر منافسي الفهد من المفترسات الأخرى التي تسرق فرائسه الأسد والضبع. وأكثر أنواع الفرائس التي يتعذى عليها الفهد أنواع الظباء السائدة في بيئته. وقد يفترس صغار حُمر الوحش (الفرا) والخنزير البري وغيرها. وجميع فرائسه تكون عادة من الصغار التي في صحة جيدة، إذ لا يلجأ عادة إلى اقتناص الحيوانات المريضة.

مواطنه. كان الفهد الصياد نتشراً في مناطق الحشائش المفتوحة، الممتدة من أواسط الهند عبر جنوبي غرب آسيا، وشبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا، حيث تتوافر البيئات المفتوحة الممتدة المناسبة لمعيشته. وقد انقرض ما يصنف تحت النوع الأسيوي من معظم نطاق انتشاره السابق، إلا أنه ما زالت منه أعداد قليلة جداً تعيش في إيران وفي بلوخستان. كذلك تدنت أعداده جداً في مواطنه الأفريقية، حيث لم تبق منه أعداد ملحوظة سوى في شرق وجنوب أفريقيا تمكنت من التصدي للضغوط البشرية الواقعة عليها حتى الآن. وتتلخص هذه الضغوط في القتل، وفقد المَوَاطن الطبيعية، وفقد الفرائس التي يتغذى عليها مثل الظباء.

وإلى جانب السلالة الأسيوية، هناك ست سلالات من الفهد الصياد في أفريقيا. وحدث أن اكتشف عام ١٩٢٧ ما اعتقد حينذاك أنه نوع جديد أطلق عليه الفهد الملكي يتميز بوجود بقع سود على فرائه، بدلاً من الحلقات المعروفة على فراء الفهد. إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن هذا التلوين غير العادي للفراء ناتج عن حدوث طفرة وراثية في أحد الجينات المتنحية.

وتقدر متوسط مساحة المنطقة التي يتجول فيها الفهد الصياد خلال عام من ١٢ إلى ٣٦كم٢ للذكر، ومن ٦٠ إلى ٨٠كم٢ للأنثى، وذلك في المتنزهات الوطنية في أفريقيا، إذ لم تدرس في البرية. وبعض الذكور تتخذ لنفسها منطقة سيادة تمنع غيرها من الذكور من دخولها، وبعضها لا يتخذ له منطقة سيادة، ويتجول بحرية في مناطق أوسع. وتتخذ الإناث لنفسها مناطق نشاط، وليست مناطق سيادة، تحددها برش البول على حدودها وعلى التضاريس الواضحة فيها، وبذلك تتجنب الإناث الأخرى الدخول إليها.



سلوكه وتزاوجه. يعتبر ذكر الفهد من بين أنواع القطط الاجتماعية التي تتعايش معاً في جماعات، ولها سلوك اجتماعي متطور. وهذه الأنواع هي ذكور الفهد والأسد والقطط المنزلية. أما أنواع القطط الأخرى فتعيش منفردة وتلتقي ذكورها مع إناثها خلال موسم التزاوج فقط. وعلى حين تعيش إناث الفهد وحيدة منفردة، فإن الذكور تعيش معاً في مجموعات من إثنين إلى أربعة، داخل مناطق سيادة صغيرة. هذه المجموعات عبارة عن تحالفات تشترك أفرادها في الدفاع عن منطقة سيادتها بشراسة ضد الذكور الأخرى، وقد تقتلها إذا لم تتراجع وتخرج من منطقة السيادة. وتشغل هذه الذكور مناطق سيادتها معظم العام ولا تتركها إلا حينما تخلو من الفرائس أو عند تحركها للبحث عن الماء في أوقات الجفاف. وكلَّما زاد عدد الذكور المتحالفة معاً في منطقة سيادة طال بقاؤها داخلها. فالذكر الذي يعيش منفرداً قد يبقى في منطقة سيادته لمدة ٤ شهور فقط من العام. ويبقى الذكران معاً لمدة تزيد على ٧ أشهر في المتوسط. وتبقى الذكور الثلاثة المتحالفة معاً في منطقة سيادتها لمدة ٢٢ شهراً.

وبوجه عام لا يكون للذكور المتحالفة فرصة أكبر من فرصة غيرها من الذكور في لقاء الإناث والتزاوج معها. لكن التحالف يؤدي في الغالب إلى تحسين الحالة الصحية للذكور المتحالفة. ويزيد متوسط وزن الذكر الذي يعيش في تحالف بمقدار ١٠كجم عن وزن الذكر الذي يعيش منفرداً، كما أنه يُعمَّر أيضاً لفترة أطول. وتحتفظ الفهود بمنطقة سيادتها ما دامت الفرائس موجودة فيها. أما إذا خلت المنطقة من الفرائس فإنها تتخذ لنفسها منطقة سيادة أخرى بديلة.

عندما يتلاقى الذكر مع الأنثى في موسم التزاوج وتكون الأنثى مستعدة للتزاوج، أي في بداية دورتها النزوية، فإنه تتم بينهما فترة مغازلة طويلة تثيره الأنثى خلالها لكنها تتمنع عليه وتقاوم محاولاته. ويحدث خلال فترة المغازلة اتصالات بصرية وصوتية مكثفة بين الذكر والأنثى. وهي اتصالات ضرورية يتم خلالها تأكد كل منهما من حسن نوايا الآخر تجاهه ورغبته في التزاوج معه. وتمر عملية التزاوج بثلاث مراحل. في المرحلة الأولى، التي تحدث قبل بدء الدورة النزوية للأنثى، يفرز مهبل الأنثى إفرازات قد تكون غير مرئية، لكن يشمها الذكر، وتُصدر أصوات همهمة تنبه الذكر إلى أنها في طَريقها إلى أن تصبح مستعدة للتزاوج وتتقلب أمامه في إغراء. ويقوم

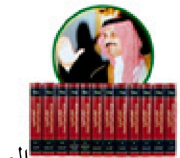


الذكر خـلال تلك المرحلـة بشم مهبل الإنثى ويُـصدِر أصوات همـهمة أيضـاً مستجيباً لدعوَة الأنثى ومبلغاً إياها بنيته في التـزاوج. ويحدث له خـلال تلك الفترة انتصاب وقذف. ويبدأ الذكر بعمل كومة من التـراب أو الأعشاب ليختفيـا وراءها أثناء عملية التزاوج. وخلال هذه المرحلة لا تكون الأنثى مستعدة للتزاوج، وتضرب الذكر الذي يحاول ذلك معها بعـنف، ويحاول الـذكر، خلال تلـك الفترة، التودد إلى الأنثى وكسب رضاها، ويصارع الذكور الأخرى التي تقترب منها ويبعدها عنها. وفي المرحلة الثانية، وهي مرحلة دخول الأنثى في دورتها النزوية، تصبح الأنثى في حالة استعداد للتزاوج وترفع ذيلها جانبياً، ويصل الصراع عليها بين الذكور في هذه المرحلة إلى أقصاه، ويحاول الذكر أن يـعتلي ظهر الأنثى، ويتكرر بينهـما اللقاء عدة مرات. وفي المرحلة الأخيرة، وهي المرحلة التي تنتهي فيـها الدورة الـنزوية، تحدث تـغيرات هرمونية في الأنثى وتضعف رغبة الذكر فيـها، ويخـف العدوان بين الـذكور، وينتهي التزاوج.

ومن المعروف أن معظم الأنواع لا تقوم إناثـها بالتـبويض إلا أثنـاء الجماع، لأن التبويض فيها هو عملية مـستحثة وليست تلقائية. إلا أنه ليس مـن المعروف بَعْدُ ما إذا كانت إناث الفهد تفرز بويضاتها تلقائياً خلال المرحلـة الثانية من مـراحل دورتها النزوية، أم أن التبويض فيها يتم أيضاً أثناء عملية الجـماع. وإذا لم يحدث إخصاب نتيجة التزاوج، فإن الأنثى تمر بدورة نزوية ثانية خلال فترة ١٠ أيام تقريباً يتكرر فيها ما حدث خلال الدورة النزوية الأولى.

ويعتبر الفـهد من أقل أنواع القطط في عدد المرات التي يـنزو الذكر الأنثى فيها يومياً، إذ يحدث ذلك عادة من ٣ إلى ٥ مرات في اليوم. ويبـلغ متوسط طول الدورة النزوية من ٥ إلى ١٤ يوماً تقريبـاً. وللمقارنة، فـإن متوسط عدد مرات النـزو للأسد هو ١٠٠ مـرة في اليوم، لمدة تتراوح من ٦ إلى ٧ أيام هي طول الـدورة النزويـة. وقد لوحظ أن الأسد قـد ينزو مـرة كل ١٥ إلـى ٢٠ دقيقة، عـلى مدار الليل والنهـار، وقد سجل ١٥٧ جماعاً لأسد واحد، خلال فترة ٥٥ ساعة مع لبؤتين اثنتين.

ويبلغ مـتوسط مدة الحمل في أنـثى الفهد مـن ٩٠ إلى ٩٥ يوماً، ومتوسط وزن الجرو عند الولادة من ٢٥٠جم إلى ٣٠٠جم. وينمو الجرو في اليوم الواحد بمعدل ٥٠جم. وتـتفتح عيناه بـعد فترة مـتوسـط طولـهـا ٧ أيام (مـن ٤ إلـى



١١يوماً)، ويستطيع المشي بعد ١٢ يوماً. وتصل الأنثى إلى سن البلوغ في عمر ٢٢ شهراً. ولها ٦ أزواج من الأطباء أو حلمات الرضاعة، وتلد كل مرة من ٣ إلى ٤ جراء.

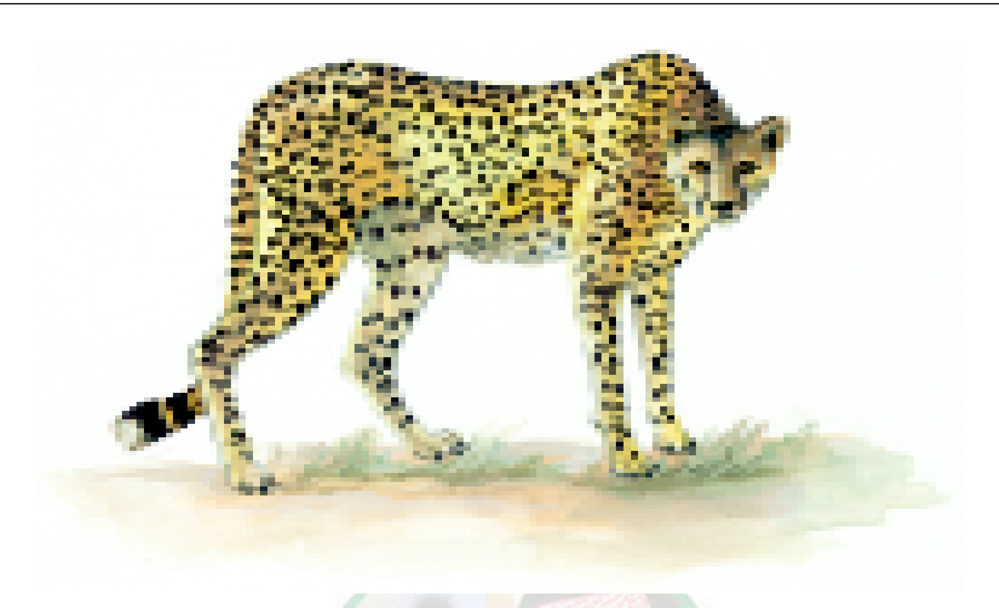
وتتولى الأنثى أمر إعداد الجحر الذي ستلد فيه، حيث تتعرف على الأماكن المناسبة لذلك داخل المنطقة التي تعيش فيها، وتقوم بدفن بولها وبرازها في التربة، في المنطقة المحيطة بالجحر، حتى لا يستدل على وجودها في المنطقة أحد ذكور الفهود أو المفترسات الأخرى مما يهدد سلامة الجراء.

ومن المعروف أنه من الصعوبة بمكان كبير أن يتكاثر الفهد الصياد تحت الأسر. ومن أسباب ذلك أن الأنثى إذا أقامت مع الذكر بشكل مستمر تولدت بينهما علاقة أخوية ولا تمر بدورة نزوية. ولذلك فإنهما في الطبيعة لا يقيمان معاً أبداً. وتقوم حدائق الحيوان بالفصل بينهما طول العام وإدخالهما معاً فقط لبعض الوقت، مما ينشط من حدوث الدورة النزوية لدى الإناث ويشجع التكاثر. كذلك ثبت من الدراسات أن التنافس بين الذكور ضروري حتى ينجح التكاثر تحت الأسر، إذ يبدو أنه يزيد من قدرة الذكر على إخصاب الأنثى. ويماثل ذلك ما يحدث في الطبيعة، حيث تعيش الإناث فرادى بعيدة عن الذكر معظم العام، بينما تعيش معظم الذكور معاً في تحالف، مما يشجع على حدوث المنافسة بينها عند تلاقيها مع الإناث.

وقد وجد أيضاً أنه حتى عند نجاح التكاثر تحت الأسر في الفهد الصياد، فإن نسبة كبيرة من الجراء تنفق. وذلك بسبب حدوث التربية الذاتية الناتجة عن زواج الأقارب. وقد وجد في الطبيعة أن درجة الاختلاف الوراثي بين الأفراد لا تتعدى من ٢ إلى ٤٪، بينما هي في أنواع القطط الأخرى حوالي ١٠٪. وهناك دلائل كبيرة على أن الأعداد المتبقية من الفهد الصياد في أفريقيا حالياً في طريقها إلى الانقراض بعد وقت يطول أو يقصر، رغم جهود المحافظة التي تبذل للإبقاء عليها.

تدريبه على الصيد. يعدّ الفهد من السباع التي تصاد وتستأنس حتى تصيد لصاحبها. وذكر الدميري أن أول من صاد به هو كسرى أنو شروان، أحد ملوك الطبقة الأخيرة من الفُرْس. ومن خُلُقه أنه يأنس لمن يحسن إليه. وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها. وأول من صاد به من العرب هو كليب بن وائل، وأول من حمله على الخيل هو يزيد بن



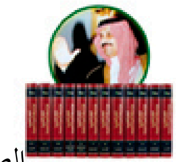


الفهد قابل للترويض والتدريب على الصيد

معاوية بن أبي سفيان، وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني.

ويصطادونه بضروب من الصيد منها الصوت الحسن، فإنه يصغى إليه إصغاءً شديداً. ومنها كدُّه وإتعابه حتى يحمى ويعيا وينبهر ويحفى، فإذا غطيت عيناه وأُدخل في وعاء وجُعل في بيت ما دام وحشياً، ووضع عنده سراج، ولازمه سائسه ليلاً ونهاراً، ولم يدعه يرى الدنيا، وجعل له مركباً كظهر الدابة يُعِّوده ركوبه ويطعمه على يده، فلا يزال كذلك حتى يتأنس، فإذا ركب مؤخر الدابة فقد صار أليفاً.

وفي طباعه أمور منها كثرة النوم حتى يضرب بنومه المثل فيقال «أنوم من فهد»، وكثرة الحياء حتى إنه لا يُعلم أنه عاظل أنثى بين يدي الإنس. ونقل ابن السندي عن بعض الفهادة أن سائسه إذا أمرر يده عليه اطمأن إليه ومال، فإذا وضع يده على فرجه نفر وعض يده. ومنها الغضب حتى إنه إذا أرسل على صيد فلم يحصله احتد، وإن لم يأخذ سائسه في تسليته قتل نفسه أو كاد. قال صاحب المصايد والمطارد: والمسن من الفهود إذا صيد كان أسرع في الصيد من الجرو الذي يربى ويؤدب. والأنثى أصيد من الذكر، كعامة إناث الجوارح. قال: وليس شيء من الوحش في جرم الفهد إلا والفهد أفضل منه. وصيد الفهد الظباء والوعول على اختلاف أجناسها.



ونورد فيما يلي ما يرويه الباشا عن صيد الفهد. يقول إن صائد الفهود يلتمس أرضاً تكثر فيها، فإذا أبصر واحداً منها تتبعه وجدَّ في طلبه وحرص أشد الحرص على ألا يفقد أثره. ويستمر في تتبعه حتى ينام. فإذا نام أزعجه وحمله على أن ينهض من نومته ويواصل سيره. فيستمر في تتبعه حتى ينام الثانية، فإذا نام أزعجه من منامه وحمله على النهوض والسير. وجعل يتتبعه حتى ينام، فإذا نام الثالثة تركه حتى يغط في نومه غطًّا عميقاً وانطرح على جانبه وظهر أنه تعب التعب الذي يبقيه نائماً، فإنه يغطي وجهه بثوب معه حتى لا يراه الفهد إذا صحا ويسرع الخطى نحو الفهد دون أن يحدث صوتاً، ويسارق الفهد النظر من خلال الثوب ليتأكد من عمق نومه. فإذا تأكد له ذلك أتاه من خلفه واضطجع إلى جانبه وعانق رقبته دون أن يعصرها، وجعل جانبه الأيمن عليها ليمنعه من النهوض. ثم ينزع الثوب عن وجهه ويلقيه على وجه الفهد في هدوء ويغطيه به. ثم يضع فخذه على الفهد ويضغط عليه به لكي لا يمكنه من التحرك إذا صحا. ويأخذ حبلاً قوياً يكون قد أعدَّه مع رفيق له فيجعل أحد طرفيه في عنق الفهد دون أن يؤذيه أو يوقظه، ولا يجعله من الاتساع بحيث يمكن أن يخرج الفهد رأسه منه. ويقوم رفيقه بربط الطرف الآخر من الحبل في شيء قوي ثابت في الأرض، كجذع شجرة، ويأمر رفيقه فيربط كلاً من يدى الفهد ورجليه بحبل آخر. ويكون الربط بعيداً عن أعصابه، إلى الأعلى منها، لكي لا يؤذيها. ومتى أحكم وثاقه دق في الأرض وتدين وشد إليهما حبلي يديه ورجليه. ثم يعمد إلى رأسه فيشد الثوب الذي وضعه عليه بسير قوي، ثم يلبسه في كفيه قفازين من كساء متين ويربطهما عليه ليتقي مخالبه. ويكون الصياد قد استعد بجبن كثير ولحم قد قطَّعه قطعاً صغيرة. ويصبر على الفهد، فإذا رآه قد استيقظ من نومه قدم له بعض الجبن من حيث لا يراه، فهو متى شم رائحته لعقه فوراً. ثم يطعمه قطعاً من اللحم صغيرة على قدر الإبهام يجعلها في فمه، قطعة إثر قطعة. ولا بأس في أن يكشف الصياد في ذلك اليوم عن وجه الفهد، على أن يغطي وجهه هو فلا يراه الفهد أبداً. ويبقى على حاله هذه ثلاثة أيام إلى أن يألف الفهد أكل الطعام من يده. فإذا لاحظه بعد ذلك يخاف من رؤيته، غطَّى وجه الفهد.

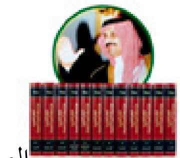
ويجتهد الصياد في خلال هذه الأيام في أن يكثر من الحديث حوله ليألف



على الأصوات. ويحسن أن يجتمع حوله ما أمكن من الناس والصياد جالس خلفه، ورجله اليسرى موضوعة على جنبه، ممتدة إلى ما بين رجليه، وقطعة الجبن في يده يلاقي بها فم الفهد كلما رفع رأسه. فإذا مضى عليه خمسة أيام وهو في مكانه خفف عن رقبته بعض ما شد عليها من وثاق، وذلك بأن يحل العقال عن الوتد ليتمكن الفهد من رفع رأسه. فإذا مضى عليه سبعة أيام، قلع الوتد الذي يشد كتفيه ليستطيع رفع صدره. فإذا مضى عليه عشرة أيام اقتلع الوتد الذي يشد رجليه، ثم يقيده بعد ذلك بقيدين أحدهما في قائمتيه الأماميتين، والثاني في قائمتيه الخلفيتين، على ألا يمنعه ذلك من الوقوف والحركة البطيئة. وعلى الصياد أن يستصحب معه الجبن خلال هذه الأيام كلها، وألا يطعمه بعد ذلك إلا وهو قائم. وأن يكثر سهره في الليالي العشر الأولى فلا ينام إلا غراراً، فإن ذلك أسرع بذلته وأدعى لترويضه (الباشا ١٩٨٣: ١٤١-١٤٥)

وهذه الطريقة التي ذكرها الباشا هي طريقة صاحب أنس الملا في وحش الفلا. وهناك طريقة أخرى لتأنيس الفهد، وهي طريقة صاحب البيزرة. تتمثل هذه الطريقة في أن يضع الصائد على الفهد إثر صيده كساءً يستر به وجهه، ويتخذ له كمامة يكمم بها فمه، ويدخله في غرارة، على أن يجعل رأسه خارجها لئلا يموت من ضيق النفس وشدة الحر، ثم ينقله إلى منزله وهو على هذه الحال. فإذا وصل إلى المنزل قدم له الماء، فإن شربه فبها وإلا رشه على رأسه وأكتافه وخواصره. ثم يعد له قلادة فيها مِدْوَر حتى لا تلتوي على عنقه إذا دار، ويكون في القلادة مجر جيد متين. ويضرب له سكة في مكان بارد ويشده فيها إلى آخر النهار. ثم يأخذ ثلاثة أرطال لحم خروف ويقطعه قطعاً صغيرة ويضعها في قصعة الفهد ويحل الكمامة عن فمه ويقف إلى جانبه ويقدم له القصعة، فإذا أقبل يأكل منها أخذ يمسح جسده مادام يتناول طعامه، فذلك أدعى لأنسه. فإذا أقبل الليل أدخله للبيت في رفق ووضع له قنديلاً في سقف البيت، وسهر معه أكثر الليل، وهو يمسح جسده ليألفه ويطمئن إليه. ويستمر على هذه الحالة ليالي عديدة حتى يأنس الفهد ويقف على قوائمه ويدور حول صاحبه، وحينئذ يحل له مجرّه عند الأكل.

وهناك طريقة لصيد الفهد ذكرها صاحب المصايد والمطارد، وهي أن يبحث الصائد عن موضع تكثر فيه الفهود، فإذا



وجده وقف بعيداً منها متخفياً عنها وجعل يغني لها غناءً مطرباً، ذلك لأن الفهد شديد الولع بالأصوات الحسنة، كثير الإصغاء إليها، حتى أنه لينسى نفسه وهو يسمع الصوت العذب، فإذا استولى عليه الصائد بشبكة أو نحوها فعل فيه ما أوردناه آنفا (الباشا ١٩٨٣: ١٦٦).

وحين يصاد الفهد بأي طريقة كانت، ويتم تأنيسه حتى يطمئن إلى الإنسان، يبدأ الفهاد بتأديبه وتعليمه ركوب الخيل وتضريته على الصيد، وذلك بأن يضع المدرب طعام الفهد في مخلاة ويحمل في يده قصعة ويدأب على دعوته إليها واستجابته بها. وكلما أقبل عليه ولحق به مستجيباً للدعاء، رمى له بالقصعة قليلاً من طعامه الموجود في المخلاة إلى أن يأكل طعامه كله. ويستمر على ذلك أياماً حتى يزداد له إلفاً ويتبعه كما تتبع الكلاب أصحابها. فإذا تم له ذلك بنى له في البيت تمثالاً على قدر الحصان ووضع القصعة على ظهر التمثال ودعاه إليها. فإذا صعد عليه رمى له في القصعة قليلاً من اللحم، فإذا أكله أنزل القصعة إلى الأرض، فإذا نزل الفهد إليها رمى له فيها قليلاً من اللحم، فإذا أكله رفع القصعة مرة أخرى إلى ظهر التمثال وصاح به، فإذا صعد إليها أشبعه. ولايزال يفعل به ذلك حتى يتأكد من حسن استجابته وإلفه للتمثال.

بعد ذلك يقدم له حصاناً هادئاً ذلولاً ويدعوه إليه، فإذا صار يصعد على ظهره ويحسن الجلوس عليه ولا ينفر منه، أخرجه إلى الصحراء وجعل طعامه فيها. ثم لا يزال يؤلفه على الحصان، ويحكم إجابته إليه حتى يجعله يجري وراءه وهو يعدو عدواً سريعاً، ثم يطعمه بعد ذلك يوماً ويغبه يوماً. فإذا أنس هذا الأنس الذي يجعله يتبع صاحبه كما تتبعه الكلاب السلوقية، ويجري وراء حصانه المعد لركوبه ويمتطي صهوته يكون قد أدبه الأدب الذي يمكن الفهاد من تضريته على الصيد. وبعد ذلك يخرج به إلى الصحراء ويأخذ معه غزالاً ثم يطلقه أمامه، فإذا أخذه ذبحه بين يديه وقدم له القصعة وجعل فيها ما يكفيه من اللحم الطري مع شيء من دم الغزال، فإذا شبع أركبه الدابة وعاد به. ثم يكرر ذلك مراراً حتى يألفه. فإذا تأكد من ذلك أخرجه إلى الصحراء وطلب به غزالاً وظبياً، فإذا صاده أشبعه منه. ثم يكرر ذلك معه مراراً، فإذا أتقنه أخرجه الصائد إلى الفلاة وقنص به عجول بقر الوحش.

للصيد بالفهد ضروب ثلاثة: صيد المُكابَرة، وصيد الدّسِيس، وصيد المُذانبة

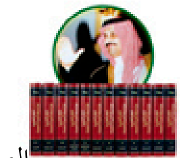


أو الإذناب. صيد المكابرة هو أن يلقى الصائد الظبي بفهده مواجهة ومكافحة، فحيث أمَّ الظبي وجه الصائد فهده نحوه، وقابله به، وأطلقه عليه، فيلقاه وجهاً لوجه كما يلقى الفارس قرنه، ويجول عليه كما يجول على خصمه. وفي هذا النوع من الصيد تعسف شديد وإعنات بالغ للفهد، وهو صيد الملوك، ولعلهم آثروه على غيره لأنه أمتع من النوعين الآخرين وأبعث على الإثارة.

أما صيد الدسيس (والدسيس في اللغة الختل وإخفاء المكر) فسبيله أن يتحرى الصائد الظباء، فإذا وجدها ترعى غافلة غير آبهة، مكَّن فهده من رؤيتها، ثم أطلقه عليها من بُعْد مُعارضاً إياها، لا مواجهاً لها، كما هو الشأن في صيد المكابرة. ويتلطف الصائد ما وسعه التلطف في إرسال الفهد من غير إزعاج له أو إقلاق. عند ذلك تجد الفهد في أروع صوره وأبرع حالاته، فهو يطأ الأرض برفق ويمضي نحو الظباء الراتعة في خفة ورصانة، رافعاً يداً وواضعاً يداً على وزن متساوق وقدر متناسب. ويستمر على ذلك ما دامت الظباء ناكسة رؤوسها في المرعى، فإذا رفعتها وخاف منها أن تنتبه له أمسك نفسه على الصورة التي انتهى إليها، فلا يتقدم ولا يتأخر، ولا يرفع اليد الموضوعة ولا يضع المرفوعة. فإذا طأطأت رؤوسها ثانية سلك سبيله الأولى وهو أشد حذراً وأكثر أناة، حتى ليصح فيه، وهو على هذه الحالة، الوصف الذي وصف به رؤبة الصائد حيث قال: فبات لو يمضغ شرياً ما بصق. وإذا اقترب من طريدته الراتعة الغافلة حبس أنفاسه وامتلأت رئتاه من الهواء، وحمَّى جسده ووثب على فريسته وأمسكها بكلتا يديه، ولبث واقفاً حتى يأتي فهاده ويأخذها منه.

وصيد المذانبة سبيله أن تكون الظباء سائرة في سرب، فيأتي الصائد من خلفها ويطلق الفهد في إثرها من وراء أذنابها، وهو أكثر ضروب الصيد استعمالا وأقلها إعناتاً للفهد وكداً. وهو صيد الدهاقين والفهادين الذين يصيدون لأنفسهم (الباشا ١٩٨٣: ١٦٩).

ويرى العرب أن الفهد هو أكرم الحيوانات الصائدة، وأجلُّها نفعاً، وأحسنها صيداً، وأحلاها في العين منظراً، وأغلاها ثمناً، وأعزها جانباً. لذلك عدُّوه من جوارح الملوك، وضربوا به الأمثال. وإناث الفهد أوعر خلقاً، وأكثر جرأة، وأشد إقداماً، وأجلُّ صيداً من ذكوره. ومن شأن الفهد إذا وثب على طريدته ألاَّ يتنفس حتى ينالها،



فتحمُّ لـذلك رئته، وتمتلئ من الـهواء الذي حبسه. وسبيلـه أن يراح بعد هذا حتى يخـرج ذلك النفس، وتبرد تلـك الغلة، وأن يُـشَق له عن قلب الطـريدة بعد تذكيتها، وأن يُـطعم منها حاجته، وأن يسقى ريَّة ماء إذا كان الزمان صيفاً قيظاً، ودون الرّي إن لم يكن الحر شديداً، ومن ثم تُـبْتَغى له طـريدة أخرى. ولا يصاد به في اليوم أكثر من عشر مرات، وقد يصاد به في اليوم عشرين مرة، وهو إذا لم يُرح لم يـفلح بعد ذلك (البـاشا ١٩٨٣: ١٦١-١٦٢).

ويرى صاحب الـصيد والطرد أن في الفهد خصالاً حميدة، ينبغي لكل صاحب عقل أن يتأسَّى به فـيها. من ذلك أنه يكمن للصيد حتى يتمكن منه. وهكذا فإنه ينـبغي للعاقل ألا يجاهر عدوه بالخلاف، وإنما يَهْتَبل الفرص، فإذا أمـكنته نـال منه مـن غير تعـب للنفس. وأنه لا يعدو خلف صاحبه، وإنما يركب خلـفه، وكأن لسان حاله يقول: هو المحتاج إليّ ولست بالمحتاج إليه فلم أذل نفسي له؟ وهكذا يـنبغي للعاقل ألا يذل نفسه فيما يفعله لغيره. وأنه لا يُلجَأ في تعليمه إلى الضرب، وإنما يضرب الكلب بين يديه، إذا أكل من طريدته، فيتعظ هو بذلك، وهكذا ينبغي للعاقل أن يتعظ بـغيره فالسعيد من اتعظ بغيره. وأنه لا يتناول الخبيث من اللـحم، وإنما يطلـب من اللحم أطيبه، وهكذا ينبغي للعاقل ألا يتناول إلا الطيب. وأنه يثب على طريدته ثلاثاً أو خمساً، فإذا لم يتمكن منها تركها ورجع وكأن لسان حاله يقول: لا أقتل نفسي فيما أعمل لغيري، وهكذا ينبغي للعاقل أن يفعل.

وليس من المعروف بدقة متى توقف العرب في الجـزيرة العربية عـن الصيد بالفهد حيث لا نجـد له ذكراً في المأثور الشعبي. وآخر ما شوهد الفهد في الجزيرة العربـية كان في أوائل القـرن العشرين الميلادي الحالي حيث ورد ذكره فيما كتبه الرحالة الأوروبيون الذين جابوا الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

ذكره في مـأثور القول والأدب. ورد ذكر الفهد كثيراً في التراث العـربي نثره وشعره وأمثاله. من ذلك قول أبي إسحاق الصابئ في رسالة طردية «وكان معنا فهود أخطف من البروق، وأسرع من السهم حين المـروق. وأثقـف من الـليـوث، وأجرى من الغيوث. وأمكر من الثعالب، وأَدَبُّ من العقارب. خُمص الخصـور، قب البطون، رقش المتون. حمر الآماق، خرز الأحداق، هَرْتِ الأشداق. عراض



الجباه، غُلب الرقاب، كاشرة عن أنياب كالحراب. تلحظ الظباء من أبعد غاياتها، وتعرف حسها من أقصى نهاياتها. تتبع مرابضها وآثارها، وتشم روائحها وأبشارها».

وكتب ابن الأثير يصف فهداً بعد أن ذكر ظبياً، فقال «فأرسلنا عليه فهداً سَلِس الضريبة، ميمون النقيبة، منتسباً إلى نجيب من الفهود ونجيبة. كأنما ينظر من حُجْرة، ويسمع من صخرة، ويطأ من كل برثن على شَفْرة. وله إهاب قد جُبل من ضدين: بياض وسواد» (الباشا ١٩٨٣: ١٧٠).

ومما ورد عن الفهد في الأمثال قولهم «أثقل رأساً من الفهد» و«أنوم من فهد» و«أوثب من فهد» و«أكسب من فهد». وذلك أن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد تجتمع على فهد فتي، فيصيد لها في كل يوم شبعها. وقال الشاعر يحمد نوم الفهد:

رقدت مقلتي وقلبي يقظان ... يجس الأمور جساً شديدا

يحمد النوم في الجواد كما لا ... يمنع الفهد نومه أن يصيدا

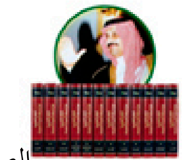
وروى الأصفهاني أن عبدالملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم: صف لي فهودي هذه، فقال:

إنا نزلنا خير منزلات
بين الحميرات المباركات
في لحم وحش وحباريات
وإن أردنا الصيد ذا اللذات
جاء مطيعاً لمطاوعات
علمن أو قد كن عالمات
فسكن كالطرف بمطرفات
تريك أماقاً مخططات

وقال أبو نواس أيضاً يصف فهده الذي أطلقه، فعاين من بعيد سربين من بقر الوحش قد ظهرا فانساب نحوهما:

عاين بعد النظر الممتد
سربين عنا بجبين صلد
فانقض يأدو غير مجرهد
في لهب عنه وختل إد
مثل انسياب الحية العربد
بكل نشز وبكل وهد
حتى إذا كان لها في القصد
صعصعها بالصحصحان الجرد
وعاث فيها بفريغ الشد
بعد شريجى طمع وحرد
لا خير في الصيد بغير فهد

يأدو: يختل، مجرهد: من اجرهد، أي أسرع وامتد وطال فهو مجرهد، الإد: الأمر الفظيع المنكر، الصحصحان: الأرض المستوية.



وقال ابن أبي كريمة (أحمد بن زياد) في وصف الفهود بعد وصف الكلب:

بذلك أبغي الصيد طورا وتارة
بمخطفة الأكفال رحب الترائب

مرقعة الأذناب نمر ظهورها
مخططة الآماق غلب الغوارب

مدنرة ورق كأن عيونها
حواجل تستذمي متون الرواكب

إذا قلبتها في الفجاج حسبتها
سنا ضرم في ظلمة الليل ثاقب

مولعة فطح الجباء عوابس
تخال على أشداقها خط كاتب

نواصب آذان لطاف كأنها
مداهن للإجراس من كل جانب

ذوات أشاف ركبت في أكفها
نوافذ في صم الصخور نواشب

ذراب بلا ترهيف قين كأنها
تعقرب أصداغ الملاح الكواعب

فوارس ما لم تلق حربا ورجلة
إذا آنست بالبيد شهب الكتائب

ترو وتسكين يكون دريئة
لهن بذي الأسراب في كل لاحب

غُلْب: غلاظ، الغوارب: جمع الغارب، وهو الكاهل، قيل ما بين العنق والظهر، مدنرة: فيها نكت كأنها الدنانير، الحواجل: جمع حوجلة: قارورة صغيرة واسعة الرأس، تستذمي: تتبعه، فوارس: نعت الفهود بالفوارس لأنها تُركب الخيل.

وقال عبدالله بن المعتز:

لا صيد إلا بوثابة
تطير على أربع كالعذب

وإن أطلقت من قلاداتها
وطار الغبار وجد الطلب

فزوبعة من بنات الرياح
تريك على الأرض شدا عجب

تضم الطريد إلى صدرها
كضم المحب لمن قد أحب

إذا ما رأى عدوها خلفه
تناجت ضمائره بالعطب

ألى رب يوم لها لا يذم
أراقت دما وأغابت سغب

لها مجلس في مكان الرديف
كتركية قد سبتها العرب

ومقلتها سائل كحلها
وقد جلبت سبجا في ذهب

غدت وهي واثقة أنها
تقوم بزاد الخميس اللجب

الوثابة: الفهدة، العذب: أغصان الشجر، السبج: خرز أسود، الخميس: الجيش.

وقال عبدالله بن المعتز في الفهود أيضاً:



أنعت أمثالاً قذذن قذا
يشحذها الشوط البطين شحذا
توازيا خلف الظباء حذا
كأنها تجبذهن جبذا
تجذ غيطان الفلاة جذا
كالنبل هذتها القسي هذًّا

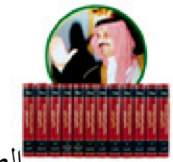
قذذن، من القُذه: ريش السهم، البطين: البعيد، الحذ: السريع السير، الجبذ: الجذب، الجذ: القطع، هذتها: دفعتها بسرعة. وقال صفي الدين الحلي:

ويوم دجن معلم البردين
سماؤه بالغيم في لونين
قضيت فيه بالسرور ديني
وسرت أفلي مفرق الشعبين
بأدهم محجل الرجلين
سبط الأديم مغلق اليدين
خصب القطاة ماحل الرسغين
وسرب وحش مذ بدا لعيني
عارضته في منتهى السفحين
بأرقط مخطط الأذنين
ناتي الجبين أهرت الشدقين
أفطس سبط الشعر صافي العين
ينظر في الليل بجمرتين
ذي كحل سال من العينين
فخط لامين على الخدين
محدد النابين والظفرين
رقيق لحم الزند والساقين
ذي ذنب أملس غير شين
فخاتل السرب بخطوتين
وأردف الخطو بوثبتين
فكان فيها كغراب البين
فرقها قبل بلوغ الحين
ونال منها أعفر المتنين
أجيد مصقول الإهاب زين
جد له في ملتقى الصفين
ولم يحل ما بينه وبيني
نلت بمهري وبه كفلين
إنهما للصيد عدتين

افتلق وتفلق وأفلق: اجتهد بالعدو، الأرقط: الفهد، القين: الحداد، الكفل: الحظ.

وقال أبو نواس:

ناديت فهادي برد فهده
نداء من جاد له بوده
فجاء يزجيه على سمنده
أصغر أحوى بين بين ورده
واحد متر في اكملال قده
قلت ارتدفه فانثنى لزنده
ما كان إلا نظرة من بعده
ونظرة أخرى بأدنى جهده
حتى أرانا العين دون ورده
مطرداً يحسو بشفري عده
فانصاع مرقداً على مرقده
كأنه حين انفرى في شده



وامتد للناظر في مرتده
كوكب عفريت هوى في عده
كما انطوى العاقد من ذي عقده
خمسين عاماً في يدي معتده
حتى احتوى العين ولما يُرْده
فنحن أضياف حسامي غمده

يزجيه: يسوقه، الأحوى والورد: من الألوان ما بين الكميت والأشقر، اكملال قده: اكتمال قده، ارتدفه: اجعله لك رديفا على الجواد خلفك، العين: جمع عيناء بقرة الوحش، ورده: الماء الذي يرده، مطرداً: متتابعاً، يحسو: يشرب شيئاً فشيئاً، شفرى عده: أطراف الماء الجاري، انصاع: بادر وأسرع، مرقداً: مسرعاً، انفرى: انقطع، الشد: الجري السريع، مرتد: مرتد البصر، طوى العاقد: كان العرب يطوون أصابعهم عند رأس كل عشرة لدى العد فسميت عقوداً، إحتوى العين: أخذ البقر الوحشية، يرده: يقتله، حسامي غمده: براثنه.

وقال عبد الصمد بن المعذل بن غيلان في إحدى طردياته يذكر الفهد:

قد اغتدي والشمس في أرواقها
لم تأذن السدفة في إشراقها
وصحبتي الأمجاد في أعراقها
على عتاق الخيل في أعناقها
نمر نبات القفر من أرزاقها
تغدو منايا الوحش في أطواقها
قد واثقتنا وهي في ميثاقها
وفيّة ما الغدر من أخلاقها
مدمجة هيف على أخناقها
ترى بأيديها لدى اتساقها
وحيدها بالقاع واتفاقها
مثل أشافي القين بانزلاقها
تقدماً تخبط باعتلاقها
قد التجار العصب من شقاقها
كأنها والخزر في أحداقها
والخطط السود على أشداقها
ترك جرى الإثمد في آماقها
باتت إلى الصيد من اشتباقها
تلهب النيران في احتراقها
حتى إذا آلت إلى مشاقها
بالسهلة الوعساء من أبراقها
في مأمن العيران من طراقها
ورعها الناظر من طباقها
وآنست بالطرف واستنشاقها
وجعلت تأشر من إقلاقها
حلت وسمينا على إطلاقها
وقد حدرنا الوحش من آفاقها
يسوقها الحين إلى مساقها
حذافة تخفى على رماقها
من ختلها الوحش ومن إشفاقها
أما رأيت الريح في احتراقها

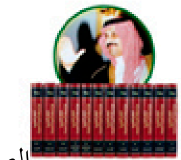


ولمعة البارق في ائتلاقها
وغبية الشؤبوب في انبعاقها
وطيرة الأقداح في إغراقها
تهوي هوي الدلو في ارتشاقها
ما أدرك الطرف سوى لحاقها
وهصرها الآرام واعتناقها
وخصفها الأيدي إلى أعناقها
شرك الصناع النعل في طراقها
شاصية تنشج في آماقها

الأرواق: مفرده روق وأروقة، السدفة: الظلمة، الأعراق: الأصول، الأعناق: نسبة إلى الأعنق أحد الفحول المشهورة من الخيل، نمر: لونه أنمر، الطوق: ما يطوق الرقبة، المدمج: الملفوف بعضه على بعض، الهيف: الضامر، الأخناق: الضمور، الاتساق: الانتظام، القاع: المستوى من الأرض، الأشافي: السيور، الخزر: ضيق العيون، الأشداق: جمع شدق جانب الفم، الإثمد: الكحل، الأرباق: جمع ربق وهو ما يربط به البهم، أوهاق: جمع وهق وهو الحبل، المعزاء: الأرض الحزنة، المتاق: ما تتوق إليه النفس، براقها: جمع برقاء وأبرق وهو الجبل مكسو برمل تظهر فيه حجارة، الطباق: شجر، الأشر: البطر، حلت: أطلقت، حدر: حط من عل، الحين: الأجل، الرماق: جمع رامق، وهو الناظر، اختراق: مرور، الغبية: الدفعة الشديدة من المطر، انبعاق: السيلان بشدة، الأقداح: السهام، ارتشاق: الرمي، الهصر: الثني والكسر، الخصنى: الخرز، الصناع: الماهر البارع في صنعته، شاصية: شخص، تنشج: تنص بالبكاء.

وقال الناشئ الأكبر عبدالله بن محمد الأنباري يذكر الفهد:

وأنمر موشى القميص ملمع
كأن عليه منه رقماً موشما
يلوح على خديه خطان عرجا
قليلاً ورداها بطين فقوما
مفتل عضدي ساعديه كأنما
أعير بقد ثم شدا فأبرما
فنيطت فضول الساعدين وأحكمت
برسغين لزا بالوصول فألحما
تضمن أظفاراً كأن حجونها
حجون الصياحي أعجزت أن تقلما
له هامة لو أن كفار هيشة
دحتها على حم الصفا لتهدما
وعينان لو تدنى إلى قبسيهما
ذبالاً تذكى منهما وتضرما
ونابان لو يسطو الزمان على الورى
بحبيهما كان الحمام مقدما
ووجه بجيل الخير من صفحاته
أبى كيده للخلق أن يتبسما



وشـدقان كـالـفـارين يـلـتـهـمـانه
مـن الربـد والحمـش الأوابد لـهـمّـا
أجـدت له الـتقـويم حتـى كفـفـته
من الـشيـم اللاتـي أبت أن تـقومـا
وعلـمتـه الإمساك للصيـد بـعدما
يـئسـت لطـبع الجـهل أن يـتعـلما
فـجاء عـلـى مـا شئـتـه ووجـدته
محـلاً لما قـد كان مـن قبـل حرما
إذا ما غدونا نبـتغي الصيد أسمحـت
لـنـا نـفـســه ألاّ يـريـق لـه دمـا
إذا لاحـظت عـيناه خشـفاً يـرومه
تـنـمـر فـي اكـفهـراره وتـزغـمـا
فـيـكفـيـه مـن إحـضاره وثـبـاتـه
ومـن روغان الـصيـد أن يتـجهـمـا

الأنمر: الذي يشبه النمر، القد: سير من جلد غير مدبوغ، الصياصي: جمع صيصة وهي شوكة الحائك، الرهيشة: الضـعيفة، الـذبال: جمع ذبـالة وهي الفتيلة، الربد: جمـع ربداء وهي الشاة السوداء المنـقطة ببياض، الحمـش: دقة الساقين، ترغم: ردد صوته، الإحضار: شدة العدو.

وقال ابن المعتز في طردية ذكر فيها الفهد:

قـد أغـتـدي قـبـل غـدو بغـلـس
يـلاحـق الـوثـبـة ممـتـد الـنـفـس
مـحـــمـلـــج أمـر إمـرار المـــرس
نـعـم الـرديف راكـبـاً فوق الـفرس
يـنـفي القذى عـن مقلة فـيها شوش
كـالزلـم الأصغـر صك فـانْـمَلَـس
عـليـه تـلويـحـات وشم مـا درس
لمـا خـرطـنـاه تـدلـى وانـغـمـس
وخـادع المـوت بـين وثاب خـلـس
إذا عـدا لـم يـر حـتـى يـفـتـرس

محملج: مفتول، الشوس: النظر بمؤخرة العين تكـبراً أو تغيظاً، الزلـم: السهم، صك: ضرب، انملس: صـار أملس، الوشـم: النقش على الجـلد، خرطـناه: أطـلقـناه، خـلس: كثـير المخالسة.

أما في الشعر العامي فيرد ذكر الفهد في أبيات من قصيدة شبه فصيحة قالها النابغـة ابن غنام يمدح فيـها محمد بن أجود، أحد أمراء الجبريين، وفيها يستطرد في وصف الـفهد الذي كـان يستخـدم للصيد علـى زمن الجبريين حيث كانوا آنذاك يدربون الفهود على صيد الظباء. ويصف ابن غنام قوة وثبة الفهد بالنشاب إذا انطلق من القوس.

تسـلسل مـن ماضـي خيارٍ مـجرّب
كحـد اليـمانـي فـيصلي المـضارب
كـما حـضـرمـيٍّ أنمريٍّ مـشـخّـف
غـلـيـظ الـذراعين ادرمـيّ المخالـب
همـومٍ لهومٍ ألـطف العـقب مـسند



له الصدر مفجوجٍ غليظ المناكب
هلوعٍ فجوعٍ من إذا الجوع قد بقى
طواه القوى وامسى له الجوع راعى
على محمله ينظر يمينٍ ويسره
كما درب قومٍ يتّقي بالمراقب
إلى شام للعليا وله حل مرسنه
مع الغمض يوري في خمار المساح
بالاوثاب عجلٍ يطوي البيد كنه
نَشّابٍ استافاه بالقوس جاذب
ختولٍ قتول الصيد هلعٍ مشكّل
إلى صار هو من حول الاقمان كاه
قصولٍ فصولٍ لظهور معوّد
لَتيس الظَّبا دومٍ بعسماه ضارب
ظباً صكّها من حيّ عسماه حطّها
على الخد ألقاها صروعٍ عواطب
كما شامي خرسٍ حسينٍ مهوّر
بالاثمان ما يغليه بالسوق جالب
على صاحبه غالي وشاريه نافق
إلى شافه القناص لشراه طالب
قد حطّ في كفّه مضى عقب ما ان
شرا البيع هِنّي به ولو غِلِي غالبقضى
جميلٍ قصير الساق افجٍّ مفرجل
كأقبا إلى اطحا ماتحه لوي جاذب
حديد النضر من ذالق العين كنه
إلى خِلْتها فيها سنا النار ثاقبا
لا ذا ولا هذاك يمضي إلى عدى
بصيده وكلٍّ في معانيه آدب

التفه

صفاته. هو عناق الأرض أو الوسق، أحد الضواري التي يصاد بها. جسمه شبيه بانسياب جسم الفهد، غير أنه يختلف عنه في اللون والحجم. فلونه أحمر بخلاف الفهد المنقط ويختلف عنه بسواد أذنيه وغبشة في وجهه. وحجمه أصغر منه لا يزيد عن حجم الكلب الصغير، وهو أكبر قليلاً من الظربان.

يقول المعلوف «عناق الأرض حيوان من رتبة اللواحم، أي آكلات اللحوم من فصيلة السنانير. أكبر من القط قليلاً بينه وبين الكلب، لونه أحمر، وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود. وهو يستأنس ويعلم الصيد فيصيد. اسمه سياه كوش بالفارسية، وقره قولق بالتركية، ومعنى الاسمين أسود الأذن. ومن التركية اسمه الافرنجي والعلمي. واسمه عند عامة أهل السودان أم ريشات، لهذه الشعرات السود في أعلى أذنيه. ومن أسمائه الواردة في كتب اللغة: العُنْفُط، والفُنْحُل، والقُنْجُل، والعُنْجُل، والحنْجُل، والحَنْجَل. ومنها الفُرانق، أي النذير، لأنه على زعمهم ينذر الأسد. ومنها التُفَه والتُفَّه وهو أيضاً سنور بري يعرف عند عامة المصريين بالتِفه» (١٩٣٢: ٤٩).



الوشق (عناق الأرض)

وينقل المعلوف عن الدميري قوله «عناق الأرض دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير، وهو التفه المتقدم ذكره.» وقال في التفه «ويسمى عناق الأرض، والفنجل نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيده في غاية الجودة والملاحة، وربما واثب الإنسان فيعقره ولا يطعم (يأكل) غير اللحوم، ويحرم أكله لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب ومخلب من السباع.» وذكر الأزهري أن عناق الأرض فوق الكلب الصيني، يصيد كالفهد، ويأكل اللحم، وهو من السباع، يقال إنه ليس شيء من الدواب يؤبر، أي يخفي أثره إذا عدا، غيره وغير الأرنب (١٩٣٢: ٥٠).

ويقول المعلوف أيضاً: وكان العرب والفرس يعرفون عناق الأرض تمام المعرفة، ويصيدون به. وممن صاد به ووصفه السيد محمد المنكلي وله في كتاب أنس الملا بوحش الفلا باب سماه باب تعليم عناق الأرض (١٩٣٢: ٥١).

ويقول خالد بكر الكمال عن الوشق أو التفه: إنه يتبع عائلة القطط أو السنوريات، التي تتبعها تحت عائلتين



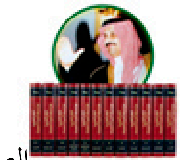
هما: تحت عائلة القطط والوشق، وتحت عائلة الأسود والنمور والفهود. ويتبع تحت عائلة القطط والوشق جنسان هما: جنس القطط وجنس الوشق.

ويضيف الكمال قائلاً «هناك اختلاف في اعتبار أن الوشق أو التفه جنس منفصل عن جنس القطط. ويتميز الوشق برؤوس كبيرة نوعاً ما، وبخصلة شعرية على طرف كل من الأذنين تشبه الفرشاة. والذيل قصير بدون خطوط سوداء. ولون الفراء رملي أحمر، ولا توجد به أية خطوط. وتوجد بقعة سوداء فوق العين. والأطراف عالية. ووزنه من ١٠ إلى ١٥كجم. ويعيش هذا الحيوان في الغابات الكثيفة، وكذلك في البراري والصحاري والمناطق الجبلية» (١٩٩٠: ١٠٩). ويتغذى الوشق على صغار الثدييات والزواحف والطيور. وتضع الأنثى عادة خمسة من الصغار. وهو يستوطن في أفريقيا وآسيا. وينتشر في المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية. وقد وجد في الطائف.

يقول الدميري في حياة الحيوان الكبرى التفه ويسمى عناق الأرض والغنجل نوع من السباع، نحو الكلب الصغير على شكل الفهد، وصيده في غاية الجودة والملاحة، وربما واثب الإنسان فيعقره، ولا يطعم غير اللحوم، وربما صاد الكركي وما قاربه من الطير فيفعل به فعلاً حسناً. وقد قالت العرب في أمثالها «أغنى من التفه عن الرفه» والرفه التبن. ويقال أيضاً «استغنت التفه عن الرفه» وذلك أن التفه سبع لا يقتات (لا يأكل) الرفه أصلاً، وإنما يغتذى باللحم فهو يستغني عن التبن. والمعروف في التفه والرفه تخفيف الفاء. وقال الأستاذ أبو بكر هما مشددتان. وقد أوردهما الجوهري في باب الهاء، فقال: التفه والرفه، وفي الجامع مثله إلا أنه قال: يخففان. وأما الأزهري فإنه أورد الرفه



خصل الشعر على أذني عناق الأرض



في باب الرفت بمعنى الكسر. وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: الرفت: التبن. وفي المثل «أغنى من التفه عن الرفت». وقال الأزهري: والتفه تكتب بالهاء والرفت بالتاء. قال الميداني: وهذا من أصح الأقوال لأن التبن مرفوت أي مكسور. ويقال في المثل أيضاً «لقي عناق الأرض»، و«أذني عناق» أي داهية.

ويقول الباشا في كتابه الصيد عند العرب «عناق الأرض وجمعه عنق وعنوق، ويسمى التفة والفُنْجل، وهو دابة أصغر من الكلب وأكبر من السنور، حسن الصورة، طويل الظهر ذو أذنين سوداوين وجسد يشبه في لونه لون البعير الأحمر وهو يحكي بصورة عامة شكل الفهد. وهو من الجوارح التي تضرى على الصيد فتضرى وتصيد صيداً في غاية الجودة والملاحة، يفوق في جودته وملاحته صيد الكلب. وهو يصيد كل شيء إذا علم، شأنه في ذلك كشأن الفهد. وهو مع ذلك يصيد الطير أيضاً، فربما صاد الكركي. وما قاربه فإذا طار الكركي وثب عليه وثبة شديدة في الهواء وأخذه برجله. وهو كالفهد في الاستخفاء عن الطريدة وختلها حتى يظفر بها. وقد ضرب به المثل فقيل «لقي فلان عناق الأرض» أي داهية.

ويضيف الباشا قائلاً: ولم تكثر كتب البيزرة من الحديث عنه، بل إن بعضها أغفله إغفالاً تاماً، وذلك لأن أكثر استخدامه في بلاد العجم والموصل وبلاد الروم (١٩٨٣: ١٧١-١٧٢).

ذكره في مأثور القول والأدب.

خصص كشاجم صيد عناق الأرض للكركي وما شابهه من الطير، وروى طردية لشاعر لم يسمه يصف فيها صيد عناق الأرض للكركي، فنهضه بطيء، لكنه سريع الطيران والهبوط:

يارب كركي بطيء النهض
مشتعل المطار والمنقض

ثم يشبه سرب الكراكي بعقد لؤلؤ تناثرت حباته، يحرس بعضها بعضاً بعين لا تعرف الغمض، إذ يمنعها خوفها من الردى أن تنام، استطاع عناق الأرض الداهية أن يسلط عليها العذاب، فهو كثير الصيد وفعله مشهور، لها ناب قتال، ولا سيما إذا عضت الطريدة، وهي تثب بعد أن تختفي رابضة مدة طويلة في مكان لا يفطن إليه أحد. وهي عنيفة في طردها تحطم العظام تحطيماً، وتنزع الجلد نزعاً.

سرب كعقد اللؤلؤ المرفض
بمقلة هاجرة للغمض
يمنعها خوف الروى أن تفضي
صبت عليه بعذاب محض



داهيــــة لا تـشـتـكـــي بـالحـض
مـقامـهـا فـي الـصـيـد غـيـر دحض
أقـتـل شـــيء نـابـهـا بـالـعـــض
سـاخـطـة عـلـيـه سـخـطـاً يـرضـى
وثـابـــة مـن بـعـد طــول ربـض
أخـفـى مـن العـرق الخفـي الـنـبـض
مـاضـــيـة كـــأنـهـــا لا تمـضـــي
تـــرض عـظـــم الـــهـام أي رض
وتـنـــفـض الإهـــاب أي نـفـــض
حـتـى إذا أمـكـنـهـا أن تـقـضـي
قـضت عـلى حـوبـائه أن تـفـضـي
فـنحـن مـن غارتـهـا في خـفـض
ولحـــم طـــيـر مـــالـــح وغـــض
قـامـــت لـنـا مـقـــام مـال نـض
لا صـيـــــد إلا بـعـنـــــاق الأرض

ويورد كشاجم طردية أخرى في صيد عناق الأرض ينسبها للناشئ. نختار منها الأبيات التالية:

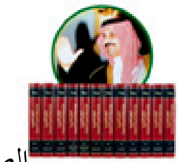
قال الناشئ الأكبر عبدالله بن محمد:

من كـان بالـصيـد كسابا فقـانصـه
ذو مـرة في سـبـاع البـيـد معـدود
لـه مـن الليـث نـابـاه ومخـلـبـه
ومن غـرير الـظـبـاء الـنحر والجـيد
كـأنـه لابـس مـن جـلـده فـنـكـا
فـي لـينـه لـبـنان الـكـف تمـهـيـد
مـلمـع أخـصـف الـعـيـنين منتدب
كـأنـه ببـديـع الـشـكـل مـقـصـود
تحـكـيه فـي لونـه نمر الغـطـاط وفـي
لطـف المكائـد منه الـسمع والـسيد
يكـاد من سـدكه بالأرض يـخرقهـا
كـأنـه بـحـثـيـث الـذعـر مـزءود
يـنـساب كـالأيم هـبـالاً لبـغـيـتـه
حـتـى إذا أمكـنـتـه وهو مـكـدود
سطـت عليه بهـا كف المـنون فمـا
تـبـغـي نجـاءً وورد الحـين مـــورود

والملمع من الحيوان: الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه. الأخصف: لون كلون الرماد، والأيم: الحية، وذكر الأفعى، والهبال: الصياد الذي يهتبل الصيد أي يغتره.

وقال أحمد بن طاهر في عناق الأرض:

ويـل بـنـات الأرض مـن لـعـوب
إذا اغـتـدت بـصـاحب مـصـحـوب
عـاص عـلـى المـلام والـتـأنـيـب
فـاشـترفـت مـن جانـبـي كـثـيـب
بمـقـــلـة تـشـق فـــي الـغـيـــوب
فـآنـسـت سـربــاً مـن الـسـروب
لـيـــس بمـحـروس ولا مـــربـوب
فـالتـهبـت كـالكـوكب المـشـبوب
وانـدفـعـت كـالـفـرس اليـعـبـوب
وخـفـيـت كـالـقـاتل المـطـلـوب
وظـهـرت كـالـطـالـب الـقـريـب
فـرجـعـت بـثـعـلـب مـسـحـوب



وأتبعت بأرنب مجنوب
أديبة تأوي إلى أديب
مرهوبة من أنفس المرهوب
تأخذ بالعيون والقلوب

السلوقي

صفاته. يتفق العلماء على أن الكلب هو أول أنواع الحيوانات التي استأنسها الإنسان. وقد حدث ذلك منذ حوالي اثنى عشر ألف عام تقريباً، حيث كان الإنسان يعيش عيشة البدو الرحل، يعتمد في قوته على جمع الثمار من النباتات وصيد ما يستطيعه من أنواع الحيوان. ويؤدي الكلب للإنسان خدمات جليلة من أهمها الحراسة والصيد والرعي، وهداية المكفوفين إلى الطريق، وجر الزحافات في مناطق حياة الإسكيمو المتجمدة، وأخيراً اقتفاء أثر المجرمين الخارجين على النظام، وضبط الممنوعات، وتسلية الصغار والكبار من المرفهين. واقتناء الكلب للحراسة أو للرعي أو للصيد مباح شرعاً. جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺقال: من اقتنى كلباً ليس بكلب ماشية، أو ضارية، نقص كل يوم من عمله قيراطان. وقال أيضاً: من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب صيد أو ماشية. وكلب الصيد



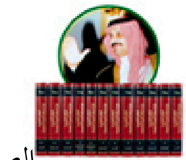
قناص أرانب بصحبة سلقة وصقر حر



المعلم من الجوارح التي أحل الله سبحانه وتعالى أكل صيدها.

وقد عرف الكلب السلوقي منذ زمن طويل جداً، واكتسب اسمه ذلك من عصور ما قبل الإسلام. ورغم ذلك فإن ورود اسمه في الشعر الجاهلي نادر جداً. وأول دلالة في الشعر العربي على أن الكلب السلوقي قد اكتسب اسمه منسوباً إلى بلدة سلوق في اليمن، جاء في شعر أحد الشعراء الأمويين الذي وصف سلوكه في الصيد بسلوك الخيل في المعارك. وتقع بلدة سلوق هذه، كما يقول الجغرافي اليمني الهمداني، في منطقة خضير باليمن. وعلى الرغم من أنها كانت في زمنه أطلالاً، إلا أنها كانت في زمنها مدينة عظيمة تسمى جبيل الريبة، وكانت تشتهر بأشغال الحديد والفضة والذهب، وسك العملات، ومشغولات الزينة بشكل عام. وتقع منطقة خضير في منطقة وادي الجنات. وكانت المستوطنات الرئيسية في هذه المنطقة، خلال العصور الوسطى، هي الدُّمْلُوة والجُوَّة وكِرْش والجَنَاد، التي لا تبعد عنها كثيراً. وفي أحد المراجع الجغرافية العصرية، أخبر الوايسي عن مكان اسماه شبير الجبيل في منطقة خضير، وكان يطلق عليه أيضاً جبيل الريبة. وعلى ذلك تكون بلدة سلوق هذه، على وجه التحديد، قريبة من مدينة تعز في الجنوب الشرقي، وكانت مركزاً لاستخراج المعادن وتصنيع دروع الزرد، واكتسبت هذه السلالة من كلاب الصيد العربية اسمها منها.

وحتى الآن لم يعثر على ذكر لبلدة سلوق في الكتابات والنقوش الأثرية المحفورة في آثار وأطلال ما قبل عصر ظهور الإسلام، رغم أن الإنسان يتوقع ورود ذكر بلدة كهذه في آثار تلك الحقبة الزمنية. وهناك أربعة أماكن أخرى تحمل نفس الاسم تقريباً ويحتمل أن يكون الكلب السلوقي قد اكتسب اسمه من أحدها. فهناك سلوق التي تقع على حدود أرمينيا ملاصقة لأراضي خازار غربي بحر قزوين، وهناك بلدة أخرى تقع بالقرب من أنطاكية، والبلدة الثالثة تقع في الأراضي البيزنطية، هي مدينة سيلفك التركية الحديثة، التي يطلق عليها اسم سلاقية، والبلدة الرابعة هي بلدة سلوقية التي تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات بالقرب من بغداد، وهي البلدة التي بناها الإمبراطور سيلوكاس الأول عام ٣١٢ قبل الميلاد، وكانت عاصمة للدولة السيلوسيدية التي حكمت حتى عام ٦٥ بعد الميلاد.



ويظل أقوى الاحتمالات أن سلالة الكلب السلوقي قد اكتسبت اسمها، من بلدة سلوق باليمن. جاء في لسان العرب أن سلوق أرض باليمن، وفي التهذب: قرية باليمن، وهو بالرومية سَلَقْية، قال القطامي:

معهم ضوار من سلوق كأنها
حصن تجول تجرر الأرسانا

والكلاب السلوقية: منسوبة إليها. وقال: سلوق مدينة اللان تنسب إليها الكلاب السلوقية.

ويمكن تمييز كلاب الصيد، التي يعرف منها ما يزيد على عشرين سلالة في العالم، إلى مجموعتين: مجموعة تعتمد في مطاردة فرائسها على حاسة البصر الحادة، ومجموعة تعتمد على حاسة الشم القوية لديها. ومن كلاب المجموعة الأولى الكلب السلوقي، وهو السلالة الوحيدة من سلالات كلاب الصيد التي يعتمد عليها الصيادون العرب في صيدهم للفرائس الكبيرة كالظباء والمها، والمتوسطة كالأرانب البرية. وأقرب سلالات كلاب الصيد الأخرى شبها به سلالة كلب الصيد الأوروبي، وسلالة البورزُوي، وسلالة الهِويبِّت، وسلالة الكلب الأفغاني، وسلالة الكَلَب الروديسي. ولكن هناك فروقاً شكلية واضحة تميزه عن هذه السلالات.

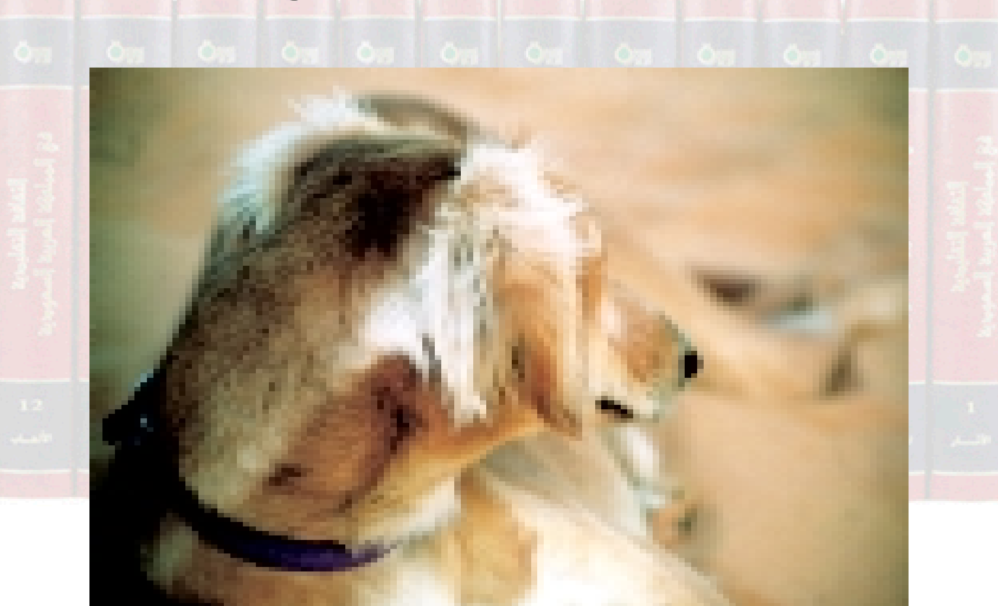
ويعرف أيضاً الكلب السلوقي باسم كلب الغزال. وهو أقدم سلالات الكلاب النقية التي حصل عليها الإنسان، وكان ذلك منذ حوالي ٥٠٠٠ عام، في منطقة الشرق الأوسط. وهو من أرشق الكلاب وأخفها حركة وأسرعها عدواً لمسافة طويلة، لسعة صدره وعمق تنفسه، وبه ضرب المثل الشعبي «فلان أسبق من السلوقي». وقد يكون كلب الصيد الأوروبي أسرع منه عند بداية انطلاقه، ولكن يقصر عنه في طول المسافة التي يمكنه أن يقطعها عَدْوًا، لأن الكلب السلوقي، وإن كان أقل منه سرعة، أطول منه نفَساً لدرجة تمكنه متابعة الصيد لمسافة طويلة. كما أن بطن أقدام الكلب السلوقي سميكة بحكم تأقلمه مع البيئة فلا تحفى بسرعة مع طول الجري. وقد أظهرت التجربة العملية أن كلب الصيد الأوروبي لا يستطيع العدو خلف الطريدة لمسافة تزيد عن ١٥٠م ثم يتوقف حيث تحفى أقدامه ويناله العطب السريع (الحفا) الذي يصيب باطن أقدامه فلا يعاود التجربة مرة أخرى.

ورغم التشابه الكبير في الشكل والحجم بين الكلب السلوقي وكلب الصيد الأوروبي الرمادي، إلا أنه يسهل التمييز بينهما، لأن أذني الكلب السلوقي



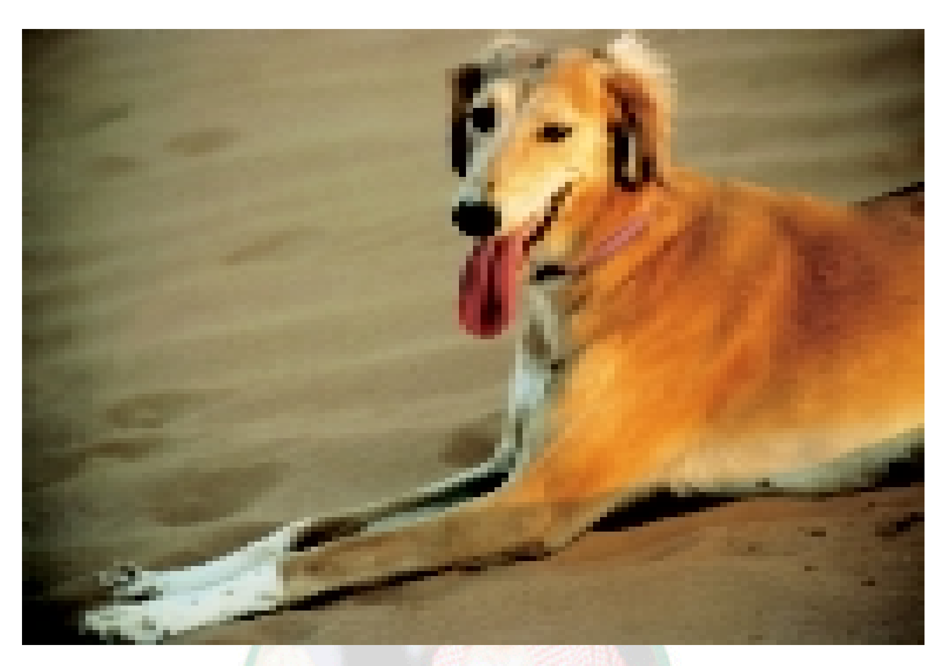
طويلـتان متدلـيتان علـى جانبي رأسه تتحركان بسهولة وتتأرجحان كالبندول، بينـما أذنا الكـلب الأوروبي قصيـرتان منتصبتان. وهو أعرض جسماً وأثقل وزناً من الكلب السلوقي، إلى جانب ما سبق ذكره، من أن الكلب السلوقي أقل سرعة من الـكلـب الأوروبي، فـي اندفـاعه المبدئي، ولكنه أقدر منه على متابعة العدو لمسافة أطول، وهو فرق حاسم بـالنسبة لقدرة كل من السلالتين على القيام بالصيد ومتابعة الطرائد. كما أن باطن قدم الكلب الأوروبي لا تتحمل الضغط والاحتكاك القوي السريع لفترة طويلة بسبب طبيعة الأرض في أوروبا، خلافاً للسلوقي الذي تكون طبقة باطن قدمه سميكة.

اتفـقت المـصادر عـلى أن الـكلـب السلوقـي عميق الزور (عميـق الصدر)، طويل الرقبة، واسع العينين، قصير الظهر، عريض الفطحة (الكفل)، طويل الفخذ، ضامر البطن والخصر، نحيل الساقين من العرقوب إلى الرسغ، صغير الرأس، طويل الخطم (الحنك) دقيقه مع صفاء لونه ومماثلته للون بـقية الرأس، فـكلما طال خـطمه واستدق كان أفضل، أما إذا قصر وضخم كان أقرب إلى أن يكون هجيناً مع الكلاب العاديـة، طويل الأذنين، اللتـين تتدليان مرتخيتين، وتتأرجحان بيسر، وتتـباعدان على جانبي جـبهة واسعة بارزة. قائمتاه الأماميتان مسـتقيمتان، وأصابع القدمـين متقاربة لا تسمح بدخول التراب أو الطين



أذنا السلوقي طويلتان متدليتان على جانبي رأسه





يمتاز السلوقي بطول الرقبة وسعة العينين

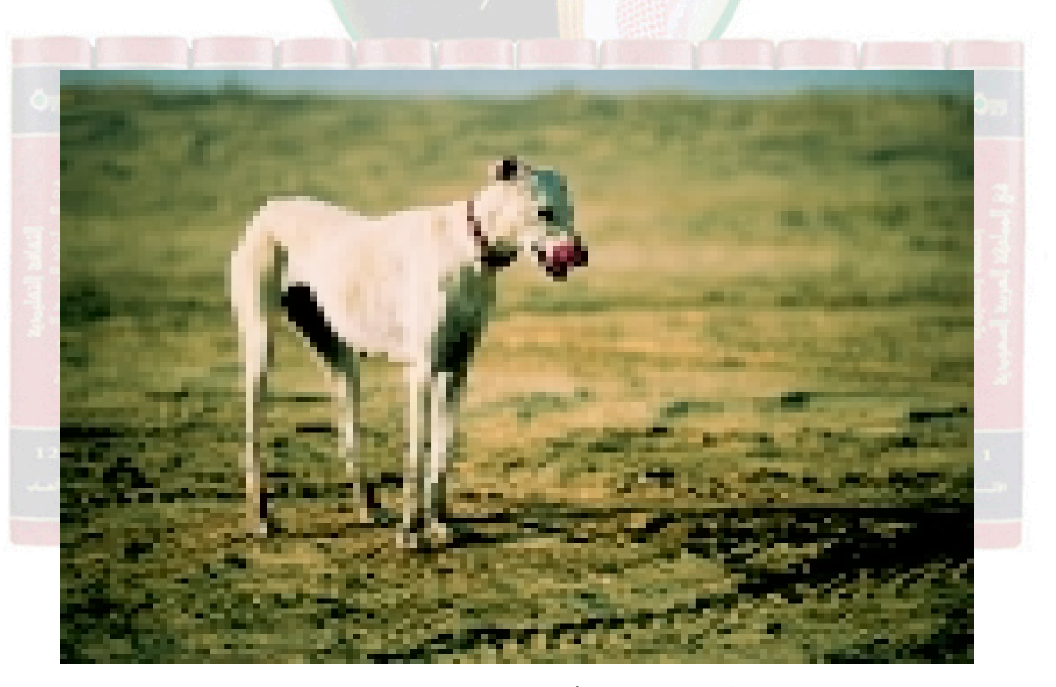
بينها حتى لا يقلل ذلك من سرعته. ناعم الفراء، متباعد الحرقفتين بمقدار أربعة أصابع. والحرقفتان هما العظمان الناتئان في آخر الظهر ويطلق عليها أهل البادية مسمى الفراشه أو المشارف. ويدل مظهره العام على التيقظ والفطنة والذكاء. وهو يرفض بإباء ويقاوم مقاومة شديدة وضع الرسن في عنقه. يتراوح ارتفاعه عند منطقة الكتف من ٥٨ إلى ٧١سم، ومتوسط وزنه ٢٣ كيلوجراماً. وهناك في الشعر العربي ما يدل على أن أذني الكلب السلوقي كانتا تصلمان أحياناً في القديم، إلا أن هذا الفعل لا يمارس في الوقت الحالي في الجزيرة العربية.

ويرى العرب أن هناك تشابهاً كبيراً في الصفات الجيدة بين الكلب السلوقي والحصان العربي، وقد جاء ذلك كثيراً في أدب الفروسية والطرد العربي. من ذلك قصتان تتطابقان كثيراً ما تُسردان في هذا الصدد. أحدهما أن مسلم بن عامر أرسل إلى ابن عم له في سوريا يسأله أن يشتري له فرساً أصيلاً، فأجابه بأنه لا خبرة له بالخيل. فقال له: ألست صياداً وتعرف الكلاب؟ قال: بلى. قال: فانظر الصفات الجيدة التي تراها في الكلب فأت بها في الفرس. فأرسل له فرساً لم يكن في بادية العرب مثلها. وتقول القصة الأخرى إن الخليفة المأمون

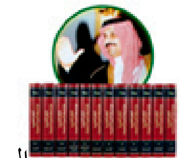


أرسل أحد رجاله إلى الصحراء، ليشتري له فرساً، فأجاب الرجل بأنه لا يعرف في الخيل. فسأله المأمون: ألست خبيراً بالكلاب؟ قال: بلى. قال: إذن فانظر إلى كل شيء ترغبه في الكلب واختر مثله في الفرس.

وتتعدد ألوان الكلب السلوقي، فثم الأشقر الفاتح، والبني المحمر (الأشعل)، والبني الداكن، والأسود، وهو نادر في الجزيرة العربية ويأتي من العراق. وقد يكون رمادياً مغبراً ويسميه أهل البادية أزرق، أو مرقشاً ببياض أو بصفرة داكنة. وإذا تساوى الكلبان في صفاتهما فإن العرب تفضل منهما الأفتح لوناً، ويأتي الأبيض والأشهب في المقدمة، ويليهما الأشعل أو الأحمر، ثم البني فالأسود. والكلاب السلوقية ذات الألوان الداكنة ليست مرغوبة إلا أن المرقش منها أو الأرقط فهو مقبول. والكلب أسود اللون غير مقبول بالتأكيد، إلا إذا أثبت بشكل خاص فراهته ومقدرته العالية على الصيد. ولذلك يذم بلونه الداكن، قالوا في المثل الشعبي «فلان سلقةٍ زرقا»، ويضرب المثل للذم والنبز للمرأة. وذكر الجاحظ أن خير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى لون الأسد بين الصفرة والحمرة، ثم البيض إذا كانت عيونها سوداء (١٩٨٨، ج٢: ٧٨). وذكر صاحب المصايد والمطارد أن الأبيض أفره،



يأتي السلوقي الأبيض في مقدمة كلاب الصيد



والأسود أصبر على الحر والبرد. ولا يوجد اللون الأرقط في الجزيرة العربية.

ورغم تشابه الكلاب السلوقية في نعومة فرائها، إلا أن هناك منها ما يتميز بوجود شعر حريري الملمس طويل على الأذن والذنب والمرفق وتحت العرقوب وبين أصابع الأقدام. وعلى هذا الأساس فإن البعض يرى أنها صنفان، ويعتبر أن الصنف الأخير ذا الشعر الحريري الطويل الموجود على تلك الأماكن الخاصة في الجسم أفضل. وكانت الكلاب ذات الشعر الناعم المتماثل على كل أجزاء الجسم معروفة عند قبائل مطير. أما ذوات الشعر الحريري الطويل على بعض أجزاء الجسم فقد كانت معروفة عند قبائل العوازم. وهناك زائدتان لحميتان مغطيتان بالشعر تحت الحنك. وفي بعض الكلاب يكون هناك زائدة لحمية واحدة، بينما يزيد العدد في بعضها الآخر إلى ثلاث أو أربع زوائد. وبوجه عام، فإن الكلب ذا الزوائد اللحمية المتعددة أفضل من ذي الزائدتين، وهذا بدوره أفضل من ذي الزائدة الواحدة.

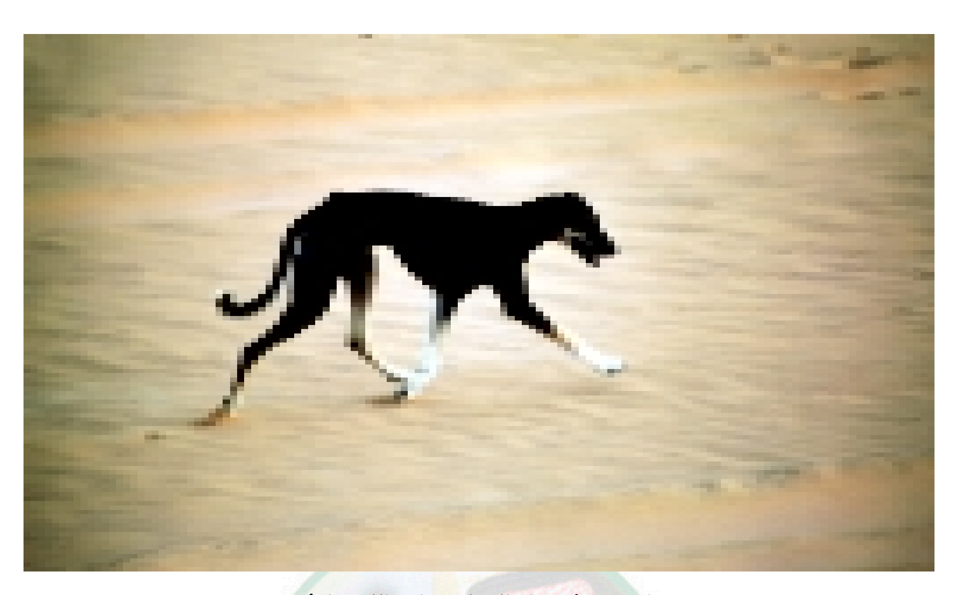
وعلامة النجابة والفراهة في الكلب أن يكون تحت حنكه طاقة شعر مفردة، وأن يكون شعر خديه جافياً. ومن علامة الفراهة أيضاً طول ما بين يديه ورجليه، وقصر ظهره، وصغر رأسه، وطول عنقه وغض أذنيه (أي إقبال أذنيه على قفاه)، وبُعْد ما بينهما، وزرقة عينيه، وضخامة مقلتيه، ونتوء حدقته، وطول خطمه وذقنه، وسعة شدقه، ونتوء جبهته وعرضها. ويستحب فيه أن يكون قصير اليدين، طويل الرجلين، طويل الصدر غليظه، قريبه من الأرض، ناتئ الزور، غليظ العضدين، منضم الأظافير، عريض ما بين مفاصل الأعطاف، عريض ما بين عظمى أصل الفخذين مع طولهما وشدة لحمهما، دقيق الوسط، مستقيم الرجلين، قصير الساقين، غير محني الركبتين، قصير الذنب إن كان ذكراً مع دقة وصلابة. ومن الأوصاف الأخرى المطلوبة في السلوقي أن يكون واسع ما بين الذراعين وأن تكون الأنثى فجحاء أو عقلاء، أي بعيدة ما بين العرقوبين، وأن يكون الذكر أرز؛ ومن هنا جاء قول البادية «ما يطرح العدنة والخزز إلا السلقة الفجحا وإلا السلوقي الأرز». والعدنة أنثى الأرنب والخزز هو الذكر. ويستحب في السلوقي أن يكون واسع الفراشة والمشارف، وتقول البادية «مطرح ثنتين وخسارة كدي، ومطرح ثلاث تغدي ومطرح أربع تغدي وتعشي ومطرح الطير بعيد المدى (أي الظباء)».



تسمياته. هناك عدد من الأسماء التي اشتهر إطلاقها لدى أهل البادية على الكلاب السلوقية، ذكورها وإناثها جمعت بالسماع أو من المصادر المكتوبة. ويتجنب أهل البادية إطلاق أسماء الإنسان بوجه عام على الكلاب السلوقية، والاستثناء من ذلك هو فاروق الذي استخدم أيضاً للكلاب السلوقية. وعادة يكون الاسم مشتقاً من وصف يتصف به الكلب في شكله أو لونه أو خصائصه في الصيد وكفاءته فيه. ومن أكثر أسماء الذكور شيوعاً الأسماء التالية: ضبعان، أي الذي يشد جسمه قبل انقضاضه على فريسته، ذهبان، أي ذو اللون اللامع، ضمران، أي النحيل وما يعنيه ذلك من سرعته في الصيد، غلاَّب، أي المنتصر دائماً، غزال، أي الشبيه في رشاقته وسرعة عدوه بالغزال، خطَّاف، أي الذي يخطف فريسته بسرعة البرق، لعبان، أي الذي يلعب كثيراً، لمعان، أي ذو اللون اللامع أو سريع الانقضاض على الفريسة كما يلمع البرق، نمران، أي الشبيه بالنمر، ريشان، أي الذي توجد ريشات طويلة في أطراف أذنيه وذنبه (هلب)، سدَّاح، وهو ما يطرح الصيد، صفَّاق، الذي ينقض على فريسته بسرعة كصفق الريح العاصفة، سلهب، ذو الجسم الطويل الجميل، شعلان، ذو اللون البني الأحمر، سرحان، الشبيه بالذئب، واشق، أي المندفع، ظبيان، الشبيه بالظبي في رشاقته وسرعة عدوه، الأقفى، أي ذو الكفاءة العالية في اقتفاء آثار فرائسه؛ وقد يطلق هذا الاسم الأخير على الإناث أيضاً. ومن أسماء الذكور الشائعة أيضاً: درواح وغصّاب ومحذاف ووسمان.

أما أسماء الإناث الشائعة في الكلاب السلوقية فهي: ظبية، الشبيهة بالظبية في جمالها وسرعة عدوها، الحموية، المنسوبة إلى بلدة حماة من أعمال سورية، حركة، كثيرة التحرك النشيطة دوماً، جدلاء، الشبيهة بالصقر أو ذات الشعر الطويل، كسب، الشبيهة بالذئبة، خزَّة، القافزة السريعة كالأرنب، لعبة، كثيرة اللعب، نجمة، الجميلة اللامعة، نمرة، الشبيهة بالنمرة، رادَّة، كثيرة رد الفرائس إلى صاحبها، سلفة، قوية الرأس، سماء، مرتفعة القيمة غاليتها، شطحة، التي تقرب الأشياء وتحضرها من بعيد، شعلة، ذات اللون البني المحمر، شيهانة أو شاهينة، الشبيهة بالشاهين في سرعتها وانقضاضها المندفع على فرائسها، شيلة، أي التي تحمل الأشياء بعيداً، سمرة، ذات اللون الأسمر، سخام، السوداء اللون السحماء، طرفة، النادرة رفيعة





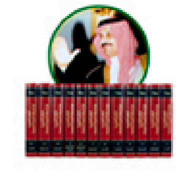
«سخام» من أسماء السلقة ذات اللون الأسود

القدر، ظبية، الشبيهة بالظبية. ومن أسماء الإناث الشائعة أيضاً وردة وسرحة.

سلوكه وتزاوجه. ومن الشائع أن الكلبة إذا ولدت واحداً كان أفره من أبويه، وإن ولدت اثنين كان الذكر منهما أفره من الأنثى، وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى شَبَه الأم كانت أفره من الثلاثة، وإن كان في الثلاثة ذكر واحد كان أفرهها.

وفي العادة تلد الأنثى خمسة أو ستة جراء يسمي أهل البادية أولهم خروجاً السدادة، وهو غير مرغوب لديهم، أما الثاني والثالث فهما الكلى وهما الأجود صفة، وأما الرابع والخامس فهما القلب إذا كان عدد الجراء ستة ويكون السادس (الأخير) هو الدو. أما إذا كان عدد الجراء خمسة فقط فالرابع هو القلب والخامس الدو. ويفضل أهل البادية ألا يزيد عدد الجراء عن ثلاثة حيث أنهم لا يهتمون سوى بالثاني والثالث (الكلى) ويحرصون على مشاهدة الولادة للتعرف عليهما والاحتفاظ بهما. ويعرف أهل البادية القلب وإن لم يشاهدوا ولادته إذ إنه ينبح (ينجر) بين فترة وأخرى عند مطاردته الأرنب وهذا مما يعيبه.

والأنثى المعدة للتناسل والتربية، عند دخولها في حالة الشبق (الدورة النزوية) وطلبها التلقيح، يأتون لها بذكر أصيل يختارونه من بين الذكور الموجودة في القطيع، أو يأتون لها بذكر من الخارج ليقوم فقط بعملية التلقيح ويعود من حيث

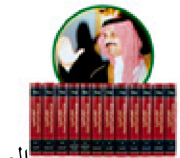


أتى. وقد يكون هذا الذكر أيضاً ممن تجاوز العمر المناسب للقيام بالصيد، أو أن يكون في السن المناسب للصيد، ولكنهم يستخدمونه للتلقيح في غير موسم الصيد لجودة صفاته وأصالته.

وتمثل الإناث الأخرى التي لا يُرْغَب في تلقيحها مشكلة عند دخول وقت التزاوج ومرورها بحالة الشبق، إذ لو تُرِكَت وشأنها فلربما تتلاقح مع أي كلب آخَر، حتى من كلاب الرعي العادية، والناتج هو اللوقي ويصلح لصيد الوعول عند نزولها إلى السهول وفي السودان يستخدمون الكلاب العادية لذلك، وهو أمر غير مرغوب بل مرفوض. لذلك تمنع هذه الإناث من التزاوج بإحدى ثلاث طرق. أولاها أن تربط رجلها الخلفية في طوق رقبتها بحيث لا يمكنها الوقوف ولا تستريح إلا في وضع الرقود، والثانية أن يخاط حياؤها أو توضع فيه حلقة من حديد أو نحاس فلا تتمكن من التزاوج، والثالثة أن تعزل بعيداً في مكان مستقل أو في كهف من الكهوف حتى ينتهي وقت التزاوج. وبعد موسم الصيد، تطلق جميع الكلاب البالغة خارج حظائرها لتتحرك وتتريض وتعود في المساء لتناول وجبة العشاء التي تتكون عادة من لحم الغنم أو الإبل المطهي مع الأرز والتمر، كما يقدم لها لبن الغنم أو الخلفات. ولا يسمح للجراء التي لا يقل عمرها عن عام بالخروج من الحظائر.

ويقال إن الكلب السلوقي ينزو على الأنثى إذا كان ابن ثمانية أشهر، وذلك عند شعور الكلب ببوله. والكلبة تحمل من نزو واحد ومدة حملها ستون يوماً، وربما زادت على ذلك يوماً أو يومين. والجرو إذا وُضع يكون أعمى أثنى عشر يوماً ثم يبصر. والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثاني ولا تسفد قبل ذلك. ويظهر اللبن في أطْبائها بعد حملها بثلاثين يوماً ويكون لبنها أول ما تضع غليظاً فإذا أزمن رق ودق. وتضع الكلبة السلوقية إلى ثمانية أجراء وإناثها وذكورها تسفد ما بقيت. ويعرض للكلاب السلوقية عرض خاص وهي أنها كلما بقيت كانت أقوى على السفاد، أي كلما طال عمرها زادت قدرتها عليه. ويعيش ذكر السلوقي عشر سنين أما الأنثى فتعيش اثنتى عشرة سنة.

وعادة يقوم النسوة والأطفال بالعناية بالأنثى أثناء حملها حيث يقمن بحفر جحر منحدر في الرمال يتراوح عمقه من ٩٠ إلى ١٢٥سم في خارج الخيمة، قرب مكان الحريم، ويغطين هذا الجحر بفروع الشجر اللدنة الرفيعة، ويضعن فوقها طبقة من الرمال، مع ترك مدخل منحن يكفي لدخول الأم المتوقع ولادتها إلى داخله،



حيث تجد الظل والجو البارد والمكان المريح الآمن الذي تضع فيه جراءها. ويحرص أهل البادية على شهود ولادة الأنثى لأنهم يفضلون من الجراء ما يخرج ثانياً ثم ثالثاً. وتستمر النسوة في رعاية الأم بعد وضعها لجرائها. كما يقمن أيضاً برعاية الجراء إلى أن تشتد أعوادها وتخرج إلى الصيد مع الكلب الكبير للتدريب وإعداد نفسها للصيد مستقلة بنفسها.

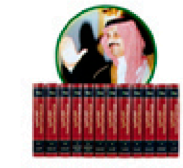
تدريبه على الصيد. يحتفظ البدوي العادي بكلب سلوقي واحد وصقر، أو ربما كلبين وصقرين، ويبقيهما في خبائه. أما كبار القوم من الصيادين من أهل المدن فإنهم يحتفظون بأعداد أكبر من الكلاب والصقور، ويكون لكل منها مكانه الخاص المعد له، وهو مبْنيٌ من قوالب الطين السميكة أو الحجر. وتترك ذكور الكلاب وإناثها تعيش عيشة مختلطة في حظائرها الخاصة في غير موسم التزاوج، حيث يفرق بين الذكور والإناث.

وفي العادة تجعل الكلاب السلوقية والصقور والخيل في مكان واحد لكي يألف كل نوع منها الآخر ويسهل أن يتعامل معه خلال عملية الصيد. ويقوم بالعناية بكلٍّ منها عدد من الخويا (جمع خويّ) أي أخوياء وهم يتخصصون عادة بالتعامل مع نوع واحد منها، ولكن يمكنهم التعامل معها جميعاً عن خبرة ودراية. وبهذه الطريقة فإن أفراد كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث تنمو وتتعلم كيف تشارك في عملية الصيد متعاونة مع أفراد المجموعات الأخرى، وهو تعاون أساسي لإنجاح عملية الصيد في الطبيعة.

أما الكلاب السلوقية التي لا تعيش في مجموعة تضمها حظيرة خاصة وإنما يعيش الكلب منها بمفرده، أو على أقصى تقدير مع كلب ثان فقط في خيمة بدوي صياد (إذ لا يحتاج مثل هذا الصياد إلى أكثر من كلبين وصقرين يصطاد بهما ويعاملهما كما لو كانا من أفراد عائلته) فيسمح لهما بالجري خارج الخيمة لقضاء الوقت والتريض وتتناول الطعام نفسه الذي يأكل منه سيدها وأسرته.

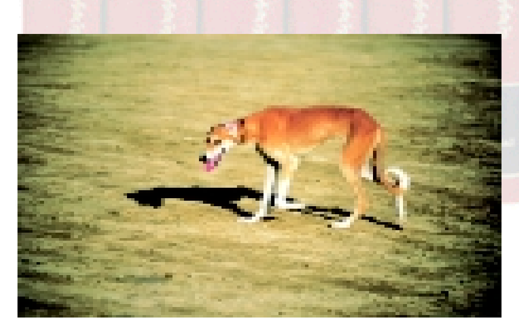
ويمنح البدوي كلبه حرية تامة ويتركه يتحرك حراً في المنطقة المحيطة بخبائه عندما لا يخرج به للصيد. وكثيراً ما يخرج الكلب متجولاً يصيد لنفسه ويعود إلى الخيمة ومعه أرنب بري، حيث تهديه غريزته الفطرية إلى مكان الخيمة فيعود إليها.

والكلب السلوقي عزيز النفس شديد الحساسية، لذلك يمتنع البدو عن ضربه أو جلده بالسوط أثناء تدريبه، لأن مثل هذه المعاملة القاسية تروِّعه وتفسد استقراره النفسي وتفقده الثقة. ويعامل الكلب

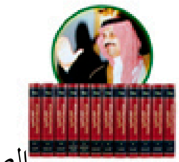


السلوقي أثناء تدريبه على الصيد بصبر كبير مع الحزم والتأكد بشكل قاطع من أنه قد أصبح يتصف بالطاعة المطلقة لصاحبه، بحيث يستجيب من فوره لأوامره وندائه أو صفارته ويعود إليه مسرعاً. ولا يقوم البدو بإبعاد الجراء غير المرغوب فيها عن أمهاتها بعد ولادتها مباشرة، وإنما يتركونها معها لفترة الشهر الأول بعد الولادة على أقل تقدير. ذلك لأن إبعاد الجراء عن الأم بعد الولادة مباشرة يكون له أثر فيهما سيئ كأثر الجلد تقريباً.

ويبدأ تدريب الكلاب على الصيد بعد بلوغها السنة الأولى من العمر، لأنها بطيئة النمو. ولا يسمح لها بمغادرة الحظائر حتى بلوغها هذا العمر. والطريقة المفضلة لتدريبها على الصيد هي تركها ترافق الكلاب البالغة المدربة في رحلة الصيد حيث تراقبها أولاً وتتبعها أثناء قيامها بالصيد، ثم لا تلبث أن تشاركها فيه. وتستمر في ذلك حتى تستقل بنفسها وقد برعت في الصيد. وبهذه الطريقة تكتسب الكلاب خبرة جيدة في الصيد بسرعة كبيرة، لأن الصيد غريزة فطرية متأصلة فيها تجعلها تلاحق أي شيء يتحرك أمامها، وسرعان ما تدرك ما يراد منها أن تفعله فتفعله. وتبدأ المشاكل معها عندما تؤخذ منها الطريدة التي أمسكتها أو تظهر رغبتها في اللعب بها أو تحاول تمزيقها وتشويهها. وفي هذه الحالة يُعاملها الصياد بحزم ويوقفها عند حدها، ولو أدى الأمر إلى صفعها صفعة قوية حتى تتعلم أن تترك الفريسة فور الإمساك بها وتقف بجانبها حتى يأخذها صاحبها ويذكيها. وعادة يقوم أهل البادية، بعد إمساك السلوقي للطريدة بشد أذنيه ورفعه بهما إلى أعلى. وتسمى هذه العملية التقوية حيث يعتقدون أنها تقوي القلب لأنها تساعده على سرعة الراحة بعد العدو. وهم لا يصيدون بالسلق إلا في الشتاء عادة لأن إطلاقها في أيام الحر يؤدي إلى إصابتها بالفلق وعدم قدرتها على المطاردة لمسافة طويلة في المستقبل. والسلوقي المريض لا خير فيه بل هو مذموم حتى ليضرب به المثل الشعبي قالوا «سلوقي عصل»، والعصل هو النحيف الضعيف ويضرب المثل للذم والنبز، ومثله قولهم «سلوقي أجرب».



الشتاء أفضل الفصول للصيد بالكلاب



وذكر صاحب أنس الملا في وحش الفلا طريقة أخرى لتدريب الكلب على الصيد، حيث قال «ويباشر بتعليم الجراء للصيد وهي صغيرة، فإذا صار للجرو شهران أخذ مؤدبه خيطاً طويلاً، طوله خمسة أذرع، وربط في نهايته ذنب ثعلب أو قطعة من جلد غنم، وأمر أحد صبيانه أن يجر الخيط أمام الجرو، وأن يستثيره للحاق بما ربط بالخيط وإمساكه، وأن يعمل ما في وسعه حتى لا يمكِّنة من ذلك، ليزاد حدة وحنقاً، فإن هذا مما يزيد في جرأته وحرصه. فإذا صار له خمسة أشهر خرج به إلى الفلاة التي يأوي إليها اليربوع وأغراه به وضراه على صيده حتى يصيده. فإذا أتقن الكلب الكر والفر وتمرس على الكر والردة، أحضر له أرنباً صغيراً وشد خيطاً على أعصابها شداً يعيقها عن الجري السريع، وخلاها أمامه ليصيدها. فإذا فعل ذلك معه مراراً أطلقه على صيد الأرانب في الفلاة. ويَحْسُن في هذه الحالة أن يُرْسَل مع كلب آخر أعرف منه بالصيد. وهذا ما يمارسه أهل البادية في الزمن الحالي لتدريب سلقهم. ولا يجوز لمؤدب الضواري أن يرسل كلبه في أول أمره على الثعالب، فقد يخشاه ويعجز عنه وعما دونه. وينبغي ألا يطعم الكلب في النهار إلا مرة واحدة، وخير ما يأكله الخبز وحده، ولا يخلي على المزابل ليأكل ما يجده، فإن ذلك يفسده. وينبغي للكلب أن يُضَمَّر تضمير الفرس، وأن يعرف مقدار طعامه، وألا يقدم له ما يزيد عن حاجته، ولا يطعم اللحم إلا من صيده. وعند صيده إياه، فإن اللحم يسمن الكلب، والكلب إذا سمن قل عدوه (الباشا ١٩٧٤: ١٥٧).

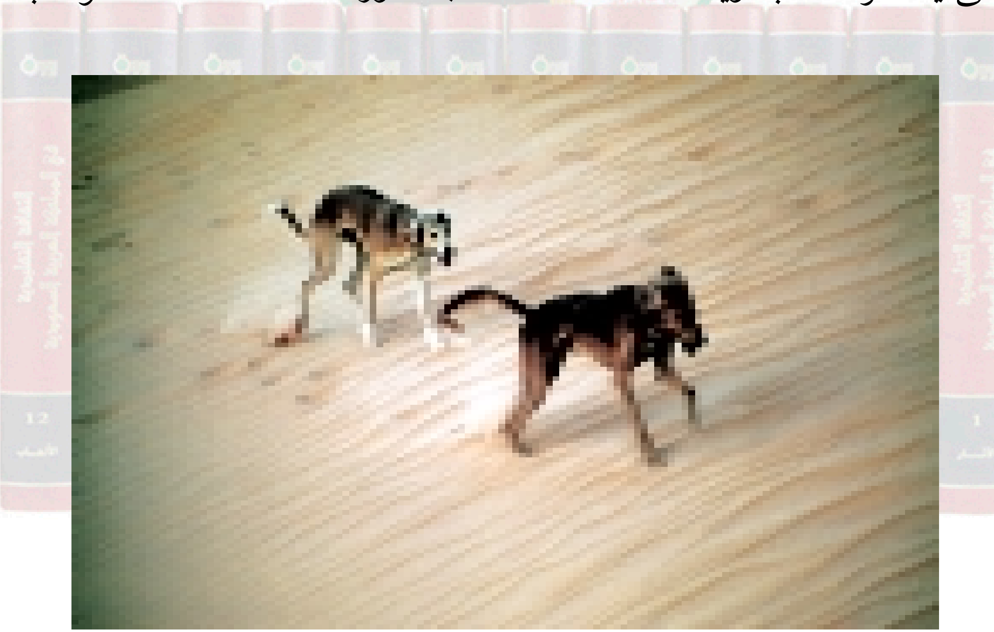
وتخالف هذه الطريقة ما يمارسه البدو في تدريب كلابهم السلوقية في وقتنا الحاضر.

يصطاد السلوقي ثلاثاً من أهم الطرائد الخمس التي يهتم بها الصيادون العرب. وهي الأرنب البري والظبي والمها العربي (الوضيحي)، أما الطريدتان الأخريتان، وهما الحبارى والكروان، فهما من طرائد الصقور وأشباهها من جوارح الطير، ولا يصيدها الكلب. وفي القديم كان شباب البادية يخرجون مثنى وثلاث يجوبون المنطقة المحيطة بمخيمهم راجلين يصحبهم كلب سلوقي أو كلبان للبحث عن الأرانب وقنصها. وتكون هذه الكلاب مدربة على أن تقوم بالصيد، حيث يكون كل كلب منفرداً أحدها عن الآخر، ويتجه كل منها إلى منطقة

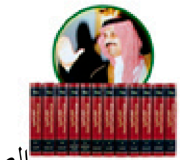


تبعد عن المنطقة التي يتجه إليها الكلب الآخر بحوالي ٣٠م. وعندما يشاهد الكلب الأرنب فإنه يجري خلفه ويطارده. وعندما يمسكه يكسر ظهره ويقف بجانبه ينتظر وصول صاحبه أو يحمله إليه. ولا تستحسن البادية من طبائع السلوقي الذي يتبع القانص من قرب أو يكون خلفه إنما يفضل الكلب الذي يسير أمام القانص أو بعيداً عنه. وتعتبر مطاردة الكلب السلوقي للأرنب من أجمل مطاردات الصيد والقنص. ويستطيع الكلب عادة أن يقنص الأرنب، إلا إذا لاذت بجحر تحت الأرض، فإنه يقف بجواره يحرسها حتى يحضر صاحبه ويأخذها.

وفي العادة تكون السلقة (الأنثى) أقدر من السلوقي (الذكر) على الإمساك بالأرنب. وذلك لأن الأرنب لها قدرة كبيرة على سرعة تغيير اتجاهها أثناء هربها ويكون ذلك بزاوية قائمة أو حادة غالباً. والسلوقي يكون عادة طويل الجسم (واسم فاره الطول منه: عياد)، فيصعب عليه تغيير اتجاهه بالسرعة الكافية ليلحق بالأرنب. أما السلقة فهي أقصر من الذكر جسماً وأسرع منه في تغيير اتجاهها أثناء العدو فتلحق بالأرنب. بالإضافة إلى ذلك فإن الذكر يكون لسرعته أقرب إلى الأرنب من السلقة فلا يتاح له الوقت الكافي لتغيير اتجاهه وراءها. أما السلقة فتكون أبعد



السلقة أقدر من الذكر على الإمساك بالأرنب



من الذكر لأنها أقل منه سرعة فتتاح لها فرصة تغيير اتجاهها واللحاق بالأرنب. وقبل موسم الصيد يقومون بتجهيزها للصيد بعد فترة التوقف الطويلة بإطلاقها على الجرابيع لتمرينها وتقوية عضلاتها وتخفيف وزنها، كما أنهم لا يعطونها الكثير من الطعام في الليلة السابقة لنهار الصيد.

وكانت الظباء تصاد أيضاً في القديم على ظهور الإبل. ويتيح ارتفاع البعير للقانص رؤية قطيع الظباء من بُعْد فيرسل كلابه عليها، كما يتيح له أيضاً موقعه على ظهر البعير مشاهدة كلابه ومتابعتها وهي تطارد الظبي، حتى تلحقه وتمسك به. ومن النادر أن يفقد الكلب السلوقي المدرب تدريباً جيداً طريدته من الأرانب أو الظباء عند ما يراها. وقد يعدو خلف الظبي لعدة كيلومترات حتى يتهاوى على الأرض من الإعياء والخوف. ومتى ربض الظبي على الأرض أصبح الأمر سهلاً للكلب السلوقي أن يمسك به وينتظر حتى يأتي القناص على بعيره فيترجل عنده ويقوم بتذكيته. وقد يستعين القناصون بالصقور مع الكلاب لصيد الظباء، حيث تستطيع الصقور أن تلحق الظباء بسرعة وتصيب عينيها وتعوقها عن الجري حتى يلحقها الكلب.

وقليلاً ما يصيد السلوقي الظباء لسرعة عدوها إلا أنه قد يأخذ صغارها من الغزلان أو التي يعيقها الحمل أو المرض أو الإصابة عن سرعة الجري أو التيس لأنه يحصر ببوله. قالوا في المثل الشعبي «سلوقي ابن ردن يطرح الظبي»، ويضرب المثل للمدح الزائد أو الاستهزاء. وعادة يأخذ القناصون معهم السلق للإمساك بالظبي الذي لا تكون إصابته من أسلحتهم النارية قاتلة. ونظراً لندرة الظباء في المملكة حالياً فإن النظام يحرم صيدها بأي وسيلة من وسائل الصيد في جميع أوقات السنة.

أما في الوقت الحاضر، فإن الصيادين يستخدمون السيارات القوية رباعية الدفع، المؤهلة للسير بكفاءة عالية وسرعة كبيرة في المناطق الرملية والوعرة، سعياً وراء الظباء، وهو أمر يفقد الصيد والطراد كثيراً من لذته، ويقلل من روعة الانفعالات التي يحس بها القانص عندما يحصل على الظباء بعد طول متابعة وطراد. كما يستخدم بعض الصيادين، خلافاً للنظام المعمول به للصيد في المملكة حالياً، الأسلحة النارية لصيد الظباء. وفي هذا ما فيه من عنف وعدوان وشراسة وبُعْد عن الرياضة والطراد الحقيقي للصيد. كما



أن استخدام السيارات والأسلحة النارية، دون تعقل، أدى إلى ممارسة الصيد الجائر وقتل الفرائس وندرة الطرائد من الظباء والوعول في الجزيرة العربية، حتى وصل الأمر إلى انقراض المها العربي والنعام منها كلية منذ عشرات السنين.

ويقال إن الكلب إذا عاين الظباء، قريبة كانت أو بعيدة، عرف المعتل وغير المعتل، وعرف العنز من التيس. وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا التيس، وإن علم أنه أشد حصراً وأطول وثبة وأبعد شوطاً، ويدع العنز، وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر قاب خطوها، لأنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حقب ببوله، أي تعسر عليه البول.

وقال أبو البحر جعفر بن محمد الخطي يصف طراد الكلاب السلوقية:

ولم أر كالكلاب ذوات عدو
على أثر الأرانب والظباء
متى أرسلتهن وراء صيد
فجاذبهن أهداب النجاء
علقن به ولو كانت يداه
تشد بذيل عاصفة الهواء

وقال السري الرفاء:

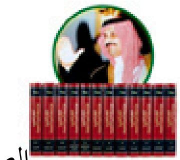
عدوت بها مجنونة في اعتدائها
تلاقي الوحوش الحين عند لقائها
لهن شيات كالذراريح أصبحت
مؤلفة ظلماؤها بضيائها
وأيد إذا سلت صوالج فضة
على الحوش يوماً أذهبت بدمائها

الذراريح: جمع ذُراح: دويبة حمراء منقطة بسواد.

وقد أجاز الشارع اتخاذ الكلاب للصيد ونحوه وأباح صيدها مع نجاسة عينها. قال في التعريف: وأول من اتخذها للصيد دارا أحد ملوك الفرس. قال في المصايد والمطارد: وإذا كسر الكلب الأرنب فهو نهاية، وإن كان يطيق فوق ذلك. والكلب يمسك لصاحبه، ولذلك لا يأكل من الصيد، بخلاف سائر الضواري.

ومما قيل في وصف كلاب الصيد «ومعنا كل كلب عريق المناسب، نجيح المكاسب. حلو الشمائل، نجيب المخائل. حديد الناظرين، أغضف (مسترخي) الأذنين. أسيل الخدين، مخطف الجنبين. عريض الزور، متين الظهر. أبي النفس، مُلهب الشد، لا يمس الأرض إلا تحليلاً وإيماء، ولا يطؤها إلا إشارة وإيحاء» (شاكر ١٩٨٥: ٢٣٠).

الصيد بكلاب غير سلوقية. هناك من يستخدم الكلب اللوقي والكلاب العادية (الجعر) في صيد الوعول، وخاصة



الخلِوة من سكان المناطق الجبلية في المملكة. كما تستخدم في السودان الكلاب العادية لصيد الوعول. والكلب اللوقي أسرع من الكلب العادي عدواً إلا أنه لا يصل إلى سرعة السلوقي. وضرب باللوقي المثل الشعبي قالوا «لوقي لا هو كلب ولا سلوقي»، واللوقي الذي أمه كلبة وأبوه سلوقي أو العكس ويضرب للأمر بين بين.

ومن المعروف أن الوعول من عادتها النزول إلى المناطق السهلية الواقعة بين الجبال إذا كانت المنطقة مقفرة خالية من البشر وكانت المراعي في الجبال لا تكفيها فإنها تنزل لترعى من نباتات السهل. كذلك فإن ذكور الوعول في موسم التزاوج عند هياجها ابتداء من ظهور النجم السابع من نجوم السبع (بنات نعش) في اليوم السادس عشر من أكتوبر، تضطر في حالة عدم وجود إناث لها في الجبال المحيطة أن تنزل إلى المناطق السهلية القريبة من الجبال إذا كان فيها بادية معها ماعز لضرابها. وحينئذ تكون سهلة الاصطياد فتصيدها الكلاب اللوقية حتى الكلاب العادية، لأن الوعل يكون بطيء العدو خاصة في المناطق الرملية.

ويقوم الصيادون المهرة بتدريب كلابهم العادية (الجعر) على التخفي في الممرات الواصلة بين الجبال التي تطرقها الوعول عادة. فيكْمن الصيادون في هذه الممرات في ساتر مبنى من الحجر شبيه بالدائرة، ومع كل منهم كلب أو كلبان أو أكثر. ثم يتولى باقي الصيادين الصعود إلى الجبال التي توجد عليها الوعول، وقد يكون معهم كلاب أو لا يكون، ويقومون بإصدار أصوات عالية لإزعاج الوعول ودفعها إلى الهرب إلى الجبال الأخرى عن طريق الممرات الضيقة الموصلة بينها التي يختفي فيها زملاؤهم من الصيادين مع الكلاب. وعند مرور الوعول بهذه الممرات يمكن للكلاب المتخفية فيها أن تمسك بها بسهولة ويسر، إذ تقوم بمباغتتها بالهجوم عليها. فترتبك الوعول نتيجة الهجوم المباغت للكلاب وتتحير لفترة في اختيار أي طريق تهرب منه فتمسكها الكلاب.

كلاب الصيد في مأثور القول والأدب. ورد ذكر كلاب الصيد كثيراً في التراث العربي. من ذلك ما قاله النابغة الذبياني يصف مطيته مشبّها اياها بكلب الصيد، الذي يجوعونه قبل خروجه



للصيد حتى يكون نهماً مصمماً على نيل الطريدة

يسعى بغضف براها فهي طاوية
طول ارتحال بها منه وتسيار

وقال بشر بن أبي حازم:

ففاجأته ولم يرهب فجاءتها
غضف نواحل في أعناقها القدد

وقال زهير:

زرق العيون طواها حسن صنعته
مجوعات كما تطوي بها الخرقا

وقال كعب بن زهير:

مقعيات إذا علون يفاعا
زرقات عيونها لتغيرا

وقال ذو الرمة:

هاجت له جُوَّعٌ زُرْقٌ مُخَصَّرةٌ
شوازب لاحها التغريث والجنبُ

شوازب: يابسات. التغريث: الجوع. الجنب: العطش.

ومن أوائل الشعراء الذين وصفوا صراع كلاب الصيد مع ثور الوحش امرؤ القيس حيث قال:

فيدركنا فغم داجن
سميع بصير طلوب نكر
ألص الضروس حَبِيّ الضلوع
تبوع طلوب نشيط أشر
فأنشب أظفاره في النسا
فقلت هبلت ألا تنتصر

ويتحدث الشاعر بشر بن أبي خازم عن مباكرة ابن مر أو ابن سنبس بكلابه التي أرسلها وهو واثق أنها ستصرع الثور.

فباكره عند الشروق غدية
كلاب ابن مر أو كلاب ابن سنبس
فأرسلها مستيقن الظن أنها
ستحدسه في الغيب أقرب محدس

وقال بشر بن أبي خازم يصف الكلاب ذات الأشداق الواسعة، والرؤوس الدقيقة القليلة اللحم، وما بين يديها متباعد:

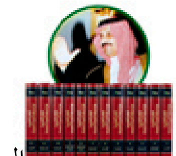
معروقة الهام في أشداقها سعة
وللمرافق فيما بينها بدد

وللصيد فنون وآداب، وحركة هامسة خافتة، وتعليم الإشارة والإيماء. ويرى العجاج أن كلاب الصيد الجيدة ما كانت تفهم الإشارة، فضلاً عن الصفير، فقد يضطر الصياد إلى اللجوء إلى الإشارة، خشية أن تفطن إليه الوحش قال:

يهمدن للأجراس والتشوير
واللمع إن خاف ندى الصفير

ولا بد أن تكون كلاب الصيد سريعة كي لا تفوتها الطريدة، قال زهير فيها:

فصبحته كلاب شدها خطف
وقانص لا ترى في فعله خرقا



وقال أبو نواس:

كــأنــه ســهــم إلــى غــايــة
أو كـوكـب فـي الأفـق مـحـدود

ويصـف أبو نـواس سرعـة كلـبه سرياح.

مـا الـبرق مـن ذي عـارض لّـمّاح
ولا انـفضـاض الكـوكب المـنساح
ولا انـبـتـات الحـوأب المـنـداح
أجـد فـي الـسـرعـة مـن سريـاح

وقال خلف الأحمر:

كـالـكـوكـب الـدري مـنـصـلـتـاً
شـدا يـفـوت الـطـرف أسـرعـه

وقال عبدالله بن المعتز:

وكـلـبـة لـم تـر وقـت شـدهـا
قـط إذا ما انـطـلـقـت من عـقدهـا
خـضت بـهـا لـيلاً يـرى كجـلـدهـا
كـأنـه اسـتـعـار لـون بـردهـا
فـأبصـرت عشـراً أتت مـن بعـدهـا
وأطـلـقـت فـانطـلـقت مـن قدهـا
كـالسـهـم لا تحسن غيـر جدّهـا
أفـقـدني الـرحـمـن يـوم فقـدهـا

وفي إشارته لهذه السرعة يقول أحمد بن زياد:

يفـوتُ خطاهـا الطرق سـبقاً كـأنها
سـهـام مـغـالٍ أو رجـوم كواكـب
تـكاد مـن احـراج فـتـنسـل كـلّما
رأت شبـحاً لولا اعـتراض المـناكب

ومن خصائص كلاب الصيد أن تكون أشداقها واسعة، ورؤوسها دقيقة، وما بين يديها متباعد. يسجل هـذا بشر بن أبي خازم:

معـروقة الـهام فـي أشداقـها سـعة
ولـلـمـرافق فـيـمـا بـيـنـهـا بدد

والكـلاب المدربـة علـى الصـيد، المداومـة عليه تـصطبغ أكـتافها بـدماء طرائدها. نجد صورة لذلك عند حمـيد بن ثور حيث يقول:

كـأنهـن وقـد سـربلْـن مـن عـلقٍ
يغـشين مـوقد نـارٍ تقـذف الشعلا

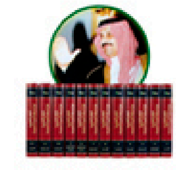
هذه الدمـاء التي صبغـت أكتاف كلاب الصيـد، عمد البعض إلـى أن يسقوها كلابهم لتزداد ضراوة في طلب الفريسة، حتى تصبح الدماء لديها كأنها شرب العسل، يقول الأخطل:

طـاوٍ أزل كـسـرحـان الـفـلاة إذا
لم تـؤنس الـوحش منـه نبأة خـتلا
يشـلي سلوقـية غضـفا إذا اندفـعت
خافـت جديـلة فـي الآثار أو ثـعلا
مـكـلـبـين إذا اصـطادوا كـأنـهـم
يـسقـونـها بـدمـاء الآبـد العـسـلا

والآبد هو الوحـش من الحيوان.

ويصـف أبو نواس لنـا كلبه الـصياد فيقول:

أنـعـت كـلـيـبـاً أهـلـه مـن كـده



قـد سـعـدت جدوده بـجـدّه
ذاعـرة مـحـجـلاً بـزنـده
تـلـذ مـنـه الـعـين حسن قدّه

ويصور أبو نواس الصائد واهتمامه بكلابه:

تـرى لمولاه عـلـى جـرائه
تحدب الشيخ عـلى أبنـائه
يـكـنـه بـالـلـيـل في غطائه
يـوسـعه ضـمـاً إلى أحـشـائه
وإن عـرى جـلـل في ردائه
من خشية الطل ومن أندائه
يـضـن بـالأرذل من أبـنـائه
ضن أخي عكل على عكائه

ويصور لنا محمود سامي البارودي رحلة صيد صحبوا فيها الكلاب والخيل:

فـقـمنـا إلى خـيـل كأن متونها
من الضمر خوط الضيمران المشذَّب
فلما انتهينا حيث أخبر أطلقت
بزاة وجالت في المقاود أكلب

وقال بعض شعراء بني العباس:

يـغـدو الإمـام إذا غـدا
لـلـصـيد مـيـمـون الـنـقـيـبه
فـيـؤوب ظـافـرة جـوا
رحـه وأكـلـبـه الأريـبـه
بمـخـالـب وبـراثـن
بـدمـاء مـا اقـتـنـصـت خـضـيـبه

وقال الراعي النميري في وصف مطاردة:

وصـادف أطـلس مـشـاء بـأكـلبـه
أثـر الأوابـد مـا ينمي لـه سـبـد
أشـلى سـلوقـية بـاتت وبـات بهـا
بـوحش إصـمـت في أصـلابـه أود
يدب مـسـتخفـياً يغشـى الضراء بـها
حتى استـقامت وأعـراها لـه الجرد

وقال الخارجي:

يـرمون أحـور مخضوباً بغير دم
دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العلق
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم
صـيد يـرجى قليلاً ثم يعتنق

ووراء هذه الأبيات قصة، ذلك أن سليمان بن الحصين كان يدفع ندماءه للذهاب للصيد لشغفهم بذلك، ثم ينصرف للحديث مع نسائهم، وهو ما حكاه لنا الخارجي.

ويصف أحمد بن زياد الكلاب حين اندفاعها في الصيد:

تـدير عـيـوناً ركـبـت في براطلٍ
كجمر الغضا خزراً ذراب الأنايب
تكاد تقري الأهب عنها إذا التجت
لنبأة شخت الجرم عاري الرواجب
كـأن غـصون الخـيـزران متونـها
إذا هي جالت في طراد الثعالب
كـواشـر عـن أنـيـابـهـن كـوالـح



مـذلّـقـة الآذان شـوس الحـواجـب

راحت عـلى مـا بين جـاك وتعـداك

ومن الأمثال الشعبية التي تقال في السلق قولهم «أرنب سلف بين السلق والمظاهير» وهو شطر بيت لشاعر يقول في قصيدة:

إن سلت عن حالي فلا هيب شرواك

في حـال والا حال مبـسوط وبخيـر

وإن كان تنشد وش مـباعك ومشراك

بْضـاعةٍ تـلفـت وراحت مـخاسـير

أرنب سـلف بين الـسلق والمـظاهير

وقولهم أيضاً «لوقي لا هو كلب ولا سلوقي» ويضرب في الرجل أو الشيء الذي لا يعرف توجهه لا مع هؤلاء ولا هؤلاء.

ويقول الزناتي خليفة في أبي زيد:

يلـفنى عـلى مثـل السلـوقي خامـر

أسـرع من دور الـرحـا وانفـتـالهـا





صيد النعام والحبارى والقطا والنعام

النعام

صفاته. يحل أكـل النعام بالإجماع لأنه من الطيبات. وهو أكبر أنواع الطيور المشهورة في الجزيرة العربية. طائر كبيـر الحجم يجمع بين خلقة الطير والوحش، فهو لا يطير ولا يحلق في الهواء، وإنما يجري بسرعة كبيرة فوق الأرض، وربما ارتفع عنها قليلاً. وقدماه كبيرتان تشبهان أخفاف البعير. الأنثى منه ربدة أو ربداء أو نعامة، وقيل نعامة اسم للأنثى والذكر. وتكنى الأنثى بـأم البيض وأم الثلاثين، وجماعتها بنات الهيق. قال ابن لعبون:

لـفـتة الـغـزلان وبـطـون السـلـق
والمـرامش مـن خوافـى ريش هـيق

والظليم (جمعه ظلمان) ذكرها وهو أيضاً الـهيق. وكنـيته أبو البـيض وأبو الثـلاثين وأبو الصـحارى. ويقال عـار الظليم يعار عِراراً (بكسر العين المهملة) وهو صوته، ومنه أخذ اسم عرار. والرأل ولد النعـام، والأنثى رألة والجمع رئال ورئلان. ويقال لأنثى النعام قلوص كما يقال ذلك في الإبـل، وإنما قال العرب ذلك لما رأوا فيها من شبه الإبل.

وجاء فـي كتاب القـزويني عجـائب المخلوقات عن النعام أنه حيوان مركب من خلقة الطير والجمل، أخذ من البعير العنق والوظـيف والمنسـم، ومن الطـير المنقـار والجناح والريـش، وهو صحيح حاستـي الشم والسمع. يأكل الحصـاة وتذوب في قانصته حتى تصير كالماء، لخاصية خلقها الله تـعالى فيه. وأيضـاً تبلع الحجر ولا يضرها، وتُـحْمَى صبخة مائـة درهم من الحديد حـتى تحمر، وتُرمـى إلى النعامـة فتبتـلعها وتستمـرئها. وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لئلا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها. وإذا عدت النعامة أرخت جناحيها إلى رجليها، فلا يسبقهـا شيء من الحيوان. ومـن العجب أنها إذا



استقبلت الريـح، كان عدوها أشد مما إذا استدبرتها. وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال: إذا عدا كان بين الـوثب والحفز والطيـران كالريح إذا عصفت من خلفه، وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره، ثم خرق الريح لا يخاف أن يـكبه على وجـهه، وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون النعامة بالحمرة أيضـاً. ولا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تـنتـهي حمـرة البـسر. ولا مخ لعظمها. فإذا أصاب إحدى رجليها آفة، وقعت لا تقوم على الأخرى. وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر، فتجعلها ثلاثة أقسام: تدفن ثلثها في التراب، وتترك ثلثها

النعامة الأفريقية

في الشمس، وتحضن ثلثها. فإذا خرجت أفراخـها كسـرت ما كان فـي الشمس، وغذتها بما فيها من الرطوبات التي ذوبتها الشمس ورققتهـا. فإذا اشتدت فراريجها وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقباً فيجتمع عـليها الذباب والبق والنمـل من الهوام فتأكلها فراريجها إلى أن تقوى. فانظر إلى هذه التربية العجيبة من غير تعليم من أستاذ ولا آباء.

وقال الدميري: وتزعم الأعراب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها، فلذلـك سُميت بالظـليم. وكأنهـم إنما سموها ظليماً لأنهم ظلموها حين قطعوا أذنيها، ولم يعطوها ما طلبت.

ومما ذكره الدميري أيضاً من أعاجيبها أنها تضع بـيضها طولاً، بحيث لو مـر عليه خيـط لاشتمل على قدر بيضهـا، ولم تجد لشيء منه خروجاً عن الآخر، ثم إنها تعطي كل بيضة منه نصيبها من الحضن، إذ كـان كل بدنها لا يـشتمل على عدد بيضها. ويضيف الدميري قائلاً إن النعـام من الحيوانات الـذي يزاوج، ويعاقب الذكر الأنثى في الحضن، وكل ذي رجلـين إذا انكسـرت له إحداهـما استعان بالأخرى في نهوضه وحركته، ما خلا النـعامة فإنها تبقـى في مكانها جاثمة حتى تهلك جوعاً.



وليس للنعام حاسة السمع، ولكن له شم بليغ، فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع، فربما شم رائحة القناص من بعد. ولذلك تقول العرب: هو أشم من نعامة. قال ابن خالويه في كتابه: ليس في الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب الماء أبداً إلا النعام، ولا مخ له، ومتى دميت رجل واحدة له ينتفع بالباقية. وهي قوية الصبر على ترك الماء، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح. وكلما اشتد عصوفها كانت أشد عدواً. وتبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه كالماء. قال الجاحظ: من زعم أن جوف النعام إنما يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ، والحقيقة أن النعامة ليست صماء بل تسمع وأنها تشرب الماء إذا وجدته أما إذا لم تجده اكتفت بما في الأعشاب التي تأكلها من الماء ولها مخ مثل أي طائر آخر. وهي تبتلع الحجر والمدر لتجعله في قانصتها لتطحن به الأكل الصلب.

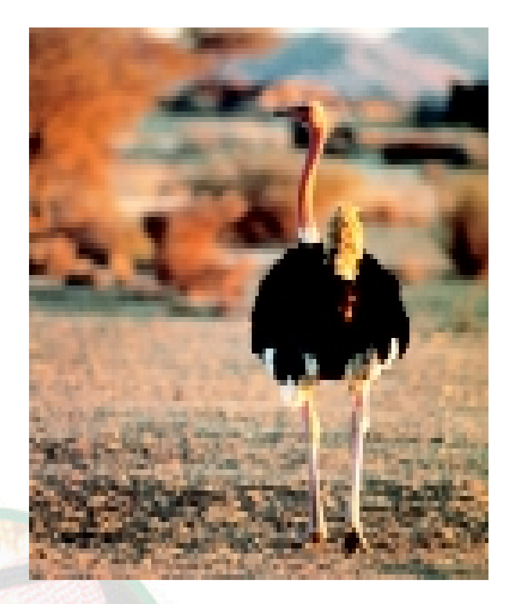
وإذا رأت النعامة في أذن صغيرة لؤلؤة أو حلقة اختطفتها. وتبتلع الجمر فيكون جوفها هو العامل في إطفائه ولا يكون الجمر عاملاً في إحراقه، وفي ذلك أعجوبتان: إحداهما التغذى بما لا يتغذى به، والثانية الاستمراء والهضم.

وعن خواص النعام يقول الدميري: مرارته سم ساعة، ومخ عظامه يورث آكله السم، وذرقه إذا أحرق وطلي به على السفعة أبرأها من وقته، وقشر بيض النعام إذا طرح في الخل بعد ما يخرج جميع ما فيه تحرك في الخل، وزال من موضعه إلى موضع آخر، وإذا عمل من الحديد الذي يأكله النعام، ويخرج منه سكين أو سيف لم يكل أبداً، ولم يقم له شيء.

ويضيف القزويني عن خواص النعامة أن مرارتها تنفع من ظلمة العين اكتحالاً، ولحمه يزيل الرياح الكريهة إذا داوم على أكله، ويدفع الثآليل والحكة. وشحمه يطلى به الأورام يردعها، وقشرة بيضه يلقى في القدر لينضج سريعاً.

مواطنه. كان النعام من الطيور المستوطنة في الجزيرة العربية، وينتشر في أغلب أجزائها. والنوع الذي كان موجوداً فيها هو النوع العربي السوري. ولكن أعداده أخذت في التناقص حتى انقرض منذ حوالي ستين عاماً، إذ كانت آخر نعامة صيدت في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٩، في شمال المملكة في منطقة التقاء الحدود السعودية مع الحدود العراقية الأردنية. وشوهدت آخر نعامة في الأردن في عام ١٩٦٦م. ويعتبر النعام الإفريقي النوع الوحيد المتبقي من عائلة النعام، وهو أكبر

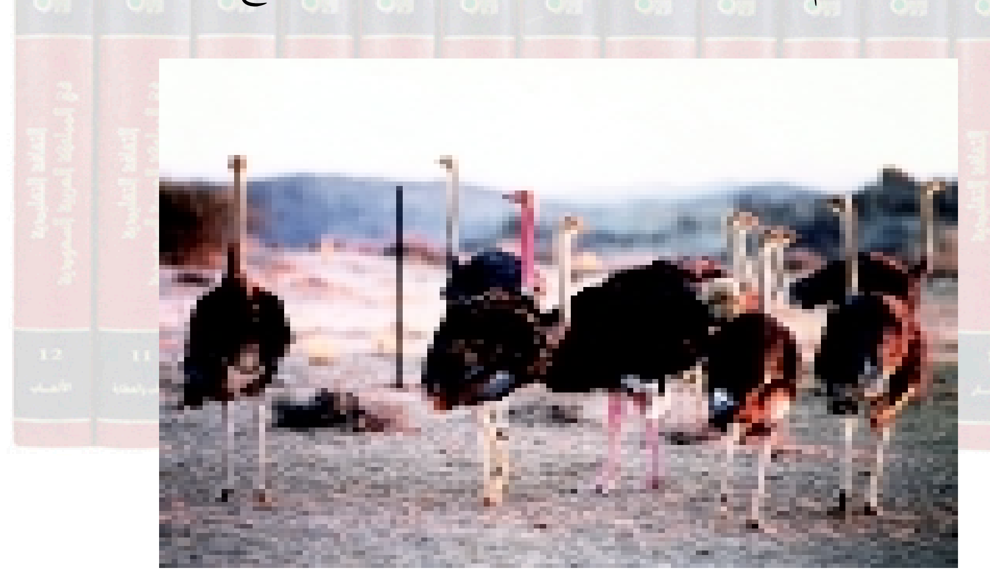




النعامة العربية

تعيش طـيور النعام في الأراضي المفتوحة، وغابات السافـانا، والمناطق شبه القاحلة في أفريقيا، حيث تستطيع في هذه المـناطق مراقـبة أعدائهـا من الأسود والنمور وتفاديـها، مستخدمة في ذلك نظرها الحاد لمسافات طويلة. ويتغذى النعام في بيئته الطـبيعية على النـباتات من جـذور وأوراق وثمار، وعلـى الحشائـش وبعض الحـشرات والسحالي. ويستطيع مقاومة العطش لفترات طـويلة. كما يسـتطيع تحمل درجات الحرارة المـرتفعة في الأجـواء القاسية. وعلى الرغم من أن هذا الطائر قد فقد القدرة على الطيران، فقد عوّضه الخالـق عن ذلك بـقدرة فائقـة على العدو. فـهو يستطـيع العدو بـسرعة

الطيور حجماً يبلغ وزن الـذكر ١٢٠كجم تقريباً. ويصل ارتفاعه إلى ١٧٥سم. أما وزن الأنثى فيبلغ ١٠٠كجم تقريباً. ويصل ارتفاعها إلى ١٩٠سم.

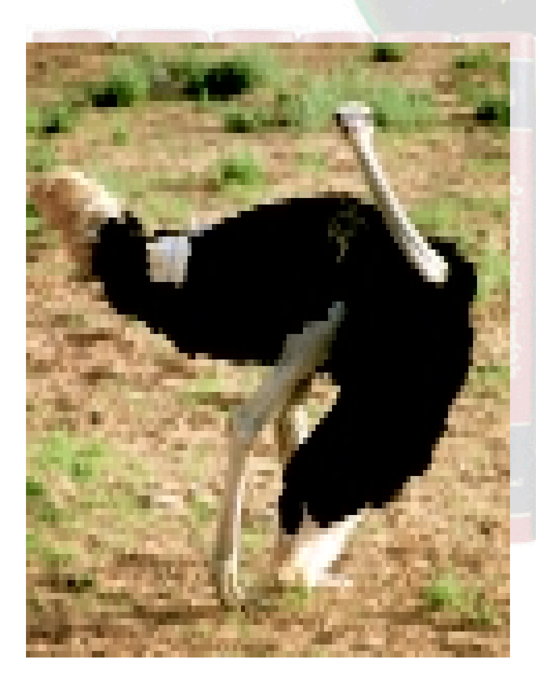


تعيش طيور النعام في المساحات المفتوحة وتتحمل العطش لفترات طويلة



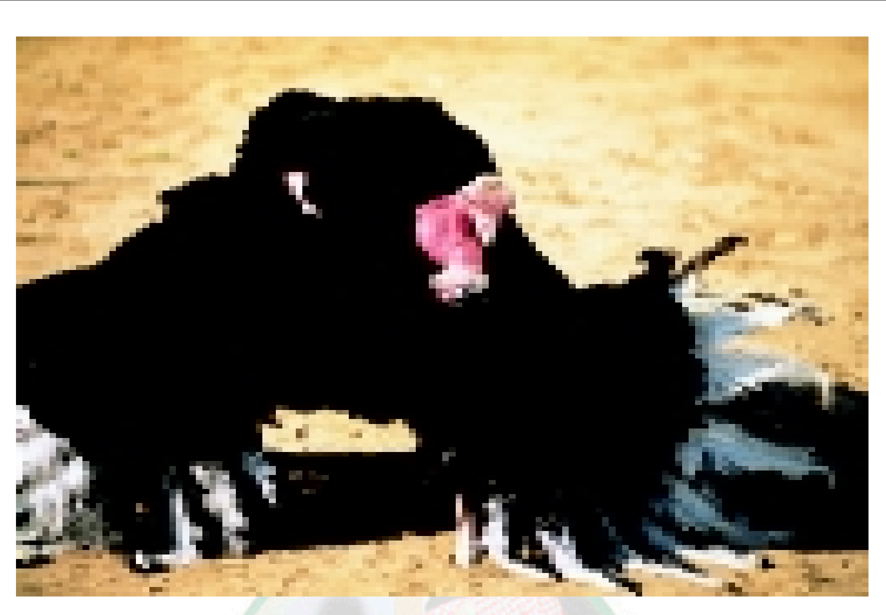
٦٠كم في الساعة لمدة نصف ساعة متواصلة دون إجهاد. ويستطيع أن يقفز مسافة ثلاثة أمتار ونصف المتر في القفزة الواحدة أثناء العدو. ومن ثم يعتبر النعام من أسرع الطيور العداءة. ومن المقولات الشائعة عن النعام أنه يدفن رأسه في الرمال، إذا أحس بوقوع الخطر. وهذه مقولة غير صحيحة. فالنعام يستطيع العدو بسرعة تفوق سرعة أعدائه. ويضرب برجليه بقوة تفوق قوة أرجل الحصان. ويضرب أيضاً بمنقاره بشدة. ولكنه عندما يفشل في الهروب ينبطح على الأرض ورقبته ممدودة إلى الأمام دون أي حركة، حتى لا يراه أعداؤه.

تزاوجه. تضع الأنثى الواحدة في موسم التزاوج، ما بين ٢ إلى ٥ بيضات، وقد تصل في بعض الأحيان إلى ١٨ بيضة، وغالباً ما تقوم الإناث مجتمعة بوضع البيض في عش واحد، قد يتسع في بعض الأحيان إلى ٧٠ بيضة. ويتبادل حضانته كل من الذكر والأنثى الرئيسية. ويصل وزن البيضة حوالي ١٥٠٠جم. وسمك القشرة فيها إلى حوالي ميليمترين، وتفقس بعد فترة حضانة تصل إلى ستة أسابيع. ويعيش النعام في البرية، مدة تتراوح من ٣٠ إلى ٤٠ عاماً. ويصل عمره في الأسر إلى ٥٠ عاماً. ويعتبر المصريون القدماء أول من ربى هذا الطائر في الأسر للاستفادة من لحومه وشحومه وجلده وريشه. وتقوم الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها حالياً بإكثار نوع أحمر الرقبة، شبيه بالنوع الأصلي، تحت الأسر في المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، وقد قامت الهيئة بإعادة توطين أول قطيع منه في محمية محازة الصيد، التي تقع على بعد حوالي ١٥٠كم جنوبي شرق الطائف. وذلك لأن النعام العربي انقرض تماماً من شبه الجزيرة العربية ولم يعد له وجود. وكان آخر حول شوهد منه في



ذكر النعام يؤدي رقصة الغزل





استعراض الذكر في موسم التزاوج

الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي يضم تسع نعامات في منطقة القريات.

صيده وتربيته. ويصاد النعام بطريقتين: أولاهما استعمال النار، وذلك بأن توقد أمامه النيران، فإذا رآها دهش وذهل وتسمّر في مكانه كأنه لا يستطيع حراكاً، فيتمكن منه الصيادون فيأخذونه.



بيض النعام

والثانية بالحيلة والخداع، إذ ينثرون الخرق السوداء بكثرة في مرابض النعام ومراتعه ويتركونها حتى إذا آلف النعام وجودها وأنس بها لبس القناص أردية سوداء لا يظهرون منها وقبعوا له حتى يدنو منهم فيأخذونه حياً (شاكر ١٩٨٥ : ٣١٠).

وانتشرت في الآونة الأخيرة تربية النعام تجارياً في مزارع ضخمة في مناطق كثيرة من العالم، لا سيما في جنوب أفريقيا وأمريكا. وقد أنشئ في المملكة حديثاً عدد من مزارع النعام الكبيرة، لإنتاج النعام الأسود الرقبة، المعروف بسهولة تربيته ووفرة إنتاجه. وينشأ حالياً مشاريع سعودية مصرية، وسعودية سودانية مشتركة في مصر والسودان



للإنتاج التجاري للنعام في مزارع واسعة، حيث يستفاد من جميع منتجات النعام. ويمثل الريش ٨٦٪ من دخل النعام، والجلد ٧٪، واللحم ٥٪، وباقي المنتجات من عظام وأحشاء وغيرها ٢٪. ولحم النعام الذي يشبه لحم القعود الصغير (الحاشي) هو من أفخر أطباق اللحوم التي تقدم في أكبر المطاعم الأوروبية. ويستخدم الجلد في تصنيع حقائب يد للسيدات، وأحزمة وأحذية وغيرها من المصنوعات الجلدية الفاخرة.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر النعام كثيراً في الأدب العربي، شعره ونثره وأمثاله. يقول النابغة القرشي:

نواعم مثل بيضات بمحنية
يحضنهن ظليم في نقى هار

يدني عليهن دفاً ريشه هدم
وجؤجؤاً عظمه من لحمه عار

والمحنية: جوانب الوادي حيث تبيض النعام، وهار: منهار، والدف: الجنب، والجؤجؤ: الصدر.

وقال أبو الشيص الخزاعي:

رَبْعٌ تربَّع في جوانبه البِلى
وعفت معالمه فهن طموس

يدعو الصدى في جوفه فيجيبه
رُبْد النعام كأنهن قسوس

فآثار الديار طامسة، ممحوة، خالية إلا من قطعان النعام الوديعة المسالمة كأنها قسوس بثيابهم السود الداكنة. ولأن قطعان النعام تمشي بساحات الديار متخالفة، جماعة وراء جماعة، وعصبة وراء عصبة، قال بشار:

تمشي النعام بها مثنى ومجتمعاً
كأنها عصب تحدو بها عصب

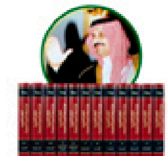
أو كجماعات نساء بعباءاتهن السود، يسرن لأداء الشعائر الدينية. قال بشار أيضاً:

يمشي النعام بجوها
مشي النساء إلى المساجد

وحيث يتصف النعام بالسرعة والنشاط والنجاء، فقد وجد الشعراء فيه مجالاً واسعاً لتشبيه رواحلهم السريعة المنطلقة في وسط الصحراء، وعندما يريدون أن يؤكدوا في إبلهم صفة السرعة نعتوها بهذا الطير السريع في عَدْوه. فناقة بشار السريعة تزف كما يزف الظليم الشديد إذ يقول:

فهيجت مرقال العشيِّ شِمِلّة
تَزِفّ كما زَفَّ الهِجَفّ السفنج

الهِجَفّ: الطويل. السفنج: الخفيف من ذكور النعام. ونوق سلم الخاسر في تباعد خطوها وهي مسرعة يشبه وخد النعام السريع في قوله:



يهمسن في همس القطا
ويخدن في وخد النعام

ولتأكيد معنى السرعة، وضعوا هذا النعام في ظروف قاسية، تدعوه للإسراع في عدوه كالخوف والذعر من حلول الظلام عليها، وفزعها من خطر يتهدد رئالها. قال علي بن الجهم:

إليك خليفة الله استقلت
قلائص مثل مجفلة النعام

وقال مروان بن أبي حفصة في صفة ناقته أيضاً:

تنجو إذا رفع القطيع كما نجت
خرجاء بادرت الظلام رئالها

وقد لاحظ بعض الشعراء في النعام صفات الحمق، لأنها تدع الحضن على بيضها ساعة الحاجة إلى الطعم، فإن هي في خروجها ذلك رأت بيض أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيض تلك ونسيت بيضها هي. وقد تصاد فلا ترجع إلى بيضها بالعراء حتى تهلك، ولذلك قال ابن هرمة:

فإني وتركي ندى الأكرمين
وقدحي بكفي زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء
وملبسة بيض أخرى جناحا

ولم يغب عن أعين الشعراء منظر النعام المذعور الخائف، لذلك رأوا في أعدائهم المهزومين المروعين الجبناء شبهاً بهذا النعام الشرود المذعور، قال مسلم ابن الوليد:

ما كان جمعهم لما لقيتهم
إلا كمثل نعام ريع منجفل

وقد ألح الشعراء إلحاحاً على تأكيد لون النعام الأربد، فشبهوه بالقسوس (القساوسة) ذوي الملاءات السود، أو بالنساء المتدثرات بعباءاتهن القاتمة السواد. وقد رأى الشعراء في مناظر السحاب والغيث داكن السواد، وهو يتدلى من السماء مشابهاً للنعام الأدهم. قال بشار:

قد طبق الغور وأعلى نجد
يستن فيه كالنعام الربد

وقال ابن المولى يشبه قطع السحاب المتدلية بالنعام الأربد المعلق من أرجله:

فأصبح يرمي بالرباب كأنما
بأرجله منه نعام معلق

وشبه أبو تمام أصوات النعام بأصوات صارخ يطلب نجدة. قال:

كأن صوت النعام فيه
إذا دعا صوت مستغيث

وذكر بشر زمر الهِقْلة وصياحها فزعاً من ظلها إذ يقول:

وهِقْلة ترتاع من ظلها
لها غرار ولها زَمْر

وقال ابن أبي عينية واصفاً كبر زور النعامة وكبر حجمها وانسيابها فوق



الصحراء بأنها كالسفينة الضخمة المنسابة على صفحة الماء:

من سفن كالنعام مقبلة
ومن نعام كأنها سفن

وقد شاع بين الناس في هذا العصر أساطير عن قدرة النعام على التهام الحجارة الصلبة ومضغها، وحبها الشديد للجمر الملتهب. فقال عن ذلك بشر بن المعتمر في أرجوزته المشهورة في عجائب المخلوقات:

أما ترى الهقل وأمعاءه
يجمع بين الصخر والجمر

والنعامة عند العرب صيد طيب، يأكلون من لحمها، ويتخذون من ريشها زينة، أما أوتار عصبها فيثبتون بها عظامها على رؤوس سهامهم ورماحهم، ولأنها من الصيد الحلال، استمروا بعد الإسلام في طردها. وقد عدَّ أبو دؤاد الإيادي خروجه على فرسه لصيد النعام أمراً يستحق التفاخر به، ولا سيما إن دَلَّلَ على نجابة فرسه وسرعة انطلاقه وإدراكه الطريدة قال:

وأخذنا به الضرار وقلنا
بحقير بناته اضمار
فأتانا يسعى تفرش أم البيـ
ـض شدا وقد تعالى النهار
غير جعف أوابد ونعام
ونعام خلالها أثوار

وأم البيض: النعامة، والتفرش: أن ترفرف بجناحها. ثم يصرع ستاً ما بين ظليم ونعامة ومها وحمار ورئال، وكأنما قسم بينهما كأس عقار:

يتكشفن من صرائع ست
قسمت بينهن كأس عقار
بين ربداء كالمظلة أفق
وظليم مع الظليم حمار
ومها بين حربين ورئال
وسيوب كأنه أوتار

ربداء: نعامة رمادية اللون. وقد أكثر ذو الرمة من ذكر النعام في شعره فقال:

تبرى له صعلة خرجاء خاضعة
فالخرق دون بنات البيض منتهب

والصعلة والصعل من ألقاب النعامة لعري رأسها. وقال في موضع آخر يصف كثرة النعام في تلك البقعة:

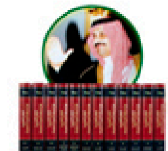
بها كل خوار إلى كل صعلة
ضهول ورفض المذرعات الهراقب

وهو يقول أيضاً:

على أنه أيضاً إذا شاء سامع
عرار النعام واختلاس النوازب

ثم يضيف في مكان آخر يصف الركاب:

تراهن بالأكوار يخفضن تارة
وينصبن أخرى مثل وخد النعائم



أما جرير فيقول:

بـدلـت مـنـهـم الـديـار نـعـامـاً
خـاضـبـات يـزجـين خيـط الـرئال

ويقول في مكان آخر:

تـسـوف أواحـي الـنـعـام إفالـهـا
بقـود الهـوادي مشرفـات البـراعس

ويقول في مكان ثالث:

فعـاجا وما فـي الدار عـين نحسـها
سوى الربد والظلمان ترعى مع العفر

وقال الراعي النميري:

ومـا بيـضة بـات الظـليـم يحـفهـا
بـوعسـاء أعلـى تـربهـا قد تـلـبدا

فلـما علتـه الشمـس في يوم طلـقة
وأشـرف مكـاء الـضـحى فـتـفردا

أراد الـــقـيـــام فـازبـــأر عـفـــاؤه
وحـرك أعـــلـى رجلـــه فـتـأودا

وهــز جـنـاحـيـه فـسـاقـط نـفـضـه
فـراش النـدى مـن مـتنـه فـتـبددا

فـغادر فـي الأدحـي صفـراء تركـة
هجـاناً إذا مـا الشـرق فيـها تـوقدا

بـألـين مسـاً مـن سـعـاد لـلامسٍ
وأحـسن مـنهـا حين تـبدو مـجردا

وقال الحارث بن حلزة اليشكري من معلقته:

غـير أنـي قد أسـتعـين علـى الهـم
إذا خـــف بـالـــثـوي الـــنـجـاء

بـــزفـــوف كـــأنـه هـــقـــلـــة أم
م رئـــال دويـــة ســـعـــفـــاء

آنـسـت نـبـأة وأفـزعـهـا الـقـنـا
ص عـصـــرا وقـد دنـا الإمـــسـاء

الثوي: المقيم، النجاء: السرعة، الزفوف: النعامة، ويريدها ناقته، الهقلة: النعامة، الرئال: جمع رأل ولد النعامة، دوية: منسوبة إلى الدو: الأرض المترامية الأطراف، سقفاء: مرتفعة. وقال سهم بن حنظلة:

إذا مـا لـــقـيــت بـنــي عـامـــر
رأيـت جـــفـاء ونـوكـا كـبـيـــرا

نـــعـــام تمـــد بـــأعـــنـــاقـــهـــا
ويمـنـعـهـــا نـوكـهـا أن تـطـيـرا

النوك: الحمق. وقال يحيى بن نوفل في الهجاء:

فـأنـت كـسـاقـط بـين الحشـايـا
تـصـيـر إلى الخـبـيث مـن المـصـير

ومـثـل نـعـامـة تـدعـى بـعـيـرا
تـعـاظـمـها إذا مـا قـيـل طـيـري

فـإن قـيل احـمـلـي قالـت فـإني
مـن الـطـيـر المربـة بـالـــوكـور

وقد ضرب العرب كثيراً من أمثالهم في النعام فقالوا «مثل النعامة، لا طير ولا جمل» يضرب لمن لم يحكم له بخير ولا بشر، وقالوا «أروى من النعامة»، لأنها لا تشرب الماء فإن رأته شربته عبثاً، وقالوا «ركب جناحيْ نعامة»، يضرب





تعيش طيور النعام في مساحات مفتوحة

لمن جد في أمر كانهزام أو غيره، وقالوا «تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعامة»، إذا جمع بين أمرين لا يجتمعان، لأن الأروى يسكن الجبال، والنعامة تسكن الفيافي فلا يجتمعان. وقالوا «أحمق من نعامة، وأجبن من نعامة»، وذلك أنها إذا خافت شيئاً لا ترجع إليه بعد ذلك أبداً. وقالوا «أشم من هقل»، والهقل الفتي من النعام. ويقال «أجبن من نعامة». وفي ذلك قال عمران بن حطان يهجو الحجاج بن يوسف الثقفي:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة
ربداء تنفر من صفير الصافر

وقالوا أيضاً «أحذر من ظليم»، و«أحمق من نعامة»، و«أروى من نعامة»، و«أشرد من ظليم»، و«أشرد من نعامة»، و«أشرد من خفيدد». قال الشاعر:

وهم تركوك أسلح من حبارى
رأت صقراً وأشرد من ظليم

وقالوا «أصح من ظليم»، قيل إنه لا يشتكي، فإذا اشتكى لا يلبث أن يموت. وقالوا «أعدى من ظليم»، لأنه إذا عدا مد جناحيه وكأنه يجمع بين العدو والطيران. وقالوا «خفت نعامتهم» يضرب مثلاً للقوم إذا ظعنوا مسرعين واستمر بهم السير. وقالوا «ركب فلان جناحي نعامة»، إذا جد في أمره. وقالوا «شالت نعامتهم»، يضرب مثلاً لمن تفرقت كلمتهم وذهب عزهم وولوا. وتقول



العرب «ذهب النعام يطلب قرناً فجدعت أذنه»، وقالوا «كالنعامة تكون جملاً إذا قيل لها طيري، وطائراً إذا قيل لها احملي».

أما شعراء النبط فقد وصفوا سرعة الإبل بالنعام كما قال محمد بن عيسى الرديعان:

ياراكبٍ من فوق حيلٍ محاويل
مثل النعام اوصافهن مقفيات

وقال شاعر:

ياراكبٍ من عندنا فوق درجي
يشدا نعامٍ طالعٍ مع زراجي

درج: سريع، يشدا: يشبه، زراج: أرض منحدرة. وقال خلف أبو زويد الشمري:

يا قيل ها! وش ذا؟ يشهّلن تشهيل
مثل النعام اللى من الحزم شراد

ها: كلمة تعجب وزجر، وش ذا: ما هذا؟ جملة تعجب، يشهلن: ينطلقن. وقال محمد بن حمد اللعبون:

والا ظليمٍ حين بالعين شاف
ومن الونس قفّى مع الدوّ منذار

الونس: أصوات الناس، الدو: الأرض الواسعة، منذار: جافل. وقال شايع الامسح الرمالي:

شبهتها بالحيد الادنى نعامه
والحيد الاقصى زايلٍ به زوايل

الحيد: الحبل الصغير، زوايل: أزوال. وقال خضير بن عيادة الصعيليك الشمري:

حرٍ ليا شدت عليه المصاليب
يشدى ظليمٍ جافل مع غتاره

ليا: إذا، المصاليب: عصيّ الشداد، ويقصد الشداد نفسه، يشدى: يشبه، غتاره: أرض لا تتضح فيها الرؤية. وقال الصعيليك أيضا:

يشبه ظليمٍ ذيّرته التفافيق
لى صاعه المثلوث واخطاه رامي

ذيرته: جفلته، التفافيق: جمع تفاق وهو الرامي، صاعه: ضربه، المثلوث: الملح المكون من ثلاثة عناصر هي الملح والكبريت والفحم. وقال كنعان الطيار العنزي:

يشبه نعامٍ مع جذيبٍ تحدّر
والا النداوي يوم يرخي سيوقه

جذيب: الأرض المنحدرة، النداوي: نوع من الصقور. وقال محدا بن فيصل الهبداني العنزي:

يشدى لهيقٍ جفله حس بارود
عليه زعر منومل الملح فاحي

الهيق: ذكر النعام، بارود: صوت بندقية، زعر: رائحة دخان البندقية، منومل: الملح الذي تشبه نعومة شذراته رؤوس النمل، فاح: انتشر. وقال علي بن سعد الزرقا:



فزيـز ربدا طـالعـت بعـض الازوال
لـى صار ربـعـه فـي بلادٍ مـهـاوي

الربدا: النعامة، طالعت: رأت.

وشبهوا رموش النساء بريش النـعام كما شبهوا لون شعر المرأة بريش النعام. قال محسن بن عثمان الهزاني:

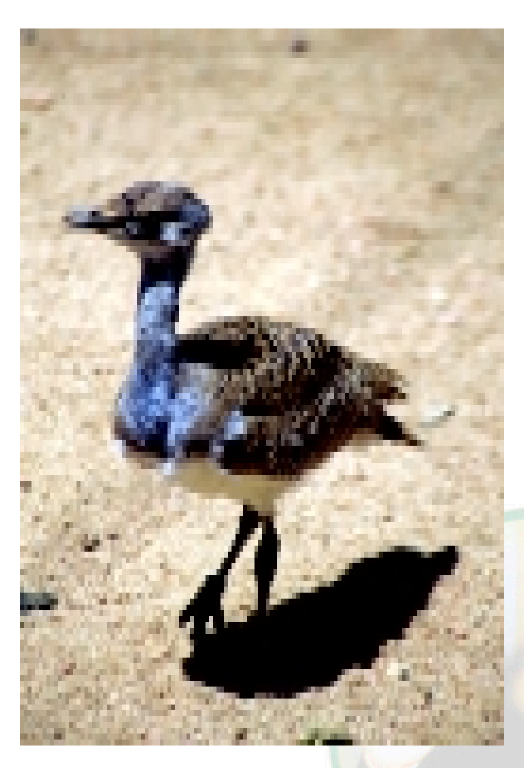
ريش الـظلـيم الـلي عـزلها بـفرقـا
من غـرته جنح الـدجا غايـة اشفاق

فرقا: مفرق الرأس. وقال صاهـود بن لامي المطيري:

لعيـون من تزهى الملابـيس وخصور
أبـو رمـوشٍ مـثـل ريش الـنـعـام

خصور: جمع خصر وهو نظيم من الخرز يعقد بمكان السوار في المعصم. وقال عبدالله بن دويرج:

ونجلٍ كـما الساعات فيـهن شارات
ضافٍ هدبهن مثل ريش النعام

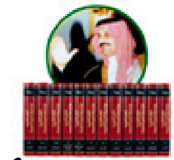


الحبارى

الحبارى

صفاته وسلالاته. الحبارى أحد أنواع الطيور المشهورة، وهي من الطرائد المأثورة للصيد بالصقور منذ أقدم العصور. منها ما يعشش في الجزيـرة العربية ومنها ما يأتيها مهـاجراً خلال فصل الشتاء، إلا أنها إذا وجدت البيئة المناسبة، في الأماكن الحصوية والرملية المفتوحة، فإنها تعشش وتفرخ وتتكاثر. وكانت في السابق توجد بكثرة في الجزيرة العربية، لكن استخدام الأسلحة النارية والسيارات الرباعية الدفع في صيـدها أدى إلى ندرتها، وقـضت على معظم أعداد هذا الطائر ذي اللون الجميل، خاصة إذا نفش ريشه الـرشيق على جسمه، بالإضافة إلى جودة لحمه، ولذيذ طعمه الذي لا تعادله لذة في لحم أي طائر آخر.

وقد ورد في كـتاب الدميري حـياة الحيوان الكبرى أن الحُبَارى طائر معروف، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، واحده وجمعه سواء. وأهل مصر يسمون



الحُـبَارَى الحـبرج، والخـرب هـو ذكر الحبارى، واليحـبور ولدها، وهو أيضاً عثمان في عـرف البادية الذين يطلقون الاسم نفسه (عثمـان) على فرخ الداب أيضاً. وهي من أشد الطير طيراناً وأبعدها شوطاً، وذلك أنها تصاد بالبصرة فيوجد في حـواصلهـا الحبـة الخضراء، الـتي شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام. ولذلـك قالـوا في المـثل «أطـلـب مـن الحُبَارَى». وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمداً. وهو طائر طويل العنق رمادي اللون، في منقاره بعض طـول. وقال الجاحظ: الحـبارى لها خزانة فـي دبرها وأمعائها، لها أبداً فيها سلح رقيق، فمتى ألـح عليها الصقر سـلحت عليه فينتـف ريشه كله، وفي ذلك هـلاكه، وقد جعل الله تعالى سَلْحَهَا سِلاحاً لها. قال الشاعر أوس بن غلفاء الهجيمي:

وهـم تركـوك أسـلَحَ مـن حـبارى
رأت صـقــراً وأشــرَدَ مـن نــعـام

والحبارى من أكـثر الطير حيلة فـي تحصيل الرزق.

وذكر الدميري أن من خواص الحبارى أن لحمه بين لحم الدجاج ولحم البط في الغلظ، وهـو أخف من لحم البط لأنه بري، وهـو حار رطب جداً، وأجـوده المخاليف المكدودة قبل الذبح. وهو نافع لتسـكين الرياح لـكنه يضـر بالمفاصـل والقـولنج، ويدفـع ضرره الدارصيـني (الدارسين) والزيت والخل، ويتولد منه دم بلغمـي، ويوافق أصحاب الأمزجـة الباردة من الشبان، لا سيما إذا أكل في الشتاء، وفي الـبلاد الباردة. يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه، وأجود ما طـبخ بعد أن يمـضي عليـه يومان، وتسميه البادية غبيب، ويكون ذلك عادة في الشتاء حـتى لا يصيبه التعـفن. ثم يغرز فـي صدره وأفخاذه الثـوم الكثير والفلفل ويعمل بالأبازير، وهو إذا انهضم ولد غذاءً كثيراً، وما كان منه مخلفاً خير مما كان عتيـقاً. ويجب أن يتناول بعـده حلواء العسل. ويوجد في حوصلته حجر إذا علق على الإنسـان لا يحتلم ما دام عليه، وإن كان به إسهال حبـس بطنه، وإذا علق قلبه عـلى من يكثر النوم قل نومه. وقال أرسطاطاليس: بيض الحبارى



بيض الحبارى



ما كان منه ذكراً يسود الشعر ويبقى صبغه سنة لا ينصل، وما كان منه أنثى لا يسود الشعر، ويعرف ما يسود بأنه يدخل خيط في إبرة ويدخل في بيضة، فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا (وهذا كله من الزعم الباطل). وتعبير رؤية الحبارى في المنام، هو رجل سخي صاحب دخل وخرج بلا منفعة، كثير الأكل والتعب، لا يفتر ليلاً ولا نهاراً.

وللحبارى خزانة في دبره وأمعائه له فيها أبداً سلح رقيق (المرش في عرف البادية)، فمتى ألح عليها الصقر، فإنها تذرقه بسُلاحها فيبقى الصقر كالمكتوف أو المربط. وذلك أن سلح الحباري لزج جداً فيعمل على إلصاق ريش جناحي الصقر فلا يستطيع الطيران بسهولة. وفي هذا تقول البادية «طملت الحباري الطير بمرشها و«طير مطمول». والخرب ذكر الحبارى والنهار فرخ الحبارى، وفرخها حارض، أي ضعيف البنية، ساقط لا خير فيه. ويستطيب كثير من العرب محسي الحبارى. والحبارى أشد الطير طيراناً، وأبعدها مسقطاً وأطولها شوطاً، وأقلها عرجة.

وتتبع الحبارى عائلة الحباريات، من رتبة الكركيات (الغرنوقيات) ويوجد في المملكة منها ثلاثة أنواع هي: الحبارى



الحبارى من الطيور المفضلة للصيد بالصقور

العربية أو الحبرو، والحبارى الكبيرة، والحبارى المتموجة، ويبلغ طول طائر الحبارى الكبيرة ٩٠سم. ويزيد طول الذكر فيها عن الأنثى. قمة الرأس رمادية اللون محددة من الجانبين بريش أسود، ويوجد في مؤخرة الرأس عُرْفٌ سطحي. الحلق والرقبة ذات لون رمادي متموج. الجزء الأسفل والأجنحة ذات لون رمادي بني. السيقان طويلة صفر اللون.

ويألف الطائر المناطق شبه الصحراوية، والسهول الرعوية الجافة، والحقول الزراعية. ويتغذى على بذور النباتات والحشرات والحيوانات الصغيرة. ويعشش على الأرض، وعشه بسيط التركيب. وهو من الطيور المستوطنة بالمملكة. ويكثر وجوده في المنطقة



الساحلية الممتدة من جنوب مدينة جدة حتى مدينة جازان.

والحبارى العربية أو الحبرو طائر كبير حجم الجسم يتراوح طوله من ٧٦ إلى ١٠٣سم، والذكر أكبر حجماً من الأنثى. الجناح ذو أطراف بيض اللون مخططة بالأسود. وهناك ريش يتدلى على جانبي الخد على شكل خصل طويلة، وتوجد حلقة بنية اللون على أجزاء من الصدر وتحت الرقبة، لون الظهر والذيل رملي باهت مخطط بالأسود، أما الصدر فأبيض اللون. ويعيش هذا النوع من الحبارى في المناطق المفتوحة، وقد يغشى المزارع. ويوجد في ساحل تهامة ابتداءً من جنوب جدة حتى الحديدة. ويوجد في جنوب الربع الخالي جهة حضرموت بكثرة ويقل في باقي مناطق الربع الخالي وهذا النوع هو رمادي العنق.

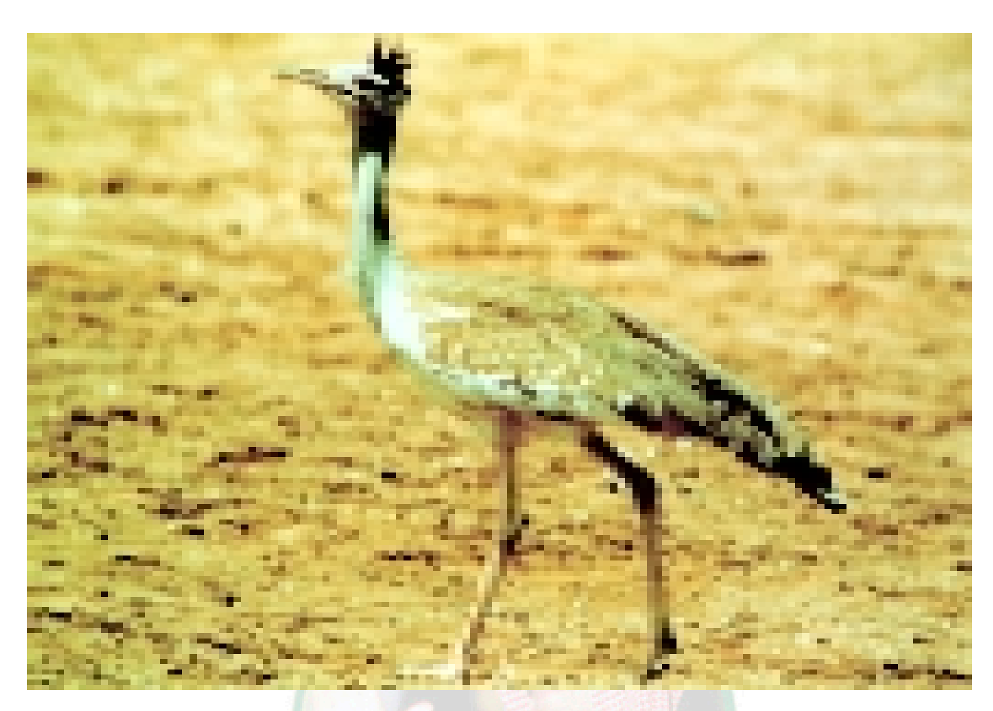
أما الحبارى المتموجة، فيبلغ طولها ٧٤سم، وكذلك يكبر حجم الذكر فيها عن حجم الأنثى. وتتدلى على جانبي العنق ريشات طويلة ذات لون أبيض وأسود. ويوجد في أعلى الرأس ريش قصير ذو لون أبيض ينتهي بالسواد. الذيل ذو خطوط رمادية عريضة، والبراثن رمادية صفر. وهو طائر صامت إلا أنه لفراخه زقزقة حادة.

وطائر الحبارى واحد من عدد من أنواع الطيور التي تتشابه إلى حدود متفاوتة، وتعيش معظم هذه الأنواع من طيور الحبارى في مناطق مختلفة من شمال قارة آسيا، وقارة أوروبا. والبعض الآخر من هذه الأنواع يستقر دائماً في مناطق مختلفة من وسط وشرقي قارة أفريقيا، ولا يهاجر إلى غيرها. والحبارى المعروف لدى القناصين في المملكة هو الذي يعيش في شمال قارة آسيا في مناطق مختلفة من دول الاتحاد السوفيتي السابق، وأجزاء من الصين. ويوجد منه تحت نوع آخر، يعيش في شمال غرب قارة أفريقيا، وكذلك في مناطق مختلفة من قارة أوروبا بصورة أقل شيوعاً. وهناك ثلاث سلالات من هذا النوع وهي:

حبارى جزر الكناري: وحجم الطائر من هذه السلالة أصغر منه في السلالتين الأخيرتين، ولونه أكثر سواداً. وتستوطن طيور هذه السلالة جزر الكناري.

الحبارى الإفريقية: وللطائر من هذه السلالة خصلة من الريش الأبيض في قمة الرأس. ويكون لون الجزء الخلفي من الرقبة والظهر وأعلى الذيل رمادياً رملياً. أما الوجه ومقدمة الرقبة والصدر





الحبارى الأفريقية

فيكون لونها أبيض. وللطائر الذكر عرف طويل لونه في أعلاه أسود، وفي وسطه أبيض، وفي نهايته أسود. وريش غطاء الجناح أسود اللون، وفيه خط أبيض في قاعدته. أما ريش القوادم في الجناح فهو أسود اللون. ونصفه الأسفل أبيض في الريشات الخمس الأول. والذيل طويل، لونه رملي أو بني فاتح، وتوجد فيه أربعة خطوط واضحة سود مائلة إلى الزرقة.

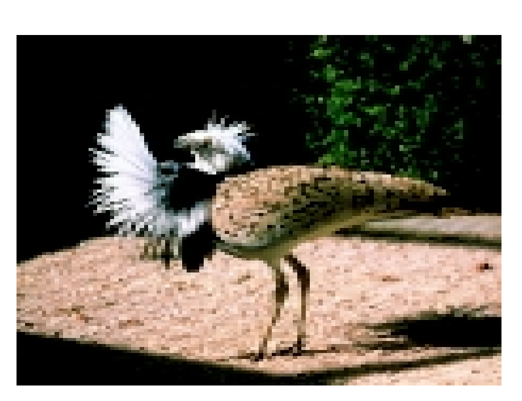
الحبارى الآسيوية: وحجم طيور هذه السلالة أكبر، ولونها أفتح منه في السلالتين الأخيرتين، وخصلة الريش التي في قمة الرأس أكثر سواداً منها في السلالة الأفريقية. والأجزاء العلوية من الجسم ذات لون رمادي رملي وفيها نقط سود اللون، وريش غطاء الجناح أبيض. وعرف الطائر الذكر معظم لونه أبيض. ويوجد في الذيل خطان أو ثلاثة خطوط عرضية.

وتعيش الحبارى الآسيوية في السهول الرملية والمناطق الحصوية التي تنتشر فيها الأعشاب والشجيرات، والمناطق شبه الصحراوية. وتتغذى على بذور النباتات والحشرات والحيوانات الصغيرة. وتعشش على الأرض، ومكونات عشها بسيطة.





الحبارى الآسيوية

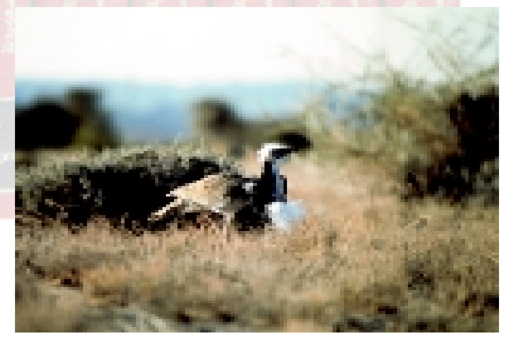


الحبارى تؤدي رقصة الغزل

وهي طيور مهاجرة تزور المملكة في فصل الشتاء. وبعضها مقيم فيها.

ومناطق وجود الحبارى الآسيوية في المملكة هي حرات المنطقة الشمالية، والشمالية الغربية، التي يأتي إليها مهاجراً كما يعشش فيها. كما يوجد الطائر في المنطقة الشرقية والجهات الجنوبية الغربية من الربع الخالي.

وتوجد الحباري فرادى أو في أزواج لكنها كثيراً ما توجد في مجموعات يطلق عليها أهل البادية أحوال ومفردها حول.



تختفي الحبارى وسط البيئات المشابهة للونها

وإذا استقرت الحبارى في مكان خالٍ لفترة طويلة قيل لها حبارى ربيب.

صيده. والحباري الآسيوية هي طريدة الصيد التراثية في الجزيرة العربية بوجه عام، وتصاد بالصقور. وللحبارى ثلاث طرق في مقاومة الصقر: أولاها أن تبقى ساكنة في مكانها لا تتحرك وذلك بأن تلبد بجانب شجيرة ويساعدها لونها الترابي الأغبر على التخفي وسط البيئة ذات اللون المشابه لها. وتقول لها البادية حباري لبيد أو لابد، وذلك لأن الصقر لا يشاهد إلا الأشياء المتحركة، فإن بقيت الحباري دون حركة فإنه لا يميزها وإن كان على بعد متر واحد منها لذلك يعمد الصيادون إلى إجبارها على الحركة لكي يراها الصقر ويحوّل عليها.

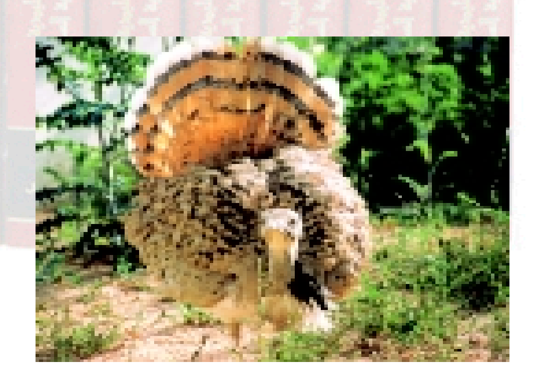
الطريقة الثانية لصيدها أن تلتف الحباري كل طائرين أو ثلاثة حول بعضها خلف شجيرة ويتحركن بحيث تحاول





حبارى «لابده»

كل منها أن تجعل رفيقتها أو رفيقاتها في مواجهة الصقر، فإذا عزم عليها تقدم الذكر (الخرب)، إذا كان بينها، نافشاً ريشه، وتقول عنه البادية إنه مكوبر أي يحاول أن يجعل نفسه كبير الحجم بنفش ريشه، ومقصراً رقبته وجاذباً رأسه إلى الخلف (لأن الصقر يفضل الإمساك برقبة



ذكر حبارى «مكوبِر»

الحباري)، وفارداً ذيله ورافعاً مؤخرته استعداداً لطمل الصقر بمرشه (سلحه اللزج). كما يستخدم في معركته مع الصقر الضرب برجليه حيث يضرب الصقر بهما كيفما اتفق لتخويفه حتى يستطيع الفكاك والهرب منه.

أما الطريقة الثالثة فتعتمد على قدرة الحبارى على التمييز بين الصقر سريع الطيران والصقر بطيء الطيران. فمتى ما تيقنت من بطء طيرانه فإنها تعمد إلى الطيران بسرعة خاصة في اتجاه الريح، وإذا حاول الصقر الاقتراب منها عاجلته بمرشها لتعوق طيرانه حتى تفلت منه. كما أن الحبارى تحاذر أن يراها الصقر مثلما تراه. لذلك نجد أنها في



أيام رحلة الـصقور الشتويـة للمناطق الدافئـة وأيام القنص تـعمد في وقت الظهيرة (والتي تعرف عند البادية وقت الحومة والـتي تبدأ تقريـباً من الساعـة الحادية عشرة إلى الساعة الثالثة بعد الظهر حيث تفضل الصقور فيها الطيران بشكل دائري في السماء فاردة أجـنحتها بغية رؤية فريسة تـنقض عليها) تعـمد إلى الرعي بطريـقة فردية مميزة تقول عـنها البادية إن الحبارى تحـبري، وذلك أنها تسير بطريقة بطيئة جداً فيستغرق تقديم القدم الواحد عـدة ثوان وتضعها أمام القدم الأخرى قريباً جداً منـه، ويكون عنقها مرتخياً للأرض ومنقارها مرتفعاً قلـيلاً لتـتمكـن من الرعـي والتقـاط الحشرات والبراعم دون لفت نظر الصقر الجاثم. ومـتى ما تأكدت مـن وجوده فإنها تـلبد دون حركة قبل أن يـراها. كما أنها تقوم بهذه الحركة إذا هاجمها الصـقر وأفلتـت منه ثم هـبطت إلـى الأرض بعد اختفائهـا عن نظره خلف تل أو حزم أو عرق من الرمال، خاصة إذا كانت الأرض التي هبـطت فيها لا توجد فيها شجيرات كثيفة تستطيـع أن تندر من خلفها. ولكنها في هذه الحالة متى ما رأت الصقر فإنها كثيراً ما تسرع في عدوها هاربة منه مستعدة للطيران.

ذكره في مأثور القول والأدب. ومن الأمثال التي وردت في الحبارى وجاءت في كتاب حياة الحيوان الكبرى، قولهم «كل شيء يحب ولده حتى الحبـارى»، وإنما خصت بالذكر في هذا المـثل لأنها يضرب بها المثل في الحمق، فهي عـلى حمقـها تحب ولدهـا فتطعمـه وتعلمه الطيران كغيرها. وقالوا أيضاً «أسلح من الحبارى» لحالـة الخوف، ويضرب المثل الشعبي الحبارى دلالة على الذل «فلان أذل من الحبارى» وقالوا «الحبارى خـالة الكروان». وقالوا أيضاً «أقصر من إبهام الحبارى».

وقيل أيـضاً «خربان أرض صقرهـا ملت»، والخرب ذكر الحـبارى، و«عند الله لحم حـباريات» ويضرب هذا المثل للشيء المتمنى ولم يوصل إليه، و«أكمد من حبارى»، ويقال في مثل آخر «مات فلان كمد الحبارى»، وذلك أن الحبارى تلقي عشرين ريشة دفعة واحدة، وغيرها من الطير يلـقي الواحدة بعد الواحدة، فإذا أصاب الطير فزع طارت كلها وبقي الحبارى لقلة ريشه، فربما مات من ذلك كمداً، و«أطير من حبارى».

وقد ورد ذكر الحبارى في كثيـر من أشعار العرب منها ما قاله متمم بن نويرة:

وأرمـلة تـسعـى بـأشعـث مـحثـل



كفرخ الحبارى رأسه قد تصوعا

المحثل: رديء التغذية، التصوع: ذهاب الشعر. ويبدو أن أغلب النماذج الشعرية، التي وردت على لسان الشعراء، أشارت إلى الحبارى في مواضع الهجاء، حيث يشبهون المهجو بها في الهرب والسلح والجبن والضعف. قال جرير يهجو شبة بن عقال:

ياشب إن الحبارى لن يناظرها
مستلحم أسفع الخدين مبكار

المستلحم: آكل اللحم، الأسفع: الأسود المشرب حمرة، المبكار: المبكر، ويشبه الفرزدق مهجوه بالخرب الذي عرف عنه الجبن والبلاهة والخوف، يقول:

جاءت به حرة كالشمس طالعة
للبدر شيمتها الإسلام والحسب
كم من رئيس فلى بالسيف هامته
كأنه حين ولى مدبرا خرب

ويفخر الفرزدق بقومه، ويهجو الناس من دونهم، مشبهاً قومه بالصقور، والناس بالحبارى فيقول:

ونحن ضربنا الناس حتى كأنهم
خراريب صيف صعصعتها صقورها

صعصعتها: فرقتها. وقال ذو الرمة يمدح بلال بن أبي بردة مشبهاً إياه بالبازي، ومشبها الناس من حوله بالخربان:

ولكنني أقبلت من جانبي قسا
أزور امرءا محضا نجيبا يمانيا
من آل أبي موسى ترى الناس حوله
كأنهم الخربان أبصرن بازيا

وقال بشار بن برد يذكر الخرب، ويصف أعداء موسى الهادي بالجبن كأنهم ذكور الحبارى:

مصيخين من وقع السيوف كأنهم
خراب تلوذ من صقور فلاة

وقال ابن أبي فنن يهجو بعض الكتاب ممن لا مبادئ لهم:

رأوا مال الإمام لهم حلالا
وقالوا الدين دين بني صهارى
ولو كانوا يحاسبهم أمين
لقد سلحوا كما سلح الحبارى

وللحبارى ريش مزركش، لفت نظر أبي نواس فأثبته في إحدى طردياته، فشبه حباريات جلهتي ملحوب، وهن يرفلن بثياب الريش القشيبة وبالبرانس المحبرة الموشاة، بجماعات من النصارى تلمع صلبانهم على ثيابهم الجديدة الموشاة، التي يلبسونها في يوم عيد بهيج من أعيادهم، قال:

يارب غيث آمن السروب
حباريات جلهتي ملحوب
فالقطبيات إلى الذنوب
يرفلن في برانس قشوب





استعراض الغزل عند التزاوج

من حبر عولين بالتهذيب
فهن أمثال النصارى الشيب
في يوم عيد مبرز الصليب

وقال الشمردل، في إحدى طردياته، يصف الخَرَب ذكر الحبارى بالذل:

وخرب قد ذل بعد الفقس
كالبكر يعطى رأسه للعكس

ولأن الحبارى تتخذ من سلحها الرقيق الذي تختزنه في دبرها وأمعائها سلاحاً، فهي إذا قصدها الصقر لا تزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة فترميه بذرقها، فيبقى الصقر مقيداً مثل المكتوف. وقد استرعت الحبارى في حالها هذه انتباه زهير بن أبي سلمى، فجعلها مدعاة للاستهزاء برجل هجاه، فشبهه بالحبارى، وهو يحاول الاجتراء عليه، قال:

يكن كالحبارى إن أصيبت فمثلها
أصيب وإن تفلت من الصقر تسلح

ويلوح فزع الحبارى في ناظرتيها إذا هاجمها الصقر فأخطأها. وبهما شبه أبو ذؤيب عيني امرأة خائفة مذعورة تستتر وتنظر من خلف جبل، حيث يقول:

توقى بأطراف القران وطرفها
كطرف الحبارى أخطأتها الأجادل

وأحب العرب صيد الحبارى رغم كونه ضئيل الجسم قليل اللحم، وربما جرى ذكره في مجال الاستصغار والقناعة، وقد يظهر ذلك من بيت للفرزدق يتمنى فيه أن يعيش مع من يحبها على لحم حبارى يصيدها صاحب له، حيث يقول:

وأشلاء لحم من حبارى يصيدها
إذا نحن شئنا صاحب متألف

والحبالة من الوسائل التي شاعت في صيد الحبارى. فهذا الراعي النميري يتهدد خصومه قائلاً لهم: إن شتمكم لي لن يذهب هدراً لأني لست عاجزاً عن الأخذ بحقي كالحبارى التي تقع في حبالة الصائد، فلا حيلة لها سوى أن تقلب عينيها ذليلة:

حلفت لهم لا تحسبون شتيمتي
بعيني حبارى في حبالة مغرب
رأت رجلا يسعى اليها فحملقت
إليه بمأقى عينها المتقلب



والمُغْرب: الصائد لأنه لا يأوي إلى بيته. ومن الأشعار التي قالها جرير في الحبارى هذه الأبيات المتفرقة:

صفقتم للبزاة حباريات
فأخزى الخنثين منى الضلال

وقوله:

هلا منعتم من السعدي جاركم
بالعرق يوم التقى باز وأخراب

وقوله:

ولما علاكم صك باز جنحتم
باستاه خربان تصر صقورها

وقوله:

أحباريات شقائق مولية
بالصيف صعصعهن باز أسفع

وقوله:

خربان صيف نتفت أعرافها
عاين أسفع ملحماً مبكاراً

وقوله:

ويوم الشيِّطين حباريات
وأشرد بالوقيط من النعام

ويوم الشيطين ويوم الوقيط من أيام العرب. وقال آخر:

فرب أمير يطرق القوم عنده
كما يطرق الخربان من ذي مخالب

وقال ذو الرمة أيضاً:

بأرض ترى فيها الحبارى كأنها
قلوص أضلتها بعكمين عيرها

وقال الحطيئة:

بأرض ترى شخص الحبارى كأنه
بها راكب موف على ظهر قردد

والقردد الناقة المحكمة الخلق.

وجاء في طردية للشمردل عن الحبارى قوله:

حوى ثمانين على حسابه
من خرب وخزز يعلى به
نعتية صيدهم يدعى به
واعدهم لمنزل بتنا به
تطهى به الخربان أو تشوى به

وقال أبو النجم العجلي:

إنا نزلنا خير منزلات
بين الحميرات المباركات
في لحم وحش وحباريات

القطا

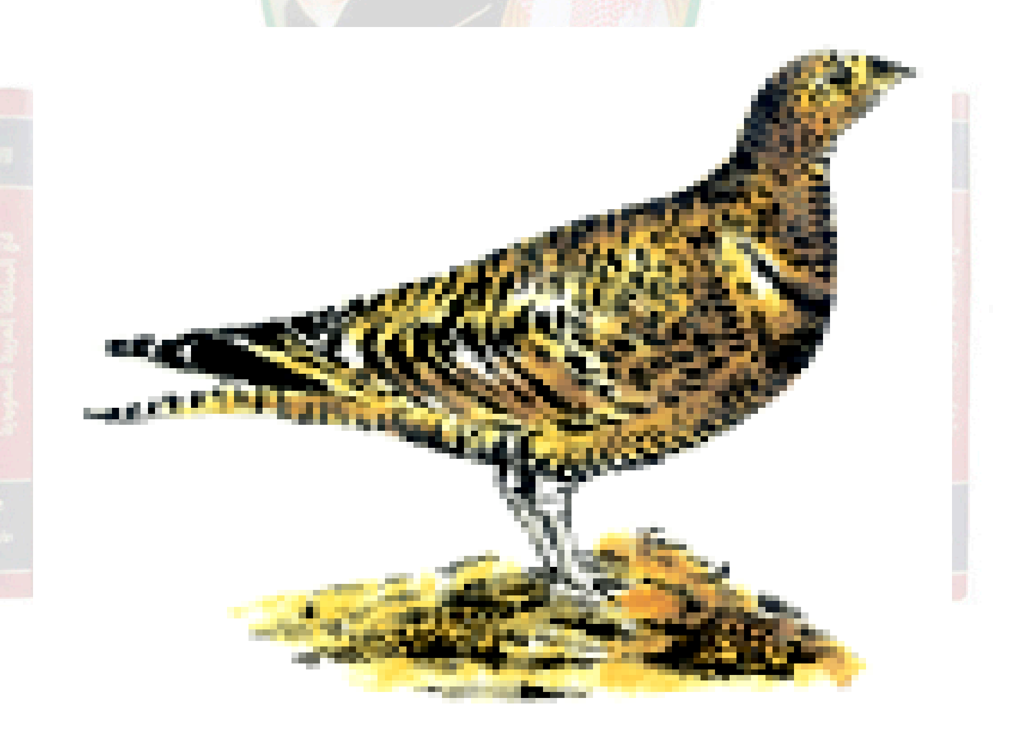
صفاته وسلالاته. القطا أحد أنواع الطرائد المشهورة في هواية الصيد. وهو نوعان جوني وكدري. والجوني، وهو الأسود اللون، يسمى الغطاط في المناطق الجبلية حيث يكثر. وهو من الطيور التي تستدل على الطرق لا تحيد عنها، لذلك يضرب بها المثل في اتباع النظام، فيقال: وضع له خط القطاة، أي أنه يتمسك بخط واحد لا يخرج عنه. ومما هو مشهور عند



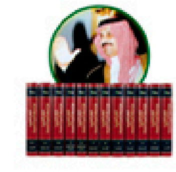
الصيادين أنهم يحبلون فخاخهم على حواف مورد المياه الذي يعرفون أن القطا يرده عادة.

ويصاد القطا بشرك وهو حبل طويل عليه حلقات ضيقة متجاورة وتوضع أثقال في أحد طرفيه، وتكون الحلقات بحيث تمسك بأرجل القطا إذا وقع فيها.

«ويبلغ طول طائر القطا حوالي ٢٥سم، والجسم متعدد الألوان ما بين البني والرملي، والأسود المنقط، والأبيض المرقش، والسيقان مغطاة بالريش، والذيل قصير، وقمة رأس الذكر الأمامية بيضاء، مقسمة بثلاثة خطوط سود. ويطلق القطا في فترات مبكرة ومتأخرة من النهار صوت (كوارك... كوارك). وبيئة القطا هي المناطق الرملية والمناطق الحصوية، ويلاحظ بصفة خاصة في الأماكن التي يتوافر فيها الماء. ويتغذى طائر القطا على الحبوب والحشرات الأرضية. وهو من الطيور المستوطنة في المملكة العربية السعودية. ويوجد في سلسلة جبال عسير والمناطق الشمالية الغربية. ويوجد في المملكة العربية السعودية عدة أنواع من القطا متقاربة في كثير من الصفات» (الوليعي ونادر ١٩٩٠: ٨٦).



القطا



ويقول المعلوف: إن قطا، والواحدة منه قطاة، طيور كالحمام، تقيم في الفيافي، شديدة الطيران، تطير مسافات شاسعة في طلب الرزق. والقطا أنواع (١٩٣٢: ٢٥١).

وذكر الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى، القطا، فقال: القطا طائر معروف، واحده قطاة، والجمع قطوات وقطيات. ويقال للقطاة أم ثلاث، لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات. قال الشاعر:

وأم ثلاث إن شببنَ عققنها
وإن متن كان الصبر منها على نصب

يقول إن شبت فراخها فارقتها فكان ذلك عقوقاً لها، وإن متن لم تصبر إلا وهي حزينة قلقة.

ويقال للقطا والحمام وأنواعها أمهات الجوازل، والجوازل فراخها الواحد جوزل، قال ذو الرمة:

سوى ما أصاب الذئب منه وسربه
أطافت به من أمهات الجوازل

وسميت القطا بحكاية صوتها، فإنها تقول ذلك، ولذلك تصفها العرب بالصدق. قال الكميت في وصفها:

لا تكذب القول إن قالت قطا صدقت
إذ كل ذي نسب لا بد ينتحل

والقطا نوعان: كدري وجوني، وزاد الجوهري نوعاً ثالثاً وهو الغطاط، فالكدري غبر اللون رقش البطون والظهور، صفر الحلوق قصار الأذناب، وهي ألطف من الجونية، والجونية سود بطون الأجنحة، والقوادم وظهرها أغبر أرقط تعلوه صفرة، وهي أكبر من الكدري، إذ تعدل جونية بكدريتين، وإنما سميت بالجونية لأنها سوداء اللون. ولا تضع القطاة بيضها إلا أفراداً.

وفي طبعها أنها إذا أرادت الماء ارتفعت من أفاحيصها أسراباً عند طلوع الفجر، فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل، فحينئذ تقع على الماء فتشرب نهلاً (والنهل: الشرب الأول)، ثم تعود إلى الماء ثانية. وتوصف القطا بالهداية، والعرب تضرب بها المثل في ذلك، لأنها تبيض في القفر وتسقى أولادها من البعد في الليل والنهار، فتجيء في الليلة المظلمة وفي حواصلها الماء، فإذا صارت حيال أولادها صاحت: قطا قطا فلم تخطئ بلا عَلَمٍ ولا إشارة ولا شجرة. وقال أبو زياد الكلابي: إن القطا قد تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة وفوقها ودونها، والجونية منها تخرج إلى الماء قبل الكدرية. قال عنترة:

وأنت التي كلفتني دلج السرى
وجون القطا بالجلهتين جثوم



وتحمل القطا الماء لشرب صغارها في ريش صدرها وبطنها حيث تغمره في الماء فيتشربه ويحتفظ به على هيئة نقاط صغيرة تشرب منه الصغار بعد عودة الأم إلى العش.

والعرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها، ومشيها يشبه مشي النساء الخفرات بمشيتهن. من ذلك قول هند بنت عتبة يوم أحد:

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
مشي القطا النوائق

وقول الكميت:

يمشين مشي قطا البطاح تأودا
قب البطون رواجع الأكفال
يمشين بين حجالهن كأنما
مشت الحجال دلجن بالأثقال
وإذا أردت زيادة فكأنما
يخلعن أرجلهن من أوحال

وورد في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني: إن القطا طائر معروف يتيمن بصوته يقال: فلان أصدق من القطا. تبيض في البراري وتغيب عنها أياماً وتعود إليها. يقال: فلان أهدى من القطا ولا ينام الليل، ويأتي الجادة ليكون عنده من المارين خير، ولها أفحوصة عجيبة في وسط الحشيش. مثل بها النبي ﷺ في وهنها قال «من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة».

يقول الدميري عن خواص القطا: إذا أحرقت عظام القطا وأخذ من رمادها وغُليَ بزيت حار، وطلي به رأس الأقرع وموضع الثعلب (الثعلبة) أنبت الشعر، وقال ابن زهر إنه جربه. ولحمها عسر الهضم رديء الغذاء. وإذا أخذ رأسها وصر في خرقة كتان جديدة، وعلق على فخذ امرأة وهي نائمة أخبرت بجميع ما في نفسها وبما فعلته، فإن خلطت في الكلام فارم به عنها لئلا تتوسوس. وإذا شق بطن قطاتين ذكر وأنثى وطبخ بطناهما وأخذ دسمهما وجعل في قارورة ودهن به إنسان وهو لا يعلم، أحب الداهن حباً شديداً. ورؤية القطا في المنام يدل على الصدق والفصاحة والألفة والأنس، وربما دلت القطاة على امرأة معجبة بنفسها وهي ذات جمال غير آلفة.

وعن خواص القطا قال القزويني «دمه يطلى به البدن، ينفع من داء الكلب. لحمه ينفع من الاستسقاء وسدة الكبد. عظمه يحرق ويخلط بالزيت ويطلى به الموضع الذي أريد نبات الشعر عليه فينبت شعراً كثيراً. أحشاؤه يطلى به العظم المنخلع يرجع إلى مكانه.



مرارته يكتحل بها تنفع من جراحات العين والغشاء».

وتجدر الإشارة إلى أن ما أورده الدميري عن خواص القطا يعد من الخرافات التي كان يتعاطاها بعض القدماء وهي لا أساس لها من الصحة، ولكن إيرادها واشباهها هو من قبيل الطرافة واستهجان ما كان يصدقه القدماء وخصوصاً في زمن الجاهلية أو في مراحل الانحطاط في بعض العصور التاريخية.

لا طار حب القلقلان ودورجت
فروخ القطا يلتم شمل القبايل

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر القطا كثيرا في الأدب العربي، شعره ونثره وأمثاله. من ذلك قول جرير يشبه سرعة الخيل، وعلى ظهورها فرسانها، بسرعة القطا عندما يرد الماء. يقول:

ومن يقتل الأبطال والخيل تنبري
بفرسانها ورد القطا غللا ضحلا

الغلل: الماء الذي يجري بين الأشجار. كما شبه جرير أيضا الخيل وهي مطأطئة رؤوسها في سيرها بقطا في فلاة مجهولة المعالم ذهبن يفتشن عن ماء ليسقين فراخهن. يقول:

ولقد ذكرتك والمطي خواضع
وكأنهن قطا فلاة مجهل
يسقين بالأدفى فراخ تنوفة
زغبا حواجبهن حمر الحوصل

وقال الفرزدق يشبه الخيل بالقطا في سرعتها:

صبحناهم الجرد الجياد كأنها
قطا أفزعته يوم طل أجادله

الأجادل: الصقور. وشبه الشاعر الأموي ذو الرمة مشى المرأة السمينة بالقطا. قال:

خدالا قذفن السور منهن والبرى
على ناعم البردي بل هن أخدل
قصار الخطا يمشين هونا كأنه
دبيب القطا بل هن في الوعث أوحل

ومثل هذا قول جميل بن معمر عندما شبه سرعة سير النساء بدبيب القطا الكدري:

إذا حميت شمس النهار اتقينها
بأكسية الديباج والخز ذي الخمل



تداعين واستعجلن مشيا بذي الغضا
دبيب القطا الكدري في الدمث السهل

وزاد ابن ميادة في الصورة عندما شبه النساء في مشيتهن بالقطاة التي انقطعت عن أخواتها في الجو لسرعتها، ووظيفة هذه القطاة هداية سرب القطا إلى الماء ليشربن. قال:

إذا الطوال سدون المشي في خطلٍ
قامت تريك قواما غير ذي أود
تمشي ككدريةٍ في الجو فاردة
تهدي سروب قطا يشربن بالثمد

السدو: اتساع الخطو، الأود: العوج، فاردة: منقطعة عن أخواتها وذلك لسرعتها، سروب: جمع سرب، الثمد: الماء القليل.

وتقول العرب في الأمثال «أصدق من القطا». وفي هذا قال الكميت:

لا تكذب القول إن قالت قطا صدقت
إذ كل ذي نسبةٍ لا بد ينتحل

و«أقصر من إبهام القطاة» قال ابن الطثرية:

ويوما كإبهام القطاة مزينا
لعيني ضحاه غالبا لي باطله

ولا بد أن يعرض الشعراء للقطا في حديثهم عن الناقة وهي تسرع مجتازة المفازة الواسعة التي يحار بها القطا، أو عند وصفهم الإبل وهي تشق الصحراء وقت الهاجرة، مؤكدين نشاط رواحلهم في هذا الوقت الذي يصعب فيه السير.

«وقد تحدث الشعراء عن القطا فوصفوا مراكبهم المنطلقة برسل القطا السريع، وذكروا إثارة رواحلهم السريعة في سراها لجماعات القطا الجاثمة في أفاحيصها، ويكنون بذلك عن إدلاجهم في الرحلة، ووصلهم ليلها بنهارها. وتحدثوا عن ورودها للمياه الآجنة التي يقصدها المسافرون أثناء الرحلة، وما تترك من الريش بعد استحمامها. وذكروا أصواتها وصخبها المرتفع عند ورودها الشريعة.» (أبو سويلم ١٩٨٣ : ٢١٢).

وقد أكثرت العرب من ضرب الأمثال بالقطا فقالت «فلان أنسب من قطاة»، وذلك أنها إذا صوتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها: قطا قطا. وقالوا «لو ترك القطا ليلاً لنام»، وسببه أن عمرو بن باحه نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها امرأته طائرة فنبهت زوجها فقال: إنما هذه القطا، فقالت «لو ترك القطا ليلاً لنام»، ويضرب هذا المثل لمن حمل على مكروه من غير إرادته (الباشا ١٩٨٣ : ٢٣١).

وشبه زهير فرسه بقطاة حان وردها، لكن أختها قد علقتها حبالة صائد، فكان ذلك أدعى لسرعتها بدافع الفزع، وهي



جونية ترتع في أرض مستوية تشبه حصاة قسمة الماء بين الظامئين، تنبت فيها البقول والحسك حيث قال:

كأنها من قطا الأجباب حان لها
وردٌ وأفردَ عنها أختَها الشَّبكُ
جونيةٌ كحصاة القسم مرتعها
بالسي ما تنبت القفعاء والحسك

الأجباب: مواضع فيها ركايا وأحدها جب، السيّ: ما استوى من الأرض. الحسك والقفعاء: نباتان. وقد نعت الشاعر حميد بن ثور قطاة وفراخها، فهي كدراء انصرفت كي تسقي فراخها، وهي في موضع بعكاظ اسمه شمظة، والماء موارده بعيدة، لكنها تناله متى شاءت لسرعتها فقال:

كما جَبَّبت كدراء تسقي فراخها
بشمظة رفهاً والمياهُ شعوبُ

أما الغَطاط فهو نوع من القطا غبر الظهور والبطون والأبدان، سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق، لطاف لا تجتمع أسراباً، أكثر ما تكون ثلاثاً واثنتين. الواحدة غطاطة، وبعضهم عده ضربا من الطير وليس من القطا. وحين بكر عبيد بن الأبرص للصيد، فقد انطلق بفرسه قبل يقظة الغطاط حيث يقول:

وقد أغتدي قبل الغطاط وصاحبي
أمين الشظا رخو اللبان سبوح

ويصاد القطا بالأشراك. فهذا مجنون بني عامر يشبه قلبه الخافق، حين يسمع بحديث عن ليلاه، بقطاة غرها الشرك وعلق الجناح، فباتت تجاذبه لكنها لم تظفر بالنجاة، لا في ليلتها ولا عند الصباح، فبقي فرخاها في عشهما وحدهما تضربهما الريح بشدة:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدى
بليلى العامرية أو يُرَاحُ
قطاةٌ غرَّها شركٌ فباتَتْ
تُجاذبُه وقد علَق الجناحُ
لها فرخان قد علقا بوكرٍ
فعشُّهما تُصفّقه الرياحُ
فلا بالليلِ نالتْ ما ترجّي
ولا بالصبح كان لها براح

ومثله عروة بن حزام، شبه كبده من شدة خفقانه بخفقان قطاة علقت بجناحها:

كأن قطاة عُلِّقت بجناحِها
على كبدي من شدة الخفقان

وفي مدح جرير للحجاج، شبه اضطراب قلوب الخائفين منه باضطراب القطا وقعت في الحبائل:

وخافوك حتى القوم تنزو قلوبهم
نزاء القطا التفت عليه الحبائل

والوسيلة الأخرى لصيد القطا فتكون بالجوارح، إذ الصراع بينهما دام. وهذا



ما وصفه زهير حيث رسم صورة لقطاة انقض عليها صقر وحشي لم يذلل، لونه أسود إلى الحمرة وريشه بعضه ليس بمنتشر:

أهوى لها أسفعُ الخدين مطرَّقٌ
ريش القوادم لم ينصب له الشبك

ويعرض لنا أبو البيداء الأعرابي صوراً أخرى لذلك الصراع القاسي، إذ أصاب جارح فظ قطاة كدرية فمزق حيزومها وأحشاءها، وبقيت أخريات السرب يحيط بهن الموت والحزن:

فأقعص منهن كدرية
فمزق حيزومها والحشا
فطار وغادر أشباهها
تطير الحتوف بها والضنا

أقعص: أصاب، الحتوف: المنايا.

ومن طرائف الألغاز التي أوردها ابن الأثير الموصلي صاحب المثل السائر، ما دار بين رجل من تميم وبين شريك النميري، إذ قال الأول: ما في الجوارح أحب إلي من البازي. فقال له شريك: إذا كان يصيد القطا. فالتميمي أراد قول جرير:

أنا البازي المطل على نمير
أتيح من السماء بها انصبابا

وقصد شريك بيت الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا
ولو سلكت طرق المكارم ضلت

ومما جاء عن القطا في الشعر قول حميد بن ثور الهلالي:

كما جبّبت كدراء تسقى فراخها
بشمظة رفهاً والمياه شعوب
غدت لم تُصعّد في السماء وتحتها
إذا نظرت أهوية وصبوب
قرينة سبع إن تواترن مرة
ضربن فصفت أرؤس وجنوب
ثمان على سكرين ما زدن عدة
غدون قرانى ما لهن جنيب
فجاءت وما جاء القطا ثم شمرت
لمسكنها والواردات تنوب
وتأوي إلى زغب مساكين دونها
فلا ما تخطاه العيون مهوب
وجاءت ومسقاها الذي وردت به
إلى النحر مشدود العصام كتيب
وصفن لها مزناً بأرض تنوفة
فما هي إلا نهلة فوثوب
على أحوذِيّين استقلت عشية
فما هي إلا لمحة وتغيب
ثمان بإستارين يهوين مقدما
صبيحة خمس ما لهن جنيب
تجوب الدجى كدرية دون فرخها
بمطلى أريك سبسب وسهوب

جببت: مضت مسرعة، ودراء: غبراء اللون، وهي من صفة القطا الكدري، شمظة (وتروى شمطة) موضع جرت فيه



وقعة للعرب من وقعات حرب الفجار، الرفه: أقصر الورد، الشعوب: البعيدة، الأهويَّة: الوهدة العميقة، الصبوب: المكان المنحدر، تواترت القطا: جاءت بعضها إثر بعض، ضربن: ذهبن يطلبن الرزق، السكر: ما سد به الماء والمسناة، يريد به الشاعر الصف المتراص من القطا، قراني: مقترنين، تنوب ترجع إلى الماء مرة أخرى، الزغب: أفراخ القطا، فلا: جمع فلاة، المفازة الا ماء فيها، ما تخطاه العيون: لا تدركه العيون، مهوب: يهابه الناس، مسقاها: حوصلتها، العصام: حبل تشد به القربة، كبيب: محزوز، أحوذيين، تثنية أحوذي: السريع، يريد بهما جناحي القطاة، الإستار: الأربعة، الخِمس: من أظماء الإبل، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع، المطلى والمطلاء (بالقصر والمد): مسيل ضيق من الأرض، أريك: اسم جبل، سبسب: مفازة، سهوب (جمع سُهب): المستوى البعيد من الأرض. وقال مجنون ليلى:

شكوت إلى سرب القطا إذ مررن بي
فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من معير جناحه
لعلي إلى من قد هويت أطير
فجاوبنني من فوق غصن أراكة
ألا كلنا يامستعير معير
وأي قطاة لم تعرك جناحها
فعاشت بضر والجناح كسير

وقال المرّار، وقيل: العكبّ التغلبي، قال الجاحظ: وهي أجود قصيدة قيلت في القطا:

بلاد مروراة يحار بها القطا
ترى الفرخ في حافاتها يتحرق
يظل بها فرخ القطاة كأنه
يتيم جفا عنه مواليه مطرق
بديمومة قد مات فيها وعينه
على موته تُغضي مراراً وترمق
شبيه بلا شيء هنالك شخصه
يواريه قيض حوله متفلق
له محجر ناب وعين مريضة
وشدق بمثل الزعفران مخلق
تعاجيه كحلاء المدامع حرة
لها ذنب وحف وجيد مطوق
سماكية كدرية عرعرية
سكاكية غبراء سمراء عسلق
إذا غادرته تبتغي ما يعيشه
كفاها رزاياها النجاء الهبنق
غدت تستقي من منهل ليس دونه
مسيرة شهر للقطا متعلق
لأزغب مطروح بجوز تنوفة
تلظى سموماً قيظه فهو أورق
تراه إذا أمسى وقد كاد جلده
من الحر عن أوصاله يتمزق



غدت فاستقلت ثم ولت مغيرة
بها حين يزهاها الجناحان أولق
تيمم ضحضاحا من الماء قد بدت
دعاميصه فالماء أطحل أورق
فلما أتته مقذحرا تغوثت
تغوث مخنوق فيطفو ويغرق
تحير وتلقي في سقاء كأنه
من الحنظل العاميّ جرو مفلق
فلما ارتوت من مائه لم يكن لها
أناة وقد كادت من الريّ تبصق
طمت طموة صعداً ومدت جرانها
وطارت كما طار السحاب المحلق

المرورات: المفازة لا شيء فيها، والديمومة: الفلاة الواسعة، يقول: تخاله ميتا لضعفه لولا أن عينه كانت تغمض وترمق، والقيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة، وقيل: هي التي خرج الفرخ منها، تعاجيه: تعلله، وأصل المعاجاة أن لا يكون للأم لبن يكفي طفلها فتعاجيه بشيء يتعلل به ساعة، والذنب الوحف: الكثير الريش، وسماكية: علوية، والعرعرية: نسبة إلى العُرعُرة وهو أعلى الجبل، والسكاكية: نسبة إلى السكاك وهو الجو والهواء بين السماء والأرض، والعسلق: الخفيف، والرزايا: الضعفاء، والنجاء الهبنق: السرعة الحمقاء.

وقد ورد في كثير من الأشعار العربية وصف دقيق لحياة القطا، الذي قد ألف ظروف المعيشة في الصحراء وندرة المياه فيها، لذا فهو يطير لمسافات طويلة لجلب الماء لأفراخه، إضافة إلى معرفته التامة بالأماكن المختلفة في هذه الصحارى الشاسعة. قال ذو الرمة:

وردته قبل القطا الارسال
وقيل ورد الأطلس العسال

والأطلس العسال: الذئب. وقوله أيضاً:

يخشى بها الجونى بالقيظ الردى
إذا شناحى قورها توقدا

شناحى: جوانب، والقور جمع قارة، وكذلك قوله:

وخاض القطا في مكرع الحي باللوى
نطافاً بقاياهن مطروقة صعر

النطاف: الماء القليل. وقوله وهو يصف الصحراء:

يموت قطا الفلاة بها أواما
ويهلك في جوانبها النسيم

وقالت الخنساء:

لزغب كأولاد القطا راث خلقها
على عاجزات النهض حمر حواصله

وقال جرير:

على العيش تعرورى الفلاة كأنها
قطا الأدمى الجون نشت ثمائله



وقال أيضاً:

نقيم لها النهار إذا دجنا
ونسري والقطا فرد هجود

وقال عمرو بن عقيل الهجيمي التميمي، وقيل العليل بن الحجاج الهجيمي:

أما القطاة فإني سوف أنعتها
نعتاً يوافق منها بعض ما فيها
سكاء مخطوطة في ريشها طرف
صهب قوادمها كدر خوافيها
منقارها كنواة القسب قلمها
بمبرد حاذق الكفين يبريها
تشتق في حيث لم تنفذ مُصَعّدةً
ولم تصوب إلى أدنى مهاويها
تمشي كمشى فتاة الحي مسرعة
حذار قوم إلى ستر يواريها
تسقى دريين بالمومات قوتهما
في ثغرة النحر من أعلى تراقيها
كأن هيدبه من فوق جؤجئها
أو جر حنظلة لم يعد راميها
مدا إليها بأفواه مزينة
صعداً ليستنزلا الأرزاق من فيها
كأنها حين مداها لجنأتها
طلى بواطنها بالورس طاليها

المخطوطة: التي على لون الحنظلة إذا اصفرت وصارت فيها خطوط خضر، الطرف: من الريش أن يكون بعضه فوق بعض، الصهبة: لون يضرب للحمرة والشقرة، القسب: نوع من التمر صلب النوى، الهيدب: خمل الثوب. وقال حميد بن ثور الهلالي يصف مطيته:

كما انصلتت كدراء تسقي فراخها
بشمظة رفها والمياه شعوب
غدت لم تباعد في السماء ودونها
إذا ما علت أهوية وصبوب

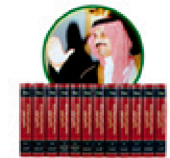
انصلتت: أسرعت، شمظة: مكان، الشعوب: البعيدة، أهوية: الهاوية.

وقال العباس بن يزيد بن الأسود:

حذاء مدبرة سكاء مقبلة
للماء في النحر منها نوطة عجب
تسقي أزيغب ترديه مجاجتها
وذاك من ظمأة من ظمئها شرب
فهرت الشدق لم تنبت قوادمه
في حاجب العين من تسبيده زغب
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له
قدام منحرها ريش ولا زغب

الحَذّاء: قصيرة الذنب، النوطة: الحوصلة، المجاجة: الريق، الظمء: ما بين الشربين، التسبيد: أول ظهور الريش. وقال مزاحم العقيلي:

أذلك أم كدرية هاج وردها
من القيظ يوم واقد وسموم
غدت كنواة القسب لا مضمحلة
ونَاة ولا عجلى الفتور سئوم



تـواشك رجـع الكـنكـبين وتـرتمي
إلـى كـلـكـل لـلـهـاديـات قـدوم
لتـسقـي زغبـا بالـتنـوفة لـم يكـن
خـلاف مـولاهـا لـهـن حـمـيـم
تـرائك بـالأرض الـفلاة ومـن يدع
بمـنـزلـهـا الأولاد فـهـو مـلـيـم

القسب: نوع من التمر نواه صلب، الوناة: البطيئة، الهادية: المتقدمة، التنوفة: المظماة. وقال العجير السلولي:

تجوب الدجـى ركاء من دون فرخـها
بمـطـلى أريـك نـفـنـف وسهـوب
فـجاءت وقـرن الشـمس بـاد كـأنه
هـجان بـصحـراء الخـبيب شـبوب
لـتسـقى أفـراخاً لـها قـد تـبلـلت
حـلاقـيـم أسـمـاط لـهـا وقـلـوب
قصـار الخطى زغب الـرؤوس كأنها
كـرات تـلـظـى مـرة وتـلـوب

المطلى: مسيل ضيق من الأرض، أريك: واد ببلاد مرة، النفنف: المفازة وهي المظمأة، السهوب: الفلوات، هجان: بيض، الخبيب: جبل لاطئ بالأرض، شبوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو، حلاقيم: أسماط، تلوب: تعطش. وقال المنخل اليشكري:

فـدفعـتـهـا فـتـدافـعـت
مـشـي الـقـطـاة إلـى الـغـديـر

وللقطا ذكر مستفيض في الشعر النبطي. يقول راشد الخلاوي:

لا طـار حب الـقلـقلان ودورجـت
فروخ الـقطـا يلـتم شمـل القـبايل

القلقلان: شجيرات من نبت الربيع وتعمر هذه الشجيرات إلى آخر فصل الربيع (الصيف) وعندما يتساقط حبه يكون الصيف على الأبواب فيجتمع العرب الرحل حول موارد المياه لإرواء مواشيهم.

وقال شاعر آخر يصف سرعة الركائب:

غدى لـهن من عـقب الادلاج صرّه
صـرة قطـاةٍ حرّكـوا بيـضهـا حَرْك

غدى: صار، صرة: الصرة الأصوات المختلطة، حرْك: تحريك.

وقال خلف أبو زويد الشمري:

لا هي ممـر لا ريح لا شـين لا غيم
لا هـي قطـاةٍ حـاديـه واهج الـلال

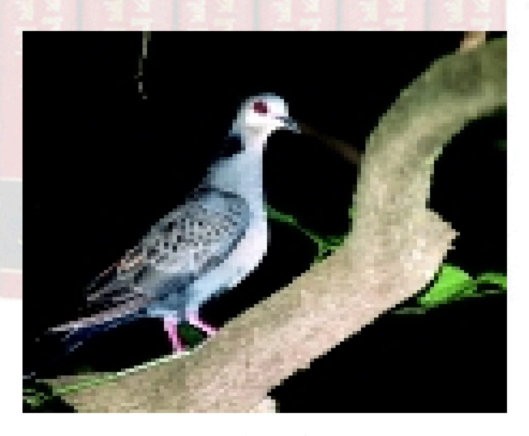
يصف سرعة المطية بسرعة الريح ولون القمر والغيم، واهج اللال: شدة الحر.

الحمام

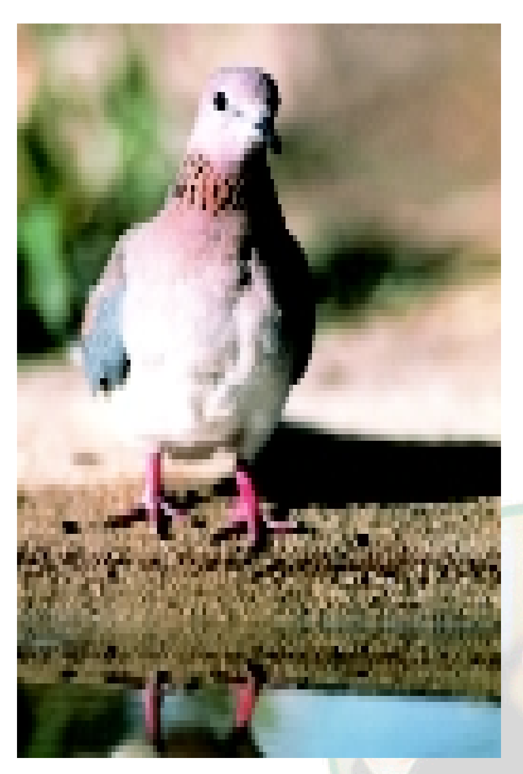
صفاته. الحمام هذا الطائر الأليف الجميل الذي لا يكاد يبتعد عن الإنسان في موطنه، وإن كان منه البري، لكنه لا يبتعد عن الريف والمزارع. أما البلدي منه فهو يعيش مع الإنسان في منزله



ويأنس لوجوده. وقد أدى حمام الزاجل دوراً مهماً في الأزمنة القديمة في نقل الرسائل، كما أن له أهمية غذائية للإنسان على مر العصور. والحمام أنواع منه الأهلي، وأصله من الحمام الطوراني أو الطرآني الذي يسمى في مصر الحمام الأزرق، وهو أصل الحمام الأهلي. وكثير من الحمام يألف المساجد. أما اليمام، فواحده يمامة، ويقال له الحمام البري في مصر. كذا جاء وصف اليمام في كتب اللغة وقيل أن حمام مكة كله يمام، ومن المظنون أن حمام مكة هو من الحمام الطوراني الذي في مدن العراق. والورشان، الواحدة ورشانة والجمع ورشان ووراشين. والحيذوان الواحدة حيذوانة. والدَلم الواحدة دلمة. والورشان من الطيور القواطع وبعضه أبد في العراق والشام، أما مصر فلا يأتيها.



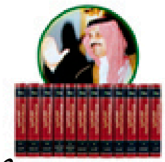
من أنواع الحمام

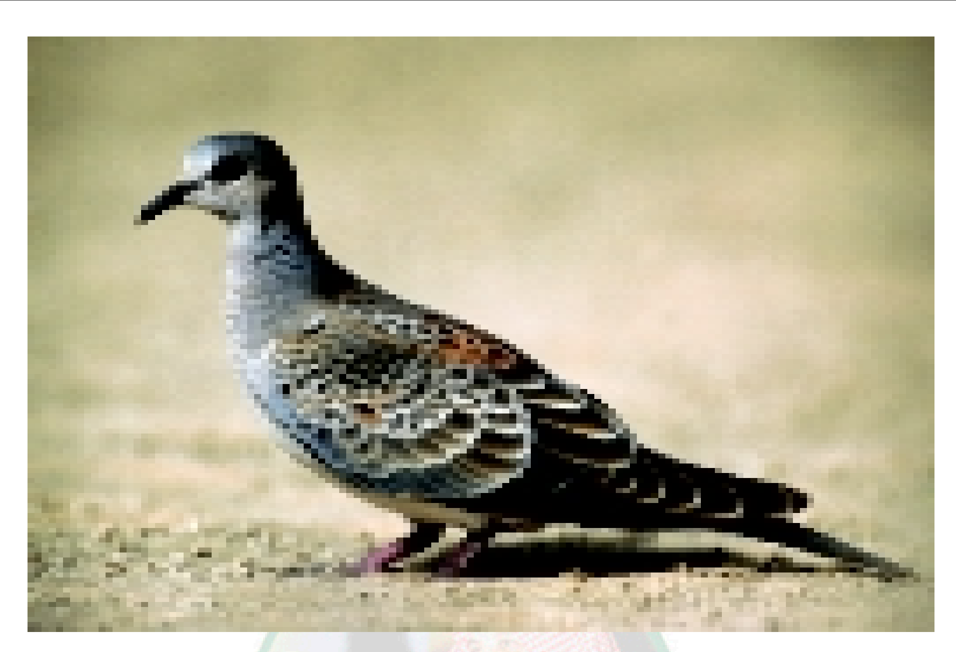


قمري (حميرية)

ومن أسماء الحمام عند العرب: اليمام والفواخت والقماري والقطا والوراشين وحمام الأمصار. وهي كذلك عند علماء الحيوان، خلا القطا فهو عندهم من فصيلة أخرى. واللغويون مختلفون، على عادتهم، في الحمام واليمام (المعلوف ١٩٣٢: ٧٢-٧٣).

قالوا: حمامة، يمامة، قمرية، صُلصُلة، أُطْرُغلّة، دُبسية، حُمْحم وحمْحم وحمحمة وحُمَّحة ويحموم. والحمامة تشبه الدبسي، إلا أنه أصغر





من أنواع القمري

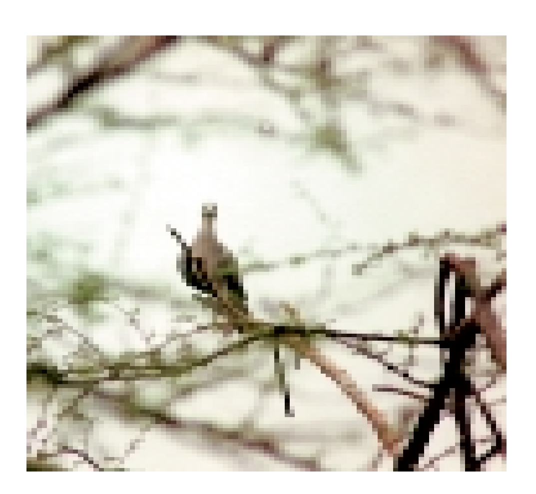
منها، أسود البطن إلى طرف الذنابى، أسود الرأس والعنق والصدر، أصفر المنقار والرجلين، رجلاه إلى القصر. يقال له في السودان أم بليمه. موطنه في أواسط أفريقية وجزيرة العرب. والحمامة المطوقة تطلق على الفاختة، وفي العراق يقولون لها فختية، وفي حلب ست الروم. وهي الحمامة المطوقة التي تحبس في الأقفاص، ويسمونها في الشام ياكريم وموطنها الهند والعراق والأناضول (المعلوف ١٩٣٢: ٨٦).

«ويبلغ طول الحمامة المطوقة ٣٢سم، ولونها بشكل عام باهت إلى رمادي. وتميل بدايات الأجنحة إلى اللون الرمادي الداكن، وأطراف الأجنحة سود، والبطن أبيض، والأرجل ذات لون أحمر، وعلى الرقبة من ناحية الظهر خط أسود يشكل نصف طوق على العنق. ويطلق هذا الطائر صوت (كو... كوو... كود). وبيئته المدن والقرى والحقول الزراعية والمناطق شبه الصحراوية. ويوجد هذا الحمام في أنحاء متعددة من المملكة العربية السعودية وخصوصاً بالقرب من المناطق المائية. كما توجد في المملكة أنواع أخرى من الحمام أو القماري، وهي متشابهة في كثير من الصفات» (الوليعي ونادر ١٩٩٠: ٨٨).



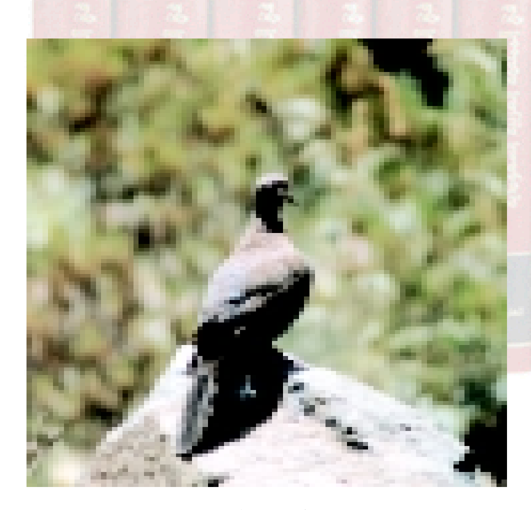


الحمام المطوق

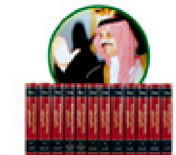


الحمام المطوق

جاء عنه في كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى ما يلي: يقع لفظ الحمام على الذي يألف البيوت ويفرّخ بها، وعلى اليمام والقمري وساق حر وهو ذكر القمري، والفواخت والدبس والقطا والوراشين واليعاقيب والشفتين والزاغ والورداني والطوراني. والحمام الذي يألف البيوت قسمان: أحدهما البري، وهو الذي يلازم البروج وما أشبه ذلك، وهو كثير النفور وسمي برياً لذلك. والثاني الأهلي وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة، منها الرواعب، والمراعيش، والعداد، والسداد، والمغرب، والقلاب، والمنسوب. وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتابه الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البري، الواحدة يمامة، وهو ضروب. والفرق بين الحمام واليمام، أن أسفل ذنب الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه. ونقل النووي في التحرير عن الأصمعي أن كل ذات طوق فهي حمام، والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها. ونقل الأزهري عن الشافعي



من أنواع اليمام



أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه. والعب (بالعين المهملة) شدة جرع الماء من غير تنفس. قال ابن سيده: يقال للطائر عب ولا يقال شرب. والهدير: ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له.

ومن طبع الحمام أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ. ويحمل الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله، وقدرة حفظه، ونزعه إلى وطنه، حتى يجد فرصة فيطير إليه. وسباع الطير تطلبه أشد الطلب، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره، وهو أطير منه ومن سائر الطير، لكنه يذعر منه ويعتريه ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد، والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذا رأى الهر. ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال: لم أر شيئاً قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته في الحمام. رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها، وذكراً لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد. ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها، وما رأيت حمامة لها زوج وهي تمكن آخر ما تعدوه. ورأيت حمامة تقمط حمامة، ويقال إنها تبيض من ذلك، ولكن لا يكون لذلك البيض فرخ. ورأيت ذكراً يقمط ذكراً، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي ولا يزاوج، وأنثى يقمطها كل ما رآها من الذكور ولا تزاوج.

وليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان والحمام، وهو عفيف في السفاد يجر ذنبه ليخفي أثر الأنثى، كأنه قد علم ما فعلت فيجتهد في إخفائه، وقد يسفد لتمام ستة أشهر. والأنثى تحمل أربعة عشر يوماً، وتبيض بيضتين، إحداهما ذكر والثانية أنثى، وبين الأولى والثانية يوم وليلة. والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءاً من النهار، والأنثى بقية النهار، وكذلك في الليل. وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر، واضطرها للدخول. وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر. وقد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً ويطعمها إياه يسهل به سبيل المطعم، فسبحان اللطيف الخبير الذي آتى كل نفس هواها. وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثماني سنين.

ويقول القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات عن الحمام



ما يلي: هو الطير المشهور الهادي إلى أوطانه من المسافة البعيدة، وهو أشد الطيور ذكاء. فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء، ويكون صعوده مدوراً كما أخذ المنارة فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئاً من علامات بلده، فعند ذلك يهبط إليه في أدنى زمان. وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلاً بينه وبين الأرض فيقع في بلاد شاسعة أو يصيده شيء من الجوارح، وترى عجباً بين الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجري بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرهما. ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه، وحمامة رأيتها لا تسجد إلا مع شدة الطلب. ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه وأنثيين يتساحقان كسحاق النساء، يبيضان أربع بيضات ولا يفقسان. ومن العجب أن الحمام الذكر يحس بما أودع رحم الأنثى، فعند ذلك يهتم بعمل الأفحوصة (العشش) فيتخذانها على قدر بدنهما، فإذا شخصا لتلك الأفحوصة جَوفاها حتى يظهر فيها مقعد تبقى البيضة فيه مصونة. فإذا وضعته يتناوبان عليه الحضن بعدما سخنا موضعهما وأحدثا له رائحة أخرى مستحدثة من طبيعة أبدانهما، ويقلبان البيض في أيام الحضن وساعاتها وأكثرها على الأنثى، كالمرأة تتكفل بالحضانة،

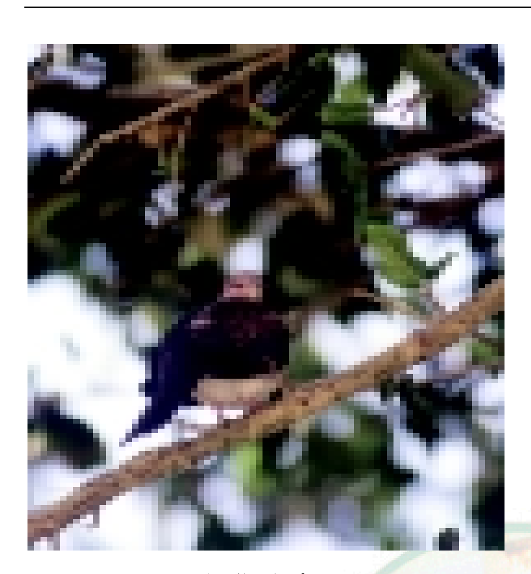


فرخ الحمام



فإذا صارت فرخاً فأكثر الزق على الذكر كالرجل الذي يتكفل بالنفقة. وإذا خرج الفرخ نفخا في حلقه حتى يتسع ممر الغذاء، لعلمهما بأن آلات ممر غذاء الفرخ لا تحتمل الطعام، فيزقانه أولاً باللعاب المختلط بالطعام مكان اللبن، ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان سوارح الحيطان. قالوا: من أراد لوناً من الحمام كأسود الرأس أو الذنب أو مثل ذلك فليتخذ حماماً من الخرق على ذلك اللون ويتركها عند مسقى الحمام، فإذا كانت حمامة وقعت عينها عليه حالة التزاوج يأتي فراخها على ذلك اللون. وحمام البر إذا مرض يأكل الجراد يزول مرضه، والمتروك الذي يقال له اليمامة يأكل أطراف القصية يزول مرضه. ومن ذكاء الحمام أن جوازلها إذا رأت النسر لا تخاف، وإذا رأت العقاب خافت، وكذلك تفرق بين الغراب والصقر، وإذا رأت الشاهين رأت السم الناقع، كما أن الشاة لا تفزع من الفيل والجاموس وتفزع من الذئب.

ويقول الدميري عن خواص الحمام: إذا سكن المخدور بقربها أو في بيت بجوارها أو في بيت هي فيه برئ. وفي مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات، وهذه خاصية عظيمة



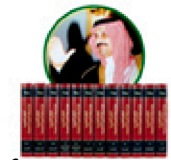
من أنواع اليمام

بديعة. ودمها إذا اكتحل به حاراً نفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة. ودمها خاصة يقطع الرعاف الذي من حجب الدماغ، وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار. وزبل الحمام حار، وأشده حرارة زبل البري الذي لا يأوي البيوت، وأعجب ما في زبله أنه إذا سخن في الماء وجلس فيه من عسر البول أبرأه. وإذا طُلي بالخل وضُمِّد به من به وجع الاستسقاء نفعه نفعاً بيِّناً، وإذا بخر به من فيها طلق الولادة أسرع بنزول الولد والمشيمة. ولحم الحمام جيد للكلى، ويزيد في المني والدم، وإذا شقت الحمامة وهي حية، ووضعت وهي حارة في موضع لسع العقرب نفعت نفعاً بيِّناً.



ويقول القزويني عن خواص أجزاء الحمام ما يلي: عينه من أكلها يصيبه الغشى، ومرارة الحمامة البيضاء تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتحالا. ودمه يطلى به الكلف يقلعه، ودم الجوازل يطلى به الجراحة يبرئها سريعاً، ويطلى به الموضع الذي أصابه صدمة أو ضربة تصلحه ويزيل الزرقة من آثار الضربة والصدمة، وينفع من الغشاء اكتحالاً. ولحمه من داوم على أكله يدفع عنه البلادة ويورث الذكاء، وعظمه يحرق ويذر على الجراحة يلتئم شقها ويصلح بإذن الله. وذرقه تحمله المرأة التي أضر بها الطلق يسهل ولادتها. وذرق الحمام الأحمر يفتح أثر البول ويفتت الحصاة والدمل، ويطرح ذرق الحمام في أدوية الحقنة يفتح القولنج.

وتعبير رؤية الحمام في المنام إنه رسول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد. وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلاً، والحمام على رأس المريض هو حمام الموت. وبروجها مجمع النساء وفراخها بنون، فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهن إليه فإنه يقود، وإن حشر الحمام والغربان في مكان واحد فإنه يقود أيضاً، لأن الغربان فساق، وكل شيء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشباه ذلك فإنه قيادة. وهدير الحمام كلام باطل، ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها. ومن رأى حمامة قدمت عليه وتلقاها فإنه يرد عليه كتاب. ومن نفرت منه حمامة من حماماته ولم تعد فإنه يطلق زوجته أو تموت. ومن رأى كأنه له حماماً فإنه ممن يشترى الجواري. ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته أو تلد أو تحمل، لأن النفاس والحمل يمنعان من الخروج. والحمام الذي يهدي إلى الطريق فإنه خبر يأتي الرائي من مكان بعيد. والحمام في المنام دليل خير لمن يصادق، أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض في الطيران والمزاوجة. وقال جاما سب: من اصطاد الحمام في منامه أكل مال أعدائه. ومن رأى بعين حمامته نقصاً فهو نقص في دين زوجته وخلقها. وقال ابن المقري: رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب، ورؤيته دالة على الإفراج والنصر على الأعداء واللهو واللعب، وربما دل الحمام على الأزواج الصينات وذوات الحفظ للأسرار والكد على العيال، وربما دل على الحمام الذي هو الموت، وربما دل على المرأة ذات الأولاد، والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته والله أعلم.



ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر الحمام كثيراً في الشعر العربي. وكان ذكره كثيراً مقترناً بحديث البكاء والنواح، فالحمامة تثير في بكائها ونواحها شجون المحبين وتهيج فيهم لوعة البعد والفراق. من ذلك قول جرير:

بكرت حمامة أيكةٍ محزونة
تدعو الهديل فهيجت أحزاني

وقال الفرزدق:

بكى أن تغنت فوق ساق حمامة
شآمية هاجت له فتذكرا

وقول ذو الرمة:

ولو لم يشقني الرائحون لشاقني
حمام تغني في الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كل ذي هوى
نوائح ما تجرى لهن دموع

وقول المجنون (قيس بن الملوح):

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم أزل
جليدا وأبديت الذي لم أكن أُبدي

وقول نصيب:

لعلك باك أن تغنت حمامة
يميد بها غصن من الريح مائل
من الورق يدعوها إلى شجوها الضحى
فتبكي ويبكي حين تدنو الأصائل

وقول جرير أيضاً:

كأن رسوم الدار ريش حمامة
محاها البلى فاستعجمت أن تكلما

وقول ذي الرمة أيضاً:

كأن الحمام الورق في الدار جثمت
على خرق بين الأثافي جوازله

والجوازل: الفراخ. وقال عوف بن محلم الخزاعي:

وأرقني بالري نوح حمامة
فنحت وذو اللب الحزين ينوح
على أنها ناحت فلم تر عبرة
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون أفراخي مهامه فيح
ألا ياحمام الأيك فرخك حاضر
وغصنك مياد ففيم تنوح

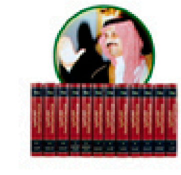
وقول بشار بن برد:

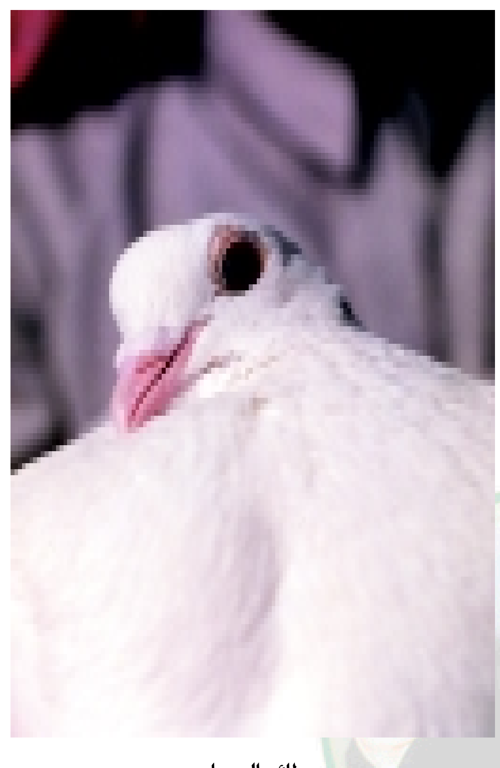
طرب الحمام فهاج لي طرباً
وبما يكون تذكري نصبا
لولا الحمام وطيف جاريةٍ
ما شفني حب ولا كربا

وقال المتنبي مشيراً إلى طوق الحمامة:

أقامت في الرقاب له أياد
هي الأطواق والناس الحمام

كما ورد ذكر الحمام كثيراً في الأمثال العربية من ذلك قولهم «آمن من حمام مكة». وقالوا «تقلدها طوق الحمامة» كناية





طائر الحمام

عن الخصلة القبيحة؛ أي تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزايلها ولا يفارقها، كما لا يفارق الطوق الحمامة. وقالوا «أخرق من حمامة»، لأنها لا تحكم عشها، وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة، فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح، فيتكسر من بيضها أكثر مما يسلم. قال عبيد بن الأبرص:

عيبوا بأمرهم كما
عيبت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من
بشم وآخر من ثمامة

وفي الشعر النبطي أسهب الشعراء في ذكر الحمام كأن يشبهوا سرعة الركائب بسرعة الحمام، قال شاعر:

والا حمامٍ صوعدن راس برجِ
عقب المقيل وروّجن بانزعاجِ
ياطير وصل نابى الارداف هرجي
داف الحشا قاني سواد الحجاج

بانزعاج: بانقضاض سريع، الهرج: الكلام، قاني: شديد السواد.

وشبهوا المرأة بالحمامة في مشيتها. قال عبدالله بن حمود بن سبيل:

إلى مشى كنه غرير تهدّيه
والا معلمه الحمام درجانه

كما وصف الشعراء معاناتهم وأنينهم بهديل الحمام من حزن أو طرب في قصائد نفوق الحصر مثل قول محسن بن عثمان الهزاني:

أيام ذكّرني وأنا كنت تايب
حمام يلعي فوق روس الاشاذيب

يلعي: يهدل بما يشبه النواح، الاشاذيب: رؤوس الجدران أو الجبال.

وقال الهزاني أيضاً:

ناح الحمام وقلت لا حول مكنون
صبرٍ واهل الدمع ساعة له اوحيت

لا حولٍ: أو يا حول: كلمة تأسى وترحم وإشفاق. وقال حمد بن عبدالله القاضي:



ناح الحمام وفجّع القلب بغناه

طربٍ وانا جفني عن النوم ذاير

وقال محمد بن حمد بن لعبون:

وغنى راعبيات الحماما

على ذيك المشاريف النوازي

راعبيات الحمام: نوع من الحمام قوي الصوت في هديله، المشاريف: المرتفعات، النوازي: النوائف. وقال سليم بن عبد الحي الأحسائي:

نح يالقميري بظل الدوح

وانحب على روس الاشراف

القميري: نوع من الحمام. وقال عبدالله بن إبراهيم الجاير:

يالورق غرّد وجر الصوت

يابا العجل والتلاحيق

قال محمد بن عبدالله القاضي:

ناح الحمام وبيّح القلب مكتوم

ما حن في خافى الحشا المستهام

ما ادري طرب يالورق أو صرت محروم

أو بك على فرقى وليفك هيام

يالورق ما يخفى على الله معلوم

لو هو خفي عن جميع الانام

يالورق لو صابتك الايام بسهوم

مثلى ولا انت بمغرم في غرامي

حق تنوح وترفع الصوت وتهوم

وتبدي شكايا مبهمات الفهام

وقال آخر:

ياذا الحمام اللي سجع بلحون

وش بك على عيني تبكّيها

ذكّرتني عصرٍ مضى وفنون

قبلك دروب الغي ناسيها

وقال آخر:

ناح الحمام بعاليات المقاصير

واهل الهوى طربين ما يسمعونه

ذكرتني يالورق لا ذكّرك خير

غروٍ كما لدن المطارق قرونه

المقاصير: جمع مقصورة وهي الأبراج العالية، غرو: المرأة الغضة الجميلة المغرية، المطارق: جمع مطرق وهو القضيب اللدن، قرونه: جدائلها المضفورة. وقال عبدالله بن إبراهيم الجابر:

غنى القميرى على مرصوف

غاطٍ على الشمس مكتنه

وقال آخر:

ياحمامٍ على الغابه ينوحِ

ساجع بالطرب لى وا هنيه

قلت حيه ولا كنه بيوحي

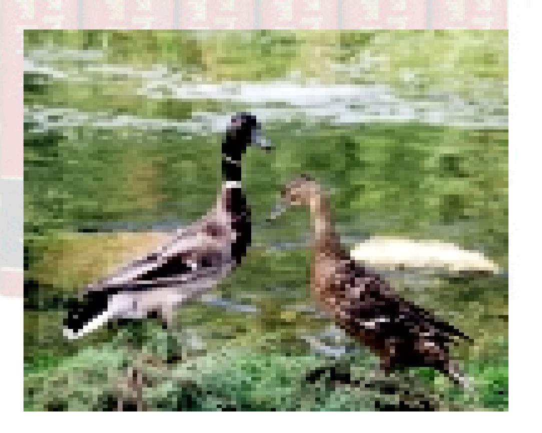
مر عجلٍ ولا سلّم عليه



صيد الطيور المتوسطة والصغيرة والجراد

البط

من الطيور الكبيرة الخواضة، أرجلها قصيرة ثقيلة ولكنها متناسبة مع الجسم، والرقبة طويلة معقوفة. وهي من الطيور المائية التي تعيش بقرب الأنهار والبحيرات. ومنها أنواع داجنة معروفة منذ القدم. وهناك أنواع من البط تأتي إلى المملكة العربية السعودية خلال رحلة هجرتها في فصل الشتاء متجهة إلى المناطق الدافئة. والبط أنواع ذُكر منها في كتاب مرشد الصياد الخضيري (البركة) والبلبول والحذف والشهرمان والصواي (الوليعي ونادر ١٩٩٠: ٧٢-٨٢).

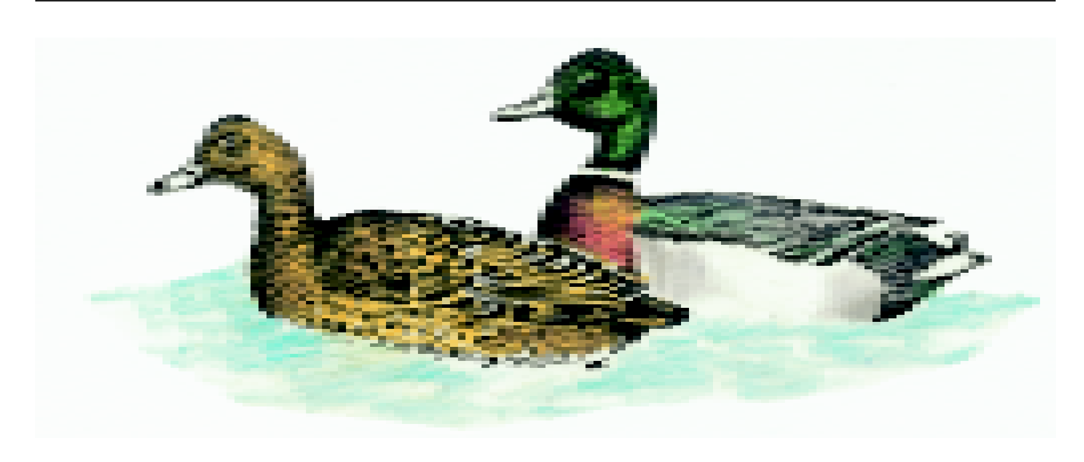


نوعان من البط

والخضيري (البركة ويقال بُركة بضم الباء، والجمع بُرك وبركان وأبراك) بطة برية تسمى في مصر بط خُضارى وفي الشام شريف خضري. وهو طائر كبير الحجم، يبلغ طوله ٥٨سم ويختلف لون الذكر عن الأنثى. يتميز الذكر بلون أخضر لامع على الرأس والرقبة والحلق، ولون الظهر بني داكن، أما الجناحان والبطن فلونهما رمادي شاحب، والأقدام بنية. والأنثى أصغر حجماً من الذكر، وهي ذات لون بني مبرقش ينتشر على جميع جسمها، وأقدامها برتقالية اللون.

وبيئة هذا الطائر هي البحيرات والسواحل والمستنقعات، ويتغذى على



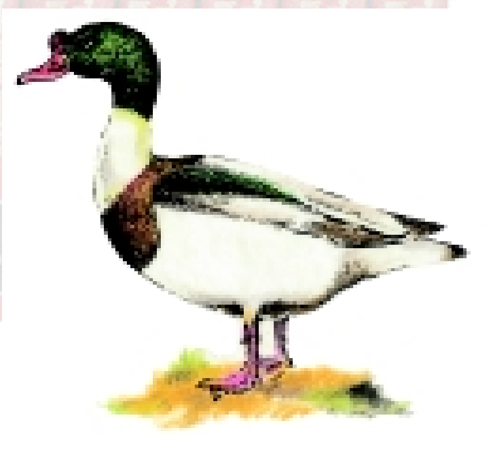


البركة أو الخضيري

النباتات والبذور المختلفة وصغار الأسماك. وهو طائر مستوطن يعيش على الأرض بين الأعشاب الطويلة. ومناطق وجوده في المملكة هي مستنقعات المنطقة الوسطى والجنوبية الغربية.

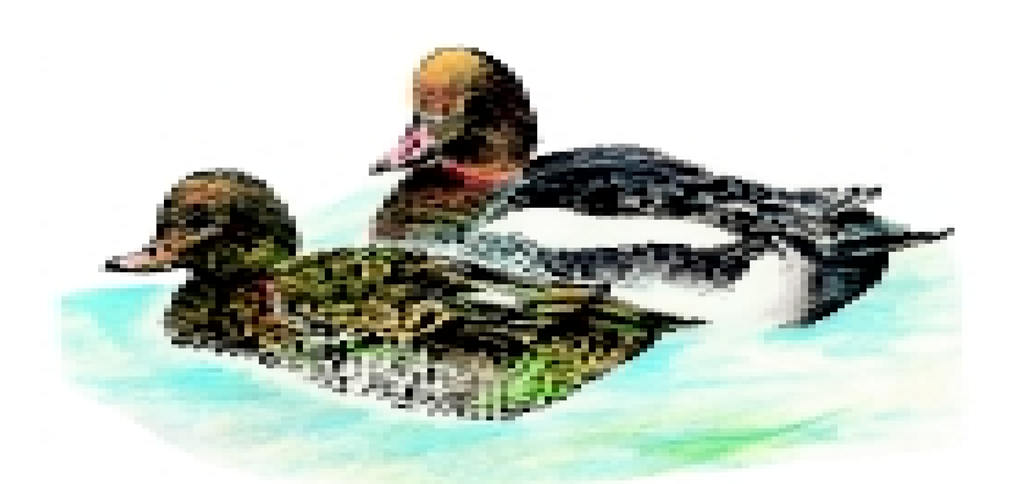
والشهرمان نوع من البط يبلغ طوله ٦١سم. ولون الرأس والرقبة أخضر داكن، يحيط بمقدم الظهر والصدر طوق بني باهت، والكتف أسود، والمنقار ذو لون أحمر، ولون الظهر والبطن أبيض. بيئته البحيرات المائية والمستنقعات والسواحل الرملية. وهو طائر مهاجر وزائر في فصل الشتاء ويوجد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء في مستنقعات المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية الغربية.

وأصغر منه الصواي الذي يبلغ طوله ٤٦سم. ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل، فللذكر منقار قصير، ورأس بني، وباقي جسمه رمادي، وعلى الأجنحة خط أبيض. أما الأنثى فهي أصغر حجماً، قصيرة المنقار مذببة الذيل، بيضاء البطن، ولون الظهر والأجنحة فيها بني مشوب بخضرة. وطائر الصواي طائر مهاجر، يوجد في المملكة خاصة في فصل الشتاء على السواحل، وفي



الشهرمان

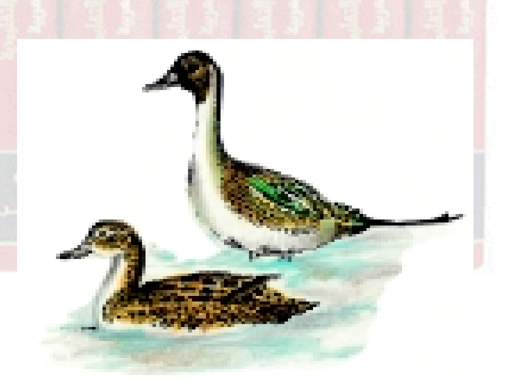




الصواي

مستنقعات المنطقة الجنوبية الغربية والمنطقة الوسطى.

والبلبول يتراوح طوله بين ٥٦ و٦٦سم ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل، إذ يتميز الذكر بأن رقبته طويلة ولون رأسه وظهره وظاهر حلقه بني داكن، وذنبه بني اللون تخرج منه ريشتان طويلتان، ولون بطنه وصدره

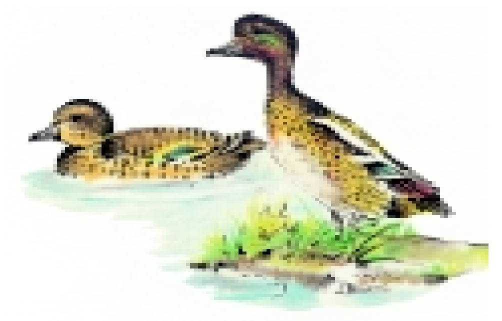


البلبول

أبيض، وعلى الجناح شريط أخضر لامع. أما الأنثى فهي بشكل عام بنية اللون ذات بقع داكنة وعلى الجناح شريط بني داكن. ويشاهد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء في مستنقعات وشواطئ سهل تهامة ومستنقعات المرتفعات الجبلية ومستنقعات بحيرات المنطقة الوسطى.

والحذف أصغر أنواع البط لا يتعدى طوله ٣٥سم. ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل. فللذكر رأس بني، عليه بقعة خضراء لامعة، تمتد حول العين متجهة إلى الخلف، والظهر بني، عليه خطوط عرضية بيض اللون، ولون الذنب والعجز بني، وعلى الجناح شريط أبيض، والصدر والبطن أبيضان، والمنقار لونه





الحذف

الغرنوق من الطيور الوافدة إلى الجزيرة العربية

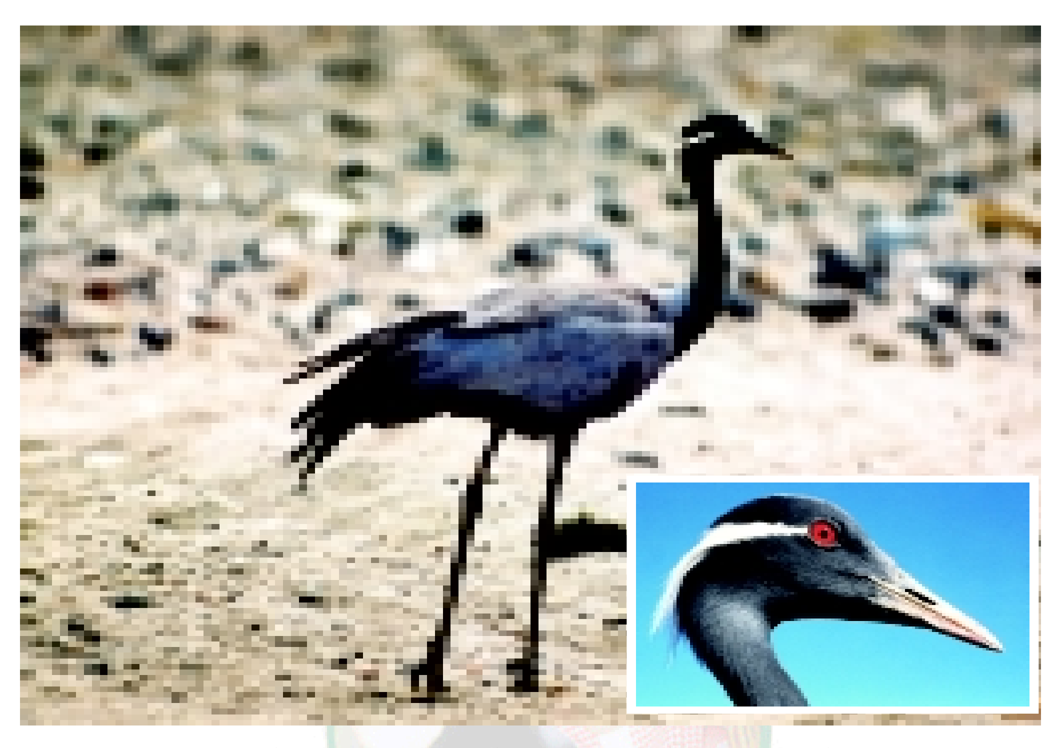
رصاصي. أما الأنثى فهي بصورة عامة بنية اللون، بطنها ملون بلون بني شاحب ومنقارها بني اللون، أما أقدامها فهي ذات لون رمادي مشوب بخضرة. يوجد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء على السواحل الغربية وفي المنطقة الوسطى.

الغرنوق

من أسمائه: الكركي والرهو وأبو سعد. من الطيور الوافدة التي تمر بأجواء المملكة في رحلة هجرتها خلال فصل الخريف والربيع، أي في رحلتي الذهاب والعودة. وهي تهبط أثناء مرورها للاستراحة والتزود بالغذاء، حيث تتوقف لزمن يطول أو يقصر، غير أنها لا تلبث أن تغادر المكان لتستكمل رحلتها. ويصطاد منها الناس أعداداً كبيرة خلال فترة بقائها في المملكة للراحة. وموطنها أواسط آسيا وتركيا، وتهاجر متجهة إلى المناطق الجنوبية الدافئة شتاء. ويمر أحد خطوط هجرتها في وسط الجزيرة العربية، حيث تقطعها متجهة إلى المنطقة الغربية، ثم تعبر البحر الأحمر في طريقها إلى أفريقيا. وقد سجلت عدة مئات منها في منطقة حائل شمال المملكة خلال موسم الهجرة.

والغرنوق طائر مائي كبير الحجم أغبر اللون طويل العنق والرجلين. وهو على أنواع منها الكركي المألوف، ويعرف بالكركي في العراق، وبالرهو في الشام، ومنها الكركي المتوج، ويسمى الغرنوق في السودان، والكركي في المغرب، ومنها الكركي السنجابي كما يسمى في مصر، كما يسمى الرهو (المعلوف ١٩٣٢: ٧٥). وكلها أنواع تنتمي إلى فصيلة الغرانيق أو الكراكي.





الغرنوق يسمى الكركي، ويسمى الرّهو، ويعرف بحمرة الحدق

والغرنـوق قد يكون أبيض نـاصع اللون ذا منقار أصفر ورجلين صفراوين، وقد يكون أغـبر اللون طويل الـساقين طويل المنقـار في حجم الأوزة. «وهو أيضاً ضرب مـن طير الماء لونه أسود» (الصـالحي ١٩٨١ : ١٣٤). وجاء فـي كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الكركي طـائر كبير معـروف، والجمع كراكي، وكنيته أبو عريان، وأبو عينا، وأبو العيزار، وأبو نعيم، وأبو الهيص. وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق. وهو أغبر طويل الساقين، والأنثى منه لا تقعد للذكر عند السفاد بل يـسفدها وهي قائمة وسفاده سريع كالعصفور. وهو مـن الحيوان الذي لا يـصلح إلا برئيس لأن في طبيعته الحذر والتحارس بالنوبة. والذي يحـرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس، فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة. وله مشات ومصـايف، ومنها ما يلزم موضعاً واحداً، ومنها ما يسافر بعيداً. وفي طبعه التناصر ولا تطير الجماعة منه متفرقة، بل صفـاً واحداً يقدمها واحد



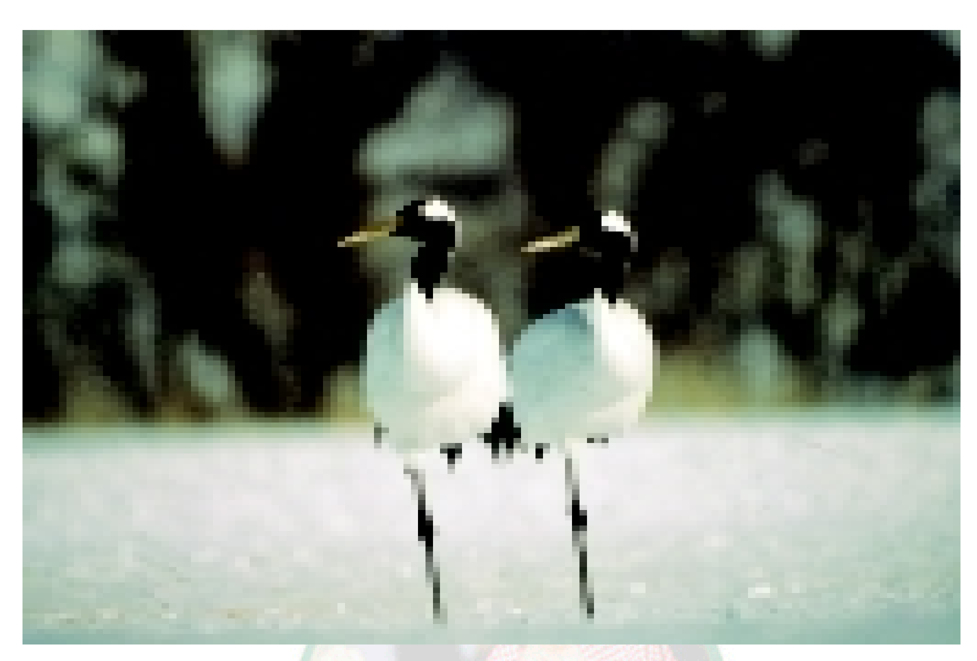


الغرنوق قد يكون ناصع البياض

كالرئيس لها، وهي تتبعه، يكون ذلك حيناً، ثم يخلفه آخر منها مقدماً، حتى يصير الذي كان مقدماً مؤخراً. وفي طبعه أن أبويه إذا كبرا عالهما. ويفهم من كلام الدميري أن بعض أنواع الكراكي أو الغرانيق مهاجر شتاء، والبعض منها مقيم لا يهاجر، بل يقضي الشتاء في موطن تكاثره الأصلي.

وفرَّق السويداء بين الغرنوق والرهو، فقال: إن الغرنوق طائر أبيض اللون له رجلان طويلتان، ومنقار طويل أصفر طوله حوالي ٥سم، ورقبة طويلة، وهو ناصع البياض، وحجمه بحجم الدجاجة. وهو من الطيور الوافدة التي تأتي في رحلتها في بداية الخريف والربيع. ويتغذى على الحشرات حول المستنقعات، وكثيراً ما يحب مجموعات المواشي ليتغذى على ما يصاحبها من الحشرات الطائرة وبالذات البقر والحمير، ولذلك يقال في المثل «غرنوق بقر» أو «غرنوق حمير». ويأتي في مجموعات مثل الرهو، لكنه يختلف عن الرهو في حالة الطيران. فالرهو يأتي على هيئة صف يسمى «حبل الرهو» يتقدمه واحد من هذا الصف. أما الغرانيق فتأتي مثل فرق الحمام. ويصطاد الصيادون منها أعداداً كبيرة عند مرورها





يشبه الشعراء الغرانيق الواقفة بدلال القهوة البيضاء

بأجواء المملكة كل عام. ويشبه الشعراء الشعبيون ببياضه وحسن وقوفه دلاَل القهوة البيض، كما يشبهون به بياَض النساء.

ويبدو أن ما يشير إليه السويداء بالغرنوق المعروف في الجزيرة العربية إنما هو طائر «البلشون الأبيض» أو «مالك الحزين» أو «المالكي» أو «أبو قردان»، كما يسمونه في مصر، إذ هو الذي في حجم الدجاجة، وهو من آكلات الحشرات، ولا يألف المواطن المائية. أما الكركي والغرنوق والرهو فهي طيور مائية تأكل الأسماك والأحياء البحرية الصغيرة، وهي في حجم الأوزة الكبيرة.

ولكثرة ملازمة الكراكي للماء والتصاقها به أطلق عليها الشعراء اسم «بنات الماء»، وشبهوا أباريقهم بها لطول أعناقها والتوائها ولاستطالة قامتها قال أبو نواس:

لدينا أباريق كأن رقابها
رقاب كراكي نظرن إلى صقر

وقال أيضاً:

في أباريق سُجَّد كبنات الماء
أقعين من حذار الصقور

أما مسلم بن الوليد فقال:

أكواسهم ملاءٌ
طافية ركودُ
قد قلدت بآس
فزانها التقليدُ



مــــثــــل بــــنــــات مــــاءٍ
أفـــزعــــهـــا الـــرعــــودُ
فـــــمــــــرة ركـــــــوعٌ
ومــــــرة ســــــجــــــودُ

وذكر القزويني أن الكركي لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى، وإنْ وَضَعَها وضعها وضعاً خفيفاً مخافة أن تخسف به الأرض، وهو ما قاله الجاحظ الذي أضاف بأنه إذا مشى على وجه الأرض يمشي رويداً خائفاً.

والكركي من أبعد الطير صوتاً يسمع على أميال. وإذا تقدم مجيئها في الفصل استدل بذلك على قوة الشتاء. ويقال إنها تأتي من بلاد الترك، ويتغالى الملوك في طلبه وصيده تغالياً لا يدرك حده وتنفق في ذلك الأموال الجمة التي لا نهاية لها، وأكله حلال بلا نزاع (الباشا ١٩٨٣: ٢٢٦). وقال الناشئ في وصف الكركي:

ومــورد يـجــذل قـلـب الـوامــق
مــنــظـم بــالــغــر والـغــرانـقِ
وكـل طــيــر صـــافـر أو نـاعـــق
مــكــتـهــل وبـــالــغ ولاحـقِ
مـوشـيـــة الـصـدور والـعـواتـــق
بـــكــل وشــي فــاخــر وفــائــق
تـخـتـال فـي أجـنـحـة خـوافـقِ
كـأنمـا تـخـتـال فــي قـراطـق
يـرفلـن فـي قـمـص وفـي يـلامـقِ
كـأنـهــن زهَــرُ الحـدائـقِ
حـمـر الحـداق كُـحَـل الحـمـالـقِ
كـأنمـا يـجـلـن فـي مـخـانـقِ

والقراطق: جمع قُرطق: قباء وهو نوع من اللباس ذو طاق واحد، والمخانق: القلائد. وقال صفي الدين الحلي يصف الكراكي عند قدومها من البطائح، ورحيلها إلى الجبال:

أهــلاً بــهـا قــوادمــاً رواحــلا
تـطـوي الـفلا وتـقـطـع المـراحـلا
تـذكـرت آكـام دربـنـداتـهـا
وعــافــت الأجـام والمــراحــلا
أذكـرهـا عـرف الـربـيـع إلـفـهـا
فـأقـبـلـت لـشـوقـهـا حـوامـلا
تـغرق فـي الجـو بـصوت مـطـرب
يـشـوق مـن كـان إلـيـهـا مـائـلا
هـديـة الـصـنـف ودربـنـديـة
أو خـزريـات بـدت أصـائـلا

والمراحل (جمع مرحلة): المسافة، ودرندبات جمع دربند، فارسية) معناها: المضيق بين جبلين. وقال كشاجم مخاطباً ولده:

اتـخـذ فـي خـلـة فـي الـكـراكـي
اتـخـذ فـيـك خـلـة الـوطـواط
أنـا إن لـم تـبـرني فـي عـنـاء
فـبـبـري تـرجـو جـواز الـصـراط



وقال القزويني في خواص الكركي إن عينه تسحق ويكتحل بها الإنسان لا ينام، ومرارته تنفع اكتحالاً من نزول الماء، وإن لحمه مع شحمه يطبخان جميعاً ويقطر حرقهما في أذن من به طرش ينفعه، ومخه يذاب بخل العنصل، ويسقى به من به وجع الطحال في الحمام ينفعه، وقانصته تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمض ينفعه. ومن خواص الكركي أيضاً ما جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن لحمه بارد يابس لا دسم له، أجوده صيد البازي، ينفع أصحاب الكبد. لكنه سيئ الهضم، ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة. وهو يولد دماً غليظاً، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة، لا سيما الشباب. وأجود أكله في الشتاء، ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية، فإنها مما يسهل خروجه. ويجب ألا يؤكل إلا بعد يوم أو يومين، وتشد في أرجلها الحجارة، وتعلق ليرخص لحمها، وتنضج في طبخها، ويُسْتمرأ عند ذلك أكلها، وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك. غليظ عسر الاستمراء، لا سيما إناثها. ومرارته تنفع من القرع؛ وإذا خلطت مع دماغه بزئبق وسعط بها الذي ينسى فإنه يذكر ما ينساه. ومن أحب ألا ينبت في بدنه شيء من الشعر فليأخذ جزءاً من الذراريح، ومثله مخ الكركي، ويدقها جميعاً ويطلى بها أي موضع يختاره من بدنه، فإنه لا يطلع فيه شعر.

وفي ديوان أبي نواس ثلاث طرديات يصف فيها طرده للكراكي ببزاة معلمة مدربة، تخرج البزاة من المعركة مكللة بالنصر والفوز بعد أن تقطع الكراكي قطعاً متناثرة، وبعد أن تستل من صدورها سحورها، وتمزق أكبادها، وتلقي من جوفها مصارينها وتخضب بدمها الطين. قال:

نرسل منه عند إطلاقه ... على الكراكي درخمينا

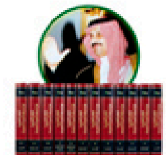
داهية تخبط أعجازها ... خبطاً يحسيها الأمرينا

يحمى عليها الجو من فوقها ... حيناً ويغريها الأحايينا

وهن يرقصن صراخاً كما ... جهور في الشعب الملبونا

فمقعص أثبت في سحره ... وخاضب من دمه الطينا

قد مشقته في الحشا مشقة ... ألقت من الجوف المصارينا



رحنا به نحمل أكبادها

في زورة عشراً وعشرينا

وقال كشاجم في صيد الكركي:

يارب أسراب من الكراكي

مطعمة السكون في الحراك

بعيدة المنال والإدراك

كدر وبيض اللون كالأفناك

تقصر عنها أسهم الأتراك

ذعرن قبل لغط المكاكي

وقبل تغريد الحمام الباكي

بفاتك يُربي على الفتاك

الأفناك (جمع فنك): ثعلب له فرو من أحسن أنواع الفراء، المكاكي (جمع المكاء): طائر من القنابر، الفاتك: الشاهين الذى أطلقه على الكركي.

ونجدهم في الأدب الشعبي شبهوا بياض المرأة ببياض الغرنوق كما شبهوا الركايب بها. قال عبدالله بن هويشل الدوسري:

أجمل من العفري وشقح الغرانيق

ومعصفرات شيخيٍ كنه إياه

شقح الغرانيق: الغرانيق البيضاء والساطعة، معصفرات شيبخي: يقصد الصعو ويخص الصفراء التي تسمى الشويخة أو الشييخة. وقال عبيد بن على الرشيد:

بيضٍ لكن ارقابهن الغرانيق

بديار قومٍ يتعبون الصياني

يتعبون الصياني: يصفهم بالكرم حيث يتعبون الصياني من كثرة ما يقدم فيها للضيوف والزوار والوافدين.

وقال شاعر:

ياراكب اللى تقل غرنوق

لى روحت والمسا داني

تقل (أصلها تقول): كأنها، واستخدام هذا الفعل أداة للتشبيه ورد في شعر امرئ القيس والأعشى.

الكروان

الكروان (جمعه كِرْوان) أحد أنواع الطيور المعروفة منذ القدم، وهو مما يصاد ويؤكل. أكبر من طائر القطا الجون، غير أن الكروان أطول سيقاناً وعنقاً وأكثر رشاقة في الجسم. وهو طائر طروب. جريه على الأرض أسرع من القطا والحجل، ولا يسبقه في الجري إلا طائر السمق. يشبه الكروان حتى إن بادية المنطقة الشمالية يطلقون على الكروان اسم السمق. ويغلب على الكروان اللون الأشقر الضارب إلى الحمرة، فيكون من لون الأرض التي يعيش عليها في الصحارى والسهول والرياض والفياض. حجمه بين الدجاجة والحمامة، أدبس، طويل الساقين والعنق، جاحظ العينين، أصغرهما،





الكروان

قصيـر الزمكَّى، له في الـليل صوت حسـن. زعم الـعرب أنه ابـن أخت الحبـارى وهي خـالته. وأهـل مصـر يسمونه أحياناً الكروان الجبلي تمييزاً له عن طائـر آخر يسمونه كـروان الغيط (المعلوف ١٩٣٢: ٢٣٦).

جاء في كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الـكروان طائر يشبـه البط (والحقيقة أنه لا يشبهه)، لا ينام الليل، سُمِّي بضده من الكرى، والأنثى كروانة والجمع كِـرْوان بكسر الـكاف. ومن خواص لحـمه وشـحمـه، كمـا قال القزويني، أنهما يحركان الباءة تحريكاً عجيباً. ولعل هـذا هو أحد الأسباب الهامة لتفضيل الصقارين العرب صيد هذا الطائر بعد الحبارى.

«ويبـلغ طـول الكـروان ٤١سم. ويتميز بمنقار مستقيم. طرفه الحر أسود، وقاعـدته صفراء الـلون، ورأسه كبير مستدير، والعين صفراء، والجزء العلوي بني، والبطن بيضاء. أما الأرجل فهي صفـر، ويوجـد على الجـناح شـريط أبـيـض. ويطـلـق الـكروان صـوت (كوووولي... كوووولي). ويألف الطائر المناطق شبه الصحراوية والمناطق الصخرية والأراضي الزراعية. ويتغذى على بذور النـباتات والحشـرات الأرضية وبعـض أوراق النباتات، وهو طائر مهاجر وزائر



في فصل الشتاء. حيث يرى في المملكة العربية السعودية في المناطق الشمالية والوسطى والشرقية وساحل تهامة وبعضها يقيم في الساحل الجنوبي» (الوليعي ونادر ١٩٨٩ : ٦٤).

ومما ورد في كتاب الصقور والصيد عند العرب أن الكروان من طيور الصيد التي لا تزال شائعة الوجود في مناطق من آسيا وأوروبا وأفريقيا. وتعيش طيور الكروان بشكل خاص حول منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وتنتشر إلى الجهات الشرقية من شمال آسيا في دول الاتحاد السوفيتي السابق، ومنطقة الشرق الأوسط في تركيا وسوريا والعراق وإيران، وفي باكستان والهند، وفي الجهات الغربية من أوروبا، ويصل إلى بريطانيا، وقد أخذت أعداده تتضاءل في غرب أوروبا. ويوجد هذا الطائر أيضاً في مصر وفي الأجزاء الساحلية من شمال أفريقيا. يهاجر في أغلب الحالات من المناطق الشمالية التي يعيش فيها إلى المناطق الجنوبية الدافئة، وقد يستقر في بعض هذه المناطق ويقيم فيها إذا ما توافرت له الظروف الملائمة. فالمجموعات التي تعيش في دول الإتحاد السوفيتي السابق وشمال آسيا تهاجر جنوباً إلى شمال غرب الهند وباكستان وإيران والعراق والجزيرة العربية. ومنه أجناس وسلالات عدة حسب مناطق انتشاره الواسعة.

ويقع موسم تكاثر الكروان بين شهري فبراير وشهر يونيو، حيث تضع الأنثى من بيضة إلى ثلاث بيضات في حفرة معتدلة العمق، قد تضع فيها بعض الحشائش. ويكون لون البيض فاتحاً، وعليه بقع متناثرة تكوّن خطوطاً داكنة اللون. وتدوم فترة حضانة البيض حوالي ستة وعشرين يوماً يقوم الذكر والأنثى خلالها بحضانة البيض ورعاية الصغار لفترة تتراوح من ستة وعشرين إلى اثنين وأربعين يوماً. وعمر النضوج الجنسي الذي يبلغه طائر الكروان قبل أن يستطيع التكاثر ثلاث سنوات.

ويحتل طائر الكروان المرتبة الثانية بعد طائر الحبارى في قائمة الطيور التي يسعى الصقارون العرب لاصطيادها في وقتنا الحاضر، علماً أن الرغبة في قنص طيور الكروان ليست لدى جميع الصقارين العرب، ولكنها غالباً ما تكون لدى الأجيال الشابة من الصقارين، ممن تتوافر لهم الفرصة المناسبة والوقت اللازم للقيام برحلات قصيرة المدى، وتكون غالباً مباشرة بعد انتهاء موسم قنص طيور الحبارى. ويستخدم في العادة الشاهين





الكروان يزور الجزيرة العربية في فصل الشتاء

والوكرى لاصطياد طيور الكروان، وذلك أن الشاهين يتأخر تبديل ريشه فيمتد موسم صيده أطول من الصقر (التميمي ١٩٩٢: ١٤٧-١٤٨).

وقد ورد ذكر الكروان كثيراً في الشعر العربي القديم، قال طرفة بن العبد في أبياته التي كانت سبب قتله:

لنا يوم وللكروان يوم
تطير البابسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء
تطاردهن بالحرب الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً
وقوفاً ما نحل ولا نسير

وقالوا في الأمثال «أجبن من كروان» لأنه إذا قيل «أطرق كرا إن النعام في القرى» التصق بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد، وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه. قال الشاعر ذو الرمة:

أمير أبي موسى يرى الناس حوله
كأنهم الكِرْوان أبصرن بازيا

وقالوا فيه أيضاً:

شهدت بأن الخبز باللحم أطيب
وأن الحبارى خالة الكروان

يضرب عند الشيء يتمنى ولا يقدر عليه.

وفي الشعر الشعبي شبه الرجال بالكروان. يقول إبراهيم بن عبدالرحمن السيف:

فيه الكروان استوى له مخاليب
يشهر على طير الهداد ويدوسه

الحجل

طائر بري معروف، أغبر أو ترابي اللون، يميل لون ظهره إلى الخضرة، أحمر أو أصفر الرجلين والمنقار. يكثر في سفوح الجبال والأودية والفياض ويعيش على الحبوب وبذور النبات وأوراقها، ويقتنصه الصيادون بوسائل مختلفة. واحدته حجلة ويسمونه الدُرَّج. ومن أسمائه قَبَج (فارسية معربة) الواحدة قبجَة. ويسمى فرخ الحجل سُلَكاً وأنثاه سُلكانة وسُلكة، وفي لبنان يقولون سركَّة بقلب اللام راء. ويطلق السلك أيضاً على فرخ القطا. والحجل أجناس وأنواع كثيرة. ويوجد منه في المملكة ثلاثة أنواع هي الحجل العربي أحمر الساق، وهو المعروف باسم العرفى لدى البادية لأن





الحجل



الحجل العربي

قمة رأسه سوداء، والحجل رمادي الرأس أو حجل فيلبي، وهو المسمى لدى البادية السفع لأن الريش الأسود يكسو خديه، والحجل الرملي أو حجل تهامة أو الدراج الرملي، وهو المعروف لدى البادية باسم الحجل أو الدرج.

والحجل العربي كبير الحجم، يبلغ طوله ٣٨سم، وينتشر في المنطقة الغربية من المملكة، وفي اليمن وسلطنة عمان. أحمر الساق أسفع الخدين على جانبيه خطوط بيض ورمادية وسود، وقمة رأسه سوداء ومنقاره ورجلاه داكنة الاحمرار. ويعيش في الوديان والمزارع والمرتفعات والجبال بين النباتات الكثيفة وفي شقوق الصخور. يتغذى على الأعشاب والحبوب والبذور والحشرات. ويتجمع في أسراب قليلة العدد.

أما الحجل ذو الرأس الأغبر أو حجل فيلبي، فهو طائر كبير الحجم أيضاً لكنه أصغر قليلاً من الحجل العربي، إذ يصل طوله إلى ٣٤سم فقط. ويسمى القهبي أو القهبية. أسفع الخدين، أغبر الرأس، مسود الرقبة، عريض خطوط الظهر. يوجد في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية من المملكة. ويعيش في بيئات الحجل العربي الأحمر الساق ويتغذى على أنواع



المعشبة، ويتغذى على البذور وبعض الأعشاب والحشرات، ويخفي عشه على الأرض تحت الشجيرات. قالوا في المثل الشعبي «إذا فر الصيد بان الحجل»، وذلك أن الحجل إذا أحس بالخطر لطأ في الأرض حتى يتبين الأمر. والحجل بأنواعه من الطيور المستوطنة في المملكة العربية السعودية، يوجد في المناطق الشمالية الغربية، والمنطقة الوسطى، وسلسلة جبال عسير.

وورد عن الحجل في المخصص ما يلي: الحجل الواحدة الحجلة مثل صغار القبج، وهي بيضاء الرأس، وصوتها (وق...وق) وهي تقطقط. وقالوا في جمع الحجلة الحِجلى وأنشد:

فارحم أصيبيتي الذين كأنهم
حجلى تدرج بالشرّبة وُقّعُ

على أن الحجلى هي اسم للجمع كالقصباء والطرفاء وليست بجمع، لأن فعلى ليست من أبنية الجمع.

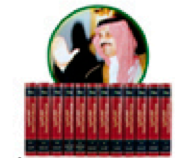
قال الطائفي: الحجلة طائر أحمر الرجلين والمنقار، أسفع الخدين، تحت جناحيه في جنبه مثل ما في جناح اليعقوب، والذكر أحسن من الأنثى. يقال للذكر قوقل وزُعقوق والأنثى فعيطة وزُقوقة. ويقال لأنثى الحجل الغبراء. وقال الأصمعي: الفرخ منها



الحجل

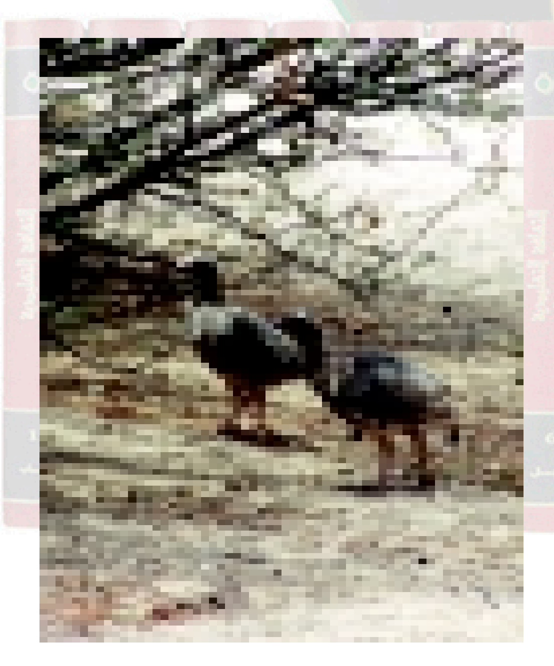
الغذاء التي يتغذى عليها. وهو من ألذ الطيور لحماً.

أما الحجل الرملي فهو أصغرها حجماً، إذ لا يزيد طوله عن ٢٤سم. لونه ترابي باهت، ورأسه ترابي داكن، والريش على الجانبين (الأكتاف) له عدة ألوان؛ منها الأبيض والأسود والبنفسجي، يشكل بذلك خطوطاً طولية ملونة. والمنقار قصير، والأرجل ذوات لون أصفر مشوب بحمرة. ويمتاز الذكر بوجود بقعة بيضاء خلف العين، وريشه أكثر من ريش الأنثى. وينتشر على سفوح الجبال والمناطق الصخرية والأودية



السـلك والأنـثى السـلكة والجـمع السـلكـان. وقال بعـضهـم السُلَـف والسلفان. قال أبو حاتم النجدي: من الحجـل أخضر مـثل الـبقل، أحـمر الرجلين ويسمى صفردا، والتهامي من الحجل فيه بياض وخضـرة، ويسمونه القهبية. وقال غيره القهبي ذكر الحجل، واليعقوب ذكر القبجة. والـقبجة اسم فارسي معـرب، وصوته (فقا... فقـا) ويقهقه، ويلقط الأولاد يطعمها. وقال الطائفي: اليعقـوب طائر أغبر، أسود الخدين واللحي، الأسفل أحمر الرجلين والمنقار، ما تحت جناحيه يشبه العَصْب (المعلوف ١٩٣٢: ١٨٤).

وورد في كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الحجل بالفتح الذكر من القبج والواحدة حـجلة، وهو طائـر على قدر الحمام كالقطـا، أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البر. وهو صنفان: نجدي وتهامي، فالنجدي: أخـضر اللون أحمر الرجلين. والتهامـي فيه بياض وخضرة، وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية، ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ فـي التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح. ويقال إنها تبيض من سماع صوت الذكر أو بريح تهب من قبله. وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها وهي تحضن الإناث، وهما كذلك في التربية. وهذه كلها مزاعم لا أصل لها في الحقيقة، فما من طائر ولا حيوان يلقح من التراب أو من سماع صوت الذكر أو هبوب ريـح من قبله. قـال التوحيدي: ويعيش الحجل عشر سنين، ويضع عشين، يجلـس الذكر على واحد والأنـثى على واحد. ومن طبع الحجل أنه يأتي أعشاش نظرائه فيأخذ بيضها ويحضنه، فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التي باضتها. وقالوا في المثل الشعبي «فروخ الحجل ما ينجعون الدار»، وينجعون يعاودون، ويعنـي عدم الاستقرار بمكان واحد. وقال التوحيدي: وفي تركيبه قوة الطيران، حتى أن الإنسان إذا لم يره يظنه حجراً خـرج من مقلاع،



الحجل



ويؤيد هذا المثل الشعبي «فرَّت حجل»، والفرة النفور والطيران بسرعة، وللحجل عند طيرانه صوت مميز. ويضيف قائلاً: والذكر شديد الغيرة على الأنثى، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى فأيهما غلب ذل الآخر وتبعت الأنثى الغالب منهما. وفي طبع الذكر أنه يخدع أمثاله بقرقرته، ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعن معه. وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها. والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه.

ويقول الدميري عن خواص الحجل: لحمها معتدل جيد سريع الهضم. إذا ابتلع من كبدها وهي حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع. ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة في العين اكتحالاً، وإذا سعط بمرارتها إنسان في كل شهر مرة احتد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره. وقال المختار بن عبدون: بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج، وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد، ويولد غذاءً معتدلاً، ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة، وهو أجود هضماً من بيض الدجاج. وأجود ما يعمل أن يلقى في الماء وهو يغلي، وفيه ملح أو خل، ويكون الماء متساوياً عليه، وكذلك كل بيض، وأما المطجن من كل بيض فرديء جداً، يولد حجارة في المثانة ويحدث غماً. والمغلي في الماء أهضم منه وأنفع من المقلي في الأدهان أيضاً. وقال غيره: بيض الحجل إذا طبخ في الماء المغلي في الكمون والملح أو بخل عنصل وأكل نفع من المغص وسائر أوجاع البطن. وعن رؤية الحجل في المنام؛ الحجلة تدل على امرأة غير أليفة، وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد.

وقد ورد ذكر الحجل في الأدب العربي كثيراً من ذلك قول ذي الرمة:

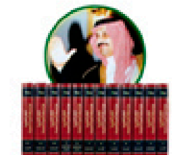
فالعرب منه مع الكدري طائره
والروم طائره منه مع الحجل

وقول أبو الحسن الناصر العلوي في وصف الدراج:

صدور من الديباج نمق وشيها
وصلن بأحناء اللجين السوارج
وأحداق تبر في خدود شقائق
تلألأ حسناً كاشتعال المسارج
وأذناب طلع في ظهور كسونها
مجزعة الأعطاف صب الدمالج
فإن فخر الطاووس يوماً بحسنه
فلا حسن إلا دون حسن التدارج

وقول ابن الرومي في الدراج:

أراك أشفقت من الفالج
علي أو من بلغم هائج



إن كان هـذا يابـن ساداتـنا
فاخلفه لي بالطائر الهائج

وقول كشاجم:

خرجنا أمس للصيد
وكنا فيه حذاقاً
فسمينا وأرسلنا
على بختك أطلاقا
فجاد الله بالرزق
وكان الله رزاقا
وأحرزنا من الدرا
ج ما الرحل به ضاقا
فأطعمت وأهديت
إلى المطبخ أوساقا

وقول الفرزدق:

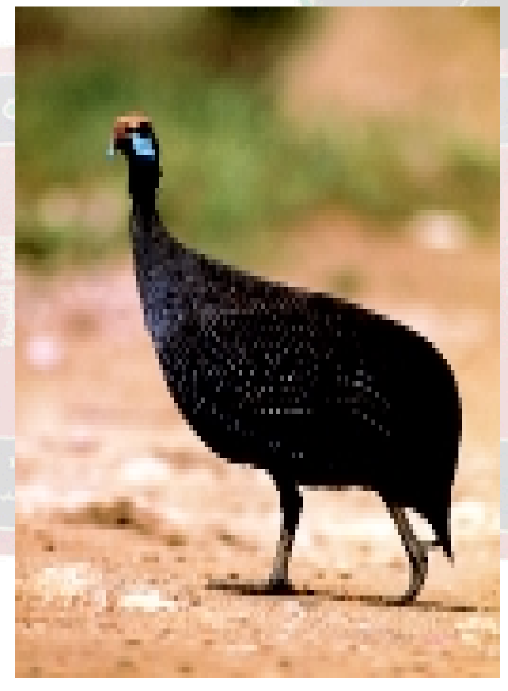
قد كان بالعرق صيد لو قنعت به
فيه غنى لك عن دراجة الحكم

وهناك بعض الأمثال عن الدراج منها المثل القائل «دراجة الحكم»، ويضرب في النفع القليل يجلب الضرر الكثير، وأصله أن بعض عمال والي البصرة الحكم بن أيوب الثقفي تغدى معه يوماً، فتناول من بين يديه دراجة مشوية، فحقدها عليه الحكم، فعزله عن عمله.

الدجاج الحبشي

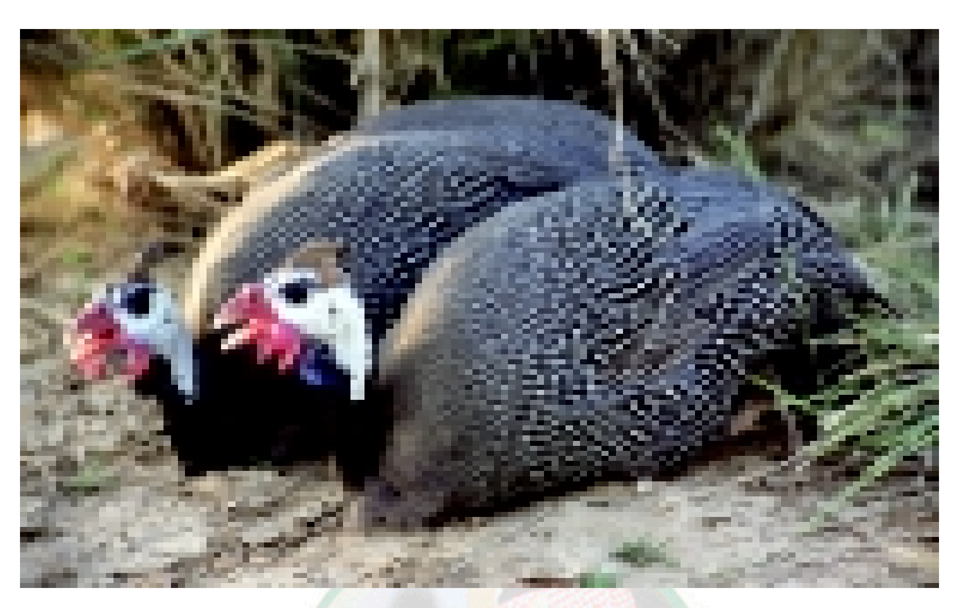
طائر بري داجن يعيش في القرى قرب المزارع والحقول والبساتين بقرب الأنهار والمياه. ولا يوجد بشكل بري سوى في منطقة جازان. أكبر من الدجاج العادي وأجمل منه شكلاً.

يقول المعلوف (١٩٣٢: ١٢٠) عن هذا الطائر هو غِرْغِر والواحدة غِرْغِرَة. حُبَيش والواحدة حُبَيْشَة. دجاج حبشي والواحده حبشية. وهو طائر من رتبة الدجاج، يعرف في الشام بدجاج فرعون، وفي مصر بفراخ السودان، وفي بعض أنحاء السودان بجداد الوادي، أي دجاج الوادي، وجداد الخلا، وفي بربرة بالغرغر والحبيش. وفي العراق بالدجاج السندي.



دجاج الحبش





زوج من دجاج الحبش

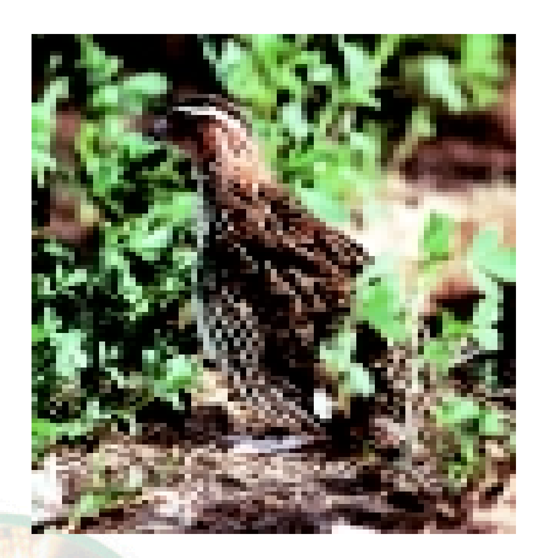
«ويبلغ طول هذا الطائر ٦٣سم، ورأسه صغير مقارنة بحجم جسمه. ويتدلى الذيل إلى أسفل، قاعدة الرقبة ذات لون بنفسجي. ويوجد في أعلى الرأس نتوء قرني ذو لون بني باهت يشبه القلنسوة ويكون طويلاً معقوفاً للخلف في الذكر وقصيراً ناتئاً في الأنثى. وريش جسم الطائر رمادي قاتم أو فاتح اللون، مغطى بنقط بيض اللون تنتشر عليه بشكل كثيف. وتوجد زائدة لحمية حمراء اللون عند قاعدة المنقار وتحت العين.

وبيئة هذا الطائر حقول الحبوب الزراعية، والتلال الجبلية والأودية والسهول الرعوية. ويتغذى على الحبوب وبذور النباتات وبعض الأعشاب والحشرات. وهو طائر مستوطن في المملكة العربية السعودية يكثر وجوده في وادي جوا بمنطقة جازان» (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٦٦).

السمانى

السمانى نوع من الطيور التي تفد إلى المملكة، وبصفة خاصة إلى أجزائها الشمالية والشرقية. ويعرف في هذه المناطق باسم المُرَيْعي وفي الوسطى يسمى المرع. يختفي في الأشجار والشجيرات، وإذا أحس حركة اختبأ في شجرة أو نحوها، وإذا اقترب منه الإنسان أو الحيوان طار فجأة. ويحدث طيرانه مثل الصفير والأزيز الحاد مما يفزع من يسمعه على حين غفلة ويجفل الحيوانات التي يطير





السّمان

من أمامها. قالوا في المثل الشعبي «فرَّت مريعي»، ويتغذى على الحبوب وأوراق الأشجار والأعشاب وبذورها، ولا يطير في مجموعات كبيرة كالطيور الأخرى، إذ غالباً ما يشاهد منفرداً.

ومن أسمائه السلوى للواحد وللجمع، والواحدة سلوة، كما يقال سمانى للواحد وللجمع والواحدة سماناة وجمعها سمانيات. طائر من رتبة الدجاج، وفصيلة التدرج التي منها الدجاج الحبشي والحجل والدراج. واسمه عند العامة في مصر سِمّان، وفي حلب سُمَّن، وفي لبنان وفلسطين وأنحاء أخرى من الشام فرِيّ، وفي الجولان مُرَيعيّ. والسلوى عربية، أما السمانى فهي فارسية معربة (المعلوف ١٩٣٢: ١٩٩).

أما السمانى أو المريعي كما يسمى في شمال المملكة فقد ذكره بصري الوضيحي الشمري حيث يقول:

أوهف عليهم فوق بنت الحصان

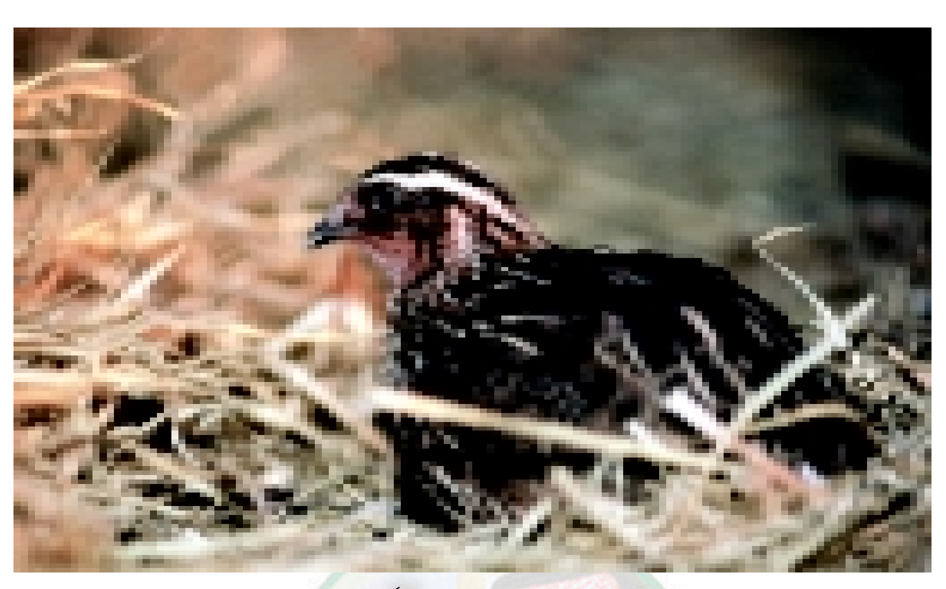
توهيف شيهان خطف له مريعي

وقال القزويني في عجائب المخلوقات: السمانى طائر صغير، وهو السلوى الذي كان ينزل على بني إسرائيل. وقال الزبيدي: هو بضم السين وفتح النون، على وزن الحُبارَى، اسم لطائر يلبد بالأرض، ولا يكاد يطير إلا أن يطار. والسمانى طائر معروف، ولا تقول سُمّانى بالتشديد والجمع سُمانيات والعامة تقول للواحد سمّنة وللجمع سمَّن وسمامن، ويسمى قتيل الرعد من أجل أنه إذا سمع صوت الرعد مات. وهو من الطيور القواطع، لا يدرى من أين يأتي، حتى أن بعض الناس يقول إنه يخرج من البحر الملح، فإنه يُرى طائراً عليه، وأحد جناحيه منغمس فيه، والآخر منشور كالقلع، ولأهل مصر عناية به ويتغالون في ثمنه.

ومن عجيب أمره أنه يسكت في الشتاء، فإذا أقبل الربيع يصيح ويتغذى بالبيش والبيشاء وهي سم ناقع قاتل.

«يبلغ طول الطائر ١٨سم، ولون ظهره بني مختلط ببقع بنية داكنة وخطوط



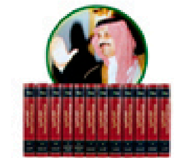


طائر السمان يأتي إلى المملكة زائراً في فصل الصيف

طولية صفر، ولون البطن أبيض، والمنقار بني رمادي، والأرجل رملية اللون. ويطلق الطائر عدة أصوات منها (كوك.. لوك... اك) أو (كرك... كرك... كرك) وهو يعيش في المزارع والسهول المعشبة والمناطق شبه الصحراوية. ويتغذى على الحبوب وبعض الأعشاب والحشرات. وهو طائر مهاجر يأتي إلى المملكة زائراً في فصل الصيف، حيث يرى في المنطقة الشرقية، والمنطقة الشمالية» (الوليعي ونادر ١٩٨٩ :٦٨).

وكما قالوا في المثل الشعبي «الطير يحبل له ويصاد» فإن السمانى يصاد بالشبك، حيث يقيم صيادوه شبكة طويلة قد يصل طولها إلى نحو ١٠٠م وعرضها إلى ٣م، يجعلونها مركوزة على أعمدة مما يلي مشرق الشمس أو مغربها، إذا كان الصيد في وقت العصر، ثم يدخل الصيادون إلى الزراعات المحصولية قمحاً كانت أو شعيراً ويصوتون أصواتاً عالية بأفواههم أو بالطرق على التنك لإزعاج طيور السمانى وتخويفها. ومتى وصلوا إلى آخر المزروعات اضطرت السمانى إلى الطيران فتصطدم بالشباك التي لا تستطيع أن تراها لمواجهتها للشمس وتقع فيها ولا يمكنها الفكاك فيجمعها الصيادون.

ويقول الدميري عن خواصه: لحمه حار يابس وأجوده المخاليف الطرية، وأكله ينفع من وجع المفاصل من برد، لكنه يضر بالكبد، ويدفع ضرره الكسبرة



والخل. وهو يولد دماً حاراً، وهو موافق لذوي الأمزجة الباردة والمشايخ، ويكره مشوي السماني ليبسه وتجفيفه. قال ابن عيدون وقال غيره: مزاج لحمه بين الدجاج والحجل، وهو إلى مزاج الدجاج أميل، وهو جيد الكيموس، وأكله يفتت الحصا ويدر البول، وإذا قطر دمه في الأذن سكن وجعها، وإذا أديم أكله ألان القلب القاسي، ويقال إن هذه الخاصية موجودة في قلبه فقط. ورؤية السماني في المنام تدل على الفوائد والأرزاق من جهة الزرع والفلاحة، وهو لمن يقصد سماعه دليل على عدم سلامة الأرزاق من الشبهات، وربما دل على اللعب واللهو والتبذير، وربما دلت رؤيته على الجرم بما يوجب الحبس والصلب والله أعلم.

السُّمَق

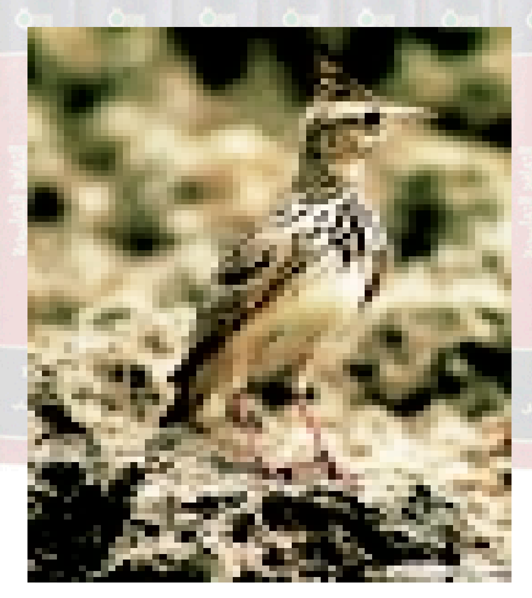
طائر من طيور الصيد التي تفد إلى الجزيرة العربية، وتوجد في المملكة العربية السعودية في شمالها الغربي. وهو طائر برمائي يعيش قرب المياه، وفي الرياض والفياض، ويفد في فصل الخريف، وربما استقر وفرخ. والسمق بحجم طائر الكروان، لكنه أكدر اللون، يميل إلى اللون الرمادي، وأجنحته سود، وله ساقان طويلان، ومنقاره طويل، ويطير مجموعات بقدر المستطاع. يعيش على الحبوب وأوراق الأشجار والنباتات، ويكثر وجوده أيام الأمطار حول الغدران في الرياض والفياض ويصاد بالصقور والفخاخ والشرك. قال الشاعر عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

يشدى لحرٍّ هد من راس قاره
صبح المطر لى شاف جول السماقي

يشدى: يشبه، هد: انطلق، القاره: الجبل الصغير الململوم، جول: فريق أو فرقة، السماقي: جمع سمق.

القويع

يقال لها قنبرة وقبّرة وحمَّرة، وتسمى أيضاً أم عريف والعقلاء والقويع



القويع (القنبرة)



والأخرج. طائر متوسط الحجم باهت اللون يميل إلى الحمرة أو الغبرة يكثر في الأرياف وحول المزارع. والقنبرة طائر حذر من الصيد مغرور بنفسه، يجرى بخيلاء حين يسير على الأرض. لا يتحمل أشعة الشمس تجده دوما يبحث عن الظلال تحت الشجر والجدران وغيرها. يعيش على الحبوب وأوراق الزرع والنبات وبذورها. يغرد بصوت شجي، وذلك ليدعو رفاقه.

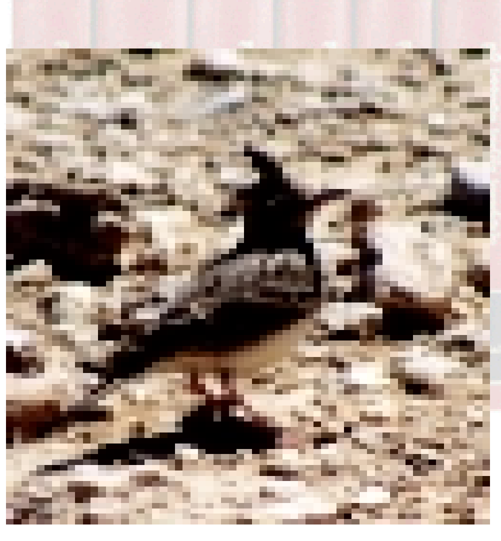
ويعرف الطائر في جزيرة العرب والشام والعراق والسودان بالقنبرة، وفي شرق جزيرة العرب بالحمرة. ويكنى في اليمن بأبي قوبع، ويسمى عند عامة أهل مصر بالدالوع، ويكنى بأبي المليح. ومن أنواع القنابر: المكاء والعلعل. والمكاء: طائر من القنابر، له صفير حسن، وتصعيد في الجو، وهبوط. وهو في ذلك يمكو أي يصفر، لذلك سمي بالمكاء. وهو طائر غرد طروب يصدح بأصوات شجية مطربة، وخاصة في فصل الربيع عندما تكون الأرض معشبة، فلا أجمل ولا أندى وأشجى من صوته. وقد قال فيه الشاعر الشعبي محمد بن دخيل الله الأزيمع:

يام سالم ثَريك منافقيّه

طول يومك تجرّين الغواني

ويوجد عدة أنواع من القنابر منها: القنبرة المتوجة، وقنبرة الصحراء، وحمرة البادية، وحمرة موشمة الذنب، والقنبرة السوداء، والعليعلة قنبرة قصيرة الأصابع، وقنبرة الحقول، وقنبرة الفياض. أما العلعل والعلعال فهو في كتب اللغة ذكر القنابر، أي الكبير منها. ولما كانت القنبرة المسماة كلاندرة هي أكبر القنابر فقد أطلقت العلعل عليها (المعلوف ١٩٣٢: ١٤٦-١٤٧). قال الدميري: وكنية الذكر من القبَّر (جمع قبرة) أبو صابر وأبو الهيثم، والأنثى أم العلل.

وهذا الضرب من الطيور قاسي القلب، وفي طبعه أنه لا يهوله صوت صائح، وربما رمي بالحجرة فاستخف بالرامي ولطىء بالأرض حتى يتجاوزه

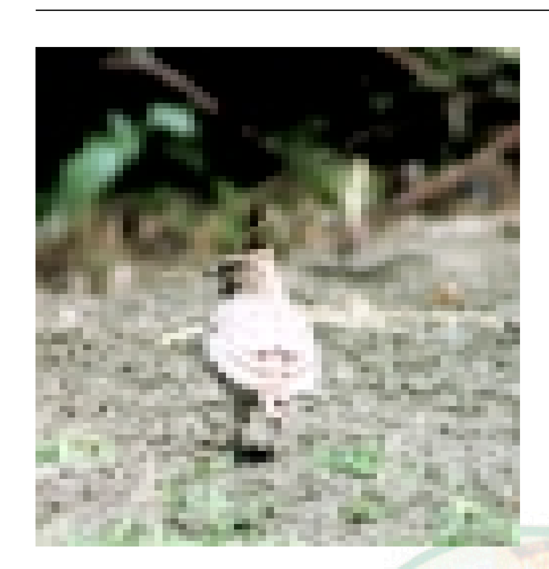


قنبرة متوجة (قوبع)



الحجر، وبهذا السبب لا يزال مأخوذاً أو مقتولاً، لأن الـرامي يحمله الحنـق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه. يضع وكره على الجادة حباً للأنس. ومع أن القبرة طائر شديد الاحتياط إذا وقع على شيء لا يزال ينظر يميناً وشمالاً ووراء، ومع ذلك فهو كثير الوقوع في الفخ.

ذكر الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي أن رجلا صاد قبرة فقالت: ما تريـد أن تصـنع بـي؟ قال: أذبـحك وآكلك، فقالـت: والله إني لا أسمن ولا أُغني من جوع، وما أشفي من قرم، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خيـر لك من أكلـي. أما الواحدة فأعلـمك إياها وأنا على يدك، والثانية إذا صرت على الشجرة، والثالثة إذا صرت علـى الجبل. قال: نعم. فـقالت وهي على يده: لا تأسفَنَّ على ما فاتـك، فخلى عنها. فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقَنَّ بما لا يكـون. فلما صارت على الجبل قالت: يا شقي لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درة وزنها عشرون مثـقالا.، قال: فـعض علـى شفتـيه وتلهف ثم قال: هاتي الثالثة، فقالت: قد نسيت الثنتين الأولين فكيف أعلمك الثالثة؟ قال: وكيـف؟ قالت: ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت

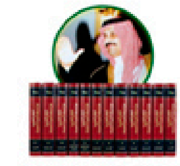


قوبع

علي، وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون وقد صدقت، فإنه لو جمعت عظامـي وريشي ولحمي لم تبلغ عشرين مثقالاً فكيف يكون فـي حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالاً؟.

ومن طريف ما يحكى أن أول شعر قاله طرفة بن العبد اقترن بصيد القبرة. فإنه خرج مع عمه وكان ابن سبع، ونزلا على ماء، وذهب طرفة بفخ له، ونصبه للقنابر في موضع اسمه معمر، وانتـظر عمه يوماً ولكنـه لم يظفر بشيء، فعاد إلى عمه بفخه، وشـاهدا القنابر تلتقط الحب الذي نثره لها، بعد أن رحلا عن المكان فقال طرفة:

يـــالـك مـــن قـــبرة بمـعـمـــر
خـلا لك الجـو فبـيضـي واصفـري



قد رفع الفخ فماذا تحذري؟
ونقري ما شئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
لابد يوماً أن تصادي فاصبري

وفي الشعر الشعبي أشار الشاعر إلى طائر الحمرة بقوله:

الحمره تنزل بعال المراقيب
والحر الاشقر بالطهاره جلوسه

وقال خلف أبو زويد الشمري:

الحمره تدرك معوشة عياله
لى عاد ما يبغى منه باق الأحوال

من خواصها: لحمها يحبس البطن ويزيد في الباءة، وبيضها يفعل ذلك، وإذا ديف زبلها بريق إنسان وطلي به الثآليل قطعها.

العصفور

العصفور من الطيور المألوفة في البيوت والحدائق والبساتين والمزارع في جميع أنحاء العالم. يتغذى على الحبوب والثمار. لونه موحد في كل مكان؛ لون الأنثى باهت بين الصفرة والخضرة والرمادي، أما الذكر فمناكب أجنحته بنية، وعند حلقه نقطة سوداء، وكأنه مكحل العينين، ولذلك يسمى الكحالي والأنثى تسمى السليقا.

ويقول شاكر إن العصفور بضم العين وسكون الصاد، وفي رواية أخرى بفتح العين، والأنثى عُصفورة والجمع عصافير: طائر معروف وهو أنواع منها: النقاز، والنفر، والراعية، والحزق، والحمر، والصرار، وعصفور الشوك، وعصفور الجنة وهو الخطاف. وقيل يطلق اسم العصفور على كل ما هو دون الحمام من الطير قاطبة. أما المقصود هنا فهو النوع المعروف بالدوري (نسبة إلى دور السكن) وهو أشهرها. وكنية العصفور أبو الصعو. والصعو هو العصفور الصغير، وأبو محرز وأبو مزاحم، وأبو يعقوب.

وقد وردت في العصفور أمثلة كثيرة منها «أخف حلماً من العصفور»، «وأسفد من عصفور»، والعصفور مشهور بكثرة السفاد، حتى قيل أنه ربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة ولذلك قصر عمره. وقالوا أيضاً «أنزى من عصفور» ذلك لأن العصفور دائم الحركة لا يستقر أبداً ما كان خارج وكره، وقالوا «طارت عصافير راسه» كناية عن الكبر، وقالوا «عصفور في يدك خير من كركي في الهواء» وقالوا «العصفور في النزع، والصبيان في اللعب» وقالوا «كالعصفور إن أرسلته فات وإن قبضت عليه مات».

ويقول القلقشندي في صبح الأعشى «بضم العين، وحكى ابن رشيق في كتاب



الغرائب: فتحها. والأنثى: عصفورة، وكنيته: أبو الصعو، وأبو محرز، وأبو يعقوب. قال حمزة: سمي عصفوراً لأنه عصا وفر، وهو أنواع كثيرة، وأشهرها المعروف بالدوري، ووكره العمران تحت السقوف خوفاً من الجوارح، فإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها. وهو كثير السفاد، حتى إنه ربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة. وفرخه تدرب على الطيران حتى أنه يدعى فيجيب. قال الجاحظ: بلغني أنه يرجع من فرسخ» (١٩٨٥، ج٢: ٨٤).

وقال القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات قالوا الطير ضربان: أحدهما بهائم الطير وهي التي تلقط الحب، والآخر سباع الطير وهي التي تتغذى باللحم. والعصفور يشبهها جميعاً لأنه ليس بذي مخلب ويلقط الحب، وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر. وبين العصافير والحية عداوة، فإذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شقاشقها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبتها إلا جاءت إليها وصاحت معها، وربما تقرض الحية بمنقارها فتخرجها فيجتمع النمل عليها فتكون سبباً في هلاك الحية، وإن نهقت الحمير فسد بيض العصافير.

أما خواص العصفور فيقول القزويني: دمه يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلى به القضيب ولا يضع قدمه على الأرض، فإنه يرى شيئاً عجيباً من إفراط اللذة وكثرة الشهوة. ولحمه يهيج الباءة ويكثر الرياح، وبيضها من يتحسى به يكثر جماعه. ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرجه ويطلى به الناصور ينفعه نفعاً بينا. وذرقه يكتحل به يزيل الغشاوة، وإن شربه الإنسان في النبيذ يخر كالميت.

أما العصافير فكان الشعراء يضربون بأحلامها مثلاً لأحلام السفهاء. قال جرير يخاطب الفرزدق:

لا تفخرن وفي أديم مجاشع
حلم فليس سيوره بسيور

أبني شعيرة لم نجد لمجاشع
حلما يوازن ريشة العصفور

وأدرك القدامى حقيقة ضعف الإنسان، فقرنوا ذلك الضعف بضعف هذا الطائر، فشبهوا به أنفسهم من باب المجاز لغرض التصغير والتحقير وعدم القدرة. قال مجنون ليلى يشبه نفسه وما يعانيه من وجد واشتياق وبعد عن الحبيبة بعصفورة ربطها طفل وأذاقها العذاب:

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب
وسهم المنايا من وصالك أقرب



فبعد ووجد واشتياق ورجفة
فلا أنت تدنيني ولا أنا أقرب
كعصفورة في كف طفل يزمها
تذوق حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها
ولا الطير ذو ريش يطير فيذهب

وعبر بشار بن برد عن زيارته لمعشوقته قبل بزوغ الفجر، فقال:

لربما شاقني طيف بصورتها
وزرتها قبل أصوات العصافير

وقضى كلثوم بن عمرو العتابي ليلة ساهرا بحوارين مع محبوبته حتى انقبض الظلام، وتفلتت من ستائره أضواء الفجر الخفيفة:

ياليلة بحوارين ساهرة
حتى تكلم في الصبح العصافير

والعصفور يضرب به المثل في صدق الحس وشدة الحذر والفطنة والذكاء، لذلك يحرص الصائد على دفن الفخ جيدا في التراب حتى لا ينفر منها. وقد صور ذلك الشاعر أبو نواس في إحدى قصائده:

قد كاد هذا الفخ أن يعقرا
وانحرف العصفور أن ينقرا
غيبت بالترب عليه له
بالمستوى خشية أن ينفرا
حتى إذا أشرفها موفيا
وعاين الحب لها مظهرا
خاطبه من نفسه زاجر
قد كنت لا أرهب أن يزجرا
فأعمل الفكر قليلا فلا
يقتله الرحمن ما فكرا
فاحترت لا ونعم ساعة
ثم انجلى جند نعم مدبرا
فضم كشحيه إلى جؤجؤ
كان إذا استنجده شمرا
فلم يرعني غير تدويمه
آمن ما كنت له مضمرا

قال ابن الرومي:

أرى العصفور يعبث بالفخاخ
وما لخناقه فيها مراخي

وقال أعشى همدان:

قالت تعاتبني عرسي وتسألني
أين الدراهم عنا والدنانير
فقلت أنفقتها والله يخلفها
والدهر ذو مرة عسر وميسور
قالت فرزقك رزق غير متسع
وما لديك من الخيرات قطمير
وقد رضيت بأن تحيا على رمق
يوما فيوما كما تحيا العصافير

وقال ابن الرومي:

أرى رجالا قد خولوا نعما
في خفة الحلم كالعصافير
تبارك الله كيف يرزقهم
لكنه رزاق الخنازير



قال قعنب بن أم صاحب:

مثل العصافير أحلاما ومقدرة
لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا

وقال ذو الرمة:

ومنهل آجن كالغسل مختلط
باكرته قبل ترنيم العصافير

وقال امرؤ القيس:

كما راع ممسى الليل أو مستوى الضحى
عصافير حجران الجنينة أجدل

وقال العوام بن شوذب:

فلو أنها عصفورة لحسبتها
مسومة تدعو عبيدا وأزنما

وقال حسان بن ثابت:

لابأس بالقوم من طول ومن قصر
جسم البغال وأحلام العصافير

وقال آخر:

رأى في النوم عصفورا
فوارى نفسه أشهرا

وقال ابن المعتز:

فكم عناق لنا وكم قبل
مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة
من النواطير يانع الرطب

وقال علي بن مقرب العيوني:

وارغب بنفسك أن تقيم ببلدة
عصفورها يسطو بشهب بزاتها

وقال أحمد الصافي النجفي:

تغني أيها العصفور صبحا
فقل لي ما لنفسي لا تغني
لقد جاء الربيع بكل زهر
وزين في الخمائل كل غصن

وقال الرصافي:

فأطربني والديك مشج صياحه
ترنم عصفور يزقزق في وكر

أما الأمثال الشعبية فورد فيها قولهم «عصافير سدره» ويضرب لكثرة اللغط والأصوات المختلطة المتداخلة، ويكثر صخب العصافير حين ترى اليؤيؤ إذ هو من أعدائها، قالوا في المثل «عصافير وشافت الجلمه» وكذلك قالوا «كنهم عصافير شايفة داب»، واستعير هذا الموقف للدلالة على خوف الإنسان نفسه قالوا «طيّر عصافير قلبه»، ولأنه صخاب يضرب به المثل أيضاً قالوا «العصفور يقاقي والرجّال يلاقي» ويضرب المثل للجبناء الذين لا يحسنون سوى صخب العصفور الضعيف، ولذلك فإنه يضرب به المثل أيضاً فيقال «عصفور ما يسوى الكيله» إذ الطلقة النارية أغلى منه ثمناً، ولكنه على قلته إذا حصل خير من كثير غير محصل «عصفور في اليد اخير من عشرة على الشجرة»، وقالوا «عصفورين بحجر» يضربون هذا المثل لحسن التوفيق. والعصفور على ضعفه وخفته قد يكون



له تأثير لأن «العصفور يهزع الرشا»، وقالوا «عصافير الفرعه رزقها في وشيقر»، و«عصفور طويّه: يا الله هاته، يا الله ردّه»، والعصافير على ضعفها مهددة لمحاصيل الإنسان ولكن تهديدها لا يمنعه من العمل قالوا «لو حسبنا للعصافير ما زرعنا الدخن» ويضرب للحث على العمل بعزيمة والمغامرة في ذلك.

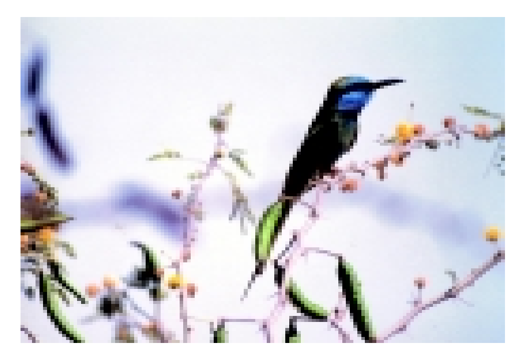
وسائل صيد الطيور الصغيرة

تعد أراضي الجزيرة العربية من بين أهم مناطق عبور الطيور، أثناء هجرتها في الشتاء من المناطق الشمالية في أوروبا وآسيا، إلى المناطق الجنوبية الدافئة حيث يمر بأجوائها، وخصوصاً على المناطق الساحلية الشرقية والغربية، مئات الآلاف من هذه الطيور. وبعضها يشتو في المملكة العربية السعودية، والبعض يمر بها في طريقه إلى إفريقيا. وهناك أيضاً بعض أنواع الطيور النادرة في العالم تستوطن المملكة وتتكاثر فيها. ويعد صيد الطيور من الهوايات أو الحرف القديمة التي مارسها ويمارسها كثيرون من أهالي المملكة كبارهم وصغارهم. وقد أتينا على ذكر معظم هذه الطيور وتحدثنا عنها بشيء من التفصيل ومن أهمها:

طيور تصاد بالفخاخ والمجلاد وما يشبهها: وهي طيور موسمية تأتي مهاجرة من الشمال في أواخر الخريف، وتعود من الجنوب إلى مواطنها في أوائل الربيع من كل عام. ويقوم الصيادون بالاستعداد لها للحصول على أكبر عدد ممكن منها أثناء رحلتي القدوم والعودة. وكانت تصاد قديماً بالشباك والأحابيل والفخاخ الكبيرة والمجلاد وما يشابهها، وبعد أن ظهرت الأسلحة والبنادق استخدمت بإسراف في صيد أعداد كبيرة منها. وما زالت البنادق تستخدم في صيدها، رغم إصدار نظام الصيد في المملكة، الذي يمنع استخدام بنادق الشوزن في الصيد، ويسمح باستخدام الصقور والكلاب فقط، ويحدد شروطاً معينة لصيد هذه الأنواع ويمنع صيد الأنواع المهددة بالانقراض منها.

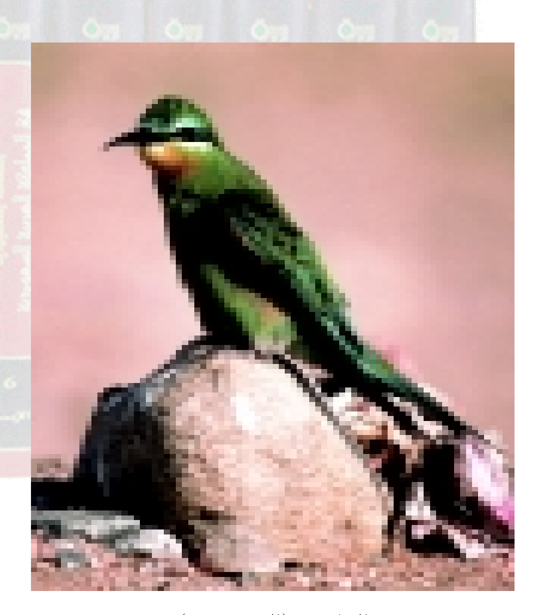
وتضم هذه المجموعة من الطيور عدداً كبيراً من الأنواع منها الخضاري، وهو طائر في حجم الحمام، أزرق الظهر مع خضرة، أخضر البطن، وأطراف أجنحته سود ورقبته خضراء رمادية، وبه تكحيل قرب عينيه. يتغذى على الجراد والحشرات المشابهة ويأكل الثمار، وفي لحمه زخم مثل زخم الغرنوق. يأتي مهاجراً في فصل الخريف ليبقى بعض





وروار أخضر (قرار)

الوقت ثم يواصل هجرته. لا يتكاثر في المملكة. ومنها القارور أو لعبة المطر أو الشحرور، ويسمى أيضاً آكل النحل، وحجمه أكبر من حجم العصفور بشيء قليل، يتراوح لون الظهر بين الأخضر والأصفر، البطن خضراء، وأطراف الجناحين سود. ومنقاره كبير نسبياً، يطير



القارور (الشحرور)

في مجموعات نهاراً وليلاً خاصة في الليالي المقمرة والأيام الممطرة. له صوت جميل على وقع «قرر.. قرر» في نغمة عذبة. وهو من أوائل الطيور التي تصل إلى المملكة في طريق هجرتها أوائل فصل الخريف. يسهل صيد أعداد كبيرة منه لكثرة أعداده التي تأتي في أسراب كثيفة تقع على الأشجار فيسهل صيدها، ولا زخم في لحمه.

ومنها الصفارى، وهو طائر دون الحمام حجماً أيضاً يغلب اللون الأصفر عليه كله، ويختلط اللون الأصفر في ظهر الأنثى منه بخضرة أو غبرة. أما الذكر فهو أصفر اللون كله وأطراف جناحيه وذيله سود يتغذى على التمر في رءوس النخل كما يلقط العنب من الكروم. ويشبه طائر الخضاري في طريقة طيرانه من حيث أنه يقبض جناحيه ويبسطهما ليطير، ولا يرفرف بهما في طيرانه. يبقى في المملكة طول فصل الخريف حيث يصاد. وهو سمين طيب اللحم لا رائحة له ولا زخم فيه، ويغني الواحد منه عن ثلاثة مما سواه من الأنواع المماثلة في الحجم.

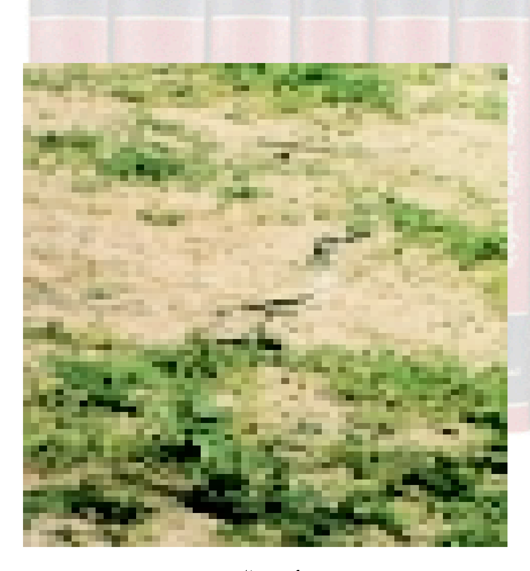
ومنها مالك الحزين أو المالكي، وهو طائر أكبر حجماً من سابقيه إذ إنه في حجم البط المتوسط لونه أبيض مع مسحة



من غبرة، رقبته طويلة ومنقاره ضخم طويل، يحفر به في التربة ليبحث عن الديدان التي يتغذى عليها، وساقاه طويلان. يأتي إلى المملكة مهاجراً في فصل الخريف، حيث يحط على الأشجار قرب موارد المياه، ولا يبقى في المملكة طويلاً حتى يواصل رحلة هجرته إلى الجنوب. تصاد منه أعداد كبيرة إلا أنها تكون مهزولة مع رائحة في لحمه وزخم يشبه زخم لحم الخضاري والغرنوق.

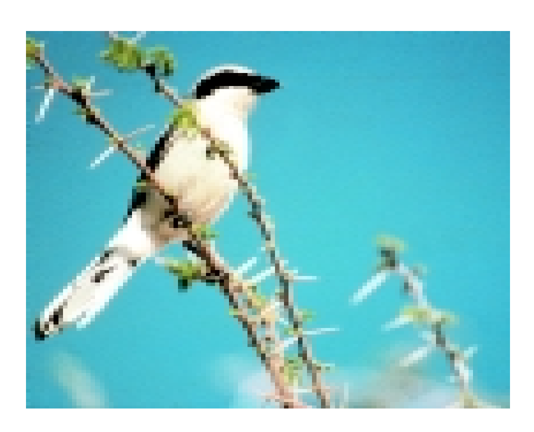
طيور تصاد بالفخاخ أو النباطه: وهذه كثيراً ما يصطادها الصغار قبل الكبار، ويقضون أوقاتاً ممتعة في ممارسة صيدها، تنتهي بوجبة أو وجبات شهية طيبة من لحومها. وتشمل طيور هذه المجموعة العصافير، وهي الطيور الصغيرة الحجم المعروفة بالحذر، وأنثى العصفور يقال لها الحريرا. وفي القصيم يسمونها أمّيه. أما الذكر فهو الكحالي المعروف بشدة الحذر، ولذلك يقول العوام عن الشخص الحذر «فْلان مثل الكحالي». وهو يشتهر لدى كبار السن بذكائه، حتى إنهم يحكون عنه أنه في الشتاء يطلب من أنثاه أن تبقى في وجه العش حتى تحميه من البرد، وفي الصيف يطلب منها أن تكون بالداخل، ويستأثر هو بالبراد. ومنها الدخّله، وهي الأنثى ويقال للذكر شيخ الدخّل، ويعرف بصفار في حلقه يميزه عن أنثاه. ومنها أم سويد وهو طائر أسود بحجم العصفور تقريباً ويسمى الشوّله أيضاً لأنه ما يزال يشول بذنبه، يستدرجه الأطفال نحو الفخ بترديدهم القول «أم سويد الزرير»، بصوت جميل ولحن لطيف، يصاحبه صفير بالفم مما يغري الطائر بأن يدرج نحو الفخ ليقع فيه بدلاً من أن يطير.

ومنها أم سالم وهو طائر المكاء، طائر جميل رشيق، ترابي أغبر اللون في حجم الصرد وأصغر من الحمام. يصدح بأغاريد شجية في وقت الربيع. يقول فيه الشاعر محمد بن دخيل الله الأزيمع:

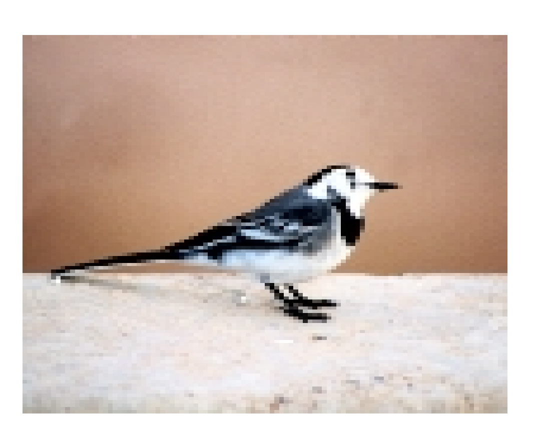


أم سالم





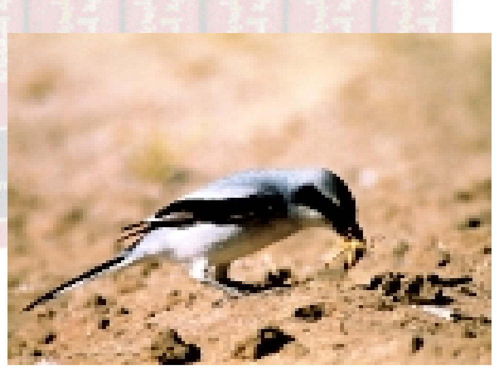
الصرد



الصرد (السرد)

يـام سـالـم ثـريــك مـنـافـقـيـه
طـول يـومـك تجـرّيـن الـغـوانـي

ومنها الصرد، وهو طائر جارح أكبر حجماً من العصفور يصاد بالفخ أو الحقة، مشهور بحدة النظر وسرعة النقر. يدعو به الصغار بعضـهم على بعض بقولهم «جعلك الصرد اللي ينقـر عينك». ولا يحل أكله بل يصاد ويلقى به، وهو فعل محرم. ومنها العرقبي وهو طائر رمادي اللون أكبر قليلاً في حجمه من العصفور.



الصرد سريع النقر

ومنها الحجل بأنواعه المعروفة وألوانه التي تماثل إلى حد كبير لون البيئة التي يعيش فيها. يقولون في الأمثال الشعبية «مثـل عيال الحجلة».

ومنها الـصعو وهو طائر في مـثل حجم العصفور، جميل رشيق متناسق، يتراقص عند وقوفه، سمين لذيذ الطعم يتـميـز بألوان زاهـية تـضم الأصـفر والأخضـر والرمادي، فـمنه الأصفـر الفاتح بكامل جسمه ويسمى الشويخه، ومنه الأخضر الظهر الأصفر البطن ذو الرأس الأسود ويسمى سودا راس، ومنه الأخضر الـظهر الضـارب إلى الزرقة الأصفر البطن رمادي الرأس وبه تكحيل قرب عينيه، ومنه الأخضر الظهر رمادي البطـن المكحل بالـبياض وهو أشدهـا حذراً. ويعـتقد العـامة أنه لا يبيـض، ولذلك يضربون به المثل في قولهم «مثل



بيض الصعو يذكر ولا يشاف»، وقولهم «ليا بيض الصعو»، وذلك عند استحالة الشيء أو عدم الوفاء به. ويقولون في الأمثال العامية أيضاً «فلان مثل حمار الصعو»، ويضرب للشخص الذي يكون قاعدة تجمع لأقرانه، لأن الصعو يكثر الوقوع على ظهور الحمير، ربما للتغذية على حشرات تلازمها. ويقولون «فلان لسانه تزلق به الصعوه». وللصعو من الذكاء وقوة الملاحظة ما يجعله يفطن إلى وجود الشراك والفخاخ، ويحذر أقرانه من الاقتراب منها، وذلك بإصدار أصوات معينة، وقد يطير قليلاً ثم يحط وهو يصدر أصوات التحذير، ويسميه العامة لذلك الطارود أو الطاروده. ومنها الزغبر، وهو أيضاً طائر رشيق جميل في حجم الصعو، حتى إنهم يظنونه أنثى الصعو إذ إنه يشبهه في كل شيء إلا لون ريشه، إذ إنه بشكل عام ذو ظهر رمادي غامق وبطن رمادي فاتح أو مبيض ورأس وذيل أسودين. وعلى حنجرته نقطة سوداء مثلثة الشكل. وهو مثل الصعو من آكلي الحشرات والديدان.

وهناك البزباز ذو اللون البني المنقط بالذهبي وهو بحجم سابقيه، إلا أنه يتصف بالغباء عامة ويطلق عليه العامة اسم اخو حمده. ومنها القوبعه وهي من أشد الطيور إغارة على الزروع ولذلك يرجمها الفلاح. ومنها القنابر أو العقلاء، أم عريف، ومنها الحمَّر (الواحدة حمَّره)، وهي أيضاً بحجم العصفور تعيش في المناطق البرية على بذور النباتات الفطرية وحبوبها، كما تعيش قرب المزارع في القرى، ولونها ترابي أغبر يقترب من لون التربة. وهي مسالمة وديعة من أكسل الطيور في إعداد عشها، ومن أقلها مبالاة ببيضها وفراخها. فكل ما تفعله لوضع العش هو أن تضع أفحوصة صغيرة بقدر مجثمها، وتضع فيها من بيضتين إلى ثلاث بيضات ترقد عليها. وتتجاور أفاحيص الحمر في نفس المكان، لا يفصل بينها سوى أمتار معدودة. ويضرب العامة المثل بالحمَّرة في إدراكها معيشة أفراخها رغم قناعتها ومسالمتها. يقول الشاعر خلف ابو زويد الشمري:

الحمّره تدرك معيشة عياله
لى عاد ما يبغى منه باق الأحوال

وهناك عدد من أنواع المصائد التقليدية التي كان لها دورها في حياة الأجداد في الماضي، منها المشرعة والمفقاس والضاروب والمرجامه (المقلاع) والفخاخ والشّرِكه والمجلاد والطبق والتبييت والنباطه (النبله). وكلها تستخدم لصيد



الطيور، الصغيرة الحجم منها أو الكبيرة. وقد اندثرت معظمها ولم يعد لها وجود.

الضاروب. ورد ذكر الضاروب في الشعر الشعبي في قول ابن جعيثن يصف الدنيا:

أشوف ما أحد من غثاها سالم
كل بوجهه مفقع ضاروبها

ويتركب الضاروب من عدة أجزاء تشمل عصوين من خشب الأثل القوي، أولاهما بطول المتر تقريباً، والثانية أقصر منها بحوالي ٢٠سم مذببة الطرف تسمى المزوار، وهناك الطبله، وقطعة مناسبة من القماش لتغطية الطبلة، وفخ كبير يعد من عسيب النخل أو من عذوقها بحيث يأخذ شكل نصف دائرة، وحبل من المطاط بطول يتناسب مع حجم الفخ، ويسمى خنزيرا، وخرزة كبيرة اسطوانية الشكل تؤخذ من عظم ساق الضأن أو الماعز، ثم حبل من قماش مبروم بطول يتناسب مع حجم الضاروب، ويسمى مقطيه. وتتوقف جودة أداء الضاروب على هذا الحبل، لأنه هو الذي يمسك بالطائر ويعوق حركته، ولذلك يجرى اختياره بعناية شديدة.

وجاء في كتاب تراث الأجداد أنه يستخدم الضاروب لصيد الطيور كبيرة الحجم كالكروان، الذي يصاد ليلا، والحمام الذي يصاد نهاراً، وذلك بأن يقوم الصياد بدفن الضاروب إلى أن يواريه التراب تماماً، ثم يثبت على جانبيه عودين طول كل منها نحو عشرة سنتيمترات، في رأس كل منهما دودة صفراء تسمى السرو، وهي الطعم الذي يغري الطائر بالاقتراب من الضاروب. ويقوم الصياد بسد جميع الطرق المؤدية إلى الضاروب ببعض العيدان والحجارة، بطريقة تسمى خزاز بحيث لا يترك سوى طريق واحد، يتعين على الطائر أن يسلكه لكي يصل إلى الضاروب، حتى يضمن صيده. فإذا أقبل الطائر محاولاً تناول الطعم أطبق عليه الضاروب، بحيث يزيد عليه الخناق كلما حاول منه الفكاك. ويأتي الصياد ليخلص صيده وينعم به، ويعد ضاروبه لصيد آخر سمين (القويعي ١٩٨٢، ج٢: ٢٩١-٢٩٢).

المرجامه (المقلاع). تنسج من الصوف الملون، بحيث يكون لها قاعدة بيضية الشكل، طولها نحو ثمانية عشر سنتيمتراً، وعرضها نحو سبع سنتيمترات، وهي معدة لوضع الحجر الذي سيلقى به، ويربط بها ذراعان من القماش المفتول بطول نحو ستين سنتيمتراً، يستخدمان للتصويب وإكساب الحجر قوة الدفع اللازمة. وهناك من



الصيادين من يجيد استخدامها بمهارة فائقة حتى قل أن يخطيء هدفه. وقد تستخدم المرجامه أو المقلاع لطرد العصافير وغيرها من الطيور عن الزرع والحب، حيث يختبئ مستخدمها في كوخ صغير، يجعل في وسط المزارع يسمى القصبه، ويقوم بطرد الطيور عن الزرع، بأن يجعل في المقلاع كومة من التراب الرطب على هيئة كرة، بحيث إذا قذف به الطير المتجمع على الزرع تناثر عليه، فأخافه وأبعده دون أن يضر بالزرع، وهذا من صائب ممارسات العوام.

وتسمى المرجامه أيضاً محذفه، والجمع محاذف لأن الصائد يحذفها بها. وقد ورد لفظ المقلاع في الشعر الشعبي في قول الشاعر سليم بن عبداحي.

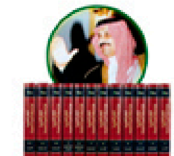
حسبه سطا بى سطوة بين الاضلاع

سوّى بقلبي مثل ضرب المقاليع

الفخ. وهناك الفخاخ التي يحبلها الصبية لصيد الطيور في الأماكن التي توجد فيها. والفخ قطعة من عسيب النخل أو عرجونه، تحنى على شكل نصف دائرة قطرها من سبعة إلى عشرة سنتيمترات، وقد تكون أكبر أو أصغر من ذلك. ويحبل الفخ ويوضع فيه طعم، ثم يحفر له في الأرض قليلاً ويدفن، ويغطى بتراب ناعم خفيف، ويوضع خلفه أعواد صغيرة تمنع الصيد من إتيانه من الخلف. ومتى جاءت الصيدة من الأمام، ونقرت الطعم قفز الفخ بها وصادها. وللصيادين طرق فنية في حبل الفخ بحيث يجعلونه يطبق على الصيدة إما على الرقبة، أو مع وسط الجسم، أو مع الأرجل، أو الأجنحة.

وتأتي فخاخ صيد الطيور، التي تتخذ من عسب النخل وعذوقه، على ثلاثة أحجام: كبير يتراوح قطره بين عشرين وخمسة وعشرين سنتيمتراً، ويصاد به الحمام والقطا والكروان والحجل وما في حجمها، ومتوسط الحجم يتراوح قطره بين سبعة سنتيمترات وخمسة عشر سنتيمتراً، ويتخذ لصيد القنابر (العقلاء) وما في مستواها، وصغير يكون قطره ما بين خمسة وسبعة سنتيمترات، لصيد العصافير والصعو وما في مستواها. وقد تصنع الفخاخ متوسطة الحجم وصغيرته من قرن الماعز على قدر طول القرن، وتسمى القَحَّه أو الحقَّه وتستخدم بالطريقة نفسها التي تستخدم بها فخاخ عسيب النخل.

ويوضع الطعم في الفخ بحيث يناسب الطير المراد صيده، فإن كان الطائر من آكلات الحب، كالحمام والقطا والقنابر والكروان والحجل، يوضع له الطعم،



وهو عبارة عن نظيم من الحب ينقع في الماء ثم ينظم في سلك رفيع، أو سنبلة صغيرة من سنابل القمح الصلب (اللقيمي)، وإن كان الطائر من آكلات الحشرات والديدان يكون الطعم من دود أصفر طويل يسمى القصله (دودة الرمل)، يجده الصيادون في الرمل الناعم. ويكثر تحت الحرمل.

ويقوم الصبية، بعد نصب فخاخهم، باستدراج الطيور إليها عن طريق الحداء لها، فيرددون أحديتهم التي منها «ياعبوه ياعبوه والطعم تناهبوه، يازغيبران أبا البرّان، يادقاق الريش العنكريش وغيرها من الأحديات التي يعتقدون أنها تجعل الطيور تنساق وئيداً إلى الفخاخ، فتقع بها وينعم الصغار بصيدهم منها.

المقفاس. نوع من الفخاخ يتخذ من الطرف الدقيق الطري من جريدة النخلة. يربط في أعلاه خيط يمتد حتى ينفذ بتان منه في ثقب أسفل الجريدة، ويعقد الخيط عقدتين إحداهما قبل الثقب والأخرى في طرفه بعد الثقب وينفذ في كل عقدة عويد يمنع الخيط أن يتجاوز مداه. وينصب الفخ بأن يغرس الجزء المتين منه على جدول الماء إلى قريب من الثقب. ويشد الخيط بقوة حتى تتقوس الجريدة ثم يسد الثقب، لمنع انفلات الخيط، بعود كالغصن الصغير. ويفرد بتا الخيط على جانبي العود، فإذا وَقَع العصفور على العود ليشرب من الماء سقط العود ليتحرر الخيط فتجذبه الجريدة بقوة ثم يطبق بتا الخيط على رجلي العصفور.

الشرِكه. جمعها الشرك أو الشِراك، حبالة تكَون على حجمين: كبير لصيد الحمام والقطا والحجل والقمري والسماني، وصغير لصيد القنابر والعصافير والصعو. وتتكون الشّرِكه من حبل قوي قطره من عشرة ملليمترات إلى اثنى عشر ملليمترا بطول قد يصل إلى المتر، يثقل إلى الأرض، بربط أحد طرفيه بحجر في حجم قبضة اليد، ويربط عليه عيون بين كل عينين منها مسافة عشرة سنتيمترات تقريباً، بحيث يتناسب قطرها مع حجم الطير المرغوب صيده. وكانت هذه العيون تتخذ في السابق من شعر ذيل الحصان الأشهب (السبيب)، أو من شعر ذيل البعير (الهلب)، بحيث تدمج شعرتان أو ثلاث شعرات معاً وتصنع على هيئة حلقة، أو عين تفتح وتغلق، وتثبت على الحبل المشار إليه آنفاً. أما في الوقت الحاضر فتجعل العيون من خيوط النايلون وغيره من الألياف الصناعية القوية، ويكون بالشّرِكه الواحدة ما بين ست وعشر عيون.

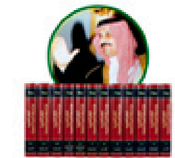


وتنصب الشّرِكه بأن يجعل الحبل على شكل دائرة تعلوها العيون أو الحلقات، ويدفن جسم الحبل في الأرض، وتبقى العيون خارجها، وتفتح العيون وتصف على هيئة دائرة، يحدد اتساعها طول الحبل المدفون، ويقارب ما بينها وتثبت بأعواد رفيعة عند الحاجة. ويوضع الطعم في مركز الدائرة. وتكون العيون بحيث لا يستطيع الطير أن يصل إلى الطعم إلا إذا مر من خلال عين منها، ولا يمكنه أن يمر فوقها. ويساوى التراب داخل الدائرة، ويزال أثر الأصابع، وينثر الحب أو الديدان داخلها، ويكمن الصياد غير بعيد عنها بحيث لا تلحظه الطيور.

فإذا جاء الصيد وأدخل رأسه، يريد أن يمر من العين لالتقاط الطعم انغلقت وأطبقت عليه، وتزداد انغلاقاً كلما حاول الخروج منها، حتى إنها لتمسك برقبتها وتضيق عليها تكاد تخنقها، إذا لم يسارع الصياد إليها ويفكها منها أو يذكيها، ويعيد نصب شركته من جديد لينال صيداً أكثر.

كما تنصب الشراك للقطا والحجل على الماء بحيث يدفن الحبل على طرف الماء وتبقى العيون ظاهرة، فإذا ورد الحجل أو القمري إلى الماء وقع في الشّرِكه. كما توضع الشراك على مداحي القطا حيث بيضه وفراخه أو في أعشاش الحبارى، والكراوين على بيضها فيمسك بها. أما السمان فشباكه أكبر يصل طولها إلى الخمسين متراً وعرضها إلى المترين وتوضع في طرف الزرع كالبرسيم أو القمح أو الشعير من حيث تكون الشمس، ففي الصباح الباكر تكون في شرقه وفي المساء تكون في غربه وتنصب مرتفعة. ويقوم الصيادون بالمشي في الزرع في اتجاه الشباك محدثين أصواتاً سواء بأفواههم أو بقرع الطبل أو بأي شيء آخر يحدث صوتاً فيسوقون السمان أمامهم فإذا وصل إلى نهاية الزرع اضطر للطيران حيث لا شيء يخفيه فيصطدم بالشباك التي لا يراها لأن طيرانه يكون مواجهاً للشمس وتكون الشباك قريبة منه فتمسك به.

المجلاد. عصا يتراوح طولها من متر إلى متر ونصف المتر، وسمكها من سنتيمترين ونصف السنتيمتر إلى ثلاثة سنتيمترات. يثبت طرفها جيداً بوتد في الأرض، ويخفى ذلك الوتد تماماً، ثم يدق وتد آخر على مسافة نصف طول العصا تقريباً من الوتد الأول، حتى إذا أمسك طرف العصا الثاني بهذا الوتد فإنها تنحني وتأخذ شكلاً نصف دائري موازيا لسطح الأرض. ويكون طرف الوتد الثاني

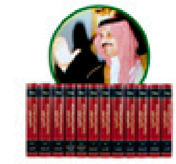


محنيا بدرجة قليلة، حتى يمسك بطرف العصا (المجلاد) مسكاً خفيفاً يُسَهِّل انفكاكها منه بحركة خفيفة، ويربط طرف المجلاد هذا بخيط قوي رفيع طويل. ويُغَطى المجلاد والوتدان والخيط بطبقة من التراب الناعم الخفيف، أو من التبن ودقاق القش بحيث يخفيه ويموهه فلا تراه الطيور. ويمسك الصياد بطرف خيط المجلاد يراقب تجمعها حول المجلاد. ومتى تجمعت الطيور لالتقاط الطعم، جذب المجلاد بهدوء ثم أفلته فجأة ليضرب الطيور التي تقف في نطاق حركته، فيصيب منها ما يصيب في أي موضع من جسمها يعوق حركتها، فيسرع الصياد إليها ويجمعها ويذكيها، وينصب المجلاد مرة أخرى بحثاً عن صيد جديد. وقد يصيد المجلاد في المرة الواحدة طيراً واحداً، وقد يصيد طيوراً كثيرة، حسب كثافة أعداد الطيور التي تكون في نطاق مرماه.

النباطه. تصاد بها العصافير والصعو والدخّل وما شاكلها من الصيور الصغيرة. وهي غصن شجرة رفيع متفرع على شكل الرقم ٧، ويؤخذ من شجر مرن مثل السدر أو الأثل، ويكون طول كل من فرعيه نحو ١٥سم. ويربط في كل طرف من طرفي الفرعين سير مطاطي مرن بطول حوالي ٢٠ سم وعرض سنتيمتر واحد. وتجمع نهايتي الشريطين المطاطين في قطعة مستطيلة من الجلد، طولها نحو ٧سم وعرضها ٤سم تقريباً. وتجمع حجارة ذات حجم مناسب مثل حجم البندقة، ويوضع الحجر في القطعة الجلدية بين الشريطين المطاطين ويمسك باليد ويجذب إلى الخلف ليكتسب قوة عند الرمي ثم يترك فجأة لينطلق بقوة نحو الهدف الذي صوب عليه بدقة. وهناك من الناس من يجيد استخدام النباطه والتسديد بها بدقة شديدة حتى إنهم يمكنهم بها صيد الأرنب إذا نفجت من مكان قريب من الرامي أثناء النهار أو أثناء الليل على ضوء مصابيح السيارات حيث لا تبتعد الأرنب كثيراً ولا تكون سريعة في ركضها فيمكنه إصابتها وأخذها. هذا بالإضافة إلى استخدامها في صيد الطيور التي في حجم الحمام والقنابر.

وقد تعوَّد الصغار بعد أن يبلغوا شيئاً من الصيد أن يمسحوا الفخ أو النباطه التي استخدموها في الصيد ببعض دمه، لتنال نصيبها منه، وتستمر معهم في الصيد الناجح، ولا تخيب رجاءهم في المرات التالية.

الطبق. وتصاد العصافير بالطبق. وهو الطبق المعروف الذي يستخدم لتنقية الحبوب من الشوائب. وهو مضفور من



الخوص وعراجين النخل على هيئة طبق ثقيل يـكون قطره من ٤٠ إلى ٦٠سم ويحيـط به إطار يرتفع حـوالي ٥سم. ينصب الطبق منكفئاً، ويجعل مائلاً برفعه على عود خشبي رهيف، بحيث يكون الطبق مستنداً على الأرض عند حافته، ومرفوعاً على العـود عند الحافة المقابلة لها. ويربط العود بخيط رفيع قوي يكفي لجذبه وإسقاطه. وينثر الصياد الحب تحت الطبق والقليل منه خارجه لتراه العصافير فتقبل إليه. ويكمن الصياد بعيداً بحيث لا تلحظه الطيور وهو ممسك بطرف الخيط الرفيع. ومـتى أتت العصافيـر لالتقاط الحب، وكثر عددها تحت الطبق، جذب الصياد الخيط، فيطبق الطبق على ما تحته من العصافير، ويأتـي الصائد ليمسكها من تحت الـطبق عصفوراً عـصفوراً ثم ينصب طـبقه من جديد، ويعيـد الكرة لإمساك عدد آخر من العصافير. ويمكن بهذه الطريقة أن يمسك بعشرات العصافير كل يوم.

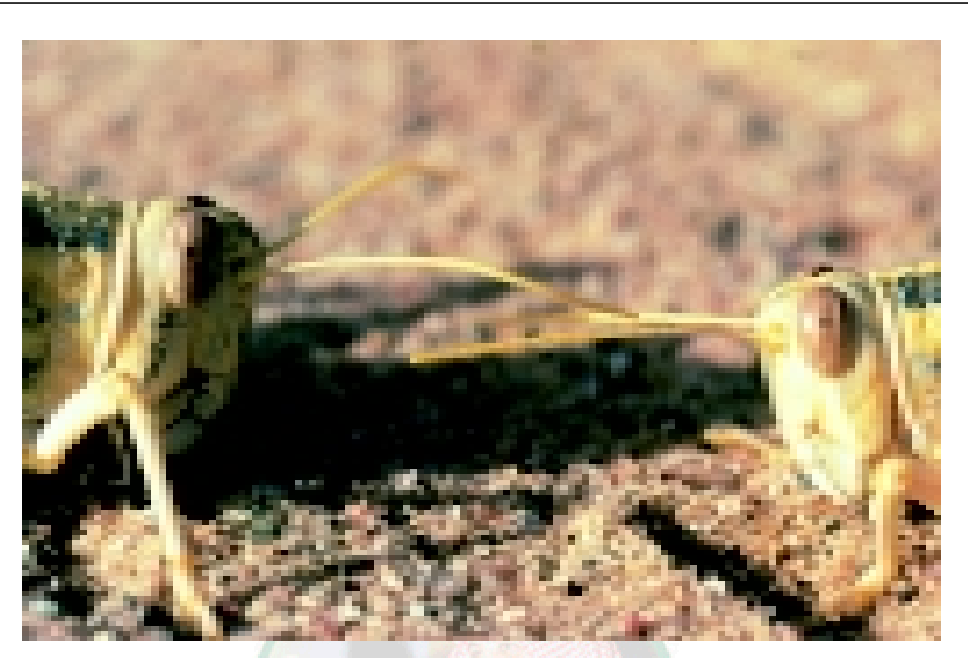
البندقية. بعد أن ظهرت البنادق أصبح صيد الطيور –وغيرها من أنواع الحيوان– أيسر كثيراً. ولا يستعمل لـصيد الطيور الذخيـرة ذات القصديـر الكبيـر، وإنما تستخدم بنـادق الفتيل، التي تعبأ بمـلح البارود مع حصيات بقدر حب الحمص تسمى الرشم، بحيث متى أصابت الطير تعيق طيرانه ولا تمزق لحمه. ثم جاءت بعدها بندقية القبسون التي تختلف عنها فقط في جهاز الإطلاق دون نوع الذخيرة المستـخدمة. وأخيراً جاء بـعدها بنادق الشوزل أو الشوزن ذات الذخيرة الجاهزة المعبأة بكريات من الرصاص قلما تخطئ الطيور المصوب عليها، وقد تصيد ما هو أكبـر منهـا من أنواع الـصيد الأخـرى كالأرانب والظباء.

وسائل أخرى. وهناك طريقة لـصيد العصافير التي تبيت في غرفة من الغرف المهجورة ذات السقف المرتفع، وتعشش بأعداد كبيرة في خبايا السقف وشقوقه، حيث يجري صيدها ليلاً بعد أن تدخل الغرفة لتبيت، فتسدد جميع المنافذ التي يمكن أن تخرج منها، ثم توقد نار كبيرة في وسـطها تـكفي لإضاءتـها، وتثـار العصافير من مكانها وأعشاشها بوساطة عصا طويـلة، حتى إذا خرجت بهرهـا ضوء النار، وسقطت على الأرض ذاهلة فيمسك بها.

الجراد

جاء في كتاب عـجائب المخلوقات وغرائب الموجودات أن الجراد صنـفان، أحدهـما يطـير في الهـواء، ويقال لـه





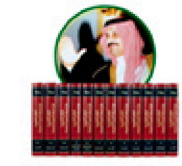
جرادتان متقابلتان تبيضان في أرض رخوة

الفارس، والآخر ينزو نزوانا، ويقال له الراجل، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت. وآفتها الطيور والبرد. ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض، وأكلت زرعها حتى قويت، ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت، كما فعلت في عامها الأول، وهكذا دأبها.

قال صاحب الفلاحة: إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها، بحيث لا يظهر أحد منهم، فإذا لم تر الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شيء منها، وإذا أحرقت شيئاً منها فإن البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها، أو تسقط وتموت.

ويضيف القزويني قائلاً: والجراد الطوال تشد على رقبة صاحب الحمى الربع تزول حماه، ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه، وكذلك صاحب عسر البول، ورماده ينفع من الناصور، قال ابن سينا: أرجلها تقلع الثآليل فيما يقال.

وعن خواص الجراد يقول الدميري: إذا تبخر الإنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول. وقال ابن سينا: إذا أُخذ منه

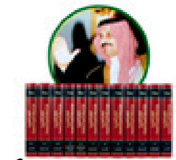


اثنتا عشرة جرادة ونزعت رؤوسها وأطرافها وجعل معها قليل من الآس اليابس وشربه صاحب الاستسقاء نفعه. والجراد الطويل العنق، إذا علقت على من به حمى الربع نفعه، وإذا طلي ببيضه وجوفه الكلف أبرأه.

أما عن رؤية الجراد في المنام فيقول الدميري: الجراد في الرؤيا جند الله لأنه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام وهو عذاب. والدبا منه ناس سيئة أخلاقهم، قبيحة سيرتهم. وإذا وقع في موضع يؤخذ ويؤجل فإنه خير ونعمة. وإذا رأى أنه جعله في جرة أو قدر، فإنه ينال دراهم ودنانير. وروى أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين رحمه الله، فقال: رأيت كأني أخذت جراداً فجعلته في جرة. فقال ابن سيرين: دراهم توصلها إلى امرأة، فكان كذلك. ومن رأى أنه يُمطر عليه جراد من ذهب عوضه الله ما ذهب منه، لقصة أيوب عليه السلام.

ويذكر الجاحظ أن الجراد الأعرابي لا يتقدمه شيء في طيب الأكل. ويقول: وما أحصي كم سمعت من الأعراب من يقول: ما شبعت منه قط، وما أدعه إلا خوفاً من عاقبته، أو لأني أعيا فأتركه. ويضيف الجاحظ قائلاً: والجراد يطيب أكله حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً، ومنظوماً بخيط ومجعولاً في الملة، أي الرماد الحار والجمر. والبيض الذي يتقدم في الطيب ثلاثة أجناس: بيض الأسبور وبيض الدجاج وبيض الجراد. وجاء في الأثر أن الجراد ذكر عند عمر # فقال «ليت لنا منه قفعة أو قفعتين» والقفعة وعاء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى. وهو يؤكل يابساً وغير يابس، ويجعل أدماً ونقلاً (١٩٨٨، ج٥: ٥٦٥-٥٦٦) والأدم: ما يؤكل بالخبز، والنقل: ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به، وكذلك قوائم الجراد تؤكل، وهي ست: يدان، ورجلان، والمنشاران، وبهما تعتمد إذا نزت أي قفزت.

وتفوق الجراد بأعدادها الكثيفة تجمع أي نوع من الحشرات المماثلة لها في الحجم، عجيبة بقيادتها الموحدة التي تتحكم في تحركات تلك الأعداد الهائلة التي تتحرك مثل قطع السحاب. ويبلغ طول السرب الواحد من الجراد في بعض الأحيان، عشرات بل مئات الكيلومترات، بعرض يصل إلى خمسة كيلومترات. ويضرب بكثرته المثل قالوا «جراد ياكل حيه نيه» أو «جراد ياكل حيه ميته» أي البقاء للأصلح ويضرب المثل للكثرة. وقالوا في المثل «جراده والا من جراد»، ويعني هل أنت لوحدك أم معك أحد غيرك.



وتتحرك أسراب الجراد طائرة في الهواء على مسافات متفاوتة في الارتفاع والانخفاض. وأحياناً يدنو السرب من الأرض حتى يكاد يلامسها، وأحياناً أخرى يرتفع إلى مئات الأمتار بحيث يحجب رؤية الشمس. قال الشاعر أبو تمام:

كأن الشمس جللها كسوف
أو استترت برِجْل من جراد

ويتحرك الجراد بهذه الأعداد الهائلة بقيادة جرادة واحدة. فإذا حان طيرانه نهض من الأرض مرة واحدة محدثا دوياً مسموعاً. وإذا حط ونزل على الأرض غطاها بما عليها من أشجار ونبات، وأحياناً تكون سماكته على الأرض حوالي ١٠سم. وكل أرض ينزل عليها يجردها من غطائها النباتي، ولذلك سُمّى جراداً. ولا يقل أولاد الجراد (الدبا) عن أمهاتها في المضرة. وكم سبَّب من الكوارث والمجاعات، وإن كان يستفاد منه للصيد والأكل وقت الحاجة، لكن فائدته لا تساوي شيئاً بالنسبة لمضرته. والجراد، منذ قديم الزمان، معروف بإتلافه للمحاصيل الزراعية.

واسم الجرادة العلمي هو الجراد المهاجر أو الأعرابي. ويكون لونه في الغالب بنياً، ويبلغ طول الجرادة حوالي ٥سم، ورأسها كبير بالنسبة لحجمها، وعيونها كبيرة أيضاً. ويوجد على الرأس، إضافة للعيون، قرنا



أسراب الجراد تطير بحثاً عن قوتها



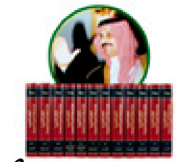


جاء في المثل «فلان مثل الجرادة ما ياقع إلا على خضرة»

استشعـار قصيران فوق العيـون. ورجلا الجرادة الخلـفيتان طويـلتان، متأقـلمتان للقفز. ويغطي ظهر الجرادة أربعة أجنحة، تنطوي بعـضها فوق بعض على المنـطقة الخلفية عندما لا تكون في حالة طيران. والجنـاحان الأمامـيان جلـديان، بيـنما الجناحان الخلفيان غشائيان شفافان. ويمكن لعديد من أنواع الجراد إصدار صوت عن طريق حكِّ أرجلها الخلفية الصلبة بأجنحتها الأمامية، وينتج عن هذا الاحتكاك ذبذبة للأجنحة هي مصدر الصوت.

ويسمي أهل الجزيرة رِجْلَـى الجرادة الطويلتين اللتين تنقز عليهما القصاميل، واحدها قصمول. يقال قصملتُ الجرادة أي قطعت أرجلهـا وريشها (أجنحتها) وقصاميلها قبل أكلها.

والجراد واسع الانتشار إذ هو في جميع القارات تقريباً. وينتقل مسبباً أضراراً هائلة للمحاصيل المـنزرعة والنباتات المختلفة. ولا يوجـد الجراد فـي المنـاطق شـديدة البرودة. ويهاجر الجراد في أسراب كثيفة هائلـة العدد تنـزل على الحقول الخـضر وتغطيها ولا تلبث أن تأتي عليها. وهي تأكل الأوراق الخضر والبراعم والأغصان الغضة. ولذلك قالـوا في المثل «جراده؛ مضمون لها الحيا»، أي أنهـا تطير باحثة عن الأعشاب والأشجار الخضراء. وتضع إناث الجراد بيوضها في التربة داخل غلاف





نـركض ومـن صـاد الجـرادة شـواها
ولـلـنـار مـن عـقّـب مـن المـال ديـنـار

خارجي يحتوي على حوالي خمسة وعشرين بيضة. وقد يغطي سرب واحد من الجراد، يقطع البحر الأحمر، مساحة تقدر بحوالي ٥٢٠٠ كيلومتر مربع. وقد تكون أسراب الجراد المهاجرة من الكبر بمكان، بحيث أنها في بعض الأحيان تحجب ضوء الشمس. وللجراد أهمية كبيرة في جزيرة العرب منذ العصور القديمة، وحتى وقتنا الحاضر، فإضافة لما يسببه من أضرار فادحة في المحاصيل الزراعية، فإنه كان يستخدم فيها حتى وقت قريب غذاءً. لذا فإن الجراد ورد ذكره في التراث العربي القديم والحديث.

كما ورد ذكر الجراد في القرآن الكريم. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ (الأعراف: ١٣٣). وقال تعالى ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشِرٍ﴾ (القمر: ٧).

وقد أعطت العرب لكل مرحلة من مراحل نمو الجرادة اسماً يناسبها ويدل على صفاتها. يقال: قد سرأت الجرادة تسرأ سرءا، إذا وضعت بيضها، وتقول لها البادية غرزت، كما تقول جراد مغرز أي غرز رءوس أذنابه في الأرض لوضع البيض. فإذا خرج من بيضه فهو دبأ والواحدة دباة، ويخرج أصهب إلى البياض. فإذا اصفر وتلونت فيه خطوط واسْوَدَّ فهو يرقان. يقال رأيت دباً يرقاناً والواحدة يرقانة. فإذا بدت فيه خطوط سود وبيض وصفر فهو المسيح. فإذا بدا حجم جناحه فذلك الكتفان، لأنه حينئذ يكتف المشي، أي يحرك كتفيه في المشي. فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر إلى الغبرة فهو الغوغاء، والواحدة غوغاءة، وذلك حين يستقل ويموج بعضه في بعضه، ولا يتوجه جهةً. ولذلك قيل لرعاع الناس غوغاء. فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة وبقي بعض الحمرة واختلف في ألوانه، فهو الخيفان، والواحدة خيفانة. ومن ثم



قيل للفرس خيفانة وذلك لخفتها، ويضرب بها المثل الشعبي «كنه خيفانه». فإذا اصفرت الذكورة واسودت الإناث ذهبت عنه أسماء غير الجراد. فإذا باض قيل: قد غرز الجراد، وقد رزَّ، أي أثبت ذنبه في الأرض ليبيض. فإذا كثر الجراد في السماء وكثف، فذلك السُّد. ويقال: رأيت سداً من جراد، ورأيت رِجْلاً من جراد، للكثير منه (الجاحظ ١٩٨٨، ج٥: ٥٥١-٥٥٢). وفي الحقيقة أن رِجْل الجراد هي طائفة كبيرة من الجراد تنفصل عن المجموعة الأصلية وتطير في اتجاه مخالف لها. ويطلق لفظ جرادة على الذكر والأنثى منه، يقال هذه جرادة ذكر، وهذه جرادة أنثى. وتكنى الجرادة أم عوف قال أبو عطاء السندي:

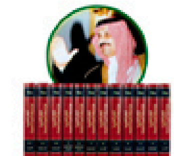
وما صفراء تكنى أم عوف
كأن رُجَيْلتيها منجلان

وذلك لأن المنطقة السفلى من رجليها الخلفيتين مسننة كالمنشار فوصفهما بأنهما يشبهان المنجل الذي تحصد به الزروع. قيل لأعرابي: ألك زرع؟ قال: نعم، ولكن أتانا رِجْل من جراد، بمثل مناجل الحصاد، فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول. وكان أعرابي قد زرع برا له، فلما استوى على سوقه وجاد سنبله، أتاه رِجْل من جراد فعاث فيه الفساد، والرجل ينظر إليه لا يدري ماذا يحتال له فأنشد يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له
لا تأكلنَّ ولا تشغل بإفسادٍ
فقام منهم خطيب فوق سنبلةٍ
إنا على سفر لا بُدَّ من زادِ

والجراد منه الإناث ويسمى المكن (مفرده مِكنه، وتسمى أيضا النص أو الرز أو الدَّمون)، ومنه الذكور ويسمى الزعيري وهو خفيف الوزن، حتى ضرب به المثل الشعبي «الزعيري يطلع من القفّه»، والزعيري ذكور الجراد ولونه أصفر وهو خفيف سريع الحركة، والقفّه ما يجمع بها الجراد في بعض المناطق. والمكن عند أهل الجزيرة أنثى الجرادة المليئة بالبيض، يقولون «جرادة مكون» عن أنثى الجراد و«ضبة مكون» عن أنثى الضب، أي مملوءة بالبيض. ويسمون مكون الجرادة أيضاً المضمة كما يطلق على بيض الجراد مسمى النص وتسميه البادية الرز. يقولون: «جرادة منصنصه» أي مكون، و«جراد منصنص» أي مكن. ويقولون أيضاً «نتش الجراد الأرض» أي أكل زرعها.

ويطلق أهل الجزيرة على الجزء السفلي من عمود الجراد الرحى، حيث أن الجراد يشكل أثناء طيرانه، قبل التبييض، عموداً يشبه الإعصار، يطير



بحركة دائرية. فالخفيف الوزن منه وهو الزعيري (الذكور صفر اللون)، يكون في أعلى العمود، بينما تكون المكن (الإناث الثقيلة المليئة بالبيض)، في أسفل العمود. قالوا في المثل الشعبي «الزعيري يركب المكن»، أي الذكور تركب الإناث ويعني الأمر الطبيعي. والجراد الكثيف هو التهاميه. وإذا انفردت مجموعة من الجراد قيل لها رجل جراد.

وأول ما تقدم أسراب الجراد الكثيفة المهاجرة في فصل الشتاء غالباً. وعندما تفد تكون هزيلة حمراء اللون وتسمى البحاري وهو ما يقدم من السودان عبر البحر الأحمر. وبعد أن ترعى وتتغذى تسمن ويتغير لونها لتكتسب الذكور اللون الأصفر الفاتح، بينما يصبح لون الإناث وسطاً بين الأصفر والرمادي، وتكتظ بطونها بالبيض، أي تكون منصنصة أو مكون. وعندما يكتمل نضج البيض تغرز أذنابها في التربة بباطن الأرض على عمق يتراوح من ٣ إلى ٧سم. وتضع بيضها ملفوفاً في أكياس لزجة تجف فوق البيض وتحميه من المؤثرات الخارجية غير الملائمة. ويفقس البيض عادة خلال ثلاثة أسابيع، إلا أنه قد يستغرق مدة أطول من ذلك. وعند فقس البيض تخرج منه الحوريات وهي الدبا، بأعداد كثيفة تغطي سطح الأرض التي تسير عليها. قالوا في المثل الشعبي «أكثر من عيال الجراد». وتسمى الرهالي وتلتهم الأخضر واليابس وتترك الأرض جرداء. قالوا في المثل الشعبي «الجراده مضمون لها كبر راسها من الحصاة»، أي أن الجراد يأكل كل شيء ربما حتى الصخر. ولكنها مأكولة أيضاً يأكلها الضب حتى ضرب بذلك المثل قالوا «الضب شبعان دبا»، والدبا أولاد الجراد، ويعني اكتفاء الإنسان بما عنده، وقالوا «ضب جراد»، ويعني شدة الشبع بما لا مزيد عليه.

صيده. أهمية صيد الجراد في كثرته أما الجرادة الواحدة فهي تافهة فليست بصيد، قالوا في المثل «صيدة أم حبين: جراده»، وأم حبين نوع من السحالي، ويعني الأمر تفاهة الصائد والمصيد. يقول السويداء: تفد أسراب الجراد بأعداد هائلة كثيفة كقطع الغيم تحجب رؤية الشمس. وتطير هذه الأسراب مكونة كتلة واحدة كأنها الإعصار الهائج. يرتفع عمود الجراد إلى عنان السماء، ويسمى عموداً، والقاعدة تطير بحركة دائرية ملامسة للأرض تسمى رحى الجراد. وعادة تكون رحى الجراد من الإناث نظراً لثقلها بالبيض، والعمود الأعلى من الذكور، ونظرا لكثرته فإنه من العجز أن لا يصيد الإنسان كفايته منه؛ قالوا في المثل الشعبي «ما يشبع روحه من عمود الجراد»، يضرب للإنسان السلبي



الكسـول. وعندما تـفد أسراب الجراد، وتبيت بقرب البلد، أو يعلمون عنها، حتى ولو كان المكان بـعيداً، جاء إلى البلد أو النزل من يخبر به صائحا بأعلى صوته «يا جَرَّاد، الجراد بالمكان الفلاني». عند ذلك يسرع الناس إلى تجهـيز أوعيتهم من رزم وفراد وخياش ومقانب وركبوا إبلهم ودوابه وأسرعوا من ساعتهم إلى المكان المذكور. فإذا كان الوقت بارداً والهواء ساكناً أدرك الناس من الجراد ما يحتاجونه، وإن كـان الطقس بارداً بعض البرودة، أو يوجد فيه رياح، لا يسـتطيع الناس تحـصيل القدر المطلوب منه، لأن الجراد يبرد مع سكون الهواء، ويدفأ مع وجوده. وقد أخذوا من هذا النشاط مثلهم فقد يتعرض الجرّاد للأذى والخسارة يصور هـذا مثلهم، قالوا «راح يجرد وجْرِد»، وجرد: أخذ، أي أنه ذهب لطلب الفائدة وخسر.

وعادة يبدأ الجرَّاد بملء المقنب وهو كيس صغير يملؤه ثم يفرغه فـي الوعاء الكبير، مرة بعد أخرى حتى يمتلئ. ويصطاد الجَرَّاد الجراد من الشجر بقبضات كبيرة فـي كلتا يديه نظراً لكثافته على الـشجر. قالوا في المثل «جـراد مترادف»، أي جراد متراكـم ويضرب المثل للكثرة. وإذا كان هناك اثنان يساعد أحدهما الآخر، يتولى أحدهما فتح الوعاء والآخر يحشوه. فإن كـان الطقس بارداً يبقى الجراد لا يستطيع حراكاً ويجري قشه وتعبئته. والرجل الذي يعثر على الجراد يبقى معـه حتى يخيم عليه اللـيل ويبيت الجرّاد ليطمئن إلى بقائه في نفس المكان، فإن احتاج إلى نار كانت ضئيلة. قالوا في المثل الشعبي «ضو جراده» والجرادة الذين يصيدون الجراد وتكون ناره حسب مقتضى الحاجة، فأحياناً يغير الجراد مكانه فـينتقل يميناً أو شمالاً بمقدار يتراوح بين ١ و٥كم من مكانه الأول. وحينـما يأتي الناس لا يجدونه في مكانه، وأحياناً يتهمون المبيت للجراد بعدم الثقة.

وربما انخدع بعض الناس بكثرة الجراد حينما يكون منتشراً وقت الأصيل ويخبر الناس على هذا الأساس، ولكنه عندما يخيم الليل يدخل بالشجر ويختفي عن الناس، وهنا يأتي الاتهام مرة ثانية للرجل الذي بيته بأن الجراد خدعه. وهناك مثل يقول «جراد الزريقي». هذا الرجل ممن انخدع بكثرة الجراد عندما كان منتشراً، وعندما أخبر الناس حضروا ولم يجدوا ما أخبرهم به. وعندما لاموه على ذلك قال لهم: اتركوه حتى ينتشر في الغداة وعندها سوف ترون كثرته وتصدقوني. وبالطبع إذا انتشر مع شمس اليوم التالي طار عنهم. قالوا في المثل الشعبي «جرادة باليد ولا عـشر بالهوا» أي شيء قـليل



معك ولا كثير لا تملكه. والسرب القليل من الجراد يسمى كراعاً.

ومن الأهازيج التي تغنى عند صيد الجراد قولهم:

صيد الجراد مناقزه
وإذا نقز فانقز معه

ومما قاله هويشل بن عبدالله بن هويشل:

ليتني تاليت للي روّحوا للجراد
واتبع المكن في ممساه معهم واصيد
ودّي المكن الأوهم في يوم براد
كان ابا اجرد مع حوري وعنق الفريد

وبعد تعبئة الأوعية والرزم تحضر للبيوت ليعد للأكل، وقد يشوى أو يسلق بالماء، وهو سريع النضج حتى ضرب به المثل الشعبي «شواي جراده» ويضرب المثل للأمر التافه. أما سلقه فبأن يكون هناك قدور كبيرة ضخمة منصوبة على النار توقد تحتها نيران مسعرة. وعندما يفور الماء والملح يجري كب الجراد الحي بالماء الفائر ليموت فيه، ويحيط بالقدر أهل البيت، وكل واحد منهم معه خشبة صغيرة يغمس بها الجراد في القدر، بينما اثنان منهما يمسكان بالوعاء، ويكبان ما فيه. وبعد أن ينضج الجراد بالماء والملح، ونضجه سريع لا يستغرق دقيقة أو دقيقتين، يخرج من القدر، وينشر بسطوح المنازل، وعلى بيوت الشعر. ومتى طبخت الكمية التي صيدت، يبقى أخر طبخة بالقدر مُرَبَّصة بالماء، تسمى الربيص أو النقوعه، وتبرد، ويؤكل الجراد بعد الطبخ أو الشوي. وللنقوعه طعمها الخاص وبالذات عندما تبرد. وينزع من الجرادة أرجلها وقصاميلها، وهي الأرجل الطويلة وريشها أي أجنحتها، وأحياناً رأسها.

والجراد مفيد من الناحية الصحية لمن تعرف لديهم أمراض باطنية، ربما لأنه يأكل من كل شجر يمر عليها، ومع ذلك تبقى خلاصة هذه الأعشاب بأمعائه، ويكون لها تأثير على من يأكله. ويقول المثل «إذا جا الجراد انثر الدوا» إشارة إلى الاستفادة من الجراد بهذه الناحية. وبعد أن يجفف الجراد على سطوح المنازل أو على بيوت الشعر، يتم تخزينه كمتاع عند الحاجة. وينزع من إناث الجراد الجاف الملأى بالبيض المنصص (المكن) أرجلها وريشها ورأسها، وتسمى قنزوعه، وتطبخ مع المرقوق أو المطازيز عوضاً عن اللحم، ويكون لها مذاق ممتاز.

وقد يؤرخ بعض الناس بالجراد كأن يقولوا «جراد كذا...» ويضرب المثل بالجراد لكثرته، ويوصف الجيش الكثيف العدد بالجراد التهامي أو بالدبا الرهالي.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر الجراد كثيراً في التراث العربي. ونظراً



لأن الجراد يأتي على هيئة أسراب عظيمة ترى كالسحاب تكاد تسد الأفق وتحجب الشمس فقد شبه الشعراء الجيش العرمرم بالجراد. قال الفرزدق.

وإذا دعوت بني فُقَيْم جاءني
مِجّرٌ له العدد الذي لا يعدل

وإذا الربائع جاءني دفّاعها
موجاً كأنهم الجراد المرسل

المجر: هو الجيش كثير العدد. كما أكثر الشعراء من تشبيه الخيول بالجراد لإثارتها الغبار أثناء عدوها. قال جرير:

والخيل ساطعة الغبار كأنه
أجم يحرق أو رعيل جراد

وقال الفرزدق:

ومغبوقة دون العيال كأنها
جراد إذا أجلى مع الفزع الفجر

وقال أيضاً يفخر بقومه:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

ألوف ألوف من دروع ومن قنا
وخيل كريعان الجراد وحرشف

وقال مشبهاً كثرة النبل بالجراد:

ومسروحة مثل الجراد يسوقها
ممرٌّ قواه والسراء المعطّف

المسروحة: النبال، الممر: القوس المفتولة قواها، السراء: شجر تتخذ منه القسيّ. كما تعرض الشعراء في حديثهم عن الجراد للونين منها: الأسود والأصفر، فذو الرمة يذكر مفازة فيها جراد أسود يخرج أصواتاً تشبه أصوات الأوتار المشدودة، وقد باشر الرمضاء لا يحميه منها إلا أن يقفز من شدة اللسع، بينما الشمس تدور فوق رأسه ولا تغرب، قال:

دُويَّة ودجى ليْلٍ كأنهما
يمٌّ تراطن في حافاته الروم

يُضْحي بها الأرقط الجون القرا غرداً
كأنه زجل الأوتار مخطوم

معروريا رمض الرضراض يركضه
والشمس حيرى لها بالجو تدويم

أما الجراد الأصفر فيذكره إذ وقع في الماء وبصق فيه، فغير طعمه ليصير مراً، وغيّر لونه فاصفر، وصار آجنا قال:

وماء قديم العهد بالناس آجن
كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصق

وشبه امرؤ القيس فرسه بخيفانة لسرعتها فقال:

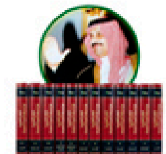
وأركب في الروع خيفانة
كسا وجهها سعف منتشر

وقال أبو تمام:

وإذا القسي العوج طارت نبلها
سوم الجراد يشيح حين يطارد

وقال ذو الرمة في وصف ذفر:

كأن الدبا الكتفان يكسو بصاقه
علابي حرجوج طويل وريدها



وقال المعقر البارقي:

وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه
جراد هفا في هبوة متطاير

الهبوة: المنخفض من الأرض

وقد ورد ذكر الجراد في كثير من أمثال العرب منها قولهم: «أصرد من جرادة»، و «أكثر نزوا من جرادة رمضة»، والرمضة التي أصابها الرمضاء، والنزو: الوثب. وقالوا: «أطيب من جرادة»، و «جاء القوم كالجراد المنتشر» أي متفرقين. و «أجرد من الجراد». و «أغوى من غوغاء الجراد». وقالوا «كالجراد لا يبقي ولا يذر»، يضرب في اشتداد الأمر واستئصال القوم. وقالوا «أحمى من مجير الجراد»، و «تمرة خير من جرادة». وقالوا: «أسرى من جراد» أي أكثر بيضاً، وقالوا: «أطير من جرادة»، وقالوا: «جاء القوم كالجراد المنتشر» أي متفرقين من كل ناحية.

ومن الأمثال الشعبية التي تُضرب بالجراد قولهم: «فلان مثل الجرادة يأكل ويبعر»، أي أنه كثير الأكل ولا يسمن، وقولهم: «فلان مثل الجرادة ما ياقع إلا على خضرة»، وهو الذي يُرى دائماً في مكان يستفيد من وجوده فيه، وقولهم: «يرعاه رعي الجراد» أي لا يبقى منه شيئاً لأن الجراد إذا وقع على زرع أو عشب لم يبق منه شيئاً، وقولهم: «فلان مثل الجرادة عينها في جنبها» أي دائم النظر إلى الآخرين، وإلى ما في أيديهم.

وورد ذكر الجراد كثيرا في الشعر النبطي. قال خلف أبو زويد الشمري عن الجراد:

ياالله يا خالق رذيلات الاطيار
بلا قوت يامحيي عيال الجراده
هجوا بدارٍ وأمهم صوب له دار
باقاصي الدنيا بصيد مراده

هجوا: ذهبوا، صوب: جهة.

وقال آخر:

نجدٍ يسلى عن غثاها عذاها
لو هي مقر ابليس في ماضى الاذكار
نركض ومن صاد الجراده شواها
وللنار من عقّب من المال دينار

غثاها: نكدها، عذاها: عذوبتها وصفاءها، مقر ابليس: يشير إلى ما ورد في الأثر من أن إبليس جاء إلى المؤتمرين في دار الندوة على هيئة شيخ وقال: أنا الشيخ النجدي أشير عليكم بكذا وكذا، شواها: الشيّ أسرع إنجازاً من الطبخ ويعني أننا لا ننتظر طبخها فنحن على عجل من أمرنا، وللنار... إلخ يعني أننا لا نقيم للدنيا ولا للمال أي حساب فما قسم الله لنا من رزق انفقناه في حينه في وجوهه المشروعة في طرق المروءة والكرم ولم ندخر للوارث شيئاً من المال.



صيد الجوازي والوعول

يطلق على المها والظباء والوعول لدى البادية اسم الجوازي. ولعل هذه اللفظة مأخوذة من لفظة الجوازئ. جاء في لسان العرب تحت مادة جزأ: ظبية جازئة: استغنت بالعشب الرِّطْبِ عن الماء، والجوازيّ: الوحش لتجزّئها بالرُّطْب عن الماء، وقول الشماخ بن ضرار:

إذا الأرطى توسّدَ أبرَدَيْه
خدودُ جوازئٍ بالرمل عين

لا يعني به الظباء كما ذهب إليه ابن قتيبة لأن الظباء لا تَجْزَأ بالكلأ عن الماء وإنما عنى البقر. ولكن في الواقع نجد أن الظباء تجتزئ بالعشب الرطب عن الماء في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية ولذلك سميت بالجوازي. وقد ورد ذكر الجوازي في الشعر العامي كما في قول ابن لعبون:

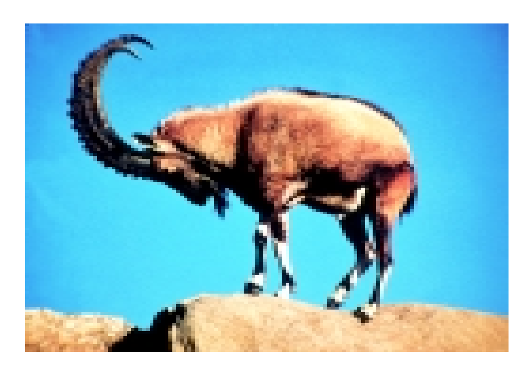
سقى صوب الحيا مزن تهامى
على قبرٍ بتلعات الحجاز
يعط بها البختري والخزامى
وترتع فيه طفلات الجوازي

الوعل

صفاته وسلوكه. الوعل، بسكون العين أو كسرها أو ضمها، هو البدن، تيس الجبل. حيوان من جنس المعز الجبلية، له قرنان منحنيان كسيفين أحدبين، يصلان حول ذنبه من أعلاه. ويسمى النوع الموجود في شبه الجزيرة العربية وسيناء وصحراء مصر الشرقية وشرق السودان البدن وعيو وله أسماء أخرى كثيرة. وهو يعل باللغة العبرانية، واللفظان العربي والعبراني مشتقان من التوعل وهو الصعود في الجبال (المعلوف ١٩٣٢: ١٣٢).

وجمع الوعل أوعال ووعول ووعل، بضمتين، ووعلة بفتح فسكون. والأنثى أيضاً وعلة بفتح فسكون، وهي أروية،



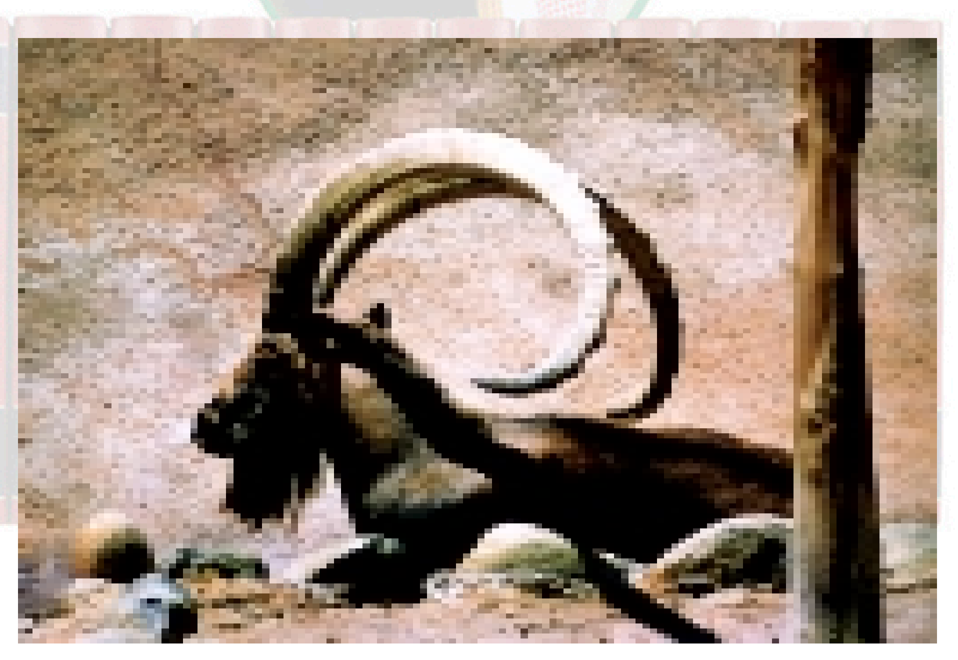


الصدع: الوعل القوي الفتي

وشاة، وجلمة، وسيافة ولا يسميها أهل البادية عنزاً. والذكر اليافع الذي يقل طول قرونه عن ٤٠سم يسمى أبا صده فإذا زاد طول القرون عن ذلك فهو بدن أو عود. والذكر المسن الذي وصلت قرونه إلى أقصى طول لها (حوالي ١٢٠سم) يسمى لدى أهل البادية الناخس لأن أطراف قرونه تنخس ظهره وتترك علامات واضحة عليه لكثرة احتكاك أطرافها المدببة به.

والصَّدّع من الوعول هو الفتِيُّ القوي، وقيل هو الوعل بين الوعلين الذي تسميه البادية أبو صده، والأعصم هو المعتصم بالجبل وقيل هو منها ما كان في ذراعيه (قائمتيه الأماميتين) أو في إحداهما، بياض وسائرها أسود أو أحمر، والأنثى عصماء. قال الشاعر:

والصدع الأعصم في شاهق
وجأبة مسكنها الوعر



الوعل المسن يسمى الناخس: تنخس أطراف قرونه ظهره



وقال الأعشى:

قد يترك الدهر في خلقاء راشية
وهناً ويترك منها الأعصم الصَّدَعا

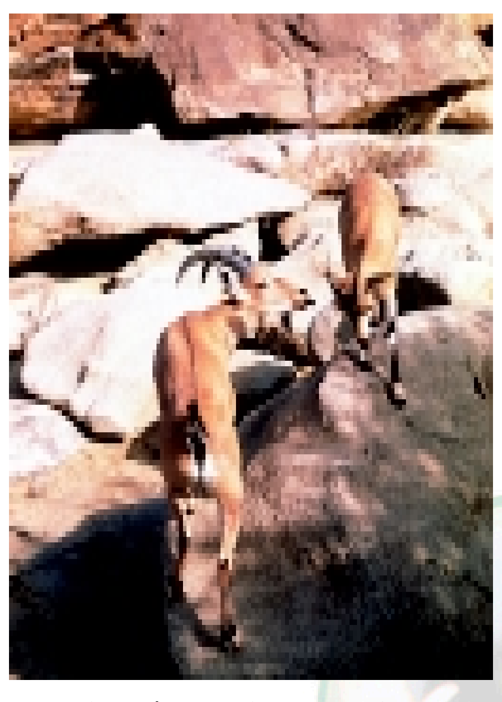
وقال الأفوه الأودي:

والدهر لا يبقى على صرفه
مغفرة في جالق مرمريس

خلقاء: مؤنث أخلق أي أملس، والمرمريس مثله، وأراد بها صخرة ملساء. والمغفرة: الأروية إذا كان معها ولدها، والغفر ولد الوعل، والجمع أغفار.

وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن الأروية هي الأنثى من الوعول، والجمع أراوى، وبها سميت المرأة. وقيل الأروى غنم الجبل، وفي طبعها الحنو على أولادها، فإذا صيد منها شيء تبعته ورضيت أن تكون معه في الشرك. وفي طبعه، أي الوعل، البر بأبويه، وذلك أن يخالف إليهما بما يأكلانه، فإذا عجزا عن الأكل مضغ لهما وأطعمهما. ويقال إن في قرنيه ثقبين يتنفس منهما، فمتى سدا هلك سريعاً. وما يذكره الدميري لا يخلو من خيال وشطط.

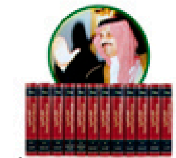
وقد وردت الأروى في الأمثال قالوا «إنما فلان كبارح الأروى». وذلك أن مأواها الجبال، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة. ويضرب هذا المثل لمن يرى منه الإحسان



تحتمي الوعول عادة بالجبال والأماكن الوعرة

بعض الأحايين، وقالوا «تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعام». وقالوا «ما يجمع بين الأروى والنعام»، يضرب في الشيئين المختلفين جداً؛ إذ كيف يتآلف الخير والشر. لأن الأروى تعيش في الجبال والمرتفعات الوعرة، والنعام يعيش في الصحاري المفتوحة.

والوعل معروف في شبه الجزيرة العربية منذ القدم، كما يوجد في سوريا والأردن وفلسطين، وشبه جزيرة سيناء، واليمن وعمان ومصر والسودان والحبشة. وهو حيوان مجتر عاشب من عائلة البقريات التي منها المها العربي



والظباء والأغنام والماعز والبقر الأهلي. وهو حيوان متين بنية الجسم، لونه بني مصفر أو داكن نوعاً، مع وجود علامات بيض وسود واضحة على قوائمه تسمى الحِجَل. ويختلف الذكر عن الأنثى في شكل الجسم وحجمه، فالذكر المسن قد يصل حجمه إلى ضعفي حجم الأنثى المسنة. ويمكن تمييزه عنها بسهولة، بقرونه الطويلة المحدودبة السميكة ذات البروزات الناتئة الواضحة، ولون فرائه الأدكن، ولحيته المميزة التي تتدلى تحت ذقنه.

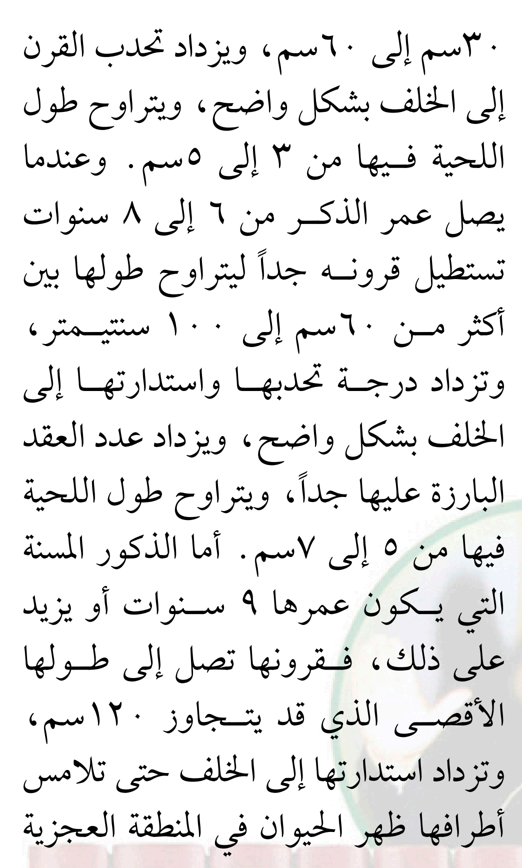
واللون العام لجسم الوعل بني مصفر مع وجود علامات داكنة متفرقة، تختلف في التوزيع والمساحة التي تشغلها من الجسم من فرد إلى آخر، كما تختلف بين الذكر والأنثى. وإلى جانب اللحية المميزة التي يتمتع بها الذكر، هنالك سواد يغطي ظهره في المنطقة الصدرية، يمتد أحياناً إلى الخطم والذقن وجانبي البطن والكفلين، مكوناً خطاً مشوشاً غير محدد المعالم، يمتد على الصدر والكفلين. وطرف الذنب في الجنسين أسود اللون. والسطوح الداخلية للفخذين والردفين، وكذلك السطح السفلي للصدر والبطن، والسطوح الداخلية والخلفية للقائمتين الخلفيتين تحت الركبة، والسطوح الداخلية والأمامية للقائمتين الأماميتين، كلها بيض اللون. ويمتد البياض إلى منتصف حلق الإناث، التي تخلو من وجود الخط الأسود على الظهر والكفلين. وتوجد على السطوح الجانبية والأمامية للقوائم علامات رأسية بنية مسودة، أو سود اللون شديدة الوضوح والتباين، خاصة مع وجود البقع البيض اللون على الركب والعراقيب أعلى الحوافر. ويبلغ طول الوعل من ١٣٠ إلى ١٤٠سم، وارتفاع الحيوان عند الكتف من ٦٥ إلى ٧٥سم، وطول الذيل ٨سم.

وقرون الذكر البالغ المسن طويلة سميكة محدبة تحدباً شديداً، تشبه في شكلها السيف المعقوف. ويصل طولها في الذكور المسنة إلى نحو ١٢٠سم. وهي منضغطة جانبياً مع وجود عقد عرضية تسمى الحُبَره تبرز بوضوح على السطح الخارجي للقرن. وهناك حلقات واضحة جداً، تنتشر على طول القرن حتى طرفه في الذكور، لكنها أقل وضوحاً في الإناث، صغيرة القرون خاليتها من العقد. وقرون الإناث محنية إلى الخلف قليلا. وهي منضغطة أيضاً جانبياً مع وجود حلقات شريطية تمتد





للذكر المسن لحية وقرونه أطول من قرون الأنثى



٣٠سم إلى ٦٠سم، ويزداد تحدب القرن إلى الخلف بشكل واضح، ويتراوح طول اللحية فيها من ٣ إلى ٥سم. وعندما يصل عمر الذكر من ٦ إلى ٨ سنوات تستطيل قرونه جداً ليتراوح طولها بين أكثر من ٦٠سم إلى ١٠٠ سنتيمتر، وتزداد درجة تحدبها واستدارتها إلى الخلف بشكل واضح، ويزداد عدد العقد البارزة عليها جداً، ويتراوح طول اللحية فيها من ٥ إلى ٧سم. أما الذكور المسنة التي يكون عمرها ٩ سنوات أو يزيد على ذلك، فقرونها تصل إلى طولها الأقصى الذي قد يتجاوز ١٢٠سم، وتزداد استدارتها إلى الخلف حتى تلامس أطرافها ظهر الحيوان في المنطقة العجزية قريباً حتى طرف القرن، ولا توجد أي علاقة بين عدد العقد التي على القرون وبين عمر الحيوان.

ويزداد طول القرون ومعدل تحدبها وطول شعر اللحية في الذكر بزيادة تقدمها في العمر، فحتى عمر ٣ سنوات يكون طول القرن من ٢٥ إلى ٣٠سم، وهو محدب قليلاً إلى الخلف، مع وجود ٣ أو ٤ عقد بارزة عليه، وطول اللحية فيها حوالي ٢سم. أما الذكور الأكبر سنا، فيتراوح طول القرن فيها من أكثر من



وعل ذكر بالغ عمره من ٦-٨ أعوام





وعل ذكر بالغ عمره من ١-٣ أعوام



وعل ذكر بالغ عمره من ٣-٥ أعوام

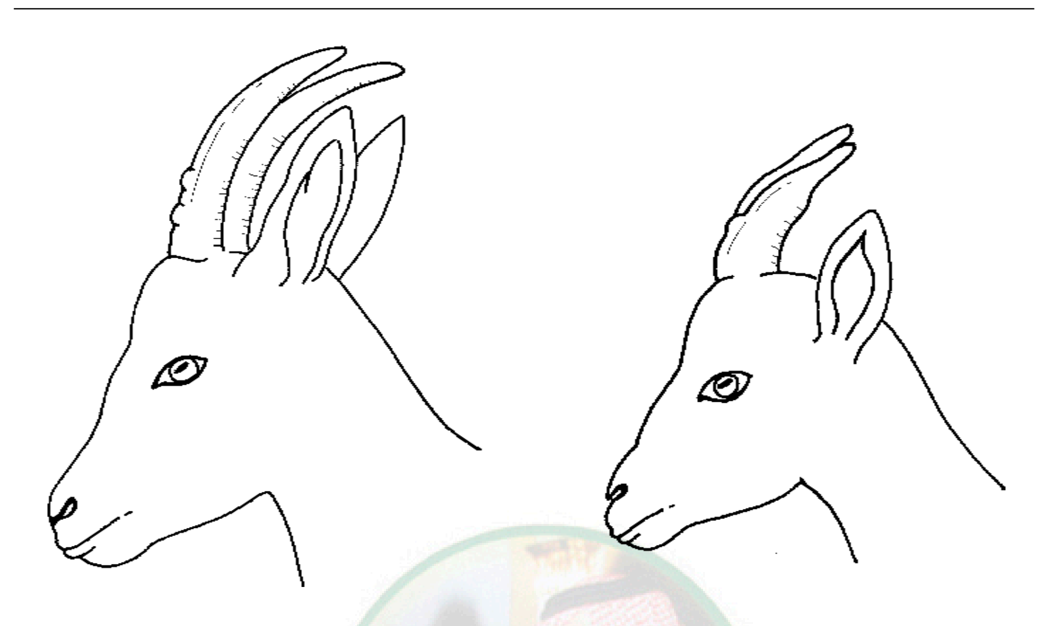
وتحتك به كثيراً. وقد يصل طول لحيته إلى ١٠سم.

ويمكن تمييز إناث الوعول عن الذكور بقرونها القصيرة الخالية من النتوءات البارزة. ويتراوح طول القرون في الأنثى البالغة من ٢٠ إلى ٢٥سم فقط. ويصل ارتفاعها عن سطح الأرض عند الكتف من ٦٠ إلى ٧٠سم. وليس لها لحية. ولون الجسم فيها متجانس بشكل عام. ويمكن أن تتشابه الإناث البالغة عن بعد مع الذكور اليافعة التي تتشابه معها في حجم الجسم وطول القرون وشكلها العام، إلا أنه يمكن التمييز بينها من عقود قرون الذكور ففيها عقدتان أو ثلاث عقد ليست في قرون الإناث.



وعل ذكر بالغ عمره يزيد على ٩ أعوام، ولا يتغير شكل القرون بعد ذلك مع تقدم العمر





وعل ذكر يافع عمره من ٧–٨ شهور، وأنثى بالغة عمرها يزيد عن عامين

ويكتسب شعر جسم الوعل لوناً يماثل لون البيئة التي يعيش فيها إلى حد كبير، مما يسهل اختفاء الحيوان عن أعين أعدائه، ولا يمكن لأحد أن يستدل على وجوده إلا إذا تحرك. ولذلك هناك اختلاف في لون شعر الجسم بين الوعول التي تقطن مناطق المملكة المختلفة، وهي صفة تكيفية مع البيئة المحيطة، فبينما نجد أن مجموعة الوعول التي تعيش في جبال طويق، بالقرب من منطقة حوطة بني تميم (محمية الوعول حالياً التي أنشأتها الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها) ذات شعر بني فاتح إلى بني، وهو لون يتجانس تماماً مع لون الصخور السائدة في المرتفعات التي تعيش فيها هذه المجموعة من الوعول، نجد أن لون شعر الوعول التي تعيش في الشمال هو البني المسمر، الذي يتجانس تماماً مع لون الصخور البركانية الداكنة السائدة في تلك المنطقة.

ولم تدرس مجموعات الوعول التي تعيش في مرتفعات عسير جنوبي غرب المملكة حتى الآن بدقة كافية، ولكن يبدو أن لون شعر الجسم فيها هو البني المصفر، مع كون الذكر أدكن لوناً من الإناث، والصغار التي لم تبلغ سن النضج الجنسي بعد. ولم يشاهد مثل





ألوان الوعول مقاربة لألوان الصخور

هذا الفرق في اللون بين الذكور والإناث في مجموعة الوعــول التي تعيش في تلال الطويل بــالشمال، ولون الشعر فيها بشكل عام هو البني المحمر، الذي تقل كثافته كلما اتجهنا إلى أعلى نحو الظهر. ويشبه لون الشعر في الوعول التي تعيش في جبل قراقر، لون شعر الوعول التي تعيش في تلال الطويل، إلا أن ذكورها البــالغة أدكن لوناً مــن إناثها البالغة.

وحواس الوعــول بصرها وسمعــها وشمها قويــة جداً ولذلك يسميها أهل البادية الســمّع اللمّع. ويمكنها أن تشم رائحة الإنســان، وتتعرف على وجوده من مسافة كبيرة إذا كانت في اتجاه الريح. أما إذا كانــت في عكس اتجــاه الريح، فإنها قــد لا تدرك اقترابه منها، مــا دام يتحرك في هدوء وحذر وتجنب أن يحدث أي صوت مسموع.

تعتبر النمور والضباع والوشق (عناق الأرض) أهم الأعداء الطبيعية للوعول. كما تفترس الثــعالب والقرضة (العنزة) والعقبان والبزاة الــوعول الصغيرة. ولا يعتبر الــذئب من بين المفترسات، التــي تقتــل الوعول عادة ربمــا بسبب القــدرة الفائــقة للوعول عــلى تسلق الــصخور



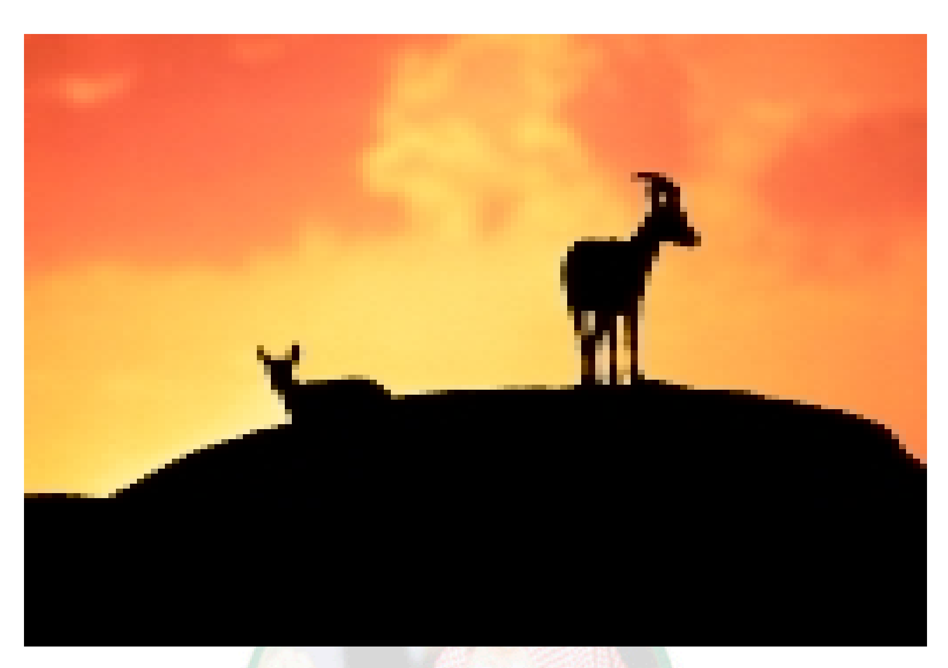
والمرتفعات الوعرة بسرعة كبيرة، فلا تستطيع الذئاب أن تلاحقها. كما أن الوعول تتخذ لنفسها مخابئ حصينة بين شقوق الصخور وتحت الحيود الصخرية، مما يجنبها التعرض لهجمات الذئاب أثناء نومها وراحتها.

لا تهتم الوعول البالغة بوجود الثعالب والكلاب الضالة. ويمكن القول إن الإنسان نفسه هو أعدى أعداء الوعول بآلات صيده النارية القاتلة، كما أن الأنشطة الإنسانية المكثفة في جوانب التنمية العمرانية والزراعية والصناعية وتسببت في تدمير كثير من المواطن الطبيعية للوعول، إلى جانب زيادة أعداد قطعان المواشي الأهلية، التي تنافس الوعول وغيرها من العاشبات الفطرية، على مصادر غذائها المحدودة. وكل ذلك كان له أثره في التناقص الشديد الملحوظ في أعداد الوعول المتبقية، وانحسار مناطق وجودها في المملكة العربية السعودية.

ومع اشتداد الحرارة في فصل الصيف، تحتاج الوعول إلى أن ترد المياه بمعدل أكبر، مما جعلها فريسة سهلة المنال للصيادين فنقصت أعدادها نقصاناً ملحوظاً. كما أن تحرك أهل البادية بقطعانهم بحرية وسهولة وراء الكلأ، وورودهم إلى المنطقة ساهم في سرعة جفاف المياه المتجمعة في هذه المناطق، مما أدى إلى هجرة ما تبقى من الوعول منها إلى حيث تجد ظروفاً معيشية أفضل. وبعد إعلان الحماية على جبل طويق بحوطة بني تميم بدأ عدد الحيوانات يزداد، ومن المتوقع، مع استمرار الحماية وتعاون أهالي المنطقة وزيادة أعداد الحيوانات فيها، أن تنتشر الوعول منها لتثرى مناطق انتشارها السابقة التي انحسرت عنها.

والوعول، شأنها في ذلك شأن غيرها من العاشبات، تقضي جزءاً كبيراً من وقتها اليومي في التغذي والرعي. وتعتبر استراتيجية الرعي عاملاً مهماً في استمرار حياة الوعول، وغيرها من الأنواع العاشبة التي تعيش في المناطق الجافة الحارة، تحت ظروف بيئية متطرفة، مثل التي تسود في معظم بيئات المملكة العربية السعودية. ففي مثل هذه البيئات ليس فقط هناك شح في مصادر الغذاء، ولكن على الحيوان أيضاً أن يتجنب التعرض للضربات الحرارية المميتة، وأن يحتفظ قدر الإمكان بسوائل جسمه لقلة المياه المتوافرة أو ندرتها. ويؤدي ذلك إلى أن يصبح الوقت المتاح للحيوان، لكي يحصل فيه على غذائه قصيراً جداً،





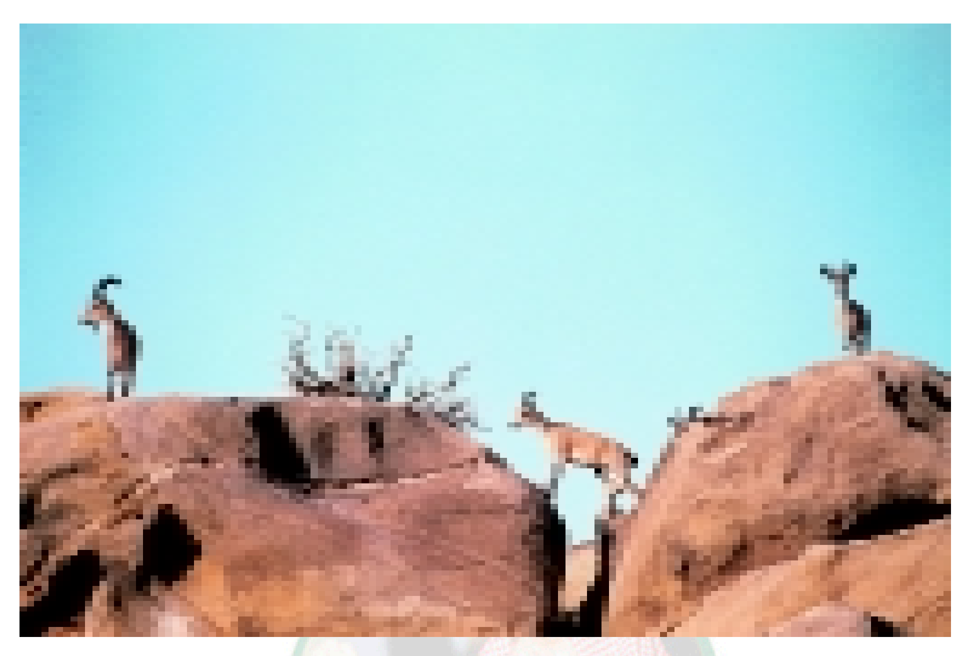
تبدأ الوعول نشاطها اليومي عند الفجر

خاصة في فصل الحرارة المرتفعة وشدة القيظ، حيث يضطر الحيوان إلى أن يقصر وقت تغذيته ورعيه على الوقت من اليوم الذي يكون فيه الجو أقل حرارة، وتكون نباتات المرعى أكثر احتواء على الماء، وما زال يقطر منها الندى، أي في الصباح المبكر قبل طلوع الشمس.

تبدأ الوعول نشاطها اليومي عند الفجر، فتهبط من المرتفعات متجهة إلى الوديان. وتقضي وقتاً قصيراً على المنحدرات أثناء هبوطها لخلو معظم هذه المنحدرات من النباتات. ورغم أنها ترعى ما يصادفها من هذه النباتات أثناء هبوطها على المنحدرات، فإنها تستمر في عملية الهبوط، متجهة إلى أعالي الوديان، حيث تبدأ في رعي أوراق أشجار السمر والطلح التي تسود فيها.

ويختلف وقت نشاط الرعي والتغذية في الوعول باختلاف الفصل من السنة. ففي فصل الصيف ينحصر نشاط الرعي خلال ساعات الصباح الأولى، وتعود الوعول إلى معاصمها حوالي الساعة الثامنة صباحاً أو التاسعة على أكثر تقدير، حيث تتجه جميع الحيوانات تقريباً خلال ساعة زمنية واحدة إلى السفوح المواجهة للشمال، لتستظل بالصخور الناتئة، أو تختفي





في فصل الشتاء تبقى الوعول في الجبال

داخل الشقوق والكهوف. وتظل الوعول في مخابئها حتى حوالي الساعة الخامسة بعد العصر، عندما تخف حدة الإشعاع الشمسي، وتبدأ درجة حرارة الهواء في الانخفاض نوعاً، فتخرج بعض الحيوانات لاستكمال الرعي، وتستمر في الرعي إلى ما بعد الغروب بفترة كما ترعى ليلاً في الصيف في الليالي المقمرة.

وفي فصل الخريف يمكن للوعول أن تستمر في الرعي خلال فترة الصباح إلى حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشرة قبل الظهر، قبل أن تلجأ إلى مخابئها. أما في الشهور الباردة من فصل الشتاء، لا سيما شهري يناير وفبراير، التي لا ترتفع درجة حرارة الجو فيها أثناء النهار عن حوالي ١٥ْم، فإن الوعول تظل نشطة ترعى طول النهار. وتكون ذروة نشاطها خلال الفترة من طلوع الشمس، حتى الساعة التاسعة صباحاً تقريباً.

ويقتصر نشاط اللعب واللهو بين الصغار عادة على الصباح الباكر عند الفجر. ويمكن أن تلهو الوعول الصغيرة بالتناطح خلال منتصف النهار في فصل الشتاء. وليس من المعروف مدى النشاط الليلي للوعول غير أنها ترعى ليلاً في الليالي المقمرة. فمن المحتمل أنها ترعى



ليلاً أيضاً خاصة في فصل الصيف، وذلك قياساً على الضأن ذي القرون الكبيرة، التي هي قريبة الصلة بالوعول، وتعيش في صحاري أمريكا الشمالية، ذات الظروف البيئية المماثلة لصحاري المملكة العربية السعودية. وترعى هذه الحيوانات أثناء الليل في الصيف.

وبينما تنتقل الوعول إلى السفوح المواجهة للشمال بعد انتهاء الرعي في فصل الصيف طلباً للظل وبرودة الجو، فإنها تنتقل إلى السفوح المواجهة للجنوب في فصل الشتاء، لتستمتع بدفء الشمس طوال النهار. وهي تفضل الهضاب الحمر ذات الصخور الكبيرة في فصل الصيف حيث تكون أكثر شجراً وأوفر ظلاً وتتوافر فيها المياه. أما في فصل الشتاء بعد سقوط أمطار الوسمى فتفضل الوعول الجبال السوداء ذات الأحجار البازلتيه التي تسمح التربة الموجودة بينها بنمو غطاء نباتي جيد يوفر لها مراعي مناسبة تزيد عن حاجتها، خاصة أنها لا تحتاج لشرب الماء في فصل الشتاء.

وعندما ترعى الوعول فإنها تكون حذرة بشكل مستمر، كما أنها تجعل منها رقيباً يقوم بحراستها وإنذارها من أي خطر يقترب منها. ويتفرغ هذا الرقيب للحراسة ولا يرعى حتى تنتهي نوبة حراسته، ويأتي من يحل محله في المراقبة من أفراد القطيع، فيتوجه لأخذ نصيبه من المرعى. وترعى الوعول الأعشاب والحشائش وأوراق الأشجار، كما تأكل قمم الفروع الغضة والبراعم والأزهار والقرون، وربما القلف الحديث للأشجار. كما أنها تأكل أيضاً أوراق أشجار العشار ونبات الشري (الحنظل)، رغم احتوائها على مركبات شديدة السمية، إذ يبدو أن الوعول متعودة عليها فلا تضرها.

وتقطع الوعول في تحركها اليومي طلباً للغذاء مسافة تقدر في المتوسط من ٤ إلى ٦كم، بينما في فصل التزاوج تقطع الذكور مسافة تزيد عن ١٠كم في بحثها وراء الإناث.

تزاوجه. تعيش الذكور البالغة مع الإناث والصغار في قطيع مختلط أثناء فصل الخريف ويسمى القطيع جميلة كما في الظباء، ويكون ذلك في الجبال ذات الأحجار الصغيرة التي يتوافر فيها الكلأ بعد سقوط أمطار الوسمي. وخلال هذا الفصل تحدث الدورة النزوية للإناث، وتصبح مستعدة للتلقيح، وتتزاوج مع الذكور السائدة في القطيع. أما في فصل الصيف، بعد انتهاء موسم



التزاوج، فإن الذكور البالغة تنفصل عن القطيع وتنتقل إلى سفوح الجبال والهضاب الحمر التي تكون أوفر أشجاراً وأكثر ظلاً في فصل الصيف.

وفي غير موسم التزاوج، يكون تحرك الوعول بحثاً عن الغذاء والمرعى. ولا تختلف الذكور عن الإناث في نمط التحرك. أما في وقت التزاوج فإن الذكور لا تهتم بغذائها قدر اهتمامها بالبحث عن الإناث الجاهزة للتلقيح، وكثيراً ما تتحرك إلى مسافات بعيدة، وتنتقل من منطقة إلى أخرى بحثاً عن الإناث حيث تشاهد منفردة معتلية قمم الجبال التي توجد فيها، تستطلع ما حولها لتحدد أماكن وجود الإناث. وتفرز رائحة خاصة كما تصدر صوتاً خاصاً يجذب إليها الإناث. وقد تضعف صحة الذكور في ذلك الوقت من كثرة التجوال وإهمال الرعي. وعندما تفزع الوعول وتنطلق إلى سفوح الجبال فإنها تتحرك متتابعة في صف واحد، يقودها في العادة إحدى الإناث البالغة، ومن النادر جداً أن يقودها ذكر.

وتحدث الدورة النزوية عند الإناث في فصل الخريف، حوالي شهر أكتوبر غالباً حيث تتزاوج الإناث مع الذكور السائدة في القطيع. ويمكن أن تستمر عملية التزاوج حتى منتصف شهر نوفمبر، تحاول بعدها الذكور التزاوج مع الإناث اليافعة، مما يدل على أن الإناث تبلغ النضج الجنسي عند عمر عام أو أقل من ذلك. وليس من المعروف على وجه الدقة العمر الذي يبلغ فيه الذكر النضج الجنسي، ولكن يظهر من ملاحظة أن الذكور اليافعة تحاول أن تمتطي الإناث، أنها قد تصل بدورها إلى النضج الجنسي عند عمر عام.

ومدة الحمل في الوعول حوالي خمسة شهور ونصف الشهر. وتلد الإناث في بداية تكاثرها صغيراً واحداً. وفي حوالي ٣٠٪ من الحالات تلد توأمين، وفي حالات قليلة قد تلد ٣ توائم. وبوجه عام كلما تقدمت الأنثى في العمر، ارتفعت نسبة التوأمة في ولاداتها.

وعندما تحس الأنثى الحامل بقرب الوضع فإنها تبدأ في الانعزال عن القطيع، وتبحث لنفسها عن مكان منعزل آمن تضع فيه صغيرها، وترعاه في أول أيام حياته بعيداً عن الأعداء. وتستمر الأم مع صغيريها بضعة أيام حتى يتمكنا من متابعتها في سيرها. وبعد ذلك تعود الأم



مع صغيريها لتنضم إلى القطيع، وتعمل على أن تسير بخطى متمهلة حتى يمكنهما ملاحقتها. كما أنها تبتعد بهما عن الأماكن الوعرة والعقبات التي لا يستطيعان أن يتجاوزاها لضعفهما وصغر عمرهما.

ويتبع الصغير أمه حتى عمر ٨ أسابيع، ثم يأخذ في التباعد عنها تدريجياً. وتزداد المسافة بينه وبينها كلما تقدم في العمر، وتفطمه الأم عند عمر ٦ شهور. وفي العادة ينام الصغير ملاصقاً لأمه، وحتى عندما يبتعد عنها ليرعى وحيداً لبعض الوقت، فإنه يعود ليستريح بجوارها.

مواطنه. كانت الوعول واسعة الانتشار في شبه الجزيرة العربية قديماً، إذ عثر على رسوم قديمة لها محفورة بدقة على أنواع مختلفة من الصخور والأحجار، في شتى مناطق المملكة العربية السعودية. ومعظم الرسوم التي وجدت للوعول كانت محفورة على الحجر الرملي في منطقة الدرع العربي. والبعض منها محفور على الصخور النارية البركانية مثل تلك التي وجدت محفورة بدقة كبيرة على مستوى رفيع من فن الرسم في منطقة الحناكية مما يدل على أن من رسمها هم فنانون مبدعون حقيقة. وهناك رسوم قديمة أيضاً وجدت في منطقة كِلْوة، وفي منطقة هضب-حمر

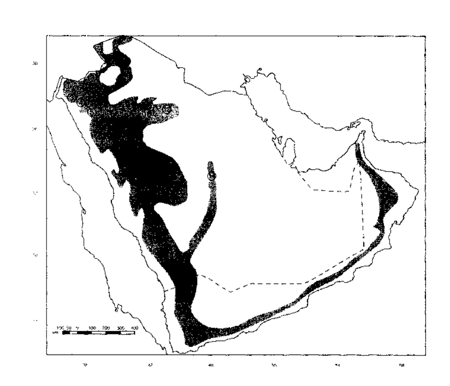


آثار أقدام الوعول في جبال عرنان

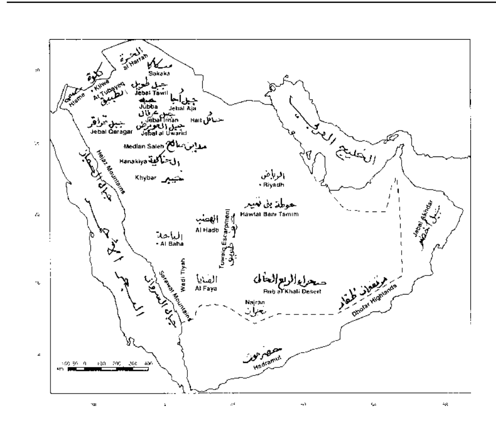
الواقعة بين مدائن صالح وخيبر، وكذلك وجدت رسوم في مداين صالح، والجوف، وحايل، وجبة، وفي الجبال الغربية والجنوبية والغربية في منطقة عسير. ورغم أن الوعول في الزمن الحاضر لم تشاهد في منطقة حرة الحرة في الشمال، إلا أن هناك رسوماً قديمة لها توجد في قطاع لِسْ بحرة الحرة على صخور بازلتية في مدخل وادي كحلا في منطقة جبل عرنان. ويظهر في هذه الرسوم، إلى جانب الوعول، الظباء والإبل وبعض الأشخاص الذين يحملون قسيهم وسهامهم، أي أنهم من الصيادين القدامى. وما زالت الظباء موجودة، ولكن بأعداد محدودة، في منطقة حرة الحرة حتى يومنا هذا.

وهناك رسوم أخرى للوعول، محفورة على الصخور الجرانيتية على طول





تحدد الأرقام المواقع التي شوهدت فيها الوعول خلال الأعوام ١٩٨٨-١٩٩٠م. والمناطق المظللة توضح انتشار الوعول في الجزيرة العربية قديماً



مواقع الجبال، التي وجدت بها رسوم محفور للوعول

جبل العويند. كما أن هناك صخرة ضخمة تقع على مسافة ١٠كم إلى الشمال من بلدة سكاكا بالجوف، يظهر عليها رسوم للأسود والإبل وبعض الأشخاص، إلى جانب الوعول. وهناك رسوم أخرى محفورة قديمة في الشمال الشرقي من جبل أجا في منطقة حائل، وكذلك في مصلى بمنطقة الهضب.

وتدل الرسوم التي سبقت الإشارة إليها، على أن الوعول كانت واسعة الانتشار قديماً في شتى أنحاء الجزيرة العربية، وبشكل خاص في المرتفعات الشمالية الغربية منها حيث كان يمتد نطاق انتشارها الطبيعي، من جرف طويق على امتداد الحدود السعودية-الأردنية، وفي جبل عرنان وجبل شمَّر، وجبل أجا في منطقة حائل، وكذلك في تلال الطويل في الشمال، وفي هضبة حسمى وجبل قراقر، وفي مدائن صالح وجبال طويق، كما شوهدت الوعول في منطقة نجران.

وقد ظهر من الدراسات التي أجريت لحصر انتشار الوعول في المملكة العربية السعودية في الزمن الحالي، أن أعدادها قد انحسرت انحساراً شديداً، شأنها في ذلك شأن الثدييات الأخرى، وإن كانت الوعول أحسن حالاً من غيرها من الأنواع، بسبب كونها تعيش في المناطق الوعرة، التي يصعب، وأحياناً يستحيل على الإنسان الوصول إليها، مما ساهم في الإبقاء على أعداد منها نجحت في الإفلات من نيران الصيادين المهرة. وأهم هذه الأماكن التي شكلت وسائل حماية طبيعية للوعول فيها توجد في جرف طويق



بمنطقة حوطة بني تميم وفي المنطقتين الشمالية والشمالية الغربية في هضبة حسمى، وجبال قراقر، على امتداد الحدود السعودية-الأردنية، حيث شوهدت فيها قطعان ما زالت تعيش بحالتها الطبيعية بأعداد كبيرة نوعاً، تتراوح من ١٠ إلى ٢٠ حيواناً في القطيع الواحد، وأحياناً أكثر من ذلك كثيراً. كذلك ما زالت بعض الوعول تعيش في جبل عرنان، وجبل أجا، وتلال الطويل، إلا أن حجم القطعان في هذه المناطق صغير، لا يتعدى بضعة حيوانات في كل قطيع.

من ذلك يمكن القول إن الوجود الحالي للوعول في المملكة العربية السعودية، يتركز بشكل خاص في المرتفعات الغربية للدرع العربي، كما توجد بعض القطعان المنعزلة في المنطقة الوسطى، والمنطقة الشمالية، والمناطق المتوسطة بين هاتين المنطقتين. ومن أهم هذه المجموعات، المجموعة المنعزلة المتبقية في جبل طويق بحوطة بني تميم التي أعلنت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها الحماية عليها، وأنشأت فيها ما يسمى بمحمية الوعول.

وفي الماضي القريب كانت الوعول موجودة بكثرة في جبال طويق، رغم جفاف المنطقة، حيث تتوافر أشجار الطلح في المناطق المنخفضة بين المرتفعات الجبلية، مما يتيح لها الرعي والغذاء الكافي. إلا أن ازدياد أعداد الحيوانات الأهلية التي ترعى في المنطقة، أدى إلى تدمير المرعى، فضلاً عن تعرض الوعول إلى الصيد المفرط، في معظم أجزاء جبال طويق. وتدل بقايا الوعول، من عظام وجلود، التي تتراكم حول موارد المياه في هذه المنطقة، على أن الصيادين كانوا يتربصون بالوعول ويصطادونها عند ورودها المياه.

صيده. لحم الوعل من أجود اللحوم، لكن القليل منه يكفي فإذا تناول منه الإنسان قطعة قدر ثمرة التفاح أشبعته، وذلك لأن هَبْرَه مكثف التركيب، وعظام الوعل صلبة جداً ثقيلة الوزن. وعرف العرب الوعول منذ القدم، واصطادوها من شماريخ الجبال وذراها بسهامهم ونبالهم وشباكهم، ثم بعد ذلك ببنادقهم وأسلحتهم النارية. وصيد الوعل من أشد وأصعب المطاردة، حيث يحتاج إلى صياد يطاردها ويخاتلها في ذرى الجبال، وصفحات القمم العالية، ويباغتها في أماكن استراحتها بين الصخور.

وصيادو الوعول مثل صيادي الظباء، يتجنبون صيد الذكر الموجود مع القطيع في فصل الشتاء حيث يكون ضعيفاً هزيلاً، ورائحته غير طيبة. ولا يصيدون



الذكر في الشتاء إلا إذا كان منفرداً لا إناث معه، فيكون سميناً طيب اللحم، ويفضلون الأنثى الحائل، أي التي لم تحمل. ولا تصاد التي يتبعها أطفالها أو التي تكون دافعاً. أما في الصيف فإن الذكر يكون منفرداً أو مع مجموعة من الذكور ويكون سميناً طيب اللحم ويشكل هدفاً جيداً للصيادين.

والوعل أصعب الحيوانات اقتناصاً لشدة حذره، فهو كما تقول البادية «السمّع اللمّع». ومقره قمم الجبال، ولا يمكن اقتناصه إلاّ سيراً على القدم وتسلق الجبال والبحث عنه فيها. وأصعب شيء صيد الوعول في الشتاء حينما تأوي إلى هذه الجبال البازلتية الشاهقة الوعرة. وقد تنزل أحيانا إلى الجبال ذات الأحجار الصغيرة التي ينبت فيها العشب بعد سقوط المطر لكونها أدفأ. أما في الصيف فتكون في الهضاب ذات الصخور الحمراء الكبيرة لتوافر الماء والأشجار وكثرة الظلال في شعابها.

يتربص الصيادون بالوعول عند موارد المياه، ليأخذوها على غرة عندما ترد الماء الذي لا تستغني عن شربه، لا سيما خلال فصل القيظ. تتجه الوعول صيفا إلى الهضاب ذات المياه والأشجار والظلال، وعلى القانص تحديد الجبال التي سقط عليها المطر وذلك بتتبع الأودية ومسايل المياه لتحديد مكان الوعول. فإذا حدد ذلك وكان الوقت صيفاً أو قيظا كان الأمر أسهل له في اصطيادها، وذلك بالاتجاه في وقت مبكر من الفجر إلى العجام (الرملات المرتفعة التي لا شجر فيها) والقلات (النقر الصخرية الطبيعية التي يستنقع فيها الماء) التي تردها الوعول للشرب بالضرورة وكمن لها في الكفرة أو البروة وهي سقيفة أو عشة يختفي فيها القانص لمراقبة الفريسة عن كثب ثم إطلاق النار عليها واصطيادها. فإذا وردت اصطادها عن قرب. وقد تبنى البروة من حائط من الحجر بارتفاع متر وقطر متر ونصف يختبئ فيها الصياد بالقرب من الماء فإذا وردت الوعول اصطادها ببندقيته. وربما اتجه الصياد إلى الأودية والمنخفضات ومسايل المياه التي تكون فيها شجيرات السمر والطلح والسلم التي ترعاها. وعليه أن يلاحظ اتجاه الريح والتخفي وتجنب السير بشكل مكشوف. كما أن عليه مراعاة ملابسه فلا بد أن تكون



صياد يتربص بالوعول عند مضايق الجبال



مناسبة للتخفي ولا تكون بيضاء على الإطلاق وإلا سهل على الوعول رؤيته والهرب.

كما تُبنى الكفر (مفردها كُفْرة) في الممرات الواصلة بين الجبال ويبقى فيها الصياد ببندقيته أو كلابه المدربة كما يحدث في السودان، ويذهب الآخرون لمطاردتها في الجبال. فإذا ضيق عليها في أحدها اضطرت للانتقال إلى الجبل الآخر بسلوك هذه الممرات فتصاد بسهولة. وهذه المصايد عبارة عن حائطين مبنيين بارتفاع يزيد عن المتر، يحصران بينهما ممراً متسعاً عند المدخل، ولا يلبث أن يضيق شيئاً فشيئاً ليأخذ شكل القمع. ولذلك كان يطلق عليها المصايد القمعية الجبلية، وتنتهي بمكان فسيح نوعاً ما، له شكل غير منتظم، قريب الشبه بشكل ورقة العنب، وهو مسدود لا فتحة خلفية له. ومتى دخلت الوعول في ممر المصيدة تبعها الصيادون حتى تصل إلى المكان المسدود، فلا تلبث أن تستسلم ويمسكوا بها. وهذه الطريقة أيضاً كانت متبعة قديماً في صيد ظباء الأدمي أو ظباء الجبال.

ومعظم هذه المصايد القمعية الجبلية كانت تبنى في المناطق الصخرية المفتوحة في شمال المملكة. وهناك على الأقل آثار خمس من هذه المصايد ما زالت موجودة على الأسطح المستوية لتلال



مكمن قناصة لصيد الوعول في حائل

الطويل، وفي وادٍ يجري بين هذين التلّين. وتظهر إحدى هذه المصايد القمعية في رسم قديم محفور على الصخور، وبجوارها يظهر الوعل، مما يدل على أنها كانت تستخدم لصيده. وفي بعض هذه الرسوم القديمة المحفورة، يظهر الوعل فيها وإلى جانبه الرماح، مما يدل على أن الرماح كانت من بين الأدوات المستخدمة لصيد الوعول آنذاك.

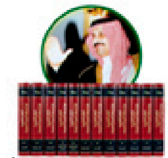
وهناك رسوم أخرى في تلال الطويل المنعزلة على الطرف الشمالي لصحراء النفود، منها رسوم قديمة وأخرى حديثة. وتصور الرسوم القديمة صيد الوعول بالسهام والقسي، بينما يظهر في أحد الرسوم الحديثة الصياد واقفاً على ظهر شاحنته الصغيرة (الوانيت)، وهو يصوب بندقيته على أحد الوعول الهاربة أمامه.

ولمّا كانت الجبال التي تأوي إليها الوعول مختلفة من حيث الشكل والعلو



من منطقة إلى أخرى، فإن القانص الماهر يتبع طـريقة في الصيد تتـناسب مع كل نوع من تلـك الجبال. فإذا كانت الجبال المراد الاقتناص فيها قطع، أي متفرقة مع قربها من بعضها، فإن القانص يتجه إلى المنطقـة التي تفصل بين كـل جبل وآخر إلى أضيق نقطة فيها، ذلك أن هذه المنطقة عادة ما تكـون رملية أو مغطـاة بحجارة صغيرة تتخللها الرمال التي تترك الوعول فيها آثارها عند انتقالها من جبل إلى آخر، فإذا وجد الأثر حـاول أن يتأكد هل هو قديم أم جديد، وما إذا كانت الوعول لا زالت في الجبل أم انتقلت مـنه إلى جبل آخر وذلك بأن يبحث في النقاط الأخرى مع الجبال المحيطة به. فإذا كانت قد انتقلت منه إلى جبل آخر، ذهب إلى الجبل الذي اتجهت إليه وكرر عملية التأكد، ذلك لأن الوعول لا تنتقل من جبل لآخر، وخاصة في الجبال المتـفرقة عن بعضها البعـض، أي القطع، إلا فـي الليل أما في الـنهار فإنها لا تفعـل ذلك إلا مضطرة كتعقب القانص لها أو خشية من الحيوانات المفترسة وخاصة النمر، أو أن تكون الأرض خالية لا إناس فيها ولا حيوانات مفترسة. وعليه ملاحظـة جدة الأثر أو قِدمه عن طـريق ملاحظة هبوب الرياح وتـساقط المطر إذا كان الوقت ممطرا أو ما دبَّ عليه من آثار الحشرات والـقوارض التي لا تخرج إلا ليلاً كالفأر والجربوع.

فإذا حدد الجبل الذي تكون فيه وكان معه رفاق فإن رفاقه يتوزعون على مناطق الالتقاءات الجبلية، التي تـسمى المقاطع ومفردها المقطاع ويتخفون فيها، ويصعد واحد أو اثنان منهم إلى المـناطق العالية في الجبل، ولا يهم في هذه الحالة أكان اتجاه الريح معه أم ضده، لأن طريق هربها وخاصة أقـرب نقطة الـتقاء مع الجبـال المحيطة به قد رصده واحد أو اثنان من الصيادين، أما إذا كان وحيداً فإن كثيراً من القنوص، وخاصة إذا كانت الجبـال صغيـرة وعرف مكمن الوعـول في أي واحد منهـا، يضع في المقاطع مـخيالاً كقطعة قماش في رأس عود حتى تهاب الوعـول من الهـرب عبـره إلى الجبـل الآخر، كما إن عليه أن يراعي اتجاه الريح حتى لا تشمه الوعول فـتهرب. كذلك يكون القانص حذراً في مشيه فلا يسير في الارتفاعات والصخور المكشوفة وإنما يتخفى بـينها ويكشف كل جزء مـقابل من الجبل بهدوء وبطء خاصـة أن ألوان الوعول مـقاربة لألوان الـصخور، ولا يمكن تمييزها إلا من قرب أو إذا تحركت فلا ينكشف لها ولا تراه عن بعد. كما أن عليه أن يمشي بتؤدة ولا يصدر صوتاً،

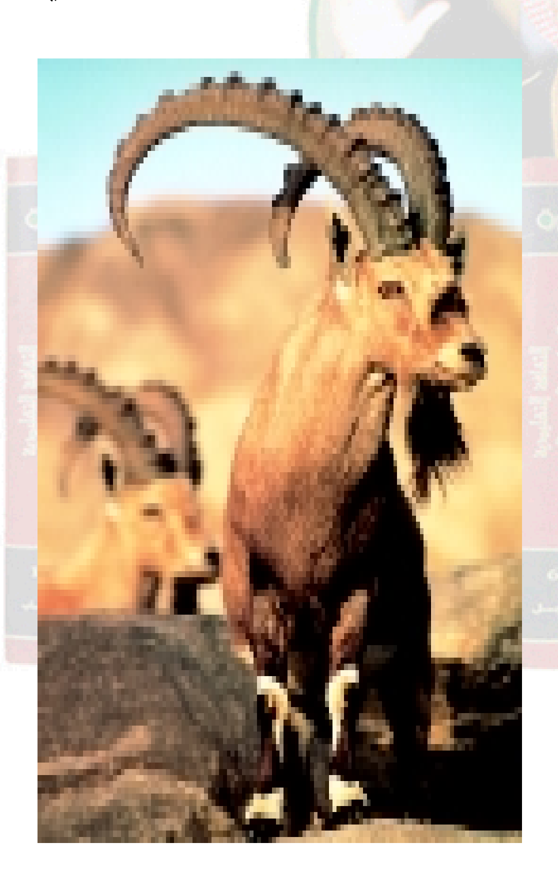


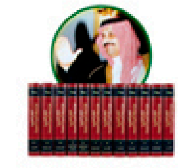
ويختار الحجارة القوية الثابتة لوضع قدميه فلا تنزلـق به ولا تصدر صوتاً تسـمعه الوعول لحدة سـمعها فتهـرب. فإذا ما رآها، علـيه إذا كانت بعـيدة أن يحدد اتجاهها في مرعاها وانتقالها ويختفي حتى يصل إلى المنطقة التي رآها متجهة إليها.

وقد تكون الوعول في الجبال القطع، أي الجبال المتفرقة عن بعضها، ولا يعرف القنوص مكان وجودها على وجه التحديد. عند ذلك يشعـل القنوص ناراً بين الجبال الكـبيرة ويبـقون جبلاً واحـداً صغيراً لا يشعلون النار في القطاع المؤدي إليه فتذهب الوعول إلى هذا الجبل الصغير من خلال المقطاع، فيـأتي القنوص ويطبقون عـليها ويصيدونها أو يصيدون أغلبها بسهولة.

وبالضرورة فإن الصياد يكون دوما حذراً في مسيره وملبسه وكشفه للمنطقة التي هو فيها قبل الانتقال إلى غيرها. وإذا كانوا أكثر من شخص فإن الأخف وزناً بينهم الذي يستطيع التسلق والسير في الأماكن الوعرة يتجه إلى أعلى الجبل، ومن كان أقل قدرة كمن في الالتقاءات الجبلـية (المقاطع) في الكفرة أو البروة المناسبة، فإذا لم يصطد من كان في أعلى الجبل اتجهت الوعول بالضرورة إلى أحد رفاقه في المقاطع.

وعلى قـانص الوعول أن يـعرف أن لجميلة الوعول رقيبه لا يرعى وإنما مهمته مراقبة المنطقة حـتى ينبّهها للخطر إذا رآه فترعى في أمان وهو عادة من صغار الإناث أو صغار الذكور، ويكون موقعه في أعلى منـطقة في مـكان الرعي. لـذلك علـى القانص أن يحاذر من أن يراه الرقيبه. كما أن لكل جـميلة وعول قايـده، وعادة ما تكون من الإناث الحيّل (أي التي لم تلقح بعد) فيعمد القانص الخبير إلى اصطيادها أولاً حتى يتمكن من اصطياد غيرها. كما أن من طبيعة الوعول أنها لا تعاود كالظباء، أي أنها لا تقف معترضة بعد الهرب لتنظر خلفها للتحقق مما أثـارها وإنما تستمر في





هربهـا حتى تأمن فـتعاود الرعي. ومـن الصعب على القانص أن يعيد إطلاق النار عليهـا إذا كان هربها انحدارياً مـن أعلى الجبـال لأنها سريـعة وتهرب فـي شكل متعرج لا يمكنه من اصطيادها، ولكن ربما تكون المهمة أسهل إذا كان هربها صعوداً في الجبل، لأنها تكون أبطأ كثيراً فيستطيع الماهر في الرمي (البواردي) اصطياد أكـثر من وعل واحد في هذه الحالة.

ولما كانت الوعول كبيرة الحجم والجبال صعبة المسالك فإن القانص إذا اصطاد منها واحداً أو أكثر، يقوم بعد إخراج الـكرش والمصران بتـقطيع الوعل إلـى عدة أجزاء ليسهل عليه نقلها على دفعات إلى أسفل الجبل. أما إذا كان المـنحدر حاداً نوعاً ما فإن بعـض القنوص يقـومون بربط رأس الوعل إلـى يديه ورجلـيه بصورة تجـعله متكـوراً، ويأتي إلى أقـرب نقطة أسفـله وتُفضي إلى تكوين صخري واحد ويتركه يتدحرج كأنه كرة. ويكرر العملية إذا اصطاد أكثر من وعل. فـإذا توقف جسم الوعل المتـكور لاصطـدامه بصـخرة في طريـق تدحرجه نـزل إليه ودحرجه مرة أخرى. ولكن يلاحظ أن هذه الطريقة قد تؤثر على اللحم مـن قوة الاصطدام بالصـخور لذا يفضل إنزال الوعول المصيدة واحداً واحداً أو مقطعة إلى أجزاء سهلة الحمل.

وتعتبر الوعول من الطرائد ذات القيمة العالية، التي تكفـل الغذاء لعدد كبير من الناس، وتغني من الضيق وتشبع المسغوب، ومما يدل على ذلك القصة التالية.

قدم ذياب بن طلاع الشمري، وهو من سكان سويـق غضور بجبل رمان، إلى أهلـه من سفر. وكـان من عادات الناس يـومذاك إذا قام أي واحد مـنهم بمشروع معين، كبناء بيت أو حفر بئر أو غيرهـما، أن يساهم جيـرانه بمساعدته بمختلف ما يستطيعون تقديمه. ومن هذه الأمور البديهية أن يدعوه جيرانه الواحد بعد الآخر، بتقديم وجبة طعام الغداء أو العشاء أو كليهما معاً لهذا الجار وعماله. ويعتبر من لم يقم بهذا الواجب قد ارتكب عيباً. وتناوب الجيران بهذا العمل بالدور تسمى دايره. وحين قدم ذياب من سفر، لم يبـق إلا اثنان من الجيـران، قبل أن يصله الدور، في الوقت الذي لا توجد أي وجبة طعام في منزله، وتبيت زوجته وبناته على الـطوى في أغلب الليالي، سوى قليل من الدقيق تصنع منه الزوجة لبناتها الصغار رغيدة رقيقة. وهذه المناسبة تحتاج إلى وليمة، تـقدم لحوالي خمسة عشر رجلاً أو أكثر. فهرع من وقته على قدميه للبحث عن أي طعام يمكن تقديمه في هذه الوليمة.



وكان النـاس في ضيق شديـد وندرة للمواد الغذائية، إلا عند فئة من التجار في القرى والبلدان الواقعة حول الجبل، الذين يبيعون ما لديهم من الطعام بأسعار عالية، بالنقود الذهبـية والفضية نقداً. ولم يكن مع ذياب أي نقد، وإنما يـريد ما يحتاجه من الطعام بالديْن، فتوجه إلى أولئك التجار في إحدى البلـدان المجاورة، وطرق باب أحدهم وطلب منه ثلاثة أصواع من الحب بأي ثمن، فاعتذر إليه، ومر بالثاني والثالث والرابـع والخامـس فلاقـى منـهم نفـس الإجابة. عندئذ ضاقـت عليه الدنيا على رحبها، وعـاد مكسور الخاطر، وقـرر أن ينحر بعيره، الذي يسنى عليه ويسقي نخله، وعلى الله ثم على هذا البعير مصدر رزقه.

وفي طريق عودته إلى أهله على قدميه مسافة حوالي ثلاثين كيلا، أنهكه الظمأ في جمرة القيظ، فعرج على عين ماء في صفحة جبل رمان ليشرب، وكانت العين داخل تلعة متعرجة. وعندما دخل في مدخل التلعة في منتصف النهار، واشتداد حرارة الشمس، سمع حول العين أصواتـاً غريبة، ليست بأصوات آدمية، تستمر وتنقـطع، فخاف على نفسه، سيما وأنه ليس معه من السلاح سوى خنجر في حزام بطنه. وبدأ يتنصت حيناً، ويختلس النظر حيناً آخر، ليتأكد من مصدر تلك الأصوات. وحينما أطل على العين، وإذا بوعلين كبيرين قد تناطحا حول الماء، واشتبكت قرونهما اشتباكاً لم يستطيعا الفكاك منه، وبقيا يتعافران ويتداوسان حتى أُجهدا. فأسرع إليهما وذبحهما، ثم رمى عليهما عباءته وانطلق مسرعاً إلى أهله يسابق الريح، وأحضر جمله وزوجته لتساعده على حملهما على الجمل. وعندما وصل إلى منزله، أخذ أحدهما على جمله واتجه به إلى أحد التجار الذين اعتذروا له ضحى ذلك اليوم، فأهداه إليه، بحيث أعطاه الـتاجر مقابل ذلك ثلاثة أصواع من حب القمح الصلب (اللقيمي)، فأحضرها في الحال إلى زوجته، حيث هرستها وطحنوها مع كامل الوعل الثاني وجبة لتلك المناسبة. وقد فزع الله لهذا الإنسان الكريم حين خذله الناس.

ذكره في مأثور القول والأدب. وذكر أبو سويلـم في كتابه الطبيـعة في شعر العصر العباسي الأول أن الوعول كانت أيضاً تطارد بكلاب الصيد، إذ إن الشاعر أبا نواس الشهير بطردياته أراد أن يظهر قوة كلابه وصلابتها وسرعـتها وصبرها عند الشد، وهي تنازل وعولاً صلبة ممنعة في شوامخ الأطواد، ومهارتها في تسلق قلل الصخور حيث قال:

لـمـا رأيت الـلـيل مـنشـق الحـجب
عــن سائـر الغـرة مشـهور الـنقـب
نازلت عصـم الوحش عنا من كـثب



من كل أحوى اللون مبيض الذنب
يهتز عند الشد بل والمنجذب
هزك بالكف حساما ذا شطب
كأنما يطرف من بين الهدب
بجمرتي نار بكف محتطب
ما كان إلا جولة الأروى الشغب
ووثبة التيس بأقراح الحدب
حتى انثنى مختضباً وما خضب
من مغرز إلى عجب الذنب

وقال النمر بن تولب يصف صياداً مختبئاً في قترة يراقب الوعل، وقد أعد أسهما في كفه، وعندما تهيأت له الفرصة، أرسل سهمه فأصاب نواهق الوعل وفمه ونفذ فيه:

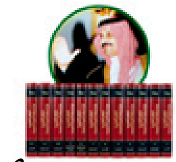
أتاح له الدهر ذا وفضة
يقلب في كفه أسهما
وراقبه وهو في قترة
وما كان يرهب أن يكلما
فأرسل سهماً له أهزعا
فشك نواهقه والفما

ويتتبع صخر الغي صائداً يكسب لأبيه الشيخ الذي تحنت ضلوعه واحدودب ظهره، جائعاً ألم به الشتاء، فابنه يحميه من الأذى، أما في الصيف فيبحث له عن الثمر، وهو قد نذر نفسه لذلك، فلما رأى الوعل تعجب منه مستبشراً، فهو عظيم سمين. وأخذ يحدث نفسه قائلاً: لو استطاع صيد هذا الوعل لعاش شيخه بلحمه حتى موسم الخصب، ورماه بسهم واسع النصل، فأرداه صريعاً، واستغاث بأخيه، ليبادره بسكين يذبح هذا الوعل. قال:

أتيح له يوماً وقد طال عمره
جريمة شيخ قد تحنَّب ساغب
يحامي عليه في الشتاء إذا شتا
وفي الصيف يبغيه الجنا كالمناحب
فلما رآه قال لله من رأى
من العصم شاة قيله في العواقب
لو ان كريمي صيد هذا أعاشه
إلى أن يغيث الناس بعض الكواكب
أحاط به حتى رماه وقد دنا
بأسمر مفتوق من النبل صائب
فنادى أخاه ثم طار بشفرة
إليه اجتزار الفعفعي المناهب

جريمة: كاسب، المناحب: الذي عليه نذر، مفتوق من النبل: يعني سهماً واسع النصل، صائب: قاصد، اجتزار: قطع، الفعفعي: الخفيف. ويصف أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده رحلة صيد يتعرض فيها لصيد الوعل بالسهام فيقول:

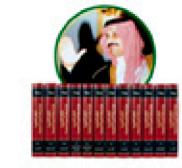
وأوفت العذر من الأوعال
مرتديات بقسيّ الضال
نواخس الأطراف للأكفال



يكدن ينفذن من الآطال
لها لحى سود بلا سبال
تصلح للإضحاك لا الإجلال
كل أثيث نبتها متْفال
لم تعد بالمسك ولا الغوال
ترضى من الأدهان بالأبوال
ومن ذكي المسك بالدمال
لو سرحت في عارض محتال
لعدها من شبكات المال
بين قضاة السوء والأطفال
شبيهة الإدبار بالإقبال
لا تؤثر الوجهَ على القذال
فاختلفت في وابل نبال
قد أودعتها عتل الرجال
في كل كبد كبدي نصال
فهن يهوين عن القلال
مقلوبة الأظلاف والإرقال
يرقلن في الجو على المحال
في طرق سريعة الإيصال
ينمن فيها نيمة المكسال
على القفا من عجل العجال
لا يشتكين أثر الكلال
ولا يحاذرن من الضلال

الفدر من الوعول: ما توقف عن الضراب بعد انتهاء موسمه الذي يبدأ من منتصف أكتوبر وينتهي في فبراير، واحدها فادر وفَدَر وفدور، الضال: شجر السدر البري تعمل منه القسيّ، شبَّه قرون الوعول المنعطفة بقسى مأخوذة من خشب السدر. الأطراف: أطراف القرون، الآطال: الخواصر، أي أن أطراف قرونها تنخس أكفالها، وتكاد لطولها تنفذ من خواصرها، السبال: ما أحاط بالشفة العليا من الشعرة، يقول إن لحاها تدلت من أعناقها، وهي لا تتصل بالسبال. وهي لحى تجعلها مثارا للضحك، ولا تكسبها وقاراً، الأثيث من الشعر: الكثيف الملتف، المتفال: المنتن، المسك والغوالي: ضربان من الطيب، الدمال: زبل الدواب. يعني الشاعر أن للوعول لحى كثيفة الشعر منتنة الريح طيبها البول والدمال وليس المسك والغوالي. هذه اللحى الكثيفة لو كانت ممشطة على وجه رجل محتال لاحتال بها لنهب المال، لأن ذا اللحية العظيمة يُظَن به الخير ويؤتمن، فإن كان محتالاً فاقد الضمير سهلت له خيانة الأمانة.

العتل: القسيّ الفارسية، النصال: جمع نصل، وهي الحديدة المركبة في السهم، كبدها: وسطها، وكبد النصل: ما غلظ منه، والمعنى أن الرماة قد أثخنت الوعول بالجراح وأدمت أكبادها. يهوين: يسقطن من أعالي الجبال، القلال: جمع قلة وهي رأس الجبل، الإرقال: ضرب من العَدْو، المحال: جمع محالة، وهي



فقار الظهر. يعني سقطت هذه الوعول من رؤوس الجبال منحدرة على ظهورها وقد ارتفعت أظلافها إلى أعلى، فكأنها تعدو على فقار ظهرها في طرق تسرع بإيصالها إلى الأرض، فتبدو وكأنها تنام عليها نومة الكسالى.

إلى جانب ما جاء في الشعر العربي عن صيد الوعول، فقد أكثر الشعراء من وصف الوعول والتشبيه بصفاتها الحميدة. قال الشاعر حميد بن ثور يدلل على جمال محبوبته بأنها لو ظهرت لوعل قد اعتصم بذرى الجبل وهجر السهل لنزل إليها مشدوداً بجمالها غير عابئ بالرماة الذين يتربصون به الدوائر:

فلو أنها كانت بدت يوم حية
لمنعطف القرنين وعر مطامره

من الهائبات السهل في مشمخرة
بحيد وعول يأمن القوم فادره

أتاها ولو قام الرعاة وساقه
حبال الصبا حتى تحين مقادره

كما وجد الشعراء في مشية الوعول مجالاً لتشبيه مشية الخيل ووثوبها ونشاطها بها في السرعة. قال ذو الرمة:

إذا الخيل من وقع الرماح كأنها
وعول أشارى والوغى غير منجل

أشارى من الأشر، وهو النشاط. وبالوعول ضرب الشعراء المثل في المنعة والتحصن، حيث إنها ترتقي قمم الجبال، يقول جرير في مدح قومه:

ولو علقت حبل الزبير حبالنا
لكان كناج في عطالة أعصما

الناجي: الوعل، الأعصم: الذي في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، عطالة: جبل بالبحرين.

وقد أدرك الشعراء كما ذكر أبو سويلم أن الوعول مهما كانت قوتها ومنعتها، باعتصامها في ذرى الجبال الوعرة، لا تنجو من الدهر ونكباته، وتلحقها يد الصياد، ويأتيها الموت بكل سهولة، شأنها في ذلك شأن أوهى الحشرات، وأضعف المخلوقات. قال ديك الجن في قصيدة يرثي بها زوجة جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل والأيام لا تغفل
ولا لنا من زمن موئل

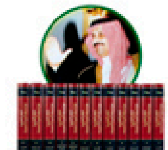
والدهر لا يسلم من صرفه
أعصم في القنة مستوعل

يتخذ الشعرى شعاراً له
كأنما الأفق له منزل

كأن بين شناظيرها
بارقة تكمن أو تمثل

الشعرى: كوكب نيِّر يطلع بعد الجوزاء. شناظير الجبل: أطرافه وحوافه.

وقال بشر بن أبي خازم يصف وعلاً يعتصم في جبة أو شوط من جبل طيئ



ذي الكهوف، ورغم ذلك فهو ليس أكثر أمناً في ملجئه المنيع من جار أوس بن حارثة:

فما صدعٌ بجبة أو بشوط
على زلق زوالق ذي كهاف
تزل اللقوة الشغواء عنها
مخالبها كأطراف الأشافي
بأحرز موئلاً من جار أوس
إذا ما ضيم جيران الضعاف

اللقوة الشغواء: العقاب، الأشافي (جمع الأشفي): مثقب تثقب به الأسافي والمزاود والقرب ونحوها عند الخرز، الموئل: الملجأ.

الوضيحي (المها العربي)

صفاته وسلوكه. حيوان ثديي عاشب من العائلة البقرية جميل المنظر رشيق الجسم. وهو أشهر أنواع المها المعروفة



يتميز المها العربي بلونه الأبيض الناصع، لذلك سمى «الوضيحي» لوضوح رؤيته في الصحراء

في أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وأكثرها رشاقة في الجسم وخفة في الحركة. يتميز الحيوان البالغ بلونه الأبيض الناصع ومنه اكتسب اسمه الوضيحي لوضوح رؤيته بين رمال الصحراء، كما يسمى أيضاً بقر الوحش والمارية وابن سولع.

وتوجد علامات بنية مسودة على الوجه والصدر والقوائم يختلف حجمها وتوزيعها باختلاف الأفراد. كما يوجد خط بني باهت يمتد على كل جانب من جانبي الجسم، وقد يوجد جزئياً في بعض الأفراد، كما قد يختفي كلية من بعضها الآخر. وينتهي ذيل الحيوان بخصلة شعر سوداء اللون.

يتشابه الجنسان شكلاً وحجماً حتى ليتعذر التمييز بينهما. ومع اكتمال النضج الجنسي يمكن التمييز بينهما بنوع الأعضاء التناسلية الخارجية، كما يكون الذكر أمتن من الأنثى عنقاً وقرنين، ولو أن الأنثى قد تكون أطول قروناً من الذكر. قال صاحب المصايد والمطارد: وكل إناث الحيوان أرق صوتاً من الذكور إلا البقر الوحشية، فإن الأنثى أضخم صوتاً وأظهر من الذكر (القلقشندي ١٩٨٧، ج٢: ٤٧).

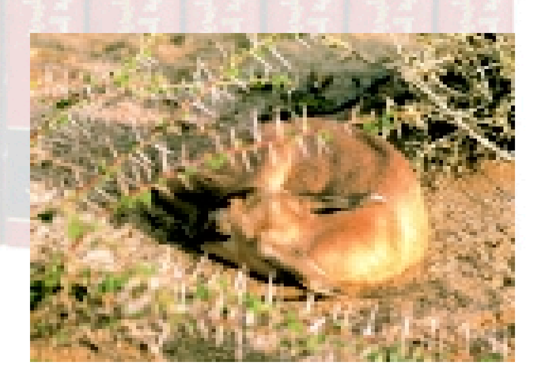
ويتميز صغير المها، الذي يسمى الغض أو الغضيض، بلون جلده الرملي





يتشابه الذكر والأنثى في الوضيحي

الترابي مما يجعل تمييزه من البيئة المحيطة به صعباً ويتيح له الحماية من الأعداء عن طريق التخفي. ومع نمو جسمه وزيادته في الحجم والوزن ونمو قرونه يتحول اللون تدريجياً إلى الأبيض الناصع حتى يقترب عمره من عشرة شهور، مع



الغض (الغضيض) صغير الوضيحي

وجود العلامات البنية الداكنة على الجنبين كما ذكرنا سابقاً.

يزن الحيوان البالغ في المتوسط حوالي ١٢٥كجم، ويتراوح طول الجسم من ١٤٠ إلى ١٨٠سم، وطول الذنب من ١٩ إلى ٢٥سم. ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض عند مستوى الكتف من ٩٠ إلى ١٢٠سم. ولكل حيوان، ذكر أو أنثى، قرنان طويلان مستقيمان يتراوح طولهما من ٧٥ إلى ٩٠سم، وقد تصل في بعض الإناث إلى ٩٥سم، والقرن صلب قوي مستقيم كالرمح به انحناء خفيف إلى الخلف وتحيط به حلقات قرنية من القاعدة حتى الثلث الثاني من طوله. يستخدم



يمتاز الوضيحي بطول القرون المصمته

واتساع العينين وشدة سوادهما وجمالهما حتى شبهت به عيون الحسان في قصائد الشعراء. ومنه قول علي بن الجهم:

عيـون المهـا بين الـرصافـة والجسـر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لـي الشـوق القديم ولـم أكن
سلوت ولكـن زدن جمراً على جمرِ

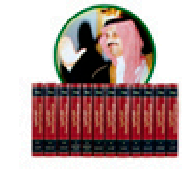
ويعيش المها العربي في المناطق الرملية المفـتوحة والـوديان الجافـة، والكثـبان الرمليـة، والمناطق ذات الغطـاء النباتي الخفيـف. وقد انتشر فـي شبه الجزيرة العربية حتى حضرموت وعدن جـنوباً، والـعـراق وسوريـا والأردن شـمـالاً، وفلسطين وشبه جزيرة سيناء بمصر. وكان المها العربي منتشراً خلال النصف الأول من القـرن الميلادي الحالي في صـحـراء النفود، وصحراء الدهناء والربع الخالي. وقد سجل وجوده في تيما ومدائن صالح ووادي السرحان، كمـا كان منتشراً في سلطنة عمان.

وعندما كان الحيوان منتشراً في شبه الجزيرة الـعربية قبل انـقراضه منها فـي الستينيات الميلادية من القرن الحالي، كان يعيش في قطعان كبيرة يزيد عدد القطيع الواحد منـها على مائتي حيـوان. ومع تناقص أعداد الحيوان في الطبيعة بسبب الصيد الجائر وفقد المواطن الطبيعية الملائمة

الحيوان قرنيه جيداً في الدفاع عن نفسه كما يستخدمهمـا الذكر في قهر الذكور الأخرى لتصبح له السيادة على القطيع.

ويقول الدميري إن قرون هذا الحيوان مصمتة بخلاف سائـر الحيوانات، فإنها مجوفة. وقرونها صـلاب جداً تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التي تطيف بها.

وهناك حدبة واضحـة على الكتف تشبه إلى حد كبير الحدبة الموجودة على البقر الأهلي في المملكة إلا أنها أقل منها ارتفاعاً. ويعرف المها العربي بحدة البصر



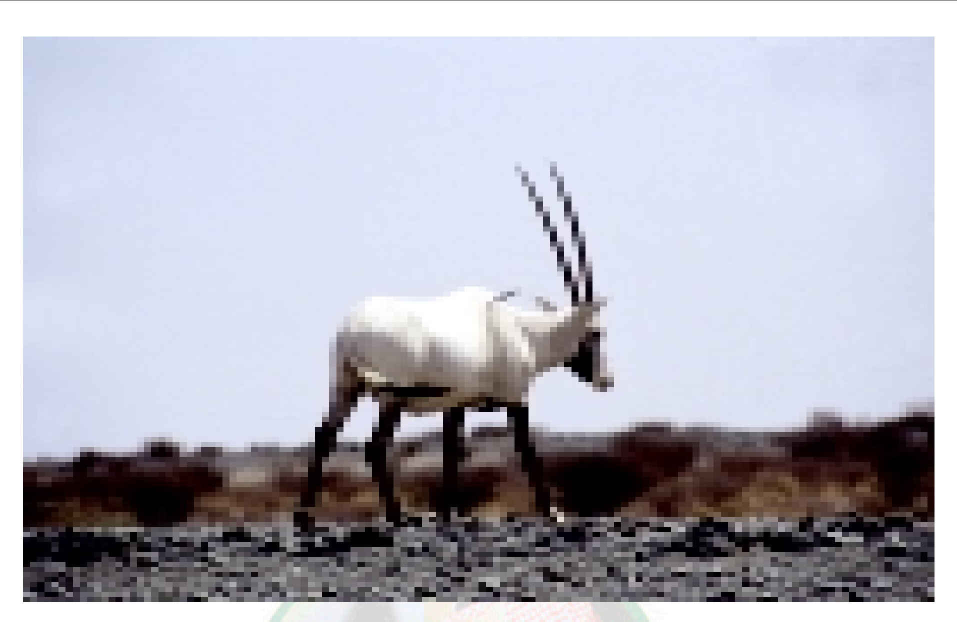


أسرة من الوضيحي في المقيل

لحياته وندرة الغذاء، تناقص حجم القطعان حتى أصبح معدلها ١٠ حيوانات أو أقل. وقد يزيد العدد على ذلك أثناء الهجرة. وغالباً يتساوى عدد الذكور مع عدد الإناث في كل قطيع يعيش في البرية، أما تحت الأسر فيتكون القطيع عادة من أسرة، أي من ذكر واحد وعدد من الإناث يتبعها عدد من صغار المها التي يتراوح عمرها بين العامين وثلاثة الأعوام. ويطلق على قطيع المها الصور والصوار والربرب والأجل والسراب والحنطلة.

وفي حالة وجود أكثر من ذكر في القطيع يحدث عراك شديد بين الذكور لتحديد مراتبها السيادية داخل القطيع ينتهي بفوز الذكر السائد وخضوع الذكور الأخرى. وقد يقتل الذكر السائد الذكر الصغير، إذا لم يعرف حدوده التي لا يتعداها، ولكن لا يحدث مثل هذا السلوك العدواني عادة إلا أثناء موسم التزاوج. ويدلل الذكر المقهور على خضوعه بخفض رأسه إلى الأرض وركوعه على قائمتيه الأماميتين. كما تسود إحدى الإناث في القطيع على الإناث الأخرى والصغار في القطيع وتحافظ على سيادتها وتسميها البادية القايده. وتعطي السيادة للفرد السائد في القطيع حول الأفضلية في الحصول على الغذاء والماء، كما يمكنه التحكم في باقي أفراد القطيع الخاضعين لسيادته ومنعهم





وضيحي ذكر في ظهره جزء من قرن ذكر آخر

من الحصول على كفايتهم من الغذاء والماء. وقد لاحظ القائمون على تربية المها تحت الأسر في حدائق الحيوان ومراكز الإكثار هذه الظاهرة ولذلك فإنهم يعمدون إلى توفير كميات من الغذاء والماء في اماكن متعددة من الحظائر لإتاحة الفرصة لتغذية كل أفراد القطيع، لا سيما الصغار والذكور الخاضعين.

والمها من الحيوانات الصحراوية المتحركة التي تقطع المئات من الكيلومترات في الصحراء جرياً وراء المرعى. ويعرف عنه قدرته على الاستدلال على سقوط الأمطار من مسافة بعيدة وهجرته إلى تلك الأماكن بحثاً عن نباتات المرعى النامية بعد سقوط الأمطار. وقد يهاجر المها العربي في الشتاء إلى مناطق الكثبان الرملية ذات الغطاء الرعوي الجيد، ويعود في الصيف عند اشتداد الحرارة إلى الأودية الحصبائية لينعم بظل أشجار الطلح. وقد يفضل المها البقاء خلال الصيف في الأماكن التي يتوافر فيها الظل رغم قلة المرعى عن الأماكن الجيدة المرعى الفقيرة الظل. كما يحاول المها العربي جهده أن يبتعد عن الأماكن التي توجد فيها البادية بمواشيها الأهلية من الماعز والضأن والإبل حتى ولو توافر فيها المرعى الجيد.

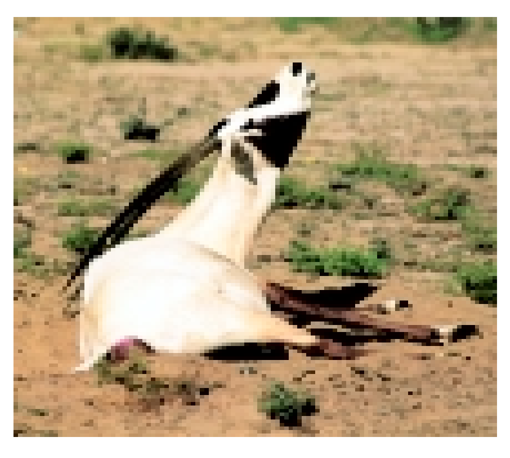
ويتغذى المها على أنواع مختلفة من الأعشاب والشجيرات وأوراق الأشجار. وقد يأكل الحنظل في أوقات الجفاف كما



أنه يحفر التربة بحوافره إلى عمق ٢٠سم أو أكثر بحثاً وراء الجذور المتشحمة الغنية بالمياه خلال فصل الصيف. وبوجه عام يمكن القول إن المها العربي لا يشرب الماء إلا إذا توافر له. ويعتبر المها من الأنواع المتكيفة بشكل كامل مع ظروف الحياة في الصحراء وهو من أكثرها قناعة إذ يكتفي عادة بما يقل عن ١٪ من وزن جسمه من الأعشاب كغذاء يومي ولكن يرتفع هذا القدر ثلاثة أضعاف أو أكثر عند غيره من الأنواع.

تزاوجه. يقول الدميري إن من طبع المها الشبق والشهوة، فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفاً من عبثه بها وهي حامل. ولفرط شهوته يركب الذكر ذكراً آخر، وإذا ركب واحد منها شمت بقية الذكور منه رائحة الماء فتثب عليه.

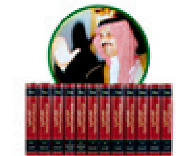
يصل الحيوان إلى النضج الجنسي عند عمر ٢٢ إلى ٣٠ شهراً وقد تستمر خصوبته لأكثر من عشر سنوات. ولا يوجد موسم تزاوج محدد خلال العام للمها العربي، لذلك يمكن أن تحمل الأنثى وأن تضع في أي وقت من أوقات السنة. ويبلغ طول فترة الدورة النزوية عند الأنثى من ٢٥ إلى ٣٢ يوماً. وتبلغ مدة الحمل حوالي ٢٨٥ يوماً في المتوسط ويمكن للأنثى أن تضع مولوداً كل عام، إذ إنها تمر بدورة نزوية بعد الوضع



أنثى الوضيحي في حالة وضع

خلال أسبوع أو أسبوعين. وعند إحساسها قرب عملية الوضع تبدأ الأنثى البحث عن مكان منعزل لحماية الصغير بعد الوضع. وتستمر عملية الوضع من ٤ إلى ٧ ساعات تكون الأنثى خلالها ممددة الجسم على سطح الأرض ولا تقف إلا بعد خروج رأس الصغير حيث تقف وتتحرك لتساعده في الخروج. وبعد الولادة تلعق الأم صغيرها وتنظفه ثم تأكل المشيمة عند خروجها بعد حوالي ثلاث ساعات من الوضع.

ويستطيع الصغير أن يتحرك ويحافظ على توازنه بعد حوالي ساعتين ونصف من عملية الوضع ولكنه يبدأ الرضاعة قبل ذلك. ويلجأ الصغير إلى الاختباء بين الأعشاب والشجيرات ولا يتحرك إلا للرضاعة من الأم. ويستطيع الصغير أن يحافظ على توازنه تماماً بعد ٤٨ ساعة من الوضع ثم لا يلبث أن يبدأ استخدام





يبدأ (الغيض)في أكل الأعشاب بعد ٣ أسابيع من ميلاده

أقدامه الدقيقة في عمل تجويف في التربة يساعده على الاختفاء ويحميه من سطح التربة ذي الحرارة المرتفعة. وتتحرك الأم حول مكان الصغير لحمايته من الأعداء. وقد يفطم الصغير بعد ثلاثة أسابيع من عمره وقد يستمر في الرضاعة حوالي ١٢ أسبوعاً قبل أن يفطم. ولكنه يبدأ عادة أكل بعض الأعشاب بعد حوالي ثلاثة أسابيع من عمره.

ورغم أن المها العربي كان موجوداً بكثرة في صحراء النفود وصحراء الربع الخالي وكثبان الدهناء، إلا أنه انقرض تماماً من بيئته الأصلية هذه بسبب الصيد الجائر. وقبل أن ينقرض المها كان الملك خالد بن عبدالعزيز، رحمه الله، قد جمع في مزرعته بالثمامة، التي تبعد حوالي ٩٠كم شمال شرق الرياض، مجموعة من المها العربي، وذلك في حوالي عام ١٩٧٠م. وتعتبر هذه المجموعة حالياً هي الأساس لتكاثر المها في المملكة، خاصة بعد إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في عام ١٤٠٦هـ، التي أخذت على عاتقها الاستمرار في رعاية هذا الحيوان النادر وإكثاره تحت الأسر وإعادة توطينه في مواطنه الأصلية التي كان منتشراً فيها بالمملكة.

ويبلغ عدد أفراد القطيع الذي كان موجوداً في الثمامة حوالي سبعين حيواناً في ذلك الوقت، نقلت إلى المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف. وبعد أن قام المتخصصون في المركز بعلاج أفراد القطيع من بعض الأوبئة التي كادت تفتك به، جرى إكثاره تحت الأسر طبقاً للأساليب العلمية مع إدخال دماء جديدة من حيوانات جلبت من حديقة سان دياجو بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن دولتي قطر والبحرين، وكذلك من المملكة الأردنية الهاشمية. أما في وقتنا الحاضر فقد تضاعف عدد المها المتكاثر تحت الأسر عدة مرات، وبُدئ بإطلاق قطعان منه في محمية محازة الصيد التي تبعد حوالي ١٤٠كم عن الطائف، وكذلك في محمية عروق بني معارض على مشارف الربع الخالي.



صيده. يصـاد بالطرد على الخيـل. ويقال إن أول من طردها على الخيل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فإنه أول من ركب الخيل. ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت إلى مكان يمكنه أخذها منه، فرق لها وتركها. ومن الكلاب ما يتسلط عليها ويتعلق بها، وأقدر معين له عليها من جوارح الطير العقاب. وكثيراً ما تستعمل الأشراك الحديـدية في صيد بقر الوحش، فتدس فـي أماكن متفرقة تحت التراب، حتى إذا خطت عليها البقرة علقت بأرجلها وانطبقت عليها وانقـطع عصبـها فلا تقوم. وكان الـعرب قديماً يصطادونها بالرمي بالأقواس. من ذلك ما حـكاه الدميـري أن بشر بن الحـرث الأسدي خرج في سنة جهد فيها قومه، فمروا ببقر فتفرقت منهم، فقام على رأس جبل فرماها بقوسه فجعلت تلقى نفسها، وهو يقول «تتابعي بقر» حتى تكسرت. ثم رجع إلى قومه فدعاهم لأكلها، وقد صارت تلك العبارة مثلاً يضرب للأمور التي تتتابع بسرعة.

ذكره في مأثـور القول والأدب. ورد ذكر المها كثيراً في التراث العربي شعـره ونثره وأمثـاله. وقد كثر ورود المها في الشعر العربي لبياض لونه وشدة وضوحه وسواد عينيه واتساعهما وجمالهما وقوة جسـمه ورشاقتـه وشدة شبهـه بالخيل ولذلك فقـد أفاض الشعراء في وصفـه وشبهوا به مـحبوباتهم. من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

تنـازعهـا المها شـبهـا ودر النـــــــ
حـور وشـاكـهت فـيـهـا الـظـباء

فـأمـا مـا فـويـق الـعـقـد منـهـا
فـمـن أدمـاء مـرتـعـهـا الخـلاء

وأمـا المـقـلـتـان فـمـن مـهـاة
ولـلـدر المـلاحـة والـصـفـاء

وقول عبيدالله بن قيس الرقيات:

ألا إنمـا لـيـلـى مـهـاة غـريـرة
وسعـدة في أتـرابهـا البيـض ربرب

وقول ابن الدمينة:

وسـرب مـباهـيـج كـأن عيـونـهـا
عيـون المها جـيبـت عليـها الـبـراقع

المباهيـج (جمع مبهاج): الحسـنة اللون الناظرة، أجـاب البرقع: قوره وأحدث فيه خرقاً مستديراً. ويقول ذي الرمة:

أوانس حـور الطـرف لعـس كأنـهـا
مـهـا قـفـرة قـد أفـردتـه جـآذره

ويقول مجنون ليلى:

مـنعـمة الأطـراف هيـف بـطونـهـا
كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل

وأعـنـاقـهـا أعـنـاق غـزلان رمـلـة
وأعـيـنـهـا مـن أعين الـبقـر الـنـجل



ويقول عمر بن أبي ربيعة مشبهاً حبيبته نُعْم وصويحباتها بقطيع من المها:

ذكَّرتني الديار نُعما وأترا
باً حساناً نواعماً كالصوار

ويقول أيضاً مشبهاً النساء وهن يرفلن في الحلل الجميلة ويمشين الهوينى بجآذر البقر:

يرفلن في الريط والبرود كما
يمشي الهوينى جآذر البقر

وقول عدي بن الرقاع مشبهاً عيني المحبوبة بعيني جؤذر:

وكأنها وسط النساء أعارها
عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

وشبه قيس بن الخطيم تبختر النسوة الحسان المغترات بحسنهن بمشي المها في الرمال الناعمة فقال:

تمشي كمشي الزهراء في دمث الرمـ
ـل إلى السهل دونه الجرف

وقال امرؤ القيس:

فعن لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل

وقال بشار مشيراً إلى ديار المحبوبة المقفرة التي تمشي بها الأبقار الوحشية خالصة البياض كأنها فتيات جميلات، يرفلن بثيابهن البيض:

تمشي بها عين النعاج كأنها
سرب العذارى في البياض المعمد

وقال مسلم بن الوليد:

دار الغواني بدلت آياتها
حور المها وشوادن الغزلان

وقال بشار أيضاً:

وفلاة زوراء تلقى بها العيـ
ـن رفاضا يمشين مشي النساء

وقال الفرزدق:

ولقد يحل بها الجميع وفيهم
حور العيون كأنهن صوار

وقال الأخطل يصف اللون الأبيض الناصع لثور المها:

صرد كأن أديمه قبطية
يرتج من صرد نساه ويخصر

الصرد: الذي أصابه البرد، وأديمه جلده والقبطية: ثياب بيض رقاق تنسب إلى موضع القبط. وقال ذو الرمة مشبهاً الثور الوحشي بالقباء الأبيض:

تجلو البوارق عن مجرمز لهق
كأنه متقبي يلمق عزب

البوارق: السحب التي فيها برق، مجرمز: يريد الثور وقد انقبض واجتمع بعضه إلى بعض مما أصابه من المطر والبرد، لهق: أبيض، متقبي: لابس قباء. ومرة أخرى شبه ذو الرمة الثور في بياضه بشعلة نار قال:



ولاح أزهر مشهور بنقبته

كأنه حين يعلو عاقراً لهب

لاح: ظهر، نقبته: لونه، عاقر: رملة لا تنبت شيئاً. وقد تعرض الشعراء للبقر الوحشي في حديثهم عن الديار وأقفارها وخلوها من الأحبة، فصارت مألفاً لها ولغيرها من الحيوان. قال الأخطل:

دار تبدلت النعام بأهلها

وصوار كل ململع ذيال

أدم مخدمة السواد كأنها

خيل هوامل بتن في أجلال

ترعى بحازجها خلال رياضها

وتميس بين سباسب ورمال

أدم: بيض، مخدمة السواد: يغشاها السواد عند أرساغها، البحازج: جمع بحزج وهو الجؤذر، ولد البقر الوحشية، تميس: تتمايل.

قال أبو الشيص عندما وقف بالديار فلم يجد بها إلا البقر الوحشي والنعام الأربد:

فوقفت أسألها وليس بها

إلا المها ونقانق ربد

وقال النابغة في نفس المعنى:

تأبد لا ترى الا صوارا

بمرقوم عليه العهد خال

وشبه الشعراء انتشار الكواكب اللامعة على صفحة السماء الصافية، ببقر الوحش الناصع البياض المنتشر على صفحة الرمال الواسعة. قال أبو نواس:

فحين بدا لك السرطان يتلو

كواكب كالنعاج الراتعات

بدا بين الذوائب في ذراها

نبات كالأكف الطالعات

وقال ابن هرمة:

وبنات نعش يبتدرن كأنها

بقرات رمل خلفهن جآذر

كما عرف الشعراء شدة صبابة البقرة الوحشية على ولدها فصوروها وهي تراعي جؤذرها الوحيد الذي لم تلد غيره، فتتركه قليلاً ثم ترنو إليه، لكنها لا تجد في مكانه إلا أثر جلده الذي بددته وحوش الصحراء، قال أبو نواس مشبهاً ناقته بهذه البقرة:

إنا إليك من الصليت فداسم

طلع النجاد بنا وجيف الأينق

يتبعن مائرة الملاط كأنما

ترنو بعيني مقلت لم تغرق

خنساء ترعى جؤذراً بخميلة

وبها إليه صبابة كالأولق

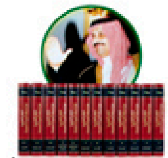
حتى إذا وجدته لم تر عنده

إلا مجر إهابه المتمزق

وقال بشار بن برد في المعنى نفسه:

فأصبحت أثني غرب روعاء أوحشت

بها جنة من طائر حين غردا



مـواشـلة مـثـل الـفـريدة عـبـدت
بـشرقـي وعسـاء السـمـينة مـرقدا
رعت غـيبـة عنـه وأضحـى بغـيبـة
لـقي المـنـايا بـين دعـصـين مفـردا
غـدت وبهـا شـيء وراحت بمـثـله
لـترغـده مـن عـيشـهـا أن تـرغدا
فـمـا وجـــدت إلا مـجـر إهـابـه
وإلا إهـابــاً بـالـقــفـي مـقـــددا
فـسافـت علـيـه ساعـة ثم أدبـرت
حـديدة طـرف العـين نظـارة العـدا

ويقول الأخطل يصف ذكر المها وقد تخضبت أظلافه من كثرة وطئه للنبات الرخص في أرض سهلة، باكرها سقوط المطر، مما أدى به إلى أن يلوذ بكنف شجرة الأرطاة محتمياً من السحاب الذي ينهمر بمطر شديد، يصحبه رعد أجش القصف. وهذا الثور كلما حاول أن يسعى إلى النوم، فيغمض عينيه، منعه سيل مندفع كان يهيل عليه التراب الذي يلج إلى عينيه فيمنعهما من الاغتماض ويحول بينه وبين النوم... وبعد ذلك يقف الشاعر عند الصيادين والكلاب التي هاجمت ذاك الثور:

أو مقـفر خـاضب الأظلاف جـادله
غـيث تـظاهـر فـي ميثاء مـبـكار
فـبات فـي جـنـب أرطأة تـكـفئـه
ريـح شـآمـيـــة هـبـت بـأمـطـار
يـجـول ليـلـتـه والـعين تـضـربـه
مـنهـا بـغيـث أجـش الرعـد نيـار
إذا أراد بـهـا الـتـغـمـيـض أرقـه
سـيـل يـدب بهـدم الـتـرب مـوار
كـأنـه إذ أضـاء الـبـرق بـهـجـتـه
فـي أصفـهـا نـية أو مـصطـلى نـار
أمـا الـسراة فـمـن ديـباجـه لـهـق
وبـالقـوائـم مثـل الـوشـم بالـقـار
حتى إذا انجاب عنه الـليل وانكشفت
سـمـاؤه عـن أديم مـصـحـر عـار
آنسـن صوت قـنـيص إذ أحس بـهـم
كـالجـن يهـفـون مـن جـرم وأنمار
فانـصاع كـالكوكـب الدري مـيعتـه
غضـبان يخـلط من مـعج وإحضار
فـأرسلـوهن يـذريـن الـتراب كمـا
يـذرى سبـائـخ قـطن نـدف أوتـار
حـتى إذا قـلـت نالـتـه سـوابقـهـا
وأرهـقـتـه بـــأنـيـاب وأظـــفـار
أنـحى إلـيهـن عـيناً غيـر غـافلـة
وطـعـن مـحـتـقـر الأقـران كـرار
فـعفـر الـضاريـات اللاحـقـات به
عـفـر الـغريـب قـداحاً بـين أيـسار
يـعـذن مـنـه بـجزان المـنـان وقـد
فـرقـــن عـنـه بـــذي وقـع وآثـار

وقد شـبه امرؤ القـيس ناقتـه بثور الوحش يحفر بظلوفه مـربضاً يبيت فيه ومكنساً يقيه الحر والـبرد، وعند دخول



العشاء شرع يهيل التراب ويذريه. وبات ذلك الثور متوسداً خده الأسود ينام مثل أسير موثـق مقيد مطروح على جـنبه. ومع الشروق صبحته كلاب الصيد التي أرسلها ابـن مر أو ابن سنبس. كـلاب مجوعة، جلودها زرق، وعيونها حـمر تشبه زهور العضرس، فقد أغريت وأشير إليها بالهجوم. قال:

كـأني ورحـلي فـوق أحقـب قارح
بـشربـة أو طـاو بعـرنـان موجس
تـعشـى قلـيلاً ثـم أنـحى ظـلوفـه
يثـير الـتراب عـن مبيـت ومكـنس
يـهـيـل ويـذري تـربـهـا ويـثـيره
إثـارة نـيات الـهـواجـر مـخـمس
فـبات عـلـى خـد أحم ومـنـكـب
وضـجعـتـه مـثل الأسـير المـكردس
وبـات إلـى أرطاة حـقـف كـأنـها
إذا ألـثقـتـها عـبيـة بـيت مـعـرس
وصـبَّـحـه عـند الـشـروق غـديـة
كلاب ابن مـر أو كلاب ابن سنـبس
مـغـرثــة زرقـا كـأن عـيــونـهـا
من الـذمر والإيـحاء نـوار عضـرس

شربة وعرنان: موضعان، طاو: ثور وحش بات جائعا، موجس: متسمع لكـل نبأة، تـعشى: دخل فـي وقت العشاء، وهو أول الليل، أنحى ظلوفه: اعتمد بأظلافه يحفر مربضاً يبيت فيه، النيات: الذي يزيل التراب الظاهر لتباشر





إبله برد الثرى، ألثقتها: بلتها، الغبية: الدفعة من المطر، الذمر: الإغراء والتسليط، الإيحاء: الإشارة لها إلى الشيء.

ولما شعر الثور بالكلاب ولى مدبراً ولكنها لحقت به واشتبك معها وتناولت ساقه ومزقت عروقها، كما يمزق الولدان ثوب الذي يقصد بيت المقدس للحج، ويئست من نواله بعد أن استبد بها الإعياء، فلجأت إلى الشجر لتستريح وتركته مثل بعير انقطع عن الضراب عجزاً فبرز للشمس:

فأدبر يكسوها الرغام كأنه
على الصمْد والآكام جذوة مقبس

وأيقن أن لاقينه أن يومه
بذي الرمث أن ماوتّهُ يوم أنفس

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدان ثوب المقدّس

وغوَّرن في ظل الغضا وتركنه
كفحل الهجان الغادر المتشمس

الصمد: ما غلظ من الأرض وصلب، المقبس: الذي عنده من النار ما يقبس منه، النسا: عرق في الساق، شبرق: مزق، المقدس: الذي يأتي بيت المقدس للحج، غورن: استترن.

وقال النابغة الذبياني يصف تفوق المها على كلاب الصيد التي تطارده:

من وحش وجرة موشي أكارعه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

أسرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جاور البرد

فارتاع من صوت كلاّب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها
طعن المبيطر إذ يشفي من العضد

كأنه خارج من جنب صفحته
سفود شرب نسوه عند مفتأد

فظل يعجم أعلى الروق منقبضا
في حالك اللون صدق غير ذي أود

لما رأى واشق إقعاص صاحبه
ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس إني لا أرى طمعا
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

كما جاء ذكر المها في النثر العربي. وصف أحد كتاب الأندلس المتأخرين صواراً من بقر الوحش في رسالة طردية له فقال «لقد عَن لنا سرب نعاج يمشين رهواً مشي العذارى، ويتثنين زهواً تثنى السكارى. كأنما تجلل بالكافور جلودها، وتمضخ بالمسك قوائمها وخدودها. وكأنما لبسن الدَّوَقسَ سربالاً، واتخذن السندس سروالاً. فأرسلنا أولى الخيل على أُخراها، وخليناها وإياها. فمضت مُضِي السهام، وهوت هَوِي السَّمَام. فجالت



في أسرابها يميناً وشمالاً، فكأنما أهت لآجالها آجالا».

وشبه الشعراء الشعبيون المرأة بالمها وأفاضوا في ذلك، ومن أمثلة ذلك ما قاله عبدالله بن فرحان القضاعي:

يامن يبادل بالوضيحى جراده
متى تدوّر حصة البحر وتصاد

وقال محمد بن مناور العنزي:

العنق عنق وضيحيٍّ يوم ينذار
سمع الصياح وشاف رف الذخيره

ينذار: يجفل، رف الذخيره: دخان الرمي. وقال سالم بن هاشم الغريس:

عنق المها اللى راتعٍ له بروض
سمع الرماة وخاف لا احدٍ يريعه



وقال عبدالله بن إبراهيم الجابر:

والا مهاةٍ تقود خشوف
والا فحورية الجنه

وقال فهد الفويه السبيعي:

ترها طويلة عنق مثل المهاة
مثل الاصيل اللي طويل مَعَنّه

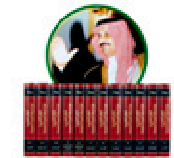
الأصيل: يقصد الفرس الأصيلة.

وقال عقاب بن سعدون العواجي:

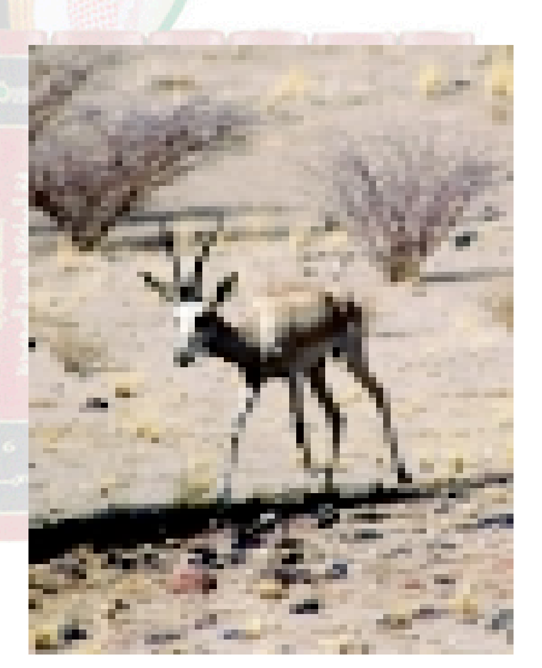
طفل لشراد المها صار قواد
يحير عقلي من تواصيف لونه

الظباء

صفاتها وسلالاتها. المفرد ظبي والجمع أَظْب وظِباء وظُبِي. والأنثى ظبية والجمع ظبيات وظباء. وأرض مظبأة أي كثيرة الظباء. قال الكرخي: الظباء ذكور الغزلان والأنثى الغزال. قال الإمام: وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه. قال الإمام النووي: الذي قاله الإمام هو المعتمد. وقول صاحب التنبيه: فإن أتلف ظبياً ماخضاً، قال النووي: صوابه ظبية ماخضاً، لأن الماخض الحامل، ولا يقال في الأنثى إلا ظبية، والذكر ظبي. قال الجوهري: وتكنى الظبية أم الخشف وأم شادن وأم الطلا. والظباء مختلفة الألوان وهي ثلاثة أصناف: صنف يقال له الآرام وهي ظباء بيض خالصة البياض الواحد منها ريم، ومساكنها الرمال. ويقال لها ضأن الظباء، لأنها أكثر لحوماً



وشحوماً. وصنف يسمى العفر وألوانها حمر، وهي قصار الأعناق وأضعف الظباء عدواً، تألف المواضع المرتفعة والأماكن الصلبة. وصنف يسمى الأدم: طوال الأعناق والقوائم بيض البطون. وتوصف الظباء بحدة البصر، وهي أشد الحيوان نفوراً. ومن كَيَس الظبي أنه إذا أراد أن يدخل كناسه يدخل مستدبراً ويستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفانه، فإن رأى أن أحداً أبصره حين دخوله لا يدخل وإلا دخل. ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاف. وهذا ظاهر الأمر وفالصحيح



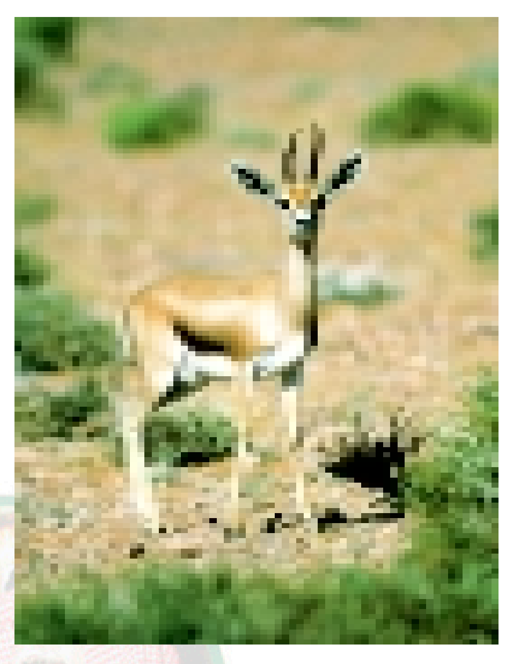
غزال الريم في محمية محازة الصيد

أنه توجد عيون من ماء عذب تخرج في أطراف البحر في المناطق التي يغطيها المد، وعند حدوث الجزر تردها الظباء فتشرب منها وهي تعرف مكانها. قال ابن قتيبة: أول سنة طلا وخِشف، ثم في السنة الثانية جذع، ثم في الثالثة ثني، ثم لايزال ثنياً حتى يموت.

والظباء من أسرع الحيوانات عدواً، وأخفها حركة ووثباً. والعرب تدعو وثب الظباء نزواً، والظبي حين يثب يجمع قوائمه ثم ينشرها عند الوقوع، ويدعى هذا الوثب النفز والنقز، وتسميه البادية المتاوم والطمير، ومن هنا جاء المثل «عيا على فطاح الظبي طميرها». والظبي حين يُذعر أو يطرد يعدو عدواً سريعاً، حتى إنه ليخف على وجه الأرض. فيقال مر الظبي يهفو على وجه الأرض ويطفو ويذرو، وهو عند ذلك يُخلي قوائمه ويمضي لا يلوي على شيء، فيقال تَطَلَّق الظبي واستطلق. وعدو الظباء إنما يكون في السهوب المنبسطة، وليس لها قدرة على العدو والإسراع في الجبال.

ويتصف الغزال برشاقته حتى قالوا في المثل الشعبي «أخف من دم الغزال»،



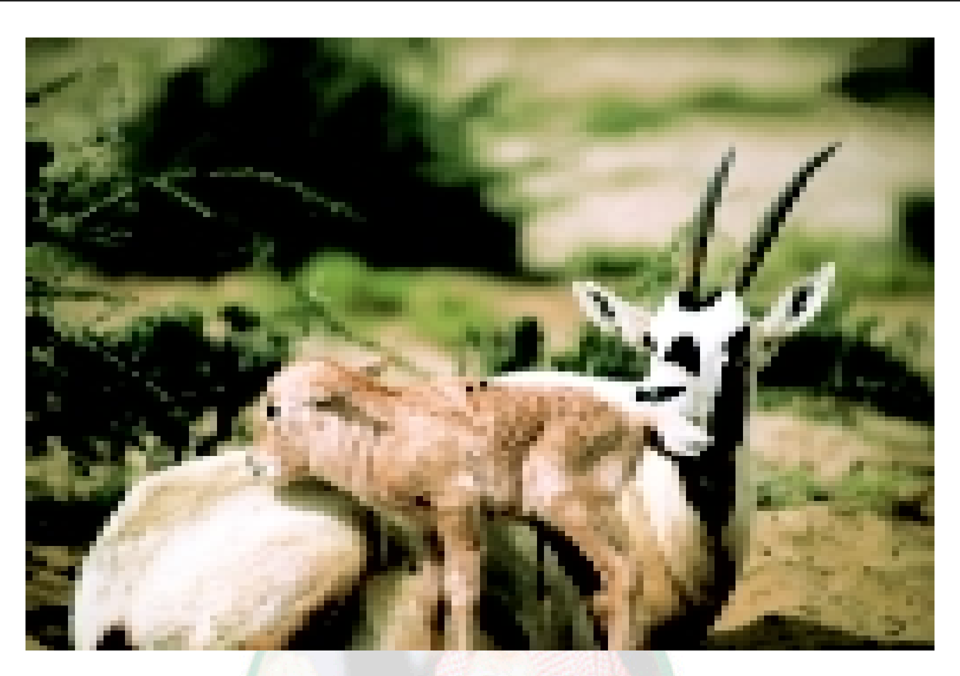


تمتاز الريم بالرشاقة وخفة الحركة

والدم يعني الظل والروح ويعني الاستحسان والمدح. وشدة عدوه مظهر من مظاهر عافيته حتى ضرب به المثل «أعفى من الظبي»، والمثل يستخدم للمدح.

والظباء تحيا جماعات جماعات. ويقال لجماعة الظباء «الجميله»، كما يقال لها الأمعوز إذا كانت بين الثلاثين والأربعين وخاصة الريم، أما العفري والإدمي فلا تجتمع بهذه الأعداد إذ يلاحظ أن تجمعها في الطبيعة لا يزيد عن خمسة الأفراد أو الستة أفراد. وقائدة الجميلة هي أبرز الفريق وأسرعه في الجري. والقائدة لجميلة الظباء تكون في العادة جمّاء أي لا قرون لها، ومن أسمائها العنود، وقالوا في المثل الشعبي «أزين من قايد الريم»، وقايد الريم العنود والمثل يستعمل للمدح. ولأنها تقود الجميلة يحرص الصيادون على صيدها أولاً لأن ذلك يجعل الجميلة تتحير وتقف مما يتيح للصيادين صيد واقتناص عدد غير قليل منها قبل هربها. والظبية شديدة الحدب على ولدها كثيرة الرعاية له فهي تنقطع عن السرب وتتخلف عنه لتقيم مع ولدها وترعاه، فإذا فعلت ذلك قيل: خذلت الظبية أو الوحشية، فهي خاذِل وانفردت عن القطيع فهي فارد. وهي تستر خشفها خلف ما يواريه من شجر ونحوه فيقال: خَدرت الظبية طلاها أو غزالها، والظبية تدعو ولدها بأرخم ما يكون من الصوت وأطيبه. ويقال لصوتها هذا البغام، ويقال لها ظبية بغوم. وتسمى البادية صوت الظبي إذا استنكر شيئاً العفيط فيقال عفط الظبي. والظبية ترفق بولدها أشد الرفق عند فطامه، وتتأنى لذلك أحسن التأني، فهي لا تفطمه عن الحليب دفعة واحدة، وإنما تمنعه عنه بعض المنع حين تدرك أنه غدا قادراً على الأكل، ثم لا تزال تمنعه تارة وترضعه أخرى وتزيد على الأيام في مدة منعه، حتى إذا أصبح في غنى عنها فطمته





اشتهرت الظبية بشدة رعايتها لصغارها

فطاماً لا رجعة فيه، ومنعته الرضاعة كل المنع.

ومن عادة الظباء أن تحرك أذنابها شأنها في ذلك كشأن الكلاب التي تفعل ذلك عند الفرح والتودد، فيقال عندئذ لألأت الظباء بأذنابها وبصبصت. والظباء تتأذى من الحر، فإذا طلعت الجوزاء واشتدت حَمارّة القيظ لجأت إلى مكانسها وقالت فيها. وللظبي نومتان في مكنسين اثنين: مكنس الضحى، ومكنس العشي، ويدعى مكنِس الظبي تَوْلَجاً. ويقال أدمج الظبي في كناسه إذا دخل فيه، وأتلج الظبي في كناسه وأتْلَجَه فيه الحر. وحين يشتد الحر تجعل الظباء رعيها في الغدوات، حيث يكون الجو ما يزال بارداً، وفي الليل حيث تغرب الشمس.

وهي تأكل ما تصل إليه من أوراق الشجر وأغصانها، وترعى ما تجده في الأرض من كلأ. فيقال عَطَت الظبية عطواً إذا تناولت الشجر، وظباء عَوَاط إذا ارتكزت على قائمتيها الخلفيتين، ورفعت جسمها لتصل إلى أوراق الشجر. وخَضَعت الظبية إذا أمالت رأسها في الرعي وظباء خواضع. والظباء تخرج رأسها من كناسها لتتحسس حالة الجو أو لغرض آخر



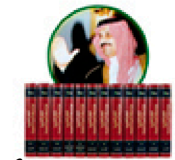


غزال الريم بين الأشجار البريّة في محمية (محازة الصيد)

فيقال: أتلعت الظبية بمعنى أخرجت رأسها من كناسها.

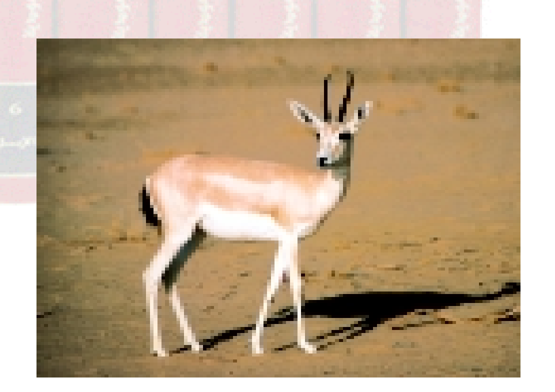
وظلف الظبي شديد الأثر فيما يطأ عليه، لذا فإن الصائدين يستدلون على الظباء بآثار أظلافها في المواضع الرملية، وبأبعارها فيما عدا ذلك من الأرض. والظباء إذا فقدت الماء استنشقت النسيم واعتاضت به عن الماء، وهذا غير صحيح وقيل إن الذي يفعل ذلك منها هو ظباء الدو والدهناء والصمان. والظبي إذا طرده طارد لم يجهد نفسه في العدو لأول وهلة، وإنما يرفق بنفسه ويحتفظ بقواه إلى الوقت الذي تضعف فيه قوى طارده، فإذا رأى طالبه قد دنا منه جد في العدو وزاد في سرعته حتى يفوته (الباشا ١٩٨٣: ٢٠٩-٢١١).

والظباء قد تدجن وتولد على صعوبة ما في ذلك. والظبي شنج النسا (شنج النسا: منقبضه)، فهو لا يسمح بالمشي. وظبي أشعب: إذا كان بعيد ما بين القرنين. ويقال ليس في البهائم أطيب أفواهاً من الظباء. والظباء والبقر كلها فطس خنس. وإذا سموا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يريدون، بل كأنهم قالوا: مهاة وظبية. والظبي إذا هزل أبيض. والظباء تخضم الحنظل. والعنز من الظباء إذا اعتراها البول من شدة الفزع لم تجمعه وحذفت به كإبزاغ المخاض



الضوارب. وأصغر أيور الحيوان قضيب الظبي. والظبية إذا ظنت أن ولدها قد أطاق الأكل منعته بعض المنع، ثم لا تزال تنزل ذلك المنع وترتبه وتدرجه، حتى إذا علمت أن به غنى عنها إن هي فطمته فطاماً لا رجعة فيه، منعته كل المنع. وأم عزة: الظبية، وعزة ابنتها.

ومما جاء في الحديث الشريف: أن النبي ﷺ أمر الضحاك بن قيس أن يأتي قومه فقال: إذا أتيتهم فاربض في دارهم ظبياً. وتأويله أنه ﷺ بعثه إلى قوم مشركين ليتبصر ما هم عليه ويتجسس أخبارهم ويرجع إليه بخبرهم، فأمره أن يكون منهم بحيث يراهم ويتبينهم ولا يتمكنون منه، فإن رابه منهم ريب تهيأ له الهرب وانفلت منهم، فيكون مثل الظبي الذي لا يربض إلا وهو متباعد متوحش بالبلد القفر، أو متى ارتاب أو أحس بفزع نفر (شاكر ١٩٨٥، ج٢: ٢٨٠)



ويقول الدميري عن خواص الظبي ما يلي: قال ابن وحشية: قرنه ينحت ويبخر به البيت، يطرد الهوام. ولسانه يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة، تزول سلاطتها. ومرارته تقطر في الأذن الوجعة، يزول وجعها. وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي فيأكله، فينشأ ذكياً فصيحاً ذلقاً. ومسكه، الذي يؤخذ من نوع خاص من الظباء لا يوجد في الجزيرة العربية، يقوي البصر، وينشف الرطوبات، ويقوي القلب والدماغ، ويجلو بياض العين، وينفع من الخفقان، وهو ترياق للسموم، إلا أنه يورث تصغير الوجه. ومن خواص المسك أن استعماله في الطعام يورث البخر. قال الرازي: لحم الظبي حار يابس وهو أصلح لحوم الصيد، وأجوده الخشف، وهو نافع للقولنج والفالج والأبدان كثيرة الفضول، لكنه يجفف الأعضاء، ويرفع ضرره الأدهان والحوامض، وهو يولد دماً حاراً وأصلح ما أكل في الشتاء.

ويقول القزويني: دماغ الغزال يداف بدهن الفأر، ثم يؤخذ منه فيداف بماء الكمون ويشرب منه قدر جرعة ينفع للسعال. ومرارته تخلط بقطران وملح ويشرب منها صاحب السعال الذي يقذف القيح والدم جزءاً بماء حار، يبرأ بإذن الله تعالى.



ويقول الدميري عن رؤية الظبي في المنام: هو امرأة حسناء عربية. فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة، أو يتزوج امرأة. ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية. ومن رمى ظبية لغير الصيد، فإنه يقذف امرأة. ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد نال مالا من امرأة. ومن رأى أنه صاد ظبياً أصابته لذاذة في الدنيا. ومن رأى أنه أخذ ظبياً نال ميراثاً وخيراً كثيراً. ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة. ومن رأى ظبياً وثب عليه فإن امرأته تعصيه في جميع أموره. وقال جاماسب: من رأى أنه يمشي في أثر ظبي زادت قوته. ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها فهي أموال من قبل النساء.

وقد شاع في وقتنا الحاضر استخدام لفظ الغزال ليدل على الظبي البالغ والجمع غزلان، وتستخدم حالياً مرادفة للفظة الظباء وهو خطأ. ويطلق على ذكر الظباء تيس والأنثى عنز. ويسمى الذكر المسن عود. وعلى عكس الحيوانات المشابهة لا يعرف عمر الظبي من أسنانه ولذلك يقول المثل «فلان مثل الظبي دايم ثني» لمن لا يظهر عليه آثار تقدم العمر.

ويوجد في المملكة العربية السعودية أربعة أنواع من الظباء: الريم والإدمي والعفري والخضري. وما زالت هناك أعداد محدودة من النوعين الأولين خاصة في المناطق الشمالية في حرة الحرة والخنفة والطبيق. وقد توجد منها أعداد ضئيلة جداً في منطقة الربع الخالي. أما النوع الثالث (العفري) فيبدو أنه انقرض من المملكة العربية السعودية. فإن كانت هناك أفراد معدودة باقية منها فليس من المعروف مكانها بالتحديد. وقد يوجد بعض الأفراد منها في المجموعات الخاصة التي يحتفظ بها بعض الشيوخ في مزارعهم وحدائقهم. وهناك نوع خامس يسمى ظبي بلقيس يوجد في اليمن ولا يوجد في المملكة العربية السعودية.

الريم (ظبي الرمال): أكبر أنواع الظباء في الجزيرة العربية. ومنه نوعان عربي يوجد في الجزيرة العربية وأفريقي يوجد في شمال أفريقيا، وكلاهما يعرف بالريم حتى يومنا هذا، والريم جمع مفرده ريمي وريمية وجمع الجمع آرام. ويتميز الريم بلونه الرملي والجزء الداخلي للقوائم والبطن مغطى بشعر أبيض ناصع. وخطوط الوجه والخاصرة غير واضحة. ويبلغ طول الجسم الكلي ما بين خمسة وتسعين إلى ١٢٠سم، أما ارتفاع الكتف فيتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠سم وطول الأذن من ١١ إلى ١٢سم. ويبلغ طول





الريم: ظبي الرمال

قرون الـذكور ما بين ٢٠ إلـى ٣٠سم وللإناث قرون قصيرة رفيعة.

ويألف ظبي الريم الصحاري والمناطق قليلة العشب والسهول والوديان الرملية والمناطق المفتوحة والنجود. وكان موجوداً بأعداد كبيرة في مناطق الـكثبان الرملية في الـربع الخالـي والدهـناء وصحـراء النفود. كمـا كان منتشراً بشكـل واسع في الجزيرة العربية. ويوجد حالياً أعداد قليلة جداً في الخنفة والحرة وفي بعـض مناطق الربـع الخالي. وكان ظبي الريم منتشـراً انتشاراً واسعاً في شـبه الجزيرة العربية شمالاً حتى تركيا وشرقاً في إيران وجنوب روسيا وأفغانستان وباكستان حتى الصين. ويـطلق على الـقطيع جـميلة والجمع جمايل وجُمُل.

الإدمي (ظبي الجبال): وهـو ظبي متوسـط الحجم يتمتـع بقوائم طويـلة



الريم: ظبي الرمال

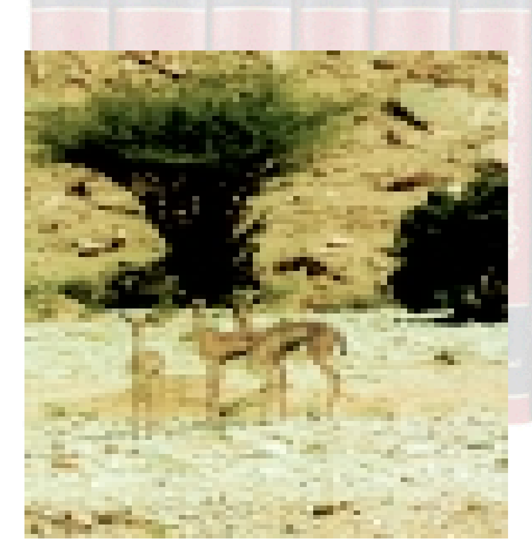




الأدمي: ظبي الجبال

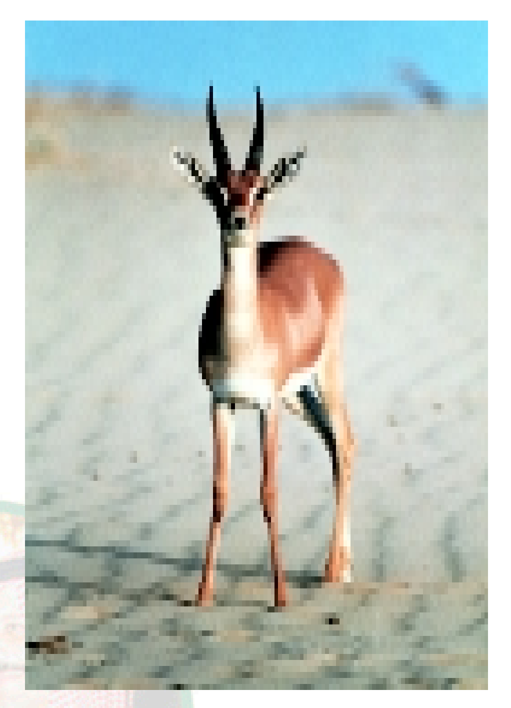
نسبياً، ورقبة طويلة دقيقة، ورأس صغير نسبياً. ولذا قالوا في المثل «راس ظبي ما عليه عراش»، والعراش اللحم الذي يكون في الرأس، ويعني عدم وجود الفائدة. ويبلغ طول جسمه الكلي ما بين ٩٠-١٠٥سم، وارتفاع الكتف ما بين ٦٠-٦٥سم. ويصل طول ذيله إلى ١٠سم، أما الأذن فطولها من ١١-١٢سم وطول قرون الذكر ما بين ١٥-٢٧سم.

ويتميز ظبي الإدمي بطول الرقبة ودقتها حتى ليوصف بها عنق المرأة الطويل الجميل. كما يتميز بلون متجانس بين اللون البني الترابي واللون الترابي الداكن الذي يبهت تدريجياً عند القوائم. وخط الخاصرة واضح، ويمكن ملاحظته عن بعد. ويوجد خطان



وضوح خط خاصرة الأدمي عن بعد



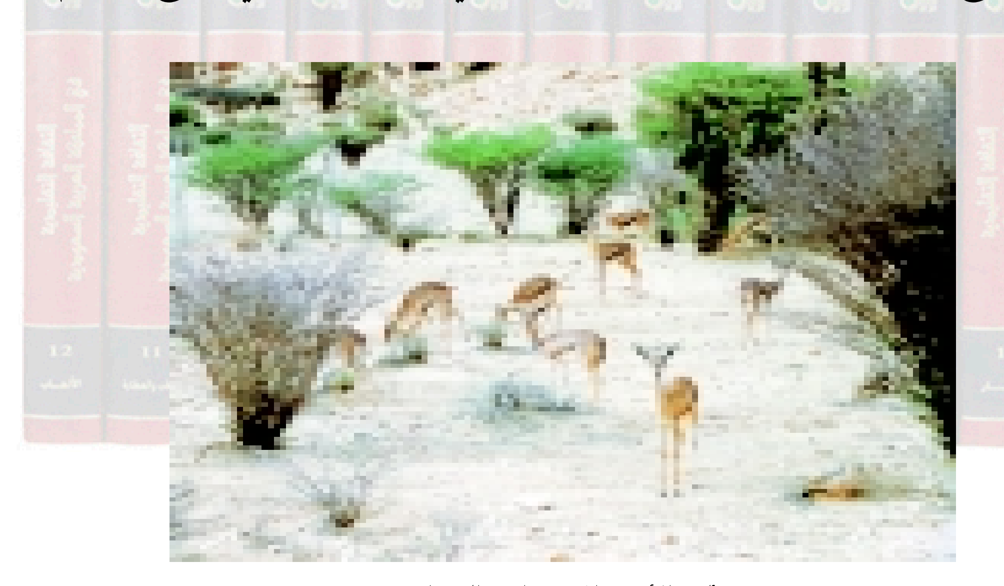


يتميز الأدمي بطول الرقبة

أسودان ممتدان من أسفل العين إلى الأنف مع وجود بقعة مميزة على الأنف، يسميها أهل البادية الرقمه. وللإناث قرون قصيرة ورفيعة والحلقات القرنية غير واضحة.

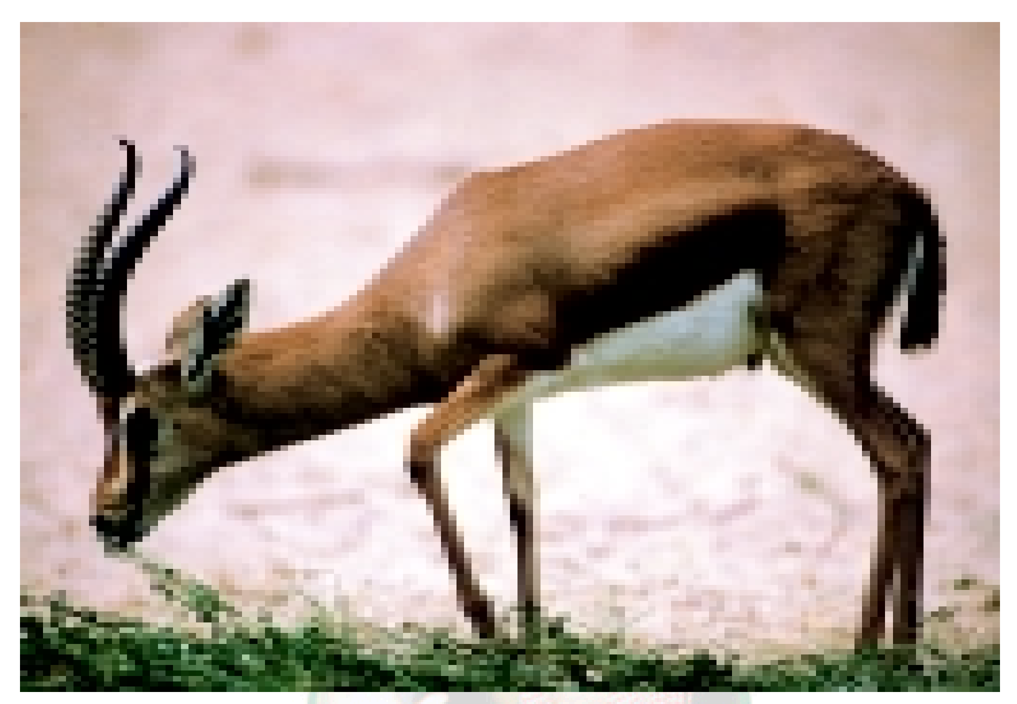
ويألف ظبي الإدمي المناطق الجبلية والمنحدرات والحرات، كذلك غابات الطلح المفتوحة. وكان هذا الغزال يتوافر بأعداد جيدة على طول سلسلة جبال السروات، وجبال أجا وسلمى ووادي السرحان وحرة الحرة والمناطق الصحراوية الأخرى. وقد عرف أيضاً بأن هذا الظبي يوجد بأعداد جيدة في دول الشمال الأفريقي، ومصر وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق، بالإضافة إلى الجزيرة العربية.

العفري: أصغر حجماً من الظبي الجبلي، وطوله الكلي يبلغ ٩٣سم



يألف الأدمي المنحدرات والحرات



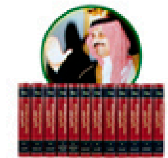


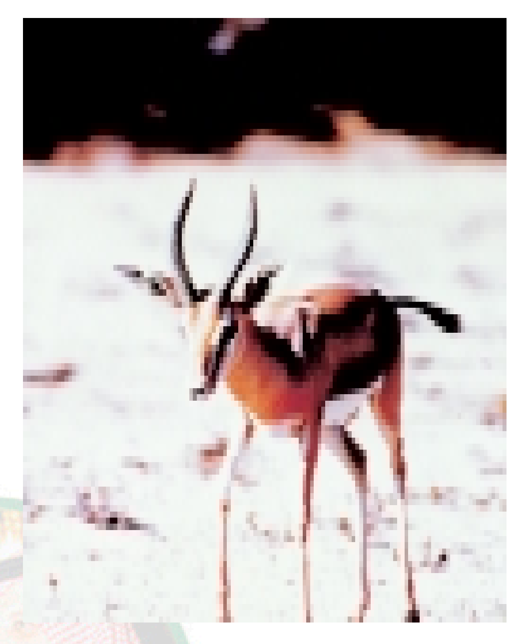
العفري: أصغر حجماً من الأدمي

وارتفاع الكتف من ٥٥- ٦٠سم وطول الذيل ٩سم. ولون العفري رملي داكن مع خطوط وجه واضحة، أما خط الخاصرة فغير واضح. ويوجد في هذا الظبي شعر أسود طويل نسبياً على الركب الأمامية. والقرون جيدة التكوين في كلا الجنسين، وتكون قرون الذكور سميكة مستقيمة، أما قرون الإناث فهي طويلة مستقيمة أيضاً. كما توجد رقمة سوداء خفيفة على الأنف لا يمكن ملاحظتها أحياناً.

ويألف هذا الظبي المناطق المفتوحة والحماد والنجود والسهول القريبة من الجبال، ويعيش بجوار تجمعات أشجار الطلح التي تؤمن له الغطاء والغذاء والظل. وكان يوجد بأعداد جيدة في المناطق المفتوحة كالنجود والحماد في المناطق الشمالية والغربية من المملكة. إضافة لذلك فقد كان يعرف هذا الظبي بانتشاره في مناطق عديدة في الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء وشمال أفريقيا (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٤٤-٤٨).

صيدها. يصاد الظبي بالفهد والكلب من الضواري، وبالعقاب من الجوارح. ويصاد أيضاً بالحبائل والنار، وذلك بأن توقد النيران في أماكن وجود الظباء فإذا





يألف العفري المناطق المفتوحة

رآها الظبي عشيت عيناه وذهل لها ودهش، ولا سيما إذا أضيف إلى النار جرس يحركه الصائد، فإن ذلك يوهن قواه ولا يبقى به حراكاً البتة. والتيس من الظباء إذا طرده الكلب وعراه الخوف عرض له البول والتقطير، ولم يستطع البول مع شدة الحضْر وقوة النقز، ووضع القوائم ورفعها معاً في أسرع من لمح الطرف. فيثقل عدوه ويقصر خطوه ويعتريه البُهْر، فيلحقه الكلب ويأخذه. أما العنز من الظباء فهي إذا اعتراها البول من شدة الفزع قذفت به من غير عناء، وذلك لسعة المسيل وسهولة المخرج، فهي لذلك أدوم من التيس شداً وأصبر منه على المطاولة. والكلب يعرف ذلك بفطرته، فينحو نحو التيس من السرب، ويترك العنز. وكان الأعراب في الجاهلية لا يصيدون الظبي في أول الليل لأنهم يعتقدون أن الظباء من مطايا الجن. والذئب يصيد الظبي ويطلبه (الباشا ١٩٨٣: ٢١٢-٢١٣).

ويعمد القانص الرِجْلي، أي الذي يمشي على رجليه، إلى اختيار المسافة المناسبة والموضع المناسب لطلقته، وهو ما كان فوق الذراع وتحت أعلى الكتف (العضد)، أي في موضع القلب ومقتل الظبي فيموت من فوره. أما إذا أصابه في غير هذا الموضع فقد يتعبه في مطاردته والإمساك به إلا بعد أن يطلق عليه طلقة أخرى مميتة، وربما تمكن من الهرب إلى مسافة بعيدة لا يطوله فيها الصياد ومات بعيدا عنه. ومن جاءت منهم طلقته في ذلك الموضع فهو بواردي ماهر أما من أصابه في غير هذا الموضع فليس بالصياد الماهر. وإذا أصابه في منطقة الكرش، أي وسط البطن، قالوا عن الظبي إنه مكروش، وقد يسلم من مثل هذه الإصابة.

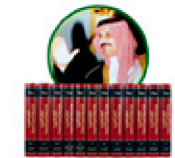
وبوجه عام، يحرص الصياد ألا يأتي الظباء من الجهة التي تهب منها الريح، لأن الظباء لها حاسة شم قوية، فتهرب منه قبل أن يقترب منها، وإنما يكون قنصها وختلها بالاقتراب منها من الجهة المواجهة



للريح، حيث تحمل الريح رائحة الصياد بعيداً. كما يُفضل أن تكون الشمس في ظهر الصياد أثناء اقترابه من الظبي حتى يصعب على الظبي رؤية الصياد، خاصة إذا لم يوجد في المنطقة شيء يتخفى وراءه حتى يقترب من الظبي.

ويفضل صيادو البادية أن يبدأوا يوم قنصهم مع الغلس ويتوجهون إلى مكان مرتفع ويختبئون في ما يسمى الزريبه. ويراقبون الصيد من مكانهم الخفي ويحددون مكان الظباء واتجاه الريح وينتظرون حتى تقترب منهم على بعد المسافة التي تمكنهم من الرمي، خاصة أنهم كانوا يتصيدون على أقدامهم ولم تكن الذخيرة متوافرة لديهم كما هي في الوقت الحاضر. ولم يكن الصياد يتوجه إلى منطقة للصيد فيها إلا إذا وجد فيها آثاراً حديثة للظباء، وذلك مصداق المثل الشائع لديهم «الصيد جرة»، أي أثر، فالأرض التي لا جرة أو أثر فيها للظباء أو فيها أثر قديم تخلو من الصيد ولا طائل من البحث فيها عنه.

كما أنه مما يتعلق بأمور الصيد عند البادية عمل الترشه أو القفده على عقب البندق (المؤخرة الخشبية للبندقية). والترشه أو القفدة تعمل من جلد رؤوس الظباء، وخاصة الريم والادمي، أو من جلد معاصم الوعول (الحجول). وهي نوعان ثابته ومتحركة (قلاعي). وعملونها بسلخ جلد رأس الظبي أو جلد معاصم الوعول ووضعها على مؤخرة البندقية الخشبية وربطها حتى تجف. ثم يقطعون الزوائد منها لتصبح وكأنها رأس ظبي حقيقي ولكن بدون قرون أو آذان. وكلما صاد ظبياً سلخ جلد رأسه ووضعه على سابقه. وإذا زال الشعر من العلوي (الظاهر منها) ازاله وأظهر ما كان تحته حيث يكون محتفظاً بشعره وذلك ما لم يصطد ظبياً آخر. فإذا صاد ظبياً آخر وضعه مكان الذي قدم وأزاله. وهم يفعلون ذلك لعدة أسباب؛ فهي نوع من التفاخر بكثرة الصيد مما يدل على مهارة الصياد وتفننه فيه وإتقانه، وخاصة أمام منافسيه وأمام فتيات القبيلة أو القبائل المحيطة به. كما تعمل الترشه على وقاية الكتف من قوة اصطدام مؤخرة البندقية (العقب) بكتف الرامي عند إطلاق النار. وهي أيضاً وقاية المؤخرة الخشبية للبندقية عند وضعها مرتكزة على الأرض من التلف، خاصة وأن أبناء البادية يحرصون كل الحرص على سلاحهم والعناية به وإبقائه بعيداً عن الخدوش والتلف.



وآخر أسباب ذلك أنه معروف عن الظبي والوعول أن الذكور تفرز رائحة معينة تنتشر مع الهواء يفرزها تيس الظباء مما يعرف باسم الختتور (وهي فتحة تقع بين العين والخشم ويفرزها الوعل من مصنته، وهي غدة في مؤخرة الرأس (المعذر) تجذب الإناث إلى الذكور حين تشمها). فإذا رأى الصياد الظبي ذكراً كان أو أنثى قبل أن يراه أظهر عقب بندقيته التي عليها ترشه رأس الظبي وهو متخفٍ خلف شجرة أو رمل أو حجر فيعتقد الذكر أنها الأنثى وتعتقد الأنثى أنها الذكر فتقترب مسرعة منه فيصطادها عن قرب. أما إذا كان يصطاد الوعول فيحرص على أن تكون الترشة من معاصمها ويفعل نفس الشيء.

وأنسب أوقات صيد الظباء هو الصباح أو وقت العصر وخاصة لمن يذهب للقنص على قدميه، لسببين مهمين: الأول الجو البارد حتى لا يظمأ القانص والثاني ميزة الوقت حتى يتسنى للقانص أن يجعل الشمس خلفه كلا الوقتين، أي الصيد على الضيحه، حتى لا تتمكن الظباء من رؤيته قبل أن يراها هو، كذلك عليه أن يحدد اتجاه الرياح فتكون مقابلة له، ومن الخطأ أن يقنصها والريح آتية من خلفه، ذلك أن الظباء إذا شمت رائحة الإنسان هربت حتى وإن لم تره شخصياً، ويقول المثل «الظبي يكذب بعينه ويصدق بخشمه».

وعلى القانص أن يبحث عنها في أكثر المناطق اخضراراً، فإذا كانت الأرض معشبة أمكن أن يجدها متفرقة فيها، أما إذا كانت الأرض خالية من العشب، فإن الأودية ومسائل الماء الصغيرة - حيث يكون شجر العوسج والسمر والسلم- هي الأحرى أن تتوافر الظباء فيها. وإذا كان القانص على سيارة أمكنه أن يجدها بسرعة خاصة إذا وجد لها جرة في الأرض فالصيد جرة، كما يقول المثل، فإذا كانت الجرة جديدة ومتكررة ودمنها أخضر ورأى بولها فإنه لا يلبث أن يراها. أما إذا كانت الجرة قديمة ولا جديد من الأثر يظهر في الأرض انتقل إلى منطقة أخرى بحثاً



«الصيد جرّه» آثار الظباء على الأرض

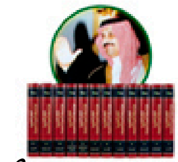




مقيل الظباء صيفاً تحت أشجار العوسج والسلم والسمر

عنها. أما إذا كان القانص على قدميه كما قلنا، وضع الشمس أمامه والريح خلفه ثم عليه أن يكشف الأرض أمامه أولاً بأول وبتؤدة وذلك بـاختيار أحد النوازي أو الرجوم وارتقائه، ولا يظهر فجأة بكامل جـسمه وإنما يظهر رأسه فقط ومعه الـدربيل المكبر وينظر إلـى الأرض التي أمامه، ولا يستعجل في تغيير اتجاه نظره فربما تكون الظباء رابضة أو واقفة خلف شجرة أو خلف صخرة تخفيها عنه. فإذا لم ير شيئاً بعد وقت وتأكد من خلو المنطقة التي أمامه تقدم وكشف منطـقة أخرى لم يتمكن من اكتشافها من موقعه الأول، أما إذا رأى الظباء وكانت بعيدة عنه فإنه ينسحب للخلف قليلاً، ثم يحاول إيجاد أقرب نقطة للظباء يمكنه أن يـصل إليها دون أن تراه، ويخـتار المسار المنـاسب لها واضعـاً في اعتبـاره الأمرين الأولـين الشمس واتجـاه الهواء. أما إذا كانت الظبـاء في منطقـة مكشوفة لا يمـكن الاقتراب منها ولا يمكن إصابتها إصابة دقيقة ومميته فعليه أن ينتظر إلى أن تغير موقعها إلى موقع أنسب لاصطيادها.

وهـناك الـكثـيـر من الـقنـوص (القانصين) يعمدون إلى حيلة قد تصيب



وقد تخطئ وهي إطلاق طلقة واحدة -وخاصة إذا كانت بندقية تصل طلقتها إلى مدى بعيد- خلف الظباء فتقوم في بعض الحالات بالهرب في اتجاهه خوفاً من موقع الطلقة دون وعي منها لمكمنه. أما إذا كانت بندقية لـها ترشه (قفده) وكان الوقت وقت هداد الظباء فإن الأمر يكون أسهل له. إذ يظهـر الترشة من خلف الـساتر أو الموقع الـذي يخفي جسمه فتقترب منه آمنة. ويقوم القانص عند اقتراب الظباء منه باختيار التيس، في فصـل الصيف، واصـطياده لأنه الأسمن، والعنـز الحائل في الأوقات الباردة وأيام هداد الـظباء لأنها تكون أسمن، ولا يعمد إلى ذبح العنز الدافع الا اضطراراً وكذلك المغزل التي يتبعها غزالها الرضيـع لأنها تكون ضعيفة. وكان الصيادون من أهل البادية عادة لا يصطادون فوق حاجتهم. ولو حدث ذلك فإنهم يقددون اللحم ويعملون منه ما يعرف بـالشريح (القفر-الجلا) ليبقى معهم صالحاً للأكل لمدة طويلة.

وإذا ما سقط الظـبي فإن القانص يقـوم بشـق بطـنه وإخـراج الكرش والمصـران أولاً لتخفـيف الوزن عنـد حمله، ثانياً لأن الكـرش، بعد موت الظبي تتجمع فيه الغازات وينتفخ ولا يعود القانص قادراً على حمله. وبعد تنظيـفه يقوم بكرعنـته وهي أن يفتح بسكـين فتحة بين عـصب العرقوبين يدخل فيها ذراعي الظبي بعد فصلهما عن الركبة وابقائهما معلقتين في الفخذ بقطعة من جلد الذراعين ويمكنه بذلك أن يدخل ذراعه بين بطن الظبي وأربعته المتشابكة، ويعود بـه إلى أهله أو إلى عنّة المقناص. أما إذا اصطاد أكثر من ظبـي فإنه يقـوم، بعد شـق بطونـها وتنظيفها من الكرش والمصران، بتعليقها في شجـرة تكون بعـيدة عن النســور والغربان والثعالب والحشرات حتى يعود إليها بالسيارة لينقلها إلى العنة أو إلى أهله، وفـي كلا الحالتـين فإنه لا بد للقانص بعد إخراج الكرش والمصران، أن يرفع الظبي وبطنه إلى أسفل حتى يتسرب الدم المتجمع في الصدر والبطن إلى الأرض وعدم إبقائه متخثراً فيها. وهذه العمـلية أي التنظيف يـقوم بها القانص سواء كان على سيارة أم على رجليه وهي ضرورية، والقنـص على القدمين أكـثر متعة ولذة مـن القنص بالسيارة.

وقد كان الـصياد (القانـص)، في السابق إذا أراد أن يصطاد أكثر من ظبي يعمد إلى البحث عن القايده (العنود)



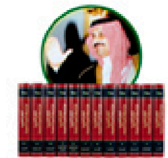
التي تقود القطيع، فيطلق النار عليها لأن الظباء تتحير برهة من الزمن تمكنه من اصطياد غيرها قبل أن تهرب، وهذه العملية لا تكون إلا في ظباء الريم التي تكون في تجمعات كبيرة تسمى الجميله (وجمعها جمائل). حيث يكون لها قايده، وهي عادة أنثى جمَّاء (بلا قرون). أما الظباء العفر أو الأدم فلا تكون في تجمعات كبيرة، ولا يزيد عددها إذا تجمعت في مكان واحد عن عدد أصابع اليدين. وعادة لا يكون لها قايدة محددة.

كما أن القانص إذا أطلق النار وصاد منها واحدة أو لم يصد فإنه لا يبادر بإطلاق النار أثناء هربها، ولكنه ينتظر دقائق قليلة، ذلك أن من طبيعة الظباء إذا هربت سواء أكان هروبها من إطلاق النار أم من رؤية القانص، أنها بعد الابتعاد مسافة قصيرة تقف مرة أخرى وتعترض في وقفتها وتعيد النظر إلى الصوت أو الشخص الذي هربت منه، وتقول البادية «ذارت منه» وتسمى هذه العملية المعاودة. وإذا وقف الظبي بعد هربه قيل ظبي معاود. وهنا يتمكن البواردي الماهر من إطلاق النار مرة أخرى، والاصطياد منها، وقد يطلق طلقتين أو ثلاثاً قبل أن تهرب مرة أخرى. كما أن الظباء في حالة إطلاق النار عليها للمرة الأولى لا تهرب من صوت إطلاق النار حتى لو صيد منها شيء وإنما تهرب فقط إذا رأت القانص أو حركته عند إطلاق النار، لذلك فإن من يخفي نفسه ولا يثير انتباهها إلى مكانه ربما اصطاد منها اثنين أو ثلاثاً قبل أن تتنبّه للخطر المحيق بها. والصيد على ما فيه من متعة مشتمل على المخاطر والمتاعب ولذلك ارتفع شأن الصياد حتى قالوا في المثل الشعبي «الراس للصياد لو كان غايب»، يعني حفظ الحق لمن قام بالجهد.

يقول الصالحي: وقد يصطادون الظباء بالخربق، وهو نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله، وقد يصطادها الأعراب الشديدو العدو بالجري خلف الظبي حتى يقبض على قرنه (١٩٨١: ١٠٥).

وقد وصف الشعراء في طردياتهم كلاب الصيد وهي تلحق بالظباء تعقرها وتصكها صكاً وهي شديدة الذعر تمعن في الهرب، معفرة بدمائها صريعة. قال أبو نواس:

رأى ظباء ذُعَّرَ القلوب
نائية عن نظر المهيب



فاعتامها بالشد ذي اللهيب
كأنه من شدة الهبوب
تهوي به خافيتا رقوب
معتمداً لتيسها المهيب
فصكه بزوره الرحيب
صكاً هوى منه إلى شعوب
فقضقض العجب إلى الظنبوب
وانتهس الأرفاغ بالنيوب
يهوى به صكاً على الجنوب
كثائر أمكن من مطلوب
يالك من ذي حيلة كسوب

المهيب: الأسد، الشعوب: الموت، قضقض: انتزع، الظنبوب: حرف الساق من العظم، الأرفاغ: أصل الفخذ، الجنوب: جمع جنب.

ويقول الصالحي: وقد تصاد الظباء بالشرك والحبالة قال أبو خراش:

فوالله ما ربداء أو علج عانة
أقب وما أن تيس ربل مصمم
وبُثَّتْ حبال في مراد بروده
فأخطأه منها كفاف مخزَّم

وقال الفرزدق:

أصابت بأعلى الولولان حبالة
فما أمسكت حتى حسبن بها نفرا

وتصاد الظباء كذلك بضوء النار، لأنها عندما تديم النظر إليها وتتأملها يعشى بصرها ويذهل عقلها، وقد يصحب إيقاد النار تحريك الأجراس فتزداد ذهولاً. قال طفيل الغنوي:

سوى نار بيض أو غزال بقفرة
أغن من الخنس المناخر توأم

كما تصاد الظباء بالكلاب، قال عبيد بن الأبرص:

مراتعة العقبان فرد كأنه
إذا ما تماشيه الظباء نطيح
فهاج له حي غداة فأوسدوا
كلاباً فكل الضاريات يشيح

ويلجأ البعض إلى صيد الظباء حذفاً بالعصا، قال امرؤ القيس:

وتعدو كعدو نجاة الظباء
أخطأها الحاذق المقتدر

وربما اتخذ القانص ناقة يستتر بها تسمى الدرية، ثم يتوغل في المراعي ويستمر متخفياً وراءها حتى تتعود الظباء النظر إليه، وبعدها يدنو من الظبي ويرميه عن كثب، قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتى
كأني قانص أدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من يراني
ولست مقيداً أمشي بقيد

وتصاد الظباء أيضاً بالمخدرات والبنج من ذلك ما رواه صاحب البيزرة عن ابن الداية أن المعتصم أوغل يوماً في الصيد وحده، فبصر بقانص يصيد ظباء



فاستدناه، وقال: حدثني عن أعجب ما رأيت في صيدك، فقال: خربقتُ المشارع التي تردها الظباء فلما شمت الخربق رجعت عطاشاً ولم تشرب، ثم عادت من غد فانصرفت أيضاً عطاشاً، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها. فلما جهدها العطش رفعت رؤوسها إلى السماء فأتاها الغيث. فما انصرفت حتى رويت وخاضت في الماء. وخربقها أي وضع فيها خربقاً، وهو نبات مخدر كالسم يغشى على آكله ولا يقتله. وقال أبو نواس في طردية ذكر فيها الظباء، ومطاردة كلبه لها:

لما رأى العلهب في أقواطه
سابحة وقر في التباطه
كالبرق يزري المرء بالتقاطه
مثل قلّيٍ طار في أنفاطه

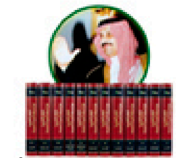
العلهب: تيس الظباء، الأقواط جمع قوط وهو القطيع، سابحة القلى ما يقلى على النار، الأنفاط: الفقاقيع المتناثرة من الزيت.

وقال أبو نواس في طردية أخرى:

يارب خرق نازح حديب
غزوته بمخطف وثوب
مضمر الكشحين كاليعسوب
يعلو الأكام في ذرى الكثيب
وتارة ينحط في الغيوب
كعوم سفن البحر في الجنوب
رأى ظباء ذعر القلوب
فاعتاقها بالشد ذي اللهيب
كأنه في شدة الهبوب
تهوى به خافيتا رقوب
معتمداً لتيسها المهيب
فصكه بزوره الرحيب
صكا هوى منه إلى شعوب
فقضقض العجب إلى الطنبوب

الخرق: الأرض الواسعة، النازح: البعيد، الحديب: المرتفع من الأرض، المخطف: الطاوي الحشا، اليعسوب: ذكر النحل، الغيوب: المطمئن من الأرض، اللهيب: كناية عن الأسد، الخافيتان: مثنى خافية وهي ريش ما بعد المنكب، الرقوب: العقاب، معتمداً: قاصداً، المهيب: ذو الهيبة، شعوب: الموت، القضقضة: صوت كسر العظام، العجب: أصل الذنب، الطنبوب: العظم اليابس من قدام الساق.

ولقد كانت صحراء المملكة تعج بأعداد كبيرة من الظباء التي أمكن مشاهدتها بواسطة المسافرين عبر شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن الحالي، ومع ذلك فإن جميع المصادر والمعلومات تشير إلى أن هذه الحيوانات قد تعرضت للمطاردة والقتل دون هوادة منذ



استخدام الأسلحة الحديثة في المملكة العربية السعودية مع بداية التحولات الكبيرة التي صحبت هذا القرن. وقد ذكر داوتي Doughty, الذي تجول عبر الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، حادثة قام فيها أحد أفراد الفريق المصاحب له بمهاجمة مجموعة هائلة من الظباء، وأصاب بطلقات مسدسه أعداداً منها، وأنه قدم لحم الظباء ذلك المساء طازجاً في كل مخيمات ضباط أمن الحج. وبعد مضي عقود من الزمان على جولة داوتي هذه، أورد فيلبي Philiby ما لاحظه من انحسار الحياة الفطرية، حيث ذكر نصاً ورد فيه «ربما تمكنا من رؤية ستة من الظباء التي كانت في السابق تبلغ الآلاف، والتي وجدت الآن أن تعايشها بجوار الإنسان أصبح أمراً مستحيلاً».

هذا وقد شكل دخول السيارات والمركبات للمملكة ضربة نهائية لوجود الظباء. وقد كتب ثيسجر Thesiger الذي طاف عبر الربع الخالي والمناطق الجنوبية للمملكة عام ١٩٥٩م ما يلي «لقد كانت فرق الصيد تطوف السهول بالسيارات بحثاً عن الحيوانات، وتعود اللواري محملة بالظباء التي طوردت وذبحت، وبمرور الزمن انفرط تماماً عقد التعايش السلمي الذي كان سائداً بين الإنسان والحياة الفطرية. واندثرت رياضة القنص التقليدية، التي كانت تمارس بكلاب الصيد والخيول العربية الأصيلة، وتشكل جزءاً من تراث المملكة، لتحل محلها وسائل الصيد الحديثة بالسيارات والبنادق الطويلة المدى، مما أدى إلى تدهور الحياة الفطرية تدهوراً لم يسبق له مثيل» (الحبيبي ١٩٩١: ١-٢).

ذكرها في مأثور القول والأدب. ورد ذكر الظباء كثيراً في الأدب العربي. فمما ورد عنه في الأمثال قولهم «آمن من ظبي الحرم» و«من الظبي بالحرم». و«به لا بظبي أعفر» (والأعفر الأبيض المشوب بحمرة)، أي لتنزل به الحادثة لا بظبي يضرب عند الشماتة. و«به داء ظبي»، أي أنه لا داء به، كما لا داء بالظبي، يقال إنه لا يمرض إلا إذا حان موته. وقيل يجوز أن يكون بالظبي داء لكن لا يعرف مكانه فكأنه قيل به داء لا يعرف. و«ترك الظبي ظله»، والظل ههنا الكناس الذي يستظل به من شدة الحر فيأتيه الصائد فيثيره فلا يعود إليه، فيقال «ترك الظبي ظله»، ويضرب في هجر الرجل صاحبه. و«جاره لحم ظبي» و«أنزى من ظبي»، يعني أنه يفتح بعضه بعضا كما أن الظبي إذا نزا حمل غيره على ذلك. و«الذئب يأدو للغزال» يقال: أدوت له آدو وأدوا،



إذا ختله يضرب في الخديعة والمكر. و«أصح من ظبي»، و«غزيل فقد طلا»، غزيل تصغير غزال، أي ناعم فقد نعمة، يضرب للذي نشأ في نعمة فإذا وقع في شدة لم يملك الصبر عليها. و«أغر من ظبي مُقمر» وذلك أن الخشف يغتر بالليل المقمر فلا يحترز حتى تأكله السباع؛ ويقال بل معناه أن الظبي صيده في القمراء أسرع منه في الظلمة لأنه يَعْشى في القمراء. و«تركتهم في صيصة الظبي» والصيصة موضع الظبي الذي يكون فيه، وقيل هي كفته التي يصاد بها. و«أنوم من غزال» لأنه إذا رضع أمه فروى امتلأ نوما. وأورد الدميري المثل القائل «أغزل من غزال» ومغازلة النساء محادثتهن. ومن محاسن الشعر الذي قيل في الظبي قول المتنبي:

بدت قمرا ومالت خوط بان
وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقد أكثر الشعراء من ذكر الظباء وأوصافها، والتشبيه بها في طول العنق ونصاعة اللون. وراقهم فيها تناسق الأعضاء ورشاقتها. فشبهوا بها كل ما وجدوه رائعاً في نظرهم، جميلاً في نفوسهم. ورددوا في تشبيهاتهم هذه جوانب معينة من هذا الحيوان. أما ذكرها مقرونة بالأطلال فقد وقف الشعراء عنده وقفات طويلة، قال العرجي:

خليلي عوجا نحي نباعا
وخيماته ونحيي الرباعا
تبدلت الأدم من أهلها
وعين المها ونعاما رتاعا

وقال الأخطل:

هل عرفت الديار يا ابن أويس
دارساً نؤيها كخط الزبور
بُدِّلَتْ بعد نعمة وأنيس
صوت هام ومكنس اليعفور

النؤي: الحفير حول الخيمة، الهام: جمع هامة، وهي البومة. وقال عمر بن أبي ربيعة:

منازل الحي أقوت بعد ساكنها
أمست ترود بها الغزلان والبقر

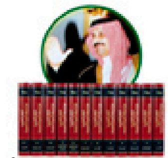
وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

استبدلت بالظباء والبقر العِيـ
ـن خلاف العقائل الخرد

العقائل (واحدها عقيلة): الكريمة المخدرة، الخرد (واحدها خريدة): البكر. وقد وجد الشعراء في الظبي نموذجاً محبوباً لتشبيه المرأة به قال الفرزدق:

ديار بالأجيفر كان فيها
أوانس مثل آرام الصريم

وقال ذو الرمة مشبهاً مي في بياضها بظبية:



بـراقـة الجيـد والـلـبـات واضـحـة
كـأنهـا ظـبـية أفـضـى بهـا لـبـب

الجيد: العنق، اللبات: مدار أسفل العـنق إلى أعـالي الصـدر، واضحة: بيضاء، أفضى بها: صيرها في فضاء، أي في سعة واستواء، اللبب: اسم مكان في أول الدهناء. وقال كثير عزة:

بمـا قـد ترى سـعـدى بـه وكأنـهـا
طـلا راشـح لـلـبـارحـات خـذول

الخذول: الظبية. وقال عمر بن أبي ربيعة يشـبـه عيني صاحبته بـعيني ظبية انقطعت عن أمثالها:

أعـالي تـصـطاد الـفـؤاد نساؤهـم
بعـيـنـي خذول مـونق الجـم مطفـل

مونق: معجب، مطفل: ذات طفل.

وقد استحسن الشعراء في الظبية طول العنق، فشبهوا به عنق المرأة وراقهم فيها صفاء اللون ونصاعتـه وبياضه، فأضفوه عـلى النساء اللواتي أعجبوا بهن، قال ذو الرمة:

أرى فيك مـن خرقاء ياظـبية اللـوى
مـشابـه جنـبـت اعتـلاق الحـبائـل
فعـيـنـاك عيناهـا وجيـدك جيـدها
ولـونـك إلا أنـهـا غـيـر عـاطـل

وقال عَدِي بـن الرقاع يشبـه عيني حبيبته بعيني ظبية تقيم في قريـة جاسم في بلاد الشام:

وكـأنـهـا بـين الـنـسـاء أعـارهـا
عـيـنيـه أحـور مـن جآذر جـاسـم
وسـنان أقـصده الـنـعاس فـرنقـت
فـي عـيـنه سـنـة ولـيـس بـنـائم

وقال عمر بن أبي ربيعة:

مـنعـمـة أهدى لـهـا الجيـد شـادن
وأهـدت لها العـين القـفول بـغوم

منعمة: تعيش في نعمة، والبغوم: أراد بها الظبية. وقال مجنون ليلى:

فـما عـوهج أدمـاء خـفاقـة الحشـا
لـها شـادن يـدعـوه وتراً خـوارهـا
رعـت ثمـر الأفـنان ثـم مـقيـلـها
كـناس لـدى عيـناء عـذب ثمـارها
بـأحسـن من لـيـلـى ولا مـكفـهرة
من المـزن شق الليـل عنهـا ازدرارها

العوهج: الظبية الحسنة اللون الطويلة العنق، الكناس: بيت الظبي، المكفهرة: السحابة التي تراكب بعضها على بعض.

وقال ذو الرمة:

تـذكرنـي مـياً مـن الـظبـي عـينـه
مـراراً وفـاهـا الأقـحـوان المـنـور
وفـي المرط مـن مي تـوالي صـريمة
وفي الطوق ظبي واضح الجـيد أحور

وقال الفرزدق:

وبـيـض كـآرام الـصريم ادريـتـهـا
بعـيـنـي وقد عار الـسمـاك وأسحرا
وسود الـذرى بيـض الوجوه كـأنهـا
دمى هـكر ينـضحن مـسكاً وعنـبرا



أدَريتـها: خـتلتـها، عار: تحـير، السماك: نجم، أسحر: دخل في السحر، هكر: مدينة بنجران. وقال جرير:

نـظرت إلـيك بمـثل عـيـني مـغزل
قـطعـت حبالـتـهـا بأعـلى يـلـيـل

يلـيل: اسم مكـان. وقال الراعي النميري:

كـأنمـا نظـرت نـحـوي بأعـيـنـهـا
عـين الـصـريمة أو غـزلان فـرتـاج

وقال أرطأة بن سهيّة:

مررت عـلى حـدثى بـرمان بـعدما
تـقطـع أقـران الـصبـا والـوسائل
فكـنت كـظبي مـفلـت ثم لم يـزل
بـه الحين حـتى أعـلـقتـه الحـبائـل

وقال المنخل اليشكري:

ولـثـمـتـهـا فـتـنـفـسـت
كـتـنـفـس الـظـبـي الـبـهـيـر

قال أبو نواس:

أربع عـلى الـطلـل الذي انـتسفـت
مـنـه المـعـالـم أنجـم الـنـحـس
واسـتـوطـنـتـه الـعـفـر قـاطـنـة
ولـقــد يـكــون مـرابـع الأنــس

وقال أبو نواس أيضاً:

ألا حي أطـلالاً بسـيحـان فالعـذب
إلـى برع فـالـبئـر بـئر أبـي زغـب
تمـر بـهـا عـفـر الـظـبـاء كـأنـهـا
أخاريـد من روم يقـسمن فـي نهب

وقال أبو نواس أيضاً:

كـأن إبريـقـنـا ظـبـي عـلى شـرف
قد مـد منه لخـوف القانـص العـنقا

وقال مـسلـم بن الـوليد (صـريع الغواني):

دار الـغـــواني بـدلـت آيــاتـهـا
حـور المـــهـا وشـوادن الـــغـزلان

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي:

كــأن أبـاريـــق المدام لـــديـهـــم
ظـبـاء بـأعلى الـرقـمـتـين قـيام

وقال بشار بن برد:

وجــيـــد يــشـــبـــه الـــدر
كـــجـــيـــد الريم ســـلـــهـــوب

وقال علي بن الجهم:

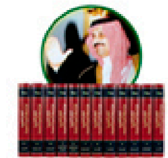
مـثل الـقـضـيب إن هـز عـطفـيـه
ومـثـل الغـزال فـي حـسـن جيـد

وقال أبو الشيص الخزاعي:

فـالجـيـد مـنـهـــا جـيـد جـازئـة
تـعـــطـر إذا مـا طـلـــهـا الـبـرد

وقد لاحظ مسلـم بن الوليد تأخر الظبية المطفلة عن القطيع لتراعي خشفها ولتدفعه ببطء مع القطيع، وهي حينـئذ تشـعر بذعر وخـوف من غائل يـنفرد بولدها، فشبه حال محبوبته المذعورة عند وصولها للقائه بحال هذه الظبية قال:

أتتـني عـلى خـوف العـيون كأنـها
خذول تراعـي الخشف مشـعرة ذعرا



وأكثر الشعراء من تشبيه معشوقاتهم بالظباء لجمال صفاتها وتناسق أعضائها.

قال بشار بن برد:

ريم أغن مطوقاً ذهبا
صفر الحشا بيض ترائبه

وقال أبو نواس:

البدر صورته والشمس جبهته
وللغزالة منه العين واللبب

وقال أيضاً:

مستيقظ اللحظ في أجفان وسنان
قبلت فاه فحياني بريحان

وقال أبو تمام:

فتأبدت من كل مخطفة الحشا
غيداء تكسى يارقاً ورعاثا
كالظبية الأدماء صافت فارتعت
زهر العرار الغض والجثجاثا
حتى إذا ضرب الخريف رواقه
سافت برير أراكه وكباثا

اليارق: نوع من الحلي، الرعاث: القرط، غيداء: طويلة العنق، سافت: شمت وأكلت، برير وكباث: من ثمر الأراك. وقال الحارثي عبد الملك بن عبد الرحيم يرثي أخاه:

فما أم خشف أودعته قرارة
من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا
خليس كلون الأيهقان ابن ليلة
أمر قواه ما ينوء فيركعا
ويهتز في الممشى القريب كأنه
قضيب من البان القوي ترعرعا
فظلت بمستن الصبا من أمامه
تنغم في المرعى إليه ليسمعا
إذا أغفلت نادت وإن ناب نبأة
على سمعها تذكر طلاها فتربعا
فخالفها عاري النواهق شاسب
أخو قفرة أضحى وأمسى مجوَّعا
فأنهل منه بعد عَلّ ولم يدع
لملتمس إلا شريحاً مزعزعا
فجاء برياه نسيم من الصبا
صباحاً ودر جر ثكلاً فأوجعا

الخليس: الأحمر أو الذي خالط بياضه سواد، الأيهاق: عشب يطول وله وردة حمراء. تربع: تتوقف، النواهق: العظام الشاخصة بجوار العين، الشاسب: الضامر اليابس، المزعزع: المبدد.

وقال زهير:

بها العين والآرام يمشين خلفه
وأطلاؤها ينهض من كل مجثم

وقال قيس بن الخطيم يشبه جيد امرأة بجيد الريم:

وجيد كجيد الريم صاف يزينه
توقد ياقوت وفضل زبرجد

وقال عبيد بن الأبرص مشيراً للظباء العفر:



أوطنتها عُفْرُ الظباء وكانت
قبل أوطان بُدَّنٍ أتراب

وقال الحارث بن حلزة:

ومدامة قرعتها بمدامة
وظباء محنية ذعرت بسمحج

فكأنهن لآلىء وكأنه
صقر يلوذ حمامه بالعوسج

وقال طرفة مشبهاً محبوبته بظبية تركت صويحباتها:

خذول تراعي ربرباً بخميلة
تناول أطراف البرير وترتعي

وقال أيضاً:

وإذ هي مثل الريم صيد غزالها
لها نظر ساج إليك تواغله

وشبه الشعراء الشعبيون الركائب من الخيل والإبل بالظباء في جمالها وسرعتها. قال عبدالله بن فرحان القضاعي:

فزيز ريمٍ طالعت كلب صياد
مع سهلةٍ صحوا سهالٍ سراميد

فزيز: قفز ونز، صحوا: مستويه، السهلة: الأرض الرملية اللينة، سراميد: شاسعة.

ووصفوا المرأة بالغزال بما لا يحصى من القصائد فلا تكاد تخلو قصيدة غزلية من ذكر الغزال موصفاً به المتغزل بها جيداً ولفتة وعيناً، وهذه نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر. قال محسن بن عثمان الهزاني:

والعين خرسا كنها عين يشبوب
وجدايلٍ من فوق الامتان سكاب

اليشبوب: من أسماء ولد الظبي في مرحلة ما بعد الخشف. وقال عبيد بن هويدي الدوسري:

أنا ما بلاي الا غزالٍ من الغزلان
ذبحني وعلق في سراجيفي رماحِ

السراجيف: الشراسيف وهي أسفل عظام الصدر ويقصد قلبه أو كبده. وقال محمد بن حمد بن لعبون:

خشفٍ دواه دْواي لشفاه شافي
ومن الاشافي سال ما ورد عصار

رنقين به من راعيات الشعاف
ريمٍ ضنا ريمٍ بالاقفار ما دار

رنقين: صنفين، ضنا ريم: ريم ولد ريم.

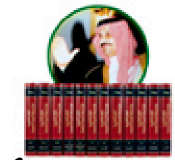
وقال خالد بن عقاب الكسر العتيبي:

عين العنود وطالعت زول تقّاق
في عثعثٍ ما دوّجت فيه الأوناس

تفاق: الرامي، العثعث: الأرض اللينة، الأوناس: الناس. وقال مشعان بن مغليت بن هذال:

أبو خدودٍ كنهن فلق جمار
عينه وعنقه مثل عنق الغزال

فلق: شق، جمار: جمارة قلب النخلة الأبيض الناصع. وقال ضويحي بن فهيد الهرشاني:



عين عنزٍ تقود الصيد دقّه وجلّه
عذبت ناقل البندق سريع الولام
ما ارتجي في ملاقيفه ولا مدهل له
حذرة الصيد ما تعطي عليها المرامي

الولام: سرعة التجهز للتصويب واطلاق النار، ملاقيفه: الملاقيف المخاتل، مدهل: المدهل المراب أو المكان الذي يتردد فيه. وقال مبارك بن عيسى الغريس:

عين العنود اللي ربت بالسهال
ما ذيره من مربضه واحد جاه

السهال: جمع سهلة الأرض اللينة المستوية، ذيره: جفله. وقال عبدالله بن هويشل الدوسري:

اللى حليه في نفود المعانيق
قايد خشوفٍ بالغراميل تبراه
في خبة نوارها كالمشاريق
ما فيه ياكود اشقح الريم يرعاه
والعين عين اللى وخص بالدراريق
قايد خشوف الصيد غلت معلاه

حليه: مثله، نفود المعانيق: موضع، الغراميل (جمع غرمول): الحبل المتقطع من رمل النفود، تبراه: تجري بإزائها، خبه: أرض منخفضة، المشاريق: الزهور المتفتحة المشرقة، ياكود: غير، اشقح الريم: الريم الأبيض الساطع، وخص: اختفى، الدراريق: جمع دارق أو مدرق وهو المختل الذي يختل منه الصيد. وقال فهيد بن عبدالله المجماج:

يامغزلٍ مرباه روس الغراميل
ما ذاره القناص يومٍ بمرماه
يازين عنقه بين هكالعثاكيل
وعواتقٍ كن القراطيس حلياه

ذاره: جفله، العثاكيل: شعر الرأس المتعثكل المجعد، حلياه: مثله حلاوة. وقال محمد بن أحمد السديري:

مثل الغزال مذيّره شوف تفاق
لى شبهرت بالعين والجسم مشوق
عاود وشخّص واسبل الرمش باطراق
عين الفريد اللي من الريح مصفوق

تفاق: رامي، شبهرت: نظرت بتخوف وتحفز، شخص: نظر بتمعن وتفحص، مصفوق: مذار وجافل. وقال عبد العزيز بن عيد الهذيلي:

لو دش مع فرق الظبا ما تهابه
متنفلٍ بالزين ظبي الغراميل

دش: دخل، متنفل: متميز، الغراميل (جمع غرمول): حبل الرمل المتقطع. وقال محسن بن علي التميمي:

ياصويحبي ما هناك شيٍّ بلاشي
نبغى جزانا ياعيون الوحيشه
ياعين عنزٍ ذيّره حس ماشي
تِنزّ لى ماط الهوى عود هيشه



الوحيشة: الشاهين الوحشية، ماط: حرك، عود هيشه: العود اليابس البالي. وقال محمد بن عيسى الرديعان:

والعين عين غزيل الروض لى فاق
دلى يفزّز والطرب فيه ساقه

دلى: صار، يفزز: يقفز. وقال عادي بن محمد الرمالي:

مثل عنق اللى ليا طالعت شوف
جافله وفروق الأروام تبرى له
ناقرٍ له من هوى الشرق عاصوف
مرتعه بارضٍ بياح ومقياله

ليا: إذا، شوف: أزوال، تبرى له: تباريها في الجري، ناقر له: أي في مواجهتها، عاصوف: هواء، بياح: واسعة. وقال عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني:

العنق ياعنق ريميه
لى سمعت الرمي من يمه

من يمه: من جهتها. وقال نمر بن صنت العتيبي:

إدمية حدها الرامي على القيعه
الشمس قدامها والريح من يمه

القيعه: القاع الأجرد، يمه: في مواجهتها. وقال ضويحي بن فهد الهرشاني:

ألا ياغزالٍ فوق خده ثلاث رقوم
والى دش مع صيد الخلا ما يهابنه

ثلاث رقوم: ثلاث نقاط من الوشم، الخلا: البر. وقال سليمان بن ناصر بن شريم:

والعين خرسا كنها عين يشبوب
سودٍ هديها ما عليها جنابه

يشبوب: ولد الظبي، جنابه: علامة. وقال عبدالله بن عويويد الباهلي:

غزالٍ نطحني شقّة النور سراح
يقود الجوازي واول الصيد يتلنه

نطحني: قابلني، شقة النور: وقت الفجر. وقال محمد بن عبد العزيز العمار:

عنز ريمٍ تمتّع في مفيض المسايل
فيه حسن الطبايع والرضا والهدايه

وقال محسن بن عثمان الهزاني:

مريت بخشيفات ريمٍ يخوضون
سيلٍ وللقلب المشقى يريعون

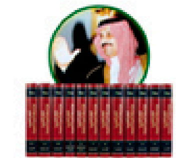
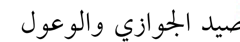
وقال إبراهيم بن راشد الشعيفان:

على هنوفٍ شفتها بس نوبه
عين العنود اللى يقود الجوازي

الهنوف: الفتاة تهانف زوجها أو حبيبها والمهانفة ضحكة يمتزج فيها المزاح بالإغراء والدلال كأنها ضحكة المستهزئ، الجوازي: الظباء. وقال عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

العين عين اللى ورد جو جوبه
متذيرٍ من ناقلين الجهازي

وقال سالم اللهيفي:

ياغزالٍ نطحني ما لزينه تهايا
واحلولاه ياالاماه والعمر فاني
نطحني: قابلني، تهايا: شبيه أو مثيل. وقال محمد العرفج:

فاضح ظبا الضاحي بجيده وجودي
ضارى الدجا من نور خده طنايا
الضاحي: موضع، ضارى الدجا: يقصد شعر رأسها الأسود.



صيد الزواحف والقوارض والثديات الصغيرة

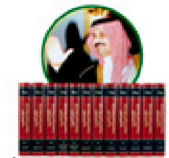
الأرنب

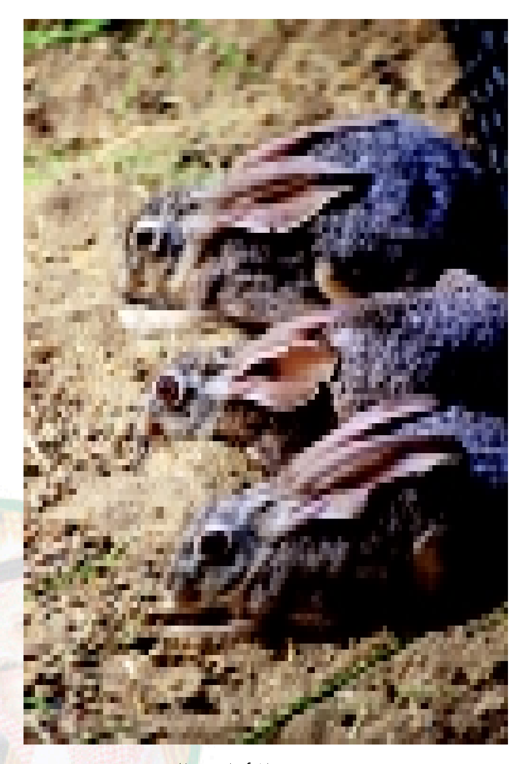
صفاته وسلوكه. الأرنب، حيوان من الصيد المتوسط المفضل لدى القناصين العرب. وما أولع بالصيد أحد إلا كانت الأرنب في مقدمة طرائده، فهو إن فاته الصيد الكبير كالمها وحمر الوحش والظباء، ففي الأرنب ما يكفي غذاءه اليومي. وتؤكل غالبا مشوية. وهي أفضل من الصيد الصغير كالضباب وصغار الطيور واليرابيع (الجرابيع).

وعند العرب أن النوع الكبير من الأرانب هو الذكر، وسموه الخزز، والجمع أخزة وخزان، وأن النوع الصغير هو الأنثى، وسموها الخرنق. وقد يطلق الخرنق على الذكر والأنثى ما دام صغيراً. وقيل إن الخرنق هو ولد الأرنب، فهو أولاً خرنق ثم سخلة ثم أرنب. ويسمى الذكر أيضاً القواع، والأنثى عكرشة.

ومما جاء عن خواص الأرنب في كتاب حياة الحيوان الكبرى: إذا شوي الأرنب البري وأكل دماغه، نفع من الارتعاش العارض من المرض، وإذا شرب من دماغه وزن حبتين في أوقيتين من لبن البقر، لم يشب شاربه أبدا. ومن أعجب ما في أنفحته أنك إذا طلبت داء السرطان رأيت العجب، وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكراً، وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى، وإذا علق زبله على المرأة لم تحمل ما دام عليها.

قال أبوقراط: لحم الأرنب حار يابس يغسل البطن، ويدر البول، وأجوده صيد الكلاب وهو ينفع من بهظة السمن لكنه يحدث أرقاً، ويولد السوداء، والأبازير الرطبة تدفع ضرره، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة. ودماغه يؤكل مشوياً بالفلفل ينفع من الرعشة، وإنما صار يابساً





مجموعة من الأرانب البرية

لرعيه الفياض، لأن كل ما يرعى الفياض فهو أيبس مما يرعى في البيوت. وإن سقي إنسان دماغ الأرنب دانقاً مدافاً، بعد أن يلقى عليه وزن حبتي كافور، لم يلقه أحد إلا أحبه، ولم تنظر إليه امرأة إلا شغفت به وطلبت معاشرته. ودم الأرنب إذا شربت منه المرأة لم تحبل أبداً، وإذا طلي به البهق والكلف أزالهما. ودماغه إذا أكلت منه المرأة وتحملت منه وباشرها زوجها، فإنها تحبل بإذن الله، وإذا مزج به مواضع أسنان الصبي أسرع نباتها. ودم الأرنب إذا اكتحل به منع من نبات الشعر في العين. وقال مهراس: مرارة الأرنب إذا عجنت بسمن وديفت بلبن المرأة واكتحل به أزال البياض من العين وأبرأ القروح. وإذا طلي بدمها البهق الأسود أزاله. ولحم الأرانب إذا أطعم من يبول في فراشه نفعه إذا أدامه. وقال أرسطو: إذا شربت أنفحة الأرنب بالخل نفعت من سم الأفاعي، وإذا شرب منها قدر باقلاة أذهب حمى الربع المتناهية، وإذا شرب منها وزن درهم أسقط الأجنة وسهل الولادة، وإن خلطت أنفحة الأرانب بخطمي ووضعت على النصل أخرجته، وتخرج الشوكة من البدن بإذن الله تعالى بسهولة. وزبل الأرنب إذا بخر به الحمام وقع الضراط على من شمه ولم يتمالك أسفله، وإذا طلي به القوابي والنمش أذهبهما. وخصية الأرنب تبرىء من السم القاتل إذا طلي موضع اللسعة بها، وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة تكلمت في نومها بفعلها. وضرس الأرانب إذا علق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه.

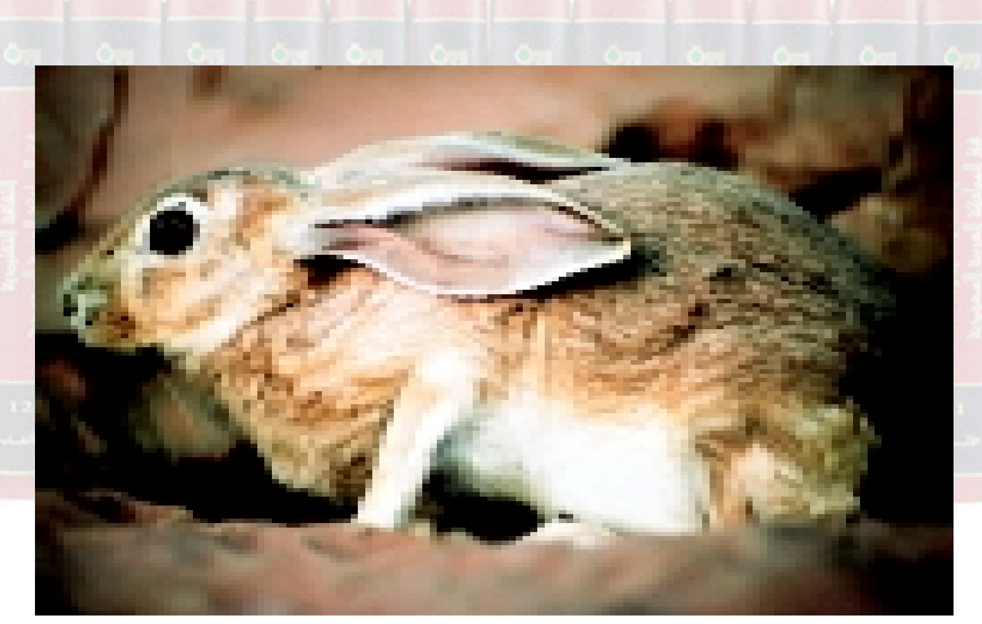
ويضيف الدميري قائلاً «والأرنب في المنام امرأة حسنة لكنها غير آلفة، فإن ذبحها فإنها زوجة ليست بباقية، ومن رأى أنه يأكل لحم أرنب مطبوخاً فإنه يأتيه رزق من حيث لا يحتسب، ومن



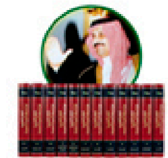
صاد أرنباً أو أهديت إليه أو ابتاعها حصل له رزق أو تـزوج إن كان عزباً أو رزق ولداً أو ظفر بغريم».

وهناك أربعة أعمار يميزها أهل البادية في الأرنب ويطلقون على كل عمر منها اسماً، وهي: الخرنق لولـد الأرنب من الميلاد حتى ينـفصل عن أمه، والسلفع وهو الصغير بعد انفصاله عن أمه واعتماده في الأكل على نفسه وهو ضعيف ليس سريعاً في الهرب، وغويلب السلق وهو الذي لم يبق له سوى شهرين على بداية التزاوج وهو شديد السرعة صعب المِراس لا يسهل صيده، وأخيراً الأرنـب البالغ وهو الخـزز أو الجحـل إذا كان ذكـراً، والعدنة إذا كانت أنثى.

«والأرنب الـبري الـذي يصاد فـي المملكة العربـية السعودية حيوان صغير من الثدييات أو اللبونات، يتراوح طوله من ٣٣ إلـى ٥٢سم. وأذناه كـبيرتـان يتراوح طول الأذن من ١٠ إلى ١٢سم. الذنب قصير، والأطراف الخلفية أطول من الأمامية وهي جميعـاً مكسوة بشعر ناعم مماثل لشـعر الجسم. ولون الشعر الناعم الذي يكسو الجسم رمـلي فاتح، وتختلف درجة اللون حسب نوع الرمال ولونها وطبيعة البيئة التي يعيش فيها هذا الحيوان. ويعيش الأرنب في بيئات كثيرة متـنوعـة، حيث يـنتشـر في المـناطق الصـحراوية والـرمليـة، وفي النـجود والحمادّ.



يتصف الأرنب البري بكبر أذنيه



وكان الأرنب واسع الانتشار في بيئات المملكة المختلفة، ورغم أن أعداده قد تناقصت بشكل ملحوظ، بسبب الإفراط في صيده، فإنه لا يعتبر من الأنواع الفطرية المهددة بخطر الانقراض من البيئات السعودية، حيث إنه ما زال موجوداً بأعداد لا بأس بها في بعض المناطق، خاصة المناطق الرملية المفتوحة. والأرنب حيوان واسع الانتشار في العالم، يوجد في وسط أوروبا وجنوبها، وفي شرقي آسيا حتى أفغانستان، وفي بعض مناطق الصين، ومعظم أجزاء قارة أفريقيا وفي شبه الجزيرة العربية» (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٥٤).

وقد أدخل إلى أستراليا وتكاثر فيها بأعداد كبيرة لعدم وجود أعداء طبيعيين له، حتى أصبح آفة تهدد المزروعات، ويحتالون بكل الطرق للحد من أعداده والتخلص منه.

وتتغذى الأرانب البرية على الحشائش والأعشاب. وتخرج للبحث عن غذائها ليلاً، وتعود فجراً إلى موائلها، التي تتخذها تحت الصخور أو في الأكمات والأعشاب الكثيفة. وتتزاوج الأرانب البرية عند عمر ستة أشهر، وتلد من مرتين إلى ثلاث مرات خلال العام، وفي كل مرة من ٢ إلى ٥ من الصغار، التي تولد مفتوحة العينين، مكسوة الجسم بالشعر الناعم الخفيف. وتقع عينا الأرنب على جانبي رأسه.

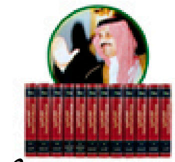
وجاء في كتاب حياة الحيوان للدميري قوله: تزعم العرب أن الأرنب من مطايا الجن لأنها تحيض ولا تغتسل، شأنها في ذلك شأن الضبع، حيث يعتقد العرب أن الذي يحيض من الإناث من الإنسان والحيوان أربعة: المرأة والضبع والخفاش والأرنب، ويقال إن الكلبة أيضاً تحيض. وكل ما ذكره الدميري غير صحيح فلا يحيض من الحيوان سوى إناث الانسان والرئيسيات (القردة العليا)، أما ما عداها فلا تحيض إناثها. ومما يذكره الدميري عن العرب من الأعاجيب حول الأرنب أيضاً أنها لا تسمن، وأن قضيب الخزز ربما كان من عظم، وقال آخرون إن أحد شطريه عظم والآخر عصب، مثله في ذلك مثل قضيب الثعلب. وأن الأرنب تكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى، وأنها إذا رأت البحر ماتت، ولذا لا توجد في السواحل. وهذا كله غير صحيح ولا يعدو أن يكون مزاعم وأساطير متداولة.

ويد الأرنب، أي طرفها الأمامي، قصيرة، ولذا تسرع في الصعود، ولا يلحقها من الكلاب إلا كل قصير



اليـدين. وبسبـب قصر يدي الأرنـب يخف عليه الصعود والتوغل في الجبال، وهو يعرف هذا، ولذا يعـمد إليه عند إرهاق الـكلاب له ليـهرب منـها فلا تلحقـه. ولذلك يعجب العـرب بكل كلب قصير اليدين، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها. وفيها الـتوبير، وتسميه البادية النقل، وهو الوطء على وبر يديـها ورجليهـا كي لا تترك أثراً خلفها، وهو غريـزة فيها. تفعله عند توجهها إلى مربضها، وإنما تفعل ذلك في الأرض اللينة، وإذا فعلت ذلك لم تسرع في الهرب، وإذا خافت أن تُدرك انحرفت إلى الحـزونة والصلابة. وإذا نقـلت الأرنـب لم تكـن بعـيدة عن مربضها، ولا يعرف أثر نقلها إلا خبير في تتـبع الأرانب. وليـس لشيء من الوحش ممـا يوصف بقصر الـيدين ما للأرنب من السرعة. وكانت العرب في الجاهلية تقول من علق عليه كعب أرنب لم تصـبه عين ولا نفـس ولا سحر، وكانت علـيه واقية، لأن الجن تهـرب منها وليست من مطاياها لمكان الحيض. ولطيب لحمه يفضل على الضب، قالوا في المـثل الشعـبي «حال دون الضـب أرنب»، ويـضرب المـثل لـلتـفاضـل فالأرنب أفضل من الضب. ويزعمون أنه ليس شـيء من الوحش، في مثل جسم الأرنب، أقـل لبنا ودروراً على ولد منها، ولذلك يضرب بدرها المثل. وللأرنب جلد ووبر ينـتفع به، ولحمه طيب، ولا سيمـا إذا جعل محسياً أو مشوياً. والـناس يتقززون من الأرنب والضباع لأنها تحيض. ويزعم الأعراب أن حيوان الوبر يشتهي سفاد العكرشة. ولكنه يعجز عنها، فإذا قدر على ولدها وثب عليه. وهذا زعم لا صحة له.

والأرنب سريـعة الوثبة حتـى إنه ليضرب المثل بسرعة وثبهـا، فقد ورد في الأثر «ما الدنيا عند الآخرة إلا كنفجة أرنب» أي أن مدتها كوثبة أرنب، ولا تكون وثبة الأرنب نفجة إلا عند قيامها من مربضها. ويقال للأرنب إنها حُذَمَة لُذَمَة، تسبق الجميع في الأكمة، لسرعة قفزها فوق المرتفعات كما يقال لها أيضاً «مقطعة النياط» لسرعتها، فكأنها تقطع عرقا في جسم طالبها لشـدة عدوها. ويقال درمت الأرنب تدرم درمانا، إذا تقارب خطوها، أما إذا بلغـت أقصى ما تستـطيعه من العدو، فقـد دمكت تَدِمك دموكا. والأرنب إذا فقدت الماء استغنت عـنه باستنشاق الهواء، وبل صداها بما فيه من رطوبة، ويكون ذلك عند أرانب الدو والدهـناء والصمان،



حيث يندر الماء. وهذا غير صحيح، فمثل الأرنب كمثل غيره من العاشبات الصحراوية التي يمكن أن تستغني عن شرب الماء، عند ندرته، وتكتفي بما في الأعشاب التي تأكلها من مياه. ومن خرافات العرب أنه إذا دخل أحدهم قرية خاف من جنها ومن وباء الحاضرة، لا يزول خوفه إلا إذا وقف على باب القرية ونهق عشراً كما تنهق الحمير، وعلق عليه كعب أرنب ليتقي شر الجن (الباشا ١٩٨٣: ٢١٦).

صيده. ويصاد الأرنب بالضواري والجوارح على حد سواء، وأفره الضواري على صيده السلوقي. أما الجوارح فأفرهها على صيد الأرنب الصقر والبازي والزمج والعقاب. وقالوا في المثل الشعبي «قال ياجود الصقر، قال نطيحه ارنب». والصيادون ينتفعون من جلود الأرانب وأوبارها ولحومها. ولحم الأرنب طيب، ولا سيما إذا أكل مشوياً. فهو يجمع لذة الطعم مع حسن المنظر (الباشا ١٩٨٣: ٢١٨).

ويفضل الصيادون صيد الأرانب صباحاً لأنها لا تعود إلى مرابضها إلا مع طلوع الفجر فتكون آثارها على الأرض باقية واضحة لم تعبث بها الرياح. ويستعملون في صيدها السلق أكثر من استخدامهم الصقور. وقالوا في المثل الشعبي «ضَرَتْ عَصْمَى على صيد الخرانق»، وعصمى اسم كلبة صيد أو طير والخرانق صغار الأرانب. وحديثاً استخدموا البنادق وخاصة الشوزن في صيد الأرانب وهو ممنوع طبقاً لنظام الصيد المعمول به الآن في المملكة. والصيد بالسلق أكثر متعة من غيرها. ويستعمل الشاهين والوكري بشكل خاص في المناطق ذات الشجيرات (القشع والشمع) الكثيفة حيث يساعد الطير السلق على تتبع الأرنب إذا اختفت بين الشجيرات، إذ يتابع السلق المدرب حركة الصقر أينما اتجه لأنه يرى الأرنب من أعلى. وقد يحتاج إلى إزعاجها من مكمنها حتى تتبين فتصاد وهذا هو التنفيج ولكنها بعد ذلك قد تهرب حتى يتمكن منها آخر قالوا في المثل الشعبي «حنا ننفج وغيرنا يصيد»، وتنفيج الأرنب واليربوع إخراجه من جحره ويعني أن الفائدة يجنيها الغير.

ويستطيع الصيادون المدربون بحكم خبرتهم الاستدلال من آثار الأرنب، إذا كانت منطلقة من مربضها إلى المرعى أو كانت ترعى متجولة بين الأعشاب والشجيرات أو كانت في طريقها متجهة إلى مربضها. كما يستدلون بما تتركه



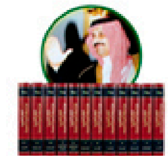
الأرنب على الأرض من دمن وبول؛ فإذا كان الدمن هشاً نيئاً والبول ما زال رطباً، كانت الأرنب قريبة منهم لم تبتعد كثيراً أما إذا كان الدمن صلباً فلا يهتمون به.

ومن عادة الأرنب أن تتمرغ في التراب قبل أن تربض عندما يبدأ ضوء الفجر في الظهور، وتصفها البادية بأنها أرنب مصبح، فإذا تركت مصبحها متجهة إلى مربضها فإن أثرها في الأرض يكاد لا يبين، ولا تراه إلا عين خبير، ويقول البدو عن الأرنب إنها نقلت أو تنقل، أي لا تكاد تطأ إلا على وبر رجليها إمعاناً في التخفي. وقد يظهر أثر مخالبها على الأرض إذا كانت المخالب طويلة.

ومن عادة الأرنب ألا تربض تحت أول شجيرة تقابلها بل تختار المكان المناسب لمربضها بعد أن تتنقل بين أكثر من شجيرة. كما أنها لا تعود لمربضها الأول إلا بعد مرور عدة أيام. ويسمى مربض الأرنب دحل. وهو في الصيف يختلف عنه في الشتاء. ففي الصيف تختار الشجيرة الكثيفة الظليلة وتربض في الجهة الشمالية منها حيث تكون أكثر برودة، أما في الشتاء فتختار الشجيرة التي تتيح لها التعرض لحرارة الشمس، وتربض في الجهة الجنوبية منها أو حيث تجد الدفء أكثر.



تختار الأرانب المكان المناسب لمربضها ويسمى (دحل)



ويقترب الصيادون من مربض الأرنب في الصباح والضحى، وهذا أضمن. وقالوا في المثل الشعبي «أرنبٍ مِجِحْره»، أي في جحرها، ويعني أن الأمر مضمون الحصول عليه. وليس أمر الأرنب كذلك في العصر، لأنها في العصر تكون قد أخذت حاجتها من النوم وتيقظت وأصبحت منتبهة لأي حركة. ومتى أحست بالحركة فإنها تترك مربضها وتهرب سريعاً، وفي كل مرة يتابعها الصيادون تجري إلى مسافة أبعد من الأولى ويصفها أهل البادية في هذه الحالة بأنها شاوفت، أي رأتهم ويقولون «شاوفت الأرنب» ولا فائدة من الاستمرار في مطاردتها.

وهناك طريقتان لصيد الأرنب بغير السلق والصقور والأسلحة النارية. الطريقة الأولى أن يمسك بالأرنب في مربضها بعد أن يتعرف عليه الصيادون، فيتجه اثنان منهما معاً حيث يقوم الأول بالتحرك أمام المربض جيئة وذهاباً دون أن يحدث صوتاً وذلك لتراه الأرنب فتنشغل بمراقبته ريثما يأتيها الثاني من الخلف فيمسك بها دون أن تحس بقدومه. وإذا لم يكن هناك إلا صياد واحد فقط فإنه يضع قطعة كبيرة من القماش أو غترته أمام مربض الأرنب على بعد ١٠-١٥م لتحركها الرياح، فتنشغل الأرنب بمراقبتها ويأتيها هو من الخلف فيمسك بها دون أن تحس بقدومه.

والطريقة الثانية يتبعونها في المزارع حيث تعتاد الأرنب أن ترد المزرعة لترعى من طريق واحد، تستخدمه بشكل مستمر جيئة وذهاباً. وبعد أن يحدد الصيادون الطريق الذي تسلكه الأرنب، يحفرون في طريقها حفرة عميقة يغطونها بالأعشاب مع بعض التربة الخفيفة، وتسمى الزبيه، حتى إذا خطت فوقها الأرنب سقطت فيها ولم تستطع الخروج منها.

ومن الطرق الحديثة التي ابتكرها الصيادون، طريقة تُسهِّل عليهم مراقبة أثر الأرنب، حيث يحددون المنطقة الغنية بالأرانب، ثم يقوم أحدهم بعد صلاة الفجر بقيادة سيارته حول محيط تلك المنطقة على شكل طريق دائري. ويعود الصيادون إلى المنطقة بعد طلوع الشمس ويبحثون عن أثر الأرانب التي عبرت فوق الأثر الذي خطته السيارة، إذ إن أثر الأرنب يكون عندئذ شديد الوضوح. فما وطىء على أثر السيارة من الأرانب تتبعوه لأنه يكون ما زال قريباً متجهاً إلى مربضه.

ذكره في مأثور القول والأدب. وقد ورد ذكر الأرنب كثيراً في التراث العربي



أساطيره وأمثاله، نثره وشعره. من ذلك ما رواه شاكر (١٩٨٥: ١١٢-١١٤) عن الأرنب من القصص قال: تسابَّت الوبرة والأرنب، فقالت الوبرة: أران أرانِ (أران: تفخيم أرنب) رأس وأذنان، وسائرك أكلتان. وقالت الأرنب، ياوبر ياوبر، منكبان وصدر، وسائرك حفر نقر. ومنها قصة الأرنب فيروز مع ملك الفيلة. زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليه السنون وأجدبت وقل ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد. فشكون ذلك إلى ملكهن، فأرسل الملك رسله ورواده في طلب الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض الرسل فقال له: إني قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر كثيرة الماء. فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين، ليشرب منها هو وفيلته، وكانت العين في أرض للأرانب، فوطئن الأرانب في أجحارهن، فأهلكن منهن كثيراً. فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة؟ فقال: ليحضر كل ذي رأي رأيه. فتقدمت أرنب يقال لها فيروز، وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أميناً ليسمع ويرى ما أقوله ويرفعه إلى الملك. فقال لها الملك: أنت أمينة ونرضى بقولك، فانطلقي إلى الفيلة، وبلغي عني ما تريدين، واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله، يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللين والرفق والحلم والتأني، فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق، ويخشن الصدور إذا خَرِق.

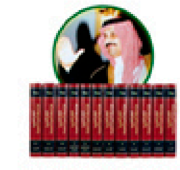
ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء، حتى انتهت إلى الفيلة، وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها، وإن كن غير متعمدات، فأشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة، وقالت له: إن القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم يبلغ، وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة؟ قالت: يقول لك إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء، فاغتر في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوته وبالاً عليه، وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب، فغرك ذلك فعمدت إلى العين، التي تسمى باسمي فشربت منها ورنَّقْتها، فأرسلني إليك، فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وإنه إن فعلت يُغشى على بصرك ويتلف نفسك، وإن كنت في شك من رسالتي، فهلم إلى



العين من ساعتك، فإنه موافيك بها. فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب، فانطلق إلى العين مع الرسول فيروز، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك، فخيل إلى الفيل أن القمر ارتعد، فقال: ما شأن القمر ارتعد؟ أترينه غضب من إدخالي خرطومي في الماء؟ قالت فيروز: نعم، فسجد الفيل للقمر مرة أخرى، وتاب إليه مما صنع، وشرط ألا يعود إلى مثل ذلك، هو ولا أحد من فيلته.

ومنها قصة الأرنب والأسد. زعموا أن أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك، لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا، فلك علينا في كل يوم دابة، نرسل بها إليك في وقت غدائك. فرضي الأسد بذلك، وصالح الوحش عليه، ووفين له به.

ثم إن أرنباً أصابتها القرعة، وصارت غداء الأسد. فقالت للوحوش: إن أنتن رفقتن بي فيما لا يضركن، رجوت أن أريحكن من الأسد. فقالت الوحوش: وما الذي تكلفينا من الأمور؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني، ريثما أُبطئ عليه بعض الإبطاء. فقلن لها: ذلك لك. فانطلقت الأرنب متباطئة، حتى جاوزت الوقت الذي يتغدى فيه الأسد، ثم تقدمت إليه وحدها رويداً رويداً، وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك، وقد بعثتني ومعي أرنب لك، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق، فأخذها مني وقال: أنا أولى بهذه الأرض، وما فيها من الوحش. فقلت له: إن هذا غداء الملك، أرسلت به الوحوش إليه فلا تغضبه، فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لأخبرك. فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صاف، فاطلعت فيه وقالت: هذا المكان. فأطلع الأسد فرأى ظله، وظل الأرنب في الماء، فلم يشك في قولها، ووثب الأسد على ظلّه يقاتله فغرق في الجب. فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالأسد.



ومما جاء عن الأرانب في الشعر قول امرئ القيس، يصف غلامه المنطلق على فرسه كالسهم:

كأن غلامي إذ علا حال متنه
على ظهر باز في السماء محلق

رأى أرنباً فانقض يهوى أمامه
إليها وجلاَّها بطرف ملقلق

وجلاَّها: نظر إليها من بعيد، والملقلق: الحديد الذي لا يفتر. وقال أبو خراش يصف صقراً حط على نشز من الأرض، وفجأة يلمح من بعيد أرنباً تتوارى بين شقوق الأرض:

ولا أمعر الساقين ظل كأنه
على محزئلات الأكام نصيل

رأى أرنباً من دونها غول أشرج
بعيد عليهن السراب يزول

فضم جناحيه ومن دون ما يرى
بلاد وحوش أمرع ومحول

توائل منه بالضراء كأنها
سفاة لها فوق التراب زليل

يقربه النهض النجيح لما يرى
ومنه بدو تارة ومثول

فأهوى لها في الجو فاختل قلبها
صيود لحبات القلوب قتول

وتصاد الأرانب بالكلاب. قال أبو نواس عن كلبه زبنور، أنه كان سريعاً يدرك الثعلب فيعقره، وينال الأرنب فيصرعه:

من ثعلب غادره عفيرا
أو أرنب جورها تجويرا

وقد يمسك الأرنب بمخالبه وتبقى فيها شريحة من لحمها. قال:

يلحق أرنبه بحد المخلب
فما تني رشيقة من أرنب

قال الشمردل اليربوعي في طردية له يخبر عن صيده الخزز:

في خرب وخزز يعلى به
لفتية صيدهم يدعى به

وقال عمرو بن قميئة مشيراً إلى قلة لبن الأرنب:

ليس بالمطعم الأرانب إذ قلـ
ـص در اللقاح في الصنبر

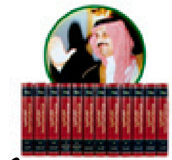
وقال الفرزدق في هجاء له مشيراً إلى صيد الأرنب بالعصا:

تعطى ربيعة عامر أموالها
في غير ما اجترحوا وهم كالأرنب

ترمى وتحذف بالعصيّ ومالها
من ذي المخالب فوقها من مهرب

وكان بعض الأعراب إذا دخل قرية يقف على بابها، فيُعَشِّر كما يُعَشِّر الحمار، ويعلق عليه كعب أرنب ليدفع عنه الجن والوباء. وفي ذلك يقول قائلهم:

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة
ولا دعدع يغني ولا كعب أرنب



عشَّر الحمار: نهق عشرة أصوات في طلق واحد. وقال امرؤ القيس:

يا هند لا تنكحي بوهة
عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين أرساغه
به عسم يبتغي أرنبا

والمرسعة: العوذة من خرز وغيره لدفع الشر حسب اعتقادهم، والعسم: الاعوجاج، والبوهة: البومة، ويضيف قائلاً:

ليجعل في كفه كعبها
حذار المنية أن يعطبا

وقال الشماخ بن ضرار:

فما تنفك فيك عويرضات
تجر برأس عكرشة زموع
تطارد سيد صارات ويوما
على خزان قارات الجموع

عويرضات: اسم موضع، العكرشة: أنثى الأرنب، زموع: التي تمشي على زمعاتها. والزمعة: مؤخرة رجلها، صارات: اسم جبل، الخزان: ذكور الأرانب، قارات: جمع قارة: الجبل الصغير. قال أبو نواس من طردية له:

يكتال خزان الصحارى الرقطا
يلقين منه حاكماً مشتطا

الرقط: المنفوشة، المشنط: الظالم. ويقول ابن المعتز في طردية له:

فكم وكم من خزز وثاب
قد فصمته بشبا الأنياب
ومنعته جولة الذهاب
لم تدمه حفظاً على الأصلاب

وقال ذو الرمة:

لبسنا لها سرواً كأن متونها
على القوم في الهيجا متون الخرانق

وقال ذو الرمة أيضاً:

وفوقهما ساق كأن حماتها
إذا استعرضت من ظاهر الرجل خرنق

وقال المتنبى:

ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدا
ويجعل أيدي الأسد أيدي الأرانب

وقال جرير:

أبني حنيفة إنني إن أهجكم
أدع اليمامة لا توازي أرنبا

ومن الأمثال التي قيلت في الأرنب «أقطف من أرنب»، و«أطعم أخاك من كلية الأرنب» يضرب للمساواة. ومن الأمثال التي زعمتها العرب على ألسنة البهائم قولهم «في بيته يؤتى الحكم». وذلك أن الأرنب التقطت تمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: ياأبا حسل قال «سميعاً دعوت»، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال «عادلاً حكيماً»، قالت: فأخرج إلينا، قال «في بيته يؤتى الحكم»،



قالت: إنـي وجدت تمرة، قال «حـلوة فكليها»، قالت: فاختلسها الثعلب، قال «لنفسه بغى الخير»، قالت: فلطمته، قال «بحقك أخذت»، قالت: فلطمني، قال «حر انتصر لنفسه»، قالت: فاقض بيننا، قال «قد قضيت». فذهبـت أقواله كلها أمثالاً.

ويرد ذكر الأرنب في الأدب الشعبي كما في قول عبدالله القضاعي موصفاً سرعة المطية:

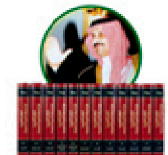
لا روّحـت لك مـع سهـال الحمـاد

فزيـز بزوى خـمهـا الذيـخ والطيـر

فزيز: قفز، بزوى: البزوى الأرنب، خمها: أحاط بها، الذيخ: كلب الصيد، الطير: الصقر.

ومن الأمثال الـشعبية التي تُضـرب بالأرنب قولهم «فلان أرنب دهر، دايم سمـين»، ذلك أن الأرنب فـي الأرض المدهرة لا تلد حيث لا تجد الطعام الكافي لها ولأولادها، فـتظل سمينة لا تهـزل بسبب الحمل والولادة. وقولـهم «فلان أرنب ربيع، دايم ضعيف» وهو عكـس الأول لأن الأرنب تلد في الربيع لتوافر العشب فتهزل وتضعف. وقولهم «عرضة أرنب» حيث يعتـقد أهل البادية أن من تعترض طريقه أرنب فإنه يتبعها، فتُلهيه عن مقصـده وقد يقع في ما لا تُـحمد عقـباه، وهو مما يـتطيـرون منه وعلـى النقيض من ذلك مرور الثعلب أمامهم، إذ يعتقد الكثير منهم أنه خير وفأل حسن.

ومنه قولهم «فلان أرنب سكّا» أي لا أسنان له، وقولهم «نومه نوم أرنب، يرقد وعينه مفتوحه» دلالة عـلى شدة الحرص والانتباه حتى أثناء النوم، لأن الأرنب لا تغمض عينيها أثناء نومها. وقولهـم «كسّر شداده وارنبه رابـضه» يضرب للأحمق العجول الذي يكسر شداده ليشتوي به الأرنب التي لا تزال رابضة في جحرها ولا يدري أيصيدها أم لا يصيدها، وقولهم «إخمارة أرنب» لمن يكمن في مكانه دون أدنـى حركة فلا يشاهد، كما يقولون «فلان أسبق من أرنب خـله» أو «فلان أسبـق من أرنب الندى» لمن كان سريع الحـركة، إذ إنّ أرنب الأرض الخلة التي لا حمض فيـها تـكون سريـعة الـعدو بشـكل ملحوظ. وقولهم «فلان غويلب سلق» يضرب لمن كان شديد المراوغة والختل لأن غويلب السلق هي الأرنب التي لما تلد، وهـي شديدة المراوغـة يصعب صيدها لمراوغتها. وقولهم «أرنب تبي العشـا والعشا من جرابـها» لمن يريد الحصول على شيء من آخر ولا يدري أنه سيكون محسوباً عليه، أي أنه هو



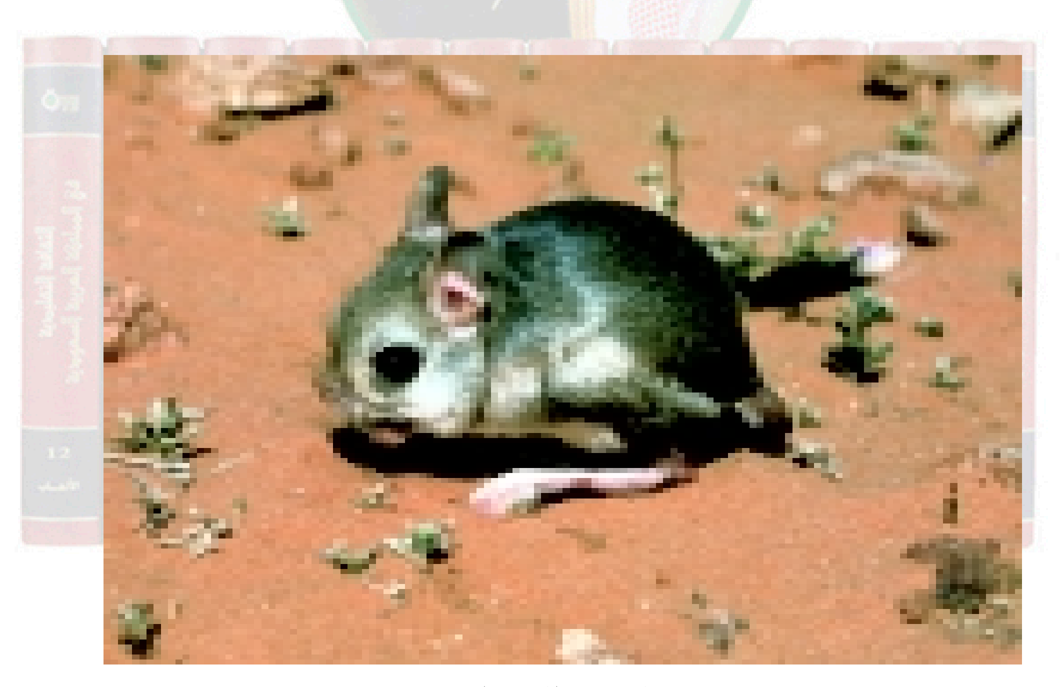
الذي سيدفع الثمن في النهاية. وقولهم «لا تِلْحِقْ الضب أرنب»، أي لا تتبع الخسارة أكبر منها. وقولهم «ليله ليل أرنب»، أي أن الأرنب تطلب المرعى ليلاً يضرب المثل لمن يسهر.

الجربوع

صفاته وسلالاته. وهو اليربوع حيوان يتدفق حيوية ونشاطاً، ويتوثب في خفة وقوة متى داهمه عدو في جحره أو أفزعه مفزع في مرعاه.

يقول المعلوف في كتابه معجم الحيوان «اليربوع فأر طويل الرجلين، قصير اليدين جداً، وله ذنب كذنب الجرذ، يرفعه صعداً في طرفه شبه النوارة. وهو ثلاثة أنواع: الشُفاري والتدمري وذو رميح» (١٣٧:١٩٣٢).

يقول الدميري في حياة الحيوان الكبرى عن اليربوع: هو ذو رميح مصغر، اليربوع ورمحه ذنبه، وقيل هو ضرب من اليرابيع، طويل الرجلين. واليربوع: بفتح الياء، ويسمى الدرص بفتح الدال وكسرها وإسكان الراء المهملتين، وبالصاد المهملة آخره. وذو الرميح: حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين جداً، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعداً في طرفه شبه النوارة، لونه كلون الغزال.



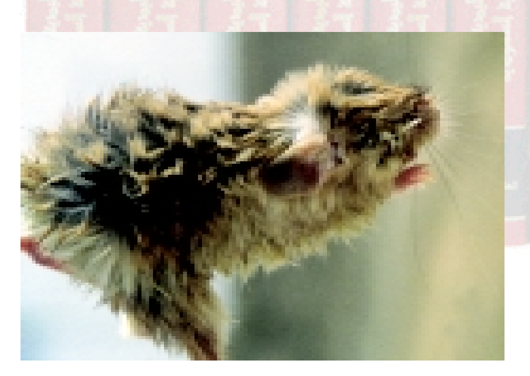
الجربوع (اليربوع)



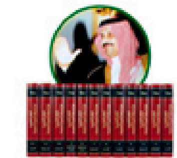
ويقول الكمال في كتابه الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية «إن عائلة الجرابيع يتبعها جنسان هما: جنس الجربوع الصغير؛ وهذه الحيوانات تنتشر في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية، ويطلق عليه الجربوع أو اليربوع أو فأرة الصحراء الوثابة وهي صغيرة الحجم بحجم الفئران الصغيرة. واليرابيع حيوانات تشبه الكنغر في عدم التناسب في أجسامها. فالجزء الخلفي من الجسم أكبر وأقوى من الجزء الأمامي. والأطراف الخلفية أطول من الأمامية. والرأس غليظ يحمل شوارب طويلة جداً. والعيون كبيرة. والأذنان منتصبتان. في يديه الأمامية خمسة أصابع، وفي رجليه الخلفية ثلاثة أصابع في الغالب. وفراء اليربوع كثيف ناعم، ولونه مثل لون الرمال. البطن أبيض في الناحية السفلى. في الفخذ شريط أبيض عريض. وذيل اليربوع طويل، ينتهي بخصلة طويلة من الشعر الأبيض والأسود ومشقوقة إلى شعبتين.

وتعيش الجرابيع في الصحاري الرملية ليلية، وتتغذى على الجذور والبذور والثمار والحشائش، كما تأكل الحشرات الصغيرة. وتجري الجرابيع في وثبات متلاحقة على الأطراف الخلفية. وتضع الأنثى من اثنين إلى أربعة من الصغار، بعد أن تحفر لها قناة أسطوانية قصيرة تنتهي إلى ما يشبه الوعاء، تبطنه بصوف (وبر) الجمال والأعشاب الجافة. والجرابيع من حيوانات الصحراء الأصلية، فحياتها وسلوكها وجسمها مهيأة للعيش في الصحراء. ووجدت في مكة والليث ونجران والقنفذة.

أما الجنس الثاني من أجناس الجرابيع فهو جنس الجربوع طويل الأذن، وهو ينتشر في شمال شرق المملكة في السبخات والرمال. ويتميز هذا الجربوع الأنيق بوجود خمسة أصابع في الأرجل الخلفية الطويلة جداً، وهذا يختلف عن الجربوع الصغير السابق ذكره الذي له ثلاثة أصابع فقط في الرجلين الخلفية. والأصابع الثلاثة في المنتصف هي الفعالة، بينما الخارجية أثرية ومرفوعة عن الأرض. وينتهي الذيل بخصلة مميزة في اللون، حيث إن لها ثلاثة ألوان:



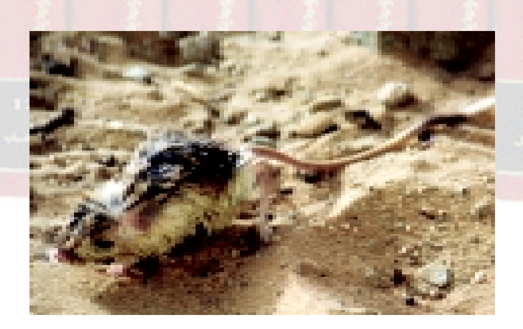
يجري الجربوع في وثبات متلاحقة على رجليه



أبيض وأسود وأبيض، والتي تكون مثل العلم على الذيل. والأذنان طويلتان وضيقتان. والأيدي الأمامية قصيرة، والشوارب متطورة. وهو حيوان ليلي أيضاً (١٩٩٠: ٦٠-٧٠).

ذكر الدميري قول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان، قالوا إن كل دابة حشاها الله خبثاً فهي قصيرة اليدين، لأنها إذا خافت شيئاً لاذت بالصعود فلا يلحقها شيء، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء. وهو يؤثر النسيم ويكره البحار، أبداً يتخذ جحره في نشز من الأرض، ثم يحفر بيته في مهب الرياح الأربع، ويتخذ فيه كوى تسمى النافقاء والقاصعاء والرهطاء فإذا طُلب من إحدى هذه الكوى نافق، أي خرج من النافقاء وإن طُلب من النافقاء خرج من القاصعاء. وظاهر بيته تراب وباطنه حفر، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر، قال الجاحظ وغيره: واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان، ولكن الباري جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل نافقاء اليربوع، لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورى بشيء عن شيء ودخل في باب الخديعة وأوهم الغير خلاف ما هو عليه أشبه في ذلك فعل اليربوع.

ويضيف الدميري قائلاً «وفي طبعه أنه يطأ في الأرض اللينة حتى لا يعرف أثر وطئه كما يفعل الأرنب. وهو يجتر ويبعر، وله كرش وأسنان وأضراس في الفك الأعلى والأسفل. قال الجاحظ والقزويني: اليربوع من نوع الفأر، وزاد القزويني: وهو من الحيوان الذي له رئيس مطاع ينقاد إليه وإذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف أو على صخرة ينظر إلى الطريق من كل ناحية، فإن رأى ما يخالفه عليها صر بأسنانه وصوت، فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها. فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئاً اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره. وهي إذا خرجت لطلب المعاش خرج الرئيس أولاً يتشوف، فإن لم ير شيئاً يخافه صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج». والصحيح أن هذا الكلام ينطبق على الجرذان أما اليرابيع فالمشهور عنها الفراق وعدم



الجربوع حيوان ليلي



الألفة، حيث تفترق حين تستطيع الاعتماد على نفسها، ولا تخضع لقيادة وإنما كل واحد لوحده.

وعن خواصه يقول الدميري: دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذي ينبت في الجفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى. واليربوع في الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب، فمن نازعه نازع إنساناً كذلك.

وورد في كتاب الحيوان للجاحظ أن «الأعراب لا يصيدون يربوعاً ولا قنفذاً ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجن، كالنعام والظباء. ... فإن قتل أعرابي قنفذاً أو ورلاً من أول الليل، أو بعض هذه المراكب، لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتراه شيء حكم بأنه عقوبة من قِبَلهم» (١٩٨٨، ج٦: ٤٦).

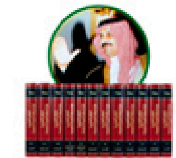
ويقول القويعي «اليربوع من الحيوانات الصغيرة للبيئة الصحراوية، إذ كثيراً ما نشاهده فيها. وقد ورد اسمه في المراجع اللغوية بأنه اليربوع. وهو دويبة نحو الفأرة، ولكن ذنبه وأذنيه أطول منها. ورجلاه أطول من يديه. والجمع يرابيع والعامة تقول جربوع، ويطلق على الذكر والأنثى. والقاصعاء والقصعة والقُصعاء إحدى جِحَرة اليربوع.»

ويضيف القويعي قائلاً «وأبناء البادية يأكلونه بعد شيّه. والجربوع سريع الحركة، ويعد بيته بطريقة ذكية أصفها كما رأيتها، إذ يجعل له مدخلاً رئيسياً واضحاً للعيان، ومن ثم يجعل له مداخل أخرى ثانوية ذات طرق متصلة ببعضها البعض. ومتى أحس بالخطر حول الباب الرئيسي فإنه يتوجه إلى أحد المخارج الأخرى، وتسمى نطاقة أو قصعة ليولي هارباً. ولكن من يعرف حيلته هذه فإنه بعد أن يعرف مخارجه الثانوية يقوم بتغطيتها بقماش خفيف كالغترة ونحوها ليقطع عليه خط الرجعة، ومن ثم يستفزه من المدخل الرئيسي. ومتى ما شعر بذلك فإنه يخرج ليقع في المصيدة، ومن ثم يسهل القبض عليه، وفي المأثور الشعبي أن الجربوع يقول عن نفسه وهو مما أحفظ:

أنا الجربوع ابن مربوع
لو ايديه
طول رجليه
ما تلحقني بنت العبية

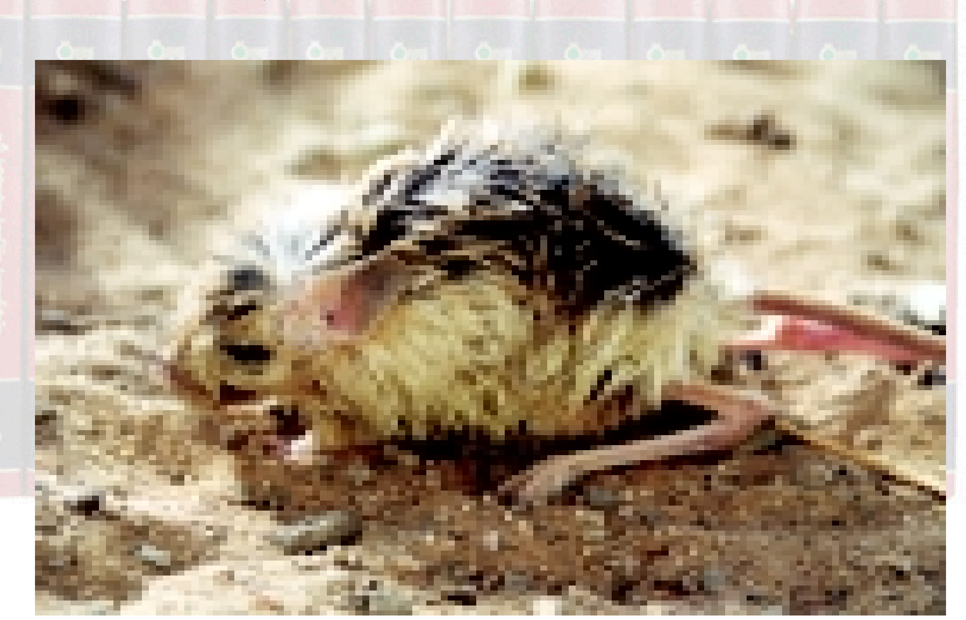
العبية: الفرس الأصيلة التي من هذه السلالة» (١٩٨٤: ٢١٤-٢١٥).

ويقول السويداء في كتابه فصيح العامي في شمال نجد: إنهم يسمون نافقاء اليربوع بالنطاقة أو النّطّاقاء، ونطق اليربوع



خرج من نطاقته، أي نافقائـه، ويكنون بذلك عن الرجل الذي يتهرب من الأمور ويفلت مـن المواقف بقولهـم لقد نطق الرجل وتخلص من الموقف أو المهمة أي هرب وذلـك على الـتشبـيه بالـيربوع (١٩٨٧، ج٢: ٩٨٤).

ويقول السـويداء (١٩٨٣) أيضاً في كتابه نجد في الأمس القريب إن اليربوع هو من الحيوانات الصغيرة الحذرة، فحينما يحفر الجـحر يجعل به أكثـر من مخرج احتياطي يحفره إلى سطح الأرض وتبقى مقدار نصف سنتيمتر من قشرة الأرض، بحيث إذا داهمه عدو كسر الطبقة برأسه وهرب ولا يـعود لجـحره مـرة أخرى. وبصعوبة يهتدي المـرء إلى جحر اليربوع إلا ذوي الخبرة. فإذا وجد الصياد القاصعاء أو القصعة، وهـي فم الحجر الذي سده بتراب من داخل الجحر، وضع على فم الجحر قطعة قماش كبيرة، ثم بدأ يبحث عن المخارج الاضطرارية (النطّاقه)، ومتى عثر عليها هدمها ودكها بالرمل، وبدأ يحفر الجحر حتى يعثر علـيه. وحينما يخرجه من جحره يذبحه ويشـويه. وطعم لحمه لذيذ جداً. والـطريقة الأخرى في حالـة عثور الصياد على مخرجه (النطّاقه)، أن يمسكها بقطعة قماش ويدخل بالجحر عصا يفزعه فيها. ومتى أحس اليربوع بالحركة الداخلة عليه في جحره هرب من مخرج الطوارئ ووقع في الشـبكة الموضوعة له على المخرج وتم اصطياده.



يأكل أبناء البادية الجربوع بعد شيّه



ويحكى على لسان اليربوع أنه في يوم من الأيام دخل عليه في جحره عدوه اللدود الثعبان. فقال اليربوع: ما الذي جاء بك هنا؟ فقال الثعبان: أنا ضيفك هذه الليلة لأنام معك في جحرك. فخرج اليربوع من الجحر وقال: هو لك يابو طويلا، وهرب. ويضرب هذا القول للضيف الثقيل الذي يخشى منه.

ويضيف السويداء: واليربوع من الحيوانات الثديية التي ترضع أولادها، ويخرج أولاده بدون شعر وترضعها الأم في مهدها الذي أعدته بعناية فائقة. حيث تضع أنثى اليربوع القش الدقيق والصوف أو الوبر أو غيرها وتضع أولادها فوقها وتستمر هذه الحضانة لمدة أسبوعين. ومتى أصبح الصغار يمكن للواحد أن يعتمد على نفسه بحفر جحر له مستقل خرج من جحر أمه ولا يعود إليه مرة ثانية. ولذلك يضرب به المثل في الفرقة التي لا اجتماع بعدها. فيقال: تفرقوا فراق الجرابيع أو اليرابيع، وقال شاعر شعبي:

اما احموا الديره وعقوا جنابه
والا تفرقنا فراق الجرابيع

ويضيف السويداء: وما شاهدت واصطدت بنفسي من اليرابيع نوعان هما اليربوع العادي السابق ذكره، وله أربع ثنايا طويلة في فكيه، وما في الفك العلوي أطول مما في الفك السفلي، وطول الثنايا العلوية حوالي سنتمتر واحد بسماكة سمة قلم الرصاص. وإذا عض بها فإنها تخترق الأصبع. وبهذه الثنايا يقرض غذاءه. وهو جميل المنظر، طيب الرائحة لين الملمس، حيث يكتسى بفرو ناعم جداً. وما في طرف ذنبه تسمى الحصنة. وهذا النوع حاد الذكاء كثير الحركة، سريع الزوغان والروغان عند الطرد، سريع الجري. أما النوع الثاني فهو نوع أكبر في الجسم قليلاً من الأول ويتميز عنه بطول أذنيه. ويسمى الرهاطي، وهو أقل ذكاء من سابقه، وأقل حذراً وأهدأ، وأقل سرعة، ويغلب عليه اللون الرملي الأحمر. وكنا نصطاده بسهولة، سواء بالحفر في جحره أو في تنفيجه، أي إخراجه من جحره بإفزاعه. والرهاطي أطول فرواً من العادي. ويقال على لسان اليربوع:

أنا الجربوع ابن المربوع
أشبع عشره مع عشره

ومن العجب أن جحر اليربوع وتفرعاته التي قد تزيد عن مترين أو ثلاثة في تعرجات على عمق يتراوح من نصف متر إلى متر، لا تجد لهذا الجحر نثيلة حول فم الجحر مثل الجرذان أو الضب، وكل ما تجده حول فم الجحر هو كمية



قليلة من التراب، لا تكاد تملأ الكف، وقد سد ببعضها فم الجحر، مع أن الجحر من الداخل فراغ مستمر إلى نهايته. ولا يعلم أين يذهب بنبث هذا الفراغ الداخلي في الجحر. ويوجد في جحر اليربوع، وهو الجزء الذي سيضع فيه أولاده، منطقة تسمى الدمانا، حيث تدفنها أنثى اليربوع خوفاً على أولادها. وكلما أرادت الوصول إليهم حفرتها وتركت النبث خلفها، وإذا فرغت من إرضاعهم حفرتها مرة ثانية وتركت النبث يسد على الصغار.

قال الفرزدق:

فاسكت فإنك قد غلبت فلم تجد
للقاصعاء مآثر الأيام

وقال أحمد بن عبد الملك بن شهيد:

وكم أمة أنجدتها وكأنها
يرابيع سدت خفية قصعاءها

ومن طرق صيده النادرة ما يعمد إليه أحد العدّائين من مطاردة الجربوع حتى إذا اقترب منه نبثه من الأرض بمشط قدمه عالياً ثم تلقفه كالكرة بيده.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد في الأمثال قولهم «أضل من ولد اليربوع»، وقولهم «كالمشتري القاصعاء باليربوع» يضرب للذي يدع العين ويتبع الأثر لأن القاصعاء جحر اليربوع الذي يقصع فيه، أي يدخل، والجمع قواصع. وورد في مجمع الأمثال مثل يقول «سقط في أم أدراص». والدرص: ولد اليربوع، وأم أدراص: اليربوع. يضرب لمن وقع في داهية. قال طفيل:

وما أم أدراص بليل مضلل
بأعذر من قيس إذا الليل أظلما

ومن الأمثال الشعبية التي وردت عن الجربوع قولهم «أذهن من الجربوع»، وذلك أنه يجعل جحره على هيئة أنفاق ذات مخارج مختلفة حتى يمكنه عند مهاجمته الخروج من أحدها، ولذلك قالوا في المثل «جربوع، له كم نطاقه» يضرب لمن له القدرة على التخلص من المآزق. ومثله قولهم «جربوع، يحط باب يخبر وباب ما يخبر». وقالوا «جربوع في خبار»، والخبار هي الأرض الرخوة، ولذلك يسهل عليه أن يعد جحره ذي الأنفاق، وتكثر في الرخوة الجحور حتى ليتعذر الحصول على الجربوع فيها، ويضرب هذا المثل للأمر الذي يعسر مناله. والجربوع شديد الحذر مستفز وبه ضرب المثل قالوا «جربوع، انخشه وينطق»، أي أدخل عليه ما يزعجه في جحره فيسرع الخروج من نطاقته، وهي أحد المخارج السرية التي أعدها. ومثله في العسر والتعذر ما يتضمنه المثل «مخّ جرابيع».



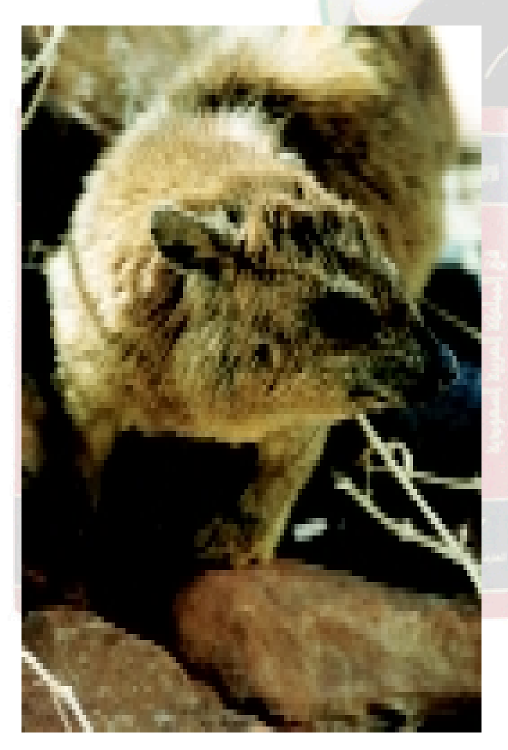
ولما كان الجربوع صغير الجرم لا يسمن ولا يغني من جوع قالوا «جربوع، ما يسوي تعبه»، ويضرب للأمر التافه الذي يقتضي الحصول عليه كلفة وتعباً، ومثله «جربوع، ما يسوى حطبه». ولكن حسن التدبير تجعل الصغير كبيراً والقليل كثيراً، لذلك ضرب المثل بالجربوع فقالوا «جربوعٍ بدّ على غزو» أي جربوع صغير ولكنه كفى جيشاً من الغزاة وذلك لحسن التدبير والقسمة العادلة. والقليل الخاص خير من كثير مشترك. وبهذا المعنى جاء المثل «جربوع يخصني ولا أرنب مشروكه».

ومن أمثال البادية قولهم «جربوع، وخير متبوع» ويقولون ذلك عند رؤيتهم الجربوع معترضاً يتفاءلون بذلك. وحكم أكله مختلف فيه، ولكن من الناس من بالغ في حله، وهذا ما يتضمنه مفهوم المثل «قال: الجربوع يطهّر الاثم أربعين يوم، قال: عساه يطهّر روحه» ويضرب المثل في الأمر المشكوك في صلاحه.

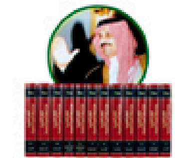
الوبر

الوبر حيوان في حجم الأرنب أو أكبر منه قليلاً، سريع الحركات، يعيش في الجبال ذات الصخور الكبيرة مثل الجبال الجرانيتية كجبل أجا، وجبل سلمى، وجبل رمان الأحمر، كما يوجد في جبال طويق وجبال الهضب وجميع جبال المملكة. ويختبىء بين الصخور الضخمة، والمغارات. ويصاد بالشباك أو يمسك به في الكهوف قبل وصوله إلى جحره العميق. وهو حيوان جميل الشكل رشيق الحركات مثل السنجاب. يتكاثر في سنوات الخصب بأعداد كبيرة.

يقول عنه المعلوف «الوبر حيوان من ذوات الحافر في حجم الأرنب، أطحل اللون، أي بين الغبرة والسواد، قصير الذنب حتى إنه ليظهر بلا ذنب. يحرك فكه السفلي كأنه يجتر، موطنه لبنان،

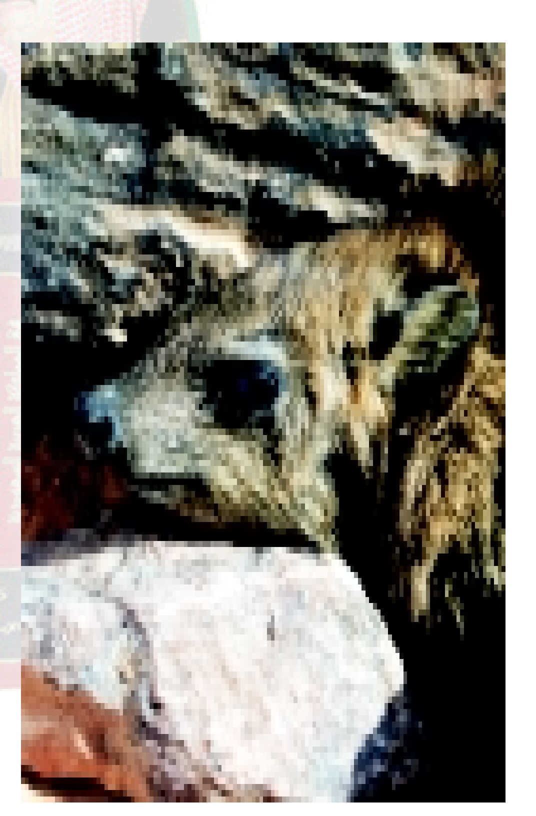


الوبر



ويعرف فيه بالطبسون، وجبال سينا، والحجاز، ويعرف فيها بالوبر، وغنم بني إسرائيل، الواحد شاة بني إسرائيل، وجبال مصر الشرقية إلى الكاب جنوباً. وذكروا من الوبر أنواعاً كثيرة وربما يكون قد انقرض في لبنان، وكان معروفاً من عهد غير بعيد» (١٩٣٢ : ١٣١).

وجاء في كتاب الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (الثدييات) ما يلي: الوبر حيوان يشبه الأرنب حجماً وشكلاً، ولكن أذنيه قصيرتان، وليس له ذيل. ويبلغ طول جسمه حوالي ٤٠سم، ولون فرائه بني متفاوت. كما توجد بقعة صفراء على الظهر، وذلك لوجود غدة ظهرية في هذه المنطقة. وحجم الذكور والإناث متساو تقريباً. والوبر له عدة مميزات فريدة منها البنية القوية مع عنق قصير، وأذن قصيرة مستديرة، والأطراف قصيرة قوية. ويوجد في القدم الخلفية ثلاثة أصابع قصيرة، والأصبعان الخارجيان ملتصقان. والأصبع الداخلي أقصر وبه ظفر قوي.



تعيش الوبران في الشقوق الجبلية

والوبر، وإن كان كثير الشبه في بعض الأوصاف بالقوارض، لكنه يشترك مع الحافريات في صفات كثيرة منها تركيب الأسنان التي تشبه أسنان الخرتيت بشكل مصغر. ولكن قواطع الفك العلوي، وعددها اثنان، مقوسان دائما النمو، ويحاول الحيوان كسرهما دائماً حتى يستطيع إغلاق فمه والأكل جيداً. فإن لم تكسر فإنها تستطيل بدون حد، وهو في ذلك يشبه قواطع الفيل التي تنمو وتبرز للخارج حيث إن قواطع الفيل هي التي تستطيل وتبرز للخارج، وليست الأنياب كما هو شائع. وليس للوبر أنياب وهو في ذلك يشبه القوارض. وعدد الأصابع في الأطراف الأمامية أربعة وآثار



الإبهام. وجميع الأصابع تنتهي بحوافر صغيرة عدا الأصبع الثاني في القدم، فينتهي بمخلب معقوف.

ويعيش الوبر بين الصخور العالية الملساء، التي لا يستطيع أي حيوان آخر الوصول إليها، فهو يستطيع تسلق الصخور الملساء بسرعة وخفة. لكنه لا يستطيع المشي جيداً على الأرض، وغالباً ما يصطاده الناس، وهو يمشي على الأرض، وليس على الجبل. ويوجد الوبر في مناطق جنوب المملكة مثل نجران، وفي المنطقة الغربية في جبال الطائف، كما يوجد أيضاً في المنطقتين الوسطى والشمالية.

ومدة حمل الأنثى طويلة (حوالي سبعة شهور) تضع بعدها من واحد إلى ثلاثة من الصغار. ويتغذى الوبر على النباتات المتناثرة بين الصخور، أو في الأودية القريبة من الجبال، ويكون غذاؤه عادة من النباتات ذات المحتوى المائي العالي، إذ لا يشرب أبداً ما دام يأكل من هذه النباتات. والوبر حيوان شرس ضد أعدائه. وأحياناً يكون أليفاً إذا رباه الإنسان من الصغر (الكمال ١٩٩٠: ١١٨و١٢٠).

وتعيش الوبران في مجموعات تتكون كل مجموعة من ذكر بالغ قوي ومجموعة من الإناث ومن الصغار. ويتولى الذكر مسئولية المجموعة حيث يقف في نقطة مراقبة تمكنه من رؤية ما حوله أثناء رعي أفراد المجموعة. ومتى ما رأى أو أحس خطراً فإنه يصدر صوتاً خاصاً يسمى الصفير لإنذارها فتفر جميعاً إلى الجحور. ولا يبتعد الوبر عن جحره في اليوم الغائم إذ يتعذر عليه أخذ حذره من أعدائه من الطيور الجارحة، التي يعرفها بظلها على الأرض في اليوم الصحو. وفي المقابل تصدر الإناث صوتاً خاصاً مميزاً يقال له وسلكه تدعو به الصغار وبقية المجموعة للخروج إلى الرعي متى شعرن بالأمن، فتخرج للرعي. وفي فصل التزاوج (يوليو/أغسطس) تصدر الذكور صوتاً خاصاً يسمى اللعب تدعو به الإناث للتزاوج.

ويعمد الصيادون المهرة إلى تقليد صوت الوسلكه لتخرج الوبران من



الوبر في نقطة مراقبة





تسمي البادية الوبر البالغ «الذيخ» والأنثى النجفة

جحورها فيصطادونها، كما يعمدون إلى تقليد صوت اللعب للذكور فتخرج لظنها أن هناك ذكوراً أخرى في مملكتها، وتتبع مصدر الصوت فتجد الصياد في انتظارها.

ويطلق أهل البادية على الذكر البالغ من الوبران مسمى الذيخ، وعلى الأنثى مسمى النجغه، وعلى الصغار التي لم تتم العام فسوس أو جرو. ولا يقبلون على صيد الفسوس، وكذلك الصغار التي اتمت عاماً من عمرها ويسمونها العامي لصغر أحجامها وقلة لحمها. كما أنهم لا يصطادون الذيخ في وقت التزاوج (النشيره)، لأنه يكون هزيلاً ضعيفاً من الضراب ويصفونه بأنه هلامه أو هليمه أي لا لحم فيه يصلح للأكل.

والصِّنُّ دمن الوبر وبوله، يوجد في الكهوف وفي أماكن استقرار الوبر، وله رائحة نافذة، وله فائدة طبية. ويؤخذ الصن على هيئة كتل تنقع بالماء حتى تلين مكونة عجينة غليظة، توضع على هيئة سباخة تشد أعلى الأجزاء التي بها رضوض من جسم الإنسان، سواء أكانت الرضوض في العظام أم العضلات، فتمتص هذه العجينة ما في داخل الجسم من السوائل الناتجة عن الإصابة، وتعيد للجسم تماسكه واشتداد عضلاته واعتدال الملتوي منها.



ويستخدم الصن في علاج مرض أبو الركب الذي يصيب الغنم بوضعه لها في ماء الشرب.

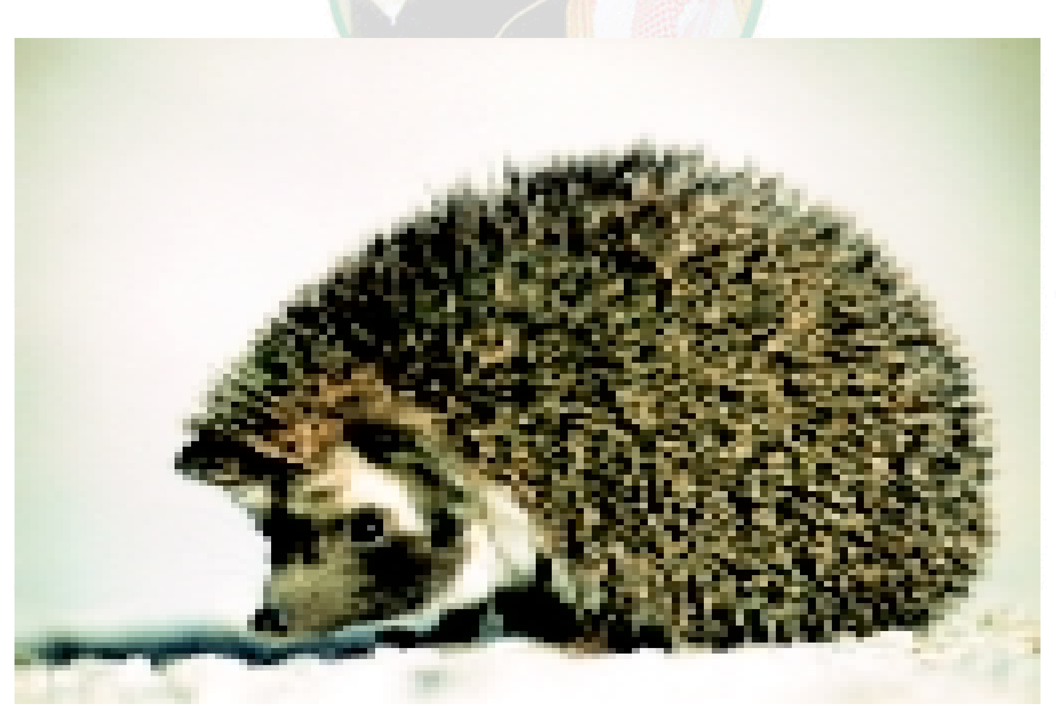
وعن الوبر تحدث الشاعر عبدالله القضاعي واصفاً العنز بالوبر الأجرب، فقال:

زوله يشادي هرة مكفهره
أو وبرة جربا بلج خريب

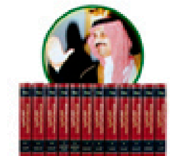
يشادي: يشبه، مكفهره: متجهمة، لج: . الفراغ الضيق بين صفحتي الجبل مظلم من الداخل، الخريب: الفتحة في الجبل أصغر من التلعة ومعها يجري الماء إذا سال.

القنفذ

صفاته. حيوان بري يعيش بقرب العمران، وهو من الحيوانات الشوكية، التي يتكون شعر فروتها من أشواك، مثل النيص أو الدلدل، ينشط ليلاً للحصول على غذائه. ويصطاد في الليالي المقمرة. وإذا اقترب منه إنسان أو حيوان يخشى منه انكمش إلى الداخل، وصار كأنه الكرة المحاطة بالشوك، وإذا أمن انحنى وساح في الأرض. وهو من أكلة اللحوم، يأكل الحيات والثعابين، حيث يمسك بالذنب ويبدأ بقرضه ويمضغه وهو ملتف بأشواكه. ويبقى الثعبان يصارع في الهواء ويتلوى



القنفذ: من الحيوانات الشوكية





قال المثل: أكل القنفذ للحية

ويضطرب، وكلما ضرب في القنفذ يواجه تلك الأشواك الحادة. وهكذا يستمر القنفذ على هذه الوتيرة حتى يأكل الثعبان بالكامل بالقرض والمضغ. فإذا وصل إلى رأس الثعبان، الذي يوجد به الأنياب وقنوات السم نبذها، ويكون الثعبان قد مات. ولذلك يقال في المثل الشعبي «أكل القنفذ للحيه» أو «أكل القنفذ للحضف» والحضف الثعبان.

يقول عنه المعلوف: القنفذ حيوان من آكلات الحشرات، أكبر من الجرذ قليلاً. جسمه مغطى بشوك قصير، اسمه عند بعض العامة في الشام كبّابة الشوك، أما في مصر والعراق وجزيرة العرب فاسمه القنفذ. ومن أسمائه الواردة في اللغة الأنقد والحْسكِك واللتُنَّة والمدلج وأبو المدلج والدرام، ومن أسمائه في البادية دْعَلج. والقنفذ عند العرب كل حيوان شائك من آكلات الحشرات ومن القوارض، ولكنهم خصصوا أسماء أخرى للقوارض منها فسموا القنفذ من القوارض نيصاً وشيهماً ودلدلاً.

وجاء في كتاب الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (الثدييات) عن القنفذ «وهذا الحيوان يعيش في الحبشة والسودان، كما ينتشر في معظم مناطق المملكة. حيث يوجد في كل من الطائف وجدة ومكة والمدينة والجوف والقنفذة وبريدة، وغيرها من المناطق. ويعتبر من أجمل أنواع القنافذ، ولون جسمه عادة بني داكن، أما الصدر والبطن والجانبان فلونها أبيض. وجسمه مغطى بأشواك حادة صلبة. والخطم أسود من الأمام، بعكس الشريط الأبيض الذي يمتد في الجبهة، حتى ينتهي بقاعدة الأذن الطويلة. والذيل قصير. والأذنان كبيرتان. أما الأطراف فطويلة بعض الطول تساعد الحيوان على الجري السريع في الصحراء. والقنافذ حيوانات بطيئة الحركة عموماً، تعتمد على حاستي الشم

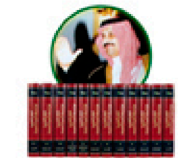


والسمع، أما حاستا النظر والتذوق فيها فضعيفتان. وتلد الأنثى من أربعة إلى ستة من الصغار، تكون أعينها مغلقة عند الولادة، وأجسامها مغطاة بأشواك بيضاء مرنة. ويعتبر الناس القنفذ من الحيوانات النافعة لأنه يأكل الحشرات والثعابين. ويبلغ طول جسمه من ١٥ إلى ٢٥سم، وذيله من ١,٥سم إلى ٣,٥سم، وقدمه الخلفية من ٢ إلى ٣,٥سم. أما طول الأذن فيتراوح من ٣ إلى ٥سم وطول الجمجمة من ٥ إلى ٥,٥سم» (كمال ١٩٩٠: ٤١).

ويقول الدميري في حياة الحيوان الكبرى إن الدلدل هو عظيم القنافذ، والدراج: القنفذ صفة غالبة عليه، لأنه يدرج ليله كله. والقنفذ البري منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك، والأنثى أم دلدل، والجمع القنافذ. ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل، ويقال للقنفذ: أنقد. قالوا إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكساً، فيقطع العناقيد ويرمي بها، ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق. فإن كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده، وهو لا يظهر إلا ليلاً. وهو مولع بأكل الأفاعي ولا يتألم بها، وإذا لدغته الحية أكل السعتر البري فيبرأ. وله خمسة أسنان في فيه، والبرية منها تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى. قال الشافعي يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه. وقد أفتى ابن عمر بإباحة أكله.

ونظراً لأن القنفذ يتكور عند الإحساس بالخطر وعند اقتراب أحد منه، فإن هناك صعوبة في ذبحه أو تذكيته. ولا يمكن ذلك إلا بإلقائه وهو مكور كالكرة في وعاء واسع به ماء، عند ذلك يفرد (يفتح) القنفذ جسمه وينقلب على ظهره ويبدو شكله كالأرنب ويكون لون جلد بطنه وصدره أحمر بلا شوك أو شعر أو وبر. ويحاول القنفذ جهده أن يخرج من الماء لأنه يختنق داخله كأي حيوان آخر. عند ذلك يُؤتى بعود ذي شعبتين (مشعاب) ويضغط ما فوق حلقه (رقبته) بهذا العود ويثبت في قاع الوعاء وهو مستلق على ظهره، ثم تُمرر سكين حادة جداً على حلقه فيذبح وكأنه أرنب. وبغير هذا لا يمكن التمكن من ذبحه بالسكين.

ومن خواص القنفذ التي يذكرها الدميري أن مرارة البري منه إذا طلي بها موضع الشعر المنتوف، لا ينبت فيه شعر أبداً. وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين، وإذا خلطت بشيء من الكبريت وطلي بها البهق أزالته. وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير،



وإن خلطت بدهن ورد وقطر في أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياماً. ولحمه إذا أكل نفع من السل والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى. وإن مسح بشحمه ودمه وبراثنه المعقود عن النساء حله. وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال بشراب العسل، فإنه يبرئه. وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم مسحوقاً بماء الحمص الأسود من به عسر البول، فيبرأ سريعاً. وإن قتل قنفذ وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان، وإن علق على المجنون والمصروع والمخبل أبرأه. وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حي وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة من غير أن يعلم ما هو مربوط في خرقة كتان أبرأه. وعينه اليمنى تغلى بشيرج وتجعل في إناء نحاس، فمن اكتحل به لم يخف عليه شيء في الليل، بل يراه كأنه نهار، وشطار العيارين يفعلون ذلك. وعينه اليسرى تغلى بزيت وتوضع في قارورة فإذا أردت أن تنوم إنساناً فخذ منه بطرف الميل، وأدنه من أنفه، فإنه ينام من ساعته. وأظفار يده اليمنى يبخر بها المحموم فتذهب حماه. وطحاله إذا شوى وأكله من به وجع الطحال أبرأه والأول أسرع، وهو ما تقدم. ومرارته تعجن بسمن عتيق وتتحمل بها المرأة في قبلها، فإنها تلقي ما في جوفها. ودمه يطلى به على عضة الكلب يسكن ألمها. ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام، وهو جيد لمن يبول في فراشه. وإذا أخذ بول القنفذ وسقي بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه، وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه، وإذا طلي المجذوم بشحمه نفعه. ويقال إن رماده إذا أحرق كما هو وحشي به الناصور يبرأ.

أما رؤيته في المنام فيقول الدميري إنه يدل على المكر والخداع والتجسس والاحتقار والشر وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح. وزعم القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. أن من القنافذ صنف يقال له الدلدل، أكبر من القنفذ وأطول جسماً، نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر. قالوا أي موضع أراد أن يرمي إليه شوكة من شوكه يرميه كرمي النشاب ولا يخطىء شيئاً، فتمر الشوكة كمر السهم المشدود وتثبت فيه. وهذا الزعم الذي زعمه القزويني ليس صحيحاً.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر القنفذ كثيراً في الأدب العربي. ومما ورد عنه في الأمثال قولهم «أسمع من

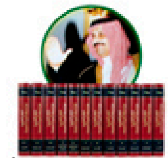


دلدل»، و«أسرى من قـنفذ»، و«ذهبوا إسراء قنفذ»، يعني ذهبوا ليلاً، لأن القنفذ يسري فـي الليل كـثيراً، و«أسرى مـن أنقد». و«بات بليلة أنقد»، يضرب لمن سهر ليله أجمع.

ومن أمثال البادية عن القنفذ قولهم «فلان مثل القنفذ يذبح الداب ويستلقي لعليه»، وعلية طائر الرخمة المصرية من أجبن الجوارح، يزعـمون أن القنفذ إذا رآها استلقـى على ظهره واستسلم لـها فتأكله رغم أنه يقتل الأفاعي، ويضرب المثل فـي الرجل الذي يصارع الأقـوياء فيصرعهم، ولكن إذا أتاه الضعيف الجبان انهزم أمامه. وقالوا «فلان مثـل القنفذ» ويضرب في الإنسان الذي لا يطلب عيشه إلا في الليل.

ومما قيل في القنفذ نثراً ما كـتبه أبو القاسـم الصاحب بن عبـاد في وصف قنفذ، فقال «قد أتحـفتك ياسيدي بِعلْقٍ نفيـس، يتعجب المـتأمل من أحـواله، ويحار الناظر في أوصافه، ويتبلد المعتبر في آياته. فمـا تعرف بديهة النظـر أمن الحيوان أم من الجماد، أم هو من الشجر أم من النبات، ومـن الناطق هو أم من الصامت، أم من الحار أم من البارد، أم من الرطب أم من اليابس. حتى إذا أعطى متدبره النـظر أوفى حقوقه، والفحـص أكمل شروطـه، علم أنه كَميٌّ سلاحـه في حضـنه، ورامٍ سهامه فـي ضمنه، ومقاتل رماحه على ظهره، ومخاتل سره خلاف جـهره، ومحـارب حصنه مـن نفسه. يلقاك بأخشن من حـد السيف، ويستتر بألين مـن وبر الخيف. حتى إذا حذر جمع أطرافه، فتحسبه رابية قتاد، أو كرة حرشف. ومتى أمِنَ بسط أكنافه، وهو أمضى من الأجل وأرمـى من بني ثعل. إن رأته الأراقـم رأت حَيْنَها، أو عاينتـه الأساود (العظيمـة من الحيات) عاينت حتفها. صعلـوك ليل لا يحجم عن دامسه، وحارس ظلام لا يجبن في حنادسه. لجرمه من الضب شبه، ومن الفـأر شكل ومـن الورل نسب، ومـن الدلدل سـبب، ولم أعَمِه علـيك وهو أنقد. ولذلك قيل: من لم يَذق غماضاً، ولك يرقد حثاثاً. بات بليلة انقد وذكره الشيهم وهو الشيظم، وأنثاه عُنجة معرفة. لا يدخل الألف والـلام عليها» (شاكر ١٩٨٥: ١٩٧-١٩٨).

ومما ورد عن الـقنفذ في الشـعر ما حكاه أبو نواس قال: بكرت إلى المربد ومعي ألواحي أطـلب أعرابياً فصيحاً، فإذا في ظل دار جعفر بن سليمان أعرابي لم أسمع بشيطان أقبح منه وجهاً، ولا بإنسان أحسن منه عقلاً، وذلك في يوم



لم أر كبرده برداً. فقلت له: هلا قعدت في الشمس، فقال: الخلوة أحب إلي، فقلت مازحاً: أرأيت القنفذ إذا امتطاه الجني وعلا به في الهواء، أيحمل القنفذ الجني أم يحمل الجني القنفذ؟ قال: هذا من أكاذيب الأعراب، وقد قلت في ذلك شعراً:

فما يعجب الجنان منك عدمتهم
وفي الأسد أفراس لهم ونجائب
أتسرج يربوعا وتلجم قنفذا
لقد أعوزتهم ما علمت المراكب
فإن كانت الجنان جنت فبالحري
ولا ذنب للأقدار والله غالب
وما الناس إلا خادع ومخدع
وصاحب إسهاب وآخر كاذب

ووصف بعض الشعراء القنفذ فقال:

ما ناشب إن رامه أمر نشب
ما راش من سهم ولم يكنس عقب
مشوك أشبه شيء بالركب
في جوشن من جلده قد احتجب
حتى يحيل رأسه من الذنب
مسدد ما يرم من شيء يصب
رام كمرمي ترى فيه عجب
يعدو على الحيات حتفا وعطب

وقال عبدة بن الطيب:

شربت الأمور وغاليتها
فأولى لكم يابني الأعرج
تدبون حول ركياتكم
دبيب القنافذ في العرفج

الركيات: جمع ركية وهي البئر.
العرفج: شجر سهلي وقيل هو القتاد.
وقال أيضاً:

قوم إذا دمس الظلام عليهم
حدجوا قنافذ بالنميمة تمزغ

تمزغ: تمر مراً سريعاً. وقال الهمداني:

وظلت تصيح البوم منه مهابة
وبت له رعيا بليلة أنقد

أنقد: القنفذ. ويقال لمن لم يذق غمضاً بات بليلة أنقد. وقال الأخطل:

قوم أنابت إليهم كل مخزية
وكل فاحشة سبت بها مضر
مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت
نجران أو حدثت سوآتهم هجر

وقال أبو بكر الخوارزمي يصف القنفذ:

ومدجج وسلاحه من نفسه
شاكي الدوابر أعزل الأقبال
يمسي ويصبح لم يفارق بيته
ولقد سرى عددا من الأميال
وتراه يكمن بعضه في بعضه
فتطيش عنه أسهم الأهوال
عيناه مثل النقطتين وخطمه
يحكي ثدي رضاعة الأطفال



وكأن أقلاما غرزن بظهره
مس المداد رؤوسها ببلال

النيص

حيوان من فصيلة القنافذ، غير أنه أكبر من القنفذ، ولا ينكمش مثل القنفذ، وشوكه أطول من شوك القنفذ، ويتراوح شوكه طولاً وقصراً وسماكة ودقة. فقد يصل طول شوكه إلى ٣٠سم، وسماكته حوالي ١٤مللم. وذيله عبارة عن إلية صغيرة مثل إلية الخروف. وآثاره على الأرض تشبه آثار الطفل الصغير، حيث إن براثنه لها بسطة مستوية بأطرافها الأصابع. وله من الأسنان ثنيتان كبيرتان في فكه العلوي. يعيش على الحشائش والأعشاب ويأكل الخضار، وخاصة القرع فهو مغرم به. يُصاد بالفخ والطرد ثم الضرب بالعصا أو الرمي بالبندقية. ولا يخرج لطلب غذائه إلا في الليل.

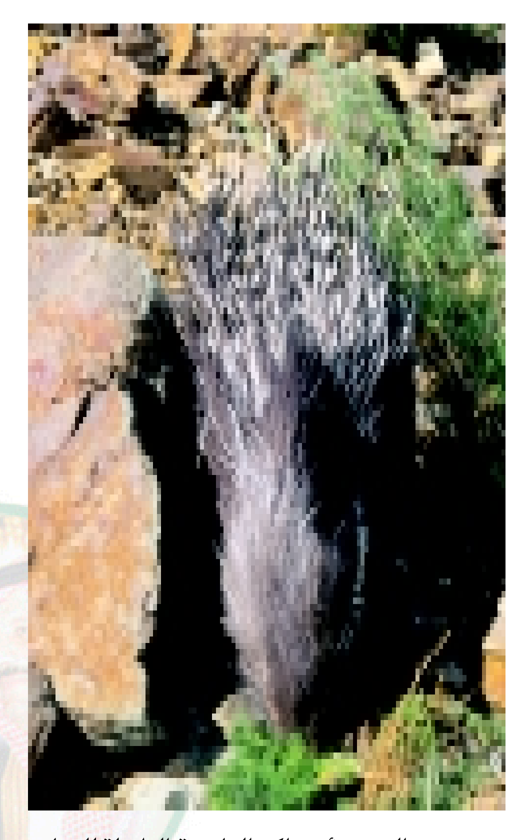
ومما ذكر عن الشيهم أو النيص قول المعلوف «النيص: شيهم، دُلْدُل ودُلْدول، شيظم، حيوان من القوارض، على ظهره شوك كأنه المسالّ، وهو أنواع كثيرة اسمه في السودان أبو شوك، وفي الشام والعراق وجزيرة العرب نيص، وفي بعض أنحاء الشام القنفذ، على أن القنفذ حيوان آخر من آكلات الحشرات» (١٩٣٢: ١٩٣).

«والنيص أو الشيهم، من أكبر القوارض في المملكة. وينتشر هذا الحيوان في آسيا وأفريقيا. أما في المملكة فينتشر في جنوبها وشمالها وشرقها. وهو يعيش في الجبال والهضاب ذات الأشجار، حيث يكثر وجوده في الطائف، وبلجرشي، وأبها، وخميس مشيط، وخليص، ومدائن صالح، ومنطقة حائل.

ويتميز النيص بوجود أشواك طويلة بيض وبنية غامقة اللون. والنصف الأمامي للحيوان مغطى بأشواك رفيعة تشبه الشعر السميك، وتُكوِّن على أعلى الرقبة ما يشبه العُرْف، أما نصف النيص الخلفي فكله مغطى بأشواك سميكة غليظة طويلة متجهة للخلف، وتختلف عن شكل الأشواك الأمامية. وتأخذ هذه الأشواك في جوانب الرقبة اللون الأبيض لتكون مثل الياقة. وشفة النيص العليا مشقوقة، ومخالبه قوية يستخدمها للحفر. والأطراف قصيرة وكذلك الذيل. والأذنان مستديرتان. وتوجد أشواك قصيرة على أطراف الأذن وأجزاء الجسم الأمامية والسفلى.

ويستخدم النيص أشواكه القاسية الطويلة وسيلة للدفاع عن نفسه. ويفضل





يستخدم النيص أشواكه القاسية الطويلة للدفاع عن نفسه

النيص العيش في المناطق الحارة والمعتدلة، ولا يحب الأماكن الباردة. وهو حيوان ليلي المعيشة يخرج في الليل ليتغذى على النباتات. ويبلغ وزن النيص من ١٥ إلى ٢٠كجم تقريباً. وتلد الأنثى من اثنين إلى أربعة من الصغار، مفتوحة العيون، وعلى أجسامها أشواك لينة، وهي ذات أحجام كبيرة نوعاً ما. ويعيش النيص لمدة خمسة عشر سنة» (كمال ١٩٩٠: ٦٦-٦٧).

وقد يصل حجم النيص إلى ما يقارب جسم الثعلب وأكبر منه. يصاد ويأكله بعض الناس، وهو سمين. ومكمن الشحم في إليته التي تشبه إلية الخروف إلا أنها صغيرة. ويعبر بالنيص عن الأمر الدون، فيقال هذا الأمر نيص أي تافه أو لا شيء، ويشاع أن النيص يرمي بشوكه على من يطرده. والواقع أنه غير صحيح وما يحدث هو أن النيص إذا طرده إنسان وجاء خلفه مباشرة فإذا أدركه نفش شوكه فيصيب أقدام أو سيقان من يطرده، ولذلك يجب على من يطرده أن يأخذ حذره، ولا يكون خلفه مباشرة، وإنما يطارده ويكون إلى جانبه حتى يتقي شر انتفاش شوكه. ويعتقد أهل البادية أن مقتل النيص في خشمه.

الضبع

صفاته وخواصه. من آكلة اللحوم، غير أنها في الغالب تقع على الجيف واللحوم المنتنة، وإذا مسها الجوع فإنها تلجأ إلى البحث عن العظام القديمة وتقضمها، وربما نبشت المقابر إذا شمت فيها رائحة. وهي من الحيوانات المفترسة لما تقدر عليه من الحيوانات، لكنها تميل إلى ما يفترسه غيرها من الحيوانات كالأسود والنمور والذئاب، أو ما يكون





الضبع المخطط

في المعارك من حيث القتلى أو جيف الحيوانات المقتولة. ومع هذا فهناك أناس يأكلون لحمها. والضبع صعبة الالتفات نظراً لتركيب فقرات رقبتها المتداخلة، فإذا أرادت الالتفات إلى الخلف تفتر بكامل جسمها، ولذا يضرب بها المثل فيقال «فلان مثلِ اقفات الضبعه» إذا لم يسأل عمن خلفه، والضبع بحجم الذئب أو أكبر منه قليلاً.

يقول المعلوف «ضبُع، ذِيخ، غثْراء: جنس من السباع أكبر من الكلب وأقوى وهي كبيرة الرأس قوية الفكين، منها ثلاثة أنواع: غثراء أو ضبع غثراء، وذيخ، وضبع رقطاء؛ وهي لا عرف لها موطنها أفريقيا، وهي المشهورة باسم الضبع الضاحكة. وزعم أنها متولدة بين الذكر من الضباع المخططة واللبؤة، واسم هذه الضبع في السودان المرفعين والمرفعيب والمرفعيل. والمخططة موطنها جزيرة العرب والشام والعراق وشمال أفريقيا، وبعضهم يسميها الضاحكة كالضبع الرقطاء» (١٩٣٢: ١٢٩).

ورد في كتاب الحيوان للجاحظ أن اسم الضبع جعار -جلدها جلد سوء- وتسمى السنة الجدبة بالضبع. والضباع تنبش القبور وذلك من فرط طلبها للحوم الناس إذا لم تجدها ظاهرة. قال صاحب المنطق إن الضباع تأكل



النمل أكلاً ذريعاً، وذلك أن الضباع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل فتلحس ذلك النمل بلسانها بشهوة شديدة وإرادة قوية. ويقولون إن الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب. قال الكميت:

كما خامرت في حضنها أم عامر
لذي الحبل حتى عال أوس عيالها

خامرت: استترت، ذو الحبل: الصائد. وأنشد أبو عبيدة في ذلك شعراً فسر به المعنى وهو قوله:

والذئب يغذو بنات الذيخ نافلة
بل يحسب الذئب أن النجل للذئب

يقول لكثرة ما بين الذئاب والضباع من التسافد، يظن الذئب أن أولاد الضبع أولاده. والناس يتقززون من الأرانب والضباع لمكان الحيض. ويشارك النسر الضبع في فريسته ولا يثب عليه مع معرفته بعجزه عن الطيران. وإذا دخل الرجل وجار الضبع ومعه حبل، فإن لم يسدّ ببدنه وبثوبه جميع المخارق والمنافذ ثم وصل إلى الضبع من الضياء (النور) بمقدار سم الإبرة (فتحة الإبرة) وثبت عليه فقطعته ولو كان أشد من الأسد.

وورد في لسان العرب «أن جيأل وجيألة الضبع معرفة بلا ألف ولام اسم للضبع. وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري: والضبع معروفة ولا تقل ضبعة لأن الذكر ضبعان والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين والأنثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سبع وسباع. ومن أسماء الضبعة جيل وجعار وحفصة، ومن كناها أم خنور وأم طريق وأم عامر وأم القبور وأم نوفل، والذكر أبو عامر وأبو كلدة وأبو الهنبر. والضبعة تحيض كالأرنب. تقول ضحكت الأرنب ضحكاً، أي حاضت.

قال ابن الأعرابي في قول ابن أخت تأبط شراً:

تضحك الضبع لقتلى هذيل
وترى الذئب لها يستهل

أي إن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت (حاضت) وقد أضحكها الدم. وقال ابن سيده: ومن عجيب أمرها أنها كالأرانب تكون سنة ذكراً وسنة أنثى فتلقح في حالة الذكورة وتلد في حال الأنوثة. ولم يذكر على حسب علمنا العلم الحديث ذلك لا في الضبع ولا في الأرنب.

قال القزويني: وفي العرب قوم يقال لهم الضبعيون، لو كان أحدهم في قفل فيه ألف وجاء الضبع لا يقصد أحد سواه. والضبع توصف بالعرج وليست



بعرجاء وإنما يتخيل ذلك الناظر، وسبب هذا التخيل لدونة في مفاصلها وزيادة رطوبة (ليونة) في الجانب الأيمن على الأيسر منها. وهي مولعة بنبش القبور لكثرة شهوتها للحوم بني آدم. ومتى رأت إنساناً نائماً حفرت تحت رأسه وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دمه. وهي فاسقة لا يمر بها حيوان من نوعها إلا علاها، وتضرب العرب بها المثل في الفساد، فإنها إذا وقعت في الغنم عاثت، ولم تكتف بما يكتفي به الذئب، فإذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت لأن كل واحد منهما يمنع صاحبه، والعرب تقول في دعائها: اللهم ضبعاً وذئباً، أي أجمعهما في الغنم لتسلم ومنه قول الشاعر:

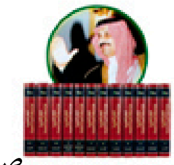
تفرقت غنمي يوماً فقلت لها
يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وتوصف الضبع بالحمق، وذلك أن صائديها يقولون على باب وجارها كلمات يصيدونها بها، والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب. وتلد من الذئب جرواً يسمى العسبار. والثغر للسباع وكل ذات مخلب بمنزلة الحياء للناقة.

وقال الدميري أيضاً «الذيخ بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر، والأنثى ذيخة... والضبع أحمق الحيوان... ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له. ولذلك قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا أكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد... لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك. ويقال لها وهي في جحرها: أطرقي أم طريق، خامري أم عامر، أبشري بجراد، عطلى وشاة هزلى. فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها».

ويقول شاكر في كتابه الحيوان في الأدب العربي: الضَّبُعُ، والضَّبْعُ: أنثى وهي ضروب من السباع، والجمع أَضْبُع وضِباع وضُبُع وضُبْع وضَبُعات، واسم الذكر ضبعان والجمع ضَباعين مثل سرحان وسراحين، وضِبْعات وضباع للذكر والأنثى مثل سبع وسباع وإذا اجتمعت الأنثى والذكر قيل هما ضبعان (١٩٨٥: ٢٤٣).

وعن خواص الضبع ما ذكره الدميري أن صاحب عين الخواص ذكر أن الضبع تجذب الكلاب كما يجذب المغناطيس الحديد، وذلك أنه إذا كان كلب على سطح في ليلة مقمرة مضيئة ووطئت الضبع ظله في الأرض يقع الكلب من السطح فتأكله الضبع.



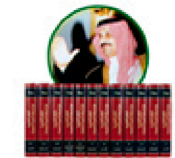
وشحم الضبع إذا طلي به الجسد أمن من مضرة الكلاب. ومرارتها إذا يبست وسقيت امرأة منها قدر نصف دانق أبغضت المجامعة وذهبت منها الشهوة. وإذا اتخذ من جلد الضبع منخل ونخل به البزور (البذور) وزرعت لا يضرها الجراد. وقال عطارد بن محمد: الضبع تهرب من عنب الثعلب، فإذا طلي بعصارته الجسد أمن من مضرة الضبع. وجلد الضبع إذا أمسكه إنسان لم تنبح عليه الكلاب. ومرارتها تكتحل بها تنفع من ظلمة البصر والماء في العين وتحد البصر وتقويه. وعينها اليمنى تقلع وتنقع في الخل سبعة أيام ثم تخرج منه وتجعل تحت فص خاتم فمن لبسه لم يخف سحراً ولا عيناً ما دام لابسه، ومن كان به سحر فغسل ذلك الخاتم بماء ثم يسقى منه، فإن السحر يذهب عنه، وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر. ورأس الضبع إذا جعل في برج حمام كثر فيه الحمام. ولسانها من أمسكه بيده اليمنى لم تنبح عليه الكلاب ولم تؤذه، وحذاق العيارين يفعلون ذلك. ومن خاف الضباع فليأخذ بيده أصلاً من أصول العنصل فإنها تهرب منه. وإذا بخر الصبي العليل سبعة أيام بشعر قفا الضبع فإنه يبرأ. وإذا سقيت المرأة قضيب الضبعان مسحوقاً وهي لا تعلم أذهب عنها شهوة الجماع، ومن علق عليه قطعة من فرجها صار محبوباً للناس. وأسنان الضبع إذا ربطت على العضد تنفع من النسيان ووجع الأسنان. وإذا جلد بجلده مكيال وكيل به البذر أمن ذلك الزرع من سائر الآفات. ومن غريب خواصها أن من أكل دمها ذهب عنه الوسواس. ومن أمسك بيده حنظلة فرت الضباع منه. وقال حنين بن اسحق: إذا نتف الشعر الذي في باطن أجفان العين واكتحل بمرارة الضبع أو بمرارة ببغاء أو بمرارة سبع أو بمرارة عنز فإنه يذهب بإذن الله تعالى. وقضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين، فإنه يهيج به شهوة الجماع ولا يمل من النساء. وقال غيره إذا شرب من مرارة الضبع نصف درهم بمثله عسلاً نفع من سائر الأعلال التي تكون في الرأس والعين، ويمنع نزول الماء في العين ويشد الانتشار. وإن خلطت المرارة بالعسل واكتحل بها جلا العين وزاد حسنها. وكلما عتق (قدم) هذا الخلط كان أجود وأحسن نفعاً. وقال ماسرجويه الاكتحال بمرارة الضبع ينفع من البَلَّة والدموع. ومن غريب خواصها وهو ما أطبق (اتفق) عليه الأطباء أن شعر الفخذ



اليمنى من ذكر الضباع الذي حول فتحته إذا نتف وأحرق وخلط في زيت مسحوقاً ودهن به من به بغا أبرأه. وهو يحدث العلة في السليم إذا كان الشعر من أنثى.

ويقول الدميري أيضاً: تدل رؤية الضبع في المنام على كشف الأسرار والدخول فيما لا يعني، وربما دلت رؤية الذكر على الرجل الخنثى المشكل، وربما دلت على عدو ظلوم مكايد مخالف. وقيل الضبع امرأة قبيحة المنظر دنيئة الأصل ساحرة عجوز. وقال أرطاميدورس: الضبع تدل على الخديعة ومن ركبها في المنام نال سلطاناً.

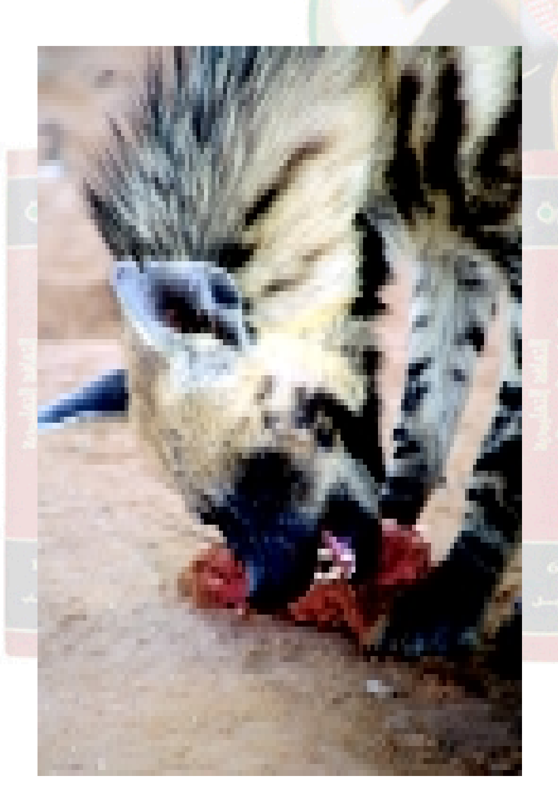
وقال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: الضبع يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر ينبش القبور ويخرج الجيف، والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان... وإن مرض الضبع وأكل لحم الكلب يبرأ. وبين الضبع والذئب مصادقة ويتولد منهما ولد يقال له السمع، وهو حيوان عجيب الشكل بين الضبع والذئب، فإن كان الذكر ذئباً يقال له العسبار وشكله عجيب أيضاً... وزعموا أن الضبع الصحيح يطبخ كما هو، تنفع مرقته ودسمه من الأوجاع الباردة والرياح. ومن خواصه يقول القزويني: لسانه من يأخذه معه... لم يتلعثم عند المحاجة ويغلب خصمه، وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لم يقع فيها مكروه ويزداد فرحهم. نابه من اصطحبه لم ينس شيئاً. قال بليناس: تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلي به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء، قلبه يعلق على الصبي يبقى ذكياً ويتعلم الأشياء بسرعة. مخه يطلى به الحواجب يكون محبوباً إلى الناس، ولو طلي به كلب جن. يده اليمنى من استصحبها تقضي حوائجه عند الملوك، وتشد على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها. برثنه تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار، قضيبه يجفف ويسحق فإن أسقيته المرأة الفاجرة تترك الفجور ولا تميل إليه. قال بليناس: فرجها وجلد سرتها إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته، وإن شد على امرأة لم ينظر إليها رجل إلا أحبها، وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه. قال ابن سينا: جلده ينفع من عضة الكلب الكَلِب، فإذا فرغ من الماء يسقى في إداوة من جلد الضبع أو مغشاة بجلد الضبع. وقال بليناس: إذا أخذت شيئاً من جلد الضبع وشددت فيها شيئاً من ورق الشيح وربطته في خرقة حرير على إنسان فإن النساء تتبعه، ويرى من ذلك أمراً عجيباً، ولو دفن في باب بيت لايدخله الكلب، وإذا شددته على رقبة الأرنب



تهرب عنه الكلاب. وحين يسلخ الجلد إذا أخذته وطفت به معالم قرية وعلقته على بابها لا يصيبها آفة. بعره يخلط بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه.

ويقول الكمال «والضباع من الحيوانات الثديية آكلة اللحوم. ويتميز الضبع بجسم ممتلىء ورأس كبير وعنق غليظ، وخطم قوي. والأطراف الأمامية مقوسة قليلاً وأطول من الأطراف الخلفية. لذلك يكون كتفاه أعلى من مؤخرته. والبراثن بها أربع أصابع. والظهر محدب والذيل قصير. أما الأذن فمستعرضة عند القاعدة ومدببة قليلاً في الطرف. وأنياب الضبع غليظة وقوية وكذلك الأضراس الأمامية. والفكان قويان لهما القدرة على كسر العظام. كما أن للضبع غدداً للرائحة في منطقة الشرج وليس له عظم في القضيب». (١٩٩٠: ١٠٣)

والضباع أنواع منها الضبع العربي المخطط. وفراء هذه الضباع خشن طويل الشعر يغلب عليه لون رمادي أبيض مصفر تتخلله خطوط سوداء. ويوجد في كل من جانبي الحيوان من ثمانية إلى تسعة خطوط سوداء عمودية. أما الأرجل فبها خطوط عرضية وبقع سوداء. والأذنان طويلتان نوعاً ما وضيقتان، ولونهما أسود من الخارج. والذيل قصير ولونه أبيض مصفر وأسود. ويستطيل الشعر في المنطقة الظهرية قليلاً، ليكون ما يشبه العرف ولونه أسود. ويوجد في الضبع كيس غدي فوق فتحة الشرج لإفراز الرائحة. وتستوطن هذه الضباع شمال أفريقيا وجنوب آسيا. وتوجد في المملكة العربية السعودية في المنطقة الغربية والشمالية والشرقية، إضافة لذلك فقد وجد الضبع المخطط في تبوك والجوف وسكاكا والطائف وأبها وجدة ومكة المكرمة وبلجرشي وصبيا وأبو عريش.



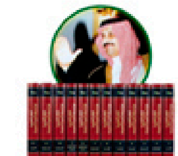
الضبع المخطط



وتعيش الضباع في الأراضي الزراعية المكشوفة القريبة من المناطق الصحراوية، كذلك يعيش بعضها في البراري والصحاري. وتخرج الضباع من جحورها ليلاً أفراداً أو جماعات صغيرة طلباً للصيد أو سعياً وراء جيفة. وقد تتجول نهاراً باحثة عن بقايا فريسة من فرائس الأسود وغيرها من المفترسات الأخرى. وغالباً ما يشاهد الضبع يحوم حول الأسد. ففي أفريقيا فإنه غالباً ما يستدل على وجود أسد إذا كان هناك ضبع. ويقول بعض العلماء إن الضباع تصطاد فرائسها بنفسها وهذا يحصل عندما يشتد بها الجوع ولم تجد أية جيفة. وتتغذى الضباع على أنواع مختلفة من الغذاء منها الزواحف والطيور وصغار الثدييات والنباتات والحشائش والخضراوات. كما أنها ترتاد أماكن الزبالة والقمامة وتنبش القبور القريبة من سطح الأرض لتأكل ما بها من جثث. والضبع قبيح المنظر والصوت وكريه الرائحة. فأجسامها غير متناسقة، كما أن أصواتها تشبه صوت إنسان يضحك ضحكاً أجش عالياً. وتطلق الضباع أصواتاً مختلفة، حتى أن بعض هذه الأصوات يشبه فعلاً صوت الإنسان والبعض يقول إنها تستطيع أن تنادي كما ينادي الإنسان. ومن عادة الضباع أيضاً الاحتيال والتظاهر بأنها ميتة عندما تتعرض لحيوانات قوية أو صيادين. فهي تتمدد كأنها جثة هامدة عندما تهاجمها الكلاب البرية المتوحشة بدلاً من أن تحاول الدفاع عن نفسها. وعندما تقترب منها الكلاب وتشم رائحتها النتنة تتركها ولا تحاول أن تأكلها لاعتقادها بأنها جيفة، وما أن تتركها حتى تنهض وتنطلق هاربة. وتلد الضبع المخططة في العادة من جرو إلى أربعة جراء مغمضة العيون لمدة عدة أيام.

ويضيف الكمال قائلاً: ومن المدهش أن بعض أهل البادية يأكلون الضباع ويقولون إن لحمها لذيذ. كما أن البعض منهم يستعملون بعض أجزاء الضبع الداخلية للعلاج. ولهم طريقة خاصة في عملية قتله. فبعد صيده يقومون بإدخال قطعة خشبية طويلة، بها مسامير باتجاه معاكس في الجهة الخلفية للضبع لإخراج الغدة التي بها الرائحة الكريهة قبل أن يستخدمها الضبع، ويتأثر طعم لحمه بعد ذلك. وبعد إخراج الغدة يقومون بذبحه ويكون لحمه في هذه الحالة خالياً من طعم هذه الغدة (١٩٩٠: ١٠٦).

وقد أورد الدميري الخلاف في حكم أكل لحم الضبع. فالمحرم لعموم منع



أكل ذي الناب والمحلّل لورود النص بحل أكل لحمه. وممن أحل أكله الشافعي وأحمد وإسحاق أبو ثور وأصحاب الحديث، وقد سئل جابر بن عبدالله عن الضبع فقال إنها صيد يؤكل.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد من أمثال العرب قولهم «أحاديث الضبع استها»، وذلك أن الضبع تتمرغ في التراب ثم تقعي فتتغنى بما لا يفهمه أحد، فتلك أحاديث استها يضرب للمخلط في حديثه. وقالوا «أحمق من الضبع»؛ من حمقها أن يدخل الصائد وجارها فيقول لها: خامري أم عامر، فلا تتحرك حتى يشدها. وقالوا «خامري أم عامر» وأم عامر الضبع يشبه بها الأحمق، وقالوا «خامري حضاجر أتاك ما تحاذر» وحضاجر اسم للذكر والأنثى من الضباع.

ومن أمثالهم «أنبش من جيأل»، لأنها تنبش القبور وتخرج جثث الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها، وقالوا «كمجير أم عامر»، وقالوا «أغزل من فرعل»، والفرعل ولد الضبع والجمع الفراعل، وهذا المثل من الغزل والمراودة قال الميداني: هو من الغزل بمعنى الحزق. يقال غزل الكلب إذا تبع الغزال فإذا أدركه تفا الغزال في وجهه ففتر ودهش، ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده. وقالوا «أحمق من أم الهنبر». وتنسب إليها أشياء في الحمق منها أن الضبع وجدت تودية (عود يشد على رأس خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها) في غدير فجعلت تشرب من ماء الغدير، وتقول: حبذا طعم اللبن، واضياحاه (الضِيَاح اللبن إذا كثر ماؤه)، وتشرب حتى انشقت بطنها فماتت. وقالوا «أعيث من جعار» يقال ذلك لأن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت فيها ولم تكتف بما يشبعها، ولم تبق ولم تذر، وقالوا «أفسد من الضبع» من إفراط الضبع في الفساد والعيث والعبث استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة، فيقال «أكلتنا الضبع» وقيل معنى ذلك أنهم إذا أجدبوا ضعفوا عن الانبعاث، وسقطت قواهم فعاثت فيهم الضباع وأكلتهم. وقالوا «روغي جعار وانظري أين المفر» يضرب مثلاً للجبان يفزع فيستكين ويخضع، و «لا أكون مثل الضبع تسمع اللَّدْم فتخرج حتى تصاد»، أي لا أغفل عما يجب التيقظ له. وقالوا «مجير أم عامر» يضرب مثلاً للمحسن يكافأ بالإساءة، وأصل المثل أن قوماً خرجوا للصيد في يوم حار، فطردوا ضبعاً حتى ألجؤها إلى خباء أعرابي فاقتحمته، فأجارها الأعرابي،



وحال بينها وبينهم، وجعل يطعمها ويسقيها اللبن وبقيت عنده بخير حال، فينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه، ومضت هاربة.

ويقول القويعي في كتابه تراث الأجداد: في الماضي القريب كان أجدادنا يصيدون الضبع وذلك لأكله من الجوع الذي لحق بهم آنذاك، إذ إن الضبع حيوان مفترس، أما رأس الضبع فإنهم لا يأكلونه حسب ما علمت من الرواة كبار السن.

ويقول السويداء (١٩٨٧م) في كتابه فصيح العامي في شمال نجد إنهم يقولون هذه مغارة الضبع أو الضبعة، وفلان أكلته الضباع ويسمون الضبعة بالعرجاء لأنها تعرج في مشيتها خلقة، ويكنون عن المرأة الأنانية التي لا يقترب من حقها ولا ينال من فضلها بالضبعة. ويقولون ضبع الرجل وتضابع في مشيته إذا كان في مشيته اهتزاز وعرج مع ثقل في الخطى (١٩٨٧، ج٢: ٥٥٦). ويقولون «فلان أو فلانة اقفات ضبعه» لأن الضبع لا يلتفت بسهولة لتكوين فقرات رقبته المتداخلة، فيأتي التفاته بافترار كامل جسمه، وإذا ذهب الضبع لا يلتفت كثيراً ويكنون بذلك عمن يذهب ولا يلتفت إلى أحد ممن خلفه ويترك الأمور تجري كما تريد. ويقول السويداء أيضاً: ويسمون ذكر الكلاب بالذيخ ويطلق كذلك على الكسول من الكلاب. ويقول المثل «هنيت ذيخ رابض له بخربه»، ويكنى به عن الكسول المتواكل من الرجال أيضاً.

ذكر الضبع يسمى ضِبعان ويطلق عليه حضاجر لسعة البطن وعظمه واللفظ معرفة، قال الحطيئة:

هلا غضبت لرجل جا ... رك إذ تنبذه حضاجر

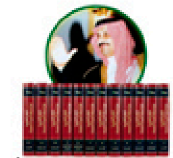
وتكني العرب بالضبع عن السنة الجدْب، وبذلك فسر بعضهم قول العباس بن مرداس:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر ... فإن قومي لم تأكلهم الضبع

ويذكر الصالحي أن الصعاليك أكثر من غيرهم من الشعراء اطلاعاً على الضباع، فإنهم توحشوا مثلها وتعودوا رؤيتها، فالأعلم الهذلي قد أبصر بضبع غليظة لها ثمانية جراء، خلف أظلاف تلك الضبع شعرات متجمعة، وفوقها دوائر كأنها الخلاخيل لونها يغاير ما حولها قال:

عشنزرة جواعرها ثمان ... فويق زماعاتها خدم حجول

الخدم (جمع خدمة): لون يخالف سائر لون رجلها. وراقب الأعلم الضباع



وصغارها عن كثب، وخيل إليه أن ضبعاً لها جراء قد جرت لحمه إليهن، فأخذن يجررن لحمه كما يجر الصناع البطائن القديمة المذهبة التي تغش بها أجفان السيوف، وكانت الجراء ضخام البطون، سود الجلود، كثياب الراهب، أما آذانهن، وهن مجتمعات حول الفريسة فتشبه المغارف قال:

وتجر مجرية لها
لحمي إلى أجر حواشب
سود سحاليل كأن
ن جلودهن ثياب راهب
آذانهن إذا احتضر
ن فريسة مثل المذانب
ينزعن جلد المرنز
ع القين أخلاق المذاهب

قال الأخطل:

تدل عليه الضبع ريح تضوعت
بلا نفح كافور ولا بعبير

وقال الشنفرى الأزدي:

لا تقبروني إن قبري محرم
عليكم ولكن أبشري أم عامر

وقال أعرابي:

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته
أحاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت
برته بأنياب لها وأظافر

وقال العباس بن مرداس السلمي:

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت
ضباع بأكناف الأراك عرائسا

قال المتنبي:

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق
فلين يأكل إلا الميت الضبع

وقال المعري:

نظروا إليك وقد تقلب هامهم
نظر الضباع أصابهن دوار
أضحى يرمز حاجبيه كأنه
ذيخ له بقصيمتين وجار

وممن تكلم مع الضبع في الشعر النبطي وأجاب على لسانه تخيلا الشاعر عبدالله بن فرحان القضاعي عندما أضاع قَعوده وذهب للبحث عنه فلقي الضبع وسألها عن جمله فأجابته بهذه المحاورة اللطيفة حيث كناها بأم خميس وسألها قائلاً:

لى يام خميس عيّنتي قعودي
واخوفتي انك من حواله تدوجين
أنشِدْك لو انك كذوبٍ ربودي
وليّا عملتي عملةٍ ما تقرّين
ماني طرف، تريه كثيره جنودي
وربعي على حقّات مثلي مْعَيّين
لى صار لك من قفو سبعة فْرود
باياتهن يا شينةَ الزول ترمين



ولـيا تَـلولَـس بك قـويّ الـعضـود

عملة عـمر باللى هوى الحير وقـرين

عينت: رأيت، ربود: مماطلة، وليا: وإذا، ماني طرف: لست ضعيفاً، معيين: رافضين، فرود: جمع فرد وهو المسدس، يقـال إن حيـاء الضبـع سبع تجـعدات فصورها سبع مسدسات من باب التهكم بها بأنها ستطلق عليه النار من أحد هذه التجعدات التي صوره مسدسات، وليا: وإذا، تلـولس بـك: أمسكـك، قوى العضود: يعني الفخ الكبير الذي تصاد به السـباع، عمر: اسم رجل، الحـير: البستان، قرين: كنية رجل. فقال على لسانها يرد على نفسه:

ذرب جـوابك وانـدقـم يالـعبـودي

لا تظـلم الاجواد يـالشـايب الشـين

لا تـتـهمـن تـر مـا بالاتـهـام زود

ولا تصـدق الدعوى لما تـنظر العـين

أنا لا اكـلـت الـشين مـا انا جـحود

عـادات ربعـي ياكـلـون البـعاريـن

ذرب جـوابك: هـذبـه، اندقـم: اسكت، العبودي: ترخيم اسم عبدالله، تر: ترى، أداة تنبيه بمعنى اعلم أن. تقول هذب كلامك ولا تظلمني باعتباري من الأجواد أيها الشائب القبيح ولا تتهمني لأن الاتهـام ليـس به زود ولا تصـدق الدعوى حتى ترى العين البرهان، أما أنا إذا أكلت شيـئاً لا أجحده ومن عادات ربعي وجماعتي أكل الإبل وغيرها.

الضب

صفـاته وسلالاته. أحـد أكبر أنواع الزواحف المألوفة الـواسعة الانتشار في الجزيرة العربية. يكنى أبو شهاب، ولونه الصُّحمة، وهي غبرة مشربة بسواد، وإذا سمـن اصفر صدره، وهـو بقدر فـرخ التمساح، وذنبـه كثير العقد. وهو من فصيلة الحراذين (الأجـامات) التي منها أنواع السحـالي، غير أن الضب يتـميز عليها جميعاً بكونه يصاد ويؤكل. وكان الضب فيما مضى موجوداً بوفرة في بيئات متنوعة من الجزيرة العربية، إلا أن أعداده تناقصت بشكـل ملحوظ بسبب الصيد المفرط، الذي كثيراً ما يخرج عن حدود الصيد إلى الـقتل والإبادة. ويوجد في الجزيرة العربية خمسة أنواع من الضبان، توجد منها ثلاثة أنواع في المملكة العربية السعودية، أما النوعان الآخران فيوجدان في اليمن وفي سلطنة عمان.

وأكثر أنواع الضبان شيوعاً في المملكة العربيـة السعودية، هو الضب المـصري الذي يوجد كذلك في الأردن والعراق. ويوجد النوع الثاني في المنطقة الشمالية الغربيـة من المملكة، وفـي شرق مصر





الضب من أكثر أنواع الزواحف انتشاراً في الجزيرة العربية

وفلسطين وسورية. أما النوع الثالث فيوجد في المرتفعات الغربية من المملكة واليمن.

ويقال للذكر ضب وللأنثى ضبة، والجمع ضباب وأضب وضبان. ويقال لصغيره حين يخرج من البيضة الحِسْل، ولذا يكنى الضب بأبي الحِسْل والجمع أحسال وحُسُول وحِسَلة وحِسْلان. ثم يكون مطبخاً، ثم خُضَرِماً، ثم غيدقاً، ثم إذا أسن فهو حَجْل وهو الضب المدرك وتسميه البادية الوحر والصغير الوحير. ومن أسمائه السَّحْبل والسّبَحْل، وهو الضب الضخم، والعُدامـلي والعُدْمُل، وهو الضب الضخم القديم، والعُلْب وهو الضب المسن الجاسي، والهضب وهو الضخم منه ومن غيره. ويقال لصوت الضب الفحيح والكشيش، ومثله للحية. ويقال: أرض مَضَبَة وضبية، أي كثيرة الضباب، وضبب البلد، وأضب: كثرت ضبابه.

ومن معاني كلمة الضب الغضب، والحقد، والحلب بالكف، وورم في صدر البعير وخفه، وداء يأخذ في الشفة. والتضبيب تغطية الشيء. ورجل خب ضب أي مراوغ حرب. وأضب على الشيء وضب: سكت عليه، وأضب القوم: صاحوا وتكلموا. ويقال أضب يومنا، وسماء مضبة: كثيرة الضباب،



وهو البخار المتصاعد من الأرض. وأضب القوم: نهضوا في الأمر جميعاً، وأضب السقاء: هريق ماؤه، وأضب الشعر: كثر، وضب فمه: سال ريقه، والضبة: حديدة عريضة أو خشبة يضبب بها الباب (شاكر ١٩٨٥ :٢٢٩-٢٣٠).

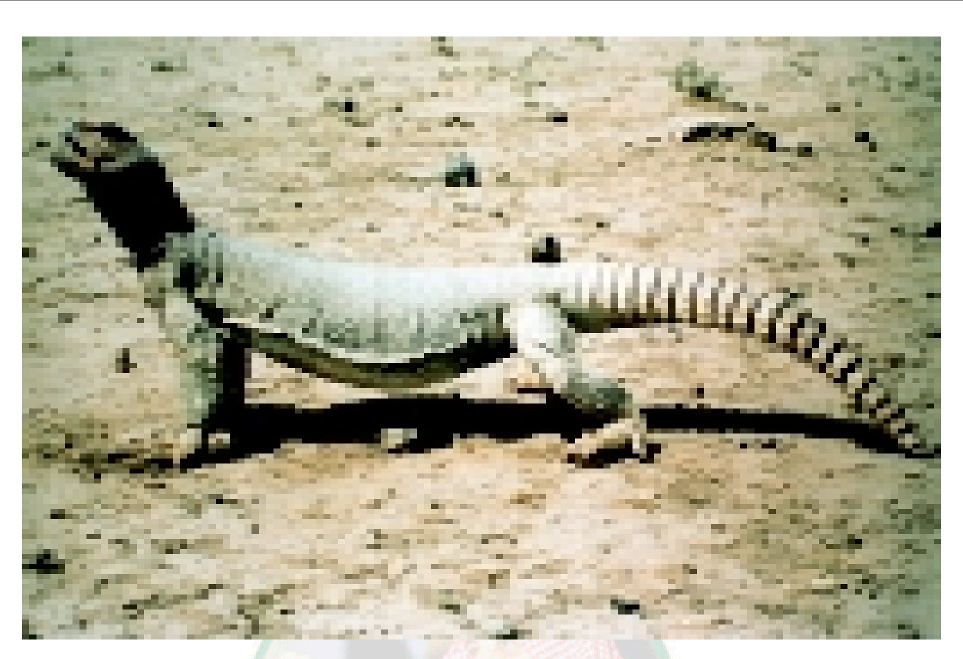
والضبية جلد الضب يكون وعاء للسمن والعسل وغيره، والضباب نوع من الأغلال بمثابة القيود الحديدية، توضع باليدين والرجلين. يقال رجل مضبب أي وضعت الأغلال الخشبية في يديه أو رجليه أو كليهما معاً.

ويصل طول الضب إلى أكثر من ٧٠سم ووزنه إلى أكثر من ١٣٠٠جرام. وينتشر في معظم أجزاء الجزيرة العربية عدا المناطق الجبلية والحرات والصحارى الرملية. وهو يستوطن السهول المنبسطة ذات التربة الصلبة والتكوينات الرسوبية الهشة، التي يسهل عليه حفر جحره فيها، حيث يحفر جحوراً متعرجة قد تمتد سطحياً تحت التربة، إلى ثلاثة أمتار وتصل إلى عمق مترين تحت الأرض واتساع حوالي ٣٠سم. ويستخدم في ذلك أظفاره القوية التي تتسلح بها أطرافه الخلفية (السعدون وآخرون ١٩٩٤ :١٢) ويسمى جحر الضب عرينا ولغزا. ويسمى التراب الذي يخرجه من جحره عند الحفر النثيله، ولذلك يقال «ضب على نثيلته»، أي واقف على باب جحره.

وتعيش الضباب في مجموعات، حيث لوحظ وجود عدد يتراوح من ثلاثة إلى خمسة أنفاق يقرب بعضها من البعض الآخر. وقد تتزاوج فيما بينها. أما الصغار فتنتشر أنفاقها بين أنفاق الكبار في اتجاهات مختلفة. وقد سجل ١٤١ جحراً غير مدفون من جحور الضباب في مساحة إجمالية قدرها ١٠كم مربعة في منطقة الثمامة، شمال شرقي الرياض. ويميل اتجاه أغلب الأنفاق إلى ناحية الشرق. وقد يحفر الضب جحره تحت النباتات أو تحت الصخور الناتئة، لتوفير الحماية والغذاء المناسب له. ولذلك قالوا في المثل الشعبي «ضب عقبه»، والعقبة الطريق بين جبلين ويصعب حفره ويعني صعوبة الحصول على الشيء.

والضب حيوان كَيّس. ومن كيسه لا يتخذ جحره إلا في كدية، وهي الموضع الصلب، أو في ارتفاع عن السيل والبسيط. وكذلك توجد براثنه ناقصة كليلة، لأنه يحفر في الصلابة ويعمق الحفر. وقالوا في المثل الشعبي «الفسقان يحفر جحر ضب»، وذلك لأن جحر الضب ينزل حلزونياً وهو صعب الحفر. ولما علم أنه نسّاء، أي كثير النسيان، لم





ضب رافع رأسه ومقدمة جسمه باتجاه الريح

يحفر وجاره إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، ليكون متى تباعد عن جحره لطلب الطعم، أو لبعض الخوف، والتفت وراءه أحسن الهداية إلى جحره، ولأنه إذا لم يُقم عَلَما فلعله أن يلج على ظربان أو ورل فلا يكون دون أكله له شيء.

ويخرج الضب من جحره في الصباح الباكر حيث يكون لونه داكناً، ويبقى دون حراك عند فتحة الجحر متجهاً نحو الشمس، ليكتسب منها الدفء، ويرفع درجة حرارة جسمه إلى الدرجة الملائمة له (٤٠ْم). وقد يتخذ عدة أوضاع لاكتساب الحرارة من أشعة الشمس منها فرش الجسم على الأرض باتجاه الشمس أو بعكس اتجاهها، وقد يرفع رأسه ومقدمة جسمه في مواجهة الشمس، لرفع درجة حرارة الدم في منطقة الرأس فترتفع درجة حرارة كل الجسم.

وعندما يدفأ جسم الضب إلى درجة الحرارة المناسبة، فإنه يتحرك مبتعداً عن الجحر مسافة قصيرة ثم يتلفت حوله، ويواصل سيره، باحثاً عن النباتات المفضلة لديه. ويقوم بقضم الأجزاء اللينة منها، مثل الأزهار والبراعم والجذور الغضة والأوراق، ويبتلعها. ويتوقف عن التغذية لفترة قصيرة، يتلفت حوله خلالها ثم يعاود التغذية.





يقال إن الضب إذا فارق جحره عجز عن الاهتداء إليه

ويبدأ الضب في التغذي على النباتات القريبة من جحره، الأقرب فالأقرب، ثم يبتعد قليلاً إلى النباتات الأبعد وهكذا. ويفضل الضب من الأنواع النباتية العرفج، الرخامى، العلندة والعكرش والحوذان والخزامى وخف الجمل والثمام والسعدان والنقد. ويستظل الضب تحت ظل النباتات في فترة الظهيرة، ثم يعود إلى جحره ليخرج منه مرة أخرى بعد بضع ساعات قليلة، في وقت العصر ليعاود التغذية، ولكن لفترة قصيرة يعود بعدها إلى جحره لقضاء الليل.

وتتغذى الضباب بشراهة خلال فصل الخريف لتجمع أكبر كمية من الشحوم، تختزنها في جسمها استعداداً لقضاء فترة البيات الشتوي، التي يسكن خلالها عن الحركة ويمتنع عن التغذية، وتستغرق فصل الشتاء كله، شأنه في ذلك شأن الأنواع الأخرى المماثلة من الحيوانات، ذوات درجة الحرارة المتغيرة، التي تكتسب درجة حرارة جسمها من البيئة المحيطة، ويطلق عليها أحياناً ذوات الدم البارد. ويعتقد بعض أهل البادية خطأً أن الضب يختزن مؤونته في جحره أثناء الصيف ليستخدمها خلال فترة الكمون الشتوي وهو غير صحيح لأنه لا يأكل خلال تلك الفترة على الإطلاق. بل ينطبق عليه قولهم في المثل الشعبي «ضب ياكل من



جعوره»، وذلك في فترة السبات الشتوي ويقصد الإنسان إذا اكتفى بما عنده.

ورغم أن الضب نباتي التغذية في الأصل، إلا أنه عند الضرورة قد يتغذى على مفصليات الأرجل مثل الجراد والخنافس وغيرها. وله قدرة عظيمة على تحمل العطش والصبر على الماء، وكذلك تحمل درجات الحرارة العالية. ويختفي الضب عادة أثناء اشتداد درجة الحرارة في الهجير، وكذلك عند تعرضه لخطر محتمل. وإذا لم يتمكن الضب من الاهتداء إلى جحره أثناء اشتداد الحرارة، فقد يبقى منبطحاً على الأرض دون حراك مستسلماً لارتفاع درجة حرارة جسمه، مما قد يؤدي إلى نفوقه حيث تكون درجة حرارة سطح التربة أعلى كثيراً من درجة حرارة الجو المحيط (قد تزيد درجة حرارة التربة عن ٦٥ْم عندما تكون درجة حرارة الجو المحيط ٥٢ْم).

ويتميز الضب بأنه مثلث الرأس، وهي صفة كل أفراد العائلة التي ينتمي إليها، وله فكّان قويان بهما أسنان حادة، تنمو من عظم الفك، وله لسان يستخدمه في حسك الأوراق والأزهار أثناء التغذية. وجسمه عريض مبطط، تكسوه حراشيف ناعمة، لذا قالوا في المثل «أقل من شعر الضب»، لأن الضب لا يوجد على جلده شعر. وله ذيل طويل سميك، توجد عليه حلقات من الأشواك الحادة ويسمى عكرة، وجاء في المثل الشعبي «ضب محرش عكرته»، والعكرة ذنب الضب وإذا حرك منها جزع ويضرب المثل لمن يحترش من الناس. ومثله «ضب ولمست عكرته». ولون جسمه بني فاتح يتغير إلى الأبيض المصفر عند اشتداد حرارة الشمس لتقل درجة امتصاصه للإشعاع الشمسي. ويقاتل الضب الحية ويضربها بذنبه، وهو أخشن من السَّفَن، وهو سلاحه. وقد أُعطي فيه من القوة مثل ما أعطيت العقاب في أصابعها، فلربما قطعها بضربة منه أو قتلها أو قدَّها، وذلك إذا كان الضب ذيَّالاً مذنباً، أي طويل الذيل وقد جعل ذنبه من أدنى الجحر إلى الخارج، ورأسه في داخله، أما إذا كان مرائسا، أي جاعلاً رأسه إلى خارج الجحر وذنبه إلى داخله، قتلته الحية. ويبدو أن هذا غير صحيح.



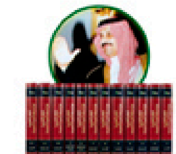
يقتل الضب الحية



وتزاوج الضبـان في فصل الربيع، خلال شهري إبريل ومايو، وتضع الإناث البيض خـلال شهر يونيو وأوائل شــهر يوليو، حيث يصل عدد البيض إلى أكثر من ثلاثين بيضـة. وحجم البيض كبير نسبيـاً، وهو أصغر من بيـض الحمام، أصفر اللون، لـيس له قشرة خارجية. ويفقس الـبيض بعد شهريـن، وتخرج الحسول ذات اللون البني الداكن، الـتي يتـراوح وزن الواحـد منهـا بين ٢٥ و ٣٠جـم، وتصـل إلى سـن النـضوج الجنسي، ويمكنـها التزاوج عندما يصل وزنها إلى نحو نصف كيلوجرام (الجهني ١٩٩٦: ١٢-١٣).

وهناك الكثـير من أنواع المفترسات التي تعتبر من الأعداء الطبيعية للضب، منها الطيور الجارحة والثعالب والظربان الذي ذكر الجاحظ أنه يصيد الضب في جوف جحره حتى يغتصبه لنفسه، وذلك أنه يعلم أنه أنتن خلـق الله فسوة، فإذا دخل عليه جحره سد خصاصته وفروجه بيديه، وهو فـي ذلك مستدبر له، فلا يفسو عليه ثلاث مرات حتى يغطى بيده فيأكله كيف شاء. ولـكن الإنسان، في الوقت الحاضر، يعتبر بحق هو المسئول الأول عن استهلاك أعداد من الضبان، تفوق كثيراً مجموع مـا تستهلكه جميع أنواع المفترسات التي يعتبر الضب غذاءً طبيعياً لها. ويستخدم الإنسان لذلك طرقاً كثيرة تفتقر إلى الإنسانية، وتقضي على كثير من الضبان.

جاء في الحـيوان في صفـة الضب «ومن صفات الضب، طول الذماء وهو بقية النفس وشـدة انعقاد الحياة والروح بعد الذبح وهشم الرأس، والطعن الجائف النافذ، حتى يكون في ذلك أعجب من الخنزير ومن الكلب ومن الخنفساء، وهذه الأشياء التي تـفردت بطول الذماء. ثم شارك الضب الوزغة والحية، فإن الحية تقطع من ثلث جسمها فتعيش إن سلمت من الـذر. فجمـع الضب الخـصلـتين جميعاً. ... ومن أعاجيبه طول الـعمر، وذلك مشـهور في الأشعار والأخبـار، ومضروب به المثل. فشارك الحيـات في هذه الفضـيلة، وشارك الأفعى الرملـية والصخرية في أنها لا تموت حتف أنفها، وليس إلا أن تقتل أو تصطاد» (الجاحظ ١٩٨٨، ج٦: ٥٤). ومنه قـولهم «إنه لأحيـا من ضب»، وهذا الـذي يذكره الجاحظ كله زعم باطل فلا يوجد مخلوق لا يموت حتـف أنفه. ويشارك الـضب الحية في طول العمر، ثم الاكتفاء بالنسيم والتعيش ببرد الهواء، وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات ونقص الحرارات. وهذه



كلها عجب، وما ذكره الجاحظ هنا هو من التوهم الذي لا أصل له. ومن أعاجيبه أن له أيرين، وللضبة حرين، وهذا شيء لا يعرف إلا لهما (١٩٨٨، ج٦: ٥٦-٥٧). ويسمى أير الضب نزكا، ويتكون البيض داخل بطن الأنثى متراصاً في صفين: صف في الجهة اليمنى والآخر في الجهة اليسرى.

ويضيف الجاحظ «وزعمت العرب أنه يعد العقرب في جحره، فإذا سمع صوت الحرش استثفرها. فألصقها بأصل عجب الذنب من تحت وضم عليها، فإذا أدخل الحارش يده ليقبض على أصل ذنبه لسعته العقرب. وقال علماؤهم بل يهيئ العقارب في جحره لتلسع المحترش إذا أدخل يده. وقال أبو المنجد بن روشيد رأيت الضب أخور دابة في الأرض على الحر، تراه أبداً في شهر ناجر بباب جحره، متدخلاً يخاف أن يقبض قابض بذنبه، فربما أتاه الجاهل ليستخرجه، وقد أتى بعقرب فوضعها تحت ذنبه بينه وبين الأرض، يحبسها بعجب الذنب، فإذا قبض الجاهل على أصل ذنبه لسعته فشغل بنفسه. فأما ذو المعرفة فإن معه عويداً يحركه هناك، فإذا زالت العقرب قبض عليه. وقال أبو الوجيه: كذب والله من زعم أن الضبة تستثفر عقرباً. ولكن العقارب مسالمة للضباب، لأنها لا تعرض لبيضها وفراخها. والضب يأكل الجراد ولا يأكل العقارب. ويعجب الضب بالتمر» (١٩٨٨، ج٦: ٥٨-٥٩, ٦٢).

ويقول الجاحظ «والضب إذا خدع في جحره وصف عند ذلك بالخبث والمكر ... . ولذلك شبهوا الحقد الكامن في القلب الذي يسري ضرره وتدب عقاربه بالضب، فسموا ذلك الحقد ضباً ... . وضرب المثل بنفخ الضب وتوثبه. ... والضب يوصف بشدة الكبر ولا سيما إذا أخصب وأمن. ...ولا يكون ذلك إلا في موضع بعيد من الناس. فإذا أمن وخلا له جوه وأخصب، نفخ وكش نحو كل شيء يريده» (١٩٨٨، ج٦: ٦٥-٦٨).

ويضيف الجاحظ قائلاً «زعم عمرو بن مسافر أن الضبة تبيض ستين بيضة، فإذا كان ذلك سدت عليهن باب الجحر، ثم تدعهن أربعين يوماً، فيتفقس البيض ويظهر ما فيه، فتحفر عنهن عند ذلك، فإذا كشفت عنهن أحضرن، وأحضرت في أثرهن تأكلهن، فيحفر المنفلت منها لنفسه جحراً ويرعى من البقل.» (وهذا غير صحيح). وقال: وبيض الضب شبيه ببيض الحمام. وفرخه حين يخرج يخرج كيساً خبيثاً مطيقاً للكسب» (١٩٨٨، ج٦: ١١٧-١١٨). «والضبة يكون

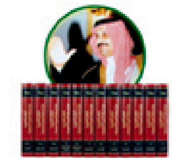


بيضها في بطنها وهو مكنها، ويكون بيضها متسقاً، فإذا أرادت أن تبيضه حفرت في الأرض أدحيّا مثل أدحيّ النعامة، ثم ترمي بمكنها في ذلك الأدحيّ (ثمانين مكنة)، تدفنه بالتراب، وتدعه أربعين يوماً، ثم تجيء بعد الأربعين فتبحث عن مكنها فإذا حسلة يتعادين منها، فتأكل ما قدرت عليه. ولو قدرت على جميعهن لأكلتهن. (وقد سبق القول بعدم صحة ذلك)، ومكنها جلد لين فإذا يبست فهي جلد، فإذا شويتها أو طبختها وجدت لها محاً كمح بيض الدجاج» (١٩٨٨، ج٦: ١٢٠-١٢١).

ويزعم القزويني أن الضبة إذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان الحمار، يزول عنها اللسع، وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاءها. قالوا إذا خرج ضب من بين رجلي الإنسان لا يقدر على مباشرة النساء، وقيل ينتفخ ذلك الإنسان. وإذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المني وينقصه. وقلبه من أكله يذهب عنه الحزن والخفقان. وطحاله من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبداً. ودمه يطلى به الكلف مع البورق يزيله ويصفي لون الوجه. ولحمه ينفع من الأمراض المزمنة مقلياً ويزيد في ضوء البصر ويقوي البدن ويعين على الباءة. وشحمه يذاب ويطلى به القضيب يقوي شهوة الباءة، ومن أكل منه لا يعطش زماناً طويلاً. وخصيته من استصحبها تحبه الخدم محبة شديدة. وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة. وجلده يتخذ على نصال سيف يشجع صاحبه ويتخذ ظرفاً للعسل، من لعق منه تهيج شهوته، ويورث إنعاظاً شديداً. وبعره ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء، ومن بياض العين اكتحالاً ومن نزول الماء أيضاً، والأعراب يداوون به وجع الظهر.

صيده. كان الأسلاف من أهل البادية يصطادون الضباب في وقت الشدة للاقتيات وليس للتسلية، وبالقدر الذي يفي باحتياجهم فقط. وفي المثل الشعبي «يالله ضب والا سحلي». أما في وقتنا هذا فقد تحول صيد الضبان إلى تسلية ولهو وقضاء وقت ثم تجارة رابحة، إذ تباع الضبان بالمئات في الأسواق الشعبية، مما ينذر بفناء النوع وانقراضه من صحاري الجزيرة العربية، ما لم تتخذ الإجراءات النظامية الكفيلة بترشيد صيده ومنع الاتجار به، ومنع صيده في موسم تكاثره.

وقد تعددت طرق صيد الضب. فمنها حفر جحره الذي يتصف بالعمق



والطول، وهي طريقة متعبة. ولذلك قالوا في المثل الشعبي «ضب ما يسوى حفره». والطريقة الثانية تتبع في موسم هطول الأمطار وتوافر المياه بالغدران، حيث يجر ماء الغدير إلى جحر الضب ليغرقه. فمتى أحس الضب بالماء ظنه السيل وخرج فيمسكه الصياد الذي يتربص به ويذبحه.

ومن أكثر الطرق المعاصرة المستخدمة في صيد الضب إيصال عادم السيارة إلى فتحة جحر الضب، وملء الجحر بغازات العادم الخانقة. فلا يلبث الضب عندما يحس بالاختناق أن يخرج ليقع في يد صائده. وهناك من يستخدم الغاز من اسطوانات الغاز بدلاً عن عادم السيارات. وهناك طريقة أخرى تتبع لاصطياد الضب المكانس في أوائل فصل الصيف، حيث يبقى الضب قريباً من فم الجحر للابتراد، وذيله ملوي متجهاً إلى الخارج، ويكون قريباً من متناول اليد. ويقال له «ضب مكانس». فيأتيه الصياد محترساً من أن يحدث أي صوت ليجده نائماً، فيطعنه بآله حادة مذببة يسمونها المكناس، ويجذبه إلى الخارج بيده الأخرى، أو يظل ضاغطاً عليه بالمكناس، ويحفر الجحر حوله حتى يصل إليه فيأخذه.

ومن الطرق الحديثة لصيد الضب ليلاً أن يحمل الصياد قليلاً من الماء مع كشاف قوي للإنارة. ويأتي جحر الضب بهدوء دون أن يسمع له صوت ويصب الماء قليلاً قليلاً في الجحر مع إضاءة الكشاف القوي على هيئة ومضات سريعة تشبه البرق، فيظن الضب أنه المطر والبرق فيخرج مستدبراً جحره فيمسكه الصياد من عكرته وذنبه ويأخذه.

ومن الغباء المشهور عن الضب أنه يأتي جحره حتى لو رأى الصياد عنده. وبعض الصيادين إذا وجد الضب خارج جحره، دفن الجحر وجلس عنده حتى يعود الضب فيطرده ويصيده. ويبدأ موسم صيد الضبان مع بداية دخول فصل الصيف، خلال موسم هطول الأمطار، وافتراش الأرض بالأعشاب الخضر، بعد أن ينهي الضب سباته الشتوي، ويرعى ويتغذى ويكثر فيه الشحم (الزهم) واللحم، وتكبر سلايقه التي يفضلها آكلوه، إلى جانب عكرته التي تعتبر أحسن ما فيه. ويعتقد بعض أهل البادية، غير مصيبين في اعتقادهم، أن أكل لحم الضب يكسب الجسم مناعة ضد الأمراض، وخاصة أمراض العصر، مثل داء السكري وارتفاع ضغط الدم والتهاب المفاصل والروماتيزم. وأهم من ذلك لديهم أنه مهيج للباءة مقوٍّ للجنس.



وفي لقاء صحفي أجراه السهلي مع مجموعة من الشباب، الذين يزاولون رياضة صيد الضبان (جريدة الجزيرة، العدد ٧١٥٥ للعام ١٤١٢هـ)، قال أحدهم إنه يزاول صيد الضبان منذ أكثر من عشرين عاماً. وبعد أن منعت وزارة الداخلية استخدام بنادق الشوزن في الصيد لجأ، مع زملائه، إلى استخدام طرق أخرى لصيد الضبان، منها المطّاره التي تتسع لحوالي ٥٠٠ لتر من الماء. يحملون المطارة في صندوق شاحنتهم (الونيت)، ويستخدمون الخرطوم (اللَّيْ) الذي يتصل به وطوله نحو ٤ أمتار وقطره نصف بوصة. وعندما يجدون جحر الضب يتوقفون عنده ويبدأون في صب الماء داخل الجحر لحوالي ٥ دقائق. ثم يوقف الصياد صب الماء بثني الليّ بين أصابعه ويصغى فإذا سمع صوت الحيوان داخل الجحر واصل صب الماء حتى يخرج، وإذا لم يسمع صوته تركه وبحث عن جحر آخر. وعندما يقترب الضب من باب الجحر يسرع الصياد بدفن الجحر خلفه وهدمه حتى لا يتمكن من العودة ويضطر إلى الخروج من الجحر.

ويؤكد هؤلاء الصيادون من الشباب أنهم يصيدون ما لا يقل عن ٣٠ ضبا باستخدام المياه الموجودة في مطارة واحدة. بل إن بعض الصيادين يقول إنه يصيد ٥٠ ضباً بالمطارة الواحدة، في ليلة واحدة. ويحترس الصيادون إذا اضطروا إلى إدخال إيديهم إلى فوهة الجحر للبحث عن الضب المتأخر في الخروج، حيث كثيراً ما يجدون الثعابين والعقارب في جحور الضبان. ويمر الصيادون أثناء النهار لتحديد أماكن جحور الضباب، حيث يضعون على كل منها عاكساً مثل «عيون القطط»، التي يضعها رجال المرور في الشوارع لتنظيم السير. ثم يعودون في الليل ومعهم معدات صيدهم ومصباح، فيهتدون إلى جحور الضبان بسهولة على ضوء العواكس التي وضعوها في النهار، ومن ثم يواصلون مهمتهم في صيد الضبان بهمة ونشاط.

ويقول بعض الصيادين إنه يصيد الضب بالشرك، وهو حبل معقود على شكل أنشوطة يدخله إلى فوهة الجحر ويربطه بحجر ثقيل موجود خارج الجحر. وعند خروج الضب من الجحر فإنه يدخل في الأنشوطة التي سرعان ما تنعقد عليه عندما يحاول الفكاك منها. عندئذ يتقدم الصياد فيسحب الحبل وفيه الضب. وتستغرق هذه العملية، رغم سهولتها، زمناً طويلا. إذ يقوم الصيادون بوضع شراكهم في الجحور عصراً



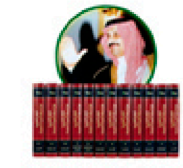
ويتركونها ثم يعودون صباح اليوم التالي (حوالي الساعة العاشرة صباحاً)، ويتتبعون أماكن شراكهم ويجمعون صيدهم.

ويقول بعضهم إنه يجمع بهذه الطريقة في اليوم عشرين ضباً، وإنه يزاول هذه الهواية يوم الخميس من كل أسبوع. وأحياناً يجد هؤلاء الصيادون أن شراكهم قد أمسكت بالورل بدلاً من الضب. والورل من أعداء الضب يهاجم جحره ويفترسه.

ويقول بعض الصيادين إنهم يصيدون الضبان بمطاردتها، وذلك في الأماكن المشهورة بكثرة ضبانها مثل منطقة رماح. ويقوم هؤلاء الصيادون بمطاردة الضب على أقدامهم أو بالسيارة حتى يقبضوا عليه. ويساعدهم في ذلك وجود الرمال، حيث يتوه الضب عن جحره في الرمال وتسهل مطاردته واللحاق به. ويقول هؤلاء الصيادون إن حصيلتهم اليومية من الضبان التي يصطادونها بهذه الطريقة لا تقل عن ١٠٠ ضب يبيعونها في الأسواق الشعبية، مثل سوق الحمام في الديرة بالرياض.

ويتلذذ كثير من هؤلاء الصيادين بأكل الضبان. ويشرح أحدهم كيفية إعداد الضب للأكل فيقول: نقوم بذبح الضب ثم نفتح بطنه ونخرج أمعاءه، ثم نخرج السلايق من البطن، وهي شحم الضب ويسميها أهل البادية الزهم. بعدها نقوم بقليها حتى تصبح سمناً يؤكل مع التمر، والباقي نضعه على الكبسة قبل أن تصبح جاهزة بخمس دقائق. أما باقي اللحم فيجهز بوضع الضب داخل إناء وغليه بالماء لمرة واحدة، ثم إزالة الحراشف من الجسم والذيل عن طريق السكين. وبعد ذلك ترمى الأطراف والرأس ونقوم بتقطيع الباقي قطعاً صغيرة، ثم تغسل عدة مرات حتى تنظف، ثم توضع في الإناء مرة ثانية، ونتركه لمدة ساعة، ثم يضاف له الأرز والبهارات والطماطم والبصل ويترك حتى ينضج. ويؤكد المتحدث أن كبسة الضب لذيذة جدا.

وهناك بعض المقيمين من الجنسية الأسيوية، لا سيما التايلنديين، يمارسون أيضاً صيد الضب في أيام عطلتهم الأسبوعية، مستخدمين في ذلك الشراك. يذهبون بعد العصر، حيث يضعون الشراك في الجحور، ويعودون الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لجمع الضباب التي وقعت في شراكهم. ويقول أحدهم إنه يصيد كل يوم جمعة عدداً يتراوح بين عشرة وعشرين ضباً، يستهلك منها هو وزملاؤه خمسة ضبان في



غدائهم، ثم يبيعون العدد المتبقي، بسعر ٢٠ ريالاً للضب الواحد، أي أنها تسلية وقضاء للوقت، وفي الوقت نفسه عملية مربحة توفر الغذاء والمال. ويذكر هذا التايلندي أن لديهم في بلادهم زاحفاً يشبه الضب يأكلونه ويستخدمون شحمه لعلاج الروماتيزم والتهاب البروستاتا.

وهناك بعض الصيادين لا يستسيغون لحم الضب، بل يأنفون من أكله، على الرغم من كونهم من أهل البادية، الذين يعيشون في بيوت الشعر، ويتعايشون مع الإبل والغنم والضباب وغيرها من حيوانات الصحارى. هؤلاء يصطادونها للتجارة وكسب الأموال، حيث يبيعون الضباب التي يمسكون بها في السوق الشعبي بسعر يتراوح بين ١٠ و ٢٠ ريالاً للضب الواحد. ويذكر هؤلاء الصيادون أن ضب الجبال أرخص سعراً لأنه غير مرغوب. ويذكرون أنه في وقت الكنّه، أحد منازل النجوم، يجرى صيد الضب المكانس أو المذانب، حيث يذانب الضب في هذا الوقت طلباً للبراد. كما أنه في وقت الكنّه يصير بيض الضب صالحاً للأكل، حيث يقوم محبو أكل الضب بوضع البيض على الأرز قبل نضجه، وهي من الأكلات المحببة لديهم.

والواقع أن الضب الآن في المملكة العربية السعودية يعاني معاناة شديدة من عمليات الصيد الجائر التي تودي بأعداد هائلة منه. إلى جانب أن سرعة امتداد التنمية العمرانية والزراعية في المواطن الطبيعية التي يعيش فيها الضب تؤدي إلى فقدان هذه المواطن الصالحة لحياة الضب وتجعله يهاجر منها بحثاً عن مناطق أخرى، مما يساهم بشكل آخر في إبادة أعداد كبيرة من الضبان. وقد ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات كثيرة من الواعين بأهمية المحافظة على هذه الأنواع الفطرية الملائمة للبيئة الصحراوية المتطرفة في الجزيرة العربية، وضرورة الإبقاء عليها لتؤدي وظائفها التي خلقها الله لأدائها. تنادي هذه الأصوات بضرورة الحد من الصيد العشوائي للضبان وترشيده ومنعه في مواسم تكاثرها، ومنع الإتجار بها وأن يقتصر الصيد على الاستهلاك الشخصي فقط. وإذا لم تتم مثل هذه الإجراءات خلال وقت قريب، فسوف يتعرض الضب لخطر الانقراض والإختفاء من أراضي المملكة، كما سبق وحدث لحيوانات أخرى عانت نفس المصير، مثل المها العربي والنعام والفهد الصياد.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد كثير عن الضب في التراث العربي شعره



ونثره وأمثاله، فمما ورد عنه من الأمثال قولهم «إن تك ضباً فإني حسلة»، و«أخذه أخذة الضب ولده»، أي أخذه أخذة شديدة، أراد بها هلكته، وذلك أن الضب يحرس بيضه عن الهوام، فإذا خرجت أولاده من البيض ظنها بعض أحناش الأرض، فجعل يأخذ ولده واحداً بعد واحد، ويقتله فلا ينجو منه إلا الشريد، و«إذا أخذت بذنبة الضب أغضبته»، و«أول ما أطلع ضب ذنبه»، و«إنه لضب كلدة، لا يدرك حفراً ولا يؤخذ مذنباً»، والكلدة: المكان الصلب الذي لا يعمل فيه المحفار، وقوله لا يؤخذ مذنباً أي ولا يؤخذ من قبل ذنبه من قولهم «ذنب البسره»، إذا بدأ فيه الإرطاب من قبل ذنبه. و«بدت جنادعه»، الجنادع: دواب كأنها الجنادب، تكون في جحر الضب، فإذا كاد ينتهي الحافر إلى الضب بدت الجنادع، فيقال «قد بدت جنادعه والله جادعه»، و«حل بواد ضبه مكون» والمكن: بيض الضباب، والمكون: الضبة الكثيرة البيض، يضرب هذا المثل لمن نزل برجل متمول يتصرف ويتقلب في نعمائه.

ويقولون «أحير من ضب»، لأنه إذا فارق جحره احتار ولم يهتد للرجوع، و«خله درج الضب»، يضرب هذا المثل لمن شوهد منه أمارات الصرم، أي دعه يدرج درج الضب، أي دروجه ويذهب ذهابه. ومعناه خله ودعه في جحره وذلك أنه يحفر جحره درجاً بعضه فوق بعض، فإذا دخل فيه لم يدرك، فهذا درج الضب. و«أخب من ضب» ومنه اشتقوا قولهم «فلان خب ضب»، و«أخدع من ضب»، التخدع: التواري، والمخدع من هذا أُخِذ، وهو بيت في جوف بيت يتوارى فيه، وقالوا في الضب ذلك لتواريه وطول إقامته في جحره وقلة ظهوره، و«أروى من ضب» لأنه لا يشرب الماء أصلاً، وذلك أنه إذا عطش استقبل الريح ففتح لها فاه فيكون في ذلك ريه، والعرب تقول في الشيء الممتنع: لا يكون كذا حتى يرد الضب، ولا أفعل ذلك حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة، وهذا لا يكون. و«أسمع من ضب»، و«حتى يؤلف بين الضب والنون» أو «سبحان الجامع بين الضب والنون»، والنون هو الحوت أي الجامع بين النقيضين، والضب لا يرد الماء والنون لا يعيش إلا فيه. و«ضباب أرض حرشها الأراقم»، و«ضبة حزن في حوامي قلع»، والحوامي النواحي والأطراف، والقلع الصخرة العظيمة. والضبة إذا كانت في مثل هذا المكان لا يقدر عليها صائدها، و«أضيق من مبعج الضب»، والمبعج هو



مستقر الضب في جحره لأنه يبعجه، أي يشقه ويوسعه، و«أطعم أخاك من عقنقل الضب» أي إنك إن تمنع أخاك يغضب، وعقنقل الضب كرشه، وهو معى من أمعائه، فيه جميع ما يأكله. وقالوا «أعقد من ذنب الضب»، وذلك لأن عقد ذنبه كثيرة قدرها بعض الأعراب بإحدى وعشرين عقدة.

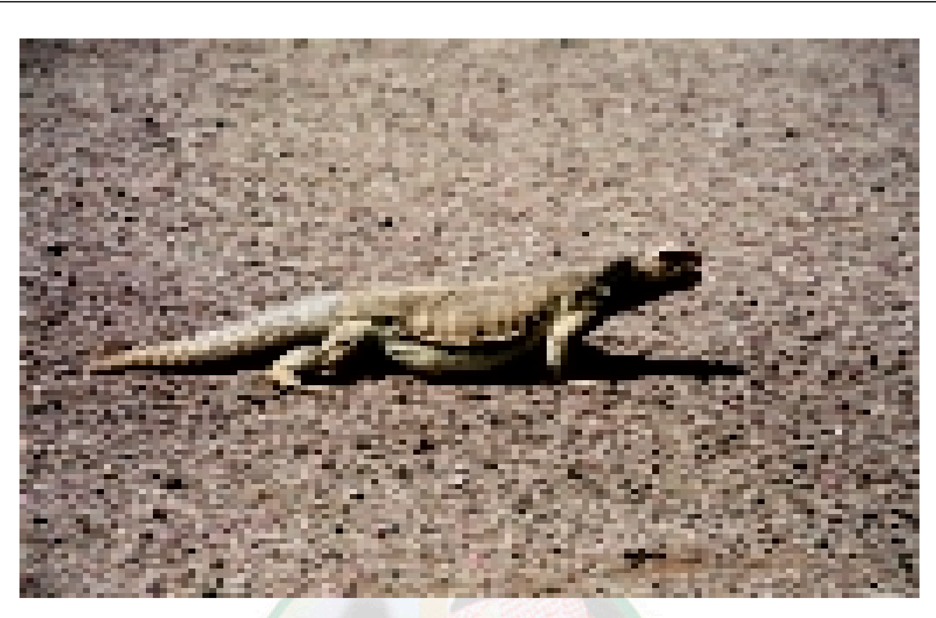
ويقولون «أقصر من فتر الضب»، و«أقصر من إبهام الضب»، و«كل ضب عند مرداته»، والمرداة هي الحجر الذي يضرب به، والضب قليل الهداية، فلا يتخذ جحره إلا عند جحر يكون علامة له، فمن قصده فالحجر الذي يرمي الضب به يكون بالقرب منه. وقالوا «لو ترك الضب بأعداء الوادي»، أي بنواحيه، واحدها عدا وعدوة، وقالوا «لا أفعله سن الحسل» أي أبداً، يقال إن الحسل، وهو ولد الضب، لا تسقط له سن. ويقال إن الضب والحية والقراد والنسر أطول شيء عمراً، ولذلك قالوا «أحيا من ضب»، لطول حياته. زعموا أن الضب يعيش ثلاثمائة سنة، وقالوا «لا تحسد الضب على ما في جحره»، و«ما نهيء الضب وما نضج»، يضرب لمن لا يبرم الأمر ولا يتركه فهو متردد. ومثله قولهم في المثل الشعبي «فيه لحم ضب».

وهناك بعض الأمثال التي يطلقها أهل البادية على الضب منها قولهم «فلان ضب يظهر من القدر»، وقولهم «كل



قال المثل: الضب ما يعرف ربه إلا مسلقى





ضب مربعانية

ضب وعنده عقرب»، وقولهم «الضب ما يعرف ربه إلا مسلقى»، وقولهم «ضب مربعانيه»، وكذلك قولهم «الضب شبعان دبا».

ومما هو معروف أن أهل البادية عندما كانوا يحضرون الضب لأولادهم لكي يلهوا به يقومون بخياطة فمه أولاً حتى يأمنوا شر عضته القاسية. وكان أولادهم ينشدون عند لهوهم به قائلين «ياضبيب البر وين يمناك، يا ضبيب البر وين يسراك، يا ضبيب البر اشرب هوا». ومن الموروثات الشعبية التي ترد على ألسنة الحيوانات قولهم إن الضب يطمئن أمه لكي لا تخاف عليه بقوله «ما لم تفح القدر عليَّ سبع مرات فلا تخافي عليَّ».

وكان أهل البادية يكنون عن عجيزة المرأة بالعكره على التشبيه ويقولون «فلان أعقد من عكرة الضب» أي ذنبه الغليظ المعقد، و«عاكر الضب» إذا كنس عند باب جحره من الداخل ثانياً عكرته التماساً للهواء البارد في أول فصل الصيف، و«عاكر الرجل» إذا جلس جلسة غير مستوية، فيها التواء، وكأنه الضب المنحني في فم جحره، و«تقصع الضب» أي سدَّ فم جحره، و«رأيت الضب على نثيلة جحره»، والنثيلة هي تراب الجحر، للاستدلال على الشيء بما يلازمه.

ومن القصص التي يرويها العرب عن الضب قصة الضب والضفدع. تقول العرب: خاصم الضب الضفدع في الظمأ





عكرة الضب

أيهما أصبر، وكان للضفدع ذنب، وكان الضب ممسوحاً. فخرجا في الكلأ، فصبرت الضفدع يوماً ويوماً فنادت: ياضب ورداً ورداً فقال الضب:

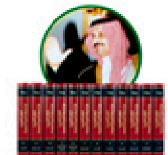
أصبح قلبي صردا
لا يشتهي أن يردا
إلا عراداً عردا
وصلياناً بردا

فلما كان في اليوم الثالث نادت: يا ضب ورداً ورداً. فلما لم يجبها بادرت إلى الماء وأتبعها الضب فأخذ ذنبها.

وأيضاً قصة الضب والنون (الحوت). يقولون إن النون قال للضب حين رأى إنساناً في الأرض: إني رأيت عجباً، قال: وما هو؟ قال: رأيت خَلْقاً يمشي على رجليه ويتناول الطعام بيديه فيهوي به إلى فيه، قال: إن كان ما تقول حقاً فإنه سيخرجني من قعر البحر، وينزلك من وكرك من رأس الجبل.

ومما جاء عن الضب في الشعر العربي قول بعض الشعراء:

وبعض الناس أنقص رأي حزم
من اليربوع والضب المكون
يرى مرداته من رأس ميل
ويأمن سيل بارقة هتون
ويحفر في الكُدَى خوف انهيار
ويجعل مكوه رأس الوجين
ويخدع إن أردت له احتيالاً
رواغ الفهد من أسد مكين



ويدخل عقرباً تحت الذنابى
ويعمل كيد ذي خِدَعٍ طبين
فهذا الضب ليس بذي حريم
مع اليربوع والذئب اللعين

المكون: التي جمعت المكن وهو البيض في بطنها. المرداة: الصخرة. المكو: الجحر. الوجين: الأرض الصلبة. الطبين: المخادع الفطن.

وفي كتاب الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول أن الضباب ارتبطت بحياة الصحراء والبداوة، لأن كثيراً من الأعراب يستطيب لحمها، ويأكلها أكلاً ذريعاً. مما جعل قاطني الحواضر والمدن يزرون عليهم حياتهم القاسية وغذاءهم الغليظ، وينفرون ممن يرتبط بها، لذلك قال بشار بن برد، يدفع عن نفسه البداوة:

ولا حدا قط أبي
خلف بعير جرب
ولا شوينا ورلاً
منضنضاً بالذنب
ولا تقصَّعت ولا
أكلت ضب الحزَب

وفي المقابل كان هناك شعراء بداة يعبرون في أشعارهم عن حبهم الشديد وشغفهم العارم بالصحراء العربية، وما يسري في بواديها من ضباب لذيذة، ويصبون سخطهم على الحواضر الجديدة وما تقدمه من غذاء غير محبب لديهم كأنواع البقول والأسماك. قال أحدهم:

لعمري لضب بالعنيزة صائف
تضحى عراداً فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أرضنا
من السمك البني والسلجم الوخم

وكان بعضهم يجد متعة وهو يتتبع طريقة صيده لضباب الصحراء واحتياله للإيقاع بها، إذ يدخل يده في جحر ضب فيستخرج منه ضباً سميناً لم يلقح زوجاته فيهزل. وبعد أن يصيده يذبحه، ثم يضعه على النار ويشويه وينضجه، فإذا كشيتاه، أي شحمتاه داخل الصلب من أصل ذنبه إلى عنقه، تشتدان اصفرارا كأنما قد طليت خواصره وبطنه بالزعفران. وهذا الضب أفضل عنده بكثير من سمك البياح الصغير الذي لا يثير شهيته. قال:

أقول له يوماً وقد راح صحبتي
وبالله أبغي صيده وأخاتله
فلما التقت كفي على فضل ذيله
وشالت زايل الضب باطله
فأصبح محنوذاً نضيجاً وأصبحت
تمشي على القيزان حولاً حلائله
شديد اصفرار الكشيتين كأنما
تطلّى بورس بطنه وشواكله



فذلك أشهى عندنا من بياحكم

لحى الله شاريه وقُبِّحَ آكله

وعندما ذم الفضل بن يحيى أكل الضباب واستظرف أكل الزنابير، قال رجل هلالي يهجوه:

وعِلْجٌ يعاف الضب لؤماً وبِطْنَةً

وبعض إدام العلج هام ذباب

وجاء في كتاب الصيد والطرد في الشعر العربي ما يلي: الضب حيوان كيس، فهو لا يتخذ بيته إلا في الأمكنة الصلبة، خشية أن ينهار عليه بالسيل أو الحافر. ويحرص الضب على تعميق الحفر، ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة، لأنه يحفر في الصلابة، وفي بيت للشاعر خالد بن الطيفان، نجد هذا المعنى:

ترى الشر قد أفنى دوابر وجهه

كضب الكدى أفنى براثنه الحفر

ولدريد بن الصمة أيضاً قوله:

وجدنا أبا الجبار ضباً مورشاً

له في الصفاة برثن ومعاول

له كدية أعيت على كل قانص

ولو كان منهم حارشان وحابل

والضب مما يحب التمر، إضافة إلى الذئب والسمع والعقرب والثرملة (أنثى الثعلب) والخنفسة، عدّها أبي دارة في شعره، وكان صاحب قنص:

وما التمر الا آفة وبلية

على جل هذا الخلق من ساكن البحر

وفي البر من ذئب وسمع وعقرب

وثرملة تسعى وخنفسة تسري

وقد قيل في الأمثال إن كنت واعياً

عذيرك أن الضب يُحْبَلُ بالتمر

ولأن الضب يحب التمر فقد جعل الشاعر ابن دعمي الحجلي صيده بالتمر كصيده بالحبالة قال:

سوى أنكم دربتم فجريتم

على دربة والضب يحبل بالتمر

ويصف دعلج عبدالمنجاب ضباً بالكبر، حتى يبلغ كبره أن يتجاهل المخاطر والمهالك، فيطاول الصياد الذي ينصب الحبالة، ويظهر له وذلك أنه ألفى الضب نفسه بين ضباب كثيرة:

إذا كان بيت الضب وسط مضبة

تطاول للشخص الذي هو حابله

ويتمنى أبو حجين المنقري، أن يحظى بمكان في البادية، ليس فيه مسجد، يتفرغ فيها إلى صيد الضباب وأكلها، فإذا حان وقت الصلاة، ينصرف إليها وريح الضب لما تزل في يديه، ثم يتشهى شرب ماء في مكان اسمه لينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بأسفل واد ليس فيه أذان



وهل آكلن ضبا على جال تلعة
وعرفج أكماع المديد خواني
أقوم إلى وقت الصلاة وريحه
بكفيَّ لم أغسلهما بشنان
وهل أشربن من ماء لينة شربة
على عطش من سؤر أم أبان

وقال الراجز:

يارب ضب بين أكناف اللوى
رعى المرار والكباث والدبا
حتى إذا ما ناصل البهمي ارتمى
وأجفئت في الأرض أعراف السفا
ظل يباري هبصا وسط الملا
وهو بعيني قانص بالمرتبا

المرار: شجر مر، الكباث: النضج من شجر الأراك، وقيل حمله إذا كان متفرقاً. الدبا: أولاد الجراد قبل أن يطير، البهمي: نبت، ويريد بالناصل: سنبل البهمي وهي الصمعاء، السفا: أطراف السنبل، الهبص: الحريصون على الصيد الملا: المتسع من الأرض.

وقال البحتري:

سأصبر صبر الضب في الماء أو كما
يعيش بديموم الصريمة حوتها

وقال عبدة بن الطبيب:

ما كنت أول ضب صاب تلعته
غيث فأمرع واسترخت به الدار

وقال امرؤ القيس:

وترى الضب خفيفاً ماهراً
ثانياً برثنه ما ينعفر

وقال ابن الرومي:

غدا الحارشون معاً للضباب
لا للمقرنة النهش

وقال الحماني العلوي في وصف الضب:

نرى ضبها مطلعاً رأسه
كما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد موشى
وبطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد سكانه
وإن ضمه فهو كالضفدع

وقال كُثير عزة:

فإن شئت قلت له صادقاً
وجدتك بالقف ضباً جحولا
من اللاء يحفرن تحت الكدى
ولا يبتغين الرماث السهولا

القف: ما ارتفع من الأرض وصلب الجحول: العظيم من الضباب. وقال أبو الهندي:

أكلت الضباب فما عفتها
وإني لأشهى قديد الغنم

قال أبو الطيب المتنبي:

ومنعفر لنصل السيف فيه
توارى الضب خاف من احتراش

وقال في موضع آخر:



خــرَّاب بــاديــة غــرثــى بطــونــهــم
مكــن الضــباب لــهم زاد بــلا ثمــن

وقال شاعر:

أشــب لــعيــنــي مــسلــحِــبّ كــأنه
بذي الطرف في آل الضحى وطب رائب

مــن الصــفر دحــداح تــرى بلــبــانه
بصــاق الذنــابى أو بــصاق الجنــادب

وبــالأنــف والخرطــوم جــون كــأنــه
منــاضح رب حــالك اللــون حالــب

فــما زال كــالموقــوذ حتــى غــشيــته
وكــان قريــباً قــدر مــهوى المــواثــب

فولــى شديــد الجذب لا يــستطــيعــه
رفيــق ولا مستعجــل النتر جــاذب

مسلحب: مستطيل، الوطب: وعاء اللبن، دحداح: ممتلئ، الجنادب: من فصيلة الجراد، بصاقها: لونه بني غامق، الرب: دبس يوضع بأواني السمن كالنحر والعكة، المواثب: من يثب إليه، النتر: القفز. وقال جرير:

يــثيــر الكــلاب آخر الــليــل صوتــه
كــضب الــعــراد خــطوه مــتــقــارب

وقال في موضع آخر:

فــيــاعــجــبــي أتــوعــدنــي نمــيــر
بــراعي الإبــل يــحتــرش الــضبــابــا

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ترقــى به الــسفن والــظلــمان واقفــة
والــنون والــضــب والملاح والحــادي

وجاء ذكر الضب في الشعر النبطي، كما في قول حميدان الشويعر مشبهاً أحد الرجال به:

يــاضبــيــب الــصفــا ما تجــي إلا قفــا
ما تجــي الا مع النــخش والنــخجرة

الصفا: الــصخر، قفا: يسيــر على قفاه، النخش: تحريك الضب في جحره، والنخجرة: الوخز والطعن وشدة محاولة إخراجه. وقال علي بن سلامه السرباتي:

أربع شوازل صيــدهن سحل ومكون
الــقيــلة الــلــي خايــب من رجــاهــا

الشوازل: بــنادق الخرطوش المــعدة للصيد، السحل: حسل الضب، المكون: أنثى الضب ذات البيض، القيلة: الرحلة للنزهة.



المصادر

ابن خميس، عبدالله بن محمد

١٤٠٥/ ١٩٨٥ راشد الخلاوي. المؤلف، الرياض (مطابع الفرزدق).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي

د. ت. المخصص. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

أبو سويلم، أنور عليان

١٤٠٣/ ١٩٨٣ الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

الباز، حبيب العمر

١٩٩٢ مجلة الشرق الأوسط عدد ٢٣٢٣ - ٨ سبتمبر ١٩٩٢.

الباشا، عبد الرحمن رأفت

١٣٩٤/ ١٩٧٤ شعر الطرد. مؤسسة الرسالة، دار النفائس، بيروت. ١٤٠٣/ ١٩٨٣ الصيد عند العرب، أدواته وطرقه. حيوانه الصائد والمصيد. مؤسسة الرسالة، دار النفائس، بيروت.

البطشان، سامي عبدالعزيز

١٤١٢/ ١٩٩٢ الصيد بالصقور أقدم هواية في الخليج قضي عليها رصاص البنادق. جريـدة الجزيرة العدد ٧١٦١ في ٥/ ١١/ ١٤١٢هـ الموافق ٧/ ٥/ ١٩٩٢م. ص١٦.

التميمي، فارس

١٩٩٢ الصقور والصيد عند العرب. مطابع علي بن علي، قطر.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري

٤٢٩/ ١٠٨٣ فقة اللغة وسر العربية. مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليات، طهران.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

١٤٠٨/ ١٩٨٨ الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت.

الجنيدل، سعد عبدالله
١٤٠٠/ ١٩٨٠ بين الغزل والهزل. جمعية الثقافة والفنون، الرياض
١٤٠١/ ١٩٨١ من أعلام الأدب الشعبي-شعراء العالية. جمعية الثقافة والفنون، الرياض.

الحبيبي، خوشحال
١٤١١/ ١٩٩١ غزال العربي. مطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

الحسيني، أحمد حماد وآخرون
١٣٨٤/ ١٩٦٩ علم الحيوان العام لطلبة الجامعات والمعاهدة العليا. الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

الخيال، محمد بن عبد المحسن
١٤١٣/ ١٩٩٢ «رحلة مع الجراد». جريدة الجزيرة عدد ٧٥٠٥ وتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٤١٣هـ - ١٦/ ٤/ ١٩٩٢م. ص١٦.

الدباسي، عبد العزيز
١٤١٣/ ١٩٩٢ «بدء موسم صيد القماري». جريدة الجزيرة عدد ٧٢٨٣ في ٩/ ٣/ ١٤١٣هـ - ٦/ ٩/ ١٩٩٢م. ص٩.

الدقس، كامل سلامة
١٣٩٥/ ١٩٧٥ وصف الخيل في الشعر الجاهلي. دار الكتب الثقافية، الكويت.

الدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن يوسف
د. ت. حياة الحيوان الكبرى. مكتبة الرياض الحديثة، وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد بن محمود القزويني.

الربعي، أبو محمد عيسى بن إبراهيم بن محمد
١٤٠٧/ ١٩٨٧ نظام الغريب في اللغة: وهو معجم الألفاظ الغريبة في اللغة العربية. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.



الزبيدي، تقي الدين أبي العباس حمزة الناشري اليمني

١٤٠٥/ ١٩٨٥ انتهاز الفرص في الصيد والقنص. تحقيق عبدالله محمد الحبشي. الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء.

السالم، محمد سليمان عبدالعزيز

١٤١٢/ ١٩٩٢ «الصقر.. القنص به رياضة عربية عريقة» جريدة الشرق الأوسط عدد ٤٨٠٩, ٢٨/ ١/ ١٩٩٢. ص١٠.

السعدون، محمد بن خالد، وآخرون

د.ت. دراسة بيئية على سحلية الضب المصري في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية. دراسة للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

السعدون، محمد بن خالد، وآخرون

١٤١٥/ ١٩٩٤ دراسة بعض النواحي البيولوجية للضب، وطرق حمايته من الانقراض. الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

السهلي، محمد الدحملي

١٤١٢/ ١٩٩٢ «هواة قنص الضبان» الكبسة بلحم الضبان مذاق لا يقاوم. جريدة الجزيرة عدد ٧١٥٥ . ص١٤.

السويداء، عبد الرحمن بن زيد

١٤٠٣/ ١٩٨٣ نجد في الأمس القريب. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

١٤٠٧-١٤١٢/ ١٩٨٧-١٩٩٢ فصيح العامي في شمال نجد. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.

الشريف، صالح

١٤١٣/ ١٩٩٢ «الصقور مميزات حسب السعر» جريدة الرياض العدد ٨٨٤١ وتاريخ ١٠/ ٣/ ١٤١٣هـ - ٧/ ٩/ ١٩٩٢م. ص٢٤.

شكر، شاكر هادي

١٤٠٥/ ١٩٨٥ الحيوان في الأدب العربي. عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

الصالحي، عباس مصطفى
١٤٠٢/ ١٩٨١ الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الطريف، محمد بن سليمان
١٤١٦/ ١٩٩٦ أنظمة المحافظة على الحياة الفطرية والمواطن الطبيعية في المملكة العربية السعودية. الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

العالم، إسماعيل أحمد شحاده
١٤٠٧/ ١٩٨٧ وصف الطبيعة في الشعر الأموي. مؤسسة الرسالة دار عمار، بيروت.

ابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد
١٣٥٩/ ١٩٤٠ العقد الفريد. تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت.

عسيري، عبدالله بلغيث
١٤١٣/ ١٩٩٢ «الليث.. مهد الصقور. أسرار وخفايا القنص بالصقور» جريدة المدينة عدد ٩٣٢٢ وتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٤١٣هـ. ص ٧.

العنزي، بشير بن محمد
١٤٠٩/ ١٩٨٩ من الماضي البعيد إلى الحاضر الجديد. المؤلف، عرعر (السعودية).

غندور، أحمد محمد
١٩٨٧ المها من الأسر إلى التوطين. مطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد
١٣٥٦/ ١٩٧٦ الأغاني. مؤسسة جمال للطباعة والنشر، دار إحياء التراث العربي.

فرح، ليلى
١٩٩٢ «في بريطانيا مدارس خاصة لتعليم فن الصيد بالصقور». مجلة الرجل عدد «٤» ١٩٩٢م.



الفهيدي، عياد بن زعل

١٤١٣/ ١٩٩٣ «الصيد بين المتعة وحماية الحياة الفطرية». جريدة الجزيرة العدد ٧٤٣٨ في ١٧/ ٨/ ١٤١٣هـ - ٨/ ٢/ ١٩٩٣م. ص ٩.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم

١٤٠٦/ ١٩٨٦ عيون الأخبار. دار الكتب العلمية، بيروت.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد

١٤٠٧/ ١٩٨٧ صبح الأعشى في صناعة الإنشا. شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

القويعي، محمد عبد العزيز بن علي

١٤٠٢-١٤٠٤/ ١٩٨٢-١٩٨٤ تراث الأجداد. دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية، مطابع البادية للأوفست، الرياض.

كامل، نامق

١٤١٣/ ١٩٩٣ «الصيد بالجوارح رياضة وفن شغف بهما العرب منذ القدم». جريدة الشرق الأوسط - عدد ٥٣٢٥ وتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٩٣م. ص ٢٠.

كشاجم، أبو الفتح محمد بن الحسين

١٣٧٣/ ١٩٥٤ المصايد والمطارد. دار اليقظة، بغداد.

الكمال، خالد بكر

١٤١٠/ ١٩٩٠ الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية «الثدييات». مطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة.

المجاهد الرسولي، علي بن داود بن المؤيد الغساني

١٤٠٧/ ١٩٨٧ الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل. تحقيق الدكتور يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

١٤٠٦/ ١٩٨٦ مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار الكتب العلمية، بيروت.




المعلوف، أمين
١٩٣٢ معجم الحيوان. دار الرائد العربي، بيروت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري
١٣٩٣/ ١٩٧٢ مجمع الأمثال. دار الفكر، بيروت.

النويري، شهاب ا لدين أحمد بن عبدالوهاب
١٣٩٥/ ١٩٧٥ نهاية الأرب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الهواوي، عبد الرحمن بن سعود
١٤١٠/ ١٩٩٠ الحصان بين العلم والتراث. المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض.

الوليعي، عبدالله بن ناصر ونادر، عبد الوهاب اياد
١٤١٠/ ١٩٨٩ مرشد الصياد. الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

الوليعي، عبدالله بن ناصر
١٤١٦/ ١٩٩٥ المحميات الطبيعية في المملكة العربية السعودية. الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.

